هوكر طاهر توفيق

الكرد والمسألة الأرمنية

1877 - 1920



الكُرد والمسألة الأرمنية

1877 ـ 1920

هوكَر طاهر توفيق

الكُرد والمسألة الأرمنية

1877 ـ 1920

دار الفارابي
أراس

الكتاب: الكُرد والمسألة الأرمنية 1877 ـ 1920

المؤلف: هوكَر طاهر توفيق

الغلاف: فارس غصوب

الناشران: * دار الفارابي ـ بيروت ـ لبنان

ت: 301461(01) ـ فاكس: 307775(01)

ص.ب: 11/3181 ـ الرمز البريدي: 2130 1107

www.dar-alfarabi.com

e-mail: info@dar-alfarabi.com

* دار أراس للطباعة والنشر

شارع جولان ـ أربيل ـ اقليم كردستان العراق

www.araspublishers.com

e-mail:aras@araspress.com

الطبعة الأولى: آذار 2014

ISBN: 978 - 9953 - 71 -955-9

تقديم

كونت العلاقاتُ الإثنية بين شعوب الشرق الأوسط بقومياته المتعدّدة الأعراق، والمختلفة الديانات، والمتنوعة العقائد والمتفرّعة المذاهب، سجِلاً مهماً في التاريخ الحديث والمعاصر؛ لعمقِها التاريخيّ، أولاً وقبل كلّ شيءٍ، ولِما اكتنفها من تعقيداتٍ وأزمات وصراعات محتدمة وصلتْ حدَّ محاولة إلغاء هوية إحداها للأخرى، وإنهاء وجودها لا سيَّما، وأنّ حالات الصراع تلك أخذتْ وتيرتهُا تنمو وتتصاعد ضمن المعادلة السياسية التي استمرّت طوال القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين القائمة على ضعف الدولة العثمانية، وتقلُّص نفوذها، وانحسار سلطاتها في مقابل ازدياد نفوذ الدول العظمى، ولا سيَّما بريطانيا، وفرنسا، وروسيا، واتساع مصالحها في منطقة الشرق الأوسط.

وتعدّ علاقة الكُرد بالأرمن أحد أهم الأمثلة التاريخية الحيّة على إشكالية العلاقة بين الشعوب الشرق أوسطية من حالة التعايش السلمي الآمن القائم على روابط اجتماعية واقتصادية إلى حالة التوتر والتصادم والصراع المحموم؛ فقد عاش الكُرد والأرمن معاً لقرونٍ خلتْ وقبل ظهور المسألة الأرمنية عام 1877 في مدنٍ وقرى مختلطة، أو منفصلة قريبة بعضها من بعض ضمن مناطق تسودها الدولة العثمانية سمَّاها الكُرد بـ: كُردستان والأرمن بـ: أرمنستان تزامناً من نشوء الفكر القومي لكلتا القوميتين حتى وجد الشعبان الكُردي والأرمني

نفسيهما وجهاً لوجه في ساحة صراع دامٍ وقفت فيه الدولة العثمانية خلف الكُرد ووقفت روسيا وبريطانيا خلف الأرمن فزادت الدول العظمى من حدة الصراع وشحن أحدهما ضد الآخر، ووجهتهما باتجاهٍ يخدم مصالحها؛ ليأخذ الصراع الكُردي ـ الأرمني أشكالاً من التهجير والتهجير العرقي، والقتل، والاغتصاب، والمذابح الجماعية لكلا الطرفين أحدهما بيد الآخر، ولكن كلّ ما حدث اخْتُزِلَ في كتب التاريخ تحت عنوان (مذابح الأرمن).

فقد كتبت العديد من المؤلّفات والدراسات والبحوث التاريخية عن مذابح الأرمن ولكن غلب على معظمها العاطفة، وعدم الموضوعية، والافتقار إلى تلمس الحقيقة والصدقية الكامنة في المصادر الأصلية التي رصدت الأحداث وقومتها بشكل مُحايدٍ؛ لذا لا غرو أنْ نجدَ معظم الكتابات عن المسألة الأرمنية قد تمحورت حول فكرة راسخة روّج لها الأرمنُ، ودعمتْها وسائلُ الدعاية الأوروبية مفادها أنّ مذابح الأرمن ما وقعت لولا : «ظلم الدولة العثمانية، واستبداد سلطاتها، وتطرف الدين الإسلامي، وتشدده مع الديانات الأخرى، وبربرية الشعب الكُردي وهمجيته في التعامل مع القوميات غير الكُردية».

والكتاب الموجود بين أيدينا والذي يحمل عنوان: (الكُرد والمسألة الأرمنية 1877 ـ 1920) للباحث الدكتور هوكَر طاهر توفيق التدريسيّ في قسم التاريخ/ هيئة العلوم الإنسانية/ في جامعة زاخو يعدُّ دراسة أكاديمية استثنائية، ومحاولةً جادّة؛ لكشف حقيقة العلاقة الكُردية بالمسألة الأرمنية. فقد أوضحتِ المصادر الأصلية المتعددة والمتنوعة ـ لا سيما الوثائقية منها والتي شغلت حيزاً كبيراً في إعداد هذه الدراسة ـ رؤيةً جديدةً لحقيقة الصراع الكُردي ـ الأرمني الذي استمر لعقود من الاقتتال الدامي قدَّمها الباحثُ بموضوعيةٍ تامّة

ومنهجيةٍ رصينة، وبلغةٍ سلسةٍ، وواضحة حاول فيها عرضَ الحقائق، وتحليلَ الأحداث تحليلاً منطقياً مستنداً فيه إلى المصادر التي رصدتِ الوقائعَ عن قرب. كما فَنَّدَ الباحثُ الكثير من الحجج والأكاذيب، والإحصائيات المبالغ فيها والتي تضمنتها المؤلفات المتخصصة بالمسألة الأرمنية، وتناقلتها على أساس كونها أموراً مسلّماً بها.

فقد تحمل الباحثُ مسؤولية فكّ اتهام مطبق على أعناق الشعب الكُردي من الدم الأرمنيّ، وهي مسؤوليةٌ كُبْرى تتطلَّبُ المزيد من الجهد والصبر، ونكران الذات، ونبذ العاطفة، وتلمس الموضوعية والاستقراء الصحيح والدقيق للأحداث، وقد توافر كلّ ذلك في الباحث الدكتور هوكَر طاهر توفيق الذي كشف وبشكل واضحٍ وجليٍّ أنّ الكُرد هم أيضاً كانوا ضحايا لعمليات القتل والذبح والتهجير التي قام بها الأرمن ضدهم.

والأنكى من ذلك فإنّ المسألة الكُردية راحت ضحية المسألة الأرمنية، وتم تسويفها، وإنهاؤها من الواقع السياسي، كما توصل الباحث إلى حقيقة الفكرة التي كُتِبَتْ من أجلها هذه الدراسةُ ومفادُها لا أحقادَ، ولا ضغائنَ بين الشعوب والقوميات المختلفة، وإنْ وُجِدَتْ فهي من صنيع الساسة، وأنّ على الكُرد والأرمن والقوميات الأخرى المتعايشة في الشرق الأوسط نبذ الأحقاد، والتطلع إلى المستقبل، واستنباط العبر والدروس من التاريخ القريب؛ لأنّ المسألة الأرمنية خيرُ دليلٍ على أنّها لم تكن سوى بؤرة من بُؤَر الصراع القائم بين القوى العظمى التي لا تتوانى إلى يومنا هذا من رفع الورقة الأرمنية بين الحين والآخر؛ للضغط السياسي تارةً، والمساومة تارة أخرى.

د. سعاد حسن جواد
جامعة دهوك / كُردستان العراق

المقدمة

شكلت المسألتان الكُردية والأرمنية بُعداً خطيراً في العلاقات الإثنية بعضها ببعض، عند ظهور الفكرة القومية الحديثة وانتشارها في الشرق الأوسط أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وتعد تطورات هاتين المسألتين، داخلياً في شمال كُردستان وفي الدولة العثمانية بشكل عام، وخارجياً في أوروبا وأميركا، من أكثر الوقائع التاريخية تفاعلاً في العصر الحديث. فشاءت الصيرورة التاريخية في صراع الشعبين الكُردي والأرمني فوق البقعة الجغرافية ذاتها، التي سماها الكُرد (كُردستان) وأطلق عليها الأرمن (أرمينيا)، وإن بدا من الوهلة الأولى مجرد أزمة أو مشكلة يمكن حلها، ولكن بعد ذلك تبين أن الصراع ليس نابعاً من مشكلة اجتماعية، أو من مشكلة اقتصادية، كما حاول أن يصورها بعضهم، بل كان الصراع على الهوية، وعلى التاريخ، وعلى الأصل، والأهم من كل هذا كان الصراع على الأرض، هل هي كُردستان بلاد الكُرد، أم أرمنستان الموطن الأصلي للأرمن؟

نشأت المسألة الأرمنية في شمال كُردستان (أرمينيا الغربية)، أو ما تعرف بالولايات الستّ (أرضروم، وان، بتليس، معمورة العزيز(خربوط)، سيواس، دياربكر)، لذلك فإن علاقة المسألة الأرمنية تمس تاريخ الكُرد في الصميم، إذ إن الأرمن بعد اندلاع الحرب الروسية العثمانية في عام 1877، طالبوا بالولايات الست، ليؤسسوا دولتهم القومية عليها، بدعم من الغرب،

الذي كان ظهيراً للأرمن على الدوام، ولكن كل ذلك اصطدم بالكثافة السكانية العالية للكُرد في تلك الولايات، بالمقارنة مع النسب السكانية المتدنية للأرمن فيها، وفي أحيان أخرى كان الكُرد يستندون إلى الأتراك، للدفاع عن حقوقهم المشروعة في تلك الولايات الست.

لا يمثل عنوان (الكُرد والمسألة الأرمنية) مجرد الخوض والبحث في علاقة الكُرد بالأرمن، بل إن فهم تلك العلاقة يمر عبر ثلاثة مستويات أو إشكاليات، المستوى الأول: علاقة الكُرد بالأرمن في شمال كُردستان، فقد اختلط الشعبان أحدهما بالآخر في تلك المناطق ـ الولايات الست ـ بشكل واضح، وإن برزت الأغلبية الكُردية إلا أنّ الأرمن في جميع الأماكن التي تواجد فيها الكُرد، كانوا يعيشون معهم في مدن وقرى مختلطة أو منفصلة قريبة بعضها من بعض. المستوى الثاني: علاقة الأتراك بكل من الكُرد والأرمن على حدة، فإن الأتراك عُرفوا وعلى الدوام باستغلالهم الكُرد والأرمن في مرات عديدة، كلٌّ حسب قوته وضعفه لفرض أجندته السياسية على المنطقة. أما المستوى الثالث: فهو سياسة الدول الكبرى تجاه المسألة الأرمنية وتبعاتها على الكُرد والأتراك في المنطقة. لذلك فإنه من غير الممكن فهم علاقة الكُرد بالمسألة الأرمنية ما لم تفهم العلاقات أو المستويات الأخرى المرتبطة بها؛ وإذا ما تمّت دراسة كل موضوع على حدة فستكون الحقيقة التاريخية مبتورة، لكن على الرغم من صعوبة الوصول إلى الحقيقة التاريخية على وجه الجزم والقطع أو تكوين صورة متكاملة عن هذا الموضوع كما هو معروف في البحث التاريخي، إلا أن دراسة المستويات الثلاثة السابقة معاً تقرب الباحث والقارئ بشكل كبير إلى الحقيقة التاريخية، وكانت المعضلة التي واجهت الكُرد في علاقتهم بالمسألة الأرمنية، ووضعتهم في دائرة الاتهام حتى عند العديد من

الكُرد أنفسهم، هي دراستها ضمن منظور واحد فقط، وهذا ما شوه إلى حد بعيد حقيقة تلك العلاقة.

ألقت هذه الإشكالية بظلالها على خطة الدراسة ونوع المواضيع والمباحث التي يجب التفصيل في ذكر أحداثها، وعلى تلك المواضيع التي يجب بحثها في أثناء هذه الدراسة وإن كانت بصورة مختصرة، وذلك لتشكيل صورة أكثر وضوحاً عن تلك الوقائع التاريخية، وللتقرب إلى ماهية حقيقة المشكلة: أسبابها، وتطوراتها، ونتائجها، وتبعاتها على مستقبل علاقة الكُرد بالأرمن في المنطقة.

والسؤال الذي يطرح نفسه أولاً وقبل كل شيء هو: كيف كانت علاقة الكُرد بالأرمن قبل ظهور المسألة الأرمنية في عام 1877؟ في منطقة غلبت عليها الكثرة العددية الكُردية، مع وجود تجمعات سكانية أرمنية لا بأس بها، كان الحكم فيها للأمراء الكُرد في بوتان، وبتليس، وموش، وبايزيد مثلاً، وكان الاقتصاد بيد الأرمن إلى حد كبير، فكيف تعايش الكُرد والأرمن؟ هل كان أحدهما مكملاً للآخر؟ رغم كون أحدهما مسلماً والآخر مسيحياً؟ هل أثّر اختلاف الديانة في الحياة اليومية للكُرد والأرمن؟ وهل كانت فصول المسألة الأرمنية انعكاساً حقيقياً لتاريخ الشعبين معاً، منذ ظهورهما في الشرق الأوسط في الألف الأول قبل الميلاد؟ في مقارنة بين حياة المجتمع السكاني في شمال كُردستان ـ الولايات الست ـ إبان حكم الإمارات الكُردية وبعد انهيارها، ما هي الملامح التي تغيرت؟ ثم كيف أثر تغلغل نفوذ الدول الكبرى وخصوصاً روسيا وبريطانيا على علاقة الشعبين أحدهما بالآخر؟ أسئلة كثيرة حاولت محاور الفصل الأول قدر الإمكان الإجابة عنها ضمن عنوان (علاقة الكُرد بالأرمن حتى ظهور المسألة الأرمنية عام 1877)، بما توافر من مصادر قليلة

جداً عن تلك الذكريات الجميلة والطيبة، إذا جاز التعبير، التي اشترك فيها بحلوها ومرها الشعبان الكُردي والأرمني معاً.

تناول الفصل الثاني المعنون (موقف الكُرد من المسألة الأرمنية حتى اندلاع الأزمة الأولى 1877 ـ 1894)، إشكالية نشوء المسألة الأرمنية وظروفها، والدور الكُردي في ظهورها، وهل كان للإصلاحات الأرمنية الأولى تأثير في نشوء الفكر القومي لدى الكُرد؟ يبدو أن كُلاً من الكُرد والأرمن ما أن بدأ تطبيق سياسة الإصلاحات الأرمنية في المنطقة، اصطف في معسكر مضاد للآخر في أول مرة في تاريخهما الطويل؛ ثم كيف أثرت نتائج الإصلاحات الأرمنية في مستقبل علاقة الكُرد والأرمن في ثمانينيات القرن التاسع عشر؟ والذي شهد لأول مرة في تاريخ الأرمن ظهور أحزاب وجمعيات سياسية قومية اشتراكية تدعو إلى تحرير الولايات الست ـ أرمينيا الغربية ـ من الهيمنة العثمانية، وبالتالي كانت للحكومة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني(1876 ـ 1909) مواقف شديدة القوة تجاه تلك التطورات التي شهدتها الساحة السياسية الأرمنية، ولعل أبرزها في هذا المجال، كما هو معروف، تشكيله للفرسان الحميدية في عام 1891، التي خلقت جدلاً واسعاً بين مختلف السياسيين والباحثين حول أهدافها الحقيقية.

ربما كانت محاور الفصل الثالث، الذي بُحث فيه (موقف الكُرد من الأزمة الأرمنية الأولى وتطوراتها حتى الانقلاب العثماني 1894 ـ 1908)، من أكثر فصول هذه الدراسة تشابكاً، وذلك لأن سمعة الكُرد في تلك الأزمة التي امتدت رحاها خلال أعوام (1894 ـ 1896) شوِّهت بدرجة كبيرة خارجياً لدى العالم الغربي، ووصفوا بأبشع الصفات، حتى سميت هذه الأزمة في المصادر الغربية بـ(المذابح الحميدية)، وعُلق اسم الكُرد بشكل كبير بها، لأنّ القوات الحميدية كان جُلّها من عشائر الكُرد. لذلك كان من الحري هنا

البحث عن الدور الكُردي الحقيقي في هذه الأزمة، وهل كان الكُرد سبباً فيها؟ وأنهم هم منْ قادوا زمامها بعد ذلك وقاموا بقتل الأرمن؟ ثم هل درس أغلب الباحثين والمؤرخين هذه الأزمة بشكل حيادي، أم أن المصادر التي اعتمدوا عليها لا تكاد تخرج عن تلك التي دونها الأرمن فقط لوحدهم عن تلك الأزمة وتطوراتها؟ ثم ما هو الدور الفعلي والواقعي لكل من الأتراك والدول الكبرى في هذه الأزمة؟ وأخيراً كيف أثرت نتائج الأزمة الأرمنية الأولى في تطورات المسألة الأرمنية خلال أعوام (1897 ـ 1908)؟ وهل كانت نظرة جريدة كُردستان (1898 ـ 1902) إلى المسألة الأرمنية نظرة محايدة حول الدور الكُردي في الأزمة الأرمنية الأولى؟

أما الفصل الرابع الذي حمل عنوان (الكُرد والأرمن إبان حكم الاتحاديين حتى انتفاضة وان 1908 ـ 1915)، فقد شهد تبادل الأدوار بين الكُرد والأرمن خلال المدة 1908 ـ 1914؛ فبعد الانقلاب العثماني في تموز/ يوليو 1908، دخل الأتراك مع الأرمن في حلف بدا وثيقاً حتى عام 1914، ووجد الكُرد في شمال كُردستان أنفسهم وحيدين، ليس لديهم أصدقاء لا في الخارج ولا في الداخل. لذا ولإلقاء نظرة سريعة على طبيعة الصراع الكُردي الأرمني في تلك المدة تظهر دلائل وحقائق عديدة تخص المسألة الأرمنية، والموقف الكُردي منها، وخصوصاً صراعهم على الأرض وعلى نفوذ الإقطاع الكُردي هناك، إذ كان السبب الأساسي لتوحيد الكُرد جهودهم في اتحاد خاص بهم عام 1913، هو الوقوف بوجه الأرمن، ومحاولاتهم لتحويل بلاد الكُرد وهي كُردستان إلى أرمنستان. وأخيراً بحث في الفصل الرابع الإجابة عن عدد من الأسئلة الأخرى، منها كيف كان موقف الكُرد من الأتراك ومن الروس عند بدء الحرب العالمية الأولى؟ وهل تعرض الكُرد إلى المذابح التي جرت أولاً أم

الأرمن؟ وماذا كان الدور الكُردي والأرمني في تلك المذابح؟ وما هو مغزى وأهداف انتفاضة وان الأرمنية في عام 1915؟

شهدت سنوات الحرب العالمية الأولى بداية النهاية للمسألة الأرمنية، ففي تلك السنوات طبق الأتراك، نتيجة لظروف وتطورات الحرب، معادلة قومية (إثنية) جديدة على معظم أنحاء شمال كُردستان، ربما تفوق تلك المعادلة نظريتها الألمانية في بولندا والفرنسية في شمال أفريقيا. وهنا تطرح بعض الأسئلة نفسها منها، هل هُجّر الأرمن وحدهم من المنطقة أم هُجِّرَ الكُرد أيضاً؟ وهل كانت المذابح في الحرب العالمية الأولى في شمال كُردستان، متعلقة فقط بالأرمن ولم تكن هناك قط مذابح بحق الكُرد؟ وفي موضوع آخر هل كان الأرمن قريبين من تأسيس دولتهم في شمال كُردستان لولا اندلاع ثورتين في روسيا القيصرية ثورة آذار/ مارس وثورة أكتوبر/ تشرين الأول عام 1917؟ وهل كان اندلاع ثورة أكتوبر في مصلحة المسألة الأرمنية، أم أنها أدت إلى وأد تلك المسألة على حد قول بعضهم؟ ثم كيف كانت الأوضاع في شمال كُردستان بعد انتهاء فصول الحرب العالمية الأولى؟ يقول بعضهم إنّ الكُرد لأول مرة بعد عهد الإمارات، وجدوا أنفسهم مستقلين إلى حد بعيد في تلك المناطق، التي تحولت إلى كُردية خالصة بعد انتهاء الحرب، ولأول مرة وجد الكُرد ممثلاً لهم في مؤتمر عالمي وهو مؤتمر السلام المنعقد في باريس عام 1919؟ وما هي حظوظ الدولة الكُردية أمام الدولة الأرمنية في المناطق نفسها شمال كُردستان، أمام سياسة ومصالح الدول الكبرى المنتصرة في الحرب؟ ربما يشفي جواب هذا السؤال غليل السياسيين البريطانيين آنذاك، والمؤرخين الذين تبعوهم بعد ذلك حول سر تأييد الكُرد للحركة الكمالية، التي نشأت وترعرعت في شمال كُردستان المحور الحياتي بالنسبة إلى المسألة الأرمنية؟

كل هذه المواضيع نوقشت في الفصل الخامس تحت عنوان (عمليات التهجير والتطورات الأخيرة للمسألة الأرمنية 1915 ـ 1920) الذي بيّن نهاية فصول المسألة الأرمنية، وأظهر للجميع أن الكُرد كانوا هم الرقم الأصعب في معادلة المسألة الأرمنية، الذي استخف به الأرمن والدول الكبرى.

بخصوص المصادر التي اعتمدتها هذه الدراسة واستقت منها معلوماتها فيأتي في مقدمتها تلك الوثائق والتقارير الأصلية العائدة إلى حقبة المسألة الأرمنية، وكذلك المذكرات والدراسات التي ألفها أشخاص عايشوا تلك الأحداث؛ وأيضاً الصحافة العائدة إلى تلك المدة، وقد تم الاعتماد أيضاً على عدد من المؤلفات والكتب التي استخدم مؤلفوها عدداً من الوثائق والتقارير لم يتسنَ العثور عليها. ومن المفيد هنا الإشارة إلى أن بعض المصادر، أغنت فصلاً أم مبحثاً من هذه الدراسة، كما كانت هناك بعض الوثائق والمؤلفات حاضرة في جميع فصول الدراسة، سواء أكان ذلك بقصد أخذ معلومة موثقة منها، أو مناقشة بعض الآراء التي وردت فيها ونقدها، أو دعم تلك المعلومات المهمة التي أوردها مؤلفها بوثائق وردت في مصادر أخرى.

قبل الإشارة إلى الوثائق الأجنبية، من الجدير بالذكر أنه توجد عدة دراسات بحثت في علاقة الكُرد بالأرمن خلال حقبة المسألة الأرمنية، أو مست جانباً من تلك العلاقة، وأغلب هذه الدراسات الأولية أجراها الساسة والمثقفون الأرمن أنفسهم، ومن المهم الإشارة إلى بعض منها، مثل مؤلف هاكوب شاهبازيان - (Hagop Şahbazyan) المعنون (تاريخ الكُرد والأرمن) (*Kürt-Ermeni Tarihi*)؛ فقد كان هاكوب من المثقفين الأرمن في الدولة العثمانية، وحاصلاً على شهادة الحقوق، وقد عايش حقبة المسالة الأرمنية، واطلع على دور الكُرد فيها، لذلك يعد مؤلَّفه من أوائل الدراسات في هذا

المجال، ومن المعروف أن هاكوب كان قد أصدر مؤلفه هذا باللغة الأرمنية في استانبول عام 1911، ولا يمكن الاستغناء عنه للمعلومات النادرة التي فيه نتيجة لقرب مؤلفه تاريخياً من أحداث المسألة الأرمنية، رغم تفسيره للكثير من الأحداث التاريخية حسب وجهة النظر الأرمنية. أما الكتاب الآخر فهو للسياسي والمؤرخ الأرمني، وأحد الداعين إلى عقد الصداقة بين الكُرد والأرمن كارو ساسوني (Garo Sasuni) صاحب كتاب (الحركة القومية الكُردية وعلاقة الأرمن بالكُرد) (*Kurt Ulusal Hareketleri ve Ermeni - Kurt Ilişkileri*). لقد عاصر كارو ساسوني تلك الأحداث وشارك في بعض منها، خصوصاً في المدة ما بين (1913 - 1930)؛ ففي هذا المصدر المهم وردت معلومات نادرة جداً، كما نوقشت بعض المعلومات الأخرى التي وردت مترافقة مع معلومات وأحداث تاريخية جاءت في مصادر قريبة منها. إن ما يميز هذا الكتاب هو أنه يمثل المذكرات الشخصية لكارو ساسوني وفي الوقت ذاته يمكن اعتبارها دراسة أكاديمية رائدة ومتميزة في مجال الدراسات الكردية الأرمنية؛ ويختلف كارو ساسوني عن المؤلفين الأرمن الآخرين، على الرغم من عدم خروجه عن الخط العام في دعم الرواية الأرمنية، بتوجيه أصابع الاتهام إلى الساسة الأرمن أنفسهم وتحميلهم توتر علاقة الكُرد بالأرمن في بعض المواقف.

ومن المهم في هذا الصدد أيضاً الإشارة إلى مؤلف م. كالمان (M. Kalman) المعنون (الغرب - أرمنستان علاقة الكُرد والجينوسايد) (Bati-*Ermenistan Kürt ILişkileri Ve Jenosid*)، وكذلك إلى مؤلف مايفسراي في.تي (Mayevsriy V. T) المعنون (البيئة الاجتماعية والثقافية في كردستان خلال القرن التاسع عشر: علاقة الكُرد - الأرمن)

(*Yüzyild Kurdistanin Sosyo Kulturel Yapisi: KurtErmeni lişkileri*)
فرغم مكانة هذين المؤلفين في شرح أبعاد علاقة الكُرد بالأرمن خلال حقبة المسألة الأرمنية، إلا أن الأول (م.كالمان) يدافع عن الأرمن ويتهم الكُرد باضطهادهم، والثاني (مايفسراي) يدافع عن الكُرد، ويتهم الأرمن لكونهم هم من بدأوا بالتحريض وعمليات القتل أولاً، ولكل منهما بطبيعة الحال حججه في دعم رأيه في المسألة الأرمنية وعلاقة الكُرد بها. ويمتاز كلا المؤلفين بإيراد معلومات تاريخية غاية في الأهمية والندرة بشأن علاقة الكُرد بالأرمن، إلا أن ما يؤخذ على مؤلف (م. كالمان) هو محاولته مثل المؤرخين الأرمن اتهام الكُرد بشدة في العديد من المواقف في تاريخ المسألة الأرمنية، وإلقاء تبعات تطوراتها فقط على عاتق الكُرد، وذلك يعود ربما إلى تأثره ببعض المصادر الأرمنية التي استقى منها معلوماته تلك.

يظهر أن الوثائق المتعلقة بالمسألة الأرمنية سواء أكانت أجنبية أم عثمانية قد نُشرت منها مجموعة كبيرة جداً، وإذا كانت قد بقيت هناك مجموعة من الوثائق لم يطلع عليها بعد الباحثون والمؤرخون المختصون بالمسألة الأرمنية، فتكاد لا تخرج عن الإطار الفكري والمعلوماتي العام الذي كونته الوثائق المنشورة منها، وذلك لسببين، الأول: أنه قد مرّت مدة لا بأس بها على المسألة الأرمنية حيث انتهت فصولها في عام 1920، والثاني: أن الجانبين الأرمني والتركي قد كشفا ونشرا كل ما بحوزتيهما من الوثائق لإدانة أحدهما الآخر، ولتوثيق حجته قدر الإمكان أمام الرأي العام العالمي، لأن المذابح الأرمنية في الحرب العالمية الأولى، وكما هو معروف في تاريخ الإبادة العرقية في القرن العشرين، تعد أول تلك الإبادات التي تدرس حتى الآن في الجامعات والمعاهد العالمية وخصوصاً الغربية منها.

تبرز الوثائق البريطانية، كمادة خام في أغلب حقب المسألة الأرمنية، فهناك عدد كبير من تلك الوثائق، خصوصاً بين سنوات 1870 إلى 1907، لأن بريطانيا في تلك المدة كانت الدولة العظمى الراعية للمسألة الأرمنية؛ لقد نشرت مجموعة كبيرة من تلك الوثائق في مصادر عدة، لعل أبرزها هي تلك التي نشرها المؤرخ التركي بلال شمشير (Bilâl N.şimşir) في أربعة أجزاء، والمعنونة بـ(الوثائق البريطانية عن الأرمن العُثمانيين *British Documents on Ottoman Armenians*)؛ فإن أغلب الوثائق البريطانية عن الأرمن وعن مسألتهم في الدولة العثمانية ما بين سنوات (1856 ـ 1895) موجودة في هذا المؤلف، الذي يعد المصدر الوثائقي الأول عن المسألة الأرمنية، وقد اعتمد عليه أغلب الباحثين والمؤرخين المختصين في شأن المسألة الأرمنية. إن الملاحظة التي تؤخذ على هذا المصدر الوثائقي هي أن بلال شمشير لم ينشر مع الوثيقة البريطانية صورتها الأصلية، ولكن بعد مقارنة هذه الوثائق بأخرى بريطانية ثبت أنّ بلال شمشير نشر نص تلك الوثائق، ولم يقم بحذف أو تبديل أي كلمة في نصوصها، وفي هذا المجال يمكن مثلاً مقارنة هذه الوثائق بما ورد في مؤلف آرمان جي.كيراكوسيان (Arman J. Kirakossian) المعنون بـ(السياسة البريطانية والمسألة الأرمنية من 1830 إلى 1914)، (*British Diplomacy and the Armenian Question: From 1830 to 1914*)؛ فالباحث الأرمني آرمان اعتمد في مؤلفه على الوثائق البريطانية بشكل كبير وهي الوثائق نفسها التي أوردها المؤرخ التركي بلال شمشير. لقد أكمل نشر الوثائق البريطانية عند المدة التي توقف عندها بلال شمشير المؤرخ التركي معمر ديمريل(Muammer Demirel) وذلك ضمن كتابه الوثائقي (الوثائق البريطانية عن الأرمن 1896-1918)

(Armenians British Documents on 1918–1896)، ثم أكمل نشر الوثائق البريطانية المتعلقة بالمسألتين الأرمنية والكُردية المؤرخ الكُردي (احمد عثمان أبو بكر) في مؤلفه المعنون (كُردستان في عهد السلام)، حيث ضم بين دفتيه الوثائق البريطانية التي تعود للسنوات الثلاث 1918 ـ 1920.

إن الملاحظة التي يجب أخذها في الاعتبار عند البحث في الوثائق البريطانية عن الحقيقة التاريخية في حقبة المسألة الأرمنية، هي ضرورة أخذ الحذر عند قراءة تلك الوثائق المقربة زمنياً إلى أية حادثة وعدم التسليم بها ومقارنتها بغيرها، لأن المعلومات الأولية عن كل حادثة أو واقعة متعلقة بالمسألة الأرمنية، اعتمد عليها القناصل والساسة البريطانيين في الدولة العثمانية كان مصدرها الأرمن وحدهم، ولكن البريطانيون أنفسهم في عدة مرات قد فندوا تلك المعلومات، التي وردت في تقاريرهم السابقة، بعد أن تمضي مدة زمنية معينة على تلك الحادثة.

ربما أن الوثائق العثمانية ليست أقل أهمية من الوثائق البريطانية في هذا المجال، ولكن الوثائق البريطانية تمتاز بكونها أكثر حرفية من حيث ذكر تفاصيل الموضوع وتحليله ودقة تواريخه، وقد عمدت الحكومات التركية المتعاقبة إلى نشر تلك الوثائق وذلك لدعم حجتها في المسألة الأرمنية. ومن تلك الكتب الوثائقية مثلاً الكتاب الوثائقي لـمحمد فخر الدين كرزي اوغلو (M. Fahrettin Kirzioglu)، المعنون بـ(الأعمال الوحشية الأرمنية في قارص وجوارها 1918 ـ 1920) (*Atrocities Committed by the Armenians in Kars and its Vicinity 1918 - 1920*) أو تلك السلسلة من الكتب التي صدرت تحت عنوان (الوثائق)، وقد ترجم الجزء الثالث منها إلى اللغة العربية. كما ينبغي في هذا الصدد الإشارة إلى الكتاب الوثائقي المهم لبلال شمشير الصادر في أربعة أجزاء والمعنونة بـ(الوثائق الدبلوماسية العثمانية:

الشؤون الأرمنية (*Documents Diplomatiques Ottomans: Affaires Arméniennes*) حيث يضم هذا الكتاب بين دفتيه معظم التقارير الدبلوماسية العثمانية عن المسألة الأرمنية، وأغلب تلك التي نشرت في الصحافة الغربية وردود الحكومة العثمانية عليها ما بين سنوات (1886 ـ 1900)، وهذا المصدر لا يمكن الاستغناء عنه في المواضيع المتصلة بالمسألة الأرمنية.

ربما لا تضاهي الوثائق الروسية في هذا المجال نظيرتيها البريطانية والعثمانية، من حيث كثرتها وتفاصيل معلوماتها، ولكن ما يميز هذه الوثائق أنها قد ضمت خلال حقبة المسألة الأرمنية بعض التقارير عن قناصل روس في شمال كُردستان كانت أكثر حيادية من معظم الوثائق البريطانية. ومما يجدر ذكره هنا أن الوثائق الروسية في كثير من المصادر الوثائقية كانت مدونة باللغتين الروسية والفرنسية؛ ومن المهم في هذا الصدد الإشارة إلى تقرير القنصل الروسي مايوسكي (Mayewski) في وان وأرضـروم في تسعينيات القرن التاسع عشر، الذي يحمل عنوان (إحصائيات ولايتي وان وبتليس) (Statistique des Provinces de Van et de Bitlis). وكذلك كتاب (تطلعات ونشاط اللجان الثورية الأرمنية قبل وبعد إعلان الدستور العثماني (Aspirations et Agissement Revolutionnaires des Comités Armeniens, avant et après la Proclamation de la Constitution Ottomane) الذي يضم وثائق روسية عديدة باللغة الفرنسية، فضلاً عن الكتاب الوثائقي للباحث الكُردي (افراسياو هورامي)، الذي يحمل عنوان (الكُرد في الأرشيف الروسي والسوفياتي ـ كورد له ئه‌رشيفى رووسيا و سۆڤيه‌ت دا). وما دام الحديث عن الوثائق الروسية فلا بد هنا من الإشارة إلى الضابط الروسي (أفريانوف) (Avyarov) الذي ألف، في بداية القرن العشرين، كتاباً بعنوان (الكُرد في الحروب العثمانية ـ الروسية والإيرانية (1801 ـ 1900)

(Osmanli Rus ve Iran Savaşlar nda Kurter 1801 - 1900) والذي لا يمكن الاستغناء عنه، وذلك لمعرفة ثقل الكُرد في السياسة الروسية تجاه الدولتين العثمانية والإيرانية، خصوصاً بعد قيام تشكيل الفرسان الحميدية، الذي كان موجهاً بالدرجة الأولى، حسب الروس، إلى سياسة روسيا القيصرية وأطماعها في المنطقة.

فضلاً عن ذلك استعانت الدراسة بوثائق أميركية، ويبرز في هذا المجال الكتاب الوثائقي (السجلات الرسمية الأميركية عن الإبادة الجماعية الأرمنية 1915 ـ 1917)، (United States Official Records on the Armenian Genocide 1915 1917) للباحث آرا سارافيان (Ara Sarafian) ، وبالوثائق الإيطالية التي أوردها الباحث ماوريزو روسو (Maurizio Russo) في بحثه الموسوم (تشكيل أفواج الفرسان الكُردية الحميدية) (La formation des régiments de cavalerie kurde hamidie). فضلاً عن الوثائق الفرنسية التي نشرها الباحث التركي حسن ديلان (Hasan Dilan) والمعنونة بـ(الأحداث الأرمنية في الوثائق الدبلوماسية الفرنسية 1914ـ1918)، Fransiz (Diplomatik Belgelerinde Ermeni Olaylari 1914 1918) ضمن عدة أجزاء.

كما أفادت الدراسة من الصحافة الكُردية التي صدرت في تلك المدة، مثل جريدة كُردستان (1898ـ1902)، ومجلة كُرد تعاون ترقي (1908ـ1909)، ومجلة كُردستان (1919ـ1920)، التي شكلت رافداً مهماً للدراسة، لأن الآراء التي وردت فيها كانت تمثل وجهة النظر الكُردية من المسألة الأرمنية.

وأخيراً في مجال عرض وتحليل المصادر تجدر الإشارة إلى بعض المؤلفات التي أغنت هذه الدراسة وأثرتها في جوانب عديدة، وهي دراسات عدة كان أصحابها رواداً في بحث تاريخ المنطقة بشكل عام، ويأتي في مقدمتها

مؤلف (م.س. لازاريف) المعنون بـ(المسألة الكُردية 1891 ـ 1917)؛ إذ يعد هذا الكتاب، إلى جانب مؤلفات جليلي جليل وخصوصاً (نهضة الأكراد القومية والثقافية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين) و(انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري 1880)، من أهم المؤلفات التي تناولت علاقة الكُرد بالأرمن من وجهة نظر الوثائق الروسية، لأنّ المؤرخين اعتمدا على عدد من الوثائق ليس من السهل الحصول عليها. ولكن الملاحظة التي تؤخذ على مؤلفاتهما، رغم قيمتهما العلمية المتميزة والرائدة في مجال الدراسات الكُردية، هي أنهما تجنبا في عديد المرات عدم الخوض في سياسة الأحزاب الأرمنية تجاه الكُرد، وإلقاء كل اللوم والتبعات، في تطورات المسألة الأرمنية، على الإقطاع الكُردي ومن خلفه الحكومات العثمانية. وأيضاً كان لمؤلفات جستن مكارثي (Justin McCarthy) وقعها المتميز بالنسبة إلى هذه الدراسة، وخصوصاً مؤلفه (التمرد الأرمني في وان)، (The Armenian Rebellion at Van) الذي اشترك في تأليفه مع مجموعة من المؤرخين الآخرين. هذا الكتاب يخوض في تفاصيل المسألة الأرمنية من وجهة نظر الوثائق العثمانية، مع اعتماده على نسبة متميزة من الوثائق البريطانية أيضاً، ويعد كتاباً فريداً في بابه، من حيث كثرة المعلومات فيه التي تدحض الحجة الأرمنية؛ ويؤكد مكارثي أن أي حادثة في حقبة المسألة الأرمنية، بدأها الأرمن أولاً، كما أن المذابح التي ارتكبها الأرمن ضد المسلمين والكُرد في وان في عام 1915 هي حقائق تاريخية لا يمكن إنكارها.

إن لائحة المصادر المهمة للتحليل هنا لا تنتهي عند هذا الحد، فقد كانت لمؤلفات (رجب مرعشلي) (Recep Maraşli)، و(كونتر لوي) (Guenter Lewy)، و(ديفيد كانت) (David Gaunt) و(صلاحي سونيل) (Salâhi Sonyel)، و(كريستوفر جي. والكر) (Christopher J.Walker)،

و(ادوين مونسيل بليس) (Edwin Munsell Bliss)، و(موسى شاشماز) (Musa Şaşmaz)، و(ستانفورد شو) (Stanford Shaw)، و(ديفيد مكدول) ومؤلفين آخرين، ضمتها قائمة المصادر والمراجع، أهمية متميزة بالنسبة إلى هذه الدراسة، لا تقل عن تلك التي مرّت الإشارة إليها سابقاً، وستتبين أهمية جميع هذه المصادر عند متابعة فصول الكتاب.

أما بخصوص الصعوبات التي واجهت طريق هذه الدراسة، فلا تكاد توجد دراسة تخلو من مجموعة من الصعوبات والعوائق، كانت سبباً في إخراجها بشكل مغاير سلباً أو إيجاباً. ففيما يخص (الكُرد والمسألة الأرمنية) كانت أكبر صعوبة واجهتها هذه الدراسة هي مشكلة الترجمة؛ فمن المعروف أن الدراسات العربية والكُردية والمترجمة إليها فيما يخص هذا الموضوع تكاد تكون محدودة جداً، أو تعبر فقط عن وجهة نظر واحدة، لذلك كان من المفروض ترجمة كل ما له علاقة بـ(الكُرد والمسألة الأرمنية)، من اللغات الأجنبية وخصوصاً (الإنكليزية، والفرنسية، والتركية)؛ لأن المسألة الأرمنية إنما دونت بهذه اللغات الثلاث، لذلك تمّت ترجمة أغلب ما حُصل عليه من مادة بهذا الشأن إلى اللغة العربية، وفي مرات عديدة، ترجم النص المستخدم في الدراسة مرتين، ومن لغتين مختلفتين فقط للحصول على المعنى الدقيق للنص المترجم، وبهدف الوصول إلى المعلومة الأصلية.

وفي الأخير لا بد من توجيه كلمة شكر وامتنان إلى كل من أسهموا في تقديم مساعدة وبأي شكل كان في سبيل إتمام هذه الدراسة، وأخص بالذكر هنا والدتي ووالدي، وزوجتي (سولاف) وأولادي، وإخوتي الأعزاء وأخواتي العزيزات، وتحديداً أخي (توفيق) الذي كان خير سند لي أثناء فترة البحث والدراسة. ومن جميل الوفاء هنا تقديم شكري إلى الأستاذة الفاضلة الدكتورة سعاد حسن جواد، لما أبدته من توجيهات علمية دقيقة، إضافة إلى

مساهمتها القيمة في تصويب وتقويم هذه الدراسة، التي كانت في الأصل أطروحة دكتوراه وتفضلت الدكتورة سعاد حسن جواد بالإشراف عليها مشكورةً. كما أزجي شكري وامتناني إلى كل من الدكتور خليل علي مراد، والدكتور عبدالله محمد علي العلياوي، والدكتور بيار مصطفى سيف الدين، والدكتور صباح حسين محمد، والدكتور خطاب اسماعيل أحمد، والدكتور طارق أحمد شيخو، لمساعدتهم القيمة في تصويب الدراسة وتزويدهم العمل بمصادر قيمة، ولا أنسى أن أذكر فضل السيد عبد الرزاق كرمافي لمساعدته في طبع هذا الكتاب، ومتابعته لهذا الأمر مشكوراً. والله ولي التوفيق.

هوكَر طاهر

شباط/ فبراير 2014

الفصل الأول

علاقة الكُرد بالأرمن حتى ظهور المسألة الأرمنية عام 1877

أولاً ـ الأرمن في ظل الإمارات الكُردية حتى بداية القرن التاسع عشر.

ثانياً ـ تغلغل الدول الكُبرى في كُردستان وأثره في علاقة الكُرد بالأرمن 1800ـ1847.

أ ـ الكُرد والأرمن في الحرب الروسية العثمانية 1828 ـ 1829.

ب ـ الأرمن في ظل حكم الأمير بدرخان بك.

ثالثاً ـ حقبة الانحسار الكُردي والتقدم الأرمني 1848 ـ 1877.

أولاً: الأرمن في ظل الإمارات الكُردية حتى بداية القرن التاسع عشر

كان النظام الإماراتي في كُردستان أهم سمات المجتمع الكُردي الحديث، حيث تكونت في كُردستان إمارات كُردية عديدة، وقد اختلفت المصادر التاريخية في ذكر عددها، وحدودها، وسنوات تأسيسها، إلا أن هناك ما يشير إلى أن تأسيس النظام الإماراتي في كُردستان في العصر الحديث يعود بجذوره إلى القرن الرابع عشر الميلادي، لتصل هذه الإمارات في القرنين السابع عشر والثامن عشر إلى عصرها الذهبي؛ ثم لتسير بعد ذلك إلى مصيرها النهائي بالزوال على يد الدولة العثمانية في منتصف القرن التاسع عشر[1].

يبدأ تاريخ الكُرد الحديث، كما ذهب إليه أغلب الباحثين والمؤرخين المهتمين بذلك، من بداية القرن السادس عشر، وبالتحديد عند وقوع معركة جالديران، في شمال شرق بحيرة وان عام 1514، بين الدولتين الكبيرتين آنذاك، الدولة الصفوية والدولة العثمانية، حيث قُسِمَت كُردستان بين هاتين الدولتين، العثمانية التي احتفظت بالقسم الأكبر منها، والصفوية التي اكتفت بالشريط الشرقي من بلاد الكُرد[2]؛ وكان للأمراء والقادة الكُرد آنذاك دورٌ كبير في رجحان كفة الدولة العثمانية على الدولة الصفوية، ويأتي على رأس هؤلاء القادة ملّا إدريس البتليسي[3]، الذي تمكن من حشد الأمراء الكُرد وتعبئتهم، ليخوضوا المعركة ضد العدو (الصفوي الشيعي) آنذاك، وقد عقد ملا إدريس البتليسي بعد ذلك اتفاقية بين هذه الإمارات الكُردية والسلطان العثماني سليم

الأول (1512 ـ 1520)، تمكّنت بموجبها الإمارات الكُردية من الحفاظ على استقلالها مقابل اعترافها بالتبعية للسلطان العثماني[4].

شهدت الإمارات الكُردية تعايش المجتمع الكُردي مع قوميات وطوائف متعددة، كان أبرزها المسيحيون، الذين كانوا يتكلمون لغاتٍ مختلفة، ويدينون بعقائد ومذاهب شتى[5]، فكان منهم: النساطرة (الآشوريون)، والكلدان، ولكن الغالبية العظمى من مسيحيي كُردستان كانوا من الأرمن، الذين كانت لهم كنيستهم الخاصة بهم، وتدعى بـ الكريكورية[6] (Gregorian)، وانتشر غالبية الأرمن بين الكُرد وعاشوا ضمن إماراتهم، أو بالقرب منها في جيوب صغيرة مستقلة، في كُردستان (تركيا ـ الحالية) أو (الأناضول الشرقية). وكان هناك ميل لدى الباحثين الغربيين لإطلاق تسمية (أرمينيا الغربية)، على تلك المناطق التي يكثر فيها العنصر الأرمني[7]، وبالتحديد ولايات وان أو فان (Van)، وبتليس (Betlis)، ومعمورة العزيز (Mamurtul Aziz) أو خربوط (Harput)، وأرضروم (Erzerom)، وسيواس أو سيفاس (Sivas)، ودياربكر (Diyarbakir)، حتى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى[8]، وكانت غالبية أراضي هذه الولايات تقع ضمن نفوذ الإمارات الكُردية حتى سقوطها. ومن أبرز الإمارات الكُردية التي عاش فيها الأرمن جنباً إلى جنب مع الكُرد نذكر إمارتي بتليس، وبوتان[9]. ومن المفيد هنا القول: إن مصطلح (أرمينيا الغربية) وظفته إثنياً وسياسياً الدول الكُبرى وبتأثير الأرمن، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بعد أنْ تغلغلت في شمال كُردستان[10].

وبالتالي كان الاختلاط بين الكُرد والأرمن، في ما يعرف الآن بكُردستان تركيا، وفيها نشأت (المسألة الأرمنية)، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ضمن مسألة أكبر منها أطلقت عليها الدوائر السياسية الغربية مصطلح (المسألة الشرقية[11]).

هناك أمران لا بد من بحثهما، قبل التطرق إلى تفاصيل علاقة الكُرد بالأرمن في الإمارات الكُردية، الأول: ما هي أصول الشعبين الكُردي والأرمني؟ والثاني: أين تقع بالتحديد مناطق سكنى كل منهما؟ أو بالأحرى بيان الحدود الإثنية أو الجغرافية الدقيقة لكُردستان وأرمنستان (أرمينيا)، حيث كان الخلاف على أشده بين الشعبين في نهاية القرن التاسع عشر حتى ما بعد الحرب العالمية الأولى.

أمّا بخصوص الأمر الأول فيجمع الباحثون والمؤرخون على أن أصول كليهما ترجع إلى الشعوب الهندوأوروبية، التي هاجرت في الألف الأول قبل الميلاد، من سهول آسيا الوسطى إلى منطقة آسيا الصغرى[12]؛ فالكُرد استقروا في المنطقة الحالية التي تعرف بكُردستان، والتي تقع في وسط أو قلب الشرق الأوسط كما يحلو للبعض تسميتها حالياً[13]، ويشير برنارد لويس (Bernard Lewis) في كتابه (تشكيل الشرق الأوسط الحديث) إلى أن الكُرد هم من بين جميع المكونات اللغوية والإثنية على قدر من الأهمية، فهم وحدهم الباقون في الأراضي الوسطى للشرق الأوسط، وأنّ ما يدل على أن وجودهم هناك يعود إلى أزمان موغلة في القدم[14]. أما الأرمن فإنهم هاجروا في البداية إلى البلقان، ولكن بسبب حدوث صراعات وصدامات بين شعوب المنطقة هناك، فإنهم هاجروا إلى أرمينيا، وتذكر الأساطير الأرمنية أنه في تلك الأثناء قام جدهم الأعلى هايك أو هايرنك (Hairenik) بقيادتهم إلى أرمينيا الحالية، لذلك يحبذ الأرمن إطلاق تسمية (هايكستان) على بلادهم[15].كما تتحدث روايات التاريخ القديم للأرمن على أن هايرنك هو من أحفاد النبي (نوح) الأسطوريين[16].

أما بخصوص السؤال أو الأمر الثاني، ألا وهو تحديد الحدود الإثنية أو

الجغرافية لكل من القوميتين؟ فإن الخلاف لا يزال على أشده بين الطرفين، حول مناطق سكناهما خصوصاً في كُردستان تركيا؛ فتؤكد المصادر الأرمنية أن كُردستان تركيا الحالية كلها تدخل ضمن الأراضي الأرمنية التاريخية، وأنّ الكُرد زحفوا نحو الشمال والشرق باتجاه أعالي نهر الفرات والهضبة الأرمنية، مع الفتوحات الإسلامية في شمال كُردستان[17]، في حين تؤكد المصادر الكُردية أن الكُرد الميديين استقروا في تلك المنطقة التي كانت ضمن حدودهم الإثنية في الألف الأول قبل الميلاد، كما هو معروف في تاريخ الإمبراطورية الميدية[18]، وإذا كان الأرمن يعدون أنفسهم ورثة الأورارتيين القدماء الذين حكموا تلك المنطقة، فالكُرد أيضاً يعدون الميديين أجدادهم الأقربين، ودولة ميديا هي دولة الكُرد، ووجودهم التاريخي في كُردستان وجود واقعي لا يمكن نفيه[19].

صحيح أن الأرمن أسسوا دولاً وإمارات أرمنية في شمال كُردستان، حتى وصلت حدودهم لمدة محدودة من الزمن إلى شمال سوريا وبلاد الرافدين في عهد ملكهم الأبرز تيكران الثاني 94 ـ 55 ق.م[20] (Tigranes II) ولكن بالمقابل أسس الكُرد فيها عدداً كبيراً من الدول والإمارات، ابتداءً بالدولة الميدية في تاريخهم القديم، ومروراً بالدولة المروانية في التاريخ الوسيط الإسلامي، وانتهاءً بالإمارتين القويتين البتليسية والبوتانية في العصر الحديث، بل كان للكُرد الدور الحاسم في أحداث هذه المنطقة خلال معظم العهود التاريخية.

إذن، لا يستطيع الباحث إيجاد حدود دقيقة لأرمينيا في معظم عصور التاريخ، وربما يرجع ذلك إلى أنه ليس لأرمينيا حدود طبيعية، فهي كانت دائمة التغيير تبعاً لأحداث التاريخ المتعاقبة[21]، بعكس كُردستان؛ فإن الكُرد وجدوا وبشكل مستمر في وطنهم، بفضل وجود الدول والإمارات الكُردية

في كُردستان خلال أغلب حقبها التاريخية. وبتعبير أدق، وفرت تلك الكيانات أرضية اجتماعية وسياسية متينة منعت عموماً من تشتت الكُرد تحت وطأة أشد الضغوط الخارجية، كالغزوات، وهجرات القبائل البدوية الغريبة، وبرزت كُردستان، بفضل وجود هذه الكيانات كحقيقة سياسية، وديموغرافية، وجغرافية، وثقافية متميزة[22].

ألقت هذه الإشكالية بظلالها على القوميتين في العصر الحديث، فيذهب العديد من الباحثين والمؤرخين يتقدمهم المؤرخ كمال مظهر أحمد إلى أن تقسيم كُردستان تم في عام 1514 إثر معركة جالديران، وهذا الأمر متفق عليه، ولكن هؤلاء يذكرون أن أرمينيا قسمت هي الأخرى مثل كُردستان إثر عقد معاهدة زهاب بين الدولتين العثمانية والصفوية عام 1639، وعند النظر إلى هذا التقسيم يقع الباحث في معضلة ألا وهي: إن تقسيم المناطق بين الدولتين العثمانية والصفوية في الأناضول الشرقية ـ شمال كُردستان ـ هي نفسها، أي هي المناطق نفسها التي قسموها؛ فمرة يقولون إنها كُردستان، وتارة يضعونها تحت اسم أرمينيا[23]، فإذا كانت حدود كُردستان من جهة الشمال الشرقي تصل إلى بتليس، ووان، واردهان، وقارص، وبايزيد، التي تقع في أقصى شمال كُردستان، فأين هي حدود أرمينيا التي تقع على الجانب العثماني، هل هي مناطق بايزيد، ووان، واردهان نفسها؟ هذه إشكالية واضحة تخص هذا الجانب وتلامس التاريخ الحديث لكلتا القوميتين المتجاورتين.

لا يمكن حل هذه الإشكالية إلا بالرجوع إلى تلك المدة التاريخية، التي قسمت فيها كُردستان أو أرمنستان بين الدولتين العثمانية والصفوية، أي: إلى القرن السادس عشر الميلادي، لمعرفة تبعية هذه المناطق أكانت كُردستان أم أرمنستان؟.

يضع شرفخان البتليسي، مؤرخ الكُرد الأول، الذي انتهى من تأليف كتابه

(الشرفنامه) عام 1596، هذه المناطق ضمن حدود كُردستان، أو بلاد الكُرد، بل إنّ عائلته كانت تحكم جزءاً كبيراً من شمال كُردستان، إمارة بتليس، التي كان يوجد فيها عدد كبير من الأرمن، فيقول بشأن حدود كُردستان: «ويبتدئ حد بلاد الكُرد (كُردستان) من ساحل بحر (هرمز ـ الخليج الفارسي) المتفرع من المحيط على خط مستقيم، ممدود من هناك إلى آخر ولايتي ملاطية ومرعش، فيكون الجانب الشمالي لهذا الخط ولايات: فارس، والعراق العجمي، وأذربيجان، وأرمينيا الصغرى، وأرمينيا الكُبرى[24]، ويقع في جنوبه العراق العربي، وولاياتا الموصل، وديار بكر»[25]. ويورد شرفخان مصطلحي أرمينيا الصغرى وأرمينيا الكُبرى، وعلى ما يبدو فإنها مناطق جغرافية وليست لها دلالة سياسية، أو قومية، أو إثنية.

وقد أدخل هذه المناطق ضمن حدود الكُرد الجغرافية الرحالة التركي أوليا جلبي أيضاً الذي زار كُردستان في عام 1655، فيقول بهذا الصدد: «يصل الطرف الشمالي لهذه البلاد [أي: كُردستان] إلى أرضروم وفيها وان، وهكاري، والجزيرة، والعمادية، والموصل، وشهرزور، وحرير، واردلان، وبغداد، ودرتنك، ودرنة، إلى أنْ تصل إلى البصرة، فهي بلاد يبلغ طولها (70) مرحلة سير، وكُردستان هذه هي بلاد صخرية، تقع بين العراق العربي وبلاد عمان، وينتشر بين جبالها وفي مدنها ستة الآف عشيرة وقبيلة... أما عرض كُردستان فليس بقدر طولها، يحدها من الشرق حدود العجم، ومن حرير واردلان وحتى بلاد الشام وحلب يتراوح عرضها بين (20ـ25) مرحلة، والجزء الضيق من هذا العرض يكون بخمس مراحل، ويوجد في هذا الإقليم خمسمائة ألف مقاتل من حملة البنادق وجميعهم شافعيون، ولهم مجموع (750) قلعة وجميعها عامرة»[26]، كما أن الإدارة العثمانية نفسها كانت تطلق منذ نهاية القرن السابع

عشر، اسم ولاية كردستان على(دياربكر، وجزيرة بوتان، ودرسيم، وموش، ووان، وهكاري)[27]، وكانت التقارير بينها وبين العاصمة استانبول توقع باسم (والي كُردستان) حتى ستينيات القرن التاسع عشر[28].

كذلك أشار إلى هذه المنطقة كل من زارها من الرحالة الغربيين، على أنها بلاد الكُرد بالدرجة الأولى، مثل: الراهب الايطالي (جيوسبي كامبانل) (Giuseppe Campanile) الذي عاش في كُردستان نحو عشر سنوات في بداية القرن التاسع عشر، وزار أغلب المدن والمناطق الكُردية في شمال كُردستان، وعندما غادرها كتب ملاحظاته عن هذه البلاد ضمن كتاب طبع في نابولي عام 1818، وكان يحمل عنوان (تاريخ كُردستان)[29] (Histoire Du Kurdistan)، حتى أنّ المصادر الأرمنية نفسها أشارت إلى منطقة الأشكرت أو الشكرد، التابعة لباشا بايزيد الكُردي، التي تقع في أقصى شمال شرق كُردستان على أنها دولة الكُرد في القرن الثامن عشر[30]. وفي عام 1863 وضع القنصل الروسي في ازمير سي.موستراس (C. Mostras) المعجم الجغرافي للامبراطورية العثمانية، تحدث فيه عن الأقاليم العثمانية في تركيا الأوروبية، وتركيا العثمانية، كما صنفها هو بنفسه، وعندما عدّد ولايات تركيا الآسيوية أشار إلى ولاية باسم كُردستان؛ حيث يقول ما نصه: «ولاية كُردستان: مركزها مدينة دياربكر، وهي ثلاثة ألوية: ماردين، واسعرد (سعرد)، ودياربكر»[31]، وقد كان لقب والي أرضروم (اسماعيل حقي باشا) في سبعينيات القرن التاسع عشر، هو (والي كُردستان)، كما ورد ذلك في أغلب المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ الكُرد حينذاك[32]، والأكثر من هذا كله هو عندما باشرت بريطانيا تطبيق سياسة الإصلاحات الأرمنية بعد الحرب الروسية العثمانية 1877-1878، وبالتحديد في عام 1879 قامت بتعيين قنصل عام في شمال كُردستان وأسندت إليه هذه المهمة. وقد أطلقت بريطانيا على

هذا القنصل، الذي اتخذ من مدينة أرضروم مركزاً له، اسم قنصل كُردستان، على الرغم من أن مهمته الأساسية هناك كانت تتعلق بـ(تطبيق الإصلاحات الأرمنية في المنطقة)[33].

كما أن هناك دلالات أخرى تدل على أنها كانت ضمن نطاق الحدود الجغرافية الكُردية؛ ففضلاً عن أنّ الكُرد كانوا هم الذين يحكمون هذه المنطقة، كان غالبية السكان من الكُرد، وحتى بعد سقوط النظام الإماراتي في كُردستان بحلول النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظل الكُرد أصحاب النسبة السكانية الأعلى في المنطقة، مقارنة بالأرمن أو الأتراك الذين حاولوا زيادة نسبة نفوسهم هناك من خلال إحصائياتهم التي قدمت إلى الدول الكبرى في عدة مناسبات؛ بل يذهب العديد من الباحثين والمؤرخين إلى أن الأرمن لم يكونوا أغلبية ظاهرة، يمكن أن تكون نواة لدولة مستقلة منفصلة، في أغلب مناطق شمال كُردستان[34]، وأنّ كل هذا يدل على أن اسم كُردستان كان يطلق على معظم أراضي الولايات الستّ، التي يسميها الأرمن بـ(أرمينيا الغربية)، وكان يطلق على هذه المنطقة اسم (كُردستان) من جهات عديدة، ولم تكن محصورة بالكُرد فقط بل تجاوز ذلك أيضاً إلى الأجانب، والسلطة الحاكمة، وحتى الأرمن أنفسهم في العصر الحديث، حتى ما قبل ظهور الفكرة القومية الحديثة، وهذا كله ينفي الادعاءات الأرمنية، التي ذكرت بأنّ السلطات العثمانية بدأت ومنذ ثمانينيات القرن التاسع عشر بتحويل أرمنستان إلى كُردستان، كما سيأتي الحديث عنه لاحقاً.

بالاستناد إلى ما سبق، ورغم التفوق الكُردي في شمال كُردستان، سواء من ناحية الحكم، أو عدد السكان، فإن القوميتين الكُردية والأرمنية اشتركتا، وخلال القرون العديدة في الأرض التي اعتبرتها كل منهما جزءاً من أرض الآباء، وخلال القرون الخمسة الأخيرة خضعت الأمتان للسلطنة العثمانية،

التي شكلت الملامح الرئيسة لتاريخهما، وشارك الشعبان كذلك في الأبعاد الحضارية التي استطاعت الصمود في وجه التأثيرات الغربية عليهما، وخلال هذه المدة الطويلة من التاريخ لم تنقطع الاتصالات الاجتماعية والاقتصادية القوية بين الكُرد والأرمن[35].

حكمت الإمارات الكُردية شمال كُردستان، في معظم عهود العصر الحديث حتى منتصف القرن التاسع عشر، وكانت أبرز هذه الإمارات هي: إمارة بتليس، وإمارة بوتان، في حين كانت هناك إمارات أصغر منها مثل موش، وبايزيد، كانت تتخللها مدن كُردية كبيرة تناوبت هذه الإمارات على حكمها مع ولاة الدولة العثمانية، حسب قوة أي منهما أو ضعفها، مثل: مدينة وان، وأرضروم، وديار بكر[36]، وفضلاً عن الأرمن الذين وجدوا في هذه الإمارات والمدن كان هناك بعض الجماعات الأرمنية تتمتع بحكم ذاتي، كتلك التي وجدت في منطقتي زيتون وساسون، إلا أنّ السمة الاجتماعية البارزة في شمال كُردستان كانت العشائر الكُردية الرحل ونصف الرحل، حيث تهاجر في الصيف إلى أقصى شمال كُردستان، وفي الشتاء تنـزل إلى السهول والوديان، وتسكن القرى الأرمنية في أغلب أوقات الشتاء[37]، وكانت تمارس تربية المواشي. ويذكر المؤرخ الأرمني (انيجيجيان) أن هذه العشائر تنقسم إلى مجموعتين كبيرتين، إذ إن كُرد موش، وبتليس، وساسون، والمناطق المجاورة كانوا يعرفون باسم روزكيين، لأنهم كانوا يشغلون المنطقة المعروفة باسم روزكان، أما الكُرد القاطنون في بايزيد، والاشكيرت، وديادين وغيرها فقد كانوا يعرفون باسم سليفاني[38]، وكانت أكبر العشائر الكُردية الرحالة في وان والمناطق المجاورة هي اتحاد عشيرة (الحيدران)، وقد تشكلت من العشائر التي سكنت منطقة السهول الشاسعة المرتفعة، التي امتدت على جنوب أرضروم وشمال وان وصولاً إلى إيران، من بايزيد شمالاً وبانتوس غرباً حتى

إيران، وقد قطنت عشيرة الشيفلي المنتمية إلى ثاني أكبر اتحاد عشائري في وان (الشكاك) بين باجيري(بازيري) ومدينة وان[39]، فضلاً عن ذلك سكنت عشائر كُردية أخرى عديدة في تلك المناطق، مثل: الهرتوشي، والهيركي، والاتمانيكان، والغويان، والميران، والجلالي، وهاسنان، ودنبلي، وسيبكي، التي كانت تنتشر في وسط وجنوب (شمال كُردستان)[40].

وعلى العموم فإن أبناء العشائر الكُردية في منطقة أرارات، أو في (الهضبة الأرمنية)، كما هو معروف في المصادر الحديثة، كانوا يتخذون اتجاهين في هجرتهم الموسمية، جماعة تذهب باتجاه الشمال من خلال اتشميادزين (Echmiadzin) واسكندربول، ويستقر بها الحال في مرتفعات أخاليسك وأخالكالاكي، أما المجموعة الثانية: فتذهب باتجاه الجنوب وتستقر في أراضي ولاية قارص[41].

وعلى هذا الأساس، ونتيجة اختلاط الشعبين الكُردي والأرمني في شمال كُردستان، نشأت علاقات متينة بينهما، قلما يوجد لها مثيل عند الشعوب الأخرى، بحيث أصبح الواحد منهما مكملاً للآخر في العصر الحديث، فمثلاً يقول باسيلي نيكتين عن البكوات الكُرد، الذين كانوا يحمون حدود الدولة العثمانية من الهجمات الإيرانية: «إنه بقدر ما كانت صفات المقاتلين نامية لديهم ـ المقصود الإقطاعيين والبكوات الكُرد ـ كانوا يفتقرون إلى أدنى استعداد لممارسة الأعمال الاقتصادية، لذلك كانوا يلجأون في جميع أعمالهم المالية والتجارية إلى الأرمن، فإذا كان مطمح الكُردي الأعلى أن يصبح باشا، فإن مطمح الأرمني الأقصى هو أن يصبح مصرفياً لهذا الباشا!، وهكذا كان أحدهم يكمل الآخر»[42].

إن أبرز الأمثلة، التي يمكن ملاحظتها في علاقة الكُرد بالأرمن، يظهر بين العشائر الكُردية نصف الرحل والأرمن المستقرين في قرى منطقة أرارات[43]،

لأنّ العشائر الكُردية وهم رعاة المواشي، يتميزون بوجه خاص بقضائهم فصل الشتاء القارص مع الفلاحين الأرمن في منازلهم تحت الأرض؛ فبينما كان يقضي الكُرد الذين يعيشون في جبال طوروس هذا الفصل، في مقاتلة بدو سوريا وبلاد ما بين النهرين، الذين كانوا ينافسونهم على المراعي، كان سكان أرارات مختبئين بسبب قسوة الجو، في منازل مغلقة مدة ستة أشهر تقريباً، حيث كان الكُرد يتعرفون خلال هذه المدة بصورة أفضل إلى الأرمن، الذين كانوا ينازعونهم على وسائل العيش[44]. وقد أشار ملا محمود البايزيدي (1799-1867) إلى أن هذه العلاقة كانت مستمرة في شمال كُردستان، حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر[45]، وقد نشأت بين الأُسر الكُردية والأرمنية على مر الزمن علاقات صداقة أصبحت تقليدية، فكان لكل أرمني تقريباً صديق كُردي عرف في تاريخهما بـ(الكريف)[46]، كان يعده صديقاً عزيزاً للأسرة الأرمنية[47]. يقول أ.يرميان في هذا الشأن: «..والجدير بالذكر أنّ أي زعيم إقطاعي كُردي، كان يدافع بكل إمكاناته حتى آخر رمق عن صاحبه الأرمني، ويحميه من جشع موظفي الدولة المتوحشين... في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي ـ أي القرن التاسع عشر ـ في عهد سلطة الكُرد الذاتية، كان الكثير من الأرمن يشغلون مناصب المستشارين أو المساعدين لزعيم العشيرة أو للبك، وكانت تربطهم علاقات وثيقة، وعاشوا في أمان تام...»[48].

وهنا لا بد من التذكير أن القبائل الكُردية، التي كانت تسكن القرى الأرمنية، لم تكن تفرض نفسها على الأرمن بقدر ما كان هناك نوع من التكافل بين الطرفين، حيث إن إيواء القرويين الأرمن لتلك العشائر الكُردية كانت لقاء أجر مادي أو عيني، وخير دليل على ذلك تلك الأحاديث التي تبادلها القنصل البريطاني في أرضروم جيمس برانت (James Brant)، مع رئيس عشيرة

حيدران الكُردية (سلطان آغا)، عندما تجول في المنطقة الكُردية أواخر العقد الرابع من القرن التاسع عشر، حيث كتب برانت ما نصه: «...قال لي سلطان آغا: إنّ عشيرته [حيدران] تسكن شتاءً في القرى مع الأرمن، غير أنهم يهيئون التبن والعلف لأغنامهم ومواشيهم. وإن زودهم القرويون الأرمن بذلك، فإن ذلك كان مقابل مبلغ من المال متفق عليه بين الطرفين...»[49].

لا تشير المصادر التاريخية إلى أوضاع الأرمن وعلاقتهم بالكُرد، في ظل الإمارات الكُردية إلا في نصوص قليلة وقصيرة، خصوصاً في القرون الأولى من العصر الحديث، إلا إنّ المعلومات تزداد عنهم في النصف الأول من القرن التاسع عشر، عندما بدأت الدول الكُبرى وعلى رأسها روسيا وبريطانيا بالتغلغل في المنطقة، خصوصاً بعد أن ضمّت روسيا جزءاً من كُردستان، إثر الحروب الروسية الإيرانية، والروسية العثمانية التي امتدت تقريباً طوال القرن التاسع عشر[50].

لقد تحدث شرفخان البتليسي عن الأرمن، على أنهم من رعايا الإمارات الكُردية، وأن جميع الأملاك في الإمارة وخصوصاً تلك التي لا تعود لعشائر قوية، وعلى رأسها القرى الأرمنية، إنما هي مُلك للأمير الكُردي، فيشير شرفخان إلى صراع وقع بين الأمير محمد والأمير عزيز، على كرسي الإمارة في بوتان في أواخر القرن السادس عشر، فتدخل الصدر الأعظم آنذاك فرهاد باشا لمصلحة الأمير عزيز، بشرط: «إفراز ثلاثين قرية من قرى الأرمن في ولاية الجزيرة، وإدخالها في إدارة أملاك السلطانية الخاصة، وأن يتعهد بدفع ستين ألف فلوري [دينار ذهبي]قيمة محصولات تلك القرى إلى الخزينة العامرة»[51]، وكثيراً ما عدّ الأمراء والبكوات الكُرد هذه الأرض داخلة ضمن نفوذهم، وإنْ كانت لفلاحين أو لأشخاص أقل نفوذاً منهم فهي من ممتلكاتهم الشخصية، وأشار إلى هذه الحالة أيضاً خورشيد باشا، الذي كان ضمن اللجنة

المقررة لتحديد الحدود بين الدولتين الإيرانية والعثمانية عام 1843، حيث قال: «لقد اعتادوا أخيراً [يعني البكوات الكُرد] على اعتبار القرى الواقعة تحت سيطرتهم، من ممتلكاتهم الشخصية التي توارثوها أباً عن جد، مثل بقية الأراضي والممتلكات»[52]، كما تحدث شرفخان في موضع آخر عن الأرمن، ضمن معارك وصدامات وقعت بين والد الأمير شرفخان أمير بتليس آنذاك و(اولمه بك تكلو) و(فيل يعقوب)، اللذين قادا حملة عسكرية لخلع الأمير البتليسي، بأمر من السلطان العثماني سليمان القانوني (1520-1566) بين عامي 1533–1534، وعندما اشتد الأمر على الأمير البتليسي، أراد أنْ يطلب المساعدة من الشاه الصفوي طهماسب الأول (1524-1574)، إلا أن هذا الأمر لم يعجب حاشية الأمير البتليسي وعلى رأسهم (سيدي علي) آغا البرتا الذي قال: «...إذا تسامح الروزكيون[53] وتساهلوا في قتال أولمه وبطانته، فإنّي أجمع النصارى والأرمن في ولاية بتليس، وأحارب بهم المُغِيْرين»[54].

وفي تحليل بسيط فيما جاء عن الأرمن في كتاب الشرفنامه يتبين أن الأرمن كانوا من رعايا الأمراء الكُرد آنذاك، كما لا يشير شرفخان ولو برواية واحدة إلى حادثة وقعت بين الأرمن والكُرد، في حين يشير إلى عشرات المعارك والحروب بين الكُرد والترك، مما يوحي أن الأرمن كانوا إلى حد ما منسجمين مع الكُرد ضمن النسيج الاجتماعي الإماراتي.

شهدت بداية عهد سيطرة الدولة العثمانية نوعاً من التعاون الكُردي في مواجهة المعتدين على شمال كُردستان، فبعد أن سيطر العثمانيون على هذه المنطقة، قاموا بتشكيل قوة مشتركة من الكُرد والأرمن في مدينة وان، أطلق عليها اسم (تشكيلات بحيرة وان)، لغرض مواجهة الهجمات المتكررة للقوات الصفوية على المنطقة[55]. ويذكر كارو ساسوني(Garo Sasuni) أن بعض القادة من الكُرد والأرمن ذهبوا معاً في عام 1605 إلى أصفهان، عاصمة

الدولة الصفوية لمقابلة الشاه عباس الأول (1587 ـ 1629)، بهدف توحيد الجهود لإخراج قوات الدولة العثمانية من كُردستان وأرمنستان[56].

يشير (داراناكتسي)[57] (Daranagtsi) الأرمني إلى أن أحد الكُرد من عشيرة جلالي، كان يدعى أزيج (Azic) قد تمرد على الدولة العثمانية بالقرب من سيواس، في أواخر القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، فقام باشا سيواس على إثرها بتجهيز جيش كبير ليؤدب هذا المتمرد ويقضي على عصيانه، ولكن أزيج تمكن من هزيمة باشا سيواس المذكور، وطارده حتى حاصره في مدينة سيواس نفسها، وهنا أوعز الباشا العثماني إلى الأتراك والأرمن في المدينة بوجوب الدفاع عنها، وتقديم العون لجيشه، وقد أطاع الأرمن الباشا، وتصادموا مع الكُرد المحاصرين، وفي النهاية تمكن أزيج من دخول المدينة، وقد تعاملت قواته بحد السيف مع الأتراك والأرمن المتعاونين مع قوات الباشا، ولكن بالمقابل يذكر داراناكتسي أن قوات أزيج لم تتعرض للنساء والأطفال، وذلك لأن أزيج كان قد أنذر قواته بعدم الإقدام على هذا العمل، ويضيف بأنّ هذا الثائر الكُردي أزيج لم يكن يتعرض بأي أذى للأرمن والأهالي الفقراء والمسافرين، وكان يحارب فقط الانكشاريين وموظفي الدولة العثمانية[58].

يفهم من هذا النص أنّ الكُرد في شمال كُردستان لم يكونوا ينظرون إلى الأرمن على أنهم أعداء، وإنما كان حالهم مثل حال الكُرد من سكان البلاد الأصليين، وكانت مشكلة الكُرد مع الأتراك، الذين احتلوا أرضهم وباتوا يتحكمون في شؤونهم، أما بخصوص الأرمن فإنهم انضموا إلى الجانب التركي في هذه الحادثة، ربما لإدراكهم وقناعتهم أن الأتراك أقوى، وفي مصلحتهم أن يكونوا مع القوي، أو بسبب بعض التصرفات الكُردية التي استفزتهم، ولكن لا يشير داراناكتسي إلى ذلك، أو لأنه لم يكن لدى أرمن مدينة

سيواس خيار آخر، سوى الوقوف بجانب الدولة العثمانية، إلا أن داراناكتسي يذكر أن الأرمن في سيواس، قد ألقوا باللائمة في خسارة الباشا العثماني على أنفسهم بسبب «كثرة ذنوبهم»[59]، وهذا ما يؤكد أن الأرمن قد حاربوا بإخلاص إلى جانب الأتراك ضد الكُرد في تلك الحادثة، وأخيراً لا بد من الإشارة إلى أن مضامين هذه الحادثة تعطي دلالات عديدة، اتضحت معالمها بشكل أوضح في القرن التاسع عشر، وهي أن الأرمن من سكان المدن في شمال كُردستان، كانوا دائماً يقفون مع الأتراك ضد الكُرد، وكانوا يعدون الكُرد من مثيري القلق في البلاد، الأمر الثاني، أنّ هذه الحادثة بينت أنه في الحركات الكُردية ضد الأتراك، عوقب الكُرد فقط الذين شاركوا فيها، ولم يعاقب قطّ أهل المدن أو أقرباؤهم من النساء والأطفال والعجزة، كما حدث في الأزمة الأرمنية أواخر القرن التاسع عشر وفي أثناء الحرب العالمية الأولى.

لقد زار الرحالة التركي أوليا جلبي المنطقة الكُردية في عام 1655، ودوَّن ملاحظات عديدة عن أحوال ساكنيها من الكُرد والأرمن والطوائف الأخرى، ومن يقرأ رحلة أوليا جلبي يُفاجأ بمدى التقدم الثقافي في الإمارات الكُردية آنذاك وخصوصاً إمارة بتليس، حيث كان الكُرد أكثر تقدماً آنذاك مقارنة بأواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين[60]؛ فقد كان هذا النظام ـ الإقطاعي الإماراتي الكُردي ـ محترماً من الطرفين التركي والكُردي، حتى بداية القرن التاسع عشر، وعاش القسم الأكبر من كُردستان العثمانية، المفتتة إلى إمارات وسناجق حياة مستقلة. وكنتيجة إيجابية لهذا الاستقلال يمكن ملاحظة، انفتاح الأدب والثقافة الكُردية على الآخرين، وازدهارها بصورة عامة. ففي المجال الأدبي نجد صوفية (باتي)، وروحانية (ملا جزيري)، ووطنية (خاني) وثورية (فقي تيران)[61]، وكانت بعض المدن الكُردية مثل: بتليس، والجزيرة، وهكاري، وموش، عواصم أقوى الإمارات الكُردية، مركزاً ثقافياً مهماً، حيث

كان يلقى الشعراء والعلماء والموسيقيون الحماية والتشجيع، وكان الأكثر طموحاً من هؤلاء يذهب في بعض الأحيان إلى استانبول ليقدم فيها مواهبه مثل (نالي)، وكان الملوك الكُرد الصغار ينشئون بلاطات تضاهي من حيث العظمة والبذخ بلاطات معاصريهم تماماً[62] وهذا ما بينه أوليا جلبي في رحلته تلك. وبخصوص الأرمن لا يشير هذا الرحالة التركي ولو إلى حادثة واحدة كانت قد وقعت بين الكُرد والأرمن، الذين كانوا من رعايا هذه الإمارات. ويفهم من النصوص التاريخية التي أوردها أوليا جلبي أن أرمن الإمارات الكُردية كانوا يعيشون حياة مستقرة وهادئة نوعاً ما، بل إنهم كانوا أغنياء جداً ومعيشتهم أفضل من أغلب الكُرد. ما عدا الأُسر الأميرية والبكوات الكُرد. فمثلاً ذكر أوليا جلبي عن أرمن بتليس ما يلي: «تتبع الخان [أي خان بتليس] سبعون قبيلة وعشيرة...ويستطيع الخان في أي وقت يشاء جمع (700) ألف مسلح من هؤلاء، ويوجد داخل مدينة بتليس (40) ألف مسلح تابعين لعشيرة (روزكي)... وحسب سجل الخان يوجد في بتليس (43) ألفاً من الرعايا المسيحيين، وتقسم الجزية المأخوذة منهم بالتناصف، نصف إلى القوة العسكرية، ونصف إلى عبدال خان [أمير بتليس آنذاك]... ويتصف المسيحيون فيها بكونهم تجاراً كباراً وأغنياء»[63]. وعندما زار قلعة وان قال عن الأرمن: «وهناك ثلاثة محلات للأرمن فيها، وهم يقومون بخدمة القلعة بدلاً من دفع الجزية عنهم، إذ يقومون بإصلاح أي جزء يتهدم من القلعة، ومن غير هؤلاء لا يوجد المسيحيون هنا، والأرمنيون فيهم تجار أغنياء»[64].

وعلى هذا الأساس يتبين أن أوضاع الأرمن كانت على ما يرام، في ظل الإمارات الكُردية، بل إنّ حياتهم يمكن أن تكون هي الأفضل بالنسبة إلى عامة الناس، من الكُرد والطوائف الأخرى داخل الإمارات؛ صحيح أنهم كانوا يدفعون الجزية آنذاك، إلا أنهم كانوا لا يخدمون في جيش الإمارة، وهذا

ما ساعد نسبة لا بأس بها منهم على التفرغ لمزاولة أعمالهم وحرفهم، وثُمّ ثرائهم.

وردت معلومات مهمة في رحلة المبشر فرنسيس بكت إلى كُردستان وبلاد أرمينيا، ليعبر من خلالها إلى بلاد فارس، حيث كتب مرافقه ومترجمه السيد (اثناسيوس سفر العطار السرياني)، أسقف ماردين بعض الملاحظات عن مشاهداتهما في هذه الرحلة عام 1681، عندما مرا في أغلب المدن الكُردية بدءاً من دياربكر وانتهاءً ببايزيد، ولم يرد في هذه الرحلة ما يشير إلى وجود حالة عدم استقرار بين الكُرد والأرمن في مناطق وجودهما معاً، إذ كانت الحياة طبيعية بين مختلف أطياف كُردستان. وما يلفت النظر في هذه الرحلة هو الحديث الذي جرى بين السيد اثناسيوس والأمير محمد أمير بايزيد، والتي تبين نظر الأسر الأميرية الكُردية إلى المسيحيين بشكل عام، وفيما يلي نص الحوار الذي جرى بينهما:

يقول اثناسيوس: «وسألني قائلاً [باشا بايزيد]: أنت ما أنت فرنجي؟ قلت: لا بل أنا من بلاد الترك. قال: وكيف استخدمت عند هذا المطران؟ قلت: إنيّ كنت أعرفه، ولأجل فضائله خدمت عنده. قال: أرمني أنت أم سرياني؟ قلت: أنا سرياني. قال تعرف تقرأ السرياني وتكتب؟ قلت: نعم. فأحضر لي دواة وقلماً وقال لي: أكتب لي ألف باء باللسان السرياني فكتبت؛ ثم قال لي: هل تعرف الكلداني؟ قلت: نعم فكتبت له بالكلداني. قال تعرف العربي. قلت: نعم. فكتبت له بالعربي والتركي والفارسي. قال أتعرف الأرمني؟ قلت: لا. قال ما لنا حاجة إلى الأرمني، لأنه عندنا أرمن كثيرون. ولكن اقعد عندي، وعلمني السرياني والعربي فأعطيك كل شهر عشرة غروش وكسوتك. وأعطيك خادماً وفرساً، وتكون عندي كواحد من خواصي معززاً مكرماً. ولا تخف؛ لأني أنا أحب النصارى كثيراً...»[65].

يؤكد هذا النص الدور الأبوي الذي مارسه أمراء الكُرد مع رعيتهم سواءً أكانوا كُرداً أم أرمناً، مسلمين أم مسيحيين؛ فالأمير كان ينظم مختلف العلاقات الداخلية، مثل الإجراءات المتعلقة بحقوق الرعي وتوزيع المراعي على جانبي خطوط الترحال، ويقوم برعاية المدارس والمساجد والكنائس والعلوم، وهو مسؤول عن تطبيق العدالة، وديمومة النظام الاجتماعي، فبالنسبة إلى الفلاح فالأمير يحميه من الاستغلال الاقتصادي المفرط من قبل سيده، ولغير المسلم الحماية من الاضطهاد الديني، وللتاجر توفير الأمن وسبل الراحة على الطرق التجارية، بالتوافق مع مهامه المختلفة، استمد الأمير شرعية حكمه من مصادر متنوعة اجتماعية، وسياسية، ودينية، وتاريخية؛ إنّ الاستمرارية التاريخية للإمارة الكُردية أدّت دورها في توثيق روابط الحاكم بالمحكوم[66].

وقد شغل الأرمن في هذه الإمارات الكُردية جميع المناصب، بل وحتى كانوا مرافقين لأفراد الأسرة الحاكمة في الإمارة نفسها، كما أشار إلى ذلك القنصل البريطاني في أرضروم عندما زار إمارة بتليس أواخر العقد الرابع من القرن التاسع عشر[67]. ويكفي هنا قول الأمير البايزيدي الكُردي للمترجم السرياني: «ولا تخف؛ لأني أنا أُحب النصارى كثيراً»، في معرفة العلاقة الطيبة بين الكُرد والأرمن، في شمال كُردستان والمناطق الخاضعة لنفوذ هذه الإمارات.

كانت المؤسسات الدينية المسيحية بشكل عام، والأرمنية بشكل خاص موضع احترام الكُرد، وكانت نظرتهم إلى الكنيسة كنظرتهم إلى الجامع، وكان رجل الدين الأرمني في شمال كُردستان، موضع احترام لدى الجميع سواءً أكانوا من الحكام أم العامة، وهذا ما أكده العالم والرحالة تورنفورت (Tournefort) أثناء سرده لحادثة وهو في الطريق من الدير الأحمر، الذي يقع بالقرب من مدينة أرضروم، إلى أعالي نهر الفرات عام 1702، لإجراء

بعض البحوث العلمية هناك. فقد ذكر تورنفورت أنه في أثناء رحلته تلك، ونظراً للظروف غير الآمنة في المنطقة، بسبب هجمات بعض القبائل الكُردية على المسافرين ونهبهم لممتلكاتهم، أنه أُجْبِرَ على طلب المساعدة من كبير الرهبان في الدير الأحمر ويدعى بسكوبوس الثالث (Biskopos III) لكي يرافقهم في رحلتهم هذه، نظراً لتقدير الكُرد واحترامهم له في تلك المنطقة، حيث كان لهذا الشخص تأثير كبير لدى الكُرد، وفي أثناء الطريق شعروا بخطر محدق بهم من جانب بعض الكُرد، فذهب الراهب الأرمني للقائهم، وبعد طول انتظار عرضوا على الراهب بعض الخبز مع الجبن، وذكر أحد الرجال المسنين في القافلة لتورنفورت بأن الكُرد أناسٌ خطرون، ولكنه لا يوجد شيء يدعو إلى الخوف منهم، خصوصاً أن هناك علاقات صداقة قديمة قائمة بين الكُرد والأرمن، وكذلك الاحترام الكبير الذي يكنونه لكبير الرهبان سوف يجعلهم في أمان، على حد قوله[68]. ويعقب المؤرخ الأرمني كارو ساسوني على مسألة احترام الكُرد للمؤسسة الدينية الأرمنية بالقول: «وحقيقة فإن الكُرد عموماً، يكنون كامل الاحترام للمؤسسات الدينية الأرمنية، وإنهم كانوا يعدّون تلك الأماكن مثل الأديرة والكنائس مناطق مقدسة، وإن أسباب هذا السلوك هو آتٍ من احترامهم للأديان، وكذلك لرجال الدين التابعين لهذه المؤسسات الدينية والاعتراف بهم كقادة... وفي النهاية فإن تقديرهم واحترامهم لرجال الدين الأرمن آتٍ أيضاً من احترامهم للقومية الأرمنية»[69].

ليست هنالك معلومات تاريخية كثيرة عن أوضاع الأرمن في شمال كُردستان خلال القرن الثامن عشر، إلا أن هناك ما يشير إلى أن عدداً من الكُرد والأرمن عملوا معاً في عدة مواقف، للتخلص من السيطرة العثمانية والإيرانية، فمثلاً في عام 1701 قامت الشخصية المعروفة في حركة التحرر الأرمني إسرائيل اوري بتسليم رسالة إلى بطرس الأول (1672-1725) في

موسكو، من أمراء الأرمن يطالبون فيها بضم أرمينيا إلى روسيا ومساعدتهم في النضال ضد المضطهدين الإيرانيين والأتراك، ووردت في هذه الرسالة إشارة إلى أن حلفاء الأرمن في النضال هم الجورجيون، والعرب، والكُرد، واليونانيون، وغيرهم[70]، كما قام الكُرد في بايزيد بالتحالف مع الأرمن، وبمساعدة أحد أمراء جورجيا في عام 1763 بحركة ضد السلطات العثمانية هناك، ولكن المصادر التاريخية لم تُشِرْ إلى طبيعة هذه الحركة[71]. وعبَّر الأرمن في يريفان، في ندائهم إلى هيراقل الثاني ـ أحد أمراء الجورجيين ـ عن استعدادهم للوقوف الى جانب روسيا وجورجيا ضد الدولة العثمانية، وأعلن (جوبان أوغلي) أحد زعماء الكُرد في بايزيد في رسالته إلى هيراقل الثاني، بتاريخ 23 أيلول 1770 عن دعمه لهذه المطالب[72].

تدل هذه الإشارات جميعها على أن الكُرد والأرمن كانوا في خندق واحد ضد الدولة العثمانية، ربما لالتقاء مصالح الطرفين آنذاك، فالكُرد دائماً كانوا من محبي الاستقلال، ولم يكونوا يحبذون من يتدخل في شؤونهم الداخلية أياً كان، خصوصاً إذا ما علمنا بأن الدولة العثمانية كثيراً ما كانت تلجأ إلى تطبيق سياسة فرق تسد في كُردستان، لكي تضعف من سلطة هؤلاء الأمراء، وبالتالي تسيطر على زمام المبادرة هناك[73]، أما الأرمن فتدل أغلب المؤشرات التاريخية على أنهم كانوا في تلك المرحلة، خصوصاً الذين كانوا يعيشون في المدن، قد تخطوا عند منعطف القرن السابع عشر، عصر الإصلاح في السلطنة إلى التحرر للخروج من القرون الوسطى، بإحداث نهضة كانت في أساس تاريخ الأرمن[74].

أما بخصوص الأوضاع الأمنية في شمال كُردستان، فهناك ما يدل على أنها كانت على ما يرام، إنْ لم تكن في أحسن أحوالها، وذلك بالاستناد إلى شهادة جوزيف أمين (1729 - 1890) (Hovseb Emin)، إحدى الشخصيات

القومية الأرمنية؛ إذ ذكر أنه كان في أرضروم في إحدى المرات، وينوي الذهاب إلى القوقاز، فتصادف هناك مع بعض الأرمن العائدين من موش وبتليس، حيث أبدوا شكاواهم عن بعض الأعمال الإدارية التي تقوم بها الإمارات الكُردية، وهم يشعرون أنهم مغدورون في بعض الأحيان، ولكن بخصوص الأوضاع الأمنية في داخل الإمارات الكُردية فإنها كانت آمنة بشكل كبير، حتى ذكروا لجوزيف بأن المرء يمكنه في تلك المناطق: «أن يضع على رأسه ذهباً، ويتجول بدون خوف»[75].

وهذه شهادة من أرمني عاصر حياة الأرمن ضمن الإمارات الكُردية، تدل على المستوى العالي والطيب الذي وصلت اليه إدارة تلك الإمارات الكُردية في تطبيق أسس الأمن في المنطقة، وهنا يجب عدم تضخيم الأمر، وتصوير هذه المناطق على أنها كانت جنة، وأنه ليست هناك اعتداءات، أو عمليات غدر وقتل، أو سرقة، ولكن لا بد من التذكير هنا أنّ الحياة في هذه الإمارات كانت طبيعية، ولم تكن بذلك السوء الذي صورته المصادر الغربية، خصوصاً التي تم تأليفها بعد سقوط تلك الإمارات، وكأن الحياة كانت أشبه بالجحيم في كُردستان، وأنّ عامة الكُرد هم سارقون، وقتلة، وغدارون إلى آخره من الصفات التي لا تمت إلى الحقيقة وواقع المنطقة بصلة، سوى التحامل والتعصب المقيت ضد الكُرد، وتزييف الحقائق التاريخية بما يشوّه سمعة الكُرد.

ثانياً ـ تغلغل نفوذ الدول الكبرى في كُردستان وأثره في علاقة الكُرد بالأرمن 1800-1847

شهدت المدة من أواخر القرن الثامن عشر، وحتى منتصف القرن التاسع عشر، ظهور عوامل عدة أثرت بشكل كبير في علاقة الكُرد بالأرمن، حتى وصل بهما الأمر إلى قتال بعضهما بعضاً في أواخر القرن التاسع عشر.

تمثل العامل الأول في وقوع كُردستان، ولأول مرة تحت تأثير المصالح السياسية للإمبراطورية البريطانية وروسيا القيصرية في الشرق الأوسط[76]؛ فبوصول روسيا إلى حدود أرمينيا وكُردستان بدأ بعض الأرمن يتصرفون كمساعدين للسياسة الروسية والجيش الروسي مُبكراً، حيث بدأ اتكال الأرمن على روسيا في سبيل تحقيق وطن قومي لهم، على الأراضي التي عدّوها حسب ظنهم أرضهم التاريخية، بما فيها معظم شمال كُردستان، وادعوا أنها أرضهم، وقد كانت هذه الفكرة، هي التي جعلتهم يتحالفون مع الروس، حيث كان الأرمن يدركون أنهم ومن دون مساعدة الروس لهم لا يستطيعون تحقيق فكرتهم في إقامة وطن قومي خاص بهم[77]. كان هذا العامل الأبرز الذي أدى إلى توتر علاقة الكُرد بالأرمن في شمال كُردستان، فقد عدّ الكُرد الأرمن خونةً خصوصاً بعد الحرب الروسية العثمانية 1828 ـ 1829[78].

أما العامل الثاني الذي عقَّد علاقة الكُرد بالأرمن فكان عمل المبشرين الأجانب في الدولة العثمانية، وكذلك وصول موظفي الدول الأجنبية إلى

كُردستان، وفتح قنصليات لها في أغلب مدنها، وتدخلهم في شؤون الكُرد والأرمن، وكان بالإمكان مشاهدة عملاء هذه الدول، وعلى رأسها بريطانيا، وروسيا، وفرنسا، والمانيا، والنمسا يتجولون ويقيمون في مختلف أرجاء كُردستان.

لقد قامت أُسس العمل التبشيري في الدولة العثمانية، مع بداية العصر الحديث، وتوسعت دائرتها شيئاً فشيئاً، لتصل إلى حد الضغط على الدولة العثمانية، عن طريق حكومات دولها بشأن مصالحها في المنطقة، منذ بداية القرن التاسع عشر(79) وتنافست في ذلك الإرساليات المسيحية الأرثوذكسية، والكاثوليكية، والبروتستانتية الأميركية والبريطانية، بهدف كسب المسيحيين في كُردستان إلى جانبهم، وإدخالهم ضمن دائرة نفوذهم، وعلى رأسهم الأرمن، ولم يكن ظهور التبشير المسيحي في كُردستان سبباً لبث العداوة بين الكُرد والأرمن فقط، بل كان سبباً في بث العداوة بين الأرمن أنفسهم بصورة خاصة، والمسيحيين بصورة عامة في جميع أرجاء كُردستان. فمن المعلوم أنّ الأرمن كانوا على المذهب الأرثوذكسي الكريكوري القومي الخاص بهم، وكانت لهم كنيستان رئيستان يتبعهما أغلب الأرمن في كُردستان، الأولى في مدينة اتشمادزين، التي كانت تقع في الجانب الإيراني ثم الروسي من أرمينيا؛ والثانية كانت في استانبول العاصمة، حيث المركز العام للبطرياركية الأرمنية التي اعترفت بها الدولة العثمانية منذ عهد السلطان محمد الفاتح (1451-1481)، الذي اعترف بهم (ملة)، لها الحرية الكاملة في إدارة شؤونها الدينية(80). إلا أن الدولة العثمانية اضطرت بعد دخول الإرساليات التبشيرية، وتحت ضغوط الدول الكبرى، إلى الاعتراف بالكنيسة الأرمنية الكاثوليكية في عام (1831)(81)، والأرثوذكسية الأرمنية الرومانية التابعة لموسكو في عام (1835)(82)، والأرمنية البروتستانتية في عام (1850)(83). وأصبحت كل طائفة

منهم تكفّر الأخرى، مما دفع الدولة العثمانية في مرات عدة، إلى التدخل لمصلحة هذه الطائفة أو تلك، تبعاً لقوة الدولة الخارجية الكبرى التي تدعمها، بل حتى وصل الأمر إلى قتل وإبعاد أصحاب هذه الطائفة أو تلك إذا لزم الأمر[84]. وكثيراً ما اتسم نشاط هؤلاء المبشرين بسمة الاستفزاز، مما أدى إلى تصادم بين المسيحيين والمسلمين، وهناك أمثلة معروفة عن ذلك، منها تطور استياء السكان المحليين من تدخل المبشرين الأميركان، إلى اضطرابات جدية في شمال كُردستان؛ ففي أرضروم مثلاً هجم السكان المحتجون صيف 1846 على دار أحد المبشرين الأميركان وضربوه[85]، كما أنه مما لا يخفى على أحد الدور السلبي، الذي مارسه هؤلاء المبشرون في الإيقاع بين المسيحيين النسطوريين (الأشوريين)، وبين الكُرد في إمارتي هكاري وبوتان، في أربعينيات القرن التاسع عشر[86].

لم يكن دور عملاء الدول الكبرى يختلف عن دور هؤلاء المبشرين، ولفهم مدى الحقد والكراهية التي ولدّها هؤلاء العملاء بين الكُرد والمسيحيين في كُردستان بصورة عامة، نكتفي بإيراد المثال الآتي: «يروي انسورث (Ainsworth) وهو عميل بريطاني... أنه في عام 1840 سافر في كُردستان الوسطى، وفي صحبته جماعة من المسيحيين الأشوريين (الكلدان)، والتقت الجماعة بزعيم قبلي كُردي خاطبهم قائلاً: ماذا تفعلون هنا؟ ألا تعلمون بأن الفرنجة لا يسمح لهم بالوجود في هذا البلد؟ وبلا مواربة! يجب أن أعرف من أنتم؟ وما شأنكم؟ مَنْ جاء بهؤلاء الناس إلى هنا؟ فتلفت أحد الكلدان حوله بأسلوب متعال ومتعجرف وقال: (أنا)، فنظر الزعيم القبلي الكُردي، الذي كان وحيداً تماماً، إلى أفراد الجماعة وقال بهدوء وتأنٍ: أنتم تمهدون لهؤلاء الذين سيأتون للاستيلاء على هذا البلد، وعليه فمن الأفضل أنْ نأخذ أولاً ما لديكم، لأنكم ستأخذون أملاكنا فيما بعد»[87].

وكانت سياسة الدولة العثمانية في المنطقة هي العامل الثالث التي أثرت بشكل كبير في العلاقة الإيجابية بين الكُرد والأرمن، فقد عمدت الدولة العثمانية، وتحت ضغوط الدول الكبرى، إلى القضاء على الإمارات الكُردية، التي كانت ولمدة ما يقارب ما بين أربعة إلى خمسة قرون صمام الأمان بالنسبة إلى علاقة الكُرد بالأرمن، فهي التي كانت تنظم هذه العلاقة على الدوام. فقد أشار م.ف. فرونشيكو مؤلف الكتاب الجغرافي الشامل عن تركيا إلى البكوات الكُرد، وعلاقاتهم بالشعب في كُردستان في ثلاثينيات القرن التاسع عشر: «أن الشعب يرى في البكوات الكُرد، ليس قضاته وأسياده الأبويين فحسب، بل والحماة له من مضايقات المدراء المحليين، بل وحتى يرى أنهم السلطة والزعامة اللتان تمركزت فيهما قوة العشيرة، التي تجبر أولئك المدراء على احترامها»[88].

كانت الاستراتيجية دافعاً قوياً وراء تفكيك الإمارات الكُردية بالقوة على يد الدولة العثمانية، لأنها بدأت تحتل موقعاً استراتيجياً مهماً، يفصل الأقاليم الداخلية للدولة العثمانية عن روسيا القيصرية؛ فالاحتلال الروسي للمناطق القوقازية أضفى أهمية استراتيجية جديدة على كُردستان، وذلك لأنها أصبحت تشكل حزاماً أمنياً جديداً للدولة العثمانية المهددة بالتوسع الروسي، فكان من المنطقي أن تلجأ إلى وسائل الإلحاق القسري، في سبيل منع حصول أي تحالف أو تقارب، ما بين الإمارات الكُردية والإمبراطورية الروسية، فقد كانت هناك بعض الدلائل التي تشير إلى تقديم دعم عسكري كُردي للمجهود الحربي الروسي مادياً وبشرياً، ما بين أوائل العقد الأول ونهايات العقد الثالث من القرن التاسع عشر، كما تعرضت تركيا العثمانية إلى ضغوط متزايدة، من جانب القوى الأوروبية الغربية لفرض حكم مباشر على المناطق الكُردية المستقلة وشبه المستقلة، كانت دوافع تلك القوى الغربية،

تكمن في منع روسيا من بسط سيطرتها، على شواطئ البحر الأبيض المتوسط ومنطقة الخليج العربي[89].

إن من أبرز الأحداث التي شارك فيها الكُرد والأرمن، والتي أثرت في علاقاتهما سلباً آنذاك، هي الحرب الروسية العثمانية 1828-1829، والحملات العثمانية على الإمارات الكُردية في كُردستان بشكل عام، وعلى شمالها بشكل خاص.

أ ـ الكُرد والأرمن في الحرب الروسية العثمانية 1828-1829

لم تكن روسيا لتقف عند حدود القوقاز، عندما تمكنت من ضم أغلب أجزائها في القرن الثامن عشر، ولم تكن تقف في طريقها للوصول إلى حلمها في المياه الدافئة، في الخليج العربي والبحر الأبيض المتوسط، سوى الدولتين الإيرانية والعثمانية، اللتين بدت عليهما علامات الضعف والفوضى الداخلية، لذلك دخلت روسيا في حروب مستمرة معهما، طوال القرن التاسع عشر، فدخلت في حرب ضد إيران من عام 1804 وحتى إبرام معاهدة كولستان في عام 1813، غير أنها بقيت غير راضية عن ترسيم حدودها مع إيران، فنشأت نتيجة لذلك نزاعات أدت إلى نشوب حرب ثانية، دامت من عام 1826 وحتى عام 1828، تمكنت روسيا خلالها من الوصول إلى حدود نهر آراس الذي طالما كانت تتطلع إليه، واستولت على أرمينيا الإيرانية بموجب معاهدة تركمانجاي[90]. وقد سمحت إيران بموجب هذه المعاهدة لجميع الأرمن الذين كانوا يعيشون فيها بالانتقال منها والذهاب إلى المناطق الأرمنية، التي أصبحت خاضعة للسيطرة الروسية بعد الاستيلاء عليها، فانتقل ما بين (25000 ـ 35000) شخص من الأرمن إليها[91]، حيث أمر القيصر الروسي نقولا الأول

(1825 ـ 1855) بإنشاء (المقاطعة الأرمنية) في تلك المناطق عام 1828، وأعلن لاحقاً في عام 1833 نظامها الأساسي[92].

بخصوص كُرد يريفان يذكر الضابط الروسي أفريانوف (Avyarov)، أنه بعد الاحتلال الروسي لـيريفان لم تكن علاقتنا مع مواطنينا الكُرد هناك على ما يرام، وذلك يعود إلى تأثير القس الأرمني هناك نرسيس (Nersis) الذي استغل منصبه الديني، ليؤثر في قرارات الجنرال الروسي فراسوسكي (Ferasoski) المسؤول عن الإقليم الأرمني، وقد كان هذا القس السبب الأساسي في تردي أوضاع الكُرد في يريفان[93]. وفي رسالة نائب الملك في القوقاز كراف باسكفيتش(Graf Paskevic)، إلى آمر الجيش الإمبراطوري الروسي في 2 نيسان/ ابريل 1828 تطرق فيها إلى أوضاع الكُرد في يريفان بهذه الكلمات: «لقد تم تعيين الموظفين الأرمن، لإدارة شؤون المسلمين الذين عانوا من الضيق على يد هؤلاء الموظفين، الذين كانوا لا يأخذون الضرائب من الأرمن، وإن ثقل هذه الضرائب كانت تقع على أكتاف المحمديين المسلمين، وكان جُلهم من الكُرد في يريفان، والذين كان عددهم قليلاً، وإنه أُخذ منهم [في أشهر قليلة من العام 1828] (800 روبل)، كضريبة قاموا بدفعها، في حين أن الأرمن لم يدفعوا شيئاً. وفي مجمل القضايا التي كانت تقع بين الكُرد والأرمن، كانت تقضى لمصلحة الأرمن، وكان القس الأرمني نرسيس وراء ذلك»[94].

لا يمكن لهذه الأحداث في يريفان أن تكون قد غابت عن أذهان الكُرد في شمال كُردستان، حتى وإن لم يكونوا قد تأثروا بالحرب هم أنفسهم، لذا فربما أنهم لاحظوا وسمعوا هذه القصص عن النشاطات الأرمنية في الحرب، من اللاجئين الكُرد وغيرهم، الذين أجبرتهم حروب القوقاز على ترك مدنهم وقراهم، واللجوء إلى كُردستان التي أصبحت على مشارف مواقع الجيوش الروسية[95].

بخصوص الموقف الكُردي والأرمني من الحرب الروسية العثمانية 1828-1829، فإنه لم يكن موحداً سواء بالوقوف مع الروس أو ضدهم؛ فبخصوص الكُرد فقد كان موقفهم في البداية من الروس يتأرجح ما بين الحيادية والتحالف، ويبدو أنّ القوات الروسية قليلة العدد، لم تلق أي مقاومة من القبائل الكُردية، فدخلت المناطق الجبلية الحصينة والوديان العميقة. ويعزو الباحثون الموقف الكُردي هذا إلى جهود الجنرال باسكفيتش الذي وضع خطة لاحتلال شمال كُردستان، وضمها إلى الإمبراطورية الروسية، وكان ضمن تفاصيل هذه الخطة إعطاء اهتمام كبير للقبائل الكُردية الواقعة على الحدود، ومحاولة دراسة أحوالهم اجتماعياً وسياسياً، لكسب ودهم عن طريق عقد تحالفات ثنائية دفاعية بينهم، وإعطاء المناصب الفخرية والهدايا والنقود لرؤساء العشائر المتنفذة، ومعاقبة البعض منهم معاقبة شديدة، وحرق قراهم، وسلب ممتلكاتهم، ونهبها، ليكونوا عبرة لغيرهم[96]. وكان من أبرز القادة الكُرد الذين تحالفوا مع الروس: سليم باشا الاخاليسي، وبهلول باشا البايزيدي، وأمين باشا الموشي. لقد أدت الهزيمة العسكرية التي تعرضت لها القوات العثمانية في هذه الحرب إلى تحرر جميع المناطق في شمال كُردستان من السيطرة العثمانية، وتركزت جميع السلطات بالدرجة الأولى بيد الإقطاعيين والبكوات الكُرد[97]. إلا أن هذا الموقف قد تغير كثيراً، بعد أن أوشكت الحرب على نهايتها، إذ إنّ العديد من القادة الكُرد قد قاتلوا ضد القوات الروسية، لعلمهم مسبقاً عن انسحابها من مناطقهم[98].

أما بالنسبة إلى الموقف الأرمني من الحرب فقد اتسم على الدوام بدعم القوات الروسية والتحالف معها، للتخلص من الإقطاعيين الكُرد والسلطة العثمانية، وبالتالي الانضمام إلى أرمينيا الروسية وتأسيس أرمينيا الكبرى[99].

ويمكن اعتبار هذه الحرب البداية الحقيقية للتنافر الكُردي ـ الأرمني؛

صحيح أنّ هناك وقائع معروفة من العمل المشترك بين الأرمن والكُرد اليزيديين عشية هذه الحرب؛ وحول واحدة من هذه الوقائع كتب (أبو الأدب الارمني) ابوفيان (1809-1848) (Abovyan): «إنّ الكُرد اليزيديين بقيادة ميرزا آغا، والأرمن بقيادة الكاهن بوغوص (كشيش بولو)، قاوموا الأتراك وتمكنوا بفضل قواتهم المتواضعة قرب قلعة رادوفان... من إبادة الجيش التركي بشكل كامل تقريباً، والذي كان قوامه ثلاثون ألفاً»[100]. وعلى الرغم من المبالغة في عدد الأرقام في هذا النص، إلا أنه يؤكد ويشير إلى تعاون كُردي أرمني في هذا المجال، وأيضاً فقد أرسل أمين باشا الموشي ممثله، الذي كان أرمنياً إلى تفليس في بداية الحرب، إلى قيادة الجيش الروسي هناك، لغرض تعاونه مع القوات الروسية، بشرط الاحتفاظ بكرسي الباشاوية، وبعض المساعدات من الجانب الروسي[101].

رغم هذا التعاون الأرمني الكُردي الصغير جداً فقد حدثت وقائع أدخلت العلاقات الكُردية الأرمنية مرحلة الشك والتربص ـ منها أيضاً ما ذكر بشأن أوضاع الكُرد في يريفان كما مر ـ في بداية الحرب مثلاً، عندما كان باسكفيتش في تبريز، أرسل له بهلول باشا البايزيدي رسالة بهدف عقد اتفاق بين الطرفين، فبعدما أدرك هذا الأخير أنه لا يستطيع مقاومة القوات الروسية، التي كانت على أعتاب بايزيد، وكان يدرك ضعف الأتراك، حاول أن يعقد معاهدة مع الروس. ولهذه الغاية أرسل أحد أتباعه بشكل سري إلى باسكفيتش، ولكن دون نتيجة تذكر. وبعد شهر من هذه الحادثة طلب بهلول باشا من القس الأرمني نرسيس، الذي كان يعيش في اتشميادزين، أن يساعده في مسعاه هذا ـ عقد اتفاق مع باسكفيتش ـ ولكن القس نرسيس الأرمني، ودون أنْ يبلغ أحداً أجاب (من تلقاء نفسه) بهلول باشا: إنه لم يحن الوقت لمثل هذا

العمل، وأخفى نرسيس هذا الأمر عن باسكفيتش[102]. وفي حالات عديدة، وعندما كانت الحرب تلفظ أنفاسها الأخيرة حارب بعض قادة الكُرد هناك إلى جانب القوات العثمانية، وقاموا بمهاجمة القوات الروسية، وعند انسحاب القوات الكُردية، أو عدم تمكنها من الظفر بالنصر، كانت تقوم بطرد الأرمن، الذين كانوا يقعون في طريقهم، باعتبارهم حلفاء للروس، كما فعل أمين باشا الموشي، عندما لم يتمكن من السيطرة على اخاليست، وفي طريق انسحابه قام بطرد الأرمن من اردهان وأرضروم[103]. يقول جيمس برانت: «وفي أيام الحرب الروسية [1828 ـ 1829]، وصل جيش الروس إلى موش... وفي تلك المدة اعتبر الكُرد الأرمن منحازين لقوات الغزو الروسي... لذلك لم يترددوا في نهب ممتلكاتهم، وحتى قتلهم بسبب موالاتهم للروس المحتلين»[104]. ويؤكد هاكوب شاهبازيان (Hagop şahbazyan) ما ذهب اليه برانت بالذكر: أنه حتى هذه الحرب لم تكن بين الكُرد والأرمن في شمال كُردستان أية عداوة، بالرغم من حدوث بعض التوترات من حين لآخر[105].

انتهت الحرب الروسية العثمانية بعقد اتفاقية أدريانبول أواخر عام 1829، وعند انسحاب القوات الروسية من شمال كُردستان لحق بها ما بين (50000) إلى (100000) أرمني، جميعهم من: قارص، وأرضروم، وبايزيد، والتجأوا إلى يريفان واسكندر بول، ورغم المبالغة في الأرقام إلّا أنه مع ذلك يدل على حدوث وقيام هجرة واسعة من الأرمن إلى أرمينيا الروسية[106].

إذا كانت الحرب الروسية العثمانية بداية التنافر الكُردي الأرمني في شمال كُردستان فإنها لم تكن قطّ لتقضي على العلاقات الكُردية الأرمنية ذات الجذور العميقة، وهذا ما ظهر جلياً في أحداث إمارة بوتان، حيث تحالف أغلب أرمن بوتان وبتليس مع الأمير بدرخان بك (1821 ـ1847)، وحاربوا

ضد القوات العثمانية، ولكن المشكلة هنا لم تكن في أرمن الإمارات الكُردية، بل كانت في أرمن المدن الكبرى في كُردستان وغيرها، وأرمن استانبول الذين قاموا بدعم القوات العسكرية العثمانية ضد قوات إمارة بوتان.

ب ـ الأرمن في ظل حكم الأمير بدرخان بك

عمدت الدولة العثمانية إلى إنهاء حكم الإمارات الكُردية، وإلحاق كُردستان مباشرة باستانبول، نتيجة لظروف عديدة ذُكرت فيما سبق، فجردت الدولة العثمانية حملتين على كُردستان، الأولى: بقيادة رشيد باشا الذي تمكن من القضاء على الإمارات الكُردية في جنوب كُردستان، مثل: إمارتي سوران، وبادينان؛ وحاول حافظ باشا الذي تولى قيادة الحملة بعد ذلك القضاء على إمارات شمال كُردستان، إلا أنه لم يتمكن من ذلك، وانتهت حملته في أواخر عقد الثلاثينيات، ولهذا قامت الدولة العثمانية بتجريد حملة ثانية على إمارات شمال كُردستان، بقيادة عثمان باشا[107]، الذي تمكن من القضاء على هذه الإمارات بحلول عام 1847، وأبرزها إمارة بوتان التي كانت تحت حكم الأمير بدرخان[108].

ولكن قبل الدخول في تفاصيل حملة رشيد باشا الأولى وإجراءات بدرخان بك أمير إمارة بوتان للتصدي لها، وعلاقة الكُرد بالأرمن في هذه الإمارة، من المفيد هنا القول: إن القنصل البريطاني في أرضروم جيمس برانت، قام بزيارة المنطقة الكُردية في عام 1838، وكان هدفه الأول الاطلاع على أوضاع الأرمن آنذاك، وعلى الرغم من تحامله على الكُرد إلا أنه لم يتمكن من إثبات مظلومية الأرمن في هذه البلاد، أو أن العلاقة لم تكن جيدة بين الطرفين، وكان برانت كلما دخل مدينة أو قرية في تلك المنطقة يقوم بإجراء عملية تعداد للنفوس وللمنازل، لكل من الكُرد والأرمن، وفي أغلبها كانت

الكثرة والغلبة للكُرد[109]. ويمكن الجزم أن سياسة العد والفرز حول نسبة كل من الكُرد والأرمن قد بدأت بوصول المبشرين وهؤلاء العملاء والساسة الأجانب إلى كُردستان في النصف الأول من القرن التاسع عشر. وقد أشار أيضاً المبشر الإيطالي جيوسبي كامبانلي الذي زار كُردستان في العقد الأول من القرن التاسع عشر إلى هذا الأمر، وأورد إحصائيات عن سكان دياربكر، وماردين[110].

بالعودة إلى علاقة الكُرد بالأرمن، في عهد الحملات العثمانية العسكرية على الإمارات الكُردية، فإن العلاقات بينهما على ما يبدو لم تتأثر كثيراً على الرغم من الأوضاع السيئة التي كانت تمر بها المنطقة؛ فقد دافع الأرمن عن الإمارات الكُردية شأنهم في ذلك شأن الكُرد أنفسهم، أثناء حملة رشيد باشا، فعندما قام الأخير بمهاجمة جزيرة بوتان، عاصمة بدرخان، واحتلالها بعد حصار طويل في عام 1838، حاول محمود خان، أمير موكس أن يأتي لإنقاذها بجيش كبير يتألف، استناداً إلى سافراستيان[111] من (20000) كُردي وأرمني وأشوري، لكن حيل بينه وبين عبوره نهر بوتان، بعد أن نسف الأتراك الجسور، فاضطر بدرخان ومحمود خان إلى الانسحاب إلى معاقلهما في الجبال[112]. وقد كتب بهذا الصدد الاديوثان روزين فرانفيل، لأحد القديسين الأرمن قائلاً: «لولا مساعدة الأوروبيين لقوات رشيد باشا بمدربين متمكنين، وبتعدد العمليات، وتحركات جيشه وبالأطباء والمهندسين، لما استطاعت قوات رشيد باشا أنْ تسيطر على القوات الأرمنية والكُردية»[113].

كان بدرخان بك أمير بوتان حسب قول سافراستيان حاكماً عادلاً، ومن أشجع المحاربين وأكثر رجال السلطة حكمة وبصيرة[114]، وضمن حدود إمارته سادت عدالته الجميع، الكُرد، والأرمن، والنساطرة، وتمتع المسيحيون بحرية دينية غير محدودة تحت سلطته، وهذا ما شجعهم لبناء كنائسهم وممارسة

شعائرهم فيها، حمى بدرخان مواطنيه المسيحيين ولم يسمح أن يلحق الأذى بهم، هذا التعامل مع المسيحيين كان شيئاً مختلفاً عن السياسات العثمانية أو الفارسية نحو المسيحيين (الكُفار)، التي كانت مبنية على التمييز الديني[115].

وسع بدرخان حدود إمارته، بعد عام 1842، وتمكن من ضم أغلب المناطق في شمال كُردستان، سواء بالتهديد وخوض المعارك أو بالتحالفات، فانضم اليه أمراء موكس، وموش، وبتليس، وهكاري، وأغلب العشائر الكُردية، بدءاً من مركز إمارة بوتان وحتى بحيرة وان؛ وكان انضمام هؤلاء القادة والأمراء إلى جانب بدرخان بك، قد ضمن له إدخال أغلب الأرمن تحت حكمه، وصار معظمهم من حلفاء بدرخان بك[116].

وبحسب هاكوب شاهبازيان فإن خطة عمل بدرخان احتوت ضم الولايات الشرقية، وشملت: وان، وموش، وبتليس، ودياربكر، وتصل حتى بحيرة أورمية. علاوة على ذلك، كانت خطة بدرخان أنّ هذه الأقاليم يجب الدفاع عنها ضد كُل الأعداء الخارجيين، لهذا السبب فضَّل الأمير إجراء مفاوضات مباشرة مع شاه إيران، وطلب مساعدته ضدّ العُثمانيين، أما بالنسبة إلى الأرمن فكان عليهم أن يحصلوا على مساعدة من روسيا وجورجيا. هذه الخطة يمكن أن تكون ناضجة، طبقاً لتطورات تلك الأيام، ومن خلالها فإن بذور اتحاد أرمني كُردي ضد الحكم العُثماني كان قابلاً للظهور[117]، لذلك فإنّ ازدياد قوة بدرخان وقيامه بضم المناطق والأراضي الكُردية والأرمنية، جعلته يتخطَّى بذلك الحدود السياسية الكُردية إلى تعاون كُردي أرمني، يكون بدرخان على رأسه[118].

كان بدرخان قد خصص في برنامجه السياسي مكاناً هاماً للعلاقات المتبادلة مع الشعوب، التي عاشت قروناً طويلة مع الكُرد وخصوصاً الأرمن، ورأى، أي بدرخان بك أهمية جذب السكان الأرمن إلى النضال المشترك

ضد الأتراك، واعتقد أنه بذلك سيحظى بتأييد جارته الشمالية روسيا[119]، وكذلك إيران التي أوفد اليها مليك زاديان الإيراني الأرمني الأصل، حيث التقى بالأمراء الإيرانيين في قصر الشاه[120]، وخصص مكاناً كبيراً للأرمن في دولته المستقبلية، وأخذ بالحسبان تأثير التجار والحرفيين الأرمن في الحياة الاقتصادية، ووعدهم أنْ يسلمهم إدارة الأمور الاقتصادية، وقد كان جيشه يضم إلى جانب الكُرد، عدداً كبيراً من الأرمن أكثرهم من سكان (ديخ ـ ديه)، ويقال: إنّ بدرخان بك شجع التزاوج بين الأرمن والكُرد، وقد كتب شاهبازيان عن موقف بدرخان بك من الأرمن ما يلي: «إنّ بدرخان بك، الذي أعار مهمة القيادة السياسية جل اهتمامه، نظر إلى الأرمن نظرته إلى الكُرد، معتمداً على وجهة النظر المقنعة أو غير المقنعة، القائلة إنّ الأرمن والكُرد هم من أصل واحد؛ ثم انقسموا إلى عشائر وديانات»، ولكن ثمة حقيقة ثابتة هي أنّ العديد من الأرمن قد انضموا إلى جانب بدرخان بك، وحازوا على ثقته وعملوا مستشارين له. ويشير كل من شاهبازيان والبويادجيان إلى أسماء أولئك الناس، وكان بينهم بعض الأرمن المسؤولين، ممن كانوا يفتخرون بأصلهم العريق، الذي حرمهم منه الأتراك. لقد كان الأرمنيّان ستيبان مانوغليان واوغانيس تشالكزيان مستشارين لدى بدرخان بك، وأعلن س.مانوغليان أنه ينحدر من أصل ماميكونيان العريق، وقد حصل على تعليمه في المدرسة الايطالية في استانبول، وكان يتقن الفرنسية والايطالية والتركية وغيرها من اللغات، وكان الأرمني مير مارتو من باشقالا قائداً لأحد فصائل بدرخان بك[121]. وبحسب ما جاء في أقوال مسافر أرمني يدعى ستيان، برهن بدرخان بك عن عدل ليس حيال الكُرد فحسب، وإنما أيضاً حيال الأرمن، والأشوريين، والكلدانيين، وقوميات أخرى: «وأفاد المسيحيون من الحرية الدينية، فكانت لهم أماكن عبادة حتى في الجزيرة، ولم يكن لهم أي تمييز حيال الكُرد»[122].

حتى تلك المرحلة التاريخية لم يكن من المألوف بشكل عام أنْ يسمح أمير كُردي (كبقية الحكام المسلمين) للمسيحيين بحمل السلاح، أو الانضمام إلى قواته في حالة نشوب حرب، لأنّ القوانين الإسلامية منعت غير المسلمين من حمل السلاح، أو الانضمام إلى الجيوش الإسلامية، لكن الإمارة الكُردية استطاعت وبفضل مواقفها المتسامحة أنْ تحصل على تأييد الأهالي ومساندتهم، الذين جاؤوا من خلفيات دينية وعرقية واجتماعية متعددة، وبالتالي ضمت القوات الكُردية إلى صفوفها أفراداً ينتمون إلى أعراق وأديان وفئات اجتماعية متنوعة[123].

لم ينضم معظم الأرمن إلى جانب بدرخان بك في مواجهة الأتراك العثمانيين عندما جردوا عليه حملة بين عامي 1846 ـ 1847، فكان الأرمن ينقسمون إلى قسمين مختلفين، القسم الأول: هم مقام البطريركية في استانبول، والقادة الروحانيون والميسورون الذين يعيشون في المدن، وكان هؤلاء يقفون إلى جانب الدولة العثمانية، أما القسم الثاني: فهم الأغوات الأرمن، الذين كانوا يسكنون المناطق الجبلية، وهؤلاء كانوا يوالون الكُرد مع احتفاظهم بشبه استقلالهم[124].

لقد دافع أرمن بوتان مثل كُردها عن استقلال إمارتهم وواجهوا القوات التركية بكل قوة. وقد واجه الأرمن المدافعون مصير الكُرد، في القتل والإبعاد، وتدمير قراهم، يأتي على رأسهم سكان ديخ الذين أصبحوا هدفاً للقوات العثمانية، وإنّ أولى هجرات الأرمن من إمارة بوتان، تلك التي أعقبت الهجمات العثمانية وكانت من ديخ، حيث هاجر العديد من عوائلها إلى استانبول، ومناطق أخرى في الدولة العثمانية وخارجها[125]. وتذكر المصادر الأرمنية أنه عندما سلم الأمير بدرخان نفسه إلى القوات العثمانية، المحاصرة

لقلعة أروخ، آخر معاقل بدرخان كان جُل حراسه من الأرمن، من منطقة جاتاك وديخ وكان يبلغ عددهم (25) فرداً[126].

هذا بخصوص موقف الأرمن في إمارة بوتان من حملة عثمان باشا، إلا أنه كان بالمقابل هناك موقف أرمني آخر قوي معادٍ للإمارة الكُردية، ربما لا يمكن مقارنته بالأرمن المدافعين عن الإمارة، وهؤلاء هم سكان المدن ومقام البطريركية الأرمنية في استانبول، الذي كان له تأثير شديد على أغلب الأرمن ضمن حدود الدولة العثمانية، ويتبنى في سياسته عدم معارضة الدولة العثمانية والتحالف معها؛ وكان السلاطين العثمانيون يشيرون إلى الأرمن، حتى سبعينيات القرن التاسع عشر، على أنهم (الأمة المخلصة) أو (الملة الصادقة)[127].

لقد تمنى قادة الكنيسة المسيحية الأرمنية، سواء في استانبول أم في الأقاليم انتصار الجيوش التركية في حروبها ضد الإمارات الكُردية؛ فقد دعا كبير أساقفة الكنيسة الكاثوليكية الأرمنية في استانبول الأرمن في كُردستان إلى تقديم العون للجيوش التركية، في غزوها للإمارات الكُردية، وعلى ما يبدو فقد اعتقد أولئك القادة الدينيون بأنّ تقديمهم الولاء مجدداً للسلطان التركي سيعود عليهم بامتيازات مهمة، تعزز من مكانة الجماعات المسيحية اجتماعياً وقانونياً ومادياً، ويعني ذلك إعلاء شأن الأقلية الأرمنية، على حساب الأغلبية الكُردية في المناطق الكُردية الملحقة؛ والجدير بالذكر أنه حدث تحالف في المدن الكُردية التي كانت خاضعة لحكم تركي مباشر، مثل: وان، ودياربكر، وأرضروم، بين العائلات الأرمنية الثرية والسلطات التركية الإقليمية[128]، وذكر هاكوب شاهبازيان أن أرمن موكس قد باركوا انتصار عثمان باشا على قوات بدرخان بالأهازيج والأغاني باللغة الكُردية، والتي لا تزال تردد إلى يومنا هذا

ـ إي: في العقد الأول من القرن العشرين ـ [129]، وفعلاً فإنّ قسماً من الأرمن قد ساعدوا الأتراك العثمانيين في حربهم على إمارة بوتان، وعلى إلقاء القبض على بعض الأمراء الكُرد، ولذلك نظر الكُرد إلى الأرمن بعد ذلك، رغم علاقات الجيرة الطويلة بين الطرفين على أنهم أعداء وخونة[130].

واستقبلت أخبار انتصارات عثمان باشا، في استانبول بكل فرح، في الأوساط الأرمنية، وبأمر من البطريركية الأرمنية أُقيمت الدعوات في الكنائس وشكروا ربهم لأجل ذلك، وقد بارك الباب العالي هذه الحركة من جانب الأرمن، وقد ذكر في كتاب افديس بربريان (Avedis Berberyan) المعنون بـ «تاريخ الأرمن» أنّ بطريرك الأرمن بدر ماتيوس (Peder Matteos) قام بإرسال تعميم إلى كل الأرمن في 9 كانون الأول/ ديسمبر 1847، بتقديم الشكر إلى السلطان عبد المجيد الأول (1839 ـ 1861) وإلى دولته القوية، بعد الانتصار على بدرخان بك وحلفائه، الذين استبدوا بالبلاد، كما تضمنت رسالته تلك هجوماً عنيفاً على الكُرد، حيث ورد في بدايته قول بدر ماتيوس: «هذا هو اليوم الذي تم فيه القضاء على وحشية واستبداد الكُرد، من قبل السلطان العثماني العظيم»[131]. إنّ انحياز بطريركية الأرمن في استانبول، وأصحاب المقامات الروحانية المهمة، في المدن إلى الجانب العثماني، هي مسألة معروفة في المصادر الأرمنية، حيث استفاد هؤلاء من عهد التنظيمات العثمانية (1839 ـ 1876)، التي كانت من أبرز سمات التاريخ العثماني في القرن التاسع عشر[132]، وفضّل الأرمن البقاء تحت حماية الأقوى ودعمه بكل السبل، حتى أنهم مهدوا الطريق لعثمان باشا في حملته على كُردستان، وقاموا بتأمين قوات مسلحة أيضاً للجيوش العثمانية، وأصبحوا أداة عمياء في يد السلطات التركية العثمانية[133].

عند متابعة العلاقات الكُردية الأرمنية في عهد الإمارات الكُردية، حتى

سقوط إمارتي بوتان وبتليس، تظهر في هذا الموضوع إشكاليات عدة، منها أنّ الكُرد حسبما يبدو لم يكن لديهم هذا الحس القومي العنصري، أو حتى الديني لدرجة الوصول إلى أن ينبذ الأرمني أو الأشوري أو حتى التركي المعتدي، وإذا ما كان يتحكّم في الكُرد مثلاً الحس الديني، فقد أشارت المصادر الأرمنية، وليس الكُردية[134] إلى أن الكُرد كانوا يكنون كامل الاحترام للمؤسسات الدينية ولرجال الدين المسيحيين، وأنّ المسافر في كُردستان إذا ما أراد أن يعبر منطقة ما خلالها، فمن الأفضل له أن يصطحب معه رجل دين مسيحياً، لأنه الضامن الأول والأساسي لسلامته[135]، بل إنّ نظرة الكُرد إلى الكنيسة المسيحية لا تختلف عن نظرتهم تجاه الجامع، وهي أن كلا المكانين مقدّسان، وإنّ اختلفت عبادتهما، بل وجد في تاريخ علاقة الكُرد بالأرمن من الكُرد من قاموا ببناء الكنائس للأرمن كقيامهم ببناء المساجد؛ فمثلاً يذكر سعد الدين باشا، في ذكرياته التي دونها عندما جاء في لجنة تحقيق عثمانية بعد الأزمة الأرمنية الأولى في عام 1896 أنه قد زار موكس، حيث إنّ هناك مجاميع من الكُرد والأرمن يعيشون في المنطقة، وقد زار كنيسة أرمنية على سفح جبل في موكس، وكانت تحمل اسم شيربار (şirbar)، نسبة إلى اسم الكُردي الذي بنى هذه الكنيسة[136].

هنا يطرح سؤال نفسه، وهو هل كان الأرمن يشعرون أنهم مضطهدون؟ والجواب عن هذا التساؤل وفقاً للمدونات التاريخية الأرمنية القديمة التي دوّنها الأرمن في عهد الإمارات الكُردية هو: لا، وإذا كان أحد ما من الأرمن قد اضطهد أو سُرقت منه أشياؤه أو حتى قتل، فإنّ هذا لم يكن تحت باب، لأن هذا (أرمني). لم يكن هذا الأمر معروفاً في شمال كُردستان، وتم التذكير سابقاً بأنّ الحياة فيها كانت طبيعية، حيث كان الكُردي يعيش مثل الأرمني والأشوري، وإذا ما وقع ظلم على أحد ما، فلأنه وجد في المكان والزمان

غير المناسبين، وليس لأنه من هذه القومية أو من هذا الدين أو ذاك. وقد كتب المستشرق الألماني جوهان ليبسيوس (Johannes Lepsius) في مقاله الكُرد والأرمن المنشور عام 1904 في مجلة الشرق المسيحي، عن علاقات الصداقة بين الكُرد والأرمن ما يأتي: «كانت تسود بين الأرمن والكُرد حتى عام 1848 علاقات صداقة حميمة، وتم العديد من حالات القِران بينهما، كان الكُرد يحترمون جداً شعائر وطقوس الأرمن الدينية»[137]؛ أي: أنه فعلاً، ووفقاً للأحداث التي جرت في كُردستان بين الأرمن والكُرد، أثبتت الإمارات الكُردية أنها كانت صمام الأمان في كُردستان.

وتعد شهادة خاجاتور آبوفيان خير دليل على أن علاقة الكُرد بالأرمن كانت على ما يرام أثناء حكم الإمارات الكُردية. فقد كتب آبوفيان مقالتين عن الكُرد نشرتا في عام 1848 في جريدة (القوقاز) تحت عنوان: (الكُرد) و(اليزيديون)، ففي مقالة الكُرد كتب ما يلي: «من الصعب في الوقت الراهن إيجاد علاقات أبوة بجميع إيجابياتها، وسلبياتها، وفضائلها، ونواقصها، في جميع أنحاء العالم، كالتي نجدها عند الكُرد، فحياتهم لن تتغير على مدى عدة مئات من السنين؛ كان من الممكن تسمية الكُرد بفرسان الشرق بكل معنى الكلمة، فيما إذا كانوا يمارسون حياة أكثر تحضراً، فالشجاعة، والصراحة، والإخلاص، والوفاء بالعهد، والكرم، والاحترام اللامحدود للنساء، كل هذه الخصال صفات عامة لكل الشعب»[138]. وعلى الرغم من إبداء مينورسكي بعض الملاحظات على مقالة آبوفيان، إلا إنه يقول: إنه يظن أن علاقة الكُرد بالأرمن في الأزمنة القديمة كانت جيدة، وخير دليل على ذلك هي أن أبا الأدب الأرمني الحديث ـ يقصد آبوفيان ـ كان يحب الكُرد من أعماق قلبه[139].

يُلام الكُرد كثيراً على أنهم كانوا أداة بيد حكامهم الأتراك لضرب الأرمن، ولكن التاريخ أثبت أن الذي كان أداة بيد الأتراك أولاً هم الأرمن،

الذين استُخدموا لضرب الإمارات الكُردية، بل إنّ قسماً منهم كانوا اليد الطولى للأتراك العثمانيين، لضرب الحركات الكُردية حتى ستينيات القرن التاسع عشر؛ فمثلاً بعد سقوط الإمارات الكُردية مباشرة، أي في عام 1849، استخدم الأتراك الأرمن لضرب الحركة الكُردية، في منطقة اقجاداغ الواقعة في شمال زيتون، والتابعة لولاية بتليس. فبعدما قام الكُرد بحركة ضد الدولة العثمانية، مطالبة بعدم تدخل الدولة في شؤونهم جرد العثمانيون جيشاً لضرب هذه الحركة، وبعد مناوشات ومعارك عديدة خسر العثمانيون المعركة، ولم يتمكنوا من فرض إرادتهم على كُرد اقجاداغ، لذلك التجأ الأتراك العثمانيون إلى السكان الأرمن في زيتون، طالبين مساعدتهم لضرب الحركة الكُردية، وبعد مفاوضات بين الطرفين أعلن الأرمن موافقتهم على المشاركة في الهجوم على اقجاداغ، ولكن بشرطين، الأول: الحفاظ على استقلالهم، وعدم تدخّل الدولة العثمانية في شؤون حكمهم الذاتي، أما الشرط الثاني فهو: أنْ تكون القوات الأرمنية، المشاركة في الهجوم، تحت قيادة قائد من الأرمن أنفسهم، وبالفعل هاجم الجيش التركي ـ الأرمني اقجاداغ، وتمكنوا معاً من إنزال ضربات قوية بالحركة الكُردية، التي لم تتمكن من الصمود أمامهم، ثم دخلت هذه القوات اقجاداغ وقد تسببت في تدميرها بشكل تام[140]، بل أكثر من هذا فإنّ المؤرخين الأرمن ذكروا بعد ذلك، وبكل افتخار؛ ليعلوا من شأنهم أمام الدولة العلية العثمانية، أن الأرمن كانوا السبب في دفع الدولة العثمانية لإنهاء حكم هذه الإمارات الكُردية في شمال كُردستان، وأنهم قد ساعدوها كثيراً حتى تمكنت من السيطرة على المنطقة، بل وإنّ الأرمن هم الذين ألقوا القبض على كل من بدرخان بك ومحمود خان[141] وسلموهما إلى القوات العثمانية، وقد قُتل في أثناء هذه الحملات العديد من الكُرد فضلاً عن أن قسماً

كبيراً منهم هاجر إلى إيران وروسيا، هذا ما جاء في كتاب المؤرخ الأرمني افديس بربريان نفسه «تاريخ الأرمن» المنشور في استانبول عام 1871[142].

إن ما ورد في هذا الكتاب لا يمت بصلة إلى الحقيقة، فيما عدا مساعدة الأرمن القوات العثمانية عند تجريدها تلك الحملة العسكرية على شمال كُردستان؛ فلم يكن الأرمن قطّ هم من أقنعوا الدولة العثمانية بمهاجمة الإمارات الكُردية، نعم ربما أبدوا شكواهم مرات عدة منها، ولكن الدولة العثمانية ولاعتبارات سياسية وعسكرية واقتصادية مرَّ الحديث عنها سابقاً قامت بهذه الحملة على الإمارات الكُردية، وفيما يخص إلقاء الأرمن القبض على كل من بدرخان بك ومحمود خان فإن هذا الأمر أيضاً غير صحيح، لأن جميع المصادر تؤكد أنهما وبعد محاصرة القوات (التركية ـ العثمانية) لهما أُجبرا على تسليم نفسيهما، بل إن أغلب رجال بدرخان بك المخلصين آنذاك، والذين استخدمهم بدرخان بك لحراسته، كانوا من الأرمن الذين سلموا أنفسهم مع بدرخان بك للقوات العثمانية، وعددهم (25) فرداً كما مرَّ ذلك.

وعلى هذا الأساس كثيراً ما تُنتَقد (الفرسان الحميدية) الكُردية ـ سيأتي الحديث عنها لاحقاً ـ التي أسسها السلطان عبد الحميد الثاني (1876 ـ 1909) في عام 1891، على أنها كانت العصا التي ضرب الأتراك بها الأرمن أواخر العقد الأخير من القرن التاسع عشر، واستخدمها الاتحاديون أثناء الحرب العالمية الأولى، ولكن يمكن تطبيق الحالة نفسها على الأرمن أواخر عهد الإمارات الكُردية. صحيح أن القوات الأرمنية التي ساعدت العثمانيين الأتراك لم تُعطَ أية أسماء، ولكن الأرمن قاموا بهذا الدور نفسه أولاً، وإذا ما كان هناك أرمن عملوا في السلك العسكري والاقتصادي في الإمارات الكُردية وقاتلوا إلى جانب الكُرد، فإنّ هناك بالمقابل مئات الحالات التي ساعد فيها الكُرد الأرمن، في أواخر القرن التاسع عشر وأثناء الحرب العالمية الأولى،

ولم يدرك الأرمن إلا متأخرين، وبعد فوات الأوان، أن عدو الكُرد كان في صميمه هو عدو الأرمن أيضاً وهم الأتراك، وهذا ما أكده أيضاً م.كالمان (M.Kalman) بأن الاتراك ساقوا الأرمن ضد الكُرد أولاً؛ ثم بعد ذلك ساقوا الكُرد ضد الأرمن[143]، وقد كتب العقيد د.يا.لازاريف كراسة غنية بالمعلومات عن المسألة الأرمنية يقول فيها: «يمكن القول بأن الأرمن من حيث المقارنة، عاشوا أحسن أيامهم في ظل أمراء المقاطعات الكُرد، وأفضل من الأعوام السبعة والأربعين من الحكم التركي والفوضوي...»[144].

ثالثاً ـ حقبة الانحسار الكُردي والتقدم الأرمني 1848 - 1877

عمت الفوضى والقلاقل كُردستان كلها، خصوصاً في شمالها، إثر القضاء على الإمارات الكُردية شبه المستقلة، ولم يكن من الصعب معرفة علة هذه الحالة؛ وللتذكير فإن التُرك كانوا قد صمموا على اتباع سياسة القضاء على أمراء الكُرد، وفرض الإدارة المركزية، وفي الوقت الذي حققوا فيه النجاح في المرحلة الأولى فقد أخفقوا في الثانية عموماً، إذ إن عجز الحكومة عن مد نفوذها إلى المناطق الوعرة من كُردستان، وفشلها في ممارسة سيطرة حقيقية عليها أصاب النظام الإداري الجديد بالعقم[145].

فالكيانات الكُردية ذات الحكم الذاتي كانت تتسم بتوزيع المتاح من الموارد على أفرادها، رغم وصفها في بعض المرات على أنها كيانات ذات طابع (قمعي)، بيد أن الإدارة الجديدة التي حلت محلها كانت أيضاً قمعية وبالغة الفساد على السواء، فتسببت في تفاقم المشاكل الناجمة عن انعدام الأمن بدلاً من معالجتها، وأسفر عن فراغ السلطة الذي أوجده تدمير الكيانات الكُردية ذات الحكم الذاتي، عهد من الفوضى الأمنية لم يكن له نظير من قبل، وكانت القبائل تشكل القوة المنظمة الوحيدة في مواجهة هذه التحديات، فأصبحت (فضاءات جديدة، لمقاومة المركزية الإدارية، والسياسية)، فضلاً عن ذلك فإنها كادت تكون الإطار الطبيعي لإحلال الأمن، وتوزيع الموارد

على أفرادها ومحاسيبها، فلا غرو أن يتعاظم بأس العديد منها، بشمول مجموعات هامشية بحمايتها، وبذلك تكون سياسة المركزية قد أفضت إلى ما وجدت لمنعه، وطبقاً للرحالة الفرنسي أوبيتشيني فإن زهاء (ألف كيان مستقل)، حل محل بضع عشرات من الكيانات الكُردية، ذات الحكم الذاتي أو شبه المستقلة سابقاً[146].

في تلك المرحلة ونتيجة للفوضى الإدارية والأمنية، التي عانت منها كُردستان، أدت عوامل عديدة إلى توسيع الفجوة بين الكُرد والأرمن في شمال كُردستان، من هذه العوامل ما هو ذاتي مرتبط بالأوضاع الداخلية في الدولة العثمانية، وأخرى خارجية، جلبتها حروب الدولة العثمانية مع روسيا القيصرية، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

إن أحد أهم تلك العوامل تمثَّل في (الاستيطان والاستقرار)، فحتى القرن التاسع عشر كانت الغالبية العظمى من الكُرد، من البدو الرحل أو شبه البدو، إذ كانوا يسمحون للفلاحين الأرمن زراعة الأراضي التي كانوا يعدونها أراضيهم، وهي المراعي الشتوية، وكانوا يحصلون لقاء ذلك على جزء من المحصول، ويطلبون إيواءهم في القرى الأرمنية خلال فصل الشتاء، وعندما بذل العثمانيون جهداً كبيراً لوقف هذا الأسلوب من العيش، من خلال بدء عملية تخطيط الحدود بين الدولتين العثمانية والإيرانية، بعد عقد معاهدة أرضروم الثانية 1847، ومن ثم انهيار النظام الإماراتي في كُردستان؛ سوَّغ الكُرد غاراتهم تلك على القرى الأرمنية، بعد ذلك، بأنها تدخل ضمن حقوقهم القديمة في الحصول على المؤن[147].

ومما زاد الطين بلةً صدور قانون الأراضي في عام 1858 في الدولة العثمانية، فقد أجج هذا القانون الصراع على الأرض بين الكُرد والأرمن في شمال كُردستان[148]، حيث شكلت مسألة حقوق الملكية نقطة خلاف مركزية

بين الأطراف هناك. ففي بعض المناطق، كان زعماء القبائل الكُردية منذ مئات السنين بمثابة أسياد إقطاعيين، وكان الأرمن الموجودون على أراضيهم يدفعون لهم نسبة معينة من حصاد السنة، كما أنهم كانوا يعملون في خدمة الزعماء، وفي المقابل حصلوا على الحماية من سائر الزعماء الكُرد. وفي ظل التغييرات والإصلاحات التي طرأت على الساحة العثمانية أراد الأرمن بطبيعة الحال وضع حد لهذا الوضع، في حين أراد زعماء العشائر الإبقاء عليه، ويمكن قلب الإشكالية في ملكية الأراضي من منطلق نظري محض حيث كانت أكثرية الأراضي ملكاً للسلطان الذي أجرها إلى المسؤولين عن جباية الضرائب الزراعية، أما من الناحية التطبيقية فكانت الأراضي (ملكاً) للزعماء، وقد بدأت القوانين الجديدة تنص على تسجيل الأرض باعتبارها ملكية خاصة، فهل يتم تسليم الصكوك للمزارعين أم للزعماء، الذين كانوا يعدون أنفسهم دوماً أسياداً لهذه الأراضي؟ جرت محاولات إصلاحية عديدة، وسجّلت بعض الأراضي باسم المزارعين، لكن عدداً كبيراً من الملكيات بقي خاضعاً للنظام القديم، ودارت سجالات كثيرة قانونية وغير قانونية حول تضارب آراء الجهات المطالبة بملكية الأراضي، ولم تكن هذه الظاهرة غريبة عن السلطنة العثمانية، ولا عن أي بقعة في العالم آنذاك، لكنها زادت من حدة التوتر بين الكُرد والأرمن[149]، وكانت السلطات التركية عاملاً مساعداً في الوقت ذاته في تأجيج هذا الصراع في كُردستان، من خلال تطبيق هذا القانون، فكانت مراراً تعطي الحق لاستخدام قطعة أرض واحدة للإقطاعي أو الفلاح الأرمني، وفي الوقت ذاته للبك الكُردي[150].

أما العامل الثاني: فتمثل بهجرة المسلمين الشركس والألبان واللاز إلى كُردستان، خلال الحروب الروسية العثمانية، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر؛ فنتيجة لحرب القرم 1853 ـ 1856، هاجرت أعداد غفيرة من الشركس

والقبائل المسلمة الأخرى، من القوقاز إلى الدولة العثمانية واستقر العديد منها في شمال كُردستان، وبما أنه سمح لهؤلاء باختيار بعض المراعي في كُردستان، فقد دخلوا في صِدام مباشر مع القبائل الكُردية، التي عدت تلك الأرض ميراثاً لها ومنذ قرون عديدة مضت. ونتيجة لذلك قامت الحكومة العثمانية باتخاذ إجراءات كفيلة باستقرار المهاجرين الشركس، بين القبائل الكُردية الرعوية (الكوجر)، في مستوطنات مستقرة، وخلال هذه المدة استقرت أعداد كبيرة من أولئك المهاجرين في مجتمعات زراعية، وبصورة رئيسة في الأراضي التي كان يُفترض أنها أملاك الدولة (الأميرية)[151]، وقد تم توطين الشراكسة على الخط الجغرافي الذي يبدأ من ميناء سينوب على البحر الأسود حتى منطقة ريحانلي في الأسكندرونة قرب البحر الأبيض المتوسط، أي المنطقة الفاصلة بين الأتراك والكُرد، وذلك لمنع الاحتكاكات والمصادمات التي كانت تقع بين الطرفين[152]، وقد انتشروا بالتحديد من سيواس وعلى طول سواحل البحر الأسود[153]، ولم يكن الشركس ناطقين باللغة التركية، ولا كانوا مزارعين في المقام الأول، وكان أكثرهم يعيش بأسلوب الحياة البدائية. وقد اتّخذ البعض الآخر منهم، من الذين جرى توطينهم في أمكنة لا يتيسر العيش فيها الإغارة وسيلة للرزق، وشمل نهبهم كل من كان حولهم، مسيحيين ومسلمين على السواء[154].

من الواضح أن وجود الشركس في شمال كُردستان كان مثيراً للفوضى وقد تم التوصل إلى تسوية، ولكنها كانت مؤقتة ومضطربة بين الأطراف الثلاثة الكُرد والأرمن والحكومة العثمانية. وبدخول عنصر جديد على المسألة غير قادر على الدخول بسهولة في المنظومة الاقتصادية والاجتماعية التقليدية في شمال كُردستان وهو العنصر الشركسي، ومن أجل البقاء وإثبات وجودهم فإنهم هاجموا قرى المسلمين والمسيحيين على السواء، وأقدموا على نهبها،

على الرغم من كونهم لاجئين إلى المنطقة، حتى إن الكُرد أصبحوا يخشونهم كما قيل[155]. يقول ي.م. بليس (E. M.Bliss) أحد الرحالة والكتاب الذين زاروا كُردستان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بأن: «الشركس أصبحوا مصدراً للرعب للجميع من المسيحيين والمسلمين لعدة سنوات... وبشكل طبيعي جلبوا معهم بشكل أقل أو أكثر من أساليب اللصوصية في الحياة ومن التعامل معها»[156]، ولم تذكرهم الرسائل الرسمية القنصلية الأجنبية كذلك، إلا من مثيري المتاعب ولم يرغب أحد، مسلماً أو مسيحياً، بمستوطنة شركسية في منطقته، حين كان يجري التخطيط لواحدة منها، أو حتى عندما يشاع ذلك، كان زعماء القرية المسلمون يحتجون عند الموظفين المحليين، وكان الأرمن يحتجون أكثر إلى القناصل الأوروبيين، وحتى إلى السفارات الأجنبية[157].

وما يشبه الشركس هم اللازيون، الذين استوطنوا بشكل رئيسي في ولاية طرابزون على البحر الأسود، ولكنهم كانوا أقل عدداً من الشركس، وأكثر وحشية، وأقل أمانة، وسهلي الانقياد إلى العنف والاعتداء، من أي عنصر آخر في المنطقة، على حد قول أحد الكتاب[158].

وقد اعتمد الأتراك على هؤلاء الموفدين الجدد كثيراً، وقد جُند العديد منهم في الجيوش التركية، حيث زرع الأتراك في كل مقاطعة من شمال كُردستان تقريباً ثكنة عسكرية، كانت تضم غالباً وحدة ألبانية وشركسية منظمة، عرفت الوحدات الألبانية بـ (باشبوزق)، حيث كانت تتحول في حالة وقوع الحرب إلى قوات خفيفة تنضم إلى الجيش التركي النظامي، في حين كانت تستخدم في الأحوال الاعتيادية في بعض المناطق بديلاً غير مكلف للقوات النظامية. لقد زرع الأتراك الوحدات الألبانية والشركسية واللازية بشكل خاص في المناطق الكُردية، التي صعبت عليهم السيطرة عليها، خصوصاً في أقاليم: وان، وأرضروم حيث كانت عدة ثكنات ألبانية توجد في مقاطعتي كراسو

وماكو إلى الشرق من وان، وكذلك في مقاطعة خنس إلى الغرب منها. ولم يخْفِ أحد قادة الباشبوزق الألبان عن السفير البريطاني في الدولـة العثمانية آنذاك أوستن هنري لايارد (1877-1880)[159] (Austen Henry Layard) عدم اعتماده على راتبه الضئيل من الدولة التركية في معيشته، وإنما على انتزاع الأتاوة من سكان القرى الكُردية والمسيحية. واستناداً إلى الضابط البريطاني فردريك ميلينكن (Frderick Millingen) الذي كان موجوداً في كردستان في ستينيات القرن التاسع عشر، بأن إسماعيل آغا أحد القادة الألبان للباشبوزق قد كدس ثروة كبيرة، من عمليات فرض الضرائب، والسلب، والنهب، وضعته في: «مصاف مليونير كُردستان»[160].

كما أنه مما لا يخفى أن أغلب هؤلاء المهاجرين من الشركس والألبان واللاز كانوا من المسلمين الذين هاجروا من بلدانهم هرباً من القوات الروسية، التي احتلتها أثناء الحروب الروسية العثمانية، وخصوصاً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ودون شك فإن هؤلاء عملوا في الدولة العثمانية، للإضرار بالعناصر المسيحية في المنطقة، انتقاماً لما تعرضوا له على أيدي مسيحيي مناطقهم، بل ربما أنهم كانوا أشد عنفاً، خصوصاً ضد المسيحيين الذين ناصروا روسيا القيصرية في حروبها ضد الدولة العثمانية، ويأتي على رأسهم في المنطقة الأرمن، الذين أعلنوا صراحة، في كل حادثة أو حرب بين الطرفين، عن دعم روسيا؛ بكونها المنقذ الوحيد لهم، والمؤسس لدولتهم القومية المستقبلية؛ فيذكر م.كالمان بأن أوضاع الأرمن قد ساءت أكثر بكثير، بعد توطين الشركس في شمال كُردستان[161].

أما العامل الثالث الذي أثر في العلاقات الكُردية الأرمنية فكان: عامل (الثروة)، ففي مرحلة ما بعد سقوط الإمارات الكُردية كان الكُرد هم الخاسر الوحيد من جراء هذه العملية؛ ففضلاً عن تبعثر الشعب الكُردي سياسياً وإدارياً

فقد أصابت اقتصاد المجتمع الكُردي ضربات قوية أيضاً، جراء الحروب التي لم تنتهِ بين الجيش العثماني والكُرد، حتى الحرب الروسية العثمانية عام 1877 ـ 1878، وقد تحولت شمال كُردستان إلى ثكنة شبه عسكرية[162]، أما الأرمن فعلى العكس من الكُرد فقد كان مجتمعهم أكثر استفادةً من سقوط الإمارات الكُردية على المدى القريب، فقد تحسنت أوضاعهم الاقتصادية واغتنوا كثيراً، وذلك يرجع إلى سببين، أولهما: هو عدم دفع الأرمن الضرائب إلى الإمارات الكُردية بعد سقوطها، وبالتالي احتفظوا بتلك الأموال لأنفسهم لمدة من الزمن، أما السبب الثاني: فكان دعم الإرساليات التبشيرية المسيحية لهم والاهتمام بهم، حيث شهدت كُردستان تدفق الإرساليات إليها بعد سقوط الإمارات الكُردية بشكل سريع وواسع[163].

وفضلاً عن ذلك فقد شهد مسار المجتمعين الكُردي والأرمني خطين متعاكسين في شمال كُردستان، الأول، وهو المجتمع الكُردي الذي شهد تراجعاً من جميع النواحي؛ فقد أدى انهيار النظام الإماراتي إلى ترك أجزاء كبيرة من المناطق، التي كانت من أملاك الإمارات الكُردية، نهباً لعديد من شيوخ القبائل الصغار، من الذين كان الأمراء الأقوياء قد حدوا من سلطانهم ونشاطهم تحديداً شديداً، فقد انطلقوا بعد ذلك وبكل حرية يرتكبون كل ما يخطر في الذهن من تجاوزات وأعمال الشقاوات، ولم يطل الأمر بالفوضى لتغدو وباءً مستشرياً في كثير من هذه البقاع؛ أزيح أمراء الكُرد إلا أن مراكز السلطة التي خلت منهم لم تملأ، وبدا الحل الوحيد المتاح للحكومة العثمانية لمعالجة الوضع هو تجريد حملات تأديبية بين الفينة والأخرى، معززة بقوات من متطوعي العشائر، كانت تمنى بالفشل في معظم الأحيان، ولا تتم السيطرة على الوضع عادة، وفي أحيان كثيرة لا يولد هذا الحل إلا مزيداً من العنف وسفك الدماء، واحتدام الصراع العشائري الداخلي[164].

لقد منحت الدولة العثمانية العديد من الموظفين عديمي الخبرة والمؤهلات مناصب إدارية وعسكرية سامية، في المناطق الكُردية الملحقة، مع أنهم كانوا يجهلون التقاليد والثقافة واللغة الكُردية، وكان العديد من حكام الولايات والمقاطعات الكُردية والقادة العسكريين فيها من الأجانب الذين لم يأبهوا لمصالح الأهالي الغريبين عنهم. إن من أبرز العوامل الرئيسة، التي جعلت هؤلاء الحكام والقادة العسكريين، لا يأبهون لمصالح ورفاهية الأهالي هي حقيقة أنهم كانوا على علم بأن مدة بقائهم في مناصبهم قصيرة زمنياً، لهذا كان هؤلاء يعملون وبسرعة على تكديس الثروة، قبل إزاحة السلطات المركزية لهم من مناصبهم. لقد كان والي ولاية وان الجديد محمد باشا، وهو قائد عسكري تركي يجهل كل شيء عن الكُرد، وعن مناطقهم، وفي المقابل كان حاكم مقاطعة كولي في ولاية أرضروم مهاجراً داغستانياً[165]، وقد أثار التجنيد الإجباري لجيش الإمبراطورية العثمانية، بالأخص، الاحتجاج في كُردستان، ولغرض قمع كل تذمر محتمل فقد عينت استانبول والياً خاصاً لكُردستان، في سبعينيات القرن التاسع عشر، وهو إسماعيل حقي باشا، وأصله من كُرد منطقة قارص، ويرتبط اسمه كثيراً بالحملات العسكرية على بوتان والجزيرة وهكاري، وقد قضت قوات الإمبراطورية العثمانية بوحشية على الحركة التحررية الكُردية، واضطر قسم كبير من السكان إلى الاحتماء بالجبال حفاظاً على أرواحهم وبعض ممتلكاتهم[166].

بالمقابل فقد سلك المجتمع الأرمني منحى آخر، فقد أثر عهد التنظيمات العثمانية كثيراً في مجتمعهم، وخصوصاً في استانبول العاصمة، التي اتخذها الأرمن مركزاً لنهضتهم القومية[167]؛ فبحلول النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان في استانبول وحدها ما يقرب من (5000) تلميذ وتلميذة من الأرمن، الذين كانوا يذهبون إلى حوالى (40) مدرسة. وقد نشر الأرمن حوالى (14)

مجلة وجريدة في استانبول بين عامي 1840 ـ 1866، من أهمها: «ماسيس ـ جبل أرارات»، و «هايرينيك ـ الوطن»[168].

كان الأرمن من بين الأقليات الناشطة، التي دخلت بكثافة في مؤسسات الدولة العثمانية ووظائفها العالية، كمجلس القضاء الأعلى والوزارة، وفي السلك الخارجي، فبين العامين 1856 و 1866، كان العديد من سفراء السلطنة في العواصم الكُبرى هم من الأرمن، كما تولى هؤلاء قلم الترجمة في الباب العالي بنسبة(13 %)، ووزارة الخارجية بنسبة (69 %)، وغيرها من الوظائف التي تتطلب إتقان اللغات الأجنبية. يضاف إلى ذلك أن انفتاح الأرمن على العلوم الغربية مثل: الهندسة، والزراعة، والإدارة وغيرها من الاختصاصات، التي أهلتهم لتولي الوظائف التقنية المستجدة في عصر الإصلاحات في العاصمة، وعلى صعيد الإدارات المحلية في المقاطعات[169]، حتى قيل: إن قوام الدولة العثمانية اثنان: السيف، والقلم، فالسيف للألبانيين، والقلم للأرمن[170].

في عام 1863 أقر السلطان عبد العزيز(1861 ـ 1876) (الدستور الوطني الأرمني)، وهو عبارة عن وثيقة مرتبطة بتطور نظام الملة العثماني، وتأثيره الكبير في نمو المؤسسات الاجتماعية الأرمنية في عموم الدولة العثمانية، وتألفت الأنظمة والقواعد الخاصة بالملة الأرمنية من (99) مادة[171]، ووفقاً لهذا الدستور أصبح البطريرك الأرمني في استانبول الزعيم الديني والسياسي للجالية الأرمنية في الدولة العثمانية[172]؛ كما أن الدستور الصادر منح سلطة تشريعية عالية لنواب الجمعية العامة المؤلفة من (140) نائباً، (20) عضواً يُنتخبون من بين القساوسة في استانبول، و(40) عضواً يُنتخبون من بين القساوسة في المقاطعات، و(80) عضواً يُنتخبون من بين المنظمات النقابية، للصناع والتجار في استانبول، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الدستور لم

يسمح إلا بأدنى حد ممكن من التدخل العثماني في شؤون الأرمن، وكان هذا الدستور مستوحى من الدستور الفرنسي الذي شرع عام 1848[173].

تمثلت النهضة الأرمنية بشكل خاص على صعيد التربية والتعليم، فقد فرض الدستور الأرمني على كل فرد واجب الإسهام، كل حسب قدرته، في «سد حاجات الأمة»، والمساعدة على تحسين أوضاع أفرادها، بغية تأمين تقدمها كوحدة عضوية متماسكة ومتضامنة. ولم تكن المصاعب التي تعرضت لها الأمة إلا لتؤكد هذا الاتجاه، وتعتمد التربية والتعليم إلى جانب الجمعيات الخيرية وسيلة للتحرير من الفقر والعوز[174].

أما في شمال كُردستان فلم يكن الأرمن قد أحسوا بعد بالهياج القومي ما عدا مسألة أنه في عام 1856 كان أسقف وان خرميان هايريك (Khrimian Hairik) الملقب بـ(الأب الصغير)، قد بدأ بإصدار النشرة المحلية الشهرية الأولى، باسم ارزيف فاسبوراكان (Arziv Vaspuragan) ، وتعني (نسر وان) والتي دعا فيها إلى مقاومة الطغاة، وتكلم عن موضوع (الحرية القومية)، لكن جهوده لم تجد صدى لها بين الأرمن في العاصمة[175].

لقد منح الدستور أرمن إستانبول حق تأسيس الروابط وخطوط الاتصال، مع الجاليات الأرمنية في شمال كُردستان، حيث تأسست شبكة جديدة من الأُسقفيات، وأصبح كل أُسقُف على رأس كل أسقفية، وهكذا، وبعد قرون من الاختلاء والعزلة بدأت الجاليات الأرمنية المختلفة في الإمبراطورية العثمانية بالاتصال مع بعضها بعضاً، تحت مظلة هذه الشبكة الدينية، وأصبح أرمن إستانبول نشيطين في إدخال المشاريع بين الجاليات الأرمنية البعيدة وفي كُردستان، وبدأت المدارس تعمل بهدف جلب التعليم للجماهير الأرمنية الأمية، وعبر تنوير التعليم فإن الأفكار الوطنية بدأت بالازدهار بين الأرمن، وهكذا ظهرت للوجود صورة أخرى جديدة للأرمن[176].

لقد ربط الأرمن مصيرهم بالأتراك بعد سقوط الإمارات الكُردية في شمال كُردستان، وكانت قمة التعاون بينهما في الدولة العثمانية تتمثّل بتوقيع الدستور الوطني الأرمني، بحيث شكل الأرمن وفق مواده دولة داخل دولة، ومن جانب آخر فإن الخاسر الوحيد في هذه العملية كان هو الكُرد، فمن جهة أسقطت إماراتهم المتوارثة منذ العصور الوسطى، وأصبحوا مشتتين بلا قيادة سياسية تجمعهم تحت ظل واحد، وزادت الحملات العثمانية من تدهور أوضاعهم الاقتصادية، بالمقابل فإن المجتمع الأرمني الذي كان من رعايا الأمراء الكُرد أخذ يقفز قفزات هائلة بين ليلة وضحاها في شمال كُردستان، وصار فيما بعد هو صاحب قيادة موحدة مركزية، اتخذت من مدينة استانبول مركزاً لها، وربطت جميع الأرمن بواسطة شبكة من الأسقفيات المنتشرة في جميع أنحاء الدولة العثمانية، وخصوصاً في شمال كُردستان؛ ويذكر كارابيت ك.مومدجيان (Garabet K. Moumdjian) أن الكُرد في شمال كُردستان نظروا بعد هذه الإنجازات الأرمنية، والدستور الوطني إلى الأرمن نظرة سلبية، وكان صدوره سبباً آخر لتصاعد حِدّة العداوة بين الكُرد والأرمن، لأنّ الكُرد ببساطة كانوا محرومين من مثل هذا التنظيم، بسبب طبيعة مجتمعهم العشائري[177]، أما كارو ساسوني فيذكر: بأنّ صدور الدستور الأرمني قد قرّب الأرمن والأتراك أكثر من ذي قبل، إلا أنه خلق في الوقت نفسه جواً ملتهباً في المنطقة[178].

ومن المفيد هنا التنويه إلى قضية أشارت إليها المصادر الأرمنية والأجنبية، خصوصاً بعد إعلان الدستور الأرمني، وتشكيل الجمعية الوطنية الأرمنية في استانبول، ألا وهي الشكاوى الأرمنية الآتية من كُردستان وغيرها من المناطق، عبر أسقفياتها إلى البطريركية الأرمنية في استانبول، فإنه ما بين

أعوام 1860 ـ 1870 وصلت إلى البطريركية الأرمنية في استانبول حوالى (529) شكوى، ليست جميعها من كُردستان، بل من بقية أجزاء الدولة العثمانية، (65) منها جاءت من أرضروم و(79) من ديار بكر، وإنّ هذه التقارير كانت ترفع ضد الكُرد، والشركس، وضد الإدارة العثمانية هناك. والملاحظة اللافتة للنظر هي عندما كانت ترسل هذه الشكاوى إلى استانبول لم تكن تلقى الاهتمام المطلوب من البطريركية الأرمنية هناك، وأنّ هذه التقارير في أغلبها كانت لا ترفع إلى الباب العالي، وأنّ ما كان يرفع منها بعد مرور مدة طويلة كانت تفقد روحيتها، وبدوره كان الباب العالي يُهملها، كما أن هذه الشكاوى لم تكن تحمل أسماءً أو تواقيع[179].

لقد شكلت الجمعية الأرمنية في استانبول لجنة لتقصي الحقائق لمعرفة أسباب هذه الشكاوى، وإيجاد حلول ناجعة لها في 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 1871. وبعد إجراء التحقيقات اللازمة رفعت اللجنة تقريرها إلى بطريرك الأرمن في استانبول، الذي رفعه بدوره إلى الباب العالي، بعد إجراء بعض التنقيحات عليه في عام 1872. أهملت الدولة العثمانية بدورها هذا الأمر برمته، وخلصت اللجنة إلى أن أهم أسباب الشكاوى الأرمنية هي البدل النقدي العسكري المفروض على الأرمن في شمال كُردستان، وأفردت اللجنة أغلب صفحات تقريرها لبحث هذا الأمر، وقد هاجم ذلك التقرير بشدة ولاة ومدراء الدولة العثمانية، ومن ورائهم العديد من الآغوات الكُرد، الذين لم تتدخل الدولة العثمانية لوضع حد لفسادهم في المنطقة. أما الشركس الوافدون الجدد إلى المنطقة، فكان لهم نصيبهم في هذا الاضطهاد، الذي كان يعاني منه الأرمن في كُردستان، وقدمت اللجنة ثلاثة اقتراحات لإصلاح الوضع هناك وهي: نزع سلاح الكُرد وإجبارهم على إعطاء الضرائب للدولة، أو تسليح القرى الأرمنية بالمقابل، وكذلك نفي الزعماء الذين تثبت مشاركتهم

في عمليات الفساد، واضطهاد الأرمن في تلك المناطق، وأخيراً بناء ثكنات عسكرية على طول حدود الدولة العثمانية مع إيران، وفي مناطق محددة داخل كُردستان[180].

وعند النظر إلى هذه القضية تتبادر إلى الذهن عدة أسئلة وهي: لماذا لم تكن البطريركية الأرمنية تهتم بهذه الشكاوى؟ وحتى بعد ما قدمت اللجنة تقريرها قامت بتنقيح التقرير بحيث أفقدته روحيته كما يقول كارو ساسوني، ومن جهتها أين كانت مصلحة الدولة العثمانية في عدم متابعة هذه القضية؟ ثم هل كان رد فعل البطريركية والباب العالي على هذا النحو؟ لو أنّ هذه الشكاوى فعلاً كانت ضد الكُرد؟

يشير كارو ساسوني إلى أن أسماء الأشخاص، لم تكن تدون تحت الشكوى، التي كانت ترفع إلى استانبول، أي: إن هذه الشكاوى لم تكن تحمل أية أسماء، سوى الجهة التي بُعثت منها، أما لماذا لم تكن تكتب أسماء المشتكين، وذلك حسب ساسوني بسبب تخوفهم من الانتقام والملاحقة[181].

بالاستناد إلى هذه العلل تطفو إلى السطح عدة أمور منها أولاً: إن تلك الشكاوى في أغلبها كانت ضد الإدارة العثمانية في كُردستان، ومن ورائها الفرق الشركسية والألبانية، وكذلك بعض الآغوات الكُرد الذين التزموا جانب الحكومة العثمانية هناك، وإلا لماذا لم تكن البطريركية الأرمنية تثير هذه الشكاوى؟ ولو أنها كانت فعلاً ضد الكُرد فقط، لأخذتها بجدية وضغطت على الدولة العثمانية، كما فعلت في الثمانينيات من القرن التاسع عشر، وحتى بداية الحرب العالمية الأولى. من جهة أخرى، لماذا لم تكن الدولة العثمانية تتابع هذه الشكاوى؟ فلو كانت ضد الكُرد فعلاً، لجردت عليهم حملات عسكرية خاصة إذا ما عُلِمَ أن اللغة الوحيدة التي كانت تجيدها الدولة العثمانية مع الكُرد حتى تلك المدة هي القوة العسكرية، مما يوحي بأن أغلب

هذه الشكاوى، وإن لم تكن بهذه الكمية، كانت ضد المسؤولين الأتراك في كُردستان، ولم تكن البطريركية الأرمنية ترغب في إثارة هذا الموضوع، لكي لا تتدهور علاقاتها الممتازة مع الباب العالي، وبالتالي فإن الباب العالي من جهته كان يهمل هذه الشكاوى؛ ثم إن عدم تدوين أصحاب هذه الشكاوى أسماءَهم عليها هو خير دليل على أن هذه الشكاوى كانت ضد إدارة الدولة العثمانية في كُردستان، ذلك أن الكُردي المعتدي على الأرمني، من أين كان سيعرف مَنْ مِنَ الأرمن قدَّم شكوى بحقه لأنها من الأشياء السرية؟ إلا إذا كان الشخص في موقع المسؤولية، ثانياً: هناك اضطراب واضح في تقرير اللجنة المرفوعة إلى الباب العالي، فلم ترد فيه أية أسماء أيضاً رغم عدم رضاها الواضح عن الحياة في كُردستان، بل كانت اقتراحات اللجنة لإصلاح هذا الوضع هو فقط فرض الضرائب على الكُرد، وإجبارهم على النزول من الجبال، ونشر الثكنات العسكرية في كُردستان، ونفي الزعماء الذين تسببوا بهذا الأمر، ولم يرد في مقترحاتهم مثلاً تبديل هذا الوالي بذاك، أو أن قائمقام هذه المدينة مرتشٍ مثلاً، ولم يرد في اقتراحاتهم أي إصلاح للنظام الإداري المعروف بعدم أهليته في المنطقة، مما يوحي أن اللجنة الأرمنية المكلفة بالتحقيق والمتابعة، وكذلك البطريركية الأرمنية لم تكن تريد إغضاب الحليف العثماني، وإن كان على حساب الأهالي في كُردستان.

من جهة أخرى، عدّ المراقبون الأوروبيون أيضاً في تلك المدة، أن مصائب القرى المهاجمة مشكلة تعني الأرمن، إلا أن ذلك مخالف للواقع، إذ اختار اللصوص والعشائر أهدافهم، نظراً لسهولة المهمة وحجم الغنائم، لا إلى الانتماء الديني، لكن الأرمن تمكنوا من إيصال شكاواهم إلى القنصليات الأوروبية والإرساليات الأميركية، وغالباً ما بالغوا في وصف معاناتهم، أملاً في الحصول على المساعدات أو التعويضات، التي وصلت إليهم في بعض

الحالات، وفي المقابل لم ينقل الكُرد شكواهم إلى الغربيين، لذا غابت معاناة الكُرد عن معظم الأوروبيين والأميركيين، فكتبوا عن (الكُرد) بصيغة الجمع، كما لو كان الكُرد كمجموعة يهاجمون الأرمن. في الواقع، كانت مواجهة تدور بين العشائر والمستقرين، فكتبت طائفة من القناصل ذوي الفكر الثاقب والمنفتح تقارير حول هجمات العشائر على القرى الكُردية، يتبين منها ومن السجلات العثمانية أن المعاناة لم تميز بين طائفة وأخرى، فنُهبت المساجد كما نهبت الكنائس، وتعرض المسلمون كما المسيحيون إلى النهب والقتل على السواء[182]، وخير دليل على ذلك، ما كتبه ملا محمود البايزيدي (1799 ـ 1867) في مؤلفه المعنون بـ: (عادت ورسوماتنامەئى ئەكراديه) الذي ألفه في أواخر خمسينيات القرن التاسع عشر، نزولاً عند رغبة المستشرق الروسي الكسندر زابا (1803 ـ 1894)؛ فإن هذا المؤلف يبحث في الحياة الاجتماعية والاقتصادية الكُردية في تلك المدة، وأغلب أفكاره تدور حول الظروف غير الآمنة في كُردستان، وكيف كان الكُرد يلجأون إلى حماية أنفسهم، فمثلاً ذكر في إحدى صفحاته: «إن معظم الأغنياء من الكُرد (الرحالة) يسلمون أموالهم وأشياءهم الثمينة إلى أصدقائهم وأصحابهم، الذين يثقون بهم في المدن، وعندما يحتاجونها يذهبون لجلبها، فهم لا يأمنون على أموالهم في الخيام من اللصوص والأعداء ومن السلب والنهب، إذ يقول الكُرد: إن دولتهم ليست صارمة، وهي لينة في هذه الأمور، ولا هيبة لها [أي: الدولة العثمانية]وهم يقولون عن أموالهم التي تتكون من الأغنام والحيوانات: إنها يمكن أن تباد وتهلك في شتاء قارص، أو يُقضى على تلك الأموال والحيوانات في عملية نهب يأخذها أحد الأعداء»[183]. وهنا يتساءل المرء: ممن كان الكُرد يخافون آنذاك؟ هل من القبائل الكُردية المعادية لهم؟ أم من الفِرق الشركسية والألبانية؟

أم من بطش المسؤولين الفاسدين في كُردستان؟ وأرجع الكُرد أنفسهم سبب سوء الأوضاع في كُردستان إلى الدولة العثمانية؛ لأنّ تصرفات إدارة السلطات مثلاً هي التي أدت لأن يضطر الكُرد الرحل في وادي وان إلى أن يقوموا بما عبر عنه القنصل الروسي في أرضروم: «بأعمال سلب صغيرة... والنهب جنباً إلى جنب مع السلطات التركية... فإذا لم تقم السلطات بطلب الدفع نقداً، لما قام الكُرد بأعمال نهب صغيرة، أو لم يقوموا بها أبداً»[184]. وأخيراً لابد من الإشارة إلى الرحلة التي قام بها القنصل الإنكليزي في أرضروم تايلور (Taylor) في عام 1869، إلى معظم مناطق شمال كُردستان، حيث زار ولايات: أرضروم، ووان، وبتليس، وهكاري، وقارص، وبايزيد؛ ليكتب عن أوضاع السكان فيها، وقد أورد في تقريره إحصائيات كثيرة عن سكان هذه المنطقة، ولم يُشر في تقريره المطول هذا إلى أي أجواء احتقان بين الكُرد والأرمن في شمال كُردستان، سوى حديثه في بعض الأحيان عن عمليات لصوصية صغيرة تجري هنا وهناك، وبين الفِيْنة والأخرى[185].

وعلى الرغم من هذا الوضع المتردي في كُردستان لم يكن العديد من الكُرد والأرمن قد تأثروا بتلك الأوضاع المستجدة على الساحة فيها، وكانت علاقاتهم يومذاك على أحسن ما تكون، بل إن القلة القليلة من الطرفين ربما باعدت بينهما هذه الأحداث، فمثلاً: قام في عام 1860 لفيف من الشخصيات الأرمنية وعلى رأسهم الكاتبان الاجتماعيان المعروفان، غاريغين سفادجيان، وم.مومدجيان، بتشكيل جمعية تحت اسم (جمعية الثقافة الشرقية)، وكانت أهدافها الرئيسة هي: نشر التعليم بين صفوف الكُرد، وساهمت أعمال هذه الجمعية في تقوية علاقات الصداقة بين الكُرد والأرمن[186]. ومن أعمالها في هذا المجال محاولتها القيام بنشر الحروف الأرمنية بين الكرد، وتعليمهم

القراءة والكتابة باللغة الكُردية معتمدين على الحروف الأرمنية بدل الحروف العربية، التي كانت متداولة بين الكُرد، وقد نشرت هذه الجمعية أولى ألفباء كُردية في تاريخ الكُرد الحديث مبنية على أساس الحروف الأرمنية من قبل مكرديج فاراتابيت ديكرانيان (Migirdiç Vartabet Dikranyan). [187]

كما قاتل الكُرد مع الأرمن جنباً إلى جنب ضد القوات التركية العثمانية، عند محاولتها السيطرة على ساسون عام 1864، التي كانت تتمتع بشبه حكم ذاتي آنذاك، ووقعت بالقرب من جسر (باتمان) أقوى المعارك بين الطرفين، ولم تتمكن القوات التركية من الظفر بالنصر، إلا من خلال الإمدادات، وكثرة عدد جنودها مقارنة بخصومها من المقاتلين الكُرد والأرمن في ساسون[188].

هوامش الفصل الأول

1. ينظر: شرفخان البدليسي، شرفنامة في تاريخ الدول والإمارات الكُردية، ترجمة: محمد علي عوني، مراجعة وتقديم: يحيى الخشاب، ج1، ط2، دمشق، 2006، ص57 وما بعدها؛ جليلي جليل، من تاريخ الإمارات في الإمبراطورية العثمانية، ترجمة: محمد عبدو النجاري، بيروت، 1987، ص49 وما بعدها.
2. ديفيد مكدول، تاريخ الأكراد الحديث، ترجمة: راج آل محمد، بيروت، 2004، ص64-67؛ فەیسەل دەباغ، كوردستان لەچاپكراوە عوسمانلییەكاندا، هەولێر، 2004، ل56.
3. تعد شخصية (ملا إدريس البتليسي) واحدة من أهم الشخصيات الكُردية جدلاً في العصر الحديث، فإن هناك من الباحثين من يرونه السبب الرئيسي في احتلال الدولة العثمانية لكُردستان، حيث عمد البتليسي إلى عقد اتفاقية بين أمراء الكُرد والدولة العثمانية تعترف فيها هذه الإمارات بالتبعية الإسمية للسلطان العثماني، مقابل الحفاظ على استقلالها، في حين يرى آخرون على أنه من أبرز الشخصيات التي حافظت على استقلال الكُرد، وجنب بعمله هذا كُردستان موجةً ثانية من الغزوات المدمرة، كالتي اجتاحتها أثناء الغزو المغولي لها، ويؤكد أصحاب هذا الرأي أنّ الاحتلال العثماني لكُردستان كان لا مفر منه، وأنه بهذه الاتفاقية قد حافظ على هذه الإمارات الكُردية، التي عمرت حتى منتصف القرن التاسع عشر. للتفاصيل ينظر: محەمەد بايراقدار، ئیدریسی بتلیسی، وەرگێران: شوكور مستەفا، چ2، هەولێر، 2009، ل75-84؛ سعدي عثمان هروتي، كُردستان والإمبراطورية العثمانية: دراسة في تطور سياسة الهيمنة العثمانية في كُردستان 1514- 1851، اربيل، 2008، ص73-79.
4. بلەچ شیرکوه، القضية الكُردية: ماضي الكُرد وحاضرهم، مصر، 1930، ص7-10.
5. مارتن فان برونسن، المجتمع الكُردي: العرق القومية ومشاكل اللجوء، ترجمة: صدقي عز الدين البيرموسي، دهوك، 1998، ص19.
6. سميت الكنيسة الأرمنية القومية بـ الكريكورية، نسبة إلى القديس كريكور ابن الأمير اناك، الذي تمكن من نشر الديانة المسيحية بينهم في القرن الثالث الميلادي. للمزيد، ينظر: بول اميل، تاريخ أرمينيا، ترجمة: شكري علاوي، بيروت، د.ت، ص14- 18؛ مروان المدور، الأرمن عبر التاريخ، ط2، دمشق، 1980، ص167-185.
7. يحبذ الأتراك إطلاق اسم الأناضول الشرقية على شمال كُردستان، التي نشأت

فيها المسألة الأرمنية، وأطلق عليها الأرمن والمؤرخون الغربيون مصطلح أرمينيا الغربية، لتمييزها عن أرمينيا الشرقية، التي كانت تحت السيطرة الإيرانية ثم الروسية، أما المؤرخون الكُرد فكانوا يطلقون عليها المصطلحات المختلفة من دون تمييز فيما بينها، ربما لتأثرهم بالمصادر الغربية، ولهذا نحن في دراستنا هذه سنستخدم مصطلح شمال كُردستان، اعتقاداً منا أنه الأقرب إلى الصواب في العصر الحديث. وسيأتي الحديث عن تلك المصطلحات لاحقاً ضمن هذا المبحث.

8. ينظر: عثمان علي، دراسات في الحركة الكُردية المعاصرة 1833-1946: دراسة تاريخية وثائقية، تقديم: محمد الهماوندي، اربيل، 2003، ص13.
9. ينظر: جليلي جليل، المصدر السابق، ص73-76 و115-141.
10. ينظر المبحث الثالث من الفصل الثاني.
11. المقصود بالمسألة الشرقية: هو النـزاع الذي اشتد بين الدول الأوروبية الكُبرى، في المدة من أواخر القرن الثامن عشر حتى انتهاء الدولة العثمانية في عام 1923، حول النفوذ في تلك الدولة، وصراع هذه الدول من أجل اقتسام ممتلكاتها. ومعنى ذلك أن المسألة الشرقية ظهرت نتيجة للأزمة العامة، التي كانت الدولة العثمانية تعانيها من جهة، واشتداد التوسع الاستعماري للدول الأوروبية في الشرق الأوسط من جهة أخرى. أما مصطلح (المسألة الشرقية) نفسه فقد استخدم لأول مرة في مؤتمر فيرونا، الذي عقده المحفل الأوروبي عام 1822 في أعقاب الانتفاضة اليونانية ضد السيطرة العثمانية عام 1821. ينظر: هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية: المرحلة الأولى 1774- 1856، جامعة بغداد، 1990، ص21-24.
12. ينظر: جمال رشيد احمد، ظهور الكُرد في التاريخ: دراسة شاملة عن خلفية الأمة الكُردية ومهدها، ج1، اربيل، 2003، ص53-85؛

- Leon Dominian, The Peoples of Northern and Central Asiatic Turkey, Bulletin of the American Geographical Society, Vol 47 No,11. 1915. P. 853-855.

13. ينظر، مثلاً: يوسف ملك، كُردستان أو بلاد الأكراد، مراجعة وتقديم: عزالدين مصطفى رسول، ط2، السليمانية، 2006، ص44؛ جليلي جليل، انتفاضة الأكراد 1880، ترجمة: سيامند سيرتي، بيروت، 1979، ص16.
14. ماريا أوشي، التصورات والتصورات الخاطئة عن التاريخ الكُردي المبكر، في: فالح عبد الجبار وآخرون، الاثنية والدولة: الأكراد في العراق وإيران وتركيا، ترجمة:

عبد الإله النعيمي، بغداد- بيروت، 2006، ص194. من المفيد هنا القول بأن هناك نظريتين حول أصل الكُرد، لاقت قبولاً بين المؤرخين والباحثين في تاريخ الكُرد القديم، النظرية الأولى تلك التي قدمها العالم الروسي (مار) في عام 1911، عندما ذكر بأن أصول الكُرد إنما ترجع إلى الشعوب القوقازية القديمة، التي سكنت كُردستان منذ الالف الثالث قبل الميلاد، أمثال:(الكاشيون، واللولوبيون، والكوتيون، والخالديون، والميتانيون...الخ)، وأنها تأثرت بعد ذلك بثقافة ولغة الشعب الميدي الذي هاجر إلى كُردستان في بداية الالف الأول قبل الميلاد. اما النظرية الثانية: فهي تلك التي أطلقها العالم والمستشرق الروسي (مينورسكي) في عام 1938، عندما أرجع أصول الكُرد إلى الميديين الذين ينتمون إلى سلالة الهندواوروبيين الذين هاجروا إلى كُردستان، في بداية الالف الأول قبل الميلاد، حيث قامت باحتواء شعوب المنطقة، وكونت بعد ذلك الشعب الذي عرف في المنطقة بالشعب الكُردي. ينظر: ف.ف.مينورسكي، الأكراد ملاحظات وانطباعات :الأكراد أحفاد الميديين، ترجمة وتعليق: معروف خزنه‌دار وكمال مظهر احمد، بيروت، 1987، ص123- 140؛ باسيلي نيكيتين، الكُرد: دراسة سوسيولوجية وتاريخية، تقديم: لويس ماسينيون، ترجمة: نوري طالباني، دهوك، 2008، ص41-57.

15. موسيس خوريناتسي، تاريخ الأرمن: من البداية حتى القرن الخامس الميلادي، ترجمة: نزار خليلي، دمشق، 1999، ص38-47.

16. Jeremy Salt, Imperialism- Evangelism and Ottoman Armenians 1878-1896, London, 1993, P. 55.

17. حول هذا الموضوع ينظر: مارتن فان بروينسن، الآغا والشيخ والدولة: البنى الاجتماعية والسياسية لكُردستان، ترجمة: امجد حسين، ج1، بغداد- بيروت، 2007، ص243؛ ارشاك بولاديان، الأكراد: من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي، ترجمة: مجموعة مترجمين، دمشق، 2004، ص33 وما بعدها.

18. عن الكُرد الميديين، ينظر: ف.ف.مينورسكي، المصدر السابق، ص123- 140.

19. محمد الملا احمد، جمعية خويبون والعلاقات الكُردية-الأرمنية، اربيل، 2000، ص105.

20. ينظر: جورج قرم، تاريخ الشرق الأوسط من الأزمنة القديمة إلى اليوم، بيروت، 2010، ص77-78.

21. نجلاء عدنان حسين العكيلي، الدولة العثمانية والمشكلة الأرمنية 1894-1916، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة المستنصرية، بغداد، 2003، ص3.
22. سعد بشير اسكندر، قيام النظام الإماراتي في كُردستان وسقوطه: ما بين منتصف القرن العاشر ومنتصف القرن التاسع عشر، بغداد، 2005، ص13.
23. ينظر: كمال مظهر احمد، كُردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، ترجمة: محمد الملا عبدالكريم، ط2، بغداد، 1984، ص235-236 وص244-249؛ محمد خليل أمير، علاقة الأكراد بمذابح الأرمن، د.م، د.ت، ص3.
24. مملكة أرمينيا أو أرمينيا الكُبرى، كانت مملكة مستقلة مابين 190 ق.م - 387م، ومن ثم خضعت للإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الفارسية حتى عام 428م، وقد شملت مناطق واسعة في الأناضول. اما أرمينيا الصغرى، وتعرف كذلك بمملكة كليكيا (قلقيليا) أسست على الساحل الجنوبي الشرقي للأناضول، وذلك في القرن الثاني عشر، وانتهى وجودها بغزو المماليك لها عام 1375. للتفاصيل، ينظر: بول اميل، المصدر السابق، ص29-32؛ فەرهاد پیربال، کورد لەدیدی رۆژهەلاتناسەکانەوە، هەولێر، 2006، ل102.
25. ينظر، مؤلفه: المصدر السابق، ص59.
26. رحلة اوليا جلبي في كُردستان عام 1065هـ-1655م، ترجمة: رشيد فندي، دهوك، 2008، ص99.
27. باسيلي نيكيتين، المصدر السابق، ص66؛ عبدوللا غەفور، سنووری کوردستان، چاپی سێیەم، هەولێر، 2006، ل16-17.

- بعد سقوط إمارة بوتان في عام 1847 استحدثت الحكومة العثمانية في نفس العام ولاية تحت اسم ولاية (كردستان) وكانت تضم (دياربكر، حكاري، وان، موش، جزيرة بوتان، ماردين) وظلت تحت هذا الاسم حتى عام 1867. للمزيد ينظر: سینان هاکان، کورد و بەرخودانەکانی 1817 - 1867 لە بەڵگەنامەکانی ئەرشیفی عوسمانیدا، وەرگێران: بەکر شوانی، پێشەکی و پێداچوونەوە: جەبار قادر، هەولێر، 2012، ل258 - 261.

28. ينظر: عثمان علي، الكُرد في الوثائق العثمانية، اربيل، 2010، ص119-122.
29. Giuseppe Campanile, Histoire Du Kurdistan, Traduite: Thomas Bois, Liban, 1953.

30. Garo Sasuni, Kurt Ulusal Hareketleri Ve Ermeni-Kurt IlişKileri (15.yy, dan Günümüze), Stockholm, 1986, S. 54.

31. ينظر، مؤلفه: المعجم الجغرافي للامبراطورية العثمانية، ترجمة وتعليق: عصام محمد الشحادات، بيروت، 2002، ص24.

32. James Creagh, Armenians-Koords And Turks, Southampton,1880, P. 273;

- ن.أ.خالفين، الصراع على كُردستان: المسألة الكُردية في العلاقات الدولية خلال القرن التاسع عشر، ترجمة: احمد عثمان ابو بكر، بغداد، 1969، ص91.

33. ينظر: المبحث الثاني في الفصل الثاني.

34. ينظر: فؤاد حسن حافظ، تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم، القاهرة، 1986، ص193-194. من الجدير بالذكر هنا أنّ المصادر تستخدم مصطلحي الأناضول الشرقية، وأرمينيا الغربية بدلاً من شمال كُردستان.

35 Andre Mandelstam, Le Sort De L'Empire Ottoman, Paris, 1917, P187 -188;

- جيرارد ليبارديان، قضايا في دراسة العلاقات الأرمنية- الكُردية، مجلة دراسات كردية، العدد(3-7)، باريس، 1992، ص12.

36. مارتن فان بروينسن، الآغا...، ج1، ص288-321 وص346-395؛ سعدي عثمان هروتي، المصدر السابق، ص20-30.

37. James Creagh, Op. Cit. P.67-68..1

38. جليلي جليل، من تاريخ الامارات...، ص23.

39. Justin McCarthy and others, The Armenian Rebellion at Van, Salt Lake City, 2006, P.11.

40. للتفاصيل عن التركيب العشائري الكُردي في المنطقة، ينظر: جليلي جليل، من تاريخ الامارات...، ص23-32.

41. H.F.B.Lynch, The Armenian Question I- In Russia, in: The Armenian Massacres 1894-1896 British Media Testimony, Edited and with an Introduction by: Arman J. Kirakossian, Foreword by: Lord Shannon, University of Michigan-Dearborn, 2008, P.111.

42. نقلاً عن مؤلفه: المصدر السابق، ص125-126.

43. يناقش مارتن فان بروينسن نسيج المجتمع الكُردي في العصر الحديث، ويعود بأصول العديد من العشائر والطوائف الكُردية، خصوصاً في منطقة أرارات، إلى أصول ارمنية أو تركمانية أو عربية، وهو في نظرته تلك يجرد الكُرد من العديد من الأسس البشرية التي شكلت هذه القومية في العصر الحديث، ومن هؤلاء الكُرد الذين يرجعهم بروينسن إلى أصول غير كردية، وبالتحديد إلى أصول ارمنية، هم كُرد درسيم المتعصبون لقوميتهم الكُردية، الذين قاموا بعشرات الحركات والانتفاضات ضد الدولة العثمانية والجمهورية التركية الحديثة، لعل أشهرها حركة قوجكيري في عام 1920-1921، وحركة درسيم عام 1937-1938، ولا يستند مارتن فان بروينسن إلى أي أدلة تاريخية دامغة، يمكن للباحث الركون اليها، وإنما فقط يعتمد على بعض الملاحظات التي دونها المستشرقون أو الضباط الأجانب، الذين زاروا كُردستان خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ليستنتج منها وبأسلوبه الرائع نظرياته تلك. ينظر: مارتن فان بروينسن، الآغا...، ج1، ص242-279؛ مارتن فان بروينسن، طرق الكُرد إلى بناء الأمة، في: فالح عبد الجبار وآخرون، المصدر السابق، ص25-75.
44. باسيلي نيكيتين، المصدر السابق، ص121-122.
45. ينظر مؤلفه: عادات و رسوماتنامەئى ئەكرادیە، فەكوهاستن: رشيد فندي، دهوك، 2006، ل183-184.
46. سيأتي الحديث اكثر تفصيلاً عن الكريف في المبحث الثالث من الفصل الثالث.
47. صالح زهرالدين، الأرمن شعب وقضية، بيروت، 1988، ص38-40.
48. نقلاً عن: جليلي جليل، من تاريخ الامارات...، ص122.
49. رحلة المستر جيمس برانت إلى المنطقة الكُردية عام 1838، ترجمة: حسين احمد الجاف، بغداد، 1989، ص156.
50. للمزيد عن التغلغل الأجنبي في كُردستان في القرن التاسع عشر، ينظر: ن.أ.خالفين، المصدر السابق، ص27 وما بعدها.
51. ينظر، مؤلفه: المصدر السابق، ص161.
52. نقلاً عن: جليلي جليل، من تاريخ الامارات...، ص35.
53. وهي العشيرة التي تنتمي اليها العائلة الأميرية في بتليس.
54. ينظر، مؤلفه: المصدر السابق، ص400.
55. Garo Sasuni, A.G.E. S 73-74.
56. A.E., S. 47.

57. هو ارمني عاش في كُردستان ما بين أواخر القرن السادس عشر حتى منتصف القرن السابع عشر.

58. Garo Sasuni, A.G.E, S.36-38.

59. ينظر: A.E-

60. لقد أشار أوليا جلبي إلى هذا التقدم في الإمارات الكُردية اثناء رحلته. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص113-189.

61. للتفاصيل عن هؤلاء الأدباء والشعراء الكُرد، ينظر: توماس بوا، تاريخ الأكراد، ترجمة: محمد تيسير خان، دمشق، 2001، ص166-170؛ مارف خەزنەدار، مێژووی ئەدەبی کوردی، بەرگی دووەم؛ سەدەکانی چواردەم ـ هەژدەم، هەولێر، 2002، ل39-40.

62. Kendal, The Kurds under the Ottoman Empire, in: A.R.Ghassemlou and Others, *People Without a Country*, Translated by: Michael Pallis, London, 1980, P.23-24.

63. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص118 و121.

64. المصدر نفسه، ص242.

65. الخوري اسحق ارملة السرياني، أخبار سفر المونسنيور فرنسيس بيكيت إلى بلاد أرمينيا والعجم 1681 - 1684، كتبها السيد اثناسيوس سفر العطار السرياني أسقف ماردين، مجلة المشرق، بيروت، السنة الثانية والثلاثون، كانون الثاني/ يناير - اذار/ مارس 1934، ص130.

66. سعد بشير اسكندر، المصدر السابق، ص127.

67. يذكر جيمس برانت أن مرافق ابن الامير البتليسي كان ارمنياً عندما زار هذه الإمارة عام 1838. ينظر رحلته: المصدر السابق، ص94.

68. Garo Sasuni, A.G.E., S. 38-39.

69. A.E., S. 38.

70. خاليت مرادوفيج جتويف، من تاريخ العلاقات الروسية- الكُردية، في: موضوعات من الكُردولوجيا السوفياتية، ترجمة: اسماعيل حصاف، اربيل، 2008، ص8-9.

71. Garo Sasuni, A.G.E., S. 53-54.

72. خاليت مرادوفيج جتويف، المصدر السابق، ص9-10.

73. للمزيد عن هذه السياسة ينظر: سعدي عثمان هروتي، المصدر السابق، ص94-102.

74. جان شرف، أزمة الأقليات في السلطنة العثمانية: الحالة الأرمنية، في: مجموعة باحثين، الأقليات والقوميات في السلطنة العثمانية بعد 1516، لبنان، 2001، ص142.

75. Garo Sasuni, A.G.E., S. 39.

76. جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص16.

77. جستن مكارثي، الطرد والإبادة، مصير المسلمين العثمانيين 1821- 1922، ترجمة: فريد الغزي، دمشق، 2005، ص51-53.

78. سيأتي الحديث عن هذه الحرب وتأثيرها على علاقة الكُرد بالأرمن ضمن هذا المبحث.

79. ن.أ.خالفين، المصدر السابق، ص31-32.

80. Les Armeniens Et La Question Arménienne, Conférence Fait Par M. Anatole Leroy-Beaulieu, Paris, 1886, P14.

81. محمد رفعت الإمام، الأرمن في مصر 1896- 1961، القاهرة، 2003، ص26.

82. يوسف ابراهيم الجهماني، تركيا والأرمن، دمشق، 2000، ص16-17.

83. محمد رفعت الأمام، المصدر السابق، ص26.

84. إن قراءة وصول هذه الإرساليات التبشيرية إلى كُردستان، ودعوة هؤلاء المبشرين للمسيحيين المحليين إلى تغيير مذاهبهم، والأعمال التي رافقت تلك العملية، يأخذ بالقارئ فعلاً إلى أجواء العصور الوسطى، عندما كانت المسيحية في بداية انتشارها. ينظر:

-Walter B. Harris, An Unbiased View of the Armenian Question in: The Armenian Massacres...,P. 281.

- وينظر كذلك: رواية لشاهد عياني نشرها الأب لويس شيخو، الكثكلة في ماردين، مجلة المشرق، العدد (8)، بيروت، آب/ أغسطس 1909، ص589-604؛ انكه لهارد، تاريخ الإصلاحات والتنظيمات في الدولة العثمانية، ترجمة: محمود علي عامر، دمشق، 2008، ص208-213.

85. ن.أ.خالفين، المصدر السابق، ص69.

86. ينظر: محمد امين زكي بك، خلاصة تاريخ الكُرد وكُردستان من أقدم العصور التاريخية، ترجمة وتعليق: محمد علي عوني، القاهرة، 2009، ص232-233؛ صلاح هروري، إمارة بوتان في عهد الأمير بدرخان 1821- 1847: دراسة تاريخية

سياسية، اربيل، 2000، ص110-129. قال جيرارد جالديان .عن بدرخان بك والمبشرين في الإمارة أثناء الهجوم العثماني: «وبما أنه [أي بدرخان بك] كان من المؤمنين بحرية الأديان، فقد عامل المسيحيين واليهود معاملة حسنة...وبطلب من السلطان، مارس المبشرون الانكليز والأميركان نفوذهم على المسيحيين، فرفضوا مقاتلة جيوش السلطان...». ينظر مؤلفه: المأساة الكُردية، ترجمة: عبد السلام النقشبندي، اربيل، 2007، ص49.

87. نقلاً عن: مارتن فان بروينسن، الآغا...، ج2، ص486-487.
88. نقلاً عن: م.س.لازاريف، المسألة الكُردية 1891-1917، ترجمة: اكبر احمد، السليمانية، 2001، ص55.
89. سعد بشير اسكندر، المصدر السابق، ص21-22.
90. A.O.Sarkissian, History Of The Arménian Question To 1885, The University Of Illinois Press, Urbana, 1938, P.30;

- مالكولم ياب، نشوء الشرق الأدنى الحديث 1792- 1923، ترجمة: خالد الجبيلي، سوريا، 1998، ص69.

91. بول اميل، المصدر السابق، ص39؛ محمد الملا احمد، المصدر السابق، ص107-108.
92. جان شرف، المصدر السابق، ص143.
93. Avyarov, Osmanli-Rus ve Iran Savaşlar'inda Kurtler 1801-1900, Osmanlicadan Tercüme eden: Muhammed(Hoko) Varli(Xani), Basim yili, Ankara, 1995, S.28.
94. ب.ی. ئەفیریانوف، کورد لە جەنگی روسیا لەگەڵ ئێران و تورکیادا، وەرگێران: ئەفراسیاو هەورامی، سلێمانی، 2004، ل58.
95. جستن مكارثي، المصدر السابق، ص57. يبحث جستن مكارثي أوضاع القوقاز والأناضول الشرقية -كُردستان تركيا- على أنها منطقة واحدة، فما كان يحدث في القوقاز من حروب ومعارك فإنها كانت تلقي بظلالها على الأناضول الشرقية.
96. عثمان علي، الحركة الكوردية...، ص16. يورد عثمان علي برقية لباسكيفيتش، يظهر فيها مدى أهمية العامل الكُردي في تقدم القوات الروسية في عمق الأراضي العثمانية. والبرقية تعود إلى تشرين الأول/ أكتوبر من العام 1829 جاء فيها: «إذا لم نستطع أنْ نكسب ود الكُرد، فإن كل مكاسبنا في المعارك الجارية ستتعرض للخطر، لأن هذا الشعب الشجاع يملك خيرة مقاتلي الشرق، وأنه بإمكانهم أنْ يقطعوا

خطوط اتصال قواتنا الخلفية، ويمكن أن يهاجمونا من جميع الجهات، وإلحاق أفدح الخسائر بقواتنا». ينظر: المصدر نفسه.

97. م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص47.

98. Avyarov, A.G.E., S. 43-44.

99. Christopher J. Walker, Armenia: The Survival of a Nation, second edition, n. p, 2005, P. 54;

- كرسام اهارونيان، القضية الأرمنية أمام الرأي العام العربي، بيروت، 1965، ص15.

100. نقلاً عن: خاليت مرادوفيج جتويف، المصدر السابق، ص15.

101. Avyarov, A.G.E, S. 36.

102. A.E, S. 29.

103 Hagop Şahbazyan, Kurt-Ermeni Tarihi, Ermenice_den Çeviren: Ferit M.Yuksel, Ikinci Basim, Ankara, 2005, S.48.

104. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص25.

105. Hagop Şahbazyan, A.G.E., S. 48.

106.Christopher J. Walker, op. cit., P. 54; Petite encyclopedie du genocide arménien, 285-Armeniens et Kurdes, Via at:(www.denisdonikian.blog.lemonde.fr).

107. توفي عثمان باشا في استانبول عام 1848 اثر إصابته بمرض الكوليرا، وعين رشيد باشا خلفاً له.

108. للتفاصيل عن هذه الحملات العسكرية العثمانية على كُردستان ينظر: ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص89-97؛ كاميران عبد الصمد احمد الدوسكي، كُردستان العثمانية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، دهوك، 2002، ص130- 149.

109. للتفاصيل عن تلك الأمثلة التي أوردها برانت ينظر مؤلفه: المصدر السابق، الصفحات (10-11، 22، 32، 47، 92).

110.Giuseppe Campanile, op. cit., P. 45 and P. 56.

111. مؤرخ ودبلوماسي بريطاني من أصل ارمني.

112. مارتن فان بروينسن، الآغا...، ج1، ص389؛ صلاح هروري، المصدر السابق، ص90.

113. نقلاً عن: محمد خليل أمير، المصدر السابق، ص16.

114. سعد بشير اسكندر، المصدر السابق، ص306.

115. Garabet K. Moumdjian, Armenian Kurdish Relations in the Era of Kurdish National Movements (1830-1930).Via at: (www. armenianhistory.com-Nyuter-HISTORY-GMoumdjian-kurd_2. htm).

116. محمد امين زكي بك، المصدر السابق، ص232؛ صلاح هروري، المصدر السابق، ص74-97.

117. Hagop Şahbazyan, A.G.E, S.70; Garabet K. Moumdjian, Op. Cit.

118 .Garo Sasuni, A.G.E., S.67.

119. جليلي جليل، من تاريخ الإمارات...، ص121.

120 Hagop Şahbazyan, A.G.E., S. 70

121 .A.E., S. 65-71;

- جليلي جليل، من تاريخ الإمارات... ص121-123.

122. Kendal, Op.Cit, P. 29.

123. سعد بشير اسكندر، المصدر السابق، ص329.

124. Garo Sasuni, A.G.E., S. 71.

125. Hagop Şahbazyan, A.G.E., S. 71.

126. Garo Sasuni, A.G.E., S.75.

127. ينظر مثلاً: ريتشارد ج.هوفانيسيان، المسألة الأرمنية 1878- 1923، في: نخبة من الباحثين والعلماء، جريمة الصمت: جريمة إبادة الجنس الأرمني، ترجمة: هوري عزازيان، اللاذقية، 1995، ص31؛ محمد رفعت الإمام، المصدر السابق، ص25.

128. سعد بشير اسكندر، المصدر السابق، ص425-426.

129. Hagop Şahbazyan, A.G.E., S. 66.

130. Garo Sasuni, A.G.E., S. 76.

131. ينظر النص الكامل لهذه الرسالة في الملحق رقم (1). من المهم القول هنا: إن السلطان عبد المجيد الأول قد منح وساماً سمي بـ(وسام كُردستان)، للقادة العثمانيين الذين كان لهم دور في الانتصار على جيش الامير بدرخان. ينظر: مالميسانز، بدرخانيو جزيرة بوتان ومحاضر اجتماعات الجمعية العائلية البدرخانية، ترجمة: شكور مصطفى، اربيل، 1998، ص59-63.

132. وجدت الدولة العثمانية نفسها متأخرة مقارنة بأوروبا، التي اجتاحت معظم أجزائها الغربية نهضة حضارية متميزة، لذلك عمدت الدولة العثمانية، مرة تحت ضغط داخلي، وأخرى تحت ضغط خارجي إلى إصلاح نفسها، ووضعها في مصاف الدول الأوروبية الغربية آنذاك، وسميت الحقبة الزمنية منذ أواخر القرن الثامن عشر إلى العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر بعهد الإصلاحات في الدولة العثمانية، ومن أبرز لوائح الإصلاح التي أصدرتها كان خط شريف كولخانة عام 1839، وخط شريف همايون عام 1856 في عهد السلطان عبد المجيد (1839-1861)، إلا أنهما لم تأتيا بنتائج ملموسة لإنقاذ الدولة العثمانية من وضعها المتردي. للتفاصيل ينظر: محمود رئيف افندي، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، تقديم وتحقيق: خالد زيادة، لبنان، د.ت، ص25 وما بعدها؛ انكه لهارد، المصدر السابق، ص21 وما بعدها.

133. Hagop Şahbazyan, A.G.E., S. 66-69.

134. بخصوص التاريخ الكُردي المدون فإن مما يؤسف له أن الكُرد لم يدونوا تاريخهم مثل الأمم الأخرى، ففي العصر الحديث، لا تقع عين الباحث إلا على كتاب الشرفنامة للأمير شرفخان البتليسي الذي انتهى من تأليفه عام 1596، وليس هناك ما يستحق الذكر بعد ذلك، حتى بداية القرن العشرين. ينظر: هوكَر طاهر توفيق، الالفباء الكُردية بالحروف العربية والحروف اللاتينية نشؤوها وتطورها، دهوك، 2005، ص17-22.

135. يورد كارو ساسوني رواية طريفة عن سبب احترام الكُرد للكنيسة الأرمنية، نقلها من مصادر ارمنية قديمة، وهي: أنه قام في أحد الأيام جماعة من الكُرد الأشقياء بالدخول إلى أحد الأديرة في جبال كُردستان ونهبوا ممتلكاته وألحقوا الضرر به وبالمتزهدين فيه، بعد ذلك أصاب مرض عضال حيوانات القرية التي كانوا ينتمون اليها، وعند البحث والتحقيق توصل وجهاء القرية الكُردية بأن سبب البلاء والمرض الذي أصاب حيواناتهم، هو بسبب هؤلاء الأشقياء الذين هجموا على الدير الأرمني، الذي هو مكان مقدس عند الله، لذلك أجبر الأشقياء على الاعتراف بجريمتهم وإعادة الأشياء المنهوبة إلى الدير، واعتذروا من كبير رجال الدين في الدير وطلبوا منه العفو. ومنذ تلك اللحظة والكُرد ينظرون إلى الدير ورجال الدين المسيحي على أنهم مقدسون ولهم كامل الاحترام. ينظر:

- Garo sasuni, A.G.E, S. 38.

136. Sami Önal, Sadettin Paşa'nin Alnilari: Ermeni-Kurt Olaylari (Van, 1896), Istambul, 2003, S.147.

137. محمد خليل أمير، المصدر السابق، ص15-16.

138. نقلاً عن: خاليت مرادوفيج جتويف، المصدر السابق، ص20. للمزيد عن مقالة أبوفيان عن الكُرد ينظر، كذلك: ن.أ.خالفين، المصدر السابق، ص25؛ ب.ليرخ، دراسات حول الكُرد الإيرانيين وأسلافهم الكلدانيين الشماليين، ترجمة: عبدي حاجي، دهوك، 2008، ص33.

139. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص114-115.

140. M. Kalman, Bati-Ermenistan (Kurt Ilişkileri) Ve Jenosid, Istambul,1994, S.59; Garo Sasuni, A.G.E., S.58-59.

141. يذكر ارشاك سافراستيان أن محمود خان كان يلقب محلياً بـ(أمير-آغا- الكُرد والأرمن). ينظر مؤلفه: الكُرد وكُردستان، ترجمة: احمد محمود الخليل، دمشق، 2008، ص153.

142. Hagop Şahbazyan, A.G.E., S. 67-68.

143. M. Kalman, A.G.E., S. 29.

144. نقلاً عن: م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص70.

145. وديع جويده، ثورة الشيخ عبيد الله النهري، في: جرجيس فتح الله، مبحثان على هامش ثورة الشيخ عبيد الله النهري، ط2، اربيل، 2001، ص17.

146. حميد بوز ارسلان، العصبية والسياسة الكُردية من منظور اجتماعي-اقتصادي، في: فالح عبد الجبار وآخرون، المصدر السابق، ص219-221.

147. مالكولم ياب، المصدر السابق، ص 146.

148. صنفت الأراضي وفق هذا القانون إلى خمسة أنواع: 1- الأراضي المملوكة. 2- الأراضي الأميرية. 3- الأراضي الموقوفة (الوقف). 4- الأراضي المتروكة. 5- الأرض الموات. إنّ هذا القانون منع من أن يضع أي شخص يده على قرية بأكملها. ولكن قانون منع امتلاك شخص واحد لقرية بكليتها، لم يكن يؤخذ بنظر الاعتبار ولم يطبق أساساً، إلا أنّ رؤساء العشائر والبكوات كانوا يسجلون القرى بأسمائهم عن طريق الرشى وشهادة الزور من قبل عدد من الشهود. وابتغاء تنفيذ هذه العمليات الرسمية بشكل مؤثر، كجمع الضرائب ذات العلاقة، كان لا بد من أن يكون ثمة قوة نافذة. وفي آخر الأمر ظهرت مجموعة من مالكي الأرض، الذين لم يكن آباؤهم يملكون هذه الأراضي من قبل. واستخدم قانون الأراضي من قبل أشخاص على

نطاق أسوأ مما كان في عهد الآباء. وكان أفضل طريق لمنع هذا الأمر هو اللجوء إلى التهديد. ينظر: إسماعيل بيشيكجي، النظام في الأناضول الشرقية: الأسس الاجتماعية- الاقتصادية والبنى القومية، ترجمة: شكور مصطفى، ج1، اربيل، 2000، ص125؛ ز.ي.هرشلاغ، مدخل إلى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط، ترجمة: مصطفى الحسيني، بيروت، 1973، ص54-64.

149. Justin McCarthy and others , Op. Cit., P. 49-50.

150. James Ciment, The Kurds: State and Minority in Turkey-Iraq and Iran, New York, 1996, P89;

- جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص18

151. ارشاك سافراستيان، المصدر السابق، ص85؛

- Les Armeniens Et La Question Arménienne, Op. Cit., P. 17.

152. خيري ارصوي وايصون قاماجي، تاريخ الشراكسة (الأباضية)، ترجمة: فؤاد احمد كامل، مراجعة: الصفصافي احمد مرسي، القاهرة، 2006، ص116.

153. Edwin Munsell Bliss, *Turkey And The Armenian Atrocities*, New York, 1896, P.100.

154. جستن مكارثي، المصدر السابق، ص66.

155. المصدر نفسه، ص76. هناك مثل كُردي كان دارجاً حتى وقت قريب، وهو أنه اذا سُرق أحد أطفال الكُرد، فإنهم دائماً كانوا يقولون وبدون أي تحقيق: إن القوقازيين سرقوه.

156. Edwin Munsell Bliss, op. cit., p.100.

157. جستن مكارثي، المصدر السابق، ص77.

158. Edwin Munsell Bliss, op. cit., p.100-101.

159. سياسي بريطاني زار العراق وكردستان في منتصف القرن التاسع عشر، وله مؤلفات عديدة في مجال الآثار، تقلد وظائف عديدة لعل أبرزها شغله لمنصب سفير بريطانيا في استانبول بين أعوام 1877-1880، للمزيد ينظر: هنري لايارد، البحث عن نينوى، ترجمة: مخائيل عبد الله، د.م، 1998، ص9-16 وص70-71.

160. سعد بشير اسكندر، المصدر السابق، ص406-408.

161. M.Kalman, A.G.E., S. 32.

162. ينظر:

-Garo Sasuni, A.G.E., S. 85-86;

-عبد الله العلياوي، كُردستان في عهد الدولة العثمانية من سنة 1851-1914: دراسة في التاريخ السياسي، السليمانية، 2005، ص67-93.

163. للمزيد عن إرساليات التبشير في كُردستان، ينظر:

-M. Kalman, A.G.E., S. 22.

164. وديع جويده، المصدر السابق، ص17.

165. سعد بشير اسكندر، المصدر السابق، ص406.

166. ن.أ.خالفين، المصدر السابق، ص90-91.

167.Garo Sasuni, A.G.E., S. 88-89.

168. محمد رفعت الإمام، المصدر السابق، ص26.

169. جان شرف، المصدر السابق، ص147.

170. احمد فؤاد رسلان، ارمينيا: الأمة والدولة، مصر، 1997، ص50.

171. Andre Mandelstam, op. cit., p.190;

-نجلاء عدنان حسين العكيلي، المصدر السابق، ص15.

172.Garabet K. Moumdjian, op. cit.

173 نجلاء عدنان حسين العكيلي، المصدر السابق، ص15.

174. جان شرف، المصدر السابق، ص148.

175. Salhi R. Sonyel, Minorities And The Destruction Of The Ottoman Empire, Ankara, 1993, p. 209.

176. Jeremy Salt, op. cit., P.56; Garabet K. Moumdjian, op. cit.

177.Garabet K. Moumdjian, op. cit.

178.Garo Sasuni, A.G.E., S. 88.

179.A.E.,S.88-89.

180. M. Kalman, A.G.E., S. 30-32; Salahi Ramsdan Sonyel, The Ottoman Armenians: Victims Of Great Power Diplomacy, London, 1987, p. 35-37.

181.Garo Sasuni, A.G.E., S.94.

182.Justin McCarthy and others , op. cit., p. 37.

183. نقلاً عن مؤلفه: ژيدەرێ بەرێ، ل137-138.

184. نقلاً عن: ن.أ.خالفين، المصدر السابق، ص89.

185. No. 25, Consul Taylor to the Earl of Clarendon, Erzeroom, March 19, 1869, In: Bilal N. Şimşir, *British Documents On Ottoman Armenians*, Volume: I (1856-1880), Ankara, 1989, p. 54-70.

- من الجدير بالذكر هنا، أنه سيشار إلى هذا المصدر الوثائقي فيما بعد بالاختصار التالي، وهو الأحرف الأولى من اسم المعد واسم الكتاب:(B.Ş.B.D.O.A).

186. جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص58.

187. M. Malmisanij, Turkiye Ve Suriye'de Kürtçe Kitap Yayimciliginin Dünü ve Bugünü, Istambul, 2006, S. 33-35.

188. Ramazan ÇALIK, Alman Kaynaklarina Gore II. Abdulhamid Döneminde Ermeni Olaylari, Ankara, 2000, S.161;Garo Sasuni, A.G.E., S. 85-86.

الفصل الثاني

موقف الكُرد من المسألة الأرمنية حتى اندلاع الأزمة الأولى 1877 ـ 1894

أولاً ـ الكُرد ونشوء المسألة الأرمنية 1877 ـ 1878.

أ ـ الكُرد والأرمن خلال الحرب الروسية ـ العثمانية.

ب ـ معاهدتا سان ستيفانو وبرلين.

ثانياً ـ الإصلاحات الأرمنية الأولى 1878 ـ 1881.

ثالثاً ـ الكُرد وتطورات المسألة الأرمنية في ثمانينيات القرن التاسع عشر.

أ ـ انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري والأرمن.

ب ـ ظهور الأحزاب الأرمنية.

ج ـ التقارب التركي الكُردي وقضية موسى بك الموتكي.

رابعاً ـ تشكيل الفرسان الحميدية والمخاوف الأرمنية 1891 ـ 1894.

أولاً ـ الكُرد ونشوء المسألة الأرمنية 1877- 1878

أ ـ الكُرد والأرمن خلال الحرب الروسية ـ العثمانية

اندلعت الحرب الروسية العثمانية إثر أزمة البلقان 1875[1]، وقد أدت تطورات تلك الأزمة إلى إعلان روسيا القيصرية الحرب على الدولة العثمانية في 24 نيسان/ ابريل 1877، وقامت باكتساح أراضيها على جبهتين، جبهة في البلقان، أو كما كانت تسمى بـ(تركيا الأوروبية)، وجبهة ثانية في القوقاز على حدود كُردستان الشمالية[2]. لم يصمد الجيش العثماني طويلاً في جبهة شمال كُردستان أمام زحف الجيش الروسي الأكثر عدداً وعدة، والأحسن تنظيماً، ففي تشرين الأول/ أكتوبر1877 سحق الروس جيش أحمد مختار باشا، القائد العام للجيش العثماني في جبهة كُردستان، والذي شرفه السلطان عبد الحميد الثاني(1876ـ 1909) بلقب الغازي. بعد ذلك، سحق الروس جيشه حول مدينة أرضروم، وفي تشرين الثاني/ نوفمبر من العام نفسه، سقط حُصْنا (حافظ باشا) و(قره طاغ)، وكانا بمثابة مفتاح مدينة قارص وتلاهما سقوط المدينة، وتم أسر (17000) عسكري عثماني بينهم (800) ضابط، والاستيلاء على(300) مدفع وكميات هائلة من المؤن، كما سقط (2500) قتيل من العثمانيين[3]، وسقطت أرضروم في 31 كانون الثاني/ يناير 1878، وهكذا هزمت القوات العثمانية على نحو كامل في الشرق مع بداية عام 1878[4]، وما أن اقتربت الجيوش الروسية من استانبول العاصمة حتى سارعت الدولة العثمانية بطلب عقد

هدنة، وتحت ضغوط الدول الأوروبية، وعلى رأسها بريطانيا اضطرت روسيا إلى القبول بوضع نهاية للحرب، بعقد هدنة أدرنة بين الطرفين في 31 كانون الثاني/ يناير 1878[5].

بخصوص الموقفين الكُردي والأرمني من هذه الحرب فقد كان لكل منهما نظرته المختلفة عن الآخر، حول دعم الجيوش الروسية، أو الوقوف بجانب الدولة العثمانية.

ففي الجانب الكُردي نرى موقفين مختلفين من الحرب، مثَّل الموقف الأول أغلب الكُرد السنة بقيادة الشيوخ الدينيين هناك[6]، وقد كان الكُرد دائماً قبل حرب 1877 يصطفون مع الروس ضد القوات العثمانية، أو على الأقل يأخذون موقف الحياد منها، ولكن في هذه الحرب تغير موقف الكُرد بدرجة كبيرة، حيث انضموا إلى جانب القوات العثمانية؛ فبمجرد إعلان السلطان عبد الحميد الثاني فرماناً خاصاً بـ: «الجهاد المقدس ضد روسيا»، حتى سارع فائق باشا إلى تنظيم فرقة (وان)، التي كانت غالبية أفرادها من الكُرد، وكانت المهمة الأساسية لهذه الفرقة هي غزو متصرفية يريفان، وقطع خط مواصلات فرقة يريفان الروسية في حالة زحفها على أرضروم[7]، وكان من بين القادة الكُرد الذين انضموا إلى هذه الفرقة العثمانية الشيخ عبيد الله النهري، الذي تسلم قيادة القوات الكُردية غير النظامية فيها، والشيخ جلال الدين، والابن الأصغر للشيخ عبيد الله الشيخ عبد القادر[8]، وشيخ بكر من فاستفان، وفاهم أفندي، ومحمد بك جولميريكي، وشيخ تل، وابن أخيه عثمان، وهم من سيرت، وكذلك طاهر بك من وان[9]، والشيخ سعيد الحفيد من السليمانية[10].
خاضت القوات الكُردية غير النظامية عدة معارك ضد الجيش الروسي في جبهة بايزيد، إلا أنها تعرضت إلى هزيمة مذلة، واضطرت إلى الانسحاب والتقهقر إلى وان[11]، وكانت هناك خلافات شديدة بين فائق باشا قائد فرقة

وان، والشيخ عبيد الله النهري حول تزويد القوات الكُردية بالمؤن والسلاح، وعدم فاعلية هذه القوات في المعارك، مما كان له الأثر الأكبر في انهزام هذه القوات الكُردية في الحرب[12].

وعن هذا الموقف يذكر المؤرخ جليلي جليل أن إعلان تركيا الجهاد ضد الروس أجبر الشيخ عبيد الله النهري على الدخول إلى جانب العثمانيين، لكونه أكبر شخصية دينية موجودة في المنطقة[13]. ويذكر افريانوف أن هذه العائلة لم تقاتل قط، الجيوش الروسية في المنطقة، خلال حروبها ضد الدولة العثمانية إبان القرن التاسع عشر، فلم يحاربها والده ولا جدّه[14].

كما شاركت شخصيات كُردية أخرى في الحرب إلى جانب الدولة العثمانية، ولكن ضمن قواتها النظامية من أبرزهم: علي شامل بدرخان، الذي كان يقود (3000) متطوع من الكُرد، من استانبول، ويشترك برتبة قائمقام (مقدم) في الحرب، ضمن جيش عثمان باشا المدافع عن استانبول، وكذلك حسين بدرخان، الذي ما لبث أن قاد حركة كُردية في مسقط رأسه، جزيرة بوتان بعد انتهاء الحرب مباشرة[15].

أما الموقف الكُردي الآخر فتمثل بموقف الكُرد العلويين في درسيم، ففي بداية الحرب قدم هؤلاء الكُرد في درسيم مساعدة فعالة للجيش الروسي، إذ استولوا على الطريق المؤدي إلى قارص، وتوكات، وسيواس، وأرضروم، لعرقلة تقدم القوات العثمانية إلى الجبهة لبعض الوقت؛ ثم حصلوا على السلاح من القيادة الروسية، عن طريق الأرمني حاجي جرك أوغلي؛ لمحاربة الأتراك. وقد حارب الكُرد في درسيم مع الأرمن فعلاً القوات النظامية العثمانية، وكانت أغلب معاركهم ضد الجيش العثماني الرابع[16]، وقد استمرت انتفاضة كُرد درسيم حتى إلى فترة ما بعد الحرب بمدة وجيرة، تمكن بعدها الجيش العثماني من القضاء عليها[17].

وفيما يخص موقف الأرمن من الحرب الروسية العثمانية فإنه قد تأرجح بين مؤيد ومساند للدولة العثمانية، في مواجهة روسيا القيصرية في بداية الحرب، ومعارض ومحارب ضدها وموالٍ للجيوش الروسية بعد اكتساحها شمال كُردستان. ففي بداية الحرب أكدت البطريركية الأرمنية في استانبول، ولمرات عديدة إخلاصها للسلطان عبد الحميد الثاني، فعندما أعلنت الحكومة العثمانية في مجلس المبعوثان العثماني[18] في 25/ 4/ 1877 أن روسيا أعلنت الحرب على الدولة العثمانية فإن جميع النواب ومن بينهم تسعة نواب من الأرمن طالبوا بالإجماع بدعم السلطان العثماني ومقاومة الروس، ولم يكن أحد أكثر تحمساً من نواب الأرمن كما قيل، وأعلن النائب الأرمني من ولاية حلب مانون افندي(Manon Efendi): «نحن المسيحيين الأرمن نرغب في أن نعلن بأننا لا نحتاج إلى حماية روسيا، ونحن لا نتخلى مطلقاً عن أصدقائنا المسلمين، فلم نهجرهم سابقاً ولا نهجرهم الآن»[19]. وبينما كانت الحكومة العثمانية تتدارس المهلة الروسية قبل الحرب قال البطريرك الأرمني نرسيس(1874 ـ 1884) (Nersis): «إذا كُتِبَ لهذه الدولة العظيمة أنْ تنهار فإننا نعتبر من واجبنا أنْ نُدفن تحت أنقاضها، ومن الأفضل لنا أنْ نموت بشرف وبكرامة من أن نعيش في عار»[20].

كما عارضت الكنيسة الأرمنية في أرضروم التعاون مع القوات الروسية، عندما طلب من رئيس الأساقفة فيها أوجكيليساه (Utchkilissah) إبداء تعاونه في تموز 1877، وقد اختطفه بعد ذلك الروس، لأنه رفض دعوة مجموعة من الأرمن للتمرد ضد السلطان، كما أُحرقت كنيسته، وأتلفت الوثائق والكتب الدينية فيها. وأكد بطريرك الأرمن العام في استانبول نرسيس للسفير البريطاني لايارد أن هذا العمل قد زاد من عزم الأرمن على عدم الانضمام إلى الروس، أو حتى التعاطف معهم[21]. وفي رسالة من لايارد إلى وزير خارجيته

ديربي(Derby)، بتاريخ 24/ 8/ 1877، قال فيها بأن: «صاحب الجلالة السلطان قد استقبل السيد نرسيس البطريرك العام للأرمن في استانبول بحرارة، وبعد أن تحدث معه بأسلوب مهذب منحه السلطان وسام الدولة، المعروف بالوسام (العصمانلي) من الدرجة الأولى»[22].

كما استقبل لايارد في 27/ 8/ 1877، في مقره باستانبول البطريرك حسون (Hassoun)، بطريرك الأرمن الكاثوليك، وفي حديثهما مدح حسون كثيراً القائد العثماني مختار باشا، الذي قام بحماية الأرمن من الكُرد، في المعارك الجارية على الحدود الشرقية للدولة العثمانية؛ ثم عقب لايارد على هذا المديح بالقول: «وقد أدهشني ما ذكره لي حسون، واعتقدت بأن ذلك كان ثناءً مبالغاً فيه لمختار باشا وللفرق العسكرية النظامية، التي كانت تحت أوامره، والتي تم اتهامها بالأعمال الوحشية التي قام بها الكُرد...»[23].

وجواباً على طلب السلطان عبد الحميد الثاني فيما يخص تجنيد المسيحيين في الحرس المدني اجتمعت الجمعية العامة للملة الأرمنية برئاسة البطريرك نرسيس، في 7 كانون الأول/ ديسمبر 1877، وقررت بالإجماع نخراط الأرمن في الحرس المدني العثماني، من أجل حماية حدود البلاد من الغزو الروسي[24]، وقد اجتمع أكثر من خمسة آلاف أرمني حول نوابهم، وبعد الاجتماع صلى نرسيس من أجل الحياة الثمينة للسلطان ووزرائه، إلا أنه لم تمضِ أيام قليلة، حتى ألغت الجمعية قرارها السابق بالقتال إلى جانب الدولة العثمانية، وأكدت انحيازها إلى روسيا القيصرية، بعد اقتراب جيوشها من العاصمة استانبول نفسها[25].

استمر الأرمن في دعم العثمانيين حتى سقوط بلفنة، وقارص، وبايزيد، وأردهان، وبعض أجزاء مقاطعة أرضروم بيد الروس، هنا بدأ الأرمن بالتوجه صوب روسيا، ودعم قواتها المسلحة في شمال كُردستان، طمعاً في تأسيس دولة قومية لهم في تلك المناطق[26].

فبمجرد اكتساح القوات الروسية لأغلب أراضي شمال كُردستان انحاز الأرمن إلى الجانب الروسي، وقد انخرطوا في تلك المناطق المحتلة بالقوات الروسية، وحدثت هجرة أرمنية من المناطق الأخرى في الدولة العثمانية، وخصوصاً من الأناضول الغربية، التي لم تخضع للروس، إلى شمال كُردستان بهدف طرد الجيوش العثمانية من المنطقة كلها[27]، وكان للجنرالات الروس من الأصول الأرمنية دور كبير في التأثير على الأرمن المحليين، وكسبهم إلى جانبهم، فقد كان قائد الجيش الروسي في جبهة القوقاز من أصل أرمني، ويدعى لوريس ميلكوف (Loris Melikoff)[28] وكذلك الجنرال تيركوكاسوف (Tergukasoff)، الذي عُد من أبرز القادة الميدانيين في الحرب، فضلاً عن الضابط المشهور تارناييف (Tarnnaieff)، الذي قاد الهجوم على منطقة أزيزي في جبهة أرضروم[29]، كما لا ينسى دور كل من الميجر كامساراكان (Kamsaragan)، والجنرال لازاروف (Lazaroff) ؛ فقد تم تعين كامساراكان بمنصب رئيس الشرطة في أرضروم، خلال الاحتلال الروسي لها، وقدم مساعده الملازم نيكولوسوف (Nicolosoff) من الأصل الأرمني أيضاً دوراً كبيراً في تجنيد الأرمن في أرضروم، ضمن هذه الشرطة الحديثة، أما الجنرال لازاروف فقد عُين في منصب رئيس الشرطة في قارص[30]، كما كان أغلب عناصر شرطة الحدود الروسية، التي شكلت للحفاظ على الأمن ومراقبة الكُرد هناك من الأرمن[31].

في أثناء الحرب وقعت أحداث بين الكُرد والأرمن، أثرت بشكل كبير في مستقبل علاقاتهما بعد ذلك، واتخذ الأرمن من الاعتداءات الكُردية المزعومة سبباً تستخدمه روسيا أولاً والدول الكبرى الأخرى ثانياً وتستند إليه في الدعوة إلى تأجيج القضية القومية وتأسيس دولة أرمنية في شمال كُردستان؛ فخلال عنف المعارك اشتكى الأرمن كثيراً من هجمات الكُرد وسلبهم لأموالهم

وممتلكاتهم، وحتى قتلهم إذا لزم الأمر في أحيان أخرى. فقد رفع الأرمن شكوى ضد الكُرد إلى بطريركهم في استانبول، وكذلك إلى أغلب القنصليات الأجنبية العاملة في شمال كُردستان، وقد قُدمت معظم هذه التقارير ضد الشيخ جلال الدين، الذي كان ضمن فرقة وان العثمانية، حيث أشارت إلى أن الكُرد يتقدمهم هذا الشيخ الكُردي، قد قاموا باعتداءات كثيرة ضد السكان الأرمن، وخصوصاً على الحدود العثمانية في مدينة بايزيد، عندما كانت هذه القوات الكُردية تدافع عنها بوجه الروس الذين حاصروها، ومن ثم تمكنوا من إسقاطها وطرد الجنود العثمانيين والقوات الكُردية منها، التي فرت إلى مدينة وان[32].

وقد ورد في رسائل القنصليات البريطانية في شمال كُردستان أمر تلك الهجمات الكُردية، وقد اعتمدت السفارة البريطانية في استانبول بشكل خاص على تقارير قنصلها في أرضروم زوهراب (Zohrab)، في نقل أحداث الاعتداءات الكُردية على الأرمن أثناء الحرب، ففي 21/ 8/ 1877 ذكر القنصل تفاصيل مروعة حول أعمال قام بها الكُرد في مدينة بايزيد ضد الأرمن، من سرقة وقتل، واغتصاب وخطف نسائهم؛ ثم يقول القنصل زوهراب إن مصدره عن وقائع بايزيد هو شخص أرمني مقرب منه كثيراً، وإنه كثيراً ما اعتمد عليه في نقل الأخبار[33].

يظهر هنا بأنّ القنصل البريطاني زوهراب لم يقم بزيارة مدينة بايزيد للاطلاع على العنف الكُردي هناك، وأنه لم يَر بعينه ولو حادثة واحدة فقط من الحوادث التي أوردها في تقاريره عن الاعتداءات الكُردية على الأرمن. كما يظهر وبمتابعة وقراءة دقيقة لهذا الموضوع أن القنصل زوهراب نفسه ينتمي إلى أصول أرمنية، وكانت مصادر معلوماته عن وقائع بايزيد هي جواسيسه من الأرمن، كما يذكر ذلك هو بنفسه، وكذلك المبشرون العاملون في الإرساليات

المسيحية في بتليس ووان، حيث أكد في تقارير عديدة له بأنّ مصدر معلوماته هم هؤلاء المبشرون وخصوصاً الأميركان منهم[34].

يبدو أن تقارير القنصل زوهراب لم تكن ذا ت صدقية حتى عند سفير بلاده في استانبول، أوستن هنري لايارد، حيث قام هذا الأخير بإرسال رسام (Rassam) في شهر آب/ أغسطس 1877 إلى كُردستان، للتحقق من أمر تلك الأعمال الكُردية التي تشاع ضد الأرمن[35]، وبعد رحلة دامت نحو شهرين لم ينفِ رسام الهجمات الكُردية على السكان المسيحيين في كُردستان في تقريره المرسل إلى لايارد بتاريخ 15/ 10/ 1877، ولكنه كان أكثر دقة في إيراد معلوماته حول تلك الأعمال الكُردية، فقد ضيق أولاً: هوية هؤلاء الكُرد، أي أخرجها من معناها العمومي، حيث قال: إن الذين يرتكبون أعمال السلب والنهب هم فقط بعض العشائر الرحالة من الكُرد، ووصفهم في تقريره مرة أخرى بـ(الكُرد المتطرفين) عكس تقارير زوهراب الذي عمم تسمية الكُرد على تلك الأعمال، ولم يقم بتحديد هوية هؤلاء الكُرد، وثانياً: بيّن رسام أن هجمات تلك القبائل الكُردية لم تستهدف فقط المسيحيين، وإنما استهدفت المسيحيين والمسلمين على السواء، هذا إذا أخذنا بنظر الحُسبان أن رسام أيضاً لم يقم بزيارة مدينة بايزيد، وجميع المناطق التي طاولتها شرارة الحرب الروسية العثمانية، وإنما فقط تجول في وسط وجنوب كُردستان[36]. يمكن هنا أن نوجز أهم الأسباب التي تناولها رسام، والتي كانت وراء انتشار عهد من الفوضى في كُردستان، وحقيقة الادعاءات حول الهجمات الكُردية على الأرمن.

1 ـ يقول رسام: «إن ضعف السلطات المحلية، وفساد جباة الضرائب في تلك المناطق كان السبب الرئيس للمشاكل الحالية».

2 ـ بعض القبائل الكُردية الخارجة عن القانون، وتهاون السلطات بخصوصها، وأنهم يأخذون ما يريدون.

3 - فساد الشرطة المحلية، ومشاركتهم في عمليات السرقة، والسلب، والنهب. يقول رسام: «وقد ذكر لي عدد من المسلمين، أن قسماً من الضبطية والشركس كانوا معروفين بأنهم قطاع طرق، ويشاركون في عمليات النهب، عندما تسنح لهم الفرصة بذلك، وقد استغلوا مهنتهم وهي نقل المُؤن إلى الجيش للتغطية على أعمالهم، ومن المعروف أن رواتب الشرطة كانت قليلة جداً، وأنه من المستحيل عليهم أن يعيشوا اعتماداً عليها؛ ولذلك كانوا ينتهزون أية فرصة لارتكاب عمليات النهب».

4ـ فساد المجالس المحلية التي تضم الأرمن والمسلمين.

5ـ ظروف الحرب الروسية العثمانية[37].

إن ما يميز تقرير رسام هو أنه بيَّن أن هجمات القبائل الكُردية الرحالة لم تكن موجهةً ضد طائفة، أو دين، أو عنصر محدد، بل إن هذه الهجمات موجهة في أغلبها ضد السكان الضعفاء في المنطقة، ومن الطبيعي، كما يقول إن المسيحيين يمثلون هؤلاء الضعفاء، في حين لم ينفِ الهجمات على المسلمين والكُرد أنفسهم، وأنهم كذلك ضحايا تلك الظروف، يقول رسام: «ولا أريد أن أحذف من الذكر بأن المسلمين عانوا كثيراً مثلما عانى المسيحيون من عمليات النهب التي قام بها الكُرد...وعندما كنت في ديار بكر تم قتل ثلاثة من الشيوخ المسلمين من قبل سراقهم»، وأن المتمردين قتلوا في حادثة واحدة فقط كما يقول رسام حوالى (45) كُرديا في ديار بكر[38].

كما لا ينفي رسام وفي عدة مرات بأنه هو والسلطات المحلية في كُردستان لم يتمكنوا من التحقيق بخصوص حوادث كثيرة، نظراً للمبالغة فيها،

حيث قال مثلاً: «ومن دون شك هنالك بعض المسيحيين، الذين يبالغون وفي بعض الشواهد يميلون إلى خلق قصص، وذلك لكسب التعاطف»[39].

وفضلاً عن تقارير القنصليات البريطانية في كُردستان كان لبعض الرحالة والصحفيين الأجانب دورهم في نقل ما سمعوه عن الانتهاكات الكُردية إلى أوروبا، وكان لمؤلفاتهم أثر كبير في تشويه سمعة الكُرد، وإظهارهم بمظهر مخيف ومتوحش في أوروبا، ويأتي على رأس هؤلاء الأجانب الذين واكبوا الحرب الروسية العثمانية، مراسل جريدة التايمز الإنكليزية جي.بي. نورمان (G.B.Norman)، وقد ذكر في كتابه المعنون بـ: (Armenia and the Campaign OF 1877) عشرات الأعمال الكُردية ضد الأرمن خصوصاً في بايزيد، واتهم الشيخ جلال الدين بأنه كان أقساهم في تلك الهجمات، ولكن وبنظرة فاحصة إلى هذا الكتاب يظهر أن صاحبه لم يزر أيضاً بنفسه مدينة بايزيد إلا بعد انتهاء العمليات العسكرية فيها، وأنه اعتمد في جمع معلوماته على تقارير رجال الدين الأرمن، والبعثات التبشيرية المسيحية هناك، وكذلك على بعض ما شاهده أثناء الحرب. يقول نورمان حول مصادر معلوماته هذه: «..وهذه حقيقة واقعية أنقلها ليس كشاهد فقط، وإنما ما ورد في التقارير، التي تم إرسالها من قبل البعثات التبشيرية الأميركية، في أرمينيا الذين يستلمون يومياً شكاوى من المجموعات المسيحية، حول الاضطهاد والأعمال الشنيعة، التي يعانون منها، على يد الكُرد الذين أطلقت الحكومة العثمانية العنان لهم في بلاد الأناضول»[40].

وبمقارنة معظم التقارير والرحلات التي تحدثت عن دور الكُرد في حرب 1877ـ1878 وهجماتهم المزعومة على الأرمن، يظهر أن مؤلف كتاب (Armenians Koords and Turks) جيمس كراج (James Creagh) كان هو الأكثر حيادية في تناول الدور الكُردي في تلك الحرب، فإنه، أي: جيمس

كراج كان في المنطقة الكُردية عند اندلاع الحرب، وتجول في كُردستان، وقابل الكُرد والأرمن، وزار قراهم، واطلع على أحوالهم عن قرب، رغم أنه أكد في الوقت نفسه على كونه قد اعتمد إلى جانب ذلك على تقارير البعثات التبشيرية الأميركية في وان وبتليس، عندما كان يتحدث عن الهجمات الكُردية على الأرمن خلال الحرب. يقول كراج: «وأخبرتنا تقارير القناصل التابعين للبعثات الأميركية المقيمة في هذه الأماكن وتقارير الرحالة...أخبرونا بقصص لا نهاية لها، حول عنف الكُرد واضطهاد الأرمن...»[41].

وبعد أن يتطرق كراج إلى بعض الأمثلة من اعتداءات الكُرد على الأرمن يقارن ذلك مع ما رآه أثناء رحلته تلك من الكُرد، ويذكر أنه لا يصدق تلك الأعمال، إلا إذا كان وراءها دافع من الانتقام، خصوصاً من الأرمن الذين تعاونوا مع بطرسبرغ خلال الحرب، وأصبحوا عملاء لها في المنطقة، وهذا ربما يفسر الغضب الكُردي على المسيحيين[42]. ويصف كراج الكُرد بالوصف الآتي، هذا الوصف تشكل عنده أثناء الحرب: «خلال عدة أيام قمت برحلة في الأراضي المرتفعة بين قارص وبايزيد، وقد نِمْتُ في عدة مخيمات للكُرد، وهنا لا بد من أن أذكر: الاحترام، والانتباه، والاهتمام، الذي لاقيته حيث إن معاملتهم كانت مليئة بالاحترام، وهكذا فإنهم يمدون أيديهم وبضيافة كريمة جداً، ولا أجد أي واحد منهم أَلْحَق بيَّ أذى، وخلال مدة اكتسبت سمعة طيبة، إذا كان الكُرد يتمتعون بمثل هذه الصفات فإنه من المؤكد يتحلون بسمات نبيلة وحسنة، حيث إنهم يحترمون احتراماً عميقاً شيوخهم بالوراثة، وكذلك مفاهيمهم الدينية، فقد كانوا يوصون في واجباتهم الدينية احترام جيرانهم، ويتمتعون بنظام عسكري صارم، وهكذا نجد أنه خلال سنوات قليلة طرأ تغير كبير على هذا الشعب، فبدأت تظهر عندهم صفات عديدة منها: النظام، والانتظام، والفضيلة، بعد أن كانوا يعدون أناساً متوحشين. إن هذه الصفات

الوحشية والبربرية وغيرها أصبحت من الماضي»[43]؛ ثم يتحدث كراج في موضع آخر عن (كذب) العديد من الناس في رواياتهم عن مصيبتهم في الحرب، فيذكر أنه قد وجد الكثير من المعلومات التي سمعها متضاربة، لذلك فإنه وقبل قبول أي رأي وعدّه صحيحاً كان من الضروري تقديم الدليل على ذلك، حيث إن جميع الناس تقريباً هم من (الكذابين) ـ كما يقول ـ وسوف لا يترددون في إرباك مستمعهم، وذلك بإنكار الحقيقة الواقعية، ويضرب مثالاً على ذلك، بقوله: «فإن الناس البسطاء في ـ زيديخان- (Zedikhan) [قرية أرمنية] مقتنعون بأنّ الكُردي إسماعيل حقي باشا ـ والي كُردستان ـ قد اشترى رؤوس المسيحيين، كما لو أنه اشترى البيض... وعلى الرغم من أن الحقيقة التي كان يكررها لي كربيت [مترجمه الأرمني] بأنّ هذا القائد كان على بعد مئة ميل من منطقة الاضطرابات، فإن ذلك لا يمكن مناقشته، وأنّ هنالك الكثير من الذي نسب إليه»[44]، وفي سرده لأحداث تلك الحرب يتهم كراج الروس والأتراك على أنهم هم المسؤولون عن العديد من هذه الأحداث، وأن الأرمن كثيراً ما اشتكوا على الجنود الأتراك، وأنهم قاموا بقتل الأرمن المدنيين في الحرب[45].

إن الرابط المشترك في معلومات كل من القناصل البريطانيين والرحالة الأجانب الذين قاموا بنقل معلومات عن هذه الحرب، والاعتداءات الكُردية على الأرمن، هم هؤلاء المبشرون الأميركان العاملون في الإرساليات التبشيرية المسيحية في وان وبتليس، ولا يمكن القول بأنّ بعضاً من هذه الاعتداءات لم تحصل خصوصاً في معركة بايزيد، ولكن إلقاء الذنب كله على الكُرد، وأنهم هاجموا فقط الأرمن في هذه الحرب يعد انحرافاً عن الحقيقة، وهي أن هجمات العشائر الكُردية، إن حدثت فإنها كانت ضد الجميع دون استثناء، وليست فقط ضد طائفة معينة، كما قال الأرمن بأنها موجهة لهم

بالتحديد. وأكد رسام هذا القول، والشيء الآخر المؤكد كما بينه رسام وكراج هو: المبالغة الواضحة والكبيرة في هذه الروايات، التي تتحدث عن الاضطهاد الكُردي للأرمن، حتى أن كراج نفسه لم يكن يصدقها، لأنه كما قال اختلط بالكُرد وعاشرهم في بايزيد وقارص، ولم يكونوا هكذا بل إنه وجد أن العديد من هؤلاء الكُرد مذعورون، ويمتلكهم خوف شديد من ويلات الحرب[46]، ومن جانب آخر يجب إلقاء اللوم كله على الروس والأتراك، لأنهم هم الذين تسبّبوا بقيام الحرب في كُردستان في أرض ليست للروس وليست للأتراك، ومن السذاجة القول بأن الأرمن هم وحدهم فقط من تضرروا في هذه الحرب، في بايزيد أو في أي مكان آخر التي كانت حتى بالأمس القريب مركزاً أو تابعاً لإمارة كُردية.

وفضلاً عن هذا كله لا تختلف الرواية العثمانية التركية عن الرواية الأجنبية الغربية في اتهام الكُرد في تلك الاعتداءات، فيذكر المؤرخ التركي موسى شاشماز (Musa şaşmaz) الذي اعتمد على الوثائق العثمانية بأن الجنود الكُرد غير النظاميين في الجيش العثماني قاموا بقتل المسلمين والمسيحيين والعزل في تلك المنطقة، وكما ذكر الأرمن البروتستانت ـ كما يقول ـ فإن المسلمين من أهالي بايزيد قد حاولوا حماية المسيحيين من غضب الكُرد وثورتهم، وبالنتيجة فإن بعض المسلمين أنفسهم كانوا من بين الضحايا. وعند مغادرة القوات الكُردية غير النظامية بايزيد قصد المسيحيون وبمرافقة المسلمين معسكر فائق باشا، وقد تم الاعتناء بهم، وأخيراً أرسل فائق باشا بعض القوات لملاحقتهم، وقد تمكنت من تدمير ثكناتهم وقتل ستة وثلاثين منهم، أما البقية فإنهم قد جردوا من أسلحتهم، وأرسلوا إلى بيوتهم وقراهم[47].

من الغريب في هذا الأمر أن الروايات الثلاث الأرمنية والغربية والتركية تتفق على أن أحد أهم المشاكل الأساسية في حرب عام 1877 ـ 1878 كان

سببه الكُرد، وليس غيرهم، ويظهر أنه حتى في تلك اللحظة، أي لحظة الهجوم الروسي على بايزيد، كان الأرمن والأتراك متفقين نوعاً ما، على أن عدوهم الأساسي بعد الروس طبعاً هم الكُرد مثيرو الاضطراب والشغب في المنطقة.

إن أهداف الرواية الأرمنية واضحة، وهي أنهم كانوا أبداً ودائماً خلال القرن التاسع عشر يبحثون عن كل فرصة لتأسيس كيان قومي لهم، وقد واتتهم الفرصة في الحرب الروسية العثمانية؛ لذا لم يألوا جُهداً، لعمل كل ما من شأنه لجذب أنظار القوى العظمى إليهم، وقد تمثل ذلك باتهام الكُرد وليس الأتراك، على أنهم كانوا السبب في تعرضهم للضغط والاضطهاد، كما سيتبين هذا الأمر في بنود معاهدتي سان ستيفانو وبرلين. أما الرواية التركية، والتي تعتمد على الوثائق العثمانية وبعض الاستنتاجات المعاصرة، المتحيزة بطبيعة الحال للأتراك، فإنها تلقي باللوم في نهب وسرقة المسيحيين الأرمن على الكُرد، وذلك لتبرئة الأتراك من أية مسؤولية عن سبب ظهور المسألة الأرمنية، في أعقاب انتهاء حرب 1877 مباشرة، والرواية التركية ضعيفة من حيث الأساس؛ لأنهم هم من كانوا يحكمون شمال كُردستان، وهم الذين كانوا السبب الأساسي في تدهور الأوضاع الأمنية فيها، بعد القضاء على الإمارات الكُردية، وعدم تمكنهم من ملء الفراغ، الذي تركه زوال تلك الإمارات، ومن ناحية أخرى تورد الوثائق العثمانية، كما ذكرها موسى شاشماز: «إن الكُرد هاجموا بايزيد، وإن مسلميها وأرمنها، دافعوا عن المدينة من هجماتهم»[48]. ترى ما هي جنسية هؤلاء المسلمين المدافعين عن المدينة؟ فقد أوردتها المصادر التركية على أنهم مسلمون فقط، ولماذا يستبعد احتمال أن هؤلاء المسلمين كانوا كُرداً في الأساس؟ خصوصاً إذا ما علمنا أن بايزيد كانت مركزاً لإحدى أهم الإمارات الكُردية، حتى منتصف القرن التاسع عشر، ولذلك يبدو أن المدافعين عنها كانوا من الكُرد، وأن هؤلاء المسلمين في معظمهم كانوا

كُرداً؛ ومن جهة أخرى، لماذا يذكر دائماً جنس القوم المهاجم والسارق، والناهب، والقاتل؟ ودائماً هم هؤلاء الكُرد، ولا يذكر جنس المعتدى عليهم إلا بصفتهم أرمناً أو مسلمين؟!

وبخصوص الجنود الكُرد غير النظاميين في الجيش العثماني فقد كان السبب الأساسي في سلوكهم هذا هو إهمال الدولة العثمانية لهم، وعدم تجهيزهم بالمتطلبات اللازمة، فالروح القتالية للمحاربين الكُرد كانت معدومة، وكانت الطاعة مفقودة فيما بينهم تقريباً، فالفرسان الكُرد كانوا قليلي الطاعة لرؤسائهم، ولم ينفذوا قطّ أوامر الضباط الأتراك، ويعود سبب هذا الموقف على وجه التحقيق إلى أن القيادة التركية تركت المحاربين الكُرد: «ليقوموا بتموين أنفسهم بأنفسهم»، دون أن تكلف نفسها بإعطائهم أية ذخيرة، ولم يظهر الكُرد بالرغم من وجودهم في صفوف الجيش العثماني أية رغبة في القتال لمصلحة الإمبراطورية العثمانية، التي كانوا يرونها السبب في مشاكلهم، وترك قسم كبير منهم الجيش ببساطة حاملين معهم البنادق من نوع مارتيني الإنكليزية وكذلك الذخائر[49].

كذلك يجب أن لا نغفل أن هذه الأعمال حدثت أثناء الحرب، وأنّ المنطقة كلها دخلت في مرحلة عدم الاستقرار، فهناك مثال جيد للوضع في جميع أنحاء شمال كُردستان نجده في منطقة مديات في أثناء الحرب وبعدها، وصفه القنصل البريطاني في أرضروم هنري تروتر(H. Trotter) مباشرة بعد الحرب، بحسب القنصل: كانت منطقة مديات مقسمة إلى معسكرات مسلحة متنوعة، دافعت كل قرية عن نفسها، بما في ذلك القرى المسيحية، لم يكن أحد آمناً بعيداً عن قريته، كان المسيحيون والمسلمون على السواء مسلحين؛ للدفاع عن أنفسهم، أشار تروتر إلى قرية (تلرمن) الأرمنية على نحو خاص، قرية ـ مؤلفة من مئة منزل تقريباً وتقع في سهل جنوبي غربي ماردين ـ وصفت القرية

بأنها (مسلحة جيداً، وتصمد وحدها بين جيرانها العرب والكُرد والشركس)، كانت قرى الكُرد المستوطنين مماثلة تماماً، بكلمة أخرى (مسلحة جيداً وقد صمدت وحدها) وطبعاً، فإن حالة التأهب المتواصلة للحرب أدت إلى معارك بين المسلم والمسلم، وبين المسلم والمسيحي. وفي معرض دفاعهم عن الحاجة إلى تسليح أنفسهم أعلن الآغوات الكُرد لإحدى القرى: «كانت قوة الشرطة المكلفة بحماية المنطقة تتألف من أربعة رجال، وهو عدد غير كاف على نحو واضح ومضحك، كونهم يسيرون بمحاذاة إقليم حلب، وهم على احتكاك بالعرب والكُرد والشركس»[50].

وقد عبر عن المزاج العام للسكان فلاح من قرية واقعة بين كوبري قيم وزيوينز، في كُردستان إيران الواقعة على الحدود الإيرانية العثمانية؛ ففي مناقشات مع أحد مراسلي الروس، الذي كان عائداً من ميدان الحرب إلى قارص التي سلمها الأتراك، سأل هذا الفلاح الذي كان مهتماً فيما إذا كان السلم سيعود قريباً: «يعني أن الحرب شيء سيء؟ سأله المراسل:

ـ أوه، ياما ياما جاء عثمان [القائد العام للقوات العثمانية في الحرب] وأخذ حمزة، وأخذ الجميع والخيول والمال، وجاء الروس فأخذوا الشعير وأخذوا الحنطة، فماذا يمكن عمله.

ـ نعم لكن الروس يدفعون مبلغاً كبيراً لقاء الشعير...

ـ ما قيمة الفلوس؟ لِمَ الفلوسُ؟ الشعير ضروري! القطعان تريد الأكلَ.. الله الله ثم حاد إلى جانب، هازاً رأسه باستياء»[51].

لذلك من الخطأ الظن أن الأرمن، كانوا الأهداف الوحيدة للكُرد خلال الحرب، ولم يَكُن الكُرد انتقائيين إلى هذه الدرجة في اختيار ضحاياهم[52]، وقد وصف كراتان كيري (Grattan Geary) الذي سافر إلى شمال كُردستان عام 1878 الكُرد بـ: «أنهم لطيفون وناس أشداء، ولديهم ملامح مميزة، حيث

إن تعبيرهم يدل على الشر، أما نظرتهم فإنها نظرة ماكرة، ولكن ليس من السهل معرفة هذا العرق الجبلي، الذي لم يركع لأية عبودية، ويتصفون عادة بالخداع والقسوة»، وخلال رحلته وجد المستر كيري أنّ القرى المسيحية والإسلامية قد نهبت من قبل الجبليين الكُرد[53].

وقد أورد الرائد تروتر صورة واضحة للتعايش المشترك للطوائف، التي كانت تسكن شمال كُردستان قبل الحرب، وماذا حدث أثناءها؛ ففي 5 كانون الثاني/ يناير 1879 زار إحدى القرى الأرمنية حيث قال: «توقفت عدة دقائق في قرية مادراك في منطقة جبقجور (Chabakachur) وإذْ تجمهر حولي عدد من الأرمن، واشتكوا من المعاملة السيئة لهم من الكُرد، القاطنين في المناطق المجاورة، واعترفوا بأن علاقات جيدة كانت تربطهم مع الكُرد الموجودين في قريتهم، وكان الإمام الكُردي يقف دائماً بجانبهم، وبجانب رجل الدين الأرمني، الذي كان دائماً يتحدث باسمهم، ومن دون شك فإن المسيحيين والكُرد على السواء كانوا يعانون كثيراً من العصابات الكُردية المتمردة في المناطق الجبلية المجاورة، ولكن هنالك العديد من القرى، التي عانى سكانها الأرمن من الاضطهاد العنيف، الذي يقوم به الآغوات من الكُرد، الذين يعدون أنفسهم السادة الإقطاعيين على الأرض، وعلى كل حال فإن الأرمن كانوا حريصين على حماية أنفسهم من أي عنف خارجي»[54].

يصف هاكوب شاهبازيان أن كثيراً ما التجأ الكُرد إلى السلب والنهب، لكي يحققوا ما نسميه الآن (العدالة الاجتماعية)؛ فإن الكُردي الذي كان يتمرد على الدولة ويصبح شقياً ينظر إلى الكُرد والترك والأرمن نظرة واحدة، ولا يفرق بينهم على أساس العرق، أو الدين، والمذاهب، التي ليست بذات أهمية كبيرة عنده، وأنّ ما يسلبه الكُردي يبيعه على الحدود، ثم يقوم بإرسال ثمنه إلى القرية الكُردية والأرمنية، لكي توزع هذه الأموال على الشباب، الذين

يعانون ضائقة مادية، وخصوصاً في مسألة الزواج، أما أموال المسروقات التي كانوا يحصلون عليها جراء هجماتهم على الكنائس، ومصادرة الأشياء الثمينة فيها، فيرسلون ثمنها إلى البيوت الفقيرة المعدمة، ليشتروا بتلك النقود الحنطة والذرة. وللتأكد من أن المبالغ المرسلة وصلت إلى أصحابها كانوا يحضرون مراسم الزواج التي كانت تقام في الكنيسة، التي استعادت زينتها مجدداً، وكانوا يشاهدون آثار السعادة على وجوه الذين كانوا يتضورون جوعاً، وقبل ربع قرن من هذا الزمان ـ أي في منتصف ثمانينيات القرن التاسع عشر ـ كان المدعو حمزو يتجول كشقي في مناطق كارتي، ووان، وبتليس[55].

وعلى هذا الأساس فإن الأدلة عن حقيقة الأوضاع في هذه المرحلة ضعيفة، ولا تكفي لإثبات الدعوى أن الكُرد فضلوا مهاجمة المسيحيين على المسلمين، مع كون هذا الأمر واضحاً في أنهم فضلوا اللقاطة من الغني عليها من الفقير، وفضلوا أن يهاجموا الضعيف، ربما يفسر الغنى التقريبي للمجتمع الأرمني، لماذا بدا الأرمن أنهم كثيراً ما كانوا أهدافاً لحماية الأرمن من الكُرد فحسب، كما يجب ألا يظن المرء أن الكُرد هم وحدهم، الذين اشتركوا في السرقات والفوضى المدنية، فقد نقل القنصل البريطاني في طرابزون بيليوتي (Biliotti)، في رحلة تحرٍّ عام 1879، أن الهجمات الأرمنية على المسلمين ليست مجهولة[56]، وكانت الجالية الأرمنية في زيتون معروفة بغاراتها على نحو خاص[57].

في المقابل عندما بدأ الانحدار العثماني في شمال كُردستان خضعت المنطقة برمتها لاحتلال الروس، الذين اعتمدوا على الأرمن بشكل كبير لإدارة هذه المنطقة، الذين استغلوا هذه الفرصة، للانتقام من الكُرد ومن سكانها المسلمين عامة، وقد انتفض سكان مدينة قارص سريعاً ضد الإدارة المحلية في كانون الأول/ ديسمبر 1878، التي كانت قد وضعتها القوات الروسية بعد احتلالها لقارص[58].

وعند دخول القوات الروسية إلى بايزيد ألقت القبض على مجموعة من الكُرد، يقدرهم نورمان بثلاثين فرداً، وقد مثلوا أمام محكمة عرفية حكمت بالإعدام حتى الموت على عشرين شخصاً منهم، وكان من بين هؤلاء الكُرد: أيوب آغا بن جعفر آغا، رئيس عشيرة (زيلان) الكُردية، التي كانت تسكن الضفة اليسرى من نهر أراس[59].

وعند احتلالها أردهان قتلت القوات الروسية عدداً كبيراً من الأهالي، تحدثت البرقيات الروسية عن (800) جثة تركية[60] على الأرض في المدينة، وعوملت أردميش بطريقة مماثلة، كما نهبت القرى خارج أردهان، وحين استولى الروس على أرضروم استغل أرمن المدينة الحكم المسيحي للإساءة إلى المسلمين والكُرد؛ أدرك الروس ذلك، وبذلوا جهداً في أن يعاقبوا الأرمن المذنبين. وحقيقة أن قائد قوة شرطة أرضروم، الذي عينه الروس كان أرمينياً، لا بد من أنها سببت خشية معينة عند الكُرد والمسلمين. كتب القنصل البريطاني في طرابزون أن (6000) أسرة مسلمة فرت من أرضروم مع نهاية صيف عام 1878، وأنه إذا بقي الروس فسوف يفر المسلمون المتبقون أيضاً، وعلق السفير لايارد: «كما أنه ليس هناك شك في أن الأرمن استفادوا من الحماية التي تلقوها، حين احتل الروس أرضروم، ليتحرشوا بالسكان المحمديين، ويعاملوهم بقسوة ويهينوهم، فإنه ليس من المألوف أن [لا] يلجأ المسلمون إلى الثأر لأنفسهم بعد رحيل حماتهم»، وبالتالي كان هناك من الأسباب ما يكفي للظن بأن مسلمي أرضروم سيثأرون حينما عادت المدينة إلى العثمانيين بعد معاهدة السلام، وقد قدرت المصادر العثمانية أن (60000) من الكُرد كانوا قد فروا إلى عمق الأراضي العثمانية نحو الغرب أثناء الحرب[61].

كما أثبت التحقيق الذي قام به اللورد سالسبوري (Salisbury) ، وزير خارجية بريطانيا أن هجمات الكُرد أثناء الحرب لم تكن منظمة وموجهة ضد

الأرمن فقط، عكس الأعمال الأرمنية عند احتلال الروس لشمال كُردستان حيث أثبتت أن الأعمال الأرمنية كانت أكثر دقة وتنظيماً، وفي أغلبها كانت ضد الكُرد[62].

يظهر في هذه الحرب، أن الكُرد والأرمن حارب بعضهم بعضاً لأول مرة كمجموعات كبيرة، فقد ترك الأرمن انحيازهم المعروف للدولة العثمانية منذ القدم، وولوا وجوههم صوب الإمبراطورية الروسية، التي عقدوا عليها الآمال لتأسيس دولة لهم في شمال كُردستان[63]؛ وتعد هذه الحرب الخطوة الأولى في التقارب الكُردي التركي، هذا إذا ما عُلم أن الكُرد والأتراك لم يكونوا قطّ مقربين من بعضهم؛ يقول كراج: «ولأشهر طويلة، ولربما لسنوات أعلن الرؤساء الكُرد حالة حرب مفتوحة ضد الباشاوات الأتراك»[64]؛ لذا فإن موقف الأرمن هذا قد أجبر الكُرد على الانحياز إلى الأتراك بعد ذلك، لتوقعهم بأنّ روسيا ستفضل الأرمن على الكُرد، إذا ما وقعت كُردستان تحت السيطرة الروسية، كما فعلت في القوقاز باعتمادها على العناصر المسيحية هناك، وقد أثبتت وقائع الحرب بعد الاحتلال الروسي لشمال كُردستان صواب وبُعد نظرة الكُرد إلى الأمور المحيطة بهم.

ب ـ معاهدتا سان ستيفانو وبرلين 1878

انتهت الحرب الروسية العثمانية، بعقد هدنة أدرنة في 31 كانون الثاني/ يناير 1878؛ ثم أجرى الطرفان مفاوضات سرية تكللت بعقد معاهدة عرفت بـ: سان ستيفانو (San Stefano) وقعا عليها في 3 آذار/ مارس 1878، وقد حرص الأرمن عن طريق بطريركهم في استانبول نرسيس، الذي زار القائد الأعلى للجيش الروسي في سان ستيفانو الدوق نيقولا، وأرسل عريضة إلى القيصر الروسي الاسكندر الثاني نفسه في 13/ 2/ 1878، على كسب التعاطف

الروسي لتحقيق الهدف الأرمني، بإقامة دولة لهم في الأناضول[65]، ولكن أقصى ما أعطاه قيصر روسيا للأرمن هو إدراج مادة خاصة بهم، في معاهدة سان ستيفانو، هي المادة السادسة عشرة، وقد تضمنت حقوق الأرمن في الدولة العثمانية[66]، وهكذا ظهرت المسألة الأرمنية كجزء لا يتجزأ من المسألة الشرقية[67].

بموجب بنود معاهدة سان ستيفانو احتفظت روسيا بمناطق: باطوم، واردهان، وقارص، والاشكيرد، بحسب (المادة 19 ب)، وقد تقرر ألا تجلو القوات الروسية عن سائر الأراضي المحتلة في شمال كُردستان، إلا بعد تنفيذ الإصلاحات المنصوص عليها في المادة السادسة عشرة، ونصها يقول: «بما أن جلاء القوات الروسية عن المقاطعات التي تحتلها في (أرمينيا)، والتي ستعاد إلى تركيا، قد يؤدي إلى نشوب نزاعات وتعقيدات تضر بالعلاقات الطيبة القائمة بين الدولتين، لذلك يتعهد الباب العالي، دونما تأخير، بإجراء التحسينات والإصلاحات، التي تقتضيها الظروف المحلية في المقاطعات التي يقطنها الأرمن، وبضمان سلامتهم من خطر اعتداءات الشراكسة والكُرد»[68].

لكن ردة فعل الدول الغربية على انتصارات روسيا سرعان ما بددت الأمل الروسي في السيطرة على هذه المناطق، عن طريق المادة السادسة عشرة، فكادت أن تدخل بريطانيا في حرب ضد الروس، على خلفية إعلان نبأ معاهدة سان ستيفانو[69]، حيث أكد لايارد لحكومته مراراً بأن سيطرة روسيا على مدن ومناطق بايزيد، وباطوم، وأردهان، وأرضروم، سيعرض المصالح البريطانية في الهند إلى خطر كبير، من خلال سيطرة روسيا على الطرق البرية المؤدية إلى الهند، وسيترك الاحتلال الروسي لها أثراً سلبياً على المسلمين في آسيا الوسطى والهند، كما أن سيطرة روسيا على بعض المدن في شمال كُردستان، وعلى السواحل الجنوبية للبحر الأسود، سيعرض كل آسيا الصغرى إلى خطر

كبير، ويجعلها تحت قبضة روسيا القيصرية عند اندلاع أي حرب مستقبلية(70)، لذلك بادرت بريطانيا إلى وقف التوسع الروسي، باتجاه كُردستان وقلب الأناضول، باستخدام جميع السبل لمنع مثل هذا التوسع(71)، ولكن دخول بسمارك (Bismark) مستشار ألمانيا (1871 ـ 1889) على الخط، وتمكنه من إقناع الطرفين بعقد مؤتمر دولي لحل هذه الإشكالية، حال دون تلك الحرب، وبالفعل عقد من أجل ذلك مؤتمر في برلين، بحضور الدولة العثمانية وأغلب الدول الأوروبية الكبرى وهي: (ألمانيا، وبريطانيا، وفرنسا، وايطاليا، وروسيا، والنمسا ـ هنغاريا)(72)، وفيه تمَّ إدراج مادة بخصوص الأرمن، وضرورة القيام بإصلاحات في المناطق التي يقطنونها في الدولة العثمانية(73).

إنّ وضع المادة (16) في سان ستيفانو قد أعطى الأرمن تشجيعاً كبيراً، خصوصاً عندما سمعوا بأنّ بنود سان ستيفانو، ستعاد مناقشتها في مؤتمر برلين، ولهذا قاموا بدعاية كبيرة لإقناع الدول الأوروبية، وعلى رأسها بريطانيا أن تتبنى قضيتهم، وأن يضعوها على مستوى قضية مسيحيي البلقان، وقد هدد البطريرك الأرمني نرسيس السفير البريطاني في الدولة العثمانية هنري لايارد في 17 آذار/ مارس 1878، بأن الأرمن سيضعون أنفسهم بأيدي الروس، إذا لم يحصلوا على ما طلبوه من خلال تدخل أوروبا، وقد أيد نرسيس نفسه علناً انفصال (أرمينيا) عن الإمبراطورية العثمانية، ووجه رسالة بهذا المعنى إلى بسمارك وزعماء آخرين، وأخبر السفير البريطاني لايارد بمخططه، لكن هذا الأخير أخبره بأن في أرمينيا أكثرية سكانية ساحقة من المسلمين، لكن نرسيس طمأنه بأن المسلمين سيكونون سعداء إذا حكمهم الأرمن(74).

في الوقت الذي كان البطريرك نرسيس يلح على لايارد وسالسبوري، ليقوما بخطوة جريئة في دعم الأرمن، بدأ بحملة في العواصم الأوروبية، ليحرك المتعاطفين مع الأرمن، لكي يؤثروا في مقررات مؤتمر برلين، ولذا

قرر أن يرسل وفداً مؤلفاً من البطريرك الأرمني خرميان هايرك، وهورين ناربي (Horen Narby)، ومنيز سيراز (Minez Ceraz)، واستفان بابازيان (Istephan Papazian) مترجماً، وكتب إلى العواصم الأوروبية، وزار الوفد سانت بطرسبورغ، وروما، وباريس، ولندن، وبرلين، واستُقبِلوا رسمياً في جميع هذه العواصم، وتم الاستماع إليهم، وأخذوا وعوداً في دعم قضيتهم في المؤتمر المزمع عقده في برلين، وكان الوفد الأرمني في سفراته تلك إلى العواصم الأوروبية يحاول كسب الرأي العام الشعبي في تأييد قضيته[75]، ففي بريطانيا مثلاً وصل وفدهم إلى عاصمتها لندن في 9 نيسان/ ابريل 1878، وبقوا فيها حتى قبل أيام قليلة من عقد مؤتمر برلين[76]، قاموا خلالها بكتابة المقالات في الصحف البريطانية، وحاضروا في أماكن عديدة، ليبينوا معاناة هذا الشعب في الدولة العثمانية، وما يلاقيه من معاملة سيئة على يد الشركس والكُرد[77]، وقد تمت مناقشة المسألة الأرمنية لأول مرة في مجلس العموم البريطاني في جلسات شهر حزيران/ يونيو 1878، وكان من أبرز المساندين لقضيتهم هو عضو المجلس جيمس برايس (James Bryce). [78]

إن نظرة أولى إلى تحركات الأرمن، على الصعيد الدولي للتأثير في مقررات مؤتمر برلين، وجعل الدول الكبرى تتبنّى فيها المسألة الأرمنية، وزيارة الوفد الأرمني لأغلب العواصم الأوروبية الكبرى، واجتماعهم بالساسة الأوروبيين، وعقدهم للمؤتمرات، وقيامهم بنشر قضيتهم في الصحافة العالمية آنذاك، يمكن عدّه أكبر حملة تشهير بالشعب الكُردي في تاريخه الحديث والمعاصر، فلم يكن الكُرد قد تعرضوا لهذا النوع من التشهير، على مر تاريخهم الطويل في المنطقة، والغريب أن هذا التشهير حدث على يد الأرمن، الذين عاشوا مع الكُرد أزماناً طويلة من التاريخ، وكان من البديهي أن الوفد الأرمني في زياراته تلك لم يهاجم المسؤولين الأتراك أو الدولة

العثمانية، بقدر مهاجمته للكُرد ووصفهم بأنهم بعيدون عن كل ما يمت إلى الإنسانية بصلة، بدليل ما ورد في نص المادة الواحدة والستين، من معاهدة برلين ـ التي سيأتي الحديث عنها لاحقاً ـ من أن الإصلاحات الأرمنية في شمال كُردستان، أو (أرمينيا الغربية) استندت إلى أساس الخوف من الكُرد والشركس، وليس إلى أي شيء آخر، وبالتالي كان الأرمن بمثابة البوابة، التي عرّفت الكُرد للعالم المتحضر في أوروبا، لذلك فإن الساسة الأوروبيين كانوا يحكمون مسبقاً على تصرفات الكُرد، في أية قضية بعد ذلك حتى ما بعد الحرب العالمية الأولى، على أنهم من أهم عناصر الشغب والقلق في المنطقة.

ومن المفيد قبل الدخول في تفاصيل مشروع الأرمن الذي قُدِّم إلى مؤتمر برلين، القول هنا إن بريطانيا قد عقدت معاهدتين سريتين مع كل من روسيا والدولة العثمانية، حيث سمحت بريطانيا لروسيا في المعاهدة التي وقعت بينهما في 30/ 5/ 1878، بأن تحتفظ بمدن باطوم، وأردهان، وبايزيد، على أن تنسحب من الأراضي المحتلة الأخرى[79]، ومن جانب آخر وقعت معاهدة سرية مع الدولة العثمانية في 4/ 6/ 1878، سميت بمعاهدة قبرص أو (الحلف الدفاعي بين بريطانيا والدولة العثمانية)، تعهدت فيها بريطانيا بالدفاع عسكرياً عن الدولة العثمانية ضد أي خطر يهدد آسيا الصغرى مستقبلاً، وإجبار روسيا على الانسحاب من جميع الأراضي التي احتلتها في شمال كُردستان، بما فيها باطوم، وأردهان، وبايزيد، مقابل إعطاء الدولة العثمانية جزيرة قبرص لبريطانيا، لتقوم هي بدورها بتحويلها إلى قاعدة عسكرية تكون بمثابة الخط الدفاعي الأول ضد التوسع الروسي في المنطقة[80]؛ فقد نصت المادة الأولى من حلف الدفاع المشترك (قبرص) بـ: «إن احتفظت روسيا بباطوم وقارص وأردهان أو بأي واحدة منها، وإن جرت أية محاولة في المستقبل من قبل هذه الدولة للاستيلاء على أي مساحات أخرى في آسيا، تعود تابعيتها

لصاحب الجلالة الإمبراطورية السلطان، وبالشكل الذي تم تحديده وتثبيته في معاهدة السلام فإنّ بريطانيا تتعهد بالانضمام إلى جلالة السلطان في الدفاع عنها بقوة السلاح، وبمقابل ذلك فإن صاحب الجلالة الإمبراطورية السلطان يتعهد لبريطانيا بمباشرة الإصلاحات الضرورية التي سيتفق عليها فيما بعد بين الدولتين، ومن أجل مساعدة بريطانيا على اتخاذ التدابير الضرورية لتنفيذ تعهداتها الدفاعية فإن صاحب الجلالة الإمبراطورية السلطان يقبل أيضاً بالسماح لبريطانيا بإشغال جزيرة قبرص وإدارتها»[81]. وهذا يدل على أن القضية هنا في الأساس هي صراع دولي على مناطق النفوذ في الشرق الأوسط، وليس الاهتمام بمصالح شعوب المنطقة، فمن جهة وعدت بريطانيا الدولة العثمانية بإرجاع جميع مناطقها التي احتلتها روسيا، مقابل التخلي لها عن جزيرة قبرص، ومن جهة أخرى وافقت بريطانيا على الاحتلال الروسي لمناطق أردهان وقارص وباطوم على أن تنسحب من الأراضي الأخرى.

قدم الأرمن إلى مندوبي مؤتمر برلين، الذي عقد في 13 حزيران/ يونيو 1878، مشروعين بشأن مسألتهم في الدولة العثمانية، أو الحكم الذاتي الأرمني في شمال كُردستان، كان المشروع الأول هو الذي قدمه خرميان هايريك رئيس الوفد الأرمني إلى برلين، وكان يتكون من سبعة بنود:

في البند الأول: تناول الممثلون الخريطة السياسية لـ(أرمينيا التركية) التي تبدأ من ولايتي أرضروم ووان شرقاً لتصل إلى نهر الفرات غرباً، ومن ميناء ريزه (Rize) بين طرابزون وباطوم شمالاً، حتى سيرت وخربوط جنوباً، وبهذا أُدخلت معظم منطقة شمال كُردستان إلى هذا الكيان الأرمني، كما حدد هذا البند أيضاً وجوب أن يكون والي أو محافظ (أرمينيا التركية) (أرمنياً) يعينه الباب العالي، على شرط موافقة الدول الكبرى عليه، ويكون مقر والي أرمينيا في مدينة أرضروم. وتناول هذا البند بعد ذلك صلاحيات والي أرمينيا،

الذي يجب أن يتمتع بصلاحيات كاملة، مثل: حفظ النظام، وجمع الضرائب، وتعيين الضباط، والإداريين والقضاة، ويكون هو على رأس الجمعية العامة التي سينتخبها سكان الإقليم، وعلى أن تخصص مدة خمس سنوات لمن يشغل هذا المنصب. كما بحث هذا البند أيضاً التقسيم الإداري لـ(أرمينيا التركية) والجمعية العامة[82].

أما البند الثاني: فقد أكد أن عائدات الإقليم الأرمني المالية ستعود (80 %) منها إلى الإقليم نفسه، أما (20 %) الباقية فستقدم إلى استانبول، وذلك لأنّ جميع الالتزامات، والواجبات في الإقليم ستكون من مهمة الإدارة فيها، وليست من مهمة السلطات العثمانية. وتناول البند الثالث: مؤسسة القضاء وتعيين المشرف العام عليها من قبل حكومة استانبول، كما يحق للوالي الأرمني أيضاً تعيين قضاة حسب حاجة الإقليم[83].

وتحدث البند الرابع: عن إعطاء الحريات الدينية، وحرية المعتقد لكلّ الطوائف فيها. وتناول البند الخامس: (قوة الأمن العام) وجاء فيها: «إن قوة الأمن العام يجب أن تتشكل من الجندرمة والمتطوعين [الميليشيا]. الميليشيا يجب أن تتشكل من الأرمن، والأفراد الذين عاشوا في المنطقة لمدة خمس سنوات، ويستثنى من هذه القوات الكُرد، والشركس، والعشائر البدوية الأخرى»، وتكون الجندرمة ـ القوة العسكرية التابعة لاستانبول ـ مسؤولة عن حفظ النظام والأمن، في جميع أنحاء الإقليم الأرمني، ويجب أن يترأسهم قائد يعينه المحافظ أو الوالي العام مع موافقة قائد القوات العسكرية العثمانية. أما الجنود المتطوعون (الميليشيا) فيجب أن يكونوا تحت قيادة قائد القوة العسكرية التابعة للإقليم، ومهمتهم دعم وإسناد قوة الجندرمة، وأمّا فيما يخص قوات الشرطة فيجب أن تتكون من (4000) شرطي، وأنّ الحكومة

العثمانية ليس لها الحق في إرسال هذه القوات إلى أي من المناطق الأخرى البعيدة عن الإقليم[84].

أما البند السادس: فَخُصّص للجمعية العامة للإقليم الأرمني، ووردت فيها تفاصيل حول كيفية انتخاب هذه الجمعية، ونسبة الأرمن والمسلمين التي ستُكَون هذه الجمعية. وذكر البند السابع: أن على الدول الكبرى تشكيل لجنة دولية خلال ثلاثة أشهر من توقيع الاتفاقية لتنفيذ الإصلاحات الواردة في المقترحات الأرمنية السابقة، وأخيراً أرفق الممثلون الأرمن إحصائية لسكان الإقليم وكانت نسبة المجاميع السكانية فيها على النحو الآتي: الأرمن (1330000)، الأتراك (530000)، الكُرد (120000)، أخرى (82000)[85].

إن مجرد إيراد هذه النسب السكانية في المقترحات الأرمنية يظهر مدى الغبن الذي كان الأرمن يريدون إلحاقه بالكُرد، فقد أبعد برنامجهم الكُرد عن الإدارة والشرطة والجيش، وعن كل شيء في هذا الإقليم، الذي حاول الممثلون الأرمن رفع نسبتهم السكانية فيه مقارنة بالكُرد، وإذا كان الكُرد فعلاً هم أصحاب هذه النسبة السكانية الصغيرة جداً مقارنة بالأرمن، فكيف لهم أن يضطهدوا الأرمن بالأشكال والصور التي وصفتها شكاواهم إلى الدول الكبرى. ولم تمر إلا مدة قصير من الزمن، لا تتجاوز عدة أشهر حتى عرف القناصل والساسة البريطانيون، في شمال كُردستان والدولة العثمانية، المبالغة الكبيرة لتلك الإحصائية التي قدمتها البطريركية الأرمنية إلى مؤتمر برلين[86]. ولإلقاء الضوء على المساحة التي ضمها الممثلون الأرمن إلى إقليمهم نورد هنا مساحة كل ولاية على حدة، وإن مساحة البعض منها تساوي مساحة بعض الدول الأوروبية الصغيرة في غرب القارة الأوروبية، وقد كانت على هذه الشاكلة:

1 ـ ولاية أرضروم: (52000 كم مربع).

2 ـ ولاية وان: (37000 كم مربع).

3 ـ ولاية بتليس: (27000 كم مربع).

4 ـ ولاية دياربكر: (42100 كم مربع).

5 ـ ولاية معمورة العزيز (خربوط ـ الازيغ): (32900 كم مربع).

6 ـ ولاية سيواس: (60300 كم مربع).

المجموع: (251400 كم مربع)[87].

والمشروع الثاني هو الذي قدمه نوبار باشا (Nubar Paşa) الذي كان أحد مستشاري خديوي مصر آنذاك، وهو والد بوغوص باشا الذي مثَّل الأرمن في مؤتمر الصلح في باريس عام 1919، وكانت نصوصه تشبه في مضامينها أغلب فقرات مشروع خرميان للحكم الذاتي الأرمني، إلا أن الاختلاف بين المشروعين ينحصر في أن نوبار باشا ذكر بوجوب مشاركة الجميع في القوات التي ستتشكل لحفظ النظام والأمن في هذا الكيان الجديد، ومن ضمنهم الكُرد والشركس، باعتبارهم غالبية المسلمين هناك، ويجب أن تؤسس هذه القوات على أساس وطني، دون التفرقة بينها لاعتبارات دينية، أو عرقية[88].

إلا أن الدول الكبرى المجتمعة في برلين لم توافق على إدراج أي من المشروعين الأرمنيين ضمن بنود معاهدة برلين، التي وُقِّع عليها في 13 تموز/ يوليو 1878، بل اكتفت فقط بتخصيص بند للمسألة الأرمنية في الدولة العثمانية، وهو البند الواحد والستون، وقد نص على أن: «يتعهد الباب العالي القيام ودون إبطاء بتحقيق الإصلاحات التي تقتضيها ظروف المقاطعات المحلية، التي يقطنها الأرمن، وضمان سلامتهم ضد الشركس والكُرد، وسيقدم الباب العالي إلى الدول التي كلفت بمراقبة عملية تنفيذ هذه النصوص بيانات دورية بالخطوات التي ستنفذ بهذا الخصوص»[89].

وقد دافع المندوب العثماني (صفوت باشا) عن الأرمن في المؤتمر، ووعد الدول الكبرى بحماية الأرمن من الكُرد والشركس، وقد أظهر هذا الأخير الأتراك على أنهم القوة الثالثة إلى جانب روسيا، والدول الغربية المدافعة عن الأرمن، وأنه ليس هناك شيء ما بين الأرمن والأتراك، وأن علاقاتهم على خير ما يرام[90].

إن الفرق بين هذه المادة الجديدة (61) والمادة القديمة (16)، في سان ستيفانو يتبين من ثلاث نقاط رئيسة أولها: إن انسحاب القوات الروسية لم يعد مشروطاً بتحقيق الإصلاحات. وثانيها: إن تحقيق هذه الإصلاحات لم يعد خاضعاً للرقابة الروسية فقط، بل لمجموعة من الدول. وثالثها: هذا الفارق الأخير ليس متأتياً من نص المادة، بل من الأشغال التمهيدية في حين كانت الإصلاحات المنصوص عنها في المادة (16) من معاهدة سان ستيفانو تقتصر ـ بناء على طلب الأرمن ـ على المقاطعات التي يشكلون فيها الأكثرية ـ حسب قولهم ـ وهي موش، ووان، وأرضروم مثلاً، فإن المادة (61) من معاهدة برلين لم تتضمن أي تخصيص من هذا القبيل، ولما كان ثمة أرمن يقطنون في معظم أنحاء الأناضول فقد كان للأتراك الحق قانونياً الادعاء بأن إنجاز الإصلاحات المقترحة، من شأنه أن يهدد سيادتهم، في أهم قسم من إمبراطوريتهم[91].

لم يكن الوفد الأرمني الذي حضر إلى مؤتمر برلين سعيداً بهذه النتيجة، وخرجوا وهم يحملون أفكاراً أنهم لم يحققوا إلا الشيء القليل، وأنّ المسألة الأرمنية لم تحظَ إلا بانتباه واهتمام قليلين. كما عدّ الوفد الأرمني المادة (61) غير ملبية لتطلعاتهم القومية، وفي يوم توقيع المعاهدة ذاته، في 13 تموز/ يوليو نشروا احتجاجاً رسمياً ضد مقررات المؤتمر بخصوص مسألتهم، جاء فيه: «يعبر الوفد الأرمني عن أسفه بأنّ طلباته المشروعة والمعتدلة...لم تتم الموافقة عليها من قبل المؤتمر، وقد أدرك الأرمن بأنهم خدعوا، وأنّ حقوقهم لم يتم الاعتراف بها، لأنهم كانوا مسالمين...»[92].

ولما عاد خرميان هايريك (أبو الأرمن)، رئيس الوفد الأرمني من مؤتمر برلين قال: «لقد طبخت الحرية في برلين، ولكننا لم نتمكن من أكلها بملعقة من الورق، لا ترجوا يا أولادي أي أمل من الأجانب، ودبروا أموركم بأنفسكم»، فكان هذا القول نذيراً للثورة عند الأرمن[93]، وعندما سألت الجمعية الوطنية الأرمنية البطريرك نرسيس، عن توضيح نتائج مؤتمر برلين، وأسباب عدم الموافقة على مقترحات الوفد الأرمني؟ أجابهم ببلاغ مكتوب تمّت قراءته في مقر الجمعية في استانبول بتاريخ 21 تموز/ يوليو، وجاء فيه: «إذا لم يكن هنالك أي شيء يؤسف له حول المادة (61) من معاهدة برلين، فإنها تؤجل حل مشكلاتنا، وإنها لا تحقق آمال الشعب، ولا تعطينا أية مكافأة للمستقبل، ولكن أي شعب حصل على تطلعاته؟ دعونا نواصل عملنا الذي بدأناه، وإن هذا العمل لا يمكن إنجازه في يوم واحد، أو من قبل شخص واحد، دعونا نتهيأ للمستقبل، دعونا نذهب إلى أرمينيا، ودعونا نرسل أولئك المثقفين ورجال الدين إلى أرمينيا، لندعوا معلمينا وشبابنا للذهاب إلى أرمينيا...»[94]، كما أن نرسيس نفسه قدم استقالته من منصب البطريرك العام للأرمن، بسبب أن الأرمن، وكما قال بنفسه للسفير البريطاني لايارد، يدعونه الآن بالخائن، لأنّ الوفد الأرمني لم يستطِع إدراج المقترحات الأرمنية ضمن بنود مؤتمر برلين، ولم يرد اسم أرمينيا في المعاهدة أصلاً، إلا أن لايارد أقنعه بالعدول عن هذا الأمر وسحب استقالته[95]، وفعلاً لم يستقِل نرسيس من منصبه وبقي بطريركاً عاماً للأرمن حتى عام 1884 كما هو معروف. أما منيز سيراز الذي رافق خرميان إلى برلين، وكان له أثرٌ لا بأس به في البطريركية الأرمنية وجماعته الدينية فقد نشر كراساً بعنوان «مدح معاهدة برلين»، وكتب أن المعاهدة كانت أكثر تحقيقاً لمنافع الأرمن من معاهدة سان ستيفانو، لأنها قد وضعت أسس الدولة القومية الأرمنية المستقبلية، وأنّ الإصلاحات التي ستقدم في تركيا الآسيوية ستكون

في يوم من الأيام مؤدية إلى الحكم الذاتي الأرمني. وفي الختام قال: إن المادة (61) من معاهدة برلين هي: «منجم ذهب قد أعطي إلى الأرمن، وأن عليهم استخراج الذهب»[96]. وقال المؤرخ الأرمني بصطرمجيان في كتابه «تاريخ أرمينيا»، عن المادة الواحدة والستين بأنها تمثل: «حقاً بالنسبة إلى الأرمن، والتزاماً بالنسبة إلى تركيا، وواجباً بالنسبة إلى أوروبا»[97].

وقد شبّه عدد من الأرمن بعد ذلك الجهد الأرمني الكبير للترويج لمسألتهم، وكيفية استجابة الدول الكبرى في برلين لمطاليبهم بـ(الجبل الذي ولد فأرة)[98].

وبهذا شكلت هذه المادة والمحادثات التي أجريت في برلين مرحلة أخرى من مراحل ازدياد الهوة والفجوة بين الشعبين الكُردي والأرمني، وجعلهما في المستقبل القريب في مواجهة بعضهما بعضاً ولأول مرة في تاريخهما.

يذكر هاكوب شاهبازيان أن الانفصال العام بين الكُرد والأرمن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان سببه التفكير القومي للأرمن، وقد فهم الكُرد هذا الأمر على أنه خيانة[99]. أما عن المادة (61) فيقول شاهبازيان: «...كان الكُرد مهمشين فيها، وإن هذا التهميش أحدث تغييرات [خلافات] فيما بينهم، وعند النظر إلى هذه المادة يتبيّن أنها كانت منحازة إلى الأرمن، وكانت في الأساس لعبة دبلوماسية أوروبية، وإن هذه الدبلوماسية أدت بمرور الوقت إلى مواجهة شعب لآخر في المنطقة [أي: الشعبين الكُردي والأرمني]»[100]، كما أن أبرز ملاحظة تؤخذ على معاهدة برلين هي تصنيفها للسكان الذين يعيشون في كُردستان، فقد صنفتهم إلى صنفين، الصنف الأول: وهم الطيبون والصالحون والمساكين وهم الأرمن، أما الصنف الثاني: فهم السيئون واللصوص والمعتدون وهم الكُرد والشركس[101]؛ وكان من الأجدر

بالدول الكبرى المجتمعة في برلين بتحديد (الكُرد المعتدون) على الأرمن بشكل أدق وأعمق، وإبعاد ذلك عن صفة العمومية؛ فإنه بمجرد إيراد حمايتهم من الكُرد، وضعت الكُرد، جميعهم من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب، (الكرمانج، والسوران، واللور، والزازا)، على أنهم أشرار ومعتدون، وصنفت الأرمن على أنهم كلهم صالحون ويتعرضون لهجمات الكُرد، في حين يعلم الجميع أنه ليست هناك أمة على وجه الأرض أفرادها سيئون كلهم أو مجرمون كلهم، وليست هناك بطبيعة الحال أمة ليس بين أفرادها سيئ أو صالح؟!!

ثانياً - الإصلاحات الأرمنية الأولى 1878 - 1881

لم يبحث في مؤتمر برلين عن الخطوط العريضة والأساسية الخاصة بمرافق الحياة العامة، التي تحتاج إلى الإصلاح في المناطق التي يعيش فيها الأرمن، لذلك ترك هذا الأمر للاجتهادات العثمانية وبمشورة الدول الكبرى وعلى رأسها بريطانيا، حسب ما نص عليه بروتوكول معاهدة قبرص بين الدولة العثمانية وبريطانيا؛ لذا طلب اللورد سالسبوري وزير خارجية بريطانيا من الحكومة العثمانية المباشرة في تطبيق الإصلاحات الواردة في معاهدة برلين، وقد جاء هذا الطلب في مذكرة أرسلها إلى لايارد السفير البريطاني في استانبول في 8 آب/ أغسطس 1878 تضمنت:

1 - تشكيل جندرمة في المحافظات الآسيوية، ينظمها ويقودها الأوروبيون.

2 - إنشاء محاكم مركزية في عدد معين من المدن المهمة، تكون لها سلطة قضائية على المحاكم الدنيا، وعلى أن يكون في واحدة منها أوروبي متخصص في القانون، والذي تعد موافقته ضرورية في كل قرار.

3 - يعين السلطان جامعاً للضرائب في كل ولاية أي: يعيّن موظفاً، يقوم بحساب العوائد للمحافظة، ويقوم أيضاً بإلغاء ضريبة العشر، وتقديم خطة للبناء لمدة عشر سنوات ويجب أن يكون هذا الموظف من الأوروبيين[102].

ولكن لم يتفق العثمانيون والبريطانيون على صيغة نهائية حول نظام

الإصلاحات الأرمنية، وبقي الجدال بين الطرفين على أشده، حتى تم إهمال الإصلاحات بشكل تام بحلول عام 1881، ولم يبت في أمرها مرة أخرى إلا بعد أحداث الأزمة الأرمنية الأولى 1894 ـ 1896. وقد سارعت بريطانيا وروسيا بعد التوقيع على معاهدة برلين مباشرة إلى إرسال قناصلهما إلى كُردستان بهدف متابعة الشكاوى الأرمنية، ومدى جدية السلطات المحلية واللجان المختصة في تطوير مرافق الحياة المختلفة في المناطق التي يسكن فيها الأرمن[103].

انتشرت شائعات في شمال كُردستان تثير القلق حول اعتزام الدول الكبرى وضع الأرمن في مرتبة سياسية تعلو على مرتبة الكُرد؛ شائعات لاقت صدى واسعاً وأثارت الكثير من المخاوف، وكان لوصول قناصل عسكريين بريطانيين إلى كُردستان أن ضاعف وزاد من درجة هذا التوجس والقلق،و زادت المخاوف الكُردية من أخطار متوقعة، وقد كتب كلايتون (Clayton) نائب القنصل البريطاني في وان استناداً إلى ما أنهى إليه بعض النساطرة الأشوريين: «سرت رجة عنيفة بين الكُرد عند قدوم القناصل الأوروبيين إلى وان، وكانت ردة فعلهم من هذا الحدث مزيجاً من الاستياء والخوف، إذ لم يكونوا يعرفون ماذا خُبّئ لهم». لا سبيل للإنكار أن هناك دلائل كانت تشير إلى احتمال تحول في حالة الخوف الكُردية إلى تحديات منذرة بأسوأ العواقب، وفي هذا يذكر كلايتون: «يقول الكُرد في أنحاء موش وبتليس، للذين اعتدوا عليهم ونهبوهم: اذهبوا فاعرضوا شكواكم عن أفعالنا، إلى القناصل الأجانب»[104]، كما اعتقد الأرمن أن الانكليز سوف يقومون بدعم وإنشاء حكم أرمني في المنطقة، ولذا سادت أجواء فرح واسعة بين مختلف شرائح المجتمع الأرمني في كُردستان بوصول القناصل. فقد قال خان آزاد أحد الثوريين الأرمن في مذكراته عن تلك المدة إنّه: «لدى كل واحد منهم [أي: الأرمن] فكرة واحدة فقط مهيمنة

عليه، وقد تم دقها كما يدق المسمار، وهي: أن بلغاريا حرّرت بتدخل روسيا، لماذا لا يتم تحرير أرمينيا بمساعدة انكلترا؟»[105]، وعندما عُيّن كلايتون نائباً لقنصل بريطانيا في كُردستان استقبله سكان موش في 31 تموز/ يوليو 1879، بفرحة كبيرة، وضمن احتفالية واسعة، وقد خطب أحد رجال الدين الأرمن بهذه المناسبة قائلاً: «..إن هذا الشعب يقوم الآن بواسطتي بالترحيب بكم، والتصفيق لكم احتراماً وتقديراً، حيث إن قدومكم هو أمر ومصدر سرورنا، إن شعبنا ومنذ أمد بعيد يغرق تحت ضغوطاتٍ وكوارث واضطرابات مخيفة، ومنذ (600) عام ونحن نهذي تحت نيران الطغاة...»[106].

وقام رجال الدين الأرمن باستقبال هؤلاء القناصل وكأنهم هم أصحاب السلطة الإدارية في المناطق التي كان القناصل يزورونها، وفي بعض المرات قام رجال الدين الأرمن بإقامة حفلات لهم تقدّم خلالها عروض مسرحية ابتهاجاً بوصولهم، كما فعل رئيس الأساقفة الأرمن في وان اريمياه (Eremiah) عندما قام نائب القنصل البريطاني كلايتون مع القنصل الروسي كامسكاران بزيارة مدينة وان في بداية شهر أيار/ مايو 1880، حيث قدمت مسرحية بتلك المناسبة، وكان أحد مشاهد المسرحية كما يرويها كلايتون هو مشهد كاريكاتيري، يصور أحد الكُرد أو من الباشبوزق، يضرب القرويين الأرمن في إحدى قراهم قائلاً: (عاش السلطان)[107].

وفي خضم هذه الأحداث رفع الأرمن عشرات الشكاوى إلى القناصل البريطانيين في كُردستان، بشأن اعتداءات مزعومة عليهم من جانب الكُرد[108]، كما قام البطريرك نرسيس بعقد عدة لقاءات مع السفير البريطاني لايارد بالغ فيها كثيراً بالحديث عن الخطر الكُردي على الأرمن بعد قيام الجيوش الروسية بالانسحاب من شمال كُردستان، وقد اقترح نرسيس في لقاءه مع لايارد في 18/ 9/ 1878 مرة أخرى، بأنّ البريطانيين إذا ما أرادوا وضع حد للانتهاكات

الكُردية ضد الأرمن، وعدم إصغاء هؤلاء إلى الروس بالهجرة معهم إلى روسيا، وذلك لما تشكله من إحراج لبريطانيا، فإنّ: «..الشيء الوحيد الذي يمكن أن يمنع الأرمن من الإصغاء إلى نصيحة روسيا بالهجرة هو أن يتم تعيين حاكم أرمني كوالٍ في أرمينيا، لأن ذلك يعتبر ضمانة لبقاء الأرمن تحت حكم السلطان...»[109]. ولكن لايارد نفسه كان قد ذكر في مرات عديدة، في رسائله إلى وزير خارجيته اللورد سالسبيري بأن هناك مبالغة واضحة في الشكاوى الأرمنية ضد الكُرد[110]. وفي رسالة من لايارد إلى سالسبيري بخصوص هذا الموضوع في 19/ 9/ 1878 جاء فيها: «بعد مقابلتي للسلطان...تم إرسال أوامر صارمة باسمه إلى إسماعيل باشا [والي أرضروم] يأمره باتخاذ كل الإجراءات من أجل حماية المسيحيين الأرمن، وقد أجاب الباشا على ذلك بإعطائه كل الضمانات للباب العالي بأن يسود السلام، أما بالنسبة إلى التقارير التي أرسلت فإنها مليئة بالمبالغة، ولا أساس لها حول المجازر، وأنه قدم نفسه مسؤولاً عن سلامة المسيحيين، ولدي الأسباب التي تجعلني اقتنع بأن هنالك مخططاً يهدف إلى خديعة أوروبا، حول ما يجري في أرمينيا، وذلك لحث الأرمن وتحريضهم ضد سلطان الباب العالي»[111]. وعلى حد قول المؤرخ التركي بلال.ن. شمشير (Bilal N. Şimşir) فإن الأرمن كانوا يبحثون عن شيء يستندون إليه؛ لإقامة دولتهم فكان (الظلم الكُردي) ضالتهم في ذلك[112].

هنا لا بد من الوقوف قليلاً عند موضوع الهجرة الأرمنية من شمال كُردستان، فكثيراً ما تناولت المصادر الأرمنية والغربية هذه المسألة في القرن التاسع عشر، وأن النسبة السكانية للأرمن قلت في المنطقة نتيجة هذه الهجرة المستمرة لهؤلاء. صحيح أن الأرمن هاجروا من شمال كُردستان في القرن التاسع عشر، وكانت هجرتهم نحو الأراضي الروسية في أغلب الأحيان، ولكن كانت هجرتهم بسبب الحروب الروسية العثمانية في المنطقة، ولم يكن الكُرد

العامل المؤثر في تلك الهجرات، لأنّ الهجرة الأرمنية في الحرب الروسية العثمانية 1828 ـ 1829 والحرب الروسية العثمانية 1877 ـ 1878، كانت خوفاً من الانتقام العثماني منهم، وذلك لموالاتهم للقوات الروسية، عند احتلالها لشمال كُردستان، وكذلك كانت مخاوف الأرمن من الانتقام الكُردي منهم في حرب 1877 ـ 1878 في محلها، وذلك لقيام الأرمن بموالاة القوات الروسية أثناء الحرب، وحدوث عمليات انتقام ضد الكُرد في تلك المناطق، التي سيطرت عليها القوات الروسية، وهجرة العديد من العوائل الكُردية في بايزيد ووان والاشكيرد إلى داخل عمق الأراضي العثمانية باتجاه الغرب؛ فإذا ما كانت هناك هجرة أرمنية من المنطقة فلا يتحملها الكُرد وإن كانوا جزءاً منها، بل يتحملها الروس والأتراك والأرمن أنفسهم بموالاتهم للروس في حروبهم المستمرة طوال القرن التاسع عشر، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، لا تتطرق المصادر نفسها إلى الهجرة الكُردية من شمال كُردستان، حيث ابتدأت هجرة كُردية واسعة ولأول مرة في تاريخ الكُرد الحديث بهذا الكم إلى خارج كُردستان، وإذا ما اتجه الأرمن إلى الأراضي الروسية بحثاً عن الأمان، فإن الكُرد اتجهوا في هجرتهم إلى استانبول بحثاً عن الأمان ولقمة العيش. ويبيّن الباحث روهات الاكوم الذي قام ببحث شامل عن المناطق التي هاجر منها الكُرد أن المناطق التي هاجروا منها هي (وان، وأرضروم، وبتليس، وموش ومعمورة العزيز)، أي: من المناطق نفسها التي هاجر منها الأرمن[113].

المهم في الأمر أن الحكومة العثمانية، وبعد المشورة مع بريطانيا قررت إرسال لجنتين إلى شمال كُردستان، للتحقق من مظالم المسيحيين، وتطبيق الإصلاحات في شباط/ فبراير 1879[114]، لجنة سارت إلى: وان، وأرضروم، وبتليس، ولجنة إلى ديار بكر وحلب، على أن يكون على رأس كل منهما الأتراك والأرمن وعلى الدرجة نفسها من الصلاحيات[115]. وكانت لجنة

أرضروم برئاسة كل من المفوضين يوسف باشا، والأرمني سركيس أفندي (Serkis Efendi)[116]، ولجنة ديار بكر كانت برئاسة عابدين بك، الذي كان يُعد من رجال بريطانيا المخلصين، وكذلك الأرمني ماناس افنـــــدي (Manas Efendi).[117]

بخصوص لجنة أرضروم كان من المقرر لها أن تزور مركز الولاية وتبقى فيها لعدة أشهر، ثم تقوم بزيارة الألوية والأقضية التابعة لها مثل:خنيس، وجيغي، وملازكُرد، والاشكيرد، وبايزيد، وأرجيش، وتزور بعد ذلك وان، وبتليس، وجولميرك، و أرزنجان، وبايبورت، وكان من المخطط لها أن تنهي مهمتها قبل شتاء 1880 ـ 1881 [118].

لقد كان العثمانيون والبريطانيون متّفقين إلى حد ما على تطبيق البرنامج التالي في أرضروم، وهو: تشكيل مفوضية فرعية في أرضروم، بهدف رسم الإصلاحات وتشكيل الجندرمة الحديثة، والاستماع إلى الشكاوى ورد الحقوق، وتأسيس مجلس محلي في أرضروم يتكون عدد أعضائه من (38) عضواً، ويتوزعون على النحو الآتي: (10) منهم من الأرمن على اختلاف مذاهبهم، و(28) من المسلمين[119].

إلا أن الأرمن لم يقبلوا بتأسيس مثل هذا المجلس، وطالبوا بوجوب إبعاد الكُرد عنه لأنهم لا يدفعون الضرائب، وأن على الأرمن أن يشغلوا نصف مقاعده، وقدموا برنامجهم على النحو الآتي:

كان عنوان مشروعهم هو (مشروع الإصلاحات الأرمنية)، وكان يحمل تاريخ 19 تموز/ يوليو 1879. سيتم التركيز هنا فقط على الحقوق الكُردية التي أوردها المشروع الأرمني في أرضروم:

جاء في مقدمة المشروع عن الكُرد ما يلي «إن المسلمين المتعصبين يرون أن الضرر والأعمال السيئة هي مناسبة وملائمة للمسيحيين، وعندما يُقْبَض

عليهم يخرجون من السجن بسهولة، وبعد خروجهم يقومون بالانتقام من الشخص الذي بلَّغ عنهم، حيث إن هؤلاء السادة والزعماء يقومون باستخدام أملاك الأرمن، كما يحلو لهم، وينظرون إلى الأرمن على أنهم عبيد، أما الحكومة فلا تريد منع هذه الأمور. إن زعماء العشائر الكُردية يملكون سلطةً وحكماً مطلقاً على عشائرهم، وإن هذه الوضعية التي لا توجد في أي دولة أو مكان آخر أصبحت على شكل نظام في تلك المنطقة، يرعون أحصنتهم وماشيتهم في المكان الذي يريدونه، ويأخذون حيواناتنا بدون تردد، ويقومون بحرق منازلنا، ولا تظهر على هؤلاء أية آثار لسلطة الحكومة. في عام 1869 وبعد التدقيق في الشكاوى الأرمنية قام والي أرضروم إسماعيل باشا بتهجير ما يقارب (100) زعيم، حيث أمر السلطان بتهجير أسر هؤلاء الزعماء وأطفالهم أيضاً، وبعدما عُزِل الوالي من منصبه لم يتم تطبيق أوامر السلطان، ورجع الزعماء المهجرون إلى مناطقهم القديمة، وأظهروا كل استيائهم للأرمن، وفي عام 1875 قام أحمد مختار باشا بحبس زعماء كُرد موش في ولاية أرضروم، وبعد أن عُزِل أحمد باشا أُفْرِج عنهم، وكما حدث في أعوام 1854 ـ 1856، قام الكُرد في عامي1877 ـ 1878 أثناء الحرب العثمانية، وبحجة تقوية ومساعدة الجيش العثماني، قاموا بحرق وتدمير كل مكان دخلوا إليه، وقتلوا سكانه، وعلى الرغم من أفعال الشيخ جلال الدين، الذي قام بتدمير البيوت الأرمنية وحرقها، وأخذ النساء والفتيات إلى الجبال، لكنه لم يعاقب على هذه الأعمال[120]؛ وإن المهجرين القادمين من جلدر وقارص، الذين هم من الأتراك والكُرد والشركس، كانوا وبالاً جديداً لولايتنا، وكان سيتم إسكانهم في مناطق بانيس، وكوميش، والاشكيرد، وترجان، وهي مناطق يسكنها الأرمن؛ وفي الحرب الأخيرة قام الجيش والشركس بالتزود بجميع حاجاتهما وبالقوة، من

القرى الأرمنية وقاموا بالعديد من المظالم تحت إمرة قائدهم الذي كان يغض الطرف عن كل تلك الأعمال...»[121].

ولدى الأرمن وجهة نظرهم بخصوص الإصلاحات في أرضروم على النحو الآتي:

ـ إن ولاية أرضروم مكونة من أربعة ألوية: اللواء المركزي، ولواء أرزنجان، ولواء بايزيد، ولواء بايبورت.

ـ يجب أن يؤخذ رأي البطريرك أو القس في حالة عزل الوالي.

ـ يجب أخذ رأي البطريرك عند تعيين المتصرفين.

ـ يجب أن يكون متصرّفو بايزيد، و أرزنجان، من الأرمن.

ـ يجب تعيين قائمقام في كل من الأقضية التالية، على أن يكونوا من الأرمن: (بانيس، خنيس، كيغي، ترجان)، في مركز لواء أرضروم، (كيماه، قورجاي، قوزوجان، أوفاجيك، وملازكرت)، في لواء أرزنجان، (ديادين، قرةكليس، الشكيرد)، في لواء بايزيد، (اسبير، كوئيس كوئيم، كلكيت، سيران)، من لواء بايبورت.

ـ وبعد أن يصادق الوالي على ما مرّ يجب تعيين هؤلاء القائمقامين في مجالس إدارة الولاية، ويجب أن يتكون مجلس إدارة الولاية من ثلاثة أعضاء أتراك مسلمين، وثلاثة أعضاء من الأرمن. (لا يوجد عضو كُردي!)[122].

ـ مجلس اللواء يجب أن يتكون من عضوين أتراك مسلمين، وعضوين من الأرمن. (لا يوجد عضو كُردي فيه!).

ـ وإن أعضاء مجلس الولاية العام، الذين سيرشحهم الشعب يجب أن يكون نصفهم من الأتراك المسلمين، والنصف الآخر من الأرمن. (لا يوجد عضو كُردي!).

ـ ويجب أن تتكون محكمة استئناف الولاية المرتبطة بمعاون الوالي

من: رئيس مسلم، وستة أعضاء، ثلاثة منهم أتراك مسلمون، وثلاثة أعضاء أرمن. (هنا أيضاً لا يوجد عضو كُردي!).

ـ يجب أن تتكون محكمة البداية في الولاية من: رئيس أرمني، وستة أعضاء، ثلاثة منهم أتراك مسلمون، وثلاثة من الأرمن (لا يوجد عضو كُردي!)، ويجب أن تحوي كل الألوية محكمة بداية، على أن تشكّل كما هو مذكور فيما مرَّ.

ـ يجب أن تكون المحاكم الأولية للأقضية متكونة من: أربعة أعضاء، اثنان من الأتراك، واثنان من الأرمن، وإذا كان قائمقام القضاء أرمنياً فإن رئيس المحكمة يكون تركياً وبالعكس.

ـ وستكون في الولايات محاكم أو محكمة تجارية مرتبطة بمعاون الوالي، ويجب أن تعيّن حكومة الباب العالي رئيسها، وسيكون عدد أعضائها أربعة، اثنان منهم أتراك، واثنان منهم من الأرمن.

ـ سيتم تشكيل فرقة من الجيش (الجندرمة) في الولاية من الأشخاص الموثوق بهم لتأمين الأمن والأمان. نصف هذه الفرقة سيكون أعضاؤها من الأتراك المسلمين، والنصف الآخر من الأرمن، ويجب أن لا يكون ضمن صفوف هذه الفرقة أشخاص أو أفراد من الكُرد والشركس البرابرة، ويجب أن لا تضم هذه الفرقة أو التشكيلات الأفراد المنتسبين في الشرطة أو الجيش في هذا الوقت (1879)، ولحين إكمال تدريب ضباط الجيش يجب أن يكون الضباط في هذه التشكيلات من الذين رتبتهم هي: عقيد، ورائد، ونقيب من الأجانب، أما الضباط الأصغر رتبة فيكون نصفهم من المسلمين الأتراك، والنصف الآخر من الأرمن.

ـ يجب أن يكون الموظفون في الدوائر الحكومية...، نصفهم من المسلمين الأتراك والنصف الآخر من الأرمن.

- يجب نزع السلاح من الكُرد والشركس، ويجب منع حمل السلاح بدون ترخيص، والتجوال في المدن والقرى بشكل مسلح، وإن كانت هناك صعوبة في تطبيق هذه الفقرة فيجب السماح للأرمن بحمل السلاح، ويجب كسر الزعامة الكُردية وبشكل مطلق. وفي المناطق التي يسهل تطبيق سلطة الحكومة فيها يجب أن يترك الكُرد بكسب معيشتهم بالزراعة والحصاد حالهم كحال الأرمن، وفي بعض القرى يوجد زعماء وسادة أو ملك في كل قرية، يحكمها كما يشاء بظلم وجور، حيث إن على الدولة نزع هؤلاء الأشخاص من أماكنهم، ويجب إبعاد الأشخاص الذين يقومون بالظلم والأعمال السيئة في المدينة بشكل رسمي وغير رسمي، وتهجيرهم من ولايتنا إلى مناطق أخرى، وعدم السماح لهم بالرجوع وبشكل كلي، ويجب إسكان الكُرد، والشركس، والتركمان، المهجرين من قارص وجلدر في مناطق بعيدة، وليس في المناطق أو القرى والأقضية التي يسكنها الأرمن[123].

لم يكن القنصل البريطاني في كُردستان هنري تروتر، وكذلك السلطات العثمانية موافقين على المقترحات الأرمنية للجنة أرضروم؛ ففي رسالة من تروتر إلى لايارد بتاريخ 29/ 7/ 1879، ذكر فيها: «...لقد أكد يوسف باشا أنّ عدد الممثلين المسيحيين والمسلمين في اللجنة [البرلمان المحلي] سوف يكون بموجب نسبة مئوية، تتناسب مع العدد الكلي للمسلمين، بمن فيهم الأتراك والكُرد، والعدد الكلي للمسيحيين، ومن جهته أكد سركيس أفندي، أنّ عدداً كبيراً من الكُرد، لا يدفعون الضرائب للدولة، كما أنهم لا يساهمون في تعزيز الجند، وأنّ قسماً منهم ليس لديهم حق في التمثيل، ويجب استبعاد البدو الكُرد المتمردين أيضاً مثل سكان درسيم من الحسابات، وأنا شخصياً [يقول تروتر] أرى الموضوع كما يأتي: إذا نُفِّذت التعليمات الأصلية، وشُكِّلَت اللجنة المحلية فإن ذلك سوف يكون بمثابة برلمان محلي...وإذا

ما نظرنا إليه باعتباره برلماناً صغيراً فإن الكُرد ومن دون شك سوف يطالبون بحصتهم في التمثيل...وليس من العدالة أيضاً أن يكون هناك برلمان من الأتراك، يمكن تمييزه عن برلمان من الكُرد؛ وفي الحقيقة فإن مثل هذا التمثيل لن يكون واقعياً...»[124]، وكتب تروتر في مذكرته إلى سالسبيري الموقعة بتاريخ 8/ 8/ 1879 قائلاً: «سوف يّطلع سيادتكم على أن المبدأ الأساسي في المشروع الأرمني أن الأرمن في هذه الولاية سوف يتبوّؤن على الأقل نصف المناصب القضائية والرسمية، وأنّ طلبهم هذا يستند إلى أن الكُرد الرحل لا يحق لهم التمثيل لأي حال من الأحوال، وقد أرسلت في برقيتي السابقة السجل الرسمي للسكان من الذكور وهوكما يأتي: المسلمون (197768) غير المسلمين (55043)، ويدعي الأرمن بأنه يوجد هنالك: المسيحيون (195500)، والأتراك والشركس وغيرهم (185000)، أما الكُرد الرحل وغير الرحل (112500)، واليزيدية (3000) ـ تتضمن هذه الأرقام الذكور والإناث على السواء»؛ ثم يضيف: «لقد عقدت لجنة الإصلاح عدة جلسات، وقدم المسلمون مشروعهم للإصلاح بصورة مكتوبة، وفي الاجتماعات التالية جرت مناقشات مهمة، فإن الأرمن تحت بعض الذرائع حاولوا الابتعاد عن الاجتماعات ورفضوا مشروع المسلمين وعددهم، ولم يشاركوا في الاجتماعات المقبلة...الأرمن وضعوا أنفسهم في الطريق الخطأ...»[125].

من جانبه اعترض سركيس على نسبة المسلمين في المجلس المحلي، والذي دون شك كان سيمثل فيه الكُرد، وطلب إبعاد الكُرد جميعهم مدعياً: «أن الكُرد لم يدفعوا أي ضريبة للدولة، كما فشلوا في أن يشاركوا في تجهيز الجنود، ولذا فإن مثل هؤلاء الناس ليس لهم الحق في التمثيل»، ولكن يوسف باشا اعترض بدوره على رؤية سركيس للمسألة، وبعد استفحال الصراع بينهما تم طلب رأي الباب العالي حول هذا الأمر ـ أي أحقية الكُرد من عدمه في

التمثيل في المجلس المحلي والمشاركة في إدارة الولاية ـ فأصدر الباب العالي رأيه وأمره باعتماد رأي يوسف باشا في هذه المسألة، وضرورة إشراك الكُرد في المجلس المحلي وفي الإدارة[126].

لم تستطع لجنة أرضروم من إنجاز أي تقدم بخصوص الإصلاحات في الولاية، نتيجة التعنت الأرمني ومطالبة الأرمن بالسيطرة على أغلب مرافق الإدارة فيها، وإذا ما احتسب عدد نفوس الأرمن بشكل دقيق فإنهم كانوا وبإنصاف من الأقليات في المنطقة ـ سيأتي الحديث عن بعض الإحصائيات لاحقاً، وكذلك البطء التركي، فلا تشير الوثائق البريطانية والمصادر القريبة من الحدث عن أي تطور في المنطقة ككل. ولإلقاء نظرة سريعة على برنامج الإصلاح الأرمني يتبين أن الأرمن حاولوا الظفر بكل أراضي ولايتي أرضروم ووان، وإبعاد الكُرد عن جميع مرافق الحياة والإدارة فيها، ولكن لكثرة الكثافة السكانية الكُردية في تلك المناطق، وكذلك لعدم موافقة البريطانيين والباب العالي على اقتراحاتهم تلك فشل المشروع الأرمني هذا.

اختلف عمل لجنة الإصلاح التي أرسلت إلى دياربكر، والتي كانت برئاسة كل من عابدين باشا، والأرمني ماناس أفندي، عن عمل لجنة أرضروم، فقد اتفق كل من عابدين باشا وماناس أفندي على تفريغ المنطقة من الكُرد، وإبعاد جميع زعمائهم، حتى الذين يشتبه بأنهم قاموا بعمليات ضد الأرمن. وجاء في أول تقرير من تروتر إلى سالسبيري عن أعمال لجنة ديار بكر بتاريخ 8/ 8/ 1879 أنه: «يجد أن عمل اللجنة في أرضروم يختلف عن عمل اللجنة في دياربكر؛ حيث إن لجنة دياربكر بدأت بالعمل منذ عدة أسابيع، وقد علمت بأنه في ليلة الخامس من هذا الشهر[أي شهر آب/ أغسطس 1879] تم إبعاد 32 شيخاً من شيوخ الكُرد من ولاية ديار بكر، وتم نفيهم إلى ألبانيا، وكان على عوائلهم أن تتبعهم، ومن بين هؤلاء الشيوخ هنالك أسماء لعدة أشخاص

معروفين لسيادتكم مثل: حميد آغا في سيرت، وسلطان تيلوا في كارزان، وعثمان تيمور في مديات وآخرين، وقد علمت أيضاً بأن شيوخاً آخرين سوف يتبعونهم وهذا يؤكد إخلاص عابدين بك»[127].

تولت لجنة دياربكر إلقاء القبض على الزعماء والشيوخ الكُرد في أنحاء الولاية، ونفيهم حتى بدون محاكمة، بمجرد أن يقدم أحد من الأرمن شكوى ضدهم، وفي بعض الأحيان كانت الحادثة لا تتعدى أن تكون مشكلة بسيطة جداً؛ ففي برقية متصلة بهذا الشأن من تروتر إلى سالسبيري بتاريخ 15/ 8/ 1879، ذكر فيها أنه استلم برقية من نائبه في ديار بكر بوياجيان (Boyajian) يعود تاريخها إلى 14 آب/ أغسطس، قال فيها هذا الأخير إنه تم نفي (23) من الشيوخ الكُرد المشهورين من المنطقة، وهذا يجعل عدد الشيوخ الذين نُفوا من ولاية دياربكر (43) زعيماً حتى الآن؛ ثم أضاف تروتر: «ومن الطبيعي فإن عملية إبعاد الشيوخ من ولاية دياربكر سوف تؤدي إلى وجود مشاعر الاحتقان لدى شيوخ وان وولاية الموصل، والتي من الممكن أن تؤدي إلى تمرد، لأنهم لا يريدون أن يلقوا مصيراً مرعباً، إذ إنّ التمرد العام في كُردستان في الوقت الحاضر ربما يسبب انفجار الوضع في تركيا، وأشار بوياجيان [يقول تروتر] بأنه سينظر في أمر احتمال مصادرة عقارات أولئك الذين تم إبعادهم»؛ ثم يكمل تروتر حديثه لسالسبيري حول هذه المسألة بالقول: «وعلى الرغم من أن الذين أُبعدوا لا يستحقون إلا التعاطف القليل، ولكن يجب أن نضع في بالنا بأن سنوات الاضطهاد وسوء الحكم الذي أدى إلى سقوطهم كان بسبب الفساد، وعدم الكفاءة بالنسبة إلى الضباط العثمانيين، وأعتقد بأن الباب العالي سوف يفكر بجدية بخصوص هذا الموضوع، وقبل اتخاذ أية إجراءات بخصوص الإبعاد والمصادرة»[128].

المهم في الأمر أن عدد زعماء الكُرد المقبوض عليهم وصل إلى (131)

زعيماً كُردياً، وقد قبضت عليهم لجنة ديار بكر بهدف نفيهم إلى حلب؛ ثم ترحيلهم إلى ألبانيا مع أسرهم، ومصادرة أملاكهم وعقاراتهم، وقد تم إبعاد هؤلاء الزعماء جميعاً إلى حلب لحين صدور الأوامر بترحيلهم إلى ألبانيا[129].

أثار هذا العمل استياء وغضب الكُرد في ديار بكر، بل وفي المنطقة عموماً، لأنهم أدينوا بدون محاكمة، وقد أبدى المفوض السلطاني العام إلى أرضروم ووان يوسف باشا امتعاضه من هذا الإجراء الصادر بحق الزعماء الكُرد من جانب لجنة ديار بكر، وقد ذكر يوسف باشا أنه إذا ما أُطلق سراح هؤلاء الزعماء الكُرد بعد مدة قصيرة، ورجعوا إلى أماكنهم فإنهم سيقومون بلا شك بالانتقام من هؤلاء الذين قدموا شكاوى ضدهم، وسيفرضون على المسيحيين المبالغ التي لم يسددوها عندما كانوا في المنفى، وقد اعترضت على هذا الحكم أيضاً البعثة التبشيرية الأميركية في خربوط، التي رأت أنّ مثل هذا الأمر يتطلب نفي أكثر من مئة زعيم قبيلة كُردية مع عوائلهم إلى خارج ديار بكر، مما سيؤثر بلا شك على الأوضاع في المنطقة، كما أن قرار هذه اللجنة لم يفرق بين الزعماء الكُرد من الذين كانوا قد صنفوا فعلاً على أنهم من أشقياء المنطقة، وبين الزعماء الكُرد الآخرين من الذين لم يتسببوا بهذه المشاكل، ومع ذلك عُوملوا معاملة واحدة غير عادلة ولا منصفة لأن هذه اللجنة لم تقم بالتفريق بينهم[130]، وبين تروتر في رسائله اللاحقة أن الأرمن في أرضروم وفي بعض المدن الأخرى يثيرون روحاً من الاستقلال يثير دهشة الذين كانوا يعرفونهم قبل ذلك، ويبدو أنهم غيروا طبيعتهم منذ الحرب الأخيرة[131]، وأنّ هذه الروح الأرمنية وعمل اللجان في دياربكر والمدن الكُردية الأخرى كلها دفعت الكُرد أيضاً إلى تحدّي السلطة وعمل تلك اللجان، وعلى حد قول كلايتون نائب القنصل البريطاني في وان في 16/ 8/ 1879، بأن الكُرد في بتليس يقولون للأرمن: اذهبوا واشتكوا للأوروبيين الذين سوف يأتون لإنقاذكم[132].

وأراد عابدين باشا الحصول على مرسوم (فرمان سلطاني) آخر خاص، بحيث يستطيع وبصورة مشابهة أن ينفي شيوخ عشائر خربوط أيضاً، إلا أن هذا الأذن لم يعط له في هذه المرة بل لقد أنَّبه رسمياً على حماسته الزائدة عن اللزوم السلطان عبد الحميد نفسه. أراد ماناس أفندي تطبيق الأمر نفسه في مديات ونصيبين بخصوص الزعماء الكُرد، إلا أن والي خربوط (نافي أفندي) وقف ضد إجراءاته، وقام بإطلاق سراح (28) من الزعماء الكُرد في سجن خربوط، حيث كان عابدين بك قد سجنهم في وقت سابق، وقد اعترض ماناس أفندي على هذا الأمر، واعترض لدى الباب العالي بخصوص أفعال نافي أفندي، إلا أن الباب العالي أيد أعماله، وقام باستدعاء ماناس أفندي إلى استانبول، وكانت معارضة هذا الأخير أول معارضة فعلية لقرارات لجنة المفوضين الإمبراطورية، تم بعدها معارضة أعمالهم في مناطق أخرى، وبناءً على هذه المستجدات أرسل السلطان عبد الحميد مذكرة إلى المسؤولين في شمال كُردستان يهاجم فيها عابدين أفندي ويبطل قراراته، وذكر فيها أنه واقع تحت تأثير البريطانيين والأرمن، مضيفاً أن إجراءاته تلك سببت ضرراً كبيراً لعدد من أعيان المسلمين وأسرهم في ديار بكر[133].

بعد زيادة الضغوط الأرمنية على الساسة البريطانيين، واستمرارهم في رفع الشكاوى إلى قناصلها في كُردستان ذاكرين أن السلطات العثمانية ليست جادة في تطبيقها، ضغط لايارد كثيراً على السلطان عبد الحميد الثاني بهدف تعيين الجنرال البريطاني بكر باشا (Baker Pasha) لكي يقوم بالإشراف على عملية الإصلاحات الأرمنية في كُردستان، وتشكيل قوة جندرمة يعتمد عليها في حفظ الأمن؛ وافق الباب العالي على هذا التعيين في 30/ 7/ 1879، ولكن لم يتم منح بكر باشا أي سلطات تنفيذية، وإنما أعطيت له فقط سلطات استشارية لتقويم الوضع في كُردستان ومدى تطور عملية الإصلاح فيها[134]،

وشُكّلت لجنة برئاسة بكر باشا واسكندر بك، وكان يدخل في عداد حاشية بكر باشا أيضاً سعيد باشا (متصرف طرابلس سابقاً)، وسليمان باشا (نقيب من الدرجة الأولى)، والعقيد شاكر بك الخادم في الجيش الفرنسي، والعقيد طاهر بك (خدم ست سنوات في قوات الشرطة في الهند، وسنتين في الصين)، والنقيب مافروكورداتوس، والملازم يوسف بك، والإنكليزي شيفر والسكرتير غ. بيرغيب[135].

وصلت لجنة بكر باشا إلى دياربكر في 19/ 1/ 1880، والتقت هناك قنصل كُردستان الرائد هنري تروتر، وكذلك عابدين باشا المفوض الإمبراطوري في لجنة إصلاح دياربكر سابقاً، وفي هذا اللقاء أكد بكر باشا لعابدين أنه يدعم قراراته بشأن الزعماء الكُرد، ولكنه بيَّن أن هناك بعض الأبرياء بينهم[136].

أرسل بكر باشا أول تقرير له من دياربكر إلى السفير لايارد في 1/ 2/ 1880، كتب فيه انطباعاته عن الأوضاع في كُردستان، وكيفية سير الإصلاحات فيها، قال بكر باشا في بداية تقريره: «من خلال المناقشات التي أجريتها مع العديد من القادة الأرمن فإنني متأكد أن لديهم أفكاراً طموحةً للمستقبل، والتي لا تعتبر غير عملية فقط، وإنما تعد أيضاً خطيرة على مصالحهم، فإنه من الضروري معرفة هذا البلد، وذلك من أجل معرفة جدوى أي مشروع للاستقلال الأرمني وعبثيته، فالأرمن يشكلون أقلية، حيث إنّ عددهم لا يزيد عن ثلث إلى خمس السكان، وإن أي استقلال لهم سوف يضعهم تحت رحمة الكُرد، الذين يشكلون الأغلبية الساحقة من السكان... وتذهب كل التحقيقات التي قمت بها إلى إثبات أن السكان المسلمين على الرغم من أن الحالة الإدارية في هذه المحافظات سيئة جداً يعانون أكثر من المسيحيين... ويبدو لي أن النظام الذي تتّبعه الحكومة، وخصوصاً جباية الضرائب أدى إلى مزيد من الدمار

والاضطراب؛ ولذلك فإنه من العبث تماماً الحديث عن أية إصلاحات طالما استمرت هذه الممارسات»[137].

ثم يضيف بكر باشا بأنه يعد النقاط التالية، من أهم الملاحظات السلبية التي لاحظها، وهي:

1 ـ الفساد من جانب الموظفين الحكوميين، ولا يشكل هذا الفساد عقبة أمام عملهم المستقبلي وترفيعهم.

2 ـ فقدان العوائد، واضطهاد السكان، خصوصاً عن طريق جمع الضرائب.

3 ـ إهمال واضح للطرق، والمواصلات، والأشغال العامة، التي يحتاجونها.

4 ـ الغياب التام لأية محاولة لتحسين التعليم العام.

5 ـ الحاجة إلى تنظيم فعال للجندرمة، وهذا بدوره أدى إلى غياب الأمن العام.

6 ـ هنالك إرباك كبير ناتج عن عدم وجود إحصاء دقيق ومسح حكومي.

7 ـ المركزية المطلقة للسلطة الإدارية في القسطنطينية[138].

ثم يتحدث عن نفي لجنة عابدين باشا في دياربكر لزعماء الكُرد إلى حلب بالقول: «لقد وجدت أن قضاياهم تختلف مادياً، حيث إن هنالك من بينهم رجالاً يجب إعدامهم، في حين أن هنالك آخرين أبرياء، ولكن الأثر العام لعمليات الإبعاد على العموم كان ممتازاً»[139].

مكثت لجنة بكر باشا ثلاثة أسابيع في دياربكر؛ ثم توجهت إلى بغداد عن طريق الموصل، لإمداد أعضاء اللجنة بالأموال لمصاريف الطريق، وبشهادة نائب القنصل الروسي ياكيمانسكي (Yakimanski) في دياربكر، فإن غالبية أعضاء هذه اللجنة لم يكن في نيتهم تحسين الوضع في هذه المنطقة على

الإطلاق، ولكن كانت لهم، وبإرشادات من الانكليز، أهداف إستراتيجية كبيرة[140].

كان الشك يساور تروتر من أن الباب العالي لن يرسل المنفيين إلى ألبانيا، بل إنه يعمل من أجل إرجاع هؤلاء إلى مناطقهم، لذلك طلب تروتر والبطريرك الأرمني نرسيس من لايارد أن يستخدم نفوذه لمنع مثل هذا العمل، فقد فكروا بأن أوضاع المسيحيين في ديار بكر ستتدهور بشكل خطير، إذا ما أرجع الباب العالي المنفيين الكُرد إلى مناطقهم السابقة، ولكن رغم ذلك قرر الباب العالي في أيلول 1879 إلغاء سياسة النفي والإبعاد بحق الزعماء الكُرد وإرجاعهم إلى كُردستان، وفعلاً رجع هؤلاء الزعماء الكُرد من حلب في صيف 1880 إلى قراهم وأماكنهم السابقة[141].

ولم تكن البرامج الأرمنية الأخرى للإصلاح، التي قدمت في المدن والمناطق الأخرى في شمال كُردستان مختلفة عن برنامج الأرمن الذي قدم إلى لجنة الإصلاح في أرضروم، فقد قدم الأرمن في سيواس وفي موش برنامجهم للإصلاح في أيار/ مايو 1880، والملاحظة المشتركة بين جميع مشاريع الأرمن للإصلاح كانت تتركز وتتلخص في إبعاد الكُرد عن الإدارة في تلك المناطق، ومحاولة نفيهم منها، وعدّهم من المهاجرين حالهم حال الشركس[142].

يظهر جلياً مما سبق أن المشكلة في كُردستان لم تكن تتعلق بالكُرد وهجماتهم المزعومة على الأرمن، فقد تناول بكر باشا سبع ملاحظات رأها السبب في تردي الأوضاع في كُردستان، لا تتعلق أيٌ من هذه الملاحظات السلبية بالكُرد، وإنما جميعها متعلقة بطبيعة الإدارة، وهنا يجب ملاحظة أمر غاية في الأهمية وهو: أن الأرمن قد خلقوا انطباعاً عند البريطانيين في بادئ الأمر بأن الكُرد هم قلة في المنطقة، وأن حالهم مثل حال الشركس، واللاز،

والألبان، ليسوا من سكان المنطقة الأصليين، ولكن بعد توغل البريطانيين شيئاً فشيئاً في كُردستان رأوا وتوصلوا إلى خلاف ما نقل إليهم؛ فوجدوا أولاً: إن الغالبية العظمى من السكان هم من الكُرد، وثانياً: إن الكُرد من سكان هذه المنطقة الأصليين، وإن كانت الصفة الاجتماعية لديهم هي العشائر الرحالة، إلا أنهم يعدون تلك الأراضي ملكاً لهم ولأجدادهم منذ مئات السنين.

ويبدو أن هذه اللجان عملت جاهدة في محاربة كل ما هو كُردي في المنطقة، حتى كانوا ضد الموظفين الكُرد الذين عينتهم الحكومة العثمانية، في سلك الإدارة في شمال كُردستان؛ ففي ذلك الوقت أيضاً عُزل أحمد جميل باشا[143] تحت ضغط القنصليات الأوروبية هناك، من متصرفية سيرت نتيجة للشكاوى الأرمنية ضده[144].

إن وقوف الإدارة العثمانية ضد إجراءات لجان الإصلاح في شمال كُردستان لم يكن سببه أن هذه الإدارة كانت تفضل الكُرد على الأرمن، أو من باب حماية أعيان المسلمين كما ورد في مذكرة السلطان عبد الحميد الثاني إطلاقاً، وإنما يعود السبب في ذلك إلى أن هذه اللجان كانت قد أزعجت كثيراً ولاة الأقاليم الأتراك في شمال كُردستان بأنْ حدَّت من صلاحياتهم، وكانت دائماً تقوم بتفتيش سجلات الضرائب العائدة للولاية، وهذا ما أدى إلى نفور الإدارة العثمانية منها، وأدى هذا الأمر إلى أن تتوحد مصالح كل من الإقطاعيين الكُرد مع هؤلاء المسؤولين الأتراك، وهذا ما حدث لأول مرة في التاريخ الكُردي الحديث؛ ربما وجد في أماكن عديدة وفي أزمان تاريخية مختلفة بعض الآغوات الكُرد يتحالفون مع الأتراك، بوجه الكُرد أنفسهم، كما حدث عندما اجتاحت الجيوش العثمانية كُردستان، في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ولكن هذه الصورة لم يشهد لها التاريخ في المنطقة مثيلاً، والمفارقة هنا أن الأرمن كانوا السبب الأول والرئيسي في هذا التقارب

الكُردي ـ التركي، فمن جهة لم يكن بوسع السلطان عبد الحميد أن يعفو عن الأرمن، بسبب أنهم حاربوا مع القوات الروسية عند اكتساحها شمال كُردستان في أواخر عام 1877، وكذلك مطالبتهم بالحكم الذاتي في مؤتمري سان ستيفانو وبرلين، ومن جهة أخرى، حاولت هذه اللجان التي كان العنصر الأرمني أحد أركانها تفريغ المنطقة من سكانها الكُرد، ومحاولة إبعادهم إلى خارج كُردستان، لأهداف معينة منها زيادة النسبة السكانية للأرمن في شمال كُردستان، وتهيئة أرضية مناسبة لإقامة دولة أرمنية عليها، هذا الأمر جعل الكُرد والأتراك يشعرون معاً لأول مرة بأن عدوهم الأول في المنطقة هم الأرمن، ولذلك نجد أن كل ما ينسب إلى الإقطاعيين الكُرد من جرائم وأعمال سرقة ضد الأرمن تعود إلى عقد الثمانينيات وما بعدها، وإذا جاز لنا القول: إن الكُرد إذا ما قاموا بقتل أو سرقة أرمني قبل هذه المدة فلأنه كان غنياً أو لسبب آخر لا يمكن إخراجه عن السبب المادي، وليس لواقع ديني وقومي كونه أرمنياً، أما بعد الحرب فإن العديد من الأرمن قتلوا أو سلبوا فقط لأنهم أرمن، وكان غالباً ما يتم هذا الأمر بإيعاز تركي.

إن الدولة الوحيدة، التي أصرت على إجراء الإصلاحات الأرمنية كانت بريطانيا؛ ولذا لم تكن الدولة العثمانية والدول الموقعة على معاهدة برلين راغبة في إجراء هذه الإصلاحات، وكان لكل منها أسبابها الخاصة، ورغم تقديم سفراء الدول الست (ألمانيا، وبريطانيا، وفرنسا، وايطاليا، وروسيا، والنمسا ـ هنغاريا)، تحت ضغط الحكومة البريطانية مذكرة احتجاج شديدة اللهجة إلى الدولة العثمانية في 7/ 11/ 1880، مطالبين فيها الإسراع في تطبيق الإصلاحات، فإنه لم يتم إنجاز أي من الإصلاحات في المنطقة، بل إن الوضع صار من سيىء إلى أسوأ[145]، ورغم ذلك فإنه بحلول عام 1881 كانت الإصلاحات التي نصت عليها المادة الواحدة والستون من معاهدة برلين قد

توقفت بصورة فعلية كلياً، وتركت الساحة للدولة العثمانية، لتفرض على المنطقة من جديد إرادتها وقراراتها دون الخوف من العامل الخارجي[146].

فقد وقعت منذ عام 1880 أحداث عالمية حولت أنظار أوروبا إلى اتجاهات ومناطق أخرى من العالم؛ فالنشاطات السلافية في النمسا والمجر، واحتمال قيام تحالف فرنسي ـ روسي، قد أسفر عن اتفاق ألمانيا والنمسا مع الدولة العثمانية واستعدادهما لمساعدتها[147]، وقد عبر مستشار ألمانيا بسمارك نفسه في 28/ 1/ 1881 لبريطانيا بأنه من الأفضل تأجيل الضغط على الباب العالي، بخصوص الإصلاحات الأرمنية[148]، كما أن روسيا منذ حكم قيصرها اسكندر الثالث (1881 ـ 1896)، قد عَدَلَتْ عن سياسة حمايتها شعوب دول البلقان المسيحية، التي استقلت آنذاك عن الدولة العثمانية، وحماية كلّ الشعوب المسيحية العثمانية، زد على ما مرَّ أن التوسع الاستعماري في أفريقيا وجنوب شرق آسيا والصين قد شغل الدول الكبرى التي حولت نظرها عن متابعة المسألة الأرمنية[149]، في حين رأت فرنسا وايطاليا أن المسألة ذات أهمية خاصة لبريطانيا فقط، وبقيت روسيا معادية لفكرة الإصلاح، لا لأنها لا تستسيغ فكرة تجديد حيوية تركيا فحسب، بل لأنها تخشى كذلك أن يؤدي المشروع، الذي رعاه البريطانيون إلى زيادة خطيرة في نفوذهم في تلك المنطقة الحساسة، التي تتاخم أقاليمها القوقازية[150].

وفي تقرير أعده الضابط البريطاني سي.أف.دكسون جونسن (C.F Dixon Johnson) لبحث المسألة الأرمنية بعد حرب البلقان عامي (1912 ـ 1913)، والذي حمل عنوان (المسألة الأرمنية: معناها لبريطانيا العظمى)، يشير إلى أن روسيا كانت السبب الرئيسي في افتعال المسألة الأرمنية وتطورها، لأنها لم تحبذ منذ البداية إجراء الإصلاحات في شمال كُردستان، فالكل يعلم حسب صاحب التقرير أن بريطانيا والدولة العثمانية وألمانيا قد

دعمت الإصلاحات الأرمنية، إلا أن روسيا وقفت ضد هذه الإصلاحات، وقامت بتشجيع هجرة الأرمن إلى أدنة وطرابزون، وذلك من أجل خلق أرضية مناسبة، للسيطرة على موانئ البحر الأسود والمتوسط[151].

ويتابع صاحب التقرير في بيان أسباب الاعتراض الروسي على الإصلاحات الأرمنية بالقول: إن هناك أسباباً عدة وراء ذلك، من أهمها:

1 ـ عندما يستقر الموظفون البريطانيون على طول حدود كُردستان فإن تسهيلات السرقة بالسلاح، وكذلك إرسال الوكلاء أو العملاء المحرضين لإثارة الاضطرابات ستتقلص.

2 ـ سيكون البلد على اتصال أقرب مع الصحافة الأوروبية، كما أن البريطانيين الموجودين في الميدان سوف يبعثون بتقارير يُدوّنون فيها الحقائق الصحيحة من دون خوف.

3 ـ في ظل حكومة جديدة ستنعم المحافظات برخاء كثير، كما أن الدولة العثمانية نفسها ستكون في وضع عسكري ومالي أقوى.

4 ـ سوف لا تكون هنالك أية ذريعة لأي تدخل أجنبي[152].

ويتابع ديكسون أن روسيا حتى بعد موافقة الدولة العثمانية على الإصلاحات الأرمنية أملت بتمرد كُردي على الإصلاحات، مما يعطي ذريعة لغزو مباشر، وهنا يؤكد صاحب التقرير أن الروس هم الذين دفعوا الأرمن إلى سلوك هذه السياسة، ويضيف: بأن الأرمني الحقيقي يهتم كثيراً بالجانب السلمي، لجمع الثروات سواء أكان مزارعاً بسيطاً، أم صاحب دكان، أم تاجراً، أم مرابياً، أفضل بالنسبة إليه من التدخل بالأمور السياسية. وعلى الرغم من الأخطاء المعترف بها لعرقه فإنه مزارع جيد، ورجل أعمال ناجح، وصناعي، كما أنه ملتزم بعقيدته ويتميز أيضاً بقدرة على التكيف مع الظروف. وبخصوص علاقة الكُرد بالأرمن، يذكر دكسون أنه حتى عام 1877 ـ 1878 لم تكن العلاقات

بين الأرمن وجيرانهم الكُرد غير ودية، فإن هجمات الكُرد لم تكن سياسية ولا طائفية، حيث كان المسلمون والمسيحيون يعانون من ذلك بصورة متساوية، وحتى اغتيال القيصر الروسي اسكندر الثاني عام 1881، كانت هنالك دعاية نشيطة يبثُّها ويشجع عليها القناصل الروس، حيث إن هؤلاء الوكلاء أسسوا المدارس، وشجعوا اللغة الأرمنية وحاولوا زرع اعتقاد حول المملكة الأرمنية المستقبلية تحت حماية روسية. ويقول كاتب التقرير: إن هذه السياسة الروسية أدت فيما بعد إلى حدوث تباعد بين العنصرين الكُردي والأرمني[153].

أما المعارضة الشديدة التي أبدتها الدولة العثمانية تجاه هذه الإصلاحات المفروضة فإنها لم تكن بسبب رغبتها في إنقاذ الولايات الشرقية من المصير الذي آلت إليه أملاكها في البلقان فحسب، بل إن موقفها من قسمي الأملاك - أي البلقان وشمال كُردستان - كان يختلف إلى درجة كبيرة، فإنها إن سلمت بخسارة أملاكها في البلقان ذي الأغلبية المسيحية، عدت منطقة الأناضول ذات الأغلبية المسلمة جزءاً لا يتجزأ من ديار الإسلام، وهي تعد نفسها وصية قيمة عليها بلا نزاع، لذلك بدا الأمر وكأن بريطانيا وحدها من بين جميع الموقعين على معاهدة برلين كانت تنـزل الإصلاحات منـزلة كبرى، وتعلق على تنفيذها أهمية قصوى، في إصرارها على إفراد مادة خاصة في اتفاق الحلف الدفاعي، الذي وقعته مع تركيا سراً في الرابع من حزيران/ يونيو 1878، أي قبل شهر واحد تقريباً من التوقيع على معاهدة برلين[154].

إن هذا الاتفاق يُعدّ مفتاحاً هاماً جداً، لتفهم موقف تركيا من الإصلاحات، فمما يفهم من نص الاتفاق أن يتعهد السلطان العثماني بالقيام بالإصلاحات، ويتنازل للبريطانيين عن جزيرة قبرص، مقابل تعهدهم بالمقاومة بقوة السلاح بوجه أية محاولة روسية للاحتفاظ بباطوم واردهان وقارص، إذا ما حاولت هذه الدول أن تستولي على أراضٍ أخرى تعود للدولة العثمانية، زيادة على

تلك الأقاليم، فمع موقف بريطانيا الصلب الجدي في مؤتمر برلين الذي أرغم روسيا على صرف النظر عن ضبط أرضروم وبايزيد ووادي الاشكيرد، فضلاً عن المناطق السفلى من باطوم، لا نجدها تحاول منع روسيا من الاحتفاظ بباطوم وأردهان وقارص! ولا حاجة إلى القول: إن خيبة السلطان هنا كانت كبيرة، فقد بدا واضحاً أن فشل بريطانيا في رفع يد روسيا عن هذه المناطق الثلاث المذكورة صراحة في الاتفاق زلزلت ثقته في مقدرة بريطانيا، أو ربما رغبتها في الحرص على تنفيذ تعهداتها المقطوعة، وليس ببعيد أن السلطان شعر ـ بسبب نكوص بريطانيا عن القيام بواجبها كما نص في المعاهدة ـ بأنه لم يعد بعدها ملزماً بتنفيذ الجزء الخاص به من الصفقة[155]، هذا وكان بسمارك قد نصح السلطان عبد الحميد الثاني بعدم الإسراع في تنفيذ الإصلاحات الأرمنية حرصاً على هيبته[156]؛ وهكذا يظهر أن الدولة العثمانية التي كانت ضد الإصلاحات من البداية، زادت معارضتها لها باطراد تردي علاقاتها ببريطانيا، ومعارضة الترك الشديدة للإصلاح، كانت إلى حد كبير مسوؤلة عن موقفها المتساهل مع انتفاضة الشيخ عبيد الله، التي سيتم التطرق إليها لاحقاً[157].

مع ذلك فإن الدولة الوحيدة التي كانت متحمسة لإجراء هذه الإصلاحات هي بريطانيا، لكنها ما لبثت هي الأخرى أن تخلت عنها، فلم يكن سراً أن بسمارك مستشار ألمانيا، والذي رأس مؤتمر برلين، قد رفض طلب غلادستون (Gladstone) رئيس وزراء بريطانيا إثارة مسألة عدم تنفيذ الإصلاحات الأرمنية دولياً من جديد، أوائل عام 1881، بل واقترح عليه تركها حتى لا تخلق مبدأ تستند إليه فرنسا في طلب إصلاحات مماثلة في إقليمي الالزاس واللورين الفرنسيين، اللذين استولت عليهما ألمانيا من فرنسا وضمتهما إثر حرب السبعين في عام 1870 ـ 1871، واستجاب غلادستون وأمر سفيره في الدولة العثمانية اللورد كوشن (Goschen) في 10 شباط/

فبراير 1881، بعدم إثارة هذه المسألة، وتمّ سحب قناصل بريطانيا العسكريين من شمال كُردستان، وذلك لأن بريطانيا كانت قد بدأت تسترضي كلّاً من الدولة العثمانية وألمانيا، لكي لا تعارضا تدخلها في مصر الذي بدأ في عام 1881، إثر قيام الثورة العُرابية، وبقائها فيها بعد احتلالها في عام 1882[158].

من جهة أخرى، يظهر أن بريطانيا قد فقدت ثقتها بالأرمن في تلك الآونة، فقد تبين أن كل الإحصائيات والمعلومات التي حصل عليها البريطانيون منذ عقد مؤتمر برلين، وحتى ما بعد انتهاء انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري في أواخر العام 1880 من الأرمن، كانت غير صحيحة في أغلب الأحيان، وأن الهالة التي كونها الأرمن لأنفسهم في شمال كُردستان لا تستند إلى حقائق واقعية؛ فقد كان البريطانيون في بادئ الأمر جادين في تطبيق الإصلاحات الأرمنية في شمال كُردستان، إلا أنهم وقعوا في حيرة من أمرهم بخصوص إحصائيات السكان هناك، وكانت العقبة الأكبر التي اعترضتهم هي التناقض الكبير الذي وجدوه ما بين الإحصائيات التي قدمها لهم الأرمن أثناء مؤتمر برلين وبعد ذلك، وبين إحصائياتهم هم أنفسهم عن السكان بعد مجيئهم إلى كُردستان، ولو كان عدد نفوس الأرمن يعادل نصف عدد السكان أو أقل منها بقليل لأنشأ البريطانيون دولة أو كياناً لهم في شمال كُردستان، إلا أنهم اصطدموا بواقع أن الغالبية العظمى من السكان هم من الكُرد، وليسوا من الأرمن كما كانوا يتوقعون.

مر سابقاً أن تروتر كان قد ذكر في تاريخ 15/ 7/ 1879 أن هناك تناقضاً واضحاً بين الإحصائية التي كان قد قدمها تايلور، القنصل البريطاني السابق في أرضروم عام 1869، وبين إحصائية الوفد الأرمني التي قدمت إلى مؤتمر برلين[159]، كما ذكر الجنرال بكر باشا أن غالبية السكان في المنطقة هم من الكُرد[160]، وها هو لايارد نفسه يعترف بهذا الأمر في رسالته المؤرخة بتاريخ

نيسان/ ابريل 1880 إلى وزارة الخارجية البريطانية؛ إذ يقول فيها: «إن أي محاولة من جانب الأرمن لتحقيق الاستقلال أو الحكم الذاتي، في ظل الظروف الحالية، سوف تؤدي إلى عواقب وخيمة، وإلى كوارث للأرمن أنفسهم، ويجب أن لا ننسى أن الأرمن يشكلون أقلية، وأنهم في العديد من المناطق يشكلون أقلية جداً من السكان، ومن العبث والخطورة أن نبحث عن إنكار هذه الحقيقة مع إنكار الكُرد»[161]. وفي رده على الإحصائيات التي تداولها الأرمن والأتراك في تلك المدة بيّن أنها بعيدة عن الحقيقة والواقع في كُردستان، إذ يقول تروتر في مذكرته إلى اللورد دوفرين (Dufferin) وزير خارجية بريطانيا، بتاريخ 11/ 7/ 1881: «إن النتائج العامة التي توصلت إليها كانت في إقليم أرضروم ووان وبتليس، إن السكان المسيحيين ومن ضمنهم النساطرة يبلغون حوالى (1/ 3) عدد السكان، وإن النسبة الباقية (2/ 3) فهم من المسلمين، والنسبة الأكبر من المسلمين هم من الكُرد، لذلك فإن الأرمن الذين يشكلون (1/ 4) من السكان، وعلى الرغم من إنهم أكثر من الأتراك، إلا أنهم أقل عدداً من الكُرد، وإذا ما أخذت كل منطقة كُردستان، أي ولايات ديار بكر، وخربوط فضلاً عن الولايات الثلاث التي ذكرتها سابقاً، فإني أقدر عدد السكان المسيحيين حوالى (2/ 7) من نسبة السكان الكلية...»، كما وجَّه تروتر في تقريره هذا انتقادات شديدة اللهجة إلى إحصائيات البطريركية الأرمنية، بأنها تجنبت ذكر قرى كاملة للكُرد في إحصائياتها، كما أنها لم تتطرق إلى سكان منطقة درسيم[162].

وقد أثبتت وقائع انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري ـ والتي سيأتي الحديث عنها لاحقاً ـ أن أغلب التقارير الأرمنية التي رفعت للبريطانيين آنذاك عنها كانت غير صحيحة وربما كان لهذا العامل أيضاً دوره في إهمال البريطانيين للمسألة الأرمنية في شمال كُردستان، حيث تبين لهم أن الأرمن لا يشكلون إلا نسبة محدودة من السكان هناك.

قنصلية كُردستان

في خضم صراع الإصلاحات الأرمنية في شمال كُردستان نشأ خلاف شديد بين الأرمن والبريطانيين، عندما قام الساسة البريطانيون بإطلاق اسم كُردستان على قنصليتهم في أرضـروم، التي أصبحت المرجع الرئيسي للساسة والضباط البريطانيين في معظم مناطق كُردستان، فمن خلالها فقط كانت تتم مخاطبة سفير بريطانيا في استانبول. فبعدما كلفت الدول الموقعة على معاهدة برلين الحكومة البريطانية بمتابعة سير الإصلاحات قام السفير البريطاني لايارد، بالتشاور مع السياسيين والضباط البريطانيين العاملين في الدولة العثمانية، بالبحث عن أفضل السبل الكفيلة لمتابعة سير تطبيق هذه الإصلاحات، وفي أول رد فعل أرسل السفير البريطاني السير هنري لايارد برقية إلى وزير خارجيته اللورد سالسبيري بتاريخ 19/ 10/ 1878، جاء فيها ما يلي: «أعلنت الصحف التركية تعيين السيد م.ماكسيموف (M. Maximoff)، قنصلاً روسياً لكُردستان، وأن يقيم في دياربكر، وأقترح لسيادتكم بأنه في غاية الأهمية تسمية قنصل بريطاني في كُردستان، ومن دون أي تأخير، وكما هو معروف فإن المؤامرات الروسية سوف تنجح»[163].

يتبين من هذا النص المار ذكره أن روسيا قامت بتعيين قنصل لها في كُردستان سمي بـ(قنصل كُردستان)، واتخذ من مدينة ديار بكر، التي تقع في كُردستان الشمالية، مركزاً دائماً لهذه القنصلية، لذلك بادرت الحكومة البريطانية على الفور إلى تعيين قنصل عام لها في كُردستان، لمتابعة سير الإصلاحات، ولسد الطريق أمام روسيا القيصرية، والحيلولة دون تطبيق أجندتها السياسية هناك، إلا أن الملاحظة التي تؤخذ في الاعتبار هنا هي أن كلتا الدولتين روسيا وبريطانيا كانت في نيتهما متابعة الإصلاحات في (أرمينيا)، كما توقعها الأرمن، لكن كلتا الدولتين روسيا وبريطانيا قد أطلقتا اسم (كُردستان) على قنصلية

كل منهما، مع العلم أن الإصلاحات هي باسم (أرمينيا)، كما هو معروف، وهذا خير دليل على أن اسم (كُردستان) كان متأصلاً في جذور المنطقة، وأنها فعلاً كانت كُردستان، وليس كما ادعى الأرمن بعد ذلك أن الدولة العثمانية استبدلت اسم (أرمينيا) بـ(كُردستان)، في ثمانينيات القرن التاسع عشر، كما سيأتي الحديث عنه لاحقاً. لقد عيّنت بريطانيا الرائد البريطاني هنري تروتر أول قنصل لها في قنصلية كُردستان، في أواخر شهر تشرين الأول/ أكتوبر عام 1878، ويمكن اعتبار تاريخ 22/ 10/ 1878 التاريخ الرسمي لفتح قنصلية بريطانيا في كُردستان؛ ففي هذا التاريخ أرسل هنري لايارد برقية إلى تروتر أوضح فيها بأنه تم تعيينه قنصلاً عاماً لكُردستان (Consul for Kurdistan)، واختيرت مدينة أرضروم، الواقعة في شمال شرق كُردستان، لكي تكون مقراً لهذه القنصلية البريطانية الجديدة. وقد بيَّن لايارد لتروتر مهام عمله، التي لخصها: في متابعة الإصلاحات الأرمنية، ومتابعة الشكاوى الأرمنية والتهديد الكُردي، وأيضاً متابعة السياسة الروسية في المنطقة[164].

بناءً على اقتراح تروتر اختيرت مدينة أرضـروم، لكي تكون مقراً لقنصلية كُردستان في الصيف، ومدينة دياربكر، مقراً لها في الشتاء، وذلك لأن شتاء أرضروم القارص جداً كان يعيق عمل القنصل، وخصوصاً فيما يتعلق بالبرقيات العاجلة، كما تم تعيين وكلاء لقنصل كُردستان، الذين كانوا بمثابة نواب القنصل، في مدن وان، وخربوط، وبتليس، وموش، لكي تكون الحكومة البريطانية قريبة جداً من وقائع سير الإصلاحات هناك[165]، وكانت العملية على هذا النحو: عند وقوع أي حادثة يقوم نواب القنصل بكتابة تقرير عن هذه الحادثة أو الشكوى التي وردتهم، وإرسال نسختين منه، نسخة إلى القنصل العام في كُردستان، ونسخة إلى سفير بريطانيا في استانبول، ولكن يجب مخاطبة سفير بريطانيا في استانبول فقط من خلال قنصلها العام، ولكن

مع ذلك وجدت حالات خاطب فيها نواب قنصل كُردستان، مباشرة السفير البريطاني في استانبول، كما كان لقنصل كُردستان الحق في مخاطبة وزير خارجية بريطانيا مباشرة[166].

وقد قامت الحكومة البريطانية بتعيين العقيد ولسن (Wilson)، قنصلاً للأناضول، وكانت مهمته تقتصر على متابعة الإصلاحات الأرمنية الواقعة في الأناضول الغربية، بدءاً من سيواس وانتهاءً بـمشارف السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط[167].

لم يكن البريطانيون يتوقعون بأنهم بمجرد إطلاق اسم (كُردستان) على قنصليتهم سيتلقون هجوماً عنيفاً من الأرمن، فما أن شاع اسم قنصل كُردستان وأن هنري تروتر كان يكتب أسفل كل تقرير يبعثه إلى السفير في استانبول (قنصل كُردستان)، حتى قاد الأرمن هجوماً عنيفاً على الساسة البريطانيين في الدولة العثمانية؛ ففي رسالة من بطريرك الأرمن نرسيس إلى لايارد بتاريخ 1/ 7/ 1879، جاء فيها: «...إن الأرمن الذين يعيشون في أراضي أرمنستان العليا، تلك الأراضي التي سقيت بعرق الأجداد وبدمائهم، وإن إراقة الكُرد لدماء الأرمن هو أمر في غاية البشاعة، وإن مسألة بقاء الأرمن الذين تعرضوا لظلم جماعات الكُرد، واستمرارهم بعيدين عن العالم الخارجي ومجهولين، هو أمر في غاية الحزن... لذلك لدي سبب يجعلني أن أعترف بوجود خطأ واضح بالطريقة التي أعلنت فيها الجرائد تسمية القنصل الإنكليزي في أرضروم [أي: تسميته قنصل كُردستان]، وكما هو معروف فإن أرضروم مثل بقية المدن: وان، وموش، وخربوط، تقع في أرمينيا، ولذلك فإنه ليس من الممكن أن نستبدلها بكلمة كُردستان، أي أن نضع كُردستان بدلاً من أرمنستان، فإن ذلك سوف يجرح مشاعر الأرمن كثيراً... وأكرر القول ثانية: إن ذلك لا يمكن أن يكون نتيجة خطأ، فإن حقيقة تسمية قناصل انكليز عديدين في أرمينيا، هو بحد ذاته يشكل بداية للحماية»[168].

كما قامت جريدة منار البسفور(Phare du Bosphore) الأرمنية بنشر خبر احتجاج البطريرك الأرمني، وعلى النحو الآتي: «نعلم بأنّ الحكومة الإنكليزية قد حددت أخيراً اسم كُردستان على المحافظات، التي تضم أرمينيا، وقد علمنا بان صاحب الغبطة البطريرك الأرمني قد احتج بقوة ضد هذه التسمية الخاطئة»[169]، كما نشرت جريدة ترجمان الأفكار العثمانية في عددها رقم (583) الصادر في تاريخ 24 حزيران/ يونيو 1879 الخبر نفسه[170].

أرسل لايارد رسالة إلى سالسبيري بتاريخ 1/ 7/ 1879 يتناول فيها هذه المسألة التي أثارها الأرمن بخصوص اسم القنصلية التي أنشأها البريطانيون؛ لمتابعة عمل لجان الإصلاح العثمانية، ويقول لايارد فيها بأنه: «يعتقد أنه ليس من الضروري الإجابة عن رسالته [أي: رسالة البطريرك نرسيس]»[171]، وأضاف إن نرسيس ذكر له بأن السلطة القضائية للقنصل تروتر تمتد إلى المنطقة التي هي في الواقع تحمل اسم (أرمينيا) وليست (كُردستان)، ويتابع لايارد حديثه لسالسبيري بأنه وفي مناسبات عديدة، قدم ملاحظات حول محاولة خلق أرمينيا في تركيا الآسيوية، التي سوف تشكلها أوروبا أو روسيا، والتي ستنتهي إلى دولة مستقلة، ولا أستطيع أن أتوقع ـ والقول للايارد ـ أن الباب العالي سوف يوافق على ذلك، أو على أقل تقدير، أن يشجع هذه المحاولة، بعد التجربة التي مرت بها تركيا الأوروبية، حيث إنها لا تعترف بوجود ولاية مثل أرمينيا، وهو اسم معروف عندها، وعلى كل حال لقد حذرت الباب العالي، مرات ومرات، بأنه إذا لم تُدخل الإصلاحات فإن مسألة الجنسية أو القومية الأرمنية سوف تُثار[172].

لم تقف المحاولات الأرمنية عند هذا الحد، بل إن الضغط الأرمني سلط في هذه المرة على القنصل تروتر نفسه، والذي اقترح في رسالته التي بعثها إلى سالسبيري بتاريخ 15/ 7/ 1879، الإذعان لمطالب الأرمن بخصوص اسم

القنصلية. يقول تروتر في رسالته: إنه قد حصل على جريدة أرمنية تصدر في استانبول، تتحدث عن حالة اضطراب بين الأرمن في ولايات: (أرضروم، ودياربكر، وخربوط، وموش، ووان)، منذ أن عُيّن قنصلاً عاماً في كُردستان، وتتضمن هذه المقالة هجوماً عنيفاً على بعض الساسة البريطانيين؛ ثم يقول تروتر: «... وإنّ هذه [المسألة] أثارت ضجة وسط الصحف الأرمنية في القسطنطينية، وإنني على بينة بأنّ القنصلية التي أنا على رأسها في الوقت الحاضر، وهو شرف كبير لي، فإنني أعترف بأنني أعمل قنصلاً في كُردستان، وإنني أقوم بواجبي هناك، وهنالك اقتراح تم تقديمه في هذه المقالة الطويلة [أي المقالة الأرمنية] ينص على أن يتم تسمية هذه القنصلية بأنها قنصلية أرمينيا وكُردستان...»[173]، ويجيب تروتر على هذا الاقتراح بأنه لا يجد ضيراً في إطلاق اسم (قنصلية أرمينيا التركية وكُردستان)، على قنصليته، وأنه سيخلق انطباعاً جيداً لدى الأرمن إن حدث هذا الأمر، ويختتم رسالته بالقول: «وعلى الرغم من أن تعبير أرمينيا التركية وكُردستان سوف يكون من المحتمل أصوب كثيراً، أكثر من أن نقول كُردستان بكل بساطة...فهل إن سيادتكم تعتقدون أن التعبير غير مسموح به؟ واقترح تسمية قنصل المحافظات الشرقية من تركيا الآسيوية»[174]. يبدو هنا أن تسمية القنصلية باسم (كُردستان) لم يكن بضغط تركي أو ضغط من أي جهة أخرى عندما قامت بريطانيا بتسميتها لأول مرة، ولم يكن تروتر معترضاً على الاسم، ولكن بعد الضغوط الأرمنية اقترح تروتر تغيير اسم القنصلية إلى قنصلية أرمينيا التركية وكُردستان، أو إلى قنصل المحافظات الشرقية، وذلك لكسب الأرمن إلى جانبهم، وإشعارهم أن بريطانيا جادة في متابعة الإصلاحات، التي نصت عليها معاهدة برلين في مادتها الواحدة والستين، بل إن البريطانيين حتى قبل ذلك كانوا يطلقون على قنصليتهم في أرضروم تسمية (القنصلية البريطانية في كُردستان)، في ستينيات القرن التاسع عشر[175].

رغم هذا الاقتراح من جانب تروتر إلا أن لايارد رفض هذا الاقتراح أيضاً، وفضل الإبقاء على اسمها (كُردستان) منعاً لوقوع أي شك لدى الدولة العثمانية تجاه نيّاتها في المنطقة؛ ففي رسالة من لايارد إلى سالسبيري بتاريخ 1/ 8/ 1879، يذكر فيها أن الرائد تروتر قد أوصى بالتنازل للأرمن في هذه المسألة، والتي هي ليست جديدة عليه، وعقب لايارد على هذا الاقتراح بأنه من غير الممكن أن يقدم الباب العالي تنازلاً بهذا الخصوص، وأن يقبل تحويل اسم القنصلية من (كُردستان) إلى (أرمينيا)، وهي محافظة لا وجود لها في التقسيم السياسي الحالي في الدولة العثمانية، وإن تم الطلب من الباب العالي لتغيير اسم القنصلية فإنها ستشك بوجود مؤامرة، وهي أن أوروبا تقف وراء استقلال أرمينيا؛ ثم يضيف لايارد: إذا كان عنوان قنصل (كُردستان) عدائياً للأرمن فإن عنواناً آخر يمكن أن نجده من دون أي شك. صحيح أنّ مصطلح كُردستان يستعمل ليدل على البلاد التي يسكنها الكُرد، ولم يتم تطبيق هذا المصطلح أيضاً من قبل الباب العالي على أية محافظة خاصة، ثم ينهي لايارد تقريره بالقول: «ويبدو لي بأنه تحت ظل هذه الظروف لا توجد هنالك أية حاجة لإجراء أي تغيير»[176].

لقد سلمت بريطانيا أن هذه المنطقة هي ذات أكثرية كُردية، كما مر بنا، وأن اسم القنصلية يعبّر فعلاً عن واقع المنطقة، ورغم أن الدولة العثمانية لا تطلق هذه التسمية على أي ولاية من ولاياتها، إلا أن الواقع كان هكذا عندما جاءت بريطانيا إلى هذه المنطقة، بل نجد أن اسم كُردستان جاء في أغلب تقارير القناصل البريطانيين في كُردستان حتى قبل الحرب الروسية العثمانية 1877، وقد تخوف الساسة البريطانيون من أنهم إذا ما أقدموا على تقديم هذا الطلب للباب العالي فإنه سيشك في أول لحظة بنيّات أوروبا، وإنها لا تختلف عن روسيا بخصوص سياستها تجاه المسألة الأرمنية، لذلك فضل لايارد

الإبقاء على اسم كُردستان على قنصليتها، التي ستتابع سير الإصلاحات الأرمنية في المنطقة.

لا تشير المصادر المعتمدة بدقة إلى المدة التي بقي فيها اسم كُردستان عنواناً للقنصلية البريطانية في أرضروم ودياربكر، ولكن يبدو من خلال الاطلاع على الوثائق البريطانية أن اسم قنصل كُردستان قد تم تداوله في برقيات ورسائل القناصل في كُردستان، حتى بداية الحرب العالمية الأولى، كما أن القنصل هنري تروتر كان قد بقي في منصبه لأكثر من عامين، حيث بقي قنصلاً لكُردستان حتى أواخر العام 1881[177].

وأخيراً من المفيد القول إن القنصليات البريطانية في كُردستان، في مدة تطبيق الإصلاحات الأرمنية لم تكن القنصليات الوحيدة الموجودة، بل كانت هناك فضلاً عنها قنصليات أجنبية أخرى تعمل في كُردستان، وهي كالآتي:

1 ـ روسيا: كانت لها قنصلية في دياربكر، وأرضروم، ووان.

2 ـ فرنسا: لديها قنصلية في أرضروم، وديار بكر.

3 ـ إيران: كانت لها قنصلية في أرضروم، ودياربكر، ووان[178].

ثالثاً - الكُرد وتطورات المسألة الأرمنية في ثمانينيات القرن التاسع عشر

تميَّز عقد الثمانينيات من القرن التاسع عشر بثلاثة أمور مهمة شكلت نقاطاً محورية في علاقة الكُرد بالأرمن في شمال كُردستان. الأمر الأول: تمثل باندلاع انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري التي أرجعها بعض المؤرخين والباحثين إلى أنها كانت من أبرز إفرازات الإصلاحات الأرمنية في المنطقة. أما الأمر الثاني: فتمثّل بظهور الأحزاب السياسية الأرمنية، لأول مرة في تاريخها الحديث، كنتيجة حتمية لفشل سياسة الإصلاحات الأرمنية في شمال كُردستان.وأخيراً: شهد هذا العقد بروز العديد من الإقطاعيين الكُرد الذين قاموا بعمليات سلب ونهب وحتى قتل بعض الأرمن، وذلك بتوجيه من السلطان عبد الحميد الثاني، وكان من أبرز هؤلاء الإقطاعيين الكُرد من الذين ذاع صيتهم في تلك المرحلة موسى بك موتكي. وفيما يأتي أبرز محطات علاقة الكُرد بالأرمن في عقد الثمانينيات:

أ- انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري والأرمن

سببت الحرب التركية الروسية 1877 ـ 1878 دماراً كبيراً في شمال كُردستان، إذ إن الحرب ذاتها فضلاً عمّا نتج عنها من مجاعة وطاعون أهلكت أعداداً كبيرة من السكان سواء الكُرد أو المسيحيين، وقد أشعلت هزيمة الترك

النيران الكامنة في نفوس الكُرد من أجل الاستقلال، لكن كانت هذه المرة موجهة ضد الفرس، على الأقل في بدايتها[179].

فقد اندلعت في شهر تشرين الأول/ أكتوبر 1880، انتفاضة[180] كُردية كبيرة بقيادة الشيخ عبيد الله النهري، في منطقة شمدينان، التابعة لولاية هكاري، جنوبي ولاية وان على الحدود العثمانية الإيرانية، شاركت فيها أغلب العشائر الكُردية في شمال كُردستان، ما عدا كُرد درسيم. استمرت أحداث هذه الانتفاضة لمدة شهرين لم يستطع قائدها أن يحقق الأهداف التي وضعها نصب عينه، وهي توحيد شطري كُردستان، العثماني والإيراني، وتأسيس دولة كُردية يكون هو على رأسها، حيث ما لبثت هذه الانتفاضة أن انهارت بسبب عوامل عدة، منها: ما هي ذاتية تتعلق بخطة وسير وقيادة الانتفاضة، التي تم توجيهها من كُردستان العثمانية صوب كُردستان إيران، ومنها ما يتعلق بالعوامل الخارجية، فلم يتمكن قادة الانتفاضة من كسب ولو واحدة من الدول الكُبرى إلى جانبها، لدعمها مادياً ومعنوياً وعلى رأسها بريطانيا، التي حاول كثيراً الشيخ كسب عطفها، لكن دون جدوى[181].

وتعد هذه الانتفاضة من أهم الحركات والانتفاضات الكُردية التي اندلعت ضد الدولتين العثمانية والإيرانية في القرن التاسع عشر، وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ولعل مرد ذلك إلى أسباب عدة، منها:

1 ـ ظهرت في تلك الانتفاضة، ولأول مرة في تاريخ الحركة التحررية الكُردية بوادر الفكرة القومية الحديثة [182]، وظهر ذلك علانية في مراسلات الشيخ عبيدالله النهري مع القناصل الأوروبيين في كُردستان، فقد كان الهدف الأساسي لهذه الانتفاضة هو توحيد الكُرد، وإقامة دولة كُردية، وهذا ما لا نلمسه في الحركات الكُردية السابقة.

2 ـ لعل الشيء الأبرز في انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري هو تمكن

قائدها ولأول مرة بعد انهيار الإمارات الكُردية، في منتصف القرن التاسع من جمع شمل معظم الشعب الكُردي، عندما دعا زعماء القبائل والعشائر الكُردية إلى اجتماع شمدينان في تموز/ يوليو 1880، حيث شاركت في المؤتمر أغلب العشائر الكُردية الكبيرة في شطري كُردستان العثمانية والإيرانية.

3 - شكلت هذه الانتفاضة رقماً صعباً في المعادلة السياسية للمنطقة ككل، فقد أجبرت وقائعها الدول الكبرى وخصوصاً بريطانيا وروسيا على إعادة النظر في حساباتهما، ووضع الكُرد على رأس اهتماماتهما في المنطقة سواء سلباً أم إيجاباً، لا التعامل معهم، أي: مع الكُرد باستخفاف كما حدث في سان ستيفانو وبرلين. وعلى حد قول الأسقف (كريميان) فإن حركة الشيخ عبيد الله ساعدت بشكل ما، على إحباط عملية الإصلاحات الأرمنية، وحولت الاهتمام بدل قضية الأرمن إلى الاهتمام بالكُرد [183].

اجتمعت أسباب عديدة أدت إلى اندلاع الانتفاضة الكُردية، منها ما هو اقتصادي [184]، ومنها ما هو متعلق بسياسة حكم الدولتين العثمانية والإيرانية للكُرد، ومنها ما هو متعلق بالمسألة الأرمنية، وانتشار خبر معاهدة برلين بين الكُرد هناك؛ فإن خوف الكُرد من غلبة الأرمن، وما ستجره يقظتهم القومية على كُردستان كان واحداً من أقوى الأسباب في محاولة الشيخ النهري توحيد كُردستان. إن معاهدة برلين أطلقت الحديث عن الآمال الأرمنية في السيطرة على شمال كُردستان، وهي أنسب موقع لإقامة دولة كُردية، وانتشرت شائعات تثير القلق حول اعتزام الدول الكبرى وضع الأرمن في مرتبة سياسية تعلو عن مرتبة الكُرد، هذه الشائعات لقيت صدىً واسعاً وأثارت المخاوف، وقد أشار تروتر إلى هذا الأمر بقوله: هناك غضب في نفوس الكُرد بسبب ما كثر الحديث عنه وهو منح الحكم الذاتي للأرمن[185].

وعكست هذه الحالة النفسية المتوتّرة ملاحظة صدرت عن الشيخ

النهري، فقد أُثر عنه قوله لأحد الضباط الأتراك: «ما هذا الذي سمعته عن قرب إنشاء دولة مستقلة لهم [أي: للأرمن] في وان، وأن النساطرة الأشوريين سيرفعون العلم البريطاني، ويعلنون أنفسهم رعايا بريطانيين، إني لن أسمح بهذا حتى لو اضطررت إلى وضع السلاح بيد النساء». ليس من الصعب فهم موقف الشيخ النهري هذا المعارض لتلك الإصلاحات، لأنها نذير للقضاء على فكرة إقامة الدولة الكُردية التي كان يحلم بها، لذا عارضها، لأنه رآها جنيناً تتمخض عنه دولة أرمنية في المستقبل، ينـزل الكُرد فيها إلى مرتبة أدنى منهم[186].

كان معظم وجهاء الكُرد ورؤسائهم يشاركون الشيخ عبيد الله هذا الشعور، حيث كتب حاجي قادر كويى (1815 ـ 1897) قصيدة شعرية تعد انعكاساً حقيقياً للشعور السائد في كُردستان آنذاك ومنها الأبيات الآتية المترجمة إلى العربية:

أرض الجزيرة وبوتان أَعْني بلادَ الكُرد
وا أسفاه مئةَ مرةٍ سَيَجْعَلُوْنَها أرمنستان
المسجدُ سيتحوَّلُ إلى ديرٍ، ويحلُّ الناقوسُ مكان المؤذن
المطْرانُ سيصبحُ قاضِياً، والمفتي سيصبحُ راهِباً
لم تَبْقَ هناك غيْرةٌ، قَسَماً بالقُرآن مئةَ مرةٍ
إنْ تظهرْ أرمنستان فلن يبقى أحدٌ مِنَ الكُرد[187].

بخصوص موقف الشيخ عبيد الله النهري من الأرمن فإن موقفه كان منذ البداية ضد التوجهات التي تدعو إلى إقامة مذابح بحقهم، أو طردهم من البلاد، ففي أواخر تموز/ يوليو 1880 افتتح في شمدينان مؤتمر الزعماء الكُرد، الذي كان أكثر المؤتمرات حضوراً وتمثيلاً في تاريخهم، فقد وصلت إلى شمدينان وفود من: السليمانية، والعمادية، وهورامان، وبوتان، ومن جبال

ساسون، وسيرت، وموش، ووان، ومن كُردستان إيران، كما حضر المؤتمر كُرد قدموا من مناطق بعيدة ونائية مثل: سيواس وأماسية، وقد أعلن الشيخ النهري أن الهدف الرئيسي من هذا المؤتمر هو: إقامة اتحاد بين العشائر الكُردية، والإعداد للانتفاضة أيضاً؛ لذا جرى المؤتمر في جو عاصف للغاية؛ إذ برزت فيه خلافات شديدة في الرؤى، فقد عرض عدد من الزعماء الكُرد الموالين للأتراك منذ البداية مسألة استخدام اتحاد العشائر الكُردية ضد الأرمن وغيرهم من المسيحيين [188].

لقد وقف الشيخ عبيد الله موقفاً حازماً ضد هذه التوجهات، وأوضح عواقبها الوخيمة على مصير الكُرد مستقبلاً، وذكر أن: «الباب العالي وإنْ كان يؤيد الكُرد حتى الآن فقد كان ذلك لهدف مواجهتهم فقط للعناصر المسيحية في الأناضول، ولكن إذا قضى الكُرد على الأرمن هنا فسيفقدون [يعني: الكُرد] أهميتهم في نظر الحكومة التركية»[189]، وفضلاً عن ذلك فإن هذا الأمر سيؤدي إلى وقوف الدول الأوروبية ضد الكُرد [190]، وقد لاقت كلمة الشيخ النهري واقتراحاته بخصوص إنشاء كُردستان مستقلة، والموقف من الأرمن تأييد أكثرية المشاركين في المؤتمر[191].

هنا لا بد من الوقوف قليلاً عند مؤتمر شمدينان، والبحث عن أسباب هذا التوجه الداعي إلى قتل الأرمن في المنطقة، ومن المفيد القول: إن معلومات أغلب المصادر التاريخية التي تناولت هذا الموضوع اعتمدت على ما جاء في كتاب افريانوف السابق الذكر، وهو في حديثه عن هذا المؤتمر لا يشير إلى أسماء رؤساء القبائل الكُردية الذين دعوا إلى هذا الأمر، لذلك من المرجح أنه كان يقف وراء هذه الدعوة، الزعماء الكُرد، الذين عادوا من منفاهم في حلب، فقد رجع هؤلاء في صيف 1880 بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني نفسه، أي إنهم عادوا إلى كُردستان، في الفترة ذاتها التي عُقد فيها مؤتمر شمدينان، وربما

كان هؤلاء الزعماء وبتوجيه وتشجيع الدولة العثمانية هم من كانوا وراء هذه الدعوة، وهو أمر لا يستبعد.

كان الشيخ عبيد الله النهري يدرك أن حالة المسيحيين غير المستقرة والآمنة كانت السبب وراء فرض الدول الكُبرى لتلك الإصلاحات، لكنه كان يكره أن يعاقب الكُرد نتيجة الأوضاع السيئة، وكان يدين ويستنكر أعمال المعتدين من (الكُرد) على المسيحيين والكُرد أيضاً سواء بسواء في كل مناسبة، وكان يشعر دوماً بأن مسؤولية القضاء على العنف وتطبيق القانون تقع على عاتق الحكومتين التركية والفارسية معاً، وليست هي مسؤولية الكُرد، على أن الإخفاق المتواصل الواضح لقبض الحكومتين التركية والفارسية على ناصية الحال أقنعته بأنّ نشدان العون منهما أو الاعتماد عليهما لحل ما أمر لا طائل منه، وأنّ السبيل الوحيد للخروج من هذا الأمر الشديد هو القضاء على النفوذين التركي والفارسي، بتعاون كُردي ـ مسيحي وثيق، وفي الوقت الذي استقر رأيه على إحباط مساعي الإصلاحات حاول أن يجعلها تبدو غير ضرورية، ومن بين محاولاته قيامه في مناسبات عديدة بالتقرب من زعماء المسيحيين المحليين[192].

فقد أقام الشيخ عبيد الله من أجل ذلك اتصالات مع العديد من رؤساء الكنائس الأرمنية المحلية، وذلك لجذب السكان الأرمن إلى جانبه، كما أرسل الشيخ مبعوثيه مرات عدة إلى الارشيمندريت أوهانيس فرتابيت ـ الزعيم الديني للأرمن المحليين ـ في باشقالا، باقتراح ملح للقائه، والتحدث معه عن الأحداث الجارية في البلاد، وعن الإجراءات التي يجب اتخاذها، وكما اعترف أوهانيس نفسه بأنه كان يتذرع كل مرة بحجة؛ ولذا لم يتم اللقاء بينهما[193].

أما مكانة الأرمن في دولته المستقبلية، التي كان يهدف إلى تأسيسها

فتتركز بالدرجة الأولى على إعطائهم الحرية التامة في الدولة، فعندما سأله القنصل البريطاني في تبريز وليم آبوت عن موقع الأرمن في دولة الشيخ المستقبلية، خصوصاً أن هذه الأقلية كانت تحظى بحماية بريطانية ردّ الشيخ على الفور بأنه إذا أصبح مسؤولاً عن كُردستان فإنه سيقدم الضمانات الكفيلة بحسن معاملة الأرمن، ولن يكون هناك أي عائق في وجه من يريد من الأرمن الهجرة إلى أماكن أخرى[194]. وعلى حد قول ولسن القنصل البريطاني في سيواس فإن الشيخ كرر دائماً أن المسيحيين سيتمتعون بالحقوق نفسها التي يتمتع بها المسلمون[195]، وقد قال الشيخ في 2 آب/ أغسطس 1880 لكلايتون بأنه لا يعترض على تشكيل دولة أرمنية بشرط أن يكون للكُرد الحق نفسه، وتعهد له في حالة تأسيسه الحكومة الكُردية بأنْ يحسنَ معاملتهم، ويسمح لهم ببناء الكنائس بكل حرية، ويضمن لهم حرية العقيدة، وسلامة ممتلكاتهم[196].

من الجدير الإشارة هنا إلى أنه لم يكن هناك تناقض بين نية الشيخ المعلنة في مقاومة أية عملية تفضيل تمنح للأرمن والنساطرة، وبين محاولته كسبهم إلى جانبه؛ فباتباعه هذه السياسة كان يرمي إلى تحقيق عدة أهداف: منها أنه بتعاون من الأرمن والنساطرة سيضمن جبهة داخلية موحدة، وقوة بشرية ومادية إضافية في المنطقة، وفضلاً عن هذا فإن ارتباطه الوثيق بالمسيحيين المحليين، وظهوره بمظهر الحليف والحامي، سيجعله أهلاً لنيل عطف ومساندة دول أوروبا المسيحية لقضيته، وسيكون بناءً على هذا في موقف يسهل له إثبات السيادة الكُردية على سائر المنطقة بقيادته، ويستفاد مما سبق بيانه بأن تعهده بحماية المسيحيين، ثمنه زهيد في مقابل الفوائد التي كان يأمل بتحقيقها[197].

عند اندلاع الانتفاضة، وتحرك القوات الكُردية صوب كُردستان إيران أصدر الشيخ عبيد الله النهري فتوى بتحريم مهاجمة الأرمن والنساطرة

الأشوريين، وبأمر منه أوعز للأرمن بأن يرفعوا فوق سطوح منازلهم أعلاماً زرقاء سماوية اللون، لكي يتم التعرف إليهم ولا يتعرض لهم أحد[198]. وهنا يعقب كارو ساسوني على هذه الحادثة بأن هذه الفتوى قد فعلت فعلتها لدى القوات الكُردية، وأنه فعلاً لو وجه الشيخ قواته إلى الأرمن لكانت قد حدثت مذابح، ربما كانت تكون أشد هولاً وفتكاً من مذابح عام 1894 ـ 1896، وأنه فعلاً لم يتعرض المسيحيون لأي أذى أثناء انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري[199].

ومما يدل أيضاً على حسن تعامل الشيخ مع المسيحيين بصورة عامة في أثناء الانتفاضة أنه في عشية الهجوم على مدينة أورمية، التي أراد الشيخ أن يحولها إلى قاعدة له، لإخراج جميع القوات الإيرانية من كُردستان، أبلغ وليم آبوت في 23 تشرين الأول/ أكتوبر 1880، عن الاستعدادات للعمليات الحربية، وذلك لكي يعطي الفرصة اللازمة، للسكان المسيحيين الآمنين لمغادرة المدينة مسبقاً، كما اقترح على آبوت الذهاب إلى المدينة وبصحبته الأرمني سيمون آغا لإخلائها من السكان. كتب آبوت في مذكراته بخصوص ذلك: «وافقت على هذا الاقتراح، وفي الساعة التاسعة صباحاً، وصلت يرافقني الدكتور كوجران[200]، وسيمون آغا، واثنان من الحرس الإيراني، إلى المداخل الرئيسية للمدينة»[201]، كما أن ك.أراكليان الذي سافر في ذلك الوقت، إلى أذربيجان كمراسل صحفي خاص بجريدة (الصوت)، كتب أخيراً: «لم يتضرر الأرمن من حركة الشيخ عبيد الله، ولكن قتل عدد كبير من الفرس، وكانت خسارتهم في الأموال فادحة»[202].

كما دلت الوثائق التاريخية على أن أحد أهم المقربين للشيخ عبيد الله كان الأرمني كيوردوتشي سيمون تشيليغيان، الشهير بـ: (سيمون آغا)، وقد حضر عدة لقاءات بين الشيخ عبيد الله والمسؤولين الأوروبيين في كُردستان. وحسب رأي ولسون فإن الهدف الرئيسي لسيمون آغا هو الدفاع عن مصالح

المسيحيين، ومن مصادر أكثر دقة تبين أن سيمون آغا كان المستشار الرئيسي لدى الشيخ عبيد الله في مراسلاته الدبلوماسية، وهناك بعض المصادر تقول: إنه كان بمثابة وزير الخارجية لدى الشيخ عبيد الله[203]، بل تؤكد بعض المصادر الأرمنية على أن الشيخ وبناءً على نصيحة سيمون آغا ولكي لا يتضرر أرمن كُردستان الدولة العثمانية غيَّر من سير خطط الانتفاضة ووجهها إلى كُردستان إيران، غير أن كارو ساسوني يفند هذا الأمر، ويذكر بأنه مبالغ فيه كثيراً[204].

حتى ما بعد انهيار الانتفاضة الكُردية في تشرين الثاني/ نوفمبر 1880 لم يتغير موقف الشيخ من الأرمن، بل رأى أن أحد الأسباب الرئيسة لانهيار انتفاضته هو عدم تمكنه من كسب الأرمن إلى جانبه، ومن هذه الزاوية فإن لرسالة الشيخ عبيد الله إلى شيخ الأشكير الخليفة صاحب النفوذ أهميتها القصوى. لقد أعار في هذه الرسالة اهتماماً كبيراً للمسألة الكُردية ـ الأرمنية، وأشار عبيد الله إلى أنه أثناء الاستعداد للانتفاضة أعار الانتباه الرئيسي للكُرد، عاقداً الأمل على مساعدتهم فقط في تأسيس دولة كُردية، إلا أن التجربة أثبتت أن الموقف المعادي لبعض زعماء الكُرد ضد الشعب الأرمني المضياف، والمحب للسلم ألحق ضرراً بالغاً بالانتفاضة، ولهذا السبب فمن الضروري الوحدة مع الأرمن في أثناء خوض النضال التحرري، وقد وصف الشيخ عبيد الله جانباً من ذلك بقوله: «... رغم كل شيء فإني أثق بالأرمن أكثر من ثقتي بالأتراك والفرس، فالأفضل بالنسبة إلينا الاتحاد مع الأرمن بدلاً من الفرس والأتراك، إذ إن الفرس يكرهوننا، والأتراك يرغبون في أن يجعلوا منا أداة لسياستهم»؛ ثم اقترح على الشيخ الأشكيري وقف كل اضطهاد ضد الأرمن، وعدم الانخداع بالوعود التركية[205].

وبعد هروب الشيخ عبيد الله من استانبول في عام 1882، ورجوعه إلى

كُردستان توقف في طريقه، بدعوة من الارشمندريت اوهانيس كادجوني في كنيسة أرمنية الواقعة قرب وان، وصرح الشيخ في الكنيسة قائلاً: «أشكركم على استقبالكم لي، فمنذ وقت بعيد معروف لدينا إخلاص وطيبة قلب الأرمن، ومعروف لدينا بأن أجدادنا ومنذ القدم كانت بينهم صداقة وعلاقات جيدة، وأمنيتنا عدم نسيان ذلك، وأؤكد من الآن فصاعداً بأن شعبنا لن يلحق بالأرمن أي ضرر»، وقد طلب الشيخ من الكُرد المرافقين له في الكنيسة عدّ الأرمن إخوة لهم، وأن لا يلحقوا بهم أذى أبداً، لأنه في أسوأ الأحوال يحسبها كإهانة شخصية له [206].

أما فيما يخص موقف الأرمن من انتفاضة الشيخ عبيد الله فإنهم قابلوا عروض الشيخ للتعاون بكثير من الشك والتوجس، فإلى جانب خشيتهم من توريط أنفسهم في حركة عصيان رأوا في مشروعه خطة موحى بها من الأتراك، ترمي إلى سلبهم تلك الامتيازات التي وعدتهم بها معاهدة برلين [207]، وقد نسبت الصحف الأرمنية لتركيا دوراً غير قليل في تنظيم انتفاضة الشيخ النهري [208].ويذكر سيمون آغا بأنه وقبل بدء الانتفاضة الكُردية سرت أقاويل وهواجس خوف بين الأرمن تحولت إلى تساؤلات، منها: هل إن الشيخ النهري سيبدأ هجماته أولاً ضد الأرمن أم السريان؟ [209]

وقفت البطريركية الأرمنية ضد توجهات الشيخ عبيد الله النهري، وربما الموقف الأرمني المحايد من الانتفاضة الكُردية كان مبنياً على موقف البطريركية الأرمنية في استانبول من الانتفاضة؛ ففي تقرير أرسله كريميان هايرك إلى بطريرك الأرمن في 20 حزيران/ يونيو 1880، الذي أرسله بدوره إلى المسؤولين البريطانيين ألقى ولأول مرة الضوء على أن هناك عصبة كُردية ستنشأ في المستقبل للوقوف بوجه الطموحات الأرمنية في المنطقة، ومدعومة بشكل قوي من الباب العالي، وكان هذا التقرير قبل بدء الانتفاضة المصدر

الرئيسي لمعلومات البريطانيين، عن الشيخ عبيد الله النهري وتحركاته في كُردستان.

فقد كانت الحكومة البريطانية هي الأخرى قلقة من تبعات انتفاضة الشيخ عبيد الله. ففي البداية كانت الحكومة البريطانية، وفقاً للتقارير التي أرسلها لها سفيرها في استانبول مستر جورج. جي. كوشن، والقنصل آبوت في تبريز تعتقد أن الحكومة العثمانية هي وراء انتفاضة الشيخ عبيد الله. ومن أجل تفادي التزاماتها المنصوص عليها في اتفاقية برلين، اعتمد المسؤولون البريطانيون في الدولة العثمانية، على تقارير المصادر الأرمنية في هذا الموضوع، وأبرزها تقرير كريميان هايرك، والذي جاء فيه: «إن بعض الشخصيات الكُردية، وبتشجيع من الحكومة العثمانية، سيشكلون قريباً عصبة كُردية؛ لإثارة المسألة الكُردية حتى تضيع المسألة الأرمنية...ليس هناك شك في أن الحكومة العثمانية هي وراء العصبة الكُردية لإثارة المسألة الكُردية، للقضاء على المسألة الأرمنية؛ إن هذه العصبة هي انعكاس للسياسة العثمانية وامتداد لها وإنّ الشيخ عبيد الله يقودها اسماً، أما الرئيس الفعلي فهو بحري بك ابن الأمير بدرخان بك، المقرب من الحكومة العثمانية، علماً أن بحري بك قد استخدم نفوذه، والهدايا، والمال، وحتى التهديد لترغيب الكُرد، ليس فقط في الدولة العثمانية، بل الكُرد في إيران لدعم العصبة» (210).

والدور العام الذي أسنده التقرير لـ(بحري بك) بوصفه موفد الحكومة العثمانية هو أمر عظيم الدلالة؛ لأنه يؤيد طروح المطران (كريميان)، الذي يؤكد رعاية العثمانيين للحلف، وبحري بك هو ابن للأمير الكبير بدرخان، كان على ما قيل دائم الاتصال بمختلف الزعماء الكُرد: «مستخدماً الوعد والوعيد، والاستعطاف والتذلل» ـ بتعبير التقرير ـ لغاية توحيدهم جميعاً تحت زعامة الشيخ عبيد الله، ويعرِّف التقرير بحري بك بأنه مبعوث الحركة العثمانية إلى

شمال كُردستان، والحامل الرسمي للوسام الذي أنعم به السلطان على الشيخ عبيد الله النهري، إلا أنه يوضح طبيعة الدور الذي أسند إليه: فأحياناً يتحدث وكأنه ممثل للحكومة مزود بصلاحيات واسعة، وأحياناً يتصرف وكأنه وكيل الشيخ وداعيته. مع هذا واستناداً إلى المصدر عينه فإنّ بحري بك هذا ما أن اجتمع بالشيخ النهري حتى راح يستقدم زعماء الكُرد من أرمينيا ومن فارس. وذكر التقرير أنّ عدداً كبيراً من هؤلاء، أعلنوا تحالفهم، مع عدم رغبة بعضهم في ذلك: «رغم كل الجهود التي بذلها بحري بك معهم»، على أن الكاتب يستخلص من الظروف ما ملخصه: «إن هؤلاء الزعماء لا سبيلَ لهم غيرُ الانضمام إلى الشيخ في خاتمة المطاف». يقول جويدة : «حقاً إنها مصادفة عجيبة أن تختار الدولة العثمانية ممثلاً لها عند الشيخ، هو ابن الأمير الخطير بدرخان، الذي لا تدانيه مكانةً وشهرةً أيّة شخصية في كُردستان»، كما أكد التقرير نفسه أن الحلف الكُردي كان يملك (4000) بندقية من طراز مارتيني، منها (200) من مصدر فارسي والبقية تركية المصدر [211].

ويشكك مكدول حتى في أمر العصبة الكُردية، أي أن الوثائق الإنكليزية وكذلك الروسية لم تشر إلى هذه العصبة، ولذلك يقول: «... يجب النظر إلى المضامين القومية (للعصبة) بشيء من الحذر؛ إذ ليس لدينا ما نستند إليه، سوى اتهامات البطريركية الأرمنية. فالعصبة إذا كانت موجودة فعلاً لم تقم بإصدار أي بيان ولم تقم بأي عمل تحت ذلك الاسم، ولكن ادعت البطريركية بذكاء بأن الباب العالي نفسه كان يدعم العصبة من أجل إخماد المسألة الأرمنية، وهو تفسير معقول جداً، فقد وضعت الخطة في استانبول التي قدمت للشيخ كفالة رسمية غير معلنة، من أجل تشكيل حركة يمكن أن تقوم بدور قوة مقابلة للتهديد الأرمني»[212].

هنا لا بد من الوقوف على مسألة موقف الشيخ النهري من الأرمن،

وبالمقابل الموقف الأرمني من انتفاضة هذا الأخير لأنه أكد مرارا وتكراراً، سواء للمسؤولين البريطانيين أو للأرمن، حُسن نيته تجاه المسألة الأرمنية، حتى إنه لم يعارض قيام دولة أرمنية على شرط عدم المساس بالحقوق القومية الكُردية، وأنه يجب أن تقام أيضاً دولة كُردية. كما أكد المطران الأرمني في باشقالا أن الشيخ النهري قد دعاه عدة مرات للالتقاء به، بخصوص أمر الانتفاضة إلا أن المطران، وكما قال بنفسه إنه كان يتحجج دائماً بحجج مختلفة ولم يتم هذا اللقاء بين الطرفين، ورغم الشكوك الأرمنية في البداية إلا أن الشيخ النهري بيَّن حسن نيّاته ليس تجاه الأرمن فقط، بل تجاه المسيحيين في المنطقة بشكل عام، وأن الشيخ النهري وكذا الكُرد عموماً لو كانوا يريدون بالأرمن شراً لفعلوا ذلك، ولكانت الفاجعة أهول من المذابح التي حدثت بين عامي 1894 ـ 1896. كذلك قرب الشيخ النهري سيمون آغا وهو أرمني إليه، ووفقاً لما سبق فقد كان أحد مستشاري الشيخ، كما عهد الشيخ لبعض وجهاء الأرمن الذين رافقوه في حملته بمهمة الارتباط لتأمين الحماية للأرمن القاطنين على طريق الجيش الزاحف؛ وكذلك رافق الشيخ عدد من التجار الأرمن[213]، كما أن قيامه بإصدار الفتوى ورفع الأعلام السماوية اللون على سطوح البيوت يثبت بصورة واضحة حسن نيّاته تجاه الأرمن.

بالمقابل وقبل أن تبدأ الانتفاضة رفع الأرمن التقارير إلى القناصل الأوروبيين متهمين الكُرد بقيادة الشيخ عبيد الله النهري، وبدعم من شخص السلطان نفسه بأنهم سيقومون بحركة ضد الأرمن في المنطقة، لإبراز القضية الكُردية على حساب القضية الأرمنية، وأنّ هذا الهجوم موجه بالدرجة الأساس ضد الأرمن، وأنّ الساسة البريطانيين في المنطقة اعتمدوا على هذه التقارير، التي اتضحت لهم فيما بعد بأنها عارية عن الصحة؛ فإنّ الوثائق البريطانية وحتى المؤرخين الغربيين يشككون ليس فقط بالدعم التركي للانتفاضة، بل بوجود

العصبة الكُردية أساساً. نعم كانت هناك شكوك روسية أيضاً بخصوص دعم السلطان العثماني للشيخ عبيد الله النهري، إلا أن أياً من الطرفين البريطاني أوالروسي لم يتمكن من إثبات أن الشيخ عبيد الله النهري إنما تحرك بأمر من السلطان عبد الحميد، فهذا الرائد تروتر يفند الآراء الأرمنية تلك بقوله: «ليس بوسعي الاعتقاد أن الحكومة التركية متورطة في مثل هذه الحماقة، بتنظيمها حلفاً كُردياً ما إن يتألف حلف كهذا فإنه سيوجه ضد الحكومة نفسها»[214]. ولذلك تكاد تجمع المصادر الأرمنية، التي تناولت هذا الموضوع فيما بعد على أن السلطان انتقم من الشيخ عبيد الله النهري، لأنه لم يقم بضرب الأرمن، لذلك فقد نفاه السلطان إلى مثواه الأخير في الحجاز [215]، ولكن قبل ذلك وبعد انهيار الانتفاضة مباشرة، وبهدف التقرب إلى السلطات القاجارية في إيران، وبيان أن الكُرد هم أعداء الفرس والأرمن معاً، قام الأرمني اسكندر غوريانس بتأليف كتاب عن انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري في عام 1881، وقدمه إلى ناصر الدين شاه (1848 ـ 1896)، يهاجم المؤلف الأرمني المار الذكر فيه الانتفاضة الكُردية والشيخ عبيد الله النهري بشدة، ويبرز الدور البطولي للقوات الفارسية، وكيفية تغلبها على هذا (التمرد) الكُردي، ويكفي القول إنه أطلق اسم «تاريخ طغيان الأكراد» على مؤلفه هذا [216].

وقد حدا هذا الأمر بنا للرجوع إلى موقف الأرمن من حركة بدرخان بك، في أربعينيات القرن التاسع عشر، ولأن التاريخ يعيد نفسه، وهو أن الأرمن قد ربطوا مصيرهم في تلك المدة بعجلة الدولة العثمانية، ووقفوا في غالبيتهم ضد بدرخان بك، وأدوا في انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري الدور نفسه، إلا أنهم في هذه المرة ربطوا مصيرهم بالغرب، الذي خذلهم بعد ذلك وتنصل من إثبات أي حقوق أرمنية في الدولة العثمانية، حتى ما بعد المذابح الأولى، كما خذلهم الأتراك سابقاً.

ب ـ ظهور الأحزاب الأرمنية

منذ بداية الثمانينيات كانت هناك مؤشرات قوية خاصة بين الأرمن في أرضروم ووان، للقيام بحركة مسلحة في وجه السلطات العثمانية من أجل تحقيق استقلال أرمينيا، واعتقد نائب القنصل البريطاني وليام ايفرت (W. Everett) في أرضروم أن الحركة الأرمنية قد انبعثت من أرمينيا الروسية، وشجعتها روسيا بصورة سرية، وقد انتشرت الفكرة بين الأرمن: «بأنه إذا ما أرادوا أن يتخلصوا من الظلم والطغيان فعليهم أن يتطلعوا إلى روسيا وحدها للمساعدة»، وإن الميجور كامساراكان ـ من ذوي الأصول الأرمنية ـ وهو القنصل الروسي في وان، كان له الدور الفاعل في نشر هذه الفكرة، وكان هناك عديد من العملاء الروس يتنقلون على الدوام في أنحاء البلاد، ويحثون الأرمن على الثورة [217]، مما بدد الأوهام التي كانت تساورهم حيال حسن نية أوروبا إزاء قضيتهم، إذ أدركوا في آخر المطاف: «أن لا خلاصَ للأرمن إلا بقوة السلاح»، كما جاء في إحدى الأغاني المنتشرة حينذاك، وأخذ الشبان ينتظمون في صفوف الأحزاب السرية وفرق الفدائيين، استعداداً للمقاومة، ومعارك التحرير [218].

وقد أرسل ايفرت بهذا الخصوص رسالة إلى قنصل كُردستان تروتر في 25/ 6/ 1880، يخبره فيها عن مخاوفه من قيام الأرمن بعمليات في المنطقة، فبعد يأسهم من سياسة الإصلاحات بدأوا يعدون العدة لتحرير أنفسهم من الطغاة، وأنهم لن يصبروا أكثر من ذلك، حسب نائب القنصل، وأنهم سيسلكون السبل الآتية لتحقيق أهدافهم:

1 ـ إدخال عملاء موثوقين وكفوئين، إلى أرمينيا الغربية (شمال كُردستان)، لبث الروح والشعور القومي.

2 ـ استيراد الأسلحة بشكل سري.

3 ـ التحالف مع رؤساء العشائر الكُردية القوية، الذين كانوا ينوون التخلص من القمع التركي[219].

بات وضع الأرمن أكثر تعقيداً، بعد أن أسقط وصول القيصر اسكندر الثالث في العام 1881 مشروع مليكوف القاضي بإقامة دولة أرمنية مستقلة، تضم كل الأراضي الأرمنية في روسيا والسلطنة وفارس، وكان أخطر ما في سياسة القيصر الجديد هو محاولة استيعاب كل الأقليات غير الروسية وتذويبها، مما كان يعني القضاء على كل التيارات القومية، والحركات الثورية بين هذه الأقليات داخل روسيا. يضاف إلى ذلك أن تخلي دول الغرب عن القضية الأرمنية، أو وضعها على هامش الاهتمامات الدبلوماسية، دفع الأرمن إلى المخاطرة وباتجاهين، أحدهما: العمل الثوري الذي نظمته الأحزاب الأرمنية داخل السلطنة وفي أوروبا، وقد تضاعفت بالاشتراكية التي أعطت (الثورية) أبعادها الاجتماعية والاقتصادية، وتخطت يقظة القوميات إلى (الأممية الاشتراكية)، والاتجاه الثاني: تمثّل بسعي الأعيان الأرمن في العاصمة والمدن الكبرى إلى وضع برنامج عمل لإثارة الرأي العام في الغرب بما يحمل الدول الكبرى للضغط على الباب العالي، لإيجاد حل للمسألة الأرمنية على غرار ما حدث في البلقان[220].

إن تقاعس الدول الأوروبية الكبرى، الموقعة على معاهدة برلين، عن تنفيذ الإصلاحات المنصوص عليها في المادة الواحدة والستين، وانتهاج وتطبيق الدولة العثمانية، بعد أن خلت لها الساحة في شمال كُردستان، لسياسة فرق تسد سواء بين الأرمن أنفسهم، أو بينهم وبين الكُرد، دفعت الأرمن بعد ذلك إلى إنشاء وتأسيس الأحزاب السياسية لأول مرة في تاريخها، والتي كانت تهدف إلى إخراج القوات العثمانية من شمال كُردستان، وتوحيدها مع أرمينيا الشرقية وإنشاء الدولة القومية الأرمنية الكبرى. وقد مثل ظهور هذه

الأحزاب السياسية انعطافاً كبيراً في تاريخ الحركة التحررية الأرمنية، فحتى ذلك الوقت، أي في أواسط الثمانينيات، كانت القيادة القومية الأرمنية بيد البطريركية الأرمنية، في استانبول ومن ورائها مجلسها الوطني، الذي أنشىء حسب نظام عام 1863، ولكن ظهور الأحزاب السياسية، وتبنيها لأفكار قومية ليبرالية، وأخرى اشتراكية شيوعية، أدى إلى تحويل أنظار الأرمن إلى هذه الأحزاب، والاعتماد عليها والوثوق بها أكثر من أي جهة أخرى في إنشاء وطن قومي للأرمن؛ يقول مالكولم ياب: «وجدت دلائل من (وان) توحي بأنه يمكن أن تكون القومية الأرمنية، إيديولوجية ملائمة لظهور مجموعة أرمنية جديدة، مناوئة من النخبة ترغب في تحدي هيمنة النخبة الأرمنية القديمة، التي لجأت إلى سياسة الوفاق مع العثمانيين»[221].

قبل تأسيس الأحزاب الأرمنية الكبيرة كانت هناك جمعيات أرمنية عدة تعمل في شمال كُردستان وفي الدولة العثمانية، وإن أولى هذه الجمعيات كان يحمل اسم (الاتحاد الخيّر) الذي تأسس في استانبول عام 1860 [222]، وظهر في عقد السبعينيات عدة جمعيات منها: جمعية (ارارتيان) في وان، و(أصدقاء المدارس)، وجمعية (الشرق) في موش، و(المرأة الوطنية) في أرضروم، ولاحقاً اتحدّت جمعية (أصدقاء المدارس) و(الشرق) لتكوِّنا جمعية واحدة تحت اسم (الجمعية المتحدة للأرمن)، إلا أن عمل هذه الجمعيات لم يكن ليتخطى الطابع السلمي في النضال القومي الأرمني، وكانت في معظمها جمعيات تثقيفية تعليمية، هدفها الأساس هو الارتقاء بالمجتمع الأرمني[223].

لقد تأسست الجمعيات الثورية الأرمنية، بموازاة هذه الجمعيات الثقافية الاجتماعية، ففي عام 1878 تأسست جمعية (الصليب الأسود) في وان، وفي عام 1881 تم تأسيس جمعية (المدافعين عن وطن الآباء) في أرضروم، وكان هدفها تسليح الأرمن ليحموا أنفسهم من الهجمات، وقد اكتشف نشاط

هذه الجمعية في عام 1882 واعتقل أبرز أعضائها[224]، ولكن خلال منتصف ثمانينيات القرن التاسع عشر ظهرت الأحزاب الأرمنية، ليصل عددها في بداية التسعينيات إلى ثلاثة أحزاب قومية واشتراكية، قادت النضال ضد الدولة العثمانية، وفيما يأتي نبذة مختصرة عن هذه الأحزاب وبرامجها السياسية.

1 ـ حزب الأرمنيكان ـ (Armenakan) 1885

أسس هذا الحزب في خريف 1885، في مدينة وان بمبادرة من مجرديتش بورتقاليان (1848 ـ 1921) (Migirdich Portakalian) واتخذ في بداية تشكيله طريق التمرد والقتال، سبيلاً لنيل الاستقلال القومي الأرمني في الدولة العثمانية، وسعى إلى ضمان دعم أرمن الخارج لأرمن الداخل، وخصوصاً من الناحية المادية، وكذلك جلب اهتمام وعناية الدول الكبرى بقضيتهم[225].

ارتكز حزب الأرمنيكان على التنظيمات الثورية السائدة في القرن التاسع عشر، أي: موجبات وقانون داخلي، وتنظيم داخلي، وفروع محلية في مدن ثانوية، فضلاً عن التدريب العسكري، وصحيفة ثورية (أرمينيا)، ومجموعة من المسؤولين الثوار، المدعومين من عدد من الأعضاء المساعدين. استحدث حزب الأرمنيكان مكاتب خاصة له في إيران، لتسهيل تهريب الأسلحة إلى وان، وقد أصبح هذا الإجراء سمة ضرورية لكل حزب أو حركة ثورية أرمنية. لم يستطع حزب الأرمنيكان أن يتحول إلى حزب ثوري هام، واقتصر نشاطه على بعض المعارك المحدودة مع الجيش العثماني والكُرد[226].

إن أبرز حادثة لهذا الحزب في عقد الثمانينيات هي تلك التي عرفت في التاريخ الأرمني الحديث بـقضية سالماس[227] (Salmas affair)، وهي قيام ثلاثة من أعضائه في عام 1889، من الذين كانوا يعيشون في مدينة سالماس، وكانوا بالأصل من أهالي وان، وهم: كرابيد كولاكسزيان (Kulaksizian

Garabed)، واوهانيس اكريبسيان (Ohannes Akribesian)، وفارتان كولوشيان (Vartan Koloshian)، وكان اثنان منهم معلمين، بالتنكر بلباس كُردي[228]، واجتياز الحدود الإيرانية التركية، بهدف تجنيد بعض المتطوعين للقيام ببعض العمليات، غير أنهم وقعوا في الطريق في كمين للجيش العثماني، فقُتل اثنان منهم وألقي القبض على الثالث وهو فارتان كولوشيان إلا أنه تمكن بعد ذلك من الهرب، وقام بكتابة مذكراته التي أشار فيها إلى هذه العملية، التي تركت أثراً واضحاً على الأرمن في تلك الآونة [229].

2 ـ الهنشاق (Hunchaks) (الناقوس) 1887

تأسس هذا الحزب في آب/ أغسطس 1887 في مدينة جنيف، بمبادرة من الطالب افديتس نزار بك نزاربكيان[230](Nazarbekian)، الذي كان إلى جانب هدفه التحرري الوطني، معتنقاً الفكرة الاشتراكية، وكانت صحيفة (الهنشاق) ـ ناقوس ـ الصادرة في جنيف لسان حال هذا الحزب، الذي أخذ ينظم فِرقاً له في المدن الرئيسية من شمال كُردستان[231].

كان الهنشاق حزباً ماركسياً، وبمبادرة تنم عن احترام عميق للعقيدة الشيوعية، بدأ حزب الهنشاق بترجمة البيان الشيوعي إلى اللغة الأرمنية[232]، تشكل المؤسسون من الطلاب الأرمن من منطقة القوقاز الروسية، وقد تشبعوا بفلسفة الثورة السائدة وقتذاك، كما ربطتهم علاقة وثيقة بالأحزاب الثورية الروسية. وصف المعارضون برنامجهم بأنه (اشتراكي، وملحد، وتقدمي)، وقد أعلن الحزب بفخر انتماءه الاشتراكي والإلحادي وكذلك القومي، وحاول تحقيق أهدافه من خلال إطلاق ثورة في (القسم الأرمني من تركيا)، نظراً لوجود عدد كبير من الأرمن، ولسهولة إطلاق الثورة في تلك المنطقة، مقارنة بـ(القسم الأرمني من روسيا)، وبعد وقوع تلك الثورة ارتأى الحزب إرساء دولة شيوعية[233].

وأصدر الهنشاق جريدة ثورية أشرف على تحريرها «نزاربكيان»، الذي نشر رسالة في عام 1889 يقول فيها: «من الواضح قبل كل شيء أننا فوضويون، وأن لنا رغبةً وطيدة مبينة في لوائحنا، وهي نشر مبادئ الفوضى في بلاد الأناضول، هذا هو الهدف الأساسي، وإن هدفنا أيضاً إنشاء حكومة مستقلة في تلك البلاد، والحصول على الحرية السياسية في أوسع نطاق»[234].

أشارت لويزا نالباندیان (Louise Nalbandian) وهي من أهم الذين أرّخوا بداية الثورة الأرمنية، في وصفها لنهج حزب الهنشاق بأنه يدعو إلى «الحرب الدعائية، والتوتر، والترهيب والتنظيم، ونشاطات الفلاحين والعمال»، وكان الهدف من هذا النهج إطلاق الثورة الأرمنية؛ فقد جاء في بيان الحزب: «من الضروري إعادة قولبة ملامح التنظيم الاجتماعي، وتبديلها في القسم الأرمني من تركيا، وإن عنوة من خلال الدعوة إلى الثورة الشعبية»، وكان الترهيب لهم سبيلاً، كان لا بد من ترهيب المسؤولين العثمانيين، ومن قتل الأعداء من الأرمن والأتراك: «القضاء على أخطر الأفراد الأتراك والأرمن، في الحكومة والقضاء على الجواسيس والخونة» ـ بيان الحزب ـ خصص أحد فروع الحزب لتنفيذ العمليات الإرهابية[235]. جاء في المادة السادسة من لائحة هذه الجمعية: «يجب على كل لجنة أنْ تعيّن رئيساً للجواسيس من بين أعضائها، على شرط أنْ يكون من موظفي الحكومة، أو تكون له رابطة وعلاقة بموظف أرمني في الحكومة، ليتمكن من نقل أسرارها وتفاصيل ما يدور داخلها إلى اللجنة، ويشترط في تعيين ذلك الرئيس أن يكون تحت إدارته عشرة جواسيس، ينتخبون من أصدق رجال الجمعية، ليقوموا بإخبارنا أولاً بأول، بما يكتنفها من المخاطر، وعليهم أنْ يدخلوا في كل مكان متنكرين، بحيث يكون زيُّ التنكر للواحد منهم مختلفاً عنه للآخر، وعليهم أيضاً أن يعدوا مشروعاتهم في الخفاء، وتكون المداولات المختصة بهم منحصرة بين اللجنة

وبين رئيسهم». وتقضي المادة (السابعة) بتعيين خطباء بين الجماهير، لحثّهم على الثورة والإخلال بالأمن، أما المادة (الثامنة) من لائحة هذه الجمعية الأرمنية فتقول: «يجب أن يكون لكل لجنة منفذ، تكون تحت إمرته جماعة من المساعدين، والواجب المفروض على هذا المنفذ وعلى مساعديه، أن يقوموا بإعدام من ترى فيهم اللجنة أنهم يضرون بها، سواء كانوا من الأرمن أو غيرهم، وذلك متى صدر قرار اللجنة قاضياً باتخاذ هذه الوسيلة». وتضيف هذه المادة أن أنواع العقاب ثلاثة: التوبيخ، والضرب بالعصي، والإعدام، وهذا النوع الأخير ينفذ: إما بالخنجر، وإما بالخنق، وإما بالسم. وخلال نسف المنازل والمباني يجب استعمال أولاً: القنابل الديناميتية، وثانياً: الديناميت السائل، وثالثاً: قنابل الحرق المملوءة بالبارود، وجاء في المادة (التاسعة): «يجب أن يكون لدى اللجنة واحد من أعضائها، تنحصر اختصاصاته في غرس بذور الفتن، وتحريض الضعفاء على الأقوياء، حتى تعم الفتنة وينتشر الاضطراب» [236]. كما أكد برنامج الحزب على ضرورة كسب ولاء الكُرد والسريان، أثناء القيام بالنضال ضد الدولة العثمانية [237]، وفي محاولة لتوقع مستقبل الثورة أعلن حزب الهنشاق أن أفضل وقت لإطلاق الثورة في السلطنة العثمانية، هو وقت خوض العثمانيين الحروب [238].

3 ـ الطاشناق (Dashnaktsutiun) الاتحاد 1890

أسس حزب الطاشناق على أنقاض جمعية (أرمينيا الشباب)، التي أسسها في عام 1889 كريستابور ميكائليان (Kristapor Mikayelian)، وكان برنامجه هو القيام بالغزوات والغارات دائماً داخل الأراضي العثمانية، بغية معاقبة الكُرد بسبب اضطهادهم للأرمن وعنفهم، وهناك كلمة مهمة كانت تستعملها الجمعية وهي كلمة فريزه (vrezh) وتعني (الانتقام)، وكانت الجمعية تشك

في كون الكُرد ضحايا للنظام العثماني لأن هذا الأمر لديها ليس واضحاً تماماً، والأكثر من ذلك أنها كانت تؤمن بالتدخل الأجنبي مثلما تدخلت روسيا بعد أعمال العنف البلغارية [239].

أُسِّس الاتحاد الثوري الأرمني (A.R.F)، أو الطاشناق المشتق من كلمة (الطاشناكتسوتيون)، التي تعني (الاتحاد) باللغة الأرمنية رسمياً في تموز/ يوليو، أو آب/ أغسطس من العام 1890، في منطقة القوقاز الروسية، بزعامة كريستابور ميكاتليان نفسه، وقد عقد الطاشناق اجتماعه الأول في تفليس، عاصمة جورجيا الحالية في العام 1892[240]، وما لبث أن نقل الحزب مركزه من تفليس إلى مدينة جنيف السويسرية، التي أصدر فيها جريدة (تروشاك ـ العلم) لسان حال الحزب[241]. وينقسم برنامج حزب الطاشناق إلى ثلاثة محاور، الأول: الأهداف «يهدف حزب الطاشناق إلى تحقيق الحرية السياسية والاقتصادية، لأرمينيا العثمانية بوسائل التمرد والثورة». والثاني: الوسائل، الدعاية ـ تعليم ثوري للشعب، تنظيم الشعب وتسليحه للدفاع عن نفسه ـ أعمال التخريب ـ اغتيال الموظفين الفاسدين، وجميع المستغلين والخونة الأرمن. والثالث: التنظيم، تبنى الحزب مبدأ عدم المركزية الذي يعد نظاماً ملائماً لمنطقة العمليات الواسعة المزمع التنفيذ فيها، هذا وقد خلقت اللامركزية شبكة ديناميكية من الهياكل التنظيمية، أدارت العمل التنظيمي والثوري بحرية، استناداً إلى ظروف كل منطقة ـ في إطار أهداف الحزب ـ مما كفل للحزب نشاطاً وانتشاراً [242]. وخلال الاجتماعات التأسيسية في عام 1890 أعلن حزب الطاشناق انطلاق الحرب الشعبية ضد الحكومة التركية، وعلى غرار الهنشاق اعتنق حزب الطاشناق العقيدة الاشتراكية، وكان عضواً في منظمة الأحزاب الاشتراكية وأحزاب العمل، غير أنه كان أكثر مهارة في ترسيخ معتقداته الاقتصادية، وتدعيم أهدافه القومية[243]، وجاء في خطابه

التأسيسي: «أخيراً نقتنع بأن القيود التي تمنع تطور ونشوء الأرمن في تركيا يجب كسرها، وأن على الأرمن أن يحصلوا على استقلالهم بأي وسيلة كانت، وأن كل شيء مسموح به لتحقيق هذا الهدف: الدعاية، والرعب، والإرهاب، والحرب التي لا هوادةَ فيها، وكذلك قتل الأتراك والكُرد حيثما نجدهم وتحت أية ظروف، متى ما وجدتموهم اقتلوهم، اقتلوا الخونة والمخربين، وانتقموا فهؤلاء لا يمثلون شيئاً»[244].

أما بخصوص الكُرد فقد جاء في برنامج الحزب أن الكُرد الذين يقفون باستمرار في وجه الحكومة العثمانية من جهة، ويعملون على القضاء على الأرمن والعناصر الأجنبية الأخرى في المنطقة مثل: السريان، واليزيديين، والكُرد القزلباش (العلويون) من جهة أخرى، ويستخدمون في سبيل ذلك جميع الوسائل، وأن هذه الازدواجية في موقف الكُرد ستجعلهم يميلون للانحياز إلينا في المستقبل، أو على الأقل سيقفون موقف الحياد في صراعنا مع الحكومة العثمانية [245]. وقد تطرق ميكائليان في إحدى خطبه إلى الكُرد بالقول: «نحن الأرمن يجب أن نحاول معهم حتى يشاركونا حماسنا؛ لهذا ليس لدينا أية وسائل أخرى ماعدا حافز الخارج، الذي به يمكن أَن نقوي أنفسنا...، ونبرهن بأننا الأرمن قادرون على الدفاع عن أنفسنا، وعن حقوق جارنا أيضاً، إذا خلقنا هذه الحماسة، سيكون عندنا الحليف الكُردي، وما عدا ذلك فإن الأرمن سيبقون أهدافاً لإغارة الكُرد عليهم، وسلبهم ولن يقبلونا في أي وقت شركاء لهم في الكفاح ضد العدو المشترك »[246].

اتحد الهنشاق مع الطاشناق بعد تأسيسه في عام 1890، بيد أنهما انفصلا في العام التالي لاعتبارات شخصية أكثر منها إيديولوجية، إذ لم يتفق الثوار الأرمن على تحديد مسارهم[247].

لقد جاء تأسيس الأحزاب الثورية الأرمنية استجابة للدوافع القومية في

القرن التاسع عشر؛ فقد كانت الأحزاب الأرمنية الرئيسة الثلاثة: (الأرمنيكان، والهنشاق، والطاشناق) شبيهة بالمنظمات اليونانية والبلغارية الثورية الناجحة في أهدافها القومية، واستعدادها للجوء إلى عنف جماعي أو اغتيال انتقائي، كلما كانت هناك حاجة إلى ذلك؛ كانوا متميزين في أن شعبهم كان يشكل أقلية واضحة، في أرض يخططون للاستيلاء عليها، لا يمكن معرفة درجة تأييد الأرمن الشرقيين التلقائية لهم؛ من غير المؤكد أن باستطاعة كثير من الأرمن أن يعارضوهم بنجاح سِراً أو علناً، إذا أخذنا تقاليدهم القائمة على أساس العنف في الحسبان[248].

رأى الهنشاق أن التظاهرات ضد الحكومة العثمانية سوف تكون بمثابة رسالة إلى الدول الأوروبية مفادها أن الأرمن لم ينسوا قط المادة (61) من معاهدة برلين، ولهذا نظم الهنشاق في 20 حزيران 1890 تظاهرات في أرضـروم[249]، بعد مهاجمة القوات العثمانية لإحدى الكنائس على أثر وصول أخبار بوجود أسلحة فيها. ويعتقد أن قساوسة الأرمن الكاثوليك كانوا وراء تسريب هذا الخبر إلى السلطات العثمانية، إلا أن هذه الأخيرة لم تعثر على شيء، ووقعت اشتباكات بعد ذلك بين القوات العثمانية والأرمن في أرضروم، ذهب ضحيتها عدد من الأرمن، وبعض الجنود العثمانيين[250]. وبعد هذه الأحداث في أرضروم قامت تظاهرة أرمنية أخرى، نظمها الهنشاق في استانبول في الكاتدرائية الأرمنية، في كوم كابي (Kumkapi)[251]؛ ففي 15 تموز/ يوليو 1890، قام أحد أعضاء الهنشاق المدعو هاروتيان جانكوليان (Harutyan Cangulyan)، بالهجوم على بطريرك الأرمن عاشـقيان (1884 ـ 1894) (Ashikian)، الذي كان يميل إلى الأتراك ويهادنهم، عندما كان يلقي خطاباً في كاتدرائية كوم كابي، لتقاعسه في الدفاع عن الأرمن إثر تظاهرات

أرضروم[252]، ثم اتجهت تظاهرة أرمنية من تلك الكنيسة نحو قصر السلطان عبد الحميد، إلا أن القوات العثمانية لم تتردد في إطلاق النار عليها، مما أدى إلى وقوع عدد من القتلى وجرح آخرين في صفوف المتظاهرين، بعدها تمكنت القوات العثمانية من تفريقهم، وألقت القبض على هاروتيان، وحكمت عليه بالسجن المؤبد[253].

كما جهز أرمن روسيا في العام نفسه قوة مسلحة صغيرة، أعدها الطاشناق للقيام بغارة داخل الأراضي العثمانية [254]؛ فقد قام (125) شخصاً من أعضاء الطاشناق بقيادة سركيس كوكونيان (Sarkis Kukunyan) بمحاولة الدخول إلى الأراضي العثمانية، بهدف القيام ببعض العمليات الفدائية، إلا أن العملية فشلت؛ فقد أحبطها الجيش الروسي المرابط على الحدود الروسية العثمانية بعد تصديه لها، وإلقاء القبض على المشاركين فيها وأُودعوا في سجن قارص[255]، ورغم فشل هذه الإغارة، إلا أنها أوصلت رسالة واضحة مضمونها: «لم ينس أرمن روسيا قط القضية الأرمنية»[256].

شكلت هذه العمليات البداية الأولى لعمل هذه الأحزاب في صدامها مع الدولة العثمانية، ولتتطور فيما بعد إلى مواجهات مسلحة، وعمليات اغتيال وكر وفر، ولتتعقد الحالة أكثر فأكثر بين الطرفين، وتؤدي في نهاية المطاف إلى حدوث مذابح للأرمن بين عامي 1894 ـ 1896، ذهب ضحيتها العديد من الأبرياء، كما سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

في الختام لابد من التطرق إلى موقف الأحزاب الأرمنية الثلاثة التي مرّ ذكرها من الكُرد، الذين كانوا يعيشون معهم على الأرض نفسها، التي يسميها الكُرد كُردستان، ويسميها الأرمن أرمينيا. فعند النظر إلى منهاج الأحزاب الثلاثة بخصوص الكُرد يظهر بوضوح الغموض الواضح في برنامجها بهذا الشأن، فحزب الأرمنيكان على الرغم من كونه الحزب الوحيد المؤسس في

وان، أي: بين الكُرد لم يشر في منهاجه قطّ إلى الكُرد، وتجاهلهم، وأخرجهم تماماً من معادلته السياسية، بل كان هذا الحزب ينظر إلى الكُرد نظرته إلى الأتراك، إذ لم يفرق بينهما، على الرغم من أن مؤسسه قد أنشأ في السبعينيات مدارس أرمنية قامت أيضاً بإيواء طلبة من الكُرد. يبدو أن هذا الغموض يتبدد نوعاً ما في برنامجي كل من حزب الهنشاق والطاشناق، في محاولة كسب كل منهما الكُرد لقيادة النضال ضد الدولة العثمانية، ولكنّ أيّاً من الحزبين مثل الأرمنيكان لم يقر ويعترف بوضوح بحقوق الكُرد في الدولة المستقبلية، وإذا ما نجحا في مسعاهما، فما هي مكانة الكُرد في دولة أرمنستان، ذات الأغلبية الكُردية، التي ستؤسسها هذه الأحزاب الأرمنية؟

من هذا المنظور يظهر أن هذه الأحزاب الأرمنية الثلاثة لم تقم بوضع برنامج متكامل للمنطقة، وتجاهلت هذه الحقوق القومية الكُردية، وكذا الحركة التحررية الكُردية، التي هي أقدم بكثير من الحركة التحررية الأرمنية؛ إذ إنه ليس هناك مجال للمقارنة بين الحركتين في العصر الحديث. فحتى الأمس القريب كان الأرمن أصدقاء الأتراك، والكُرد هم أعداء الأتراك في كُردستان، والآن انقلب الأمر رأساً على عقب، وكان من الأجدر لهذه الأحزاب الأرمنية أن تضع مكاناً سياسياً للكُرد في برنامجها، للنضال ضد الدولة العثمانية، ولا تقوم بالتعامل مع القضية القومية الكُردية باستخفاف، وتعمل على كسب الكُرد إلى جانبها، لتأسيس دولة أرمنية. إن هذا التناقض في برنامج هذه الأحزاب دفعها ولأول مرة إلى تغيير نظرتها نحو الكُرد، بعد المذابح الأرمنية الأولى 1894 ـ 1896، حيث خلصت، أي هذه الأحزاب إلى أهمية العامل الكُردي في النضال ضد الحكومة العثمانية، وأن العلاقات الأرمنية على مستوى النخبة ابتدأت فعلياً بعد هذه المذابح الأرمنية، كما سيأتي الحديث عنها لاحقاً، والملاحظة الأخرى التي تؤخذ على هذه الأحزاب الأرمنية هي أن حزبَيْ

الهنشاق والطاشناق حاولا في بعض منشوراتهما الحزبية كسب الكُرد على الأقل إلى جانبهما، إلا أنه يظهر أنهما لم يقوما بخطوة في هذا الاتجاه في المرحلة الأولى من تأسيسهما، ولم يقوما بمثل هذا العمل إلا بعد المذابح الأولى، بل على العكس من ذلك قاما بضرب القرى الكُردية واستفزاز الكُرد، ولم يحاولا مجابهة طغيان الآغوات الكُرد، المدعومين من الحكومة العثمانية، وكسب الكُرد وهؤلاء الآغوات إلى جانبهم، على الأقل التأثير في التاريخ الطويل لكلتا القوميتين معاً، والضرب على وتر أن الأتراك غرباء عن هذه البلاد، التي هي فقط للكُرد وللأرمن.

جـ- التقارب التركي الكُردي وقضية موسى بك الموتكي

هل شكلت الحرب الروسية العثمانية 1877 ـ 1878، نقطة البداية لالتقاء المصالح التركية بالمصالح الكُردية؟ وهل ولدت هذه الحرب يأساً لدى الأتراك، بأنهم آجلاً أم عاجلاً سيجبرون على التخلي عن شمال كُردستان، كما تخلوا عن العديد من المناطق العثمانية، خصوصاً في القرن التاسع عشر؟ ثم لماذا لم تَقْدِم الدولة العثمانية على اتخاذ موقف حازم من انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري، عكس الانتفاضات والحركات الكُردية الأخرى؟ مع العلم أن أهداف انتفاضة الشيخ النهري كانت واضحة وضوح الشمس، ألا وهي تأسيس دولة كُردية، وإخراج الأتراك والفرس من كُردستان؛ ربما فكرت الدولة العثمانية ولو لبرهة أن منطقة شمال كُردستان لن تكون لها في المستقبل القريب، لذا لن تكون لأعدائها الروس وحلفائهم الأرمن، وبعد كل هذا لا يهم من يسيطر عليها، ما لم يسيطر عليها أحد العنصرين الروسي أو الأرمني، وقد عدت الدولة العثمانية العنصر الأخير خائناً، فقد كان الأرمن حتى الأمس القريب هم الملة الصادقة، وكان الكُرد منبوذين على الصعد كافة،

لأنهم لم يتركوا الدولة العثمانية تهنأ بكُردستان قطّ، على مر حُقب التاريخ الحديثة. وربما هذا يفسر لنا سبب دعم الدولة العثمانية للكُرد، في انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري، ليس دعماً حقيقياً بل سكوتاً عما يجري هناك، لأنها وقفت في موقف الميئوس منه، إزاء جميع الأحداث التي عصفت في تلك المنطقة، منذ الحرب الروسية العثمانية، لذلك ولأجل محاربة الطموحات الروسية والأرمنية في شمال كُردستان، ولعدم تمكنها من السيطرة على الكُرد، وجعلهم عنصراً مخلصاً لها طوال العصر الحديث، اضطرت إلى مهادنتهم واستغلالهم، رغم كرهها لهم، وتكوين جبهة واحدة معهم ضد التطلعات الروسية والأرمنية في المنطقة.

بالاعتماد على ما سبق صار الكُرد رقماً صعباً في المعادلة السياسية، في المنطقة بصورة عامة بعد الحرب، وسارعت جميع الأطراف إلى كسب ودهم، وإستمالتهم إلى جانبهم وحدثت نقاشات عديدة بهذا الخصوص، محاولات قام بها الأرمن والأتراك والروس كل من جهته، ولأول مرة يظهر للبريطانيين عندما بعثوا قناصلهم إلى كُردستان أن الكُرد هم العنصر الأكثر عدداً في المنطقة، بحيث لا يوجد مجال للمقارنة، بين الشعب الكُردي والشعوب الأخرى.

فبخصوص الأرمن جرى في عام 1880، نقاش حاد بين جريدتي (ميغوهايستان) و(مشاك) فيما يتعلق بالمسألة الكُردية، فدعا أنصار ميغوهايستان الأرمن للصداقة مع الكُرد، منتقدين تناقضات جريدة مشاك في المسألة الكُردية؛ وتسترعي الانتباه المقالة المنشورة في جريدة ميغوهايستان في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر 1880، أي في مرحلة انهيار انتفاضة الشيخ النهري، بعنوان (الأرمن والكُرد)؛ فلقد سعى كاتب المقال لبيان علاقات الصداقة المستمرة، بين الأرمن والكُرد على أساس تاريخي، وانتقد تلك

الشخصيات البرجوازية، التي رأت في الكُرد فقط قوة معادية للأرمن، وأشار أيضاً إلى أن التباين في العقيدة الدينية، لا ينبغي أن يكون سبباً للعداوة، وفي الوقت ذاته حاول كشف الدوافع الاقتصادية والاجتماعية، التي أرغمت الكثير من الكُرد على القيام بأعمال النهب والسلب. وعبر كاتب المقال عن عطفه العميق حيال الفلاح الكُردي البسيط، وفي الوقت ذاته وصف الإقطاعيين الكُرد والشيوخ والبكوات كأناس لا يمثلون الشعب الكُردي ولم يمثلوه يوماً ما، كما دعا الأرمن إلى إقامة صداقة وطيدة مع الكُرد، مشيراً إلى الفائدة الكبرى التي تجلبها هذه الصداقة على الشعبين[257].

وفي سبيل ذلك قامت مجموعة من القيادات الأرمنية في استانبول في عام 1880، بإرسال مبعوثين عنهم بشكل سري إلى المناطق الكُردية في درسيم وشمال كُردستان، لتوطيد العلاقات مع الكُرد، وتكوين جبهة موحدة ضد الأتراك في المنطقة، وقد تمت الإشارة فيما سبق إلى تقرير نائب القنصل البريطاني في أرضروم إيفريت، المؤرخ 25/ 6/ 1880، الذي ذكر فيه اتجاه الأرمن إلى المقاومة المسلحة ضد الدولة العثمانية، والاعتماد على أنفسهم في سبيل نيل حقوقهم القومية. ويذكر أن أحد أهم أهدافهم هو تنسيق الجهود مع الكُرد في تلك المناطق؛ ويعقب إيفريت حول هذه الحركة الأرمنية بـ: «..لقد بدا لي منافياً للعقل أنْ يكون هنالك أي تناغم بين عرقين، بديا على عداء وخصام بصورة جلية، ولكن من الواضح أن المفاوضات تحت ذريعة التجارة قد تم تنفيذها في الوقت الراهن مع كُرد منطقة (درسيم)، وأيضاً مع رئيس العشيرة القوي في المناطق المجاورة لمنطقة موش، الذي لا يمكن أن يكون أي شخص آخر غير (ميرزا بك) [وهو والد موسى بك أحد الآغوات الكبار لعشيرة جلالي الكُردية الكبيرة في موش] في حين أن العلاقات الأكثر شهرة من التي مضت كانت قد تحسنت مع الشيخ عبيد الله»[258]. كما أشارت

تقارير بريطانية أخرى عديدة ترجع إلى أوائل ثمانينيات القرن التاسع عشر، إلى هذا التحرك الأرمني نحو الكُرد، وقد رأى فيه ـ: البريطانيون إستراتيجية غريبة جداً من ناحية الأرمن، لأنّ المهمة الأساسية لبريطانيا في شمال كُردستان كما نصت عليها معاهدة برلين وبروتوكول قبرص هي حماية الأرمن من الكُرد؛ فبعد أن يأس الأرمن من الإصلاحات اتجهوا للتحالف مع الكُرد ضد الأتراك؛ لطردهم من المنطقة، وربما أزال هذا التحرك نحو الكُرد من قبل الأرمن عند بريطانيا هالة الخوف من الكُرد والتي خلقها الأرمن في المنطقة ولم يكن لها أساس البتة، وأن هدفهم ـ أي: الأرمن ـ كان فقط الظفر بكل الأراضي في شمال كُردستان، وتأسيس كيان سياسي لهم عليها [259].

وبعد رحلة المبعوثين الأرمن والتي دامت ست سنوات في شمال كُردستان رجع أحد هؤلاء المدعو بليبوس كجيان(Pilibos Keçeyan) إلى استانبول في عام 1886، وأعطى لكبار القادة الأرمن خلاصة رحلته إلى كُردستان، بالقول: «كان الأرمن متفقين مع الكُرد في مبدأ مقاومة الأتراك، وعمل الأرمن على إيجاد علاقات طبيعية مع الكُرد، لكنهم لم يثقوا بهم على أنهم أصدقاء لنا، فقد طلب الكُرد من الأرمن العمل سوية، وطلبوا منهم المال والسلاح؛ لتأسيس دولة كُردستان المستقلة» [260].

هنا يقع مكمن الخلل في علاقة الكُرد بالأرمن، فكثيراً ما يلام الكُرد على أنهم كانوا أداةً في أيدي الأتراك الذين استخدموهم ضد الأرمن بعد ذلك. في هذه المرحلة بالذات كان على القيادات الأرمنية التخلي عن فكرة أرمنستان الكبرى، فلا يعقل أن يحاول الكُردي في أرض ذات أكثرية كُردية تأسيس دولة أرمنستان، وكان بإمكان الأكراد والأرمن لو اتحدوا في تلك المرحلة أن يؤسسوا دولة لهم، أو على الأقل إخراج الأتراك من بلادهم التاريخية، إذ بمجرد إخبار الكُرد لهؤلاء الأرمن المفاوضين بأنهم سيعملون معاً على

تأسيس دولة كُردستان المستقلة، حتى وإن أدار الأرمن ظهورهم للكُرد، في حين سنجد قيادات كُردية في أواخر القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين تؤيد فكرة إقامة دولتين في المنطقة، أو دولة مشتركة تضمن حقوق القوميتين، أمثال عبد الرحمن بدرخان، والشيخ محمد صديق، كما سيأتي الحديث عنهما لاحقاً.

بالمقابل نجح الأتراك في تلك المرحلة في كسب الإقطاعيين الكُرد إلى جانبهم، من خلال الدعوة إلى فكرة الجامعة الإسلامية[261]، التي تبناها السلطان عبد الحميد الثاني[262]، كما عقدت الأوساط الحاكمة التركية العزم في الوقت نفسه على حل المسألة الكُردية: وذلك عن طريق مكافأة الإقطاعيين الكُرد، على حساب السكان الأرمن، وأما غضب جماهير الشعب الكُردي فسيتم توجيهه في مجرى الصراع القومي الديني ضد الأرمن[263].

ولأول مرة ظهر الأتراك على أنهم هم المدافعون عن الكُرد في المنطقة، فمر سابقاً أن السلطان عبد الحميد وقف ضد إجراءات لجان الإصلاح الأرمنية، عندما قاموا بإيداع الآغوات والإقطاعيين الكُرد في سجون ديار بكر وخربوط، لنفيهم بعد ذلك من كُردستان، لكنّ الذي عمل على إبطال هذا القرار هو السلطان عبد الحميد الثاني، كما أكد بعض المسؤولين العثمانيين الكبار أمثال منير بك، أمين خزانة السلطان عبد الحميد الثاني، مراراً بأنّ الإصلاحات المنصوص عليها في مؤتمر برلين شملت الأرمن فقط، وهذا خطأ واضح، وكان من الأسلم والأفضل إدخال الكُرد، الذين هم من (المتوحشين) على حد وصف منير بك، ضمن مخطط الإصلاحات، وعدم محاربتهم وإبعادهم من مناطقهم التاريخية[264].

كان للكُرد أيضاً دوافعهم الخاصة، للانضمام إلى جانب الأتراك في تلك المرحلة التاريخية، فمن جهة وجدوا ولأول مرة، الدولة العثمانية

تفتح ذراعيها لهم، بعدما كانوا في تمرد مستمر، وكانت ترسل عليهم حملة تلو الأخرى؛ فقد رأى الكُرد بأنه قد آن الأوان لكي يهنأوا بوضع مستقر ولو لمدة قصيرة، ومن جهة أخرى كانت للأعمال الأرمنية، خصوصاً وقت تنفيذ الإصلاحات في أواخر سبعينيات القرن التاسع عشر تأثير كبير في تقرب الكُرد من الأتراك، الذين وجدوا أن لا مفر لهم غير ذلك، كما أن فكرة أرمنستان مستقلة في شمال كُردستان التي تبناها الأرمن قربت الكُرد أكثر فأكثر من الأتراك. وهنا تجب الإشارة إلى أن الكُرد لم ينظِّموا كشعب إلى جانب الأتراك في هذا الصراع، وإنما دخل هذا الصراع الآغوات فقط من الكُرد الذين تضرروا من عمل اللجان الأرمنية، أو الذين كانت لهم دوافع مادية.

إن كل ما ينسب إلى مساوئ الإقطاع الكُردي، وظلمه الواضح والصريح للأرمن إنما يعود إلى عقد ثمانينيات القرن التاسع عشر وما بعدها، وإن معظم الأمثلة التي ذكرها أغلب الباحثين والمؤرخين أمثال: لازاريف[265]، وكمال مظهر أحمد[266] إنما تعود إلى هذه المرحلة التاريخية وليس قبلها؛ وذلك لأن العديد من الآغوات الكُرد وجدوا أن الدولة العثمانية تصدر المراسيم والقرارات للكُرد، للضغط على الأرمن وبكل الوسائل[267]. وذهب كارو ساسوني للقول إنه بدءاً من عام 1880 عملت الدولة العثمانية على إصدار القرارات، بهدف تحريض الكُرد ضد الأرمن [268].

فمثلاً تشير التقارير التي رفعها من أيار/ مايو 1877 حتى آذار/ مارس 1890، نائب قنصل فرنسا في ديار بكر، فيلكس برتران إلى سفيره الكونت دي مونتبلو، إلى تدهور الهيئة الاجتماعية العثمانية ببطء، والمجاعات، وانعدام الأمن المتزايد، وكشف القنصل الأحداث التي مزقت البيئة الاجتماعية، والتي غيَّرت شيئاً فشيئاً النظرة التي يحملها المسلمون عن المسيحيين: لقد انتقلت تلك النظرة من (الذمي) إلى (الغريب)، فعندما يتعرض المسيحي إلى

امتناع القاضي عن الحكم تتوسل طائفته إلى القنصل الفرنسي برغبة أكثر من الحكومة، وهو إجراء ينمي شعور المسلمين، ويستبعد المسيحيين أكثر فأكثر من المجتمع، مع أنهم كانوا ينشطون الاقتصاد، وتزداد الرغبة في نزع ملكيتهم [269]. وهنا يذكر هاكوب شاهبازيان أن العثمانيين كانوا يطلقون على الأرمن اسم (كاور) ـ أي: كافر ـ وأطلق عليهم الكُرد اسم (فلا)[270]، وذلك لتجريد الصفة السياسية عن هذا العنصر، وأنه قديماً كان يطلق على الأرمن أرمن في كُردستان، أما الآن فتطلق عليهم هذه التسميات [271]. وكتب القنصل الايطالي في طرابزون فرانسيسكي (Francisci) في 20/ 6/ 1890، بخصوص استعمال مفردات جديدة ضد المسيحيين، ما نصه: «إن إحدى العواقب المؤلمة لهذا كله هي توليد مشاعر الحقد عند المسلمين تجاه المسيحيين، ومن الآن فصاعداً فإن الاحتقار، واستعمال المفردات ضد المسيحيين، أصبحت كثيرة بعد أن ساد التسامح بينهم لمدة طويلة من الزمن»[272]. ومما يدعم أن هذه المصطلحات حديثة العهد في كُردستان هو أن المصادر القديمة التي تحدثت عن علاقة الكُرد بالأرمن في عهد الإمارات الكُردية، وحتى بعد ذلك لا تشير إلى هذه المصطلحات، وأغلب الظن وبناءً على ما سبق فإن هذه المصطلحات ظهرت في عهد السبعينيات والثمانينيات من القرن التاسع عشر، عند تغلغل الأتراك في النسيج الاجتماعي في شمال كُردستان، وخصوصاً مصطلح (كاور) الذي كان بعيداً كل البعد عن المجتمع الكُردي حتى وقت قريب[273].

في هذه المرحلة ساعدت السلطات التركية على زيادة ثراء الإقطاعيين الكُرد، ونالت منهم هدايا ثمينة عوضاً عن ذلك: «وأشار تيرمن [احد المراقبين] إلى أن القرية كلها، تحولت عن هذا الطريق إلى يد الكُردي، وصار الأرمن في البداية (مريب)، بمعنى: إنهم يتسلمون من الكُردي الحبوب والمواشي لفلاحة الأرض، ويقدمون لقاء ذلك له نصف الحاصل، ومن بعد ذلك يفقدون الأرض ويصيرون مجرد عمال، أي: رقيق لدى الكُردي»[274].

وقد شجعت الحكومة العثمانية بجميع الوسائل استيطان الإقطاعيين الكُرد، في القرى الأرمنية لاعتبارها واحدة من وسائل مكافحة حركة التحرر الأرمنية، وأعاد السلطان عبد الحميد الثاني الآغوات والبكوات الكُرد، الذين سبق وأن أُبعدوا من شمال كُردستان في عهد الإصلاحات الأرمنية، إلى أماكن سكناهم السابقة، وساعدهم في الحصول على تلك الأراضي الزراعية وتملكها، وبالنتيجة فإن عملية الاستحواذ على الأراضي الزراعية الأرمنية قد تسارعت كثيراً منذ عقد الثمانينيات من القرن التاسع عشر على يد الإقطاعيين الكُرد[275]، وأكد هنري بنديه (Henry Binder) في رحلته إلى كُردستان في تلك المدة أنه قد التقى عديداً من الأرمن في وان وبتليس، قالوا له: إن السلطان عبد الحميد الثاني يقوم الآن بتحويل أرمنستان إلى كُردستان[276]، وهذا ما أشار إليه هاكوب شاهبازيان أيضاً[277].

وكثيراً ما أشارت المصادر إلى الظلم الواقع على الفلاح الأرمني في تلك المرحلة التاريخية، حتى إنه كان كالعبد في مزرعة سيده الكُردي، أو كان يباع ويشترى مع الأراضي الزراعية، إلا أن لازاريف يؤكد أن وضع الفلاح الكُردي لم يكن يختلف عن نظيره الأرمني، ويصف ذلك بالقول: «إن الفلاحين الأرمن وكذلك الحرفيين لم يكن يضطهدهم الشعب الكُردي، بل الزعامة الإقطاعية الكُردية بالتواطؤ مع الموظفين الأتـراك، وفئة تجارة الاستيراد الأرمن والبرجوازية المتوسطة، وفي الوقت نفسه تنبغي الإشارة بصورة خاصة إلى أن الفلاحين المستقرين من الكُرد عاشوا مع جيرانهم الأرمن بسلام ووفاق، ولم تكن أية عداوة توجد بينهم»[278].

ورغم هذه الأوضاع التي آلت إليها، بعد التدخل التركي في المنطقة، إلّا أن الأرمن ظلوا يحركون اقتصاد أغلب المدن في شمال كُردستان، فإنّ المؤرخ الروسي لازاريف، المتابع للعلاقات الكُردية الأرمنية في تلك المدة، يشير إلى

إحصائيات تظهر التفوق الأرمني اقتصادياً في أغلب مدن شمال كُردستان في تلك الآونة[279]، وفيما يلي بعض الإحصائيات التي أوردها لازاريف:

«في ولاية سيواس، التي يشكل الأرمن فيها نسبة (35 %) من السكان، بلغ عدد التجار الأرمن (125) تاجراً كبيراً من تجار الاستيراد من بين مجموع (166) تاجراً، ومن بين (37) مصرفياً كان يوجد (32) مصرفياً أرمنياً، ومن بين (9800) حانوت تجاري صغير كان يوجد (6800) حانوت أرمني منها، ومن بين (153) مؤسسة صناعية كـان يوجد (130) مؤسسة تعود للأرمن، وفي ولاية وان كان بيد الأرمن (98 %) من التجارة، و(80 %) من الأراضي الزراعية، و(20 %) فقط من قطعان الماشية والأغنام، وكان عدد المصدرين والمستوردين في الولاية نفسها (18) شخصاً كلهم أرمن، وكان يوجد (50) مرابياً، (30) منهم من الأرمن... و(20) صرافاً كلهم أرمن، ومن بين (1100) حرفي كان (1020) منهم من الأرمن... ومن بين(80) بائع خضار كان (50) منهم من الأرمن، وكان يوجد (200) بائع فواكه نصفهم أرمن، وجميع الأشخاص الذين مارسوا الأعمال الحرة مثل: الأطباء والصيادلة، والمحامين، وغيرهم، كانوا من الأرمن»[280].

وبناء على ما سبق ظهر بشكل متزايد منذ الثمانينيات من القرن التاسع عشر مجموعة من الإقطاعيين الكُرد، المدعومين من السلطان عبد الحميد الثاني، عملوا على الإضرار بالعلاقات الكُردية الأرمنية، وقاموا في بعض المناطق بسلب ونهب ممتلكات الأرمن، وفي مناطق أخرى قاموا بقتلهم، وخطف بناتهم؛ يذكر كارو ساسوني أن عمليات النهب والسلب كانت موجودة في الماضي داخل مجتمع شمال كُردستان، إلا أن الكُرد لم يكونوا يقبلون قتل الأرمني قطّ إلا في حالات نادرة[281]، وعلى الرغم من ذلك لم

يكن الشعب الكُردي راضياً عن تصرفات هؤلاء الإقطاعيين، الذين كانوا دوماً يجدون المعارضة ليس من الأرمن فحسب، بل من الكُرد أنفسهم، وفي مرات عديدة وجد الإقطاعي الكُردي الظالم معارضة لأعماله من داخل بيته، أو من عشيرة مجاورة، ولنا في قضية الحاج موسى بك الموتكي خير مثال.

برزت أسماء العديد من الإقطاعيين الكُرد في الثمانينيات من الذين كان الأرمن يشكون منهم كثيراً أمثال (الشيخ أوسو والشيخ صدو) في دياربكر[282]، ولكن لم يبرز ويشتهر اسم أحد في تلك المدة كما برز اسم الحاج موسى بك الموتكي، والذي أدت أفعاله في مرات عديدة حدّ افتعال أزمة حقيقية بين الدولة العثمانية وأميركا أولاً، ثم بين الدولة العثمانية وبريطانيا ثانياً.

ينتمي موسى بك إلى عشيرة جلالي الكُردية، التي كانت موجودة في سنجق موش التابع لولاية بتليس، وكانت عائلة موسى بك ومنذ القدم تحكم قضاء موتكي[283]. كان والد موسى بك السيد ميرزا أحد السادة الإقطاعيين الذين كانت تثق بهم الدولة العثمانية؛ فقد استلم منصب قائمقام قضاء موتكي وقضاء أخلاط. ولد موسى بك في قرية جينيار في قضاء هويت التابع لمدينة موش في عام 1854، وقد كان لوالده السيد ميرزا ثلاثة أبناء إلى جانب موسى بك، وهم: (قاسم، ونوح، وجيزو). صار موسى بك رئيساً لعشيرته في أواسط ثمانينيات القرن التاسع عشر إثر مقتل والده السيد ميرزا في حادثة ثأر بين عشيرته وإحدى العشائر المجاورة. كان موسى بك يمشي على خطى والده ميرزا؛ فقد تمكن بدوره من اكتساب ثقة الإدارة العثمانية هناك، التي عينته في منصب مدير ناحية هويت، وقد بقي في هذا المنصب لسنوات عديدة، واشتهر بأنه كان يجمع الضرائب هناك بالقوة، مما ساعد على زيادة إيرادات خزينة ولاية بتليس، وهذا الأمر أكسبه مزيداً من ثقة الإدارة العثمانية[284].

كان موسى بك السيد الحقيقي لولاية بتليس، وكتب عنه ف.أ.

غوردليفسكي: «لقد عمل في خدمته ما يصل إلى (80000) من الأكراد، الذين خضعوا له في كل شيء، ودانت له المنطقة كلها»، وكان موسى بك في الواقع مستقلاً عن رئاسة الولاية المحلية، التي كانت تتوارى دائماً في الظل أمامه[285].

ويعود كره الأرمن لموسى بك إلى عهد إشغاله منصب قائمقام قضاء هويت، ففي بداية ثمانينيات القرن التاسع عشر، أصدر أمراً بإلقاء القبض على أحد رجال الدين الأرمن، المدعو بوغوص ناتانيان (Bogos Natanyan) لثبوت علاقته بالمتمردين الأرمن آنذاك، وقد سلم موسى بك بدوره بوغوص إلى متصرفية موش، التي حكمت عليه بالحبس المؤبد، بتهمة تشجيع الأرمن على التمرد في وجه الدولة العثمانية[286].

برزت شهرة موسى بك لأول مرة في عام 1883، وذلك بعد ضربه لمبشرَيْنِ أميركيين وهما: د.رينولدس (Dr.Reynolds)، وكناب (Knapp)، إثر خروجهما من قريته، حيث كانا في ضيافة موسى بك نفسه، وقد اتهمت السفارتان الأميركية والبريطانية في استانبول، والي بتليس ووالد السيد موسى ميرزا بك بأنهما شركاء في هذه العملية، إلا أن السلطات العثمانية نفت اشتراك الأخيرين في عملية الاعتداء على المبشرين الأميركيين، وأدّت هذه الحادثة إلى أزمة حادة بين الحكومتين العثمانية والأميركية بين سنوات (1883 ـ 1885)[287].

فقد ذكر والاس (Wallace) ، سفير الولايات المتحدة الأميركية في استانبول في مذكرة له إلى عارف باشا وزير خارجية الدولة العثمانية بتاريخ 24 كانون الثاني/ يناير 1884 أن الحكومة الأميركية بعثت حتى الآن أربع مذكرات إلى السلطات العثمانية، لغرض إعلامها بحادثة المواطنين الأميركيين في موش، وإجراء اللازم ولكن دون جدوى، وبناءً على المعلومات التي وردت إلى السفارة الأميركية، فإن المواطنَيْنِ الأميركيين وهما: (د.رينولدز، وكناب)

قد تعرضا للنهب والضرب، عند خروجهما من إحدى القرى التابعة لمدينة موش. وقد شرح التقرير أن الأميركيين وبناءً على توصية من والي بتليس، الذي أكد لهما أن المنطقة آمنة، ذهبا إلى قرية موسى بك، الذي قام بدوره باستضافتهما، ولكن عند تناولهم الشاي، نسي المواطنان الأميركيان تقديم كأس من الشاي إلى موسى بك أولاً، الذي عدّ ذلك إهانة له، وعند مغادرتهما القرية نصب موسى بك كميناً لهما وبصحبته أربعة من رجاله، حيث نهبهما وضربهما إلى درجة اعتقد أنهما قد ماتا، غير أن التحقيقات التي أجرتها القنصليات الأميركية في المنطقة بخصوص هذا الأمر أكدت أن الذي قام بالعملية هو موسى بك، ولكن الإدارة العثمانية هناك تحججت وقامت بحمايته، وحماية والده ميرزا بك، وقدمت للعدالة بدلاً من موسى بك، أربعة أشخاص آخرين متهمةً إياهم بأنهم هم من كان وراء الحادث، إلا أن المواطنَيْنِ الأميركيين أكدا على أنهم ليسوا الفاعلين، وإنما الفاعل هو موسى بك ورجاله، فَهُم الذين كانوا وراء الحادث. وبعد ضغوطات عديدة أعيد قسم من المال، الذي نهبه موسى بك من الأميركيين، إلا أنه بقي طليقاً في موش ولم يحاكم على فعلته هذه، وقد دعت الحكومة الأميركية الإدارة العثمانية إلى إجراء اللازم، والقبض على موسى بك وتعويض المتضررين[288].

وبناءً على هذه الضغوط قامت السلطات العثمانية في بتليس بوضع موسى بك مع عائلته تحت الإقامة الجبرية في موش، وتؤكد الباحثة ميلدا حمدي أوغلو في دفاعها عن موسى بك بوصفها تلك الحادثة بالقول: «كان البريطانيون والمبشرون الأميركان يرون في السيد موسى بك عائقاً أمام فعالياتهم في المنطقة، لذلك أرادوا التخلص منه، واستغلت اللجان الأرمنية في ذلك الوقت هذه الحادثة، لتضخيم الموضوع وإعطائه إطاراً أكبر من حجمه الحقيقي، وبناءً على الضغوط الأميركية على الحكومة العثمانية بسبب هذه

الحادثة والى جانب الشكاوى الأرمنية ضده اضطر العثمانيون إلى نقل موسى بك مع عائلته إلى مركز متصرفية موش، لكي يوضعوا هناك تحت الإقامة الجبرية، وعمدت الدولة العثمانية إلى إجراء هذا العمل، لكي لا تأخذ هذه المسألة حجماً أكبر من ذلك»[289]. وعندما وضعت الإدارة العثمانية موسى بك تحت الإقامة الجبرية، أسندت إليه فيها منصباً مهماً في مدينة موش، وذلك بمساعدة واليَيّ بتليس السابقين عارف باشا وفكري باشا، بعد مصادقة الباب العالي على هذا الأمر، أي: إن أمر الإقامة الجبرية كان في مصلحة موسى بك؛ ففضلاً عن حماية الإدارة العثمانية لموسى بك قامت بمكافأته بأن أسندت إليه إحدى الوظائف المهمة في مدينة موش[290].

في عام 1889 أعيدت قضية موسى بك إلى الواجهة مرة أخرى، وتناولتها الصحف البريطانية (The Times, The Daily News)، وخلقت في هذه المرة ردود أفعال واسعة في أوروبا، وقام الأرمن في موش بمراجعة القنصليات الأجنبية فيها والبطريركية الأرمنية التي كانت تشكو من موسى بك، بل وصل الأمر إلى جمع التواقيع لإلقاء القبض عليه[291].

فقد أشارت تقارير بريطانية عديدة، تستند إلى شكاوى أرمنية إلى أن موسى بك قام بارتكاب جرائم كثيرة ضد الأرمن في موش[292]، وقد ردت الحكومة العثمانية على هذه الاتهامات الموجهة ضده في مذكرة أرسلها وزير خارجيتها سعيد باشا[293] إلى سفيره في لندن، ليطلع الحكومة البريطانية على تفاصيل هذه القضية، وكانت المذكرة تحمل تاريخ 18 أيار/ مايو 1889، وجاء فيها: «إن الجنايات التي يقال إنها قد حدثت في المناطق المجاورة لموش، موجودة فقط في أسماع خصومنا وفي خيالهم، منها أن أحد الأرمنيين حُرق حياً بعد أن صُبّ النفط فوقه، وبعد أن اعتدي على إحدى الفتيات رُمِيَتْ في قدر إلى حدِّ الغليان؛ فهذان الخبران اللذان نشرا في بعض الجرائد الإنكليزية، ليس

لهما أساس من الصحة، ولا يوجد أي مثال لهذه الجنايات في الإمبراطورية العثمانية... ووجد اوهانيس الذي يقال: إنه أحد ضحايا السيد موسى مقتولاً في إحدى القرى، وفي ذلك التاريخ كان السيد موسى موقوفاً تحت سيطرة الشرطة في بتليس، ولم يعثر على القاتل حتى الآن، وبعد أن سمع السيد موسى أن الأرمن يتهمونه ذهب بنفسه إلى الحكومة، وسلم نفسه للإدارة الرسمية في المنطقة...»[294].

كانت المشكلة الأكبر التي افتعلها موسى بك هي قيامه باختطاف ابنة شقيق أحد رجال الدين الأرمن في موش، واسمها (كوليزار)؛ حذرت أخت موسى بك الكبرى عائلة كوليزار من نيات أخيها السيئة، وحثتهم على الدفاع عن أنفسهم، إلا أن موسى بك أرسل رجاله إلى القرية، فقتلوا عدداً من أفراد عائلة كوليزار وخطفوا الفتاة، وحين تعرَّف الخاطفون إلى هويتها، وكان عمرها لا يتجاوز الثالثة عشرة، ندموا على فعلتهم تلك في الحال؛ ولذا فكروا بمساعدتها، ولكن يبدو أن خوفهم من معاقبة موسى بك لهم منعهم من القيام بمحاولة تهريبها، لذا فإنهم اكتفوا بمساعدتها بإخبار أبيها أنها لا تزال على قيد الحياة، وكذلك أخبروه بمكان وجودها، وقد عارض علماء الدين الكُرد تزويجها من موسى بك لصغر سنها، فأجبرهم على تزويجها من أخيه الأصغر جيزو [295]. وبعد مدة قصيرة تمكنت كوليزار من الهرب من بيت موسى بك، وذهبت مع عدد من الأرمن إلى استانبول، لتقديم طلبات وشكاوى أمام الحكومة العثمانية ضد موسى بك، وأخذت البطريركية الأرمنية هناك على عاتقها إيواءهم، ومتابعة شكاواهم[296]. قام موسى بك بقبول طلب السلطان عبد الحميد بالقدوم إلى استانبول، من غير أن يقبض عليه؛ وفي 22 أيار/ مايو 1889، وحسب ما جاء في جريدة (الطريق) العثمانية فإن موسى بك قد أوضح للسلطان عبد الحميد بأن هذه الشكاوى التي يقدمها الأرمن ضده هي بسبب خدماته للدولة العثمانية، وأنّ هذه الشكاوى لا سند لها من الصحة[297].

وصلت قضية موسى بك إلى مرحلة بلغت أن أفرد مجلس العموم البريطاني جلسات خاصة؛ للاستماع إلى هذه القضية وبحث الموقف العام منها، وقد دارت إحدى هذه المناقشات بتاريخ 25 تموز/ يوليو 1889، وفيها أجاب فيركسن (Fergusson) منسق الشؤون الخارجية عن أسئلة عديدة وُجّهت إليه من نواب المجلس حول آخر مستجدات هذه القضية[298].

مثَل موسى بك أمام المحكمة في استانبول بتاريخ 23 تشرين الثاني/ نوفمبر، وكانت المحكمة علنية، حضرتها مجموعة كبيرة من الصحفيين، إضافة إلى ممثلي الدول الأجنبية في العاصمة، ووجهت إليه ثماني تهم، ووصل عدد الشهود الأرمن فيها إلى (47) شاهداً من موش، ووان، وبتليس، وانتهت محاكمته في 2 كانون الأول/ ديسمبر 1889، وقررت المحكمة براءته من كل التهم الموجه إليه[299]؛ قام الأرمن إثر صدور القرار بحملة دعائية كبيرة ضد الدولة العثمانية، ونشرت الصحف الأوروبية صوراً لكوليزار، ولوالدتها، وعمها الراهب، كما نُشرت تفاصيل المحاكمة في الصحافة الأوروبية[300]، بعد ذلك سُلمت كوليزار إلى أهلها[301].

ادعت السفارة البريطانية في 30 كانون الثاني/ يناير 1890، بأنه كان هناك عدم انضباط، ووجود أخطاء واضحة في محاكمة السيد موسى، وطلبت من وزير العدْلية جودت باشا استئناف المحاكمة مرة أخرى، لكنه رفض من جانبه إعادة المحاكمة، وأصر على أن محاكمته كانت عادلة وسليمة، وأكد على موقفه هذا، وتحت الضغوط البريطانية على الدولة العثمانية عُزل جودت باشا من منصبه في 12 أيار/ مايو 1890، وقد قال بنفسه عن ظروف إقالته وحادثة موسى بك، ما يلي: «حسب ما ورد في شكاوى البطريركية الأرمنية ضد السيد موسى، وهو أحد الزعماء أو الأمراء الكُرد في موش، طلبت السفارة البريطانية عقوبته على الفور، وعلى هذا جُلب السيد موسى إلى المحكمة، وصدرت

الأوامر بمحاكمته، حيث إن الصدر الأعظم كامل باشا، والمعروف عنه بأنه الخادم الدائم للسياسة البريطانية أرادنا نحن أيضاً أن نكون مثله، خادمين في هذا الطريق، ولكننا وقفنا ضده، وبناءً على ذلك فهو يعمل على عزلي من منصبي منذ أشهر، وبعد ذلك تمت الموافقة على عزلي من منصبي، بعد أن أجبرت السلطات العليا على اتخاذ هذا القرار»(302).

وفي 14 حزيران/ يونيو 1890، ذكر الصدر الأعظم كامل باشا، للسفير البريطاني وليم وايت، بأن محاكمة السيد موسى لن تتم مرة أخرى، ولكن من المحتمل أن يتّخذ قرار نفي بحقه(303)، وفعلاً تم نفيه إلى الشام، ومنها إلى الحجاز بعد محاولة عودته إلى موش(304).

يذكر المؤرخون الأتراك أن الأرمن والانكليز استغلوا قضية موسى بك أكبر استغلال، للعمل ضد الدولة العثمانية، يقول أسعد أوراس (Esat Uras) في هذا الصدد: «قبل العرض الأرمني في كوم كابو في استانبول، الذي قام به حزب الهنشاق، كان الحزب قد نشر دعايات كثيرة في أوروبا حول المظالم التي يتعرض لها الأرمن في الدولة العثمانية، وكانت من ضمن تلك المظالم التي تطرق إليها الأرمن في الصحف الأوروبية هي قضية موسى بك، فقد كانت تلك القضية هي قضية ضمان الأرمن في الدولة العثمانية، من الناحيتين الحياتية والمالية، وتعالت في أوروبا صيحات، تنادي بضمان وتأمين حياة الأرمن في الدولة العثمانية»(305).

هنا يجب أن لا يغرب عن البال أن موسى بك كان محسوباً على رجال الدولة العثمانية، وكان مقرباً منها، وإلا كيف لم يعاقب أثناء هجومه على المُبشرَيْنِ الأميركيين عام 1883، بل كوفئ على فعلته تلك، وأسندت إليه الدولة وظيفة مهمة في موش، عندما كان تحت الإقامة الجبرية؛ ثم كيف برّأته المحكمة من ثماني تهم وجهت إليه ما لم تكن الدولة العثمانية إلى جانبه؛ من

جهة أخرى، وحسب ما تشير إليه الوثائق البريطانية فإن الساسة البريطانيين لم يكونوا يثقون بأقوال الأرمن، ويشككون في كل تقاريرهم، ولم يحسموا هم كذلك أمر موسى بك، كما مر.

ولكن إذا لم تتهم الدولة العثمانية موسى بك، بل برأته من جميع التهم الموجهة إليه، ولم تستطع بريطانيا أن تضع يدها على الحقيقة الكاملة في قضيته، فإن الفلكلور الكُردي قد أدان موسى بك على الأقل في حادثة اختطافه للفتاة الأرمنية كوليزار، من خلال تأليف أشعار كانت تُغنّى بخصوص هذه الحادثة، التي لا يزال الكُرد يتداولونها في موش حتى الآن، وهذه بعض الأبيات التي دونها شعراء الكُرد آنذاك باللغة الكُردية وهي هنا مترجمة الى العربية:

نادت كولي: فداكَ يا موسى بك

إنّي ضعيفة، إني ضعيفة

إنّي فتاةٌ مسيحيةٌ، أنا لستُ بذي قيمة

أنا لا أليقُ بسيدي موسى بك

لَوْ قُمْتَ بذبحي ونزعْتَ لَحْمِي مِنْ جَسَدِي

فَلَنْ أُسَلِّم يا موسى بك

أَنتَ كُرديٌّ وأنا مسيحية[306]

إن هذه الأبيات بعد معرفة قصتها وحادثتها لا تحتاج إلى تعليق، غير أن من يقرأها سوف يطلع فعلاً على النسيج الاجتماعي المعقد في شمال كُردستان، وأنّ الكُرد كشعب لم يكونوا يؤيدون الظالمين، حتى ولو كانوا من سادتهم.

رابعاً ـ تشكيل الفرسان الحميدية والمخاوف الأرمنية 1891 ـ 1894

أصدر السلطان عبد الحميد الثاني في كانون الثاني/ يناير 1890، مرسوماً ينص على تشكيل فرسان (خيالة) من الكُرد في كُردستان[307]، إلا أن التاريخ الفعلي لتنفيذ هذا المرسوم كان في كانون الثاني/ يناير 1891 [308]، لذلك يكاد أغلب المؤرخين والباحثين يجمعون على تحديد عام 1891 كونه العام الذي أُسست فيه تلك الفرسان، والتي سماها السلطان عبد الحميد الثاني بـ(الحميدية) تيمناً باسمه [309]. لقد شكَّلَ ظهورُها في الواقع تردياً واضحاً في علاقة الكُرد بالأرمن، إلى حد لم تشهده المنطقة من قبل، حتى وصل الأمر إلى أن اسم الحميدية ارتبط ارتباطاً وثيقاً في المصادر الأرمنية والغربية بالمذابح الأرمنية، التي اجتاحت عموم الأناضول في أواسط تسعينيات القرن التاسع عشر.ويعد تأسيس الفرسان الحميدية من الكُرد واحداً من أهم الخطوات الذكية للسلطان عبد الحميد الثاني، إذ لم يستطع السياسيون الأجانب في تلك المدة، من وزراء خارجية، وسفراء، وقناصل دول، من تحديد الهدف الأساسي الذي تشكلت من أجله الفرسان الحميدية.

وامتدت هذه الحيرة بين أغلب الباحثين والمؤرخين من الكُرد وغيرهم، في الحقب التاريخية اللاحقة حول سبب تشكيلها، وقد طرحت عدة أسئلة بخصوصها، سواء من جانب الساسة في تلك المدة، أو المؤرخين الذين تناولوا هذا الموضوع بعد ذلك، ويمكن تلخيصها بالآتي:

ما هو السبب الأساسي الذي من أجله شكلت الفرسان الحميدية؟ هل شكلت فعلاً لضرب الحركة التحررية الأرمنية وحدها، أم لضرب جميع الحركات القومية التحررية المعارضة للسلطان آنذاك؟ أم أن السبب الأساسي لتشكيلها هو: الوقوف في وجه الجيش الروسي وحفظ الأمن، كما صرح بذلك السلطان عبد الحميد الثاني نفسه في مذكراته السياسية(310)، ثم هل اشترك الكُرد جميعهم في تلك الأفواج؟ أم كان لبعضهم رأي آخر؟ ولماذا عُمِمَ هذا الأمر على الكُرد وحدهم؟ وهل كان تشكيل الفرسان في مصلحة الكُرد، خصوصاً أنهم استفادوا مادياً منها، حتى سمي السلطان عبد الحميد بـ(بافي كوردان ـ أبو الكُرد)(311)، أم أن تشكيلها أضر بالحركة التحررية الكُردية، بحيث لم يقم الكُرد بأي حركة واسعة ضد الدولة العثمانية من عام 1891 إلى 1908، أي: حتى الانقلاب العثماني؟

لا يمكن التطرق إلى الفرسان الحميدية من منظور واحد أو من زاوية نظر واحدة، دون النظر إلى الزوايا الأخرى، وربما إن الكل كانوا محقين في إرجاع سبب تشكيلها إلى أمر مختلف عن الآخر، وبالنتيجة ربما كان الجميع على صواب؛ لأن سلاح الحميدية كانت له استخدامات عدة، ولكن يجب التركيز في هذا الموضوع على ربط الأحداث التاريخية بالمدة التي حدثت أثناءها. فمثلاً إن أصحاب الرأي القائل: إن إنشاءَها كان بسبب الوقوف في وجه الجيش الروسي، مثلما كانت تفعل قوات (القوزاق) الروسية في هجماتها الأخيرة على الدولة العثمانية، كانوا محقين في ذلك، بدليل أن الجيش الروسي قد أوكل مهمة دراسة أمر الفرسان الحميدية، أواخر القرن التاسع عشر، إلى الضابط الروسي افريانوف لدراسة العلاقات الروسية الكُردية خلال تلك الفترة، أي: إن تشكيل الفرسان الحميدية أجبرت العسكريين الروس على أخذ موقف الكُرد على محمل الجد، في الحروب المقبلة مع الدولة العثمانية، وهذا

ما أكده الضابط افريانوف نفسه[312]، وهو الرأي الذي طالما تحججت به الدولة العثمانية في السبب وراء تشكيلها لهذه الفرسان أيضاً[313]. أما أصحاب الرأي القائل إن سبب تشكيلها كان لضرب الحركة التحررية الأرمنية، فإن أصحابها أيضاً كانوا على صواب، عندما اشتركت هذه القوات في ضرب الأرمن خلال الأزمة الأرمنية الأولى 1894 ـ 1896 كما سيأتي الحديث عنها لاحقاً[314]، وكان أصحاب الرأي القائل إن سبب تشكيل تلك الفرسان هو للسيطرة على الكُرد، كانوا مصيبين في قولهم أيضاً، فإنّ الدولة العثمانية وطوال العصر الحديث، وحتى بعد سقوط الإمارات الكُردية لم تستطع من السيطرة على الكُرد وتوجيههم ضمن السياق العثماني، فإنّ السلطان عبد الحميد أصاب في هذه السياسة بخصوص الكُرد، رغم عدم بلوغها النجاح المؤمل[315].

لذلك فإن من الواجب دراسة أمر الفرسان الحميدية ضمن سياقها التاريخي، وليس دراستها ضمن حقب متقطعة بحيث تكون كل حقبة مستقلة عن الأخرى، وأخيراً يمكن القول إن الفرسان الحميدية كانت بمثابة الجيش الثاني الخفيف للدولة العثمانية في كُردستان أيام الحروب، أو المعارك، أو التمردات الداخلية، وكانت بمثابة الشرطة في أوقات السلم.

ومن الآراء الأخرى التي تناولت الفرسان الحميدية الرأي الذي ذهب إليه بعض المؤرخين الأتراك، من أن الفرسان الحميدية قد حافظوا على تركيز وجود الكُرد مرة أخرى في كُردستان، بعدما كانوا قد تشتتوا منذ سقوط إماراتهم في منتصف القرن .لتاسع عشر، وإنّ من يلاحظ الوثائق العثمانية ما بين أعوام 1896 ـ 1908 يرى بوضوح أن الأرمن لم يكونوا ضد هذه الفرسان، بقدر السلطات العثمانية الإدارية والعسكرية في كُردستان، ولم تتوقف خلال تلك المدة شكاوى المسؤولين الأتراك ضد هؤلاء الفرسان؛ يقول الباحث التركي مصطفى اكيول (Mustafa Akyol): «الغريب في

أمر الأفواج الحميدية أنها لاقت الكثير من النقد، في ما كانت تنشره القيادة العامة لأركان الجيش، حيث بينت بان أفواج الحميدية تساعد بشكل إيجابي على خلق دولة كُردستان، وإظهار الهوية الكُردية، التي ليس لها أصل تاريخي»[316]، أي أن الفرسان الحميدية كانت عاملاً أفاد منه الكُرد أكثر مما أضر بهم على المنظور البعيد. ويقول الرحالة والباحث الإنكليزي والتر.بي.هاريس (Walter. B. Harris): صحيح أن الأتراك استغلوا الكُرد الحميدية لضرب الأرمن، ولكن انقلب السحر على الساحر بعد ذلك، فلم يتجرأ الأتراك أنفسهم بعد ذلك على مواجهتهم[317].

إلا أن ما يهم هنا في أمر الفرسان الحميدية، هو تطورها خلال الأعوام من 1891 إلى 1894 وعلاقتها بالأرمن، ونظرة القناصل الأجانب في كُردستان إليها، واختلافهم في أمرها.

استدعى السلطان عبد الحميد الثاني، وبدءاً من كانون الثاني/ يناير 1891 حتى أواخر صيف العام نفسه الأغوات والبكوات الكُرد من كُردستان إلى استانبول، وقد تجمعوا أولاً في مدينة أرضروم، التي عدها القناصل الأجانب في تلك المدة المحطة الأولى لتجميع هؤلاء الآغوات، وترتيب أمورهم، قبل لقاء السلطان في العاصمة استانبول، حيث توقفوا فيها لعدة أيام، وارتدوا ملابس مطرزة بالذهب، كان الخياطون الأرمن هم من قاموا بحياكتها[318].

وقد راقبت أربع دوائر أجنبية في الدولة العثمانية صدور بيان التشكيلات الحميدية وتنفيذه، وهي السفارات والقنصليات: الروسية، والبريطانية، والايطالية، وعلى درجة أقل منها الفرنسية، وقد كانت تقارير القنصليات الايطالية في أرضروم وطرابزون، هي الأكثر دقة وحياديةً، بخصوص رصد إنشاء تلك الفرسان، ونقل ردود الأفعال المحلية إلى روما. بخصوص الموقف الروسي فإنه كان واضحاً، من خلال علم الروس أن الفرسان

الحميدية لم تتشكل إلا لعرقلة القوات الروسية عند وقوع أي حرب مستقبلية ضد الدولة العثمانية؛ فعلى حد قول السفير الروسي آنذاك في الدولة العثمانية أ.أي.نيليدوف: إن أفواج الحميدية يتلخص عملها في كونها: «مصدراً جديداً للتعاسة»، سواء بالنسبة إلى الروس أو الأرمن[319]، أما الضابط الروسي إفريانوف، الذي كُلف خصيصاً دراسة تلك الأفواج أواخر القرن التاسع عشر، ورغم ذكره لاشتراك هذه الأفواج الحميدية في الأزمة الأرمنية ما بين عامي 1894- 1896، إلا أنه توصل إلى أن الأفواج الحميدية إنما شكلت فعلاً للسيطرة على مواقف الكُرد، عند اندلاع أي حرب مستقبلية مع روسيا القيصرية؛ لأنّ الكُرد أظهروا تذبذباً واضحاً في جميع الحروب، التي وقعت بين الدولتين طوال القرن التاسع عشر[320]، وتوصل مينورسكي، الدبلوماسي والمستشرق الروسي، القريب من الأحداث في تلك المدة إلى النتيجة نفسها، وهي: أن الدولة العثمانية قامت بتشكيل الحميدية، لتكون بمثابة جيش ثانٍ خفيف[321].

أما الموقف البريطاني من الحميدية فقد كان موقفاً مستحسناً، حتى أواسط التسعينيات من القرن التاسع عشر، وعلى الرغم من قيام القنصل البريطاني في أرضروم هامبسون (Hampson)، بإرسال برقية إلى السفير البريطاني في استانبول وليم وايت (W.White) في 28/ 2/ 1891، يخبره فيها أن الأرمن يرون هذا الأمر، وهذه التشكيلات موجّهة إليهم بصورة أساسية، وبالتحديد لعدم تطبيق المادة (61) من معاهدة برلين، وذلك لأن العديد من الفرسان الحميدية ـ حسب قول الأرمن ـ قد صرحوا علناً أن هدفهم هو قمع الأرمن، وأنهم تلقوا تطمينات من الحكومة بعدم معاقبتهم في أي اعتداء يقع من جانبهم على هؤلاء[322]، رغم ذلك فقد أجمع أغلب القناصل البريطانيين في كُردستان على أن الهدف الأساسي من وراء تشكيل هذه الفرسان، هو

تقسيم الكُرد بهدف بسط السيادة عليهم، وتوجيههم الوجهة التي يريدونها[323].
وقد كتب السير وليم وايت السفير البريطاني إلى اللورد سالسبوري في 24/ 2/ 1891 بهذا الشأن ما نصه: «يتصور جلالته أنه بتنظيم الكُرد عسكرياً سوف يدخل النظام بينهم، وأنه يقوم بتأسيس خيالة مخلصة وفاعلة، وهكذا يقوم بتعزيز الدفاع عن المحافظات الحدودية للإمبراطورية ضد أية قوة عسكرية مجاورة»[324]، وعلى حد قول الميجر نوئيل (Noel)، إن الغرض الدقيق وراء تشكيل الحميدية يكمن في: «استخدام النـزاعات القبلية، لخلق نظام من شأنه أن يجعل من الصعب جداً تشكيل ائتلاف ضد الحكومة»[325].

المهم في الأمر أن نظرة بريطانيا حتى بعد الأزمة الأرمنية في أواسط التسعينيات لم تتغير تجاه الفرسان الحميدية، حيث كتب الكابتن دكسون في تقريره المعنون بـ(الأرمن) والذي نشره عام 1916 عن الحميدية ما يلي: «ومن المهم أن نلاحظ أن من الوسائل المهمة لتمدين الكُرد، وتطبيعهم على النظام، وفي الوقت نفسه استثمار صفاتهم القتالية، كحرس حدود ضد القوزاق، هو قيام السلطان عبد الحميد الثاني بتشكيل سرايا الفروسية المتكونة من هؤلاء الكُرد الذين بلغ عددهم (10000) كُردي، وقد عرفوا باسم الفرسان الحميدية، وإن شجاعة هؤلاء وتحملهم وطاقاتهم جعلت منهم أناساً مؤهلين لهذه العملية، وقد أثبتت التجربة النجاح الباهر، وأثبتوا... أنهم أُناس أشداء وجيدون وملتزمون»[326]. وربما تكمن نظرة الاستحسان البريطانية العامة لهذه الفرسان في علمها بأن هذه التشكيلات ستعيق عمل الجيوش الروسية في المنطقة، عند اندلاع حرب مع الدولة العثمانية مستقبلاً، ولكن هذا كله لا ينفي أن بريطانيا نفسها قد انتقدت هؤلاء الفرسان في بعض المرات، وخصوصاً عند بلوغها شكاوى أرمنية.كانت القنصليتان الايطاليتان في أرضروم وطرابزون أكثر دقة في متابعة أمر تشكيل هؤلاء الفرسان، بدءاً من مسيرتهم من كُردستان نحو

استانبول، حتى عودة هؤلاء البكوات إلى مناطقهم من جديد، ومتابعة ردود الأفعال الأرمنية حول ذلك؛ فقد رصد القنصل الايطالي لافيني(Laviny) ردود الأفعال الأرمنية في أرضروم عندما اجتمع الآغوات الكُرد فيها، في تقرير كتبه بتاريخ 7/ 3/ 1891 وقال فيه: «الأرمن غزاهم الخوف والذعر، والذي سببه قدوم هؤلاء البكوات الكُرد، الذين سيذهبون إلى أرزنجان؛ ثم يواصلون رحلتهم نحو القسطنطينية، وإنهم يخشون أن يرتكبوا بعد عودتهم، أنواعاً شتى من السرقة والعنف...»[327].

وبعد توقف في أرضروم وصل البكوات إلى أرزنجان، وهي المحطة الثانية للرحلة نحو استانبول، وبعد ذلك توجهوا إلى طرابزون على ساحل البحر الأسود الجنوبي، وهناك استقبلتهم السلطات المدنية والعسكرية العليا فيها، وقد جرت مراسيم استقبال تعطي لرحلتهم صيغة رسمية، وكذلك تعد مقدمة لما سوف يجدونه في استانبول. وفي تقرير وجّهه القنصل الايطالي فرانسيسكي في طرابزون إلى سفارته في استانبول في 23/ 3/ 1891، وصف فيه حالة وصول بعض هؤلاء البكوات؛ ثم الاستقبال الذي تم تحضيره لهم، والأهمية التي توليها الحكومة العثمانية لهم شخصياً، كما أن الوالي والوجهاء المدنيين والعسكريين في المدينة جاؤوا لمقابلتهم على بعد عدة كيلومترات من المدينة، وبصحبة قوات نظامية مع جوقات الموسيقى العسكرية، وقد نزلوا عند وجهاء المدينة، وكذلك الشيوخ الكُرد الذين كانوا ينتظرون وصولهم بسفينة خاصة هيأتها الحكومة العثمانية لتقلهم إلى العاصمة، وكان في استقبالهم في طرابزون كذلك ممثلان عن السلطان عبد الحميد الثاني نفسه، وقبل الرحيل صعد الوالي بصحبة القائد العام للحامية على متن الباخرة ليحييهم مرة أخرى، وذلك مع صوت جوقات الموسيقى العسكرية. لقد كان موجوداً على الرصيف، وهذا بدوره يعكس أهمية هذه المسألة بالنسبة إلى

الساسة في استانبول، وأضاف القنصل الايطالي في برقيته بأنه: «... حسب المعلومات التي وصلتني فإن الكُرد يعودون إلى ثلاث عشائر من ولاية موش وبتليس، وجاءت إحداها من أرزنجان، ومن بين هؤلاء (12) بكاً يتقلدون مناصب عليا، في حين أن الآخرون يعدون من حاشيتهم»[328].

وعند وصولهم إلى استانبول استقبلتهم السلطات العثمانية وفق مراسيم رسمية، نُظمت على شرفهم، وقد استقبلهم السلطان عبد الحميد الثاني بنفسه، وقدمت لهم الملابس العسكرية والأوسمة، وبعدما قضوا عدة أسابيع في العاصمة عادوا من الطريق نفسه إلى ديارهم في كُردستان، لكي يقوموا بواجبهم الذي أوكل إليهم مقابل امتيازات عديدة[329]، وعلق الضابط الروسي افريانوف على الاستقبال الحار الذي جرى للرؤساء الكُرد في استانبول، بقوله: «لقد أولت الحكومة التركية الرؤساء الكُرد وأتباعهم عناية جيدة على مدى كل المدة التي قضوها في العاصمة، باحثة بذلك عن كل السبل الممكنة لإقناعهم»[330].

إن هذه العملية كلها، حضرت لها الحكومة العثمانية بعناية، وقد سبقتها حملة لافتة في الصحافة، هدفها إقناع المراقبين أن تشكيل هذه الأفواج، ليس له أي هدف سوى تعزيز السيطرة على الحدود الشمالية الشرقية للإمبراطورية العثمانية، ولم تتأكد المصادر الدبلوماسية الايطالية من التنبؤ حول الهدف الحقيقي لتشكيل هذه الأفواج؛ وقد لخص القنصل فرانسيسكي الشائعات التي تدور في طرابزون حول الأسباب التي دعت إلى توجيه دعوة إلى البكوات الكُرد في استانبول، بما يلي:

1 ـ رغبة السلطان في إخضاع الكُرد للخدمة العسكرية.

2 ـ رغبة السلطان في خلق ظروف مناسبة، لتشكيل أفواج من الفرسان الكُرد، لكي تتمكن الدولة العثمانية عن طريقها من الوقوف في وجه خيالة القوزاق والشراكسة في القوقاز، وصد هجماتهم.

3 ـ رغبة السلطان في إبعادهم عن أرمينيا، ووضع نقطة نهائية للأعمال التي كان الأرمن ضحية لها [331].

وقد اقتنع القنصل الايطالي في طرابزون أن رحلة البكوات الكُرد لم يكن لها هدف سوى التحضير لتشكيل أفواج من الفرسان الحميدية، لمعارضة قوة الفرسان الروسية، كما أن الأوساط الأرمنية في طرابزون اقتنعت بأن دعوة هؤلاء الكُرد هذه كانت نتيجة مباشرة للاحتجاجات والضغوط، التي مارستها القوى الكبرى، لدى الباب العالي لمصلحة الأرمن، وقد ذكرت التقارير القنصلية في طرابزون أن مجموع هؤلاء البكوات الكُرد الذين زاروا العاصمة استانبول كان (54) بكاً كبيراً، إلا أن الساسة البريطانيين أكدوا أنهم كانوا الوجبة الأخيرة منهم، التي عادت إلى ديارها في صيف 1891 [332].

أما بول كامبون (P. Cambon)، الذي شغل في بداية تسعينيات القرن التاسع عشر منصب سفير فرنسا في استانبول فقد رأى أن السبب الأساسي لتشكيل الحميدية هو لنهب المسيحيين الأرمن؛ فقد قال بهذا الخصوص ما نصه : «عينت [أي: الحميدية] لما زعموه لموضوع مراقبة الحدود، إنما لم تكن هي أكثر من تنظيم حكومي، لنهب الأرمن المسيحيين» [333].

ومن جانب الكُرد فقد كانت هناك فوائد جمة من طرف الحكومة العثمانية لكل من الزعيم الذي طلب منه تجنيد فوج، وجنوده أيضاً، إذ كان الزعماء وضباطهم يرسلون إلى كلية عسكرية خاصة في استانبول، كما جهزوا بملابس أنيقة خاصة على الطراز القوزاقي لتليق بمكانتهم الجديدة، ومن جهة أخرى أعفيت القبائل الحميدية من واحدة من أكثر الإجراءات غير الشعبية في المركزية العثمانية، ألا وهي: التجنيد الإجباري، والتي أدخلت إلى المنطقة لأول مرة، وقد دعي زعماء الحميدية وأبناؤهم إلى المدارس العشائرية [334] في استانبول وكُردستان من أجل صهرهم في المؤسسة العثمانية، وفي بعض

قرى الحميدية الرئيسة قامت السلطات بافتتاح مدارس للسكان، وبما أن كُردستان كانت القسم الأكثر إهمالاً وفقراً وتخلفاً، فقد كان هذا العرض مغرياً جداً للكُرد[335]. وقد أشارت بعض المصادر إلى أن دخول العديد من الكُرد وخصوصاً من الناس البسطاء، إلى تلك التشكيلات الجديدة من الفرسان الحميدية كان سببه الملابس البراقة التي أغرت العديد منهم[336].

لقد دلت الوقائع حسبما وصفت المصادر التاريخية على أن المشير زكي باشا، المكلف بتجنيد الكُرد في الأفواج الحميدية هو الأب الروحي لتلك الأفواج، وقد وجد صعوبات جمة في تجنيد الكُرد في السنوات الأولى من تشكيلها؛ لأنّ البعض من هؤلاء الآغوات لم يفوا بوعودهم للسلطان؛ فقد هاجروا إلى الأراضي الروسية والإيرانية هرباً من ملاحقة الأتراك لهم. وبهذا الخصوص أشارت تقارير قنصلية ايطالية في تبريز إلى حالة عشيرة كُردية، كانت قد وعدت استانبول بتجهيز الرجال على لسان شيخها، إلا أن هذه العشيرة فضلت الهروب بعبورها الحدود إلى روسيا[337]، والبعض الآخر لم يقدم ما طلب منه، وكان قد وافق عليه في استانبول؛ فمثلاً كان هناك من أعطى الوعد بتجنيد فوجين من عشيرته، لم يستطع سوى تجهيز فوج واحد. ففي 27 حزيران/ يونيو 1891 أعلم وكيل القنصلية الايطالية في أرضروم رؤساءه بأن الجنرال إبراهيم باشا قد أرسلته الحكومة العثمانية، للتأكد من السير الجيد لتجنيد الحميدية، وأكد بأن البكوات الكُرد لم يكونوا قادرين على تجهيز خُمُس ما وعدوا به[338]، بل وأكثر من ذلك قامت السلطات العسكرية في أرضروم باعتقال عدد من البكوات الكُرد؛ بغية إجبارهم على إيجاد الفرسان الذين وعدوا بهم، كما أن قسماً منهم أودعوا في السجن هناك[339]، فضلاً عن ذلك فإن كُرد درسيم لم يشاركوا في هذه التشكيلات أساساً، لذلك ما كان من المشير زكي باشا إلا أن قام بنفسه بالسفر إلى المناطق الكُردية، لتجنيد العشائر في تلك الفرسان عدة مرات[340].

أما بخصوص العدد الدقيق للفرسان الحميدية من الكُرد حتى عام 1894، فليست هناك إحصائيات رسمية يمكن الاستناد إليها؛ ورغم اهتمام الباحثين والمؤرخين بشكل كبير بهذه التشكيلات إلا أن أحداً من هؤلاء لم يتمكن من إيراد إحصائيات دقيقة تخص نسبهم في مدة ما قبل المذابح الأرمنية الأولى، ولكن على الرغم من ذلك يمكن معرفة العدد التقريبي للفرسان الحميدية، بالاستناد إلى تقارير القنصليات الأجنبية آنذاك .فقد ذكر الباحث والرحالة هـ. ف. ب. لينج (H. F. B. Lynch) في مؤلفه عن المسألة الأرمنية أنه كان في عام 1892 في أرضروم، وشاهد بنفسه تشكيل الأفواج الكُردية الحميدية، وقال في وصف عددها: «قامت مجموعة من كل فوج بإجراء استعراض في أرضروم، وقد علمت أن العدد الكلي لا يصل إلى (2000) رجل...»[341] ، ووفقاً للوثائق البريطانية فإن الأتراك استطاعوا حتى منتصف عام 1893 من تجنيد حوالى (56) فوجاً، وأنّ كل فوج كان يحوي ما بين (800) إلى (1000) رجل[342]. في حين أكدت الوثائق الايطالية، والتي كانت قريبة من وقائع عمليات التجنيد أن العدد الإجمالي الذي تم تجميعه من الفرسان الكُرد وصل في تموز/ يوليو 1893 بحدود (23500) رجل[343]، وقد أشارت مصادر ايطالية أخرى إلى أن العدد الفعلي للكُرد الذين انضموا إلى الأفواج الحميدية في عموم كُردستان قد بلغ في صيف 1893 (34450)، موزعين على (55) فوجاً[344]، وتركز تشكيل أفواج الحميدية بالدرجة الأولى في منطقة كُردستان المحاذية لمنطقة ما وراء القوقاز الروسية، وبالتحديد في أرضروم، وشمال ولايتي وان وبتليس[345].

بناءً على ما سبق وبالاعتماد على وثائق القنصليات الأجنبية العاملة في كُردستان، وعلى الرغم من اختلافها في سبب تشكيلها، فقد ذكرت أغلبها أن السلطات العسكرية العثمانية لم تستطع تجنيد عدد كبير من الكُرد في تلك الفرسان مقارنة بأعداد قبائلهم الغفيرة في شمال كُردستان، حتى وقت

قريب من الأزمة الأرمنية في عام 1894، فقد تراوح عددهم ما بين (30000) إلى (40000)؛ كما أحكم الجيش العثماني قبضته على مفاصل تشكيلات الفرسان، ولم يباشر بتدريبها إلا في عام1893[346].

نظمت القيادة العسكرية العثمانية الأفواج الحميدية، بشكل تكون لها الكلمة العليا والفصل في تحريكها ومهامها، حيث عينت في كل فوج (8) ملازمين و(4) نقباء، ورائداً واحداً، ومدرساً واحداً، لفتح مدارس جديدة. وقد سمي هؤلاء الضباط الذين انضمّوا إلى الفرسان الحميدية لتدريبهم بـ(ضباط الصفوة)، وكان المقر العام للحميدية في أرزنجان، مقر الجيش الرابع العثماني، واعتقد كوكليلمي (Guglielmi) وهو أحد الساسة الايطاليين في الدولة العثمانية، أن الأتراك نظموا الأفواج الحميدية بهذه الطريقة، لأنهم كانوا لا يثقون مطلقاً بالكُرد، وأنّ الصفوة هم من الناحية المبدئية، جاؤوا لتعليم الأفواج الكُردية، علماً بأنّ الحكومة العثمانية، لا تثق كلياً بهذا العرق لأنه (متوحش) ـ حسب قوله ـ وأنّ الحكومة العثمانية، وضعته تحت الرقابة خلال الحرب، لكي لا يتمرد، ولكي لا يرتكب خيانة ويلحق الضرر بسيادة السلطان، وهذه الاعتبارات المار ذكرها هي التي دفعت بوزير الحربية إلى اختيار ضباط أتراك، لكي ينضموا إلى أفواج الفرسان الكُردية الحميدية الجديدة[347].

الكُرد واشتداد وتيرة الصراع التركي ـ الأرمني

بالتوازي مع تأسيس التشكيلات الحميدية في كُردستان حتى آب/ أغسطس 1894، عند اندلاع أزمة ساسون، دخل الأرمن، تتقدمهم الأحزاب الثورية الأرمنية، والأتراك في ما يمكن تسميته بحرب غير معلنة بين الطرفين، حرب دارت رحاها في منطقتين مختلفتين، الأولى هي الحرب الإعلامية في أوروبا، والثانية داخل الدولة العثمانية وبالتحديد في شمال كُردستان. وفي خضم هذه الأحداث حاول كل طرف منهما استمالة الكُرد، لارتكاب أفعال أو للقيام بأعمال، تصب في مصلحة هذا الطرف أو ذاك، دون أن يكون هناك فعلياً أي مصلحة كُردية؛ وقد عرفت المدة من 1890 إلى 1893 بعهد الإرهاب والإرهاب المضاد؛ فقد كانت هذه الأحزاب الأرمنية تقوم بأعمال انتقامية وفدائية ضد السلطات العثمانية، معتبرةً أنها السبيل الوحيد لنيل الاستقلال القومي، وتتلقى في مقابل ذلك رداً قاسياً من الحكومة العثمانية، ويكون العامة من الأرمن هم الضحايا الأكبر في هذه العمليات[348].

بخصوص الأحزاب الأرمنية، التي تأسست في ثمانينيات القرن التاسع عشر، وكانت قد تبنت في مناهجها الكفاح المسلح كما مر بنا، فقد أعلنت الحرب ضد الدولة العثمانية، على الصعيدين الداخلي والخارجي، فقد اتبعت الأحزاب الثورية الأرمنية استراتيجية (الأسوء الأفضل)، وكانوا يعتقدون أنهم عندما يثيرون السلطان ويحرضونه على رد انتقامي شامل ضد الأرمن، فإن ذلك ربما يدعو إلى تدخل الدول الأوروبية في المسألة، كما حدث مع المسألة البلغارية في سبعينيات القرن التاسع عشر[349].

قام حزب الطاشناق، على غرار الهنشاق، بفتح فروع له في مدن: استانبول، وطرابزون، ووان، وقام بتأسيس مركزين اثنين، مركز غربي وآخر شرقي، كانت المهمة الأساسية للمكتب الغربي هي الدعاية للقضية الأرمنية

في أوروبا، ومحاولة كسب الرأي العام فيها، بهدف الضغط على حكوماتها لحل المسألة الأرمنية في الدولة العثمانية، وقد كان مقر هذا المركز، أول الأمر، في باريس ثم انتقل إلى لندن، وانتشرت بعد ذلك المراكز والفروع في مدن: بروكسل، وبرلين، ولايبزك، وجنيف، وروما، وميلان، أما المركز الشرقي فقد كان مسؤولاً عن التخطيط للعمليات التي سيقوم بها الأرمن داخل أراضي الدولة العثمانية [350].

لقد وجدت الأحزاب الأرمنية أن الأوضاع في الدولة العثمانية، وخصوصاً في شمال كُردستان، مهيأة تماماً للقيام بهكذا عمليات، وقد نبهت تقارير القنصليات البريطانية إلى حالة الغضب والهيجان الأرمني في تلك المناطق، حيث أشار نائب القنصل البريطاني في أرضروم ديفي (Devey) في تقاريره المؤرخة في 14/ 1 و 31/ 1 و 9/ 2 ـ 1891 إلى القائم بأعمال القنصل هامبسون، إلى أن السخط الأرمني في هذه المناطق قد وصل إلى مستويات جديدة، نتجت منها حالات ابتزاز للأرمن الأثرياء بهدف الحصول على تمويل للمتطلبات القومية، وقد أشار نائب القنصل في تقاريره إلى أسماء عدد من الأرمن الذين تسلموا رسائل من مصادر مجهولة، تتوعدهم بالعقاب إذا لم يقوموا بواجبهم الوطني، وتبعاً لنائب القنصل فقد قامت السلطات العثمانية في المقابل بعد علمها بهذه التهديدات، بحملة واسعة في تلك المناطق، ألقت في أثنائها القبض على مجموعة من الشباب الأرمن، اتهمتهم بأنهم هم كانوا وراء تلك الرسائل المجهولة، وعلى أثرها قام أهالي المعتقلين في تاريخ 4/ 2/ 1891 بتظاهرة في وان، قابلتها السلطات الحكومية هناك بمزيد من الاعتقالات[351]. وفي 13/ 4/ 1891 أرسل بوياجيان (Boyajian) نائب القنصل البريطاني، تقريراً من طرابزون ذكر فيه أن مفهوم الكفاح المسلح من أجل الحرية، قد انتشر وشاع بين الأرمن، وطبقاً لنائب القنصل اقتنع الأرمن

تماماً بأن الروس وبريطانيا وفرنسا قد جاؤوا لمساعدتهم، وانتشرت شائعة مفادها أن نحو (100000) أرمني قوي سوف يأتون حالاً لإنقاذ أرمينيا الغربية، وأشار بوياجيان أن هذه الشائعة، قد نشرها الشباب الأرمن، ويمكن لها أن تؤدي إلى عواقب خطيرة[352].

تجلى نجاح النشاط الثوري الأرمني في تزايد العداوة مع الكُرد، فقد تولى على سبيل المثال، في شهر تموز/ يوليو من العام 1891، دَركيان كُرديان من (باشقالا) حراسة ثوري أرمني يدعى كوفند (Govand)، ألقي القبض عليه أثناء تهريبه كميات كبيرة من المناشير المطبوعة في (مرسيليا)، عبر الحدود مع إيران بهدف الدعوة إلى الثورة الأرمنية، ولدى وصول الدركيين الكُرديين إلى جوار دير (فاراك) الأرمني نصب ستة من الأرمن لهما كميناً، فجرح أحد الدركيين وقتل الثاني، لذا فقد شعر القنصل (ديفي) أن تلك الحادثة ستدفع الأرمن إلى القيام بنشاطات جديدة فقال: «من المتوقع أن تؤدي تلك الحادثة المحزنة إلى تأجيج العداوة بين الأرمن والكُرد، وإلى جعل الحفاظ على النظام والوئام والعدالة بين مختلف فئات الشعب أكثر صعوبة...»[353].

في أيلول/ سبتمبر 1891 قامت اللجان الثورية الأرمنية بإثارة الأرمن في خربوط وديار بكر، وقد ذكرت رسالة من نائب القنصل بوياجيان في خربوط إلى القائم بأعمال القنصل هامبسون في أرضروم أنّ شخصاً أرمنياً يدعى شيمافون (Schimavon) قام بالهرب من تلك المناطق واللجوء إلى جبال درسيم، لغرض إثارة الأرمن، ولكن سرعان ما اعتقله مع عدد من مساعديه الأرمن في جبال درسيم أحد زعماء الكُرد هناك، وجُلب تحت حماية كبيرة من الكُرد إلى الوالي في خربوط، متهمين شيمافون والأرمن الذين كانوا معه بتحريض الناس في القرى للانضمام إلى حركتهم المتمردة، عن طريق الإعلان بأن الأرمن جاهزون للقيام بثورتهم، وقد كان في حوزتهم مبلغ كبير

من المال، وضع تحت تصرفهم؛ ليمكنهم من تحقيق مبتغاهم. ويتابع نائب القنصل في رسالته: إنّ شيمافون كان قادراً على صناعة البنادق، وجميع أنواع الذخيرة والأسلحة القاتلة، مثل القنابل حيث عرض اثنان منها للكُرد، ومن الطبيعي أن ينكر السجناء الأرمن ـ أي شيمافون وأتباعه ـ كما يقول نائب القنصل، جميع هذه التهم قائلين: إنهم كانوا في طريقهم إلى أرضروم، حيث قام المشتكون (الكُرد) بمهاجمتهم، وعاملوهم بشكل سيىء، وسرقوا جميع الأموال والمقتنيات التي كانوا يحملونها، وأنهم لا يعرفون شيئاً عن القنابل، ويرد نائب القنصل على هذه الاتهامات بالقول: «يجب أنْ يلاحظ أنه من غير المقنع تماماً أن يقوم الكُرد بتلفيق هذه التهم، مثل تصنيع القنابل، والتي يعتقد أنها الديناميت، ولا يعقل أن يقوموا بتسليم السجناء إلى السلطات إذا ما كانوا قد هاجموهم من أجل السلب والنهب»[354].

كما هاجمت مجموعة من الأرمن مؤلفة من تسعة أشخاص، في بداية كانون الأول/ ديسمبر 1892، أربعة كُرد كانوا ذاهبين إلى منطقة سالاخانه، من أجل شراء الملح، وقد نشبت معركة بين الطرفين قتل فيها نقيب من الحميدية، وجرح واحد أو اثنان آخران منهم، وفي المقابل قتل واحد من الأرمن وجرح ثلاثة منهم[355].

يذكر القنصل الروسي في أرضروم مايوسكي(Mayewski) أن الجمعيات الأرمنية في عام 1892، بدأت بتشكيل عصابات لها، واختارت طريق بلاد فارس مسلكاً بهدف إجراء العمليات داخل الأراضي العثمانية، وأقام أعضاؤها مراكز لرصد الطرق، وتجمعوا بشكل أساسي في القرى على الجانب الإيراني؛ ثم كانوا يتحركون نحو قرى أرمنية داخل أراضي الدولة العثمانية، ويقررون الاختفاء لمدة من الزمن ثم يقومون بعملياتهم على شكل مجموعات صغيرة[356].

وفي داخل الأناضول اختارت الجمعيات الأرمنية، وعلى رأسها الهنشاق، في أواسط عام 1892 ناحية مرزفون التابعة لقضاء آماسيا في ولاية سيواس، لتكون مركزاً للدعاية الأرمنية، ثم انتشر نشاطهم إلى مدن: قيصري، ويوزكات، وآماسيا، وتوكات، ودياربكر، ومن هناك بدأوا يرسلون التقارير إلى الصحف العالمية حول الظلم العثماني على الأمة الأرمنية[357].

امتازت أعمال حزب الهنشاق، حسب تقارير عثمانية، بكونها كانت على مستوى عالٍ من الدقة، وقد أربكت السلطات العثمانية كثيراً في كُردستان، وكانت تطالب باستقلال أرمينيا الغربية (شمال كُردستان) وتقف ضد تطلعات الكنيسة الأرمنية في الدولة العثمانية باعتبارها كنيسة عميلة. وقامت لجان هذا الحزب بتدريب العديد من الأرمن وتسليحهم، وأرسلتهم بالتحديد إلى كُردستان، للقيام بعمليات نهب القرى والمدن، وإرهاب الناس فيها، وفي بعض الأحيان قاموا بعمليات قتل، وقد تمكنت الحكومة العثمانية من العثور على عدد من تقاريرهم ورد فيها أنهم كانوا يقومون بتلك الجرائم ثم يدعون في صحفهم، وخصوصاً التي تصدر في روسيا، بأن الكُرد هم من كانوا وراء تلك الأحداث، وذلك من أجل التأثير في الرأي العام الأوروبي، ومحاولة كسب تعاطفه معهم وكانوا يروجون للأقاويل التي تذكر أن الكُرد أصبحوا أكثر اضطهاداً للأرمن، وأنهم قد منحوا ترخيصاً من الحكومة العثمانية لترهيبهم، وقد كان من بين أعمال الهنشاق القيام بعمليات ابتزاز أثرياء الأرمن، بهدف الحصول على الأموال لتمويل مخططاتهم في الدولة العثمانية [358].

كما أشارت تقارير عثمانية أخرى، إلى حوادث عديدة بين أعوام 1890 ـ 1893، قامت بها المنظمات الثورية الأرمنية في كُردستان، فقد ذكرت تلك التقارير عشرات الحوادث التي عمد فيها الأرمن إلى ارتداء الملابس القومية الكُردية، والقيام بأعمال فدائية بهدف إلصاق التُهم بالكُرد، وكان هؤلاء

الفدائيون الأرمن ينتمون بالأخص لحزب الهنشاق[359]، منها مثلاً قيام بعض الأرمـن يرأسهم شخص يدعى جيراغان جوج آغا (Çiragan Coc Aga) بقتل تسعة من الكُرد، بصورة وحشية، في أحد الأديرة في وان، وتكررت هذه الحوادث في مناطق: بتليس، وموش، ووان، بشكل مستمر حتى اندلاع الأزمة الأرمنية في عام 1894[360].

كان الهدف الأساسي للمنظمات والجمعيات الأرمنية، في تلك المدة، هو استفزاز السلطات العثمانية في كُردستان، من خلال تلك العمليات، كي تضطرها وتدفعها إلى القيام بأعمال وردود أفعال قاسية ضد الأرمن، تدعو الدول الأوروبية على إثرها بالتدخل لحل المسألة الأرمنية في الدولة العثمانية، وقد ظهر هذا الأمر جلياً في حديث أحد الثوريين الأرمن مع د.هاملن (Dr. Hamlin) مؤسس الجامعة الأميركية في الدولة العثمانية (Robert College) في عام 1893، فقد أخبره الثوري الأرمني بأن عصابات الهنشاق، سوف تنتظر فرصتها لقتل أتراك أو كُرد، وتشعل النار في قراهم؛ ثم تفر إلى الجبال؛ سوف يثور المسلمون الغاضبون بعدها، ويهاجمون الأرمن العزل ويقتلونهم بطريقة وحشية، إلى درجة أن روسيا سوف تتدخل باسم الإنسانية والحضارة المسيحية، وحين استنكر المبشر المذعور هذا المخطط؛ لأنه شنيع وشيطاني، أكثر من أي شيء عرفه، تلقى هذا الرد: «هكذا يبدو الأمر لك، من غير ريب؛ لكننا قررنا نحن الأرمن أن نصبح أحراراً، أصغت أوروبا إلى الأهوال البلغارية، وجعلت البلغار أحراراً، سوف تصغي إلى صيحتنا حين تدخل في صيحات ودماء ملايين النساء والأطفال، نحن يائسون، سوف نفعلها»[361].

اتبع الثوريون الأرمن، وبدءاً من عام 1893 استراتيجية جديدة في عملهم ضد الحكومة العثمانية، وهي التي سميت بسياسة اليافطات (The Yaftas)، حيث قامت تلك المنظمات الأرمنية بإلصاق يافطات ـ منشورات ـ ثورية، في

معظم مدن الأناضول وكُردستان، مكتوبة باللغة التركية تدعو المسلمين في كل مكان، حتى في الهند، للتمرّد ضد مضطهديهم، وأنّ عبد الحميد الثاني غير قادر على الحكم؛ لأنه ليس كفءاً لذلك فهو مجرد شاويش(Chavush) ـ أي شرطي أو عريف أو بواب ـ بعد ذلك قادت السلطات العثمانية، وفي أغلب مدن الأناضول، حملة كبيرة ضد المشتبه فيهم، وألقت القبض على العديد منهم، وتمت محاكمتهم بتهم التحريض على الثورة في الأناضول، ووصلت أخبار إلى القنصليات والسفارات الأجنبية في الدولة العثمانية مفادها: أن هناك العديد من المحاكمات الصورية، تجري في الأناضول، وأنّ هناك أحكاماً بالجملة، أصدرت على عدد كبير من الأرمن، دون محاكمات عادلة أو حتى دون محاكمات شكلية [362]. حاول المحرضون الأرمن من جهتهم إثارة القبائل الكُردية العلوية المعارضة في درسيم، والفلاحين الكُرد في نواحي ساسون، وادعوا أنهم منحدرون من المرتدين الأرمن إلى الإسلام[363]، لذلك أوعز السفير البريطاني في الدولة العثمانية، إلى قنصله في أرضروم كرافيس (Graves)، القيام بتحقيق شامل حول تلك الأحداث الأخيرة، وبعد إجراء القنصل بعض التحقيقات، وقيامه بجولة في المناطق المتوترة توصل إلى نتيجة هي أن السبب الأساسي في الأحداث الأخيرة هم الثوريون الأرمن، حيث أكد بأنهم هم المسؤولون عن تلك اليافطات، التي ألصقت وعلقت في عدد من المدن في الأناضول، والتي تدعو صراحة إلى الثورة ضد حكم عبد الحميد وتسخر منه، كما قام هؤلاء الثوريون في مناطق أخرى بقطع أسلاك التلغراف، وقصف بنايات حكومية، مما دفع السلطات العثمانية إلى التصرف بحماقة وبحماس مفرط ضد هذه الأعمال، كما أنها عمدت ـ أي الحكومة العثمانية ـ إلى تأجيج المشاعر الدينية بين الأتراك والكُرد ضد المسيحيين، والتي سوف تؤدي في المستقبل إلى حدوث مذابح في المنطقة[364].

وقد تنبأ السفير الفرنسي كامبون، وبناءً على معلوماته واستنتاجاته للأحداث، بأن أزمة أرمنية وشيكة ستقع في الدولة العثمانية، فقد جاء في تقريره الذي يعود تاريخه إلى بداية العام 1894، وتم نشره ضمن الكتاب الأصفر الفرنسي في عام 1897، حول الأعمال الأرمنية قبل اندلاع أزمة ساسون، ما يلي: «إذا اندلعت حركات تمرد أرمنية عامة في كل مناطق وجودهم في الدولة العثمانية، فهل ستؤدي النتيجة النهائية لهذه الحركات إلى استقلال الأرمن، وتكوين دولة مستقلة لهم؟ أم ستكون هناك أحداث ومؤشرات أخرى؟ بالنسبة إليّ شخصياً لا أتوقع أن تفضي هذه الأحداث إلى تشكيل دولة أرمنية في المنطقة، مثلما كان الأمر بالنسبة إلى اليونان وبلغاريا، وذلك لأن الأرمن منتشرون تقريباً في جميع أراضي الدولة العثمانية، ولا يشكلون أغلبية عرقية واضحة في أي مكان في المناطق التي يعيشون فيها، لذلك لا يمكن تشكيل حكومة مستقلة ورسم حدود لها، وحتى المنطقة التي سميت بأرمنستان [أي: شمال كُردستان] لا تصلح لذلك لأن الكثافة السكانية للسكان المسلمين فيها أكثر من الأرمن، كما أن هناك واقعاً آخر لا يمكن تجاهله، بالنسبة إلى المسألة الأرمنية، وهو كون أراضي أرمنستان مقسمة بين ثلاث دول هي: إيران، وروسيا، والدولة العثمانية، ولذلك حتى إذا ما تعرضت الدولة العثمانية إلى ضغوطات أوروبية لتشكيل دولة أرمنية فإنها ستواجه معضلة بخصوص حدودها، بل حتى لو أعطي الأرمن حكماً ذاتياً في المناطق ذات الكثافة السكانية الأرمنية العالية فإنهم سوف يتعرضون لمشاكل جمة، تظهر بين الفينة والأخرى، ولذلك يبقى هذا السؤال قائماً: يا ترى في أي مكان من الدولة العثمانية سوف تقام أرمنستان؟. إذن هذه هي الدولة العثمانية ذات التركيبة المعقدة، وإن صدور أي قانون سوف يؤدي إلى دمار المنطقة وخرابها، ويجب هنا أن لا ننسى أن التمردات والحركات الأرمنية في المنطقة

سوف لن تؤدي إلى إصلاح أوضاع الأرمن، وإرجاعها إلى ما كانت عليه قبل عشر سنوات، من حيث امتلاكهم للثروات، وتمتعهم بالحرية والمساواة، ورغد العيش في حياتهم الاجتماعية»[365].

وفضلاً عما مرّ من أحداث في الداخل فقد قادت المنظمات الأرمنية في أوروبا والولايات المتحدة الأميركية حرباً إعلامية ضد الدولة العثمانية، كان الكُرد دائماً طرفاً فيها، على أنهم شكلوا مع السلطات العثمانية تحالفاً ثنائياً لاضطهاد الأرمن في (أرمينيا الغربية)، فقد ملأت مقالاتهم صحف الديلي نيوز (Daily News)، والواشنطن بوست (Washigton Post)، ونيويورك هيرالد (New York Herald) وقاموا بنشر ذلك والترويج له، وقد كانت الدولة العثمانية ترد على هذه الاتهامات بإرسال رسائل إلى رؤساء تحرير تلك الصحف، وكذلك إلى سفراء الدول الأجنبية في الدولة العثمانية، ترد فيها على تلك المقالات، وتتهم أصحابها بالتلفيق والتزوير، عند ذكر الأحداث في الدولة العثمانية والمتعلقة بالمسألة الأرمنية، ويظهر من تقارير سفراء الدولة العثمانية في أوروبا إلى وزير خارجيتها سعيد باشا، أن الشغل الشاغل لوزارة الخارجية العثمانية ما بين أعوام 1892 ـ 1894، كان يتركز على متابعة تلك الصحف ومحاولة الضغط عليها لئلا تنشر المقالات المؤيدة للمسألة الأرمنية؛ ففي معرض دفاعها عن الفرسان الحميدية مثلاً، بعدما نشر الأرمن عشرات المقالات في الصحف الإنكليزية عن مساوئها، جاء في رسالة من سعيد باشا وزير خارجية الدولة العثمانية إلى سفيره في لندن رستم باشا بتاريخ 4/ 1/ 1893 بخصوص أولئك الفرسان ما يلي: «... فيما يتعلق بالخيالة الكُرد فإن مخاوفكم من أن الشيوخ الكُرد، الذين ورد ذكرهم قد اختيروا ضباطاً غير قادرين على منع رجالهم من إساءة معاملة الأرمن، وأن تشكيل هذه الكتائب سوف يكون أكثر ضرراً، فإن هذه المخاوف ليس لها ما يؤيدها،

وطبقاً للسلطات العسكرية فإن روحية الضبط المتشدد وسط الجنود الكُرد ورؤسائهم أمر مؤكد، ومنتج، وإيجابي، للحفاظ على الأمن العام في آسيا الصغرى، كما أنه يعمل على تعزيز العلاقات الجيدة بين الكُرد والأرمن»[366].

كما وجه رستم باشا السفير العثماني في بريطانيا رسالة إلى وزير الخارجية سعيد باشا، بتاريخ 17/ 4/ 1894، ذكر فيها أن صحيفة الديلي نيوز الإنكليزية نشرت في أحد أعدادها أن الأرمن في اتشمازدين، يكتبون إلى الجمعية (الانكلو ـ أرمنية) ـ التي تأسست في بريطانيا في بداية تسعينيات القرن التاسع عشر ـ بهدف متابعة أحوال الأرمن في الدولة العثمانية، الذين يتعرضون على الدوام للاضطهاد على يد الحكومة، كما نشرت الصحيفة ذاتها أخباراً مفادها أن جماعة من الكُرد هاجموا قافلة من الأرمن، كانت في طريقها من الدولة العثمانية إلى روسيا[367].

بالمقابل يبدو أن الأتراك العثمانيين قد استعدوا جيداً لمواجهة أي حركة أو تمرد أرمني، سواء بتأليب بعض الأغوات الكُرد عليهم، أو من خلال بعض الإجراءات التي قد تلجأ إليها السلطة الحاكمة في الولاية، كالوالي أو القائد العام للجيش فيها، وكان كل رد فعل أرمني يقابل بردٍّ أقوى وأعنف صرامة من جانب الأتراك، ويكون دائماً ضحيتها العامة من الأرمن، الذين ربما كانوا لا يعلمون شيئاً بخصوص تحركات تلك المنظمات الثورية الأرمنية، ولكنهم في الأعم الأغلب كانوا هم الضحايا الأكبر لتلك العمليات المتبادلة؛ وقد كان الأرمن، من جهتهم، على علم بالإجراءات التركية ضدهم، فقد اشتكى الأسقف الكريكوري مثلاً في أرضروم إلى القنصل البريطاني هامبسون في نيسان/ ابريل 1891 أن الدولة العثمانية قد وضعت نظاماً صارماً للتجسس على جميع الأرمن في المنطقة، وتجاوز هذا النظام التجسس تقريباً ليصبح حالة من الحصار[368].

من الوسائل التي اتبعتها السلطات العثمانية للوقوف في مواجهة الأرمن، أو إجبارهم على الرحيل من أراضي الدولة العثمانية هي قيامها بدعم بعض الآغوات الكُرد، الذين كانت لهم عداوة مع بعض الأرمن ضمن مناطق نفوذهم، وكانت السلطات العثمانية تدعم هؤلاء الآغوات مادياً ومعنوياً، وتركز دائماً على الأخوة الإسلامية التركية ـ الكُردية؛ فأولاً قامت السلطات العثمانية بدعم موسى بك موتكي كما مر، وقبل أن يتم نسيان قضية هذا الأخير، التي أصبحت مثار جدل واسع في أوروبا، ما لبثت السلطات العثمانية أن صنعت شخصية كُردية أخرى قامت بلعب دور موسى بك في المنطقة، وهو حسين آغا الحيدراني، فقد أشارت، حتى قبل تأسيس الفرسان الحميدية، تقارير بريطانية إلى أن حسين آغا يمشي على خطى موسى بك، وأنّ السلطات العثمانية تتعمد عدم ملاحقته، بل تقوم بالدفاع عنه والتستر على جرائمه. ففي مذكرة مقدمة من السير اي. سانديسون (A.Sandison) سفير بريطانيا إلى وزير خارجيته في كانون الثاني/ يناير 1890، تطرق فيها السفير إلى اللقاء الذي تم بينه وبين الصدر الأعظم، وقد عرض له بعض القضايا المتعلقة بالأرمن ومنها قضية حسين آغا الحيدراني من باتنوس، يقول السفير بأنني أخبرته ما يلي: «حسين آغا من باتنوس: أخبرت سموه بأن هذا الشخص على ما يبدو حسب معلوماتنا سيصبح وحشاً كبيراً كموسى بك، وأنّ هناك على ما يبدو محاولة أو رغبة من طرف السلطات المحلية في أرضروم، للمحاولة في التغطية على التهم العديدة الموجهة ضده، قال سموه: بأنه طبقاً لمعلوماته فإن هذا الشخص كان تحت مراقبة الشرطة في أرضروم، وبأنه أعلن استعداده للردّ على أي تهمة يتقدم بها المدعون»[369].

وفي موضوع متصل بقضية حسين آغا، الذي اعتقلته في أواخر عام 1890 السلطات العثمانية في أرضروم أرسل هامبوسن، القنصل البريطاني في

أرضروم رسالة إلى وايت بتاريخ 16 كانون الثاني/ يناير 1891، يذكر فيها أن حسين آغا هو ليس من زعماء الكُرد العظام، بل هو مجرد زعيم فرعي لقبيلة الحيدران في منطقة الاشكيرد، إلا أنه لا يزال شاباً يتراوح عمره بين 30 ـ 35 عاماً، وبوصفه قاطع طريق فقد جلب لنفسه سمعة سيئة لا نظير لها بسبب جرائمه المتهورة حتى أن السلطات العثمانية في وان كانت تهابه؛ فقد قال والي وان ـ كما صرح به نائب القنصل البريطاني في وان ديفي ـ إن حسين آغا بإمكانه استدعاء (2000) رجل إذا ما اقتضت الضرورة لذلك، ورغم عدم تصديق ديفي لذلك، إلا أن هناك ما يدل على امتلاكه قوّة كبيرة في المنطقة، وقد ارتكب كل أصناف الجريمة؛ يقول ديفي: إن أعماله في بداية الأمر كانت ضد الكُرد المنافسين له في منطقته، ومنهم على سبيل المثال شخص يدعى (أفاني) من كُرد الأشكيرد، وكان في كل مرة يعتقله حاكم بايزيد كاظم بك، إلا أنه ومن خلال دفع الرشاوى كان يُخلى سبيله من السجن، ويعود لارتكاب جرائمه من جديد، وكانت أول شكوى ضده من قبل ثلاثة أفراد من الكرد، كان قد قام حسين آغا بنهب قراهم وممتلكاتهم، وقتل عدداً من أقربائهم، ويتابع السيد ديفي حديثه عن حسين آغا بالقول: «إن تاريخ جرائمه، وسجنه، وأفعاله اللاحقة رواها ثلاثة من كُرد الأشكيرد، كان أحدهم هو شقيق أفاني... وكما يلي: إن هؤلاء الكُرد الثلاثة جاؤوا إلى أرضروم، من أجل تقديم شكوى ضد حسين آغا، ولكن الوالي رفضها مرتين، فمنذ خمس أو ست سنوات، كان حسين آغا يشكل مصدر رعب لسكان الأشكيرد بمسلميها ومسيحييها... ومع ذلك فإن عالم الدين المسلم في بانتوس، الشيخ نوري قدم شكوى ضد تصرفات حسين، عند والي أرضروم وكذا عند متصرف بايزيد، وهناك شائعة تقول إن حسين أرسل مجموعة من رجاله وقتلوه، وأرعبوا زوجة ابنه مما أدى إلى موتها، وبخصوص هذا الأمر قام شقيق المذكور (نوري) ـ وهو واحد

من الكُرد الثلاثة، الذين سردوا القصة ـ بتقديم شكوى لدى قائمقام عينتاب، الذي قام بدوره باعتقال ثلاثين رجلاً من أتباع حسين، الذي استطاع من خلال تقديم الرشاوى أن يطلق سراحهم بعد عدة أشهر»[370].

وعند إعلان تشكيل الفرسان الحميدية سارع حسين آغا إلى الانضمام لهؤلاء الفرسان، لكي يبعد عن نفسه أي ملاحقة قانونية من جانب الولاة في المنطقة، لأنّ هؤلاء الفرسان صاروا تابعين مباشرة للسلطان عبد الحميد الثاني، فقد أصبح حسين آغا الرئيس العام لوحدات الحميدية في الشمال، بالقرب من الحدود الروسية، وبسبب كون عشيرة حيدران من العشائر الكُبرى فقد كونت لوحدها خمساً من وحدات الحميدية، وكان نفوذهم في الشمال في مناطق مرادية، وباتنوس، ووان، ومنطقة أغري من ضمنها[371].

وبالتوازي مع تأسيس الحميدية أشارت تقارير روسية وعثمانية إلى أن عمليات السرقة والاغتصاب ضد السكان الأرمن في شمال كُردستان، قد تضاعفت بعد تأسيس الحميدية، وليس من قبيل المصادفة وقوع هجمات لصوصية بعد عام 1891 بالذات عندما بدأ تشكيل الفرسان الحميدية، في تموز/ يوليو 1891 قامت بها فصائل من الكُرد على التجار الأرمن، في مناطق أرضروم، وبايزيد، وموش، وحصلت مثل هذه الاعتداءات في خريف العام نفسه، وكذلك في أوقات تالية لذلك، ولم تقم السلطات التركية عملياً بأي تحرك لإقرار النظام، وذلك لأن استانبول لا تنوي أن تتدخل وتحتك بالحميدية، إذ إنّ ما تقوم به الحميدية يشكل نوعاً ما من دعائم السلطة، في شمال كُردستان أو (أرمينيا الغربية)[372].

واصل فرسان الحميدية هجماتهم على السكان الأرمن وغيرهم من الكُرد المعارضين لهم، مما أدى إلى تقديم التماسات متعدّدة إلى الحكومة المركزية، ومع ذلك، لم تعر الحكومة لها آذاناً صاغية، وفي عام 1893 صدرت الأوامر من استانبول بمنع إرسال أي التماسات إضافية ضد هؤلاء الفرسان[373].

ومن الأساليب الأخرى التي اتبعتها الحكومة العثمانية للوقوف في مواجهة التطلعات القومية الأرمنية آنذاك، هو قيامها بمنع تداول الصحف الأرمنية داخل أقاليم الإمبراطورية منذ بداية التسعينيات، وفي عام 1892 منع الباب العالي رسمياً العمل في جميع المدارس غير المخولة، فمنع تدريس مادتي التاريخ والجغرافيا لأرمينيا في عموم مناطق الإمبراطورية، وصوُدرت الكتب التي تحمل مواضيع كهذه وأحرقت، في حين تمت محاكمة مؤلفيها علناً على أنهم مجرمون[374].

وكانت الحكومة العثمانية تشكك إثر كل حادثة على أنها مدبرة من الأرمن، فتقوم بحملة اعتقالات واسعة في صفوفهم، وتزجهم في السجون، وتصدر أحكاماً متنوعة بحقهم، حتى دون إجراء المحاكمات في بعض الأحيان؛ وكانت ذروة هذه الأحداث في منتصف عام 1893، عندما قامت السلطات العثمانية في أنقرة بإلقاء القبض على العشرات من الأرمن، بتهمة المشاركة في اجتماعات سياسية محظورة، فأصدرت بعد ذلك أحكاماً بالإعدام على خمسة منهم[375]، وتعاملت الدولة العثمانية بعد ذلك بكل حزم وقسوة مع أي عمل تقوم به المنظمات الأرمنية في المنطقة، ولم تمر سوى مدة قصيرة حتى قام الأرمن بتمرد في منطقة يوزكات استمرت أحداثه لمدة أسبوعين، وأدت إلى مقتل (500) شخص حسبما أعلنته الحكومة العثمانية، وقد واكبت عملية القضاء على هذا التمرد أحداث مأسوية[376].

وقد اشتكى سفير بريطانيا في استانبول السير كلير فورد (1891 - 1893) (Clare Ford)، لدى سعيد باشا وزير الشؤون الخارجية في الدولة العثمانية، وقدم احتجاجات شديدة اللهجة إثر تلك الأحداث، وذكر له أن هناك حالات عديدة ارتكب الأتراك فيها عمليات القتل العمد، والجرائم ضد الأرمن، والتي كان يترك الأتراك فيها أحراراً، أما في الحالات التي يقتل فيها الأتراك، فإن

الحكومة العثمانية تقوم بإلقاء وزج مجموعة غير مذنبة من الأشخاص الأرمن في السجن لأشهر دون أن تقدمهم إلى المحاكمة[377].

في الأخير، وعند النظر في تطور وتسارع الأحداث بخصوص المسألة الأرمنية، في السنوات الأولى من تسعينيات القرن التاسع عشر، يظهر أن المنطقة كانت مقبلة على مأساة حقيقية، أرادها الأرمن أولاً، إن صح القول، لتأسيس دولتهم القومية؛ ثم الأتراك، الذين امتازوا بقسوتهم الشديدة، عند تعاملهم مع أي حركة معارضة لأي قومية داخلة ضمن الحدود السياسية للدولة العثمانية، وإذا ما كان الأتراك قد استغلوا الكُرد فعلاً لضرب الحركة التحررية الأرمنية من خلال تشكيلهم للفرسان الحميدية، فإن الأرمن، وخصوصاً الأحزاب والمنظمات، التي اتخذت شعار المقاومة المسلحة مبدأً لها للظفر بالحقوق القومية الأرمنية، عملت من جانبها على دفع الكُرد إلى سلوك هذا الطريق، أي القيام بعمليات سرقة الأرمن ونهبهم وقتلهم، بدليل أن الأرمن لم يقوموا ولو بتصرف واحد إيجابي لكسب الكُرد إلى جانبهم، علماً أن غالبية السكان في تلك المناطق كانوا من الكُرد، وقاموا بالاعتماد على أنفسهم في مقاومة الدولة العثمانية، ومن أبرز الوسائل التي اتخذوها في سبيل ذلك هو القيام بعمليات نوعية استفزازية، ضد الكُرد والسلطات الإدارية، فيقوم العثمانيون برد فعل قاس ضدهم، يكون ذريعة لتدخل أوروبا لحسم المسألة الأرمنية.

لقد كان الأرمن من أقرب القوميات في الشرق الأوسط، وأكثرها معرفة بطبيعة الحياة الاجتماعية الكُردية، باعتبار أنهم قد عاشوا معاً لقرون عديدة، ربما لا نجد مثيلاً لذلك عند بقية شعوب العالم، ومن خلال اختلاط الأرمن بالكُرد تعرفوا إلى الأخلاق الكُردية بخصوص الثأر، التي عُدت من أكثر المسائل حساسية وشراسةً عند الكُرد، لذلك قام الأرمن بالضرب على

هذا الوتر، فما أن يقوم الأرمن بقتل واحد من الكُرد في مكان ما، حتى تدخل تلك المنطقة في صراع دموي ربما لا تحمد عقباه، وخصوصاً إذا ما كان هذا القتيل من وجهاء الكُرد، وقد أشار مثلاً كل من ملا محمود البايزيدي[378]، ومينورسكي[379]، إلى قوة الثأر لدى الكُرد.

وقد فطن البريطانيون أيضاً، إلى حساسية الثأر عند الكُرد، منذ بداية وجودهم في كُردستان، وعدّ الكُرد الثأر بمثابة قانون للحفاظ على الأمن، ما دامت الحكومة العثمانية غير قادرة على إرجاع الحقوق، فمثلاً يشير الملازم بينت (Bennet) في تقريره إلى كوشن (Goschen) بتاريخ 7/ 6/ 1881، إلى هذه العادة القديمة في المنطقة، حيث يتطرق بينت إلى حادثة وقعت بين الكُرد والأرمن، في زيتون في تلك المدة، وهي: قيام أحد الأرمن بقتل كُردي كان ماراً من هناك، وقام هذا الأرمني بالهروب إلى منطقة زيتون المحصنة في الجبال ضمن ولاية بتليس، وأنه ومنذ (13) شهراً يحاول أقرباء الكُردي المقتول قتل الأرمني ولكنهم لم يفلحوا في ذلك، ولا يهدأ لهم بال إلا إذا ما قاموا بالثأر لقريبهم الكُردي، ويعقّب بينت على هذه الحادثة بالقول: «الدم من أجل الدم هو قانون قديم هم يفهمونه، ولأنه لا توجد حكومة لذلك لا بد من تنفيذ هذه الشريعة»[380].

هوامش الفصل الثاني

1. الأزمة البلقانية 1875-1878: اندلعت هذه الأزمة بإعلان إحدى مقاطعات الهرسك في تموز/ يوليو 1875 الثورة على الأتراك العثمانيين، وامتد بعد ذلك لهيب الثورة إلى البوسنة في شهر آب/ أغسطس، لتصل إلى بلغاريا في عام 1876. ولتتطور المسألة إلى إعلان الصرب الحرب على الدولة العثمانية؛ ثم تبعتها الجبل الأسود وشكلا تحالفاً ضد الدولة العثمانية، واثر خسارة هذا الحلف الحرب تدخلت روسيا، وأعلنت بدورها الحرب على الدولة العثمانية في 24 نيسان/ ابريل 1877، بعد فشل المفاوضات بينها وبين الدول الأوروبية الكبرى، ولم تنتهِ هذه الحرب إلا بعقد معاهدتي سان ستيفانو وبرلين. ينظر: عبد الرؤوف سنو، العلاقات الروسية العثمانية (1687-1878) مسألة البحر الأسود والأزمة البلقانية، الحلقة الرابعة، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد(79-80)، بيروت، 1985، ص2-26؛
 -Jeremy Salt, op. cit., p. 45-48.
2. ينظر: هـ. أ. ل. فيشر، تاريخ أوروبا في العصر الحديث 1789-1950، ترجمة: احمد نجيب هاشم ووديع الضبع، ط6، مصر، 1972، ص370؛ محمد أمين زكي بك، المصدر السابق، ص246-247.
3. محمد ابو عزة، عصر السلطان عبد الحميد، بيروت، 1997، ص255.
4. No. 42. Mr. Layard to Earl of Derby, Therapia, November 6, 1877, in (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, p. 95-96;
 - جستن مكارثي، المصدر السابق، ص127-128.
5. Salhi R. Sonyel, *Minorities And The Destruction...*,p. 234.
6. للتفاصيل عن دور الشيوخ الدينيين في هذه الحرب ينظر:
 -Avyarov, A.G.E., S. 90-121.
7. أ.ن.خالفين، المصدر السابق، ص102.
8. Garo Sasuni, A.G.E., S. 94-95;
 - وديع جويده، المصدر السابق، ص19.
9. G. B. Norman, *Armenia And The Campaign Of 1877*, London, n.d, p. 273.
10. عبد الله العلياوي، المصدر السابق، ص99.
11. G. B. Norman, op. cit., p. 273-274.

12. ن.أ.خالفين، المصدر السابق، ص106-107؛ عبد الله العلياوي، المصدر السابق، ص99.
13. ينظر، مؤلفه: انتفاضة الأكراد...، ص33.
14. Avyarov, A.G.E., S. 94.
15. Mehmet Firat Kiliç, Sheikh Ubeydullah's role in 1877-1878 Ottoman-Russian War, Via at:(www.pen-kurd.org);
- بلەچ شيركوه، المصدر السابق، ص46.
16. خاليت مرادوفيج جتويف، المصدر السابق، ص33.
17. جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص36.
18. تكون مجلس المبعوثان العثماني عند إعلان الدستور العثماني لأول مرة في 23 تشرين الثاني/ نوفمبر 1876، وكان قائد الحركة الدستورية العثمانية هو مدحت باشا(1822-1883)، إلا أن الحرب الروسية العثمانية، وعدم جدية السلطان عبد الحميد الثاني في تطبيق هذا الدستور أدى إلى إلغائه بعد مدة وجيزة، وسميت هذه المدة بالعهد الدستوري الأول، وسمي مدحت باشا بـ(أبو الدستور العثماني)، للمزيد ينظر: موفق بني المرجة، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، ط9، عمان، 1999، ص53-68؛ ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ط3، بيروت، 1965، ص97-103.
19. Salahi Ramsdan Sonyel, *The Ottoman Armenians*..., p. 43.
20. Ibid.
21. No. 34, Mr. Layard to the Earl of Derby, Therapia, July 24,1877, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, p. 86.
22. No. 39, Mr.Layard to the Earl of Derby,THERAPIA, August 24,1877, in: (B..B.D.O.A), Vol: I, P.92.
23. No. 40, Mr.Layard to the Earl of Derby,THERAPIA, August 24,1877, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, p. 92.
24. No. 46, Mr. Layard to the Earl of Derby,Tunis, November 27,1877, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, p. 102; MUSA ŞAŞMAZ, *British Policy And The Application Of Reforms For The Armenians In Eastern Anatolia 1877-1897,* Ankara, 2000, p. 3-4.

25. Salahi Ramsdan Sonyel, *The Ottoman Armenians...*, p. 44-46.
26. Musa Şaşmaz, op. cit., p. 5.
27. Ibid.
28. صار بعد ذلك رئيساً للوزراء في روسيا. ينظر: هراج داسبنديان، القضية الأرمنية: عرض تاريخي مقتضب للقضية الأرمنية، ترجمة: جوزف كالوستيان، بيروت، 1984، ص9.
29. Krikor Behesnilian, *Armenian Bondage and Garnage: Being the Story Christian Martyrdom in Modern Times*, London, 1903, p. 52-53.
30. Mehmet Firat Kilic, op. cit.; Musa Şaşmaz, op. cit., p. 5.
31. Krikor Behesnilian, op. cit., p. 52; Justin McCarthy and others , op. cit., p. 46.
32. No. 29, Mr. Layard to the Earl of Derby, Therapia, July 10,1877, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, p. 80-81.
33. No.38, Consul Zohrab to the Earl of Derby,ERZEROOM, August 21, 1877, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P.91.
34. No. 37, Mr. Layard to the Earl of Derby, Therapia, August 8,1877, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, p. 89-90.

- هذه الوثيقة الأخيرة تتضمن ملحقين، الملحق الأول هي رسالة القنصل زوهراب يتحدث فيها عن الانتهاكات الكُردية كما سمعها من المبشرين الأميركان في بتليس، والملحق الثاني: هو نص لرسالة من المبشرين في بتليس إلى القنصل زوهراب، يتحدثون فيها عن الشيخ جلال الدين وانتهاكاته ضد المسيحيين الآمنين حسب قولهم. حول هذا الموضوع، ينظر أيضاً:

- Bilal N. Şimşir, Kürtcülük 1787-1923, 2.basim, Istambul, 2007, S. 116-125.

35. Inclosure in No. 36, Mr. Layard to Mr. Rassam, Therapia, August 6,1877, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, p. 87-89.
36. Inclosure in No. 43, Mr. Rassam to Mr. Layard, Van, October 15, 1877, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, p. 97-101.

37. Inclosure in No. 43. Mr. Rassam to Mr. Layard, Van, October 15, 1877, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, p. 97-101.
38. Ibid.
39. Ibid.
40. G. B. Norman, op. cit., p. 250.
41. James Creagh, op. cit., p. 179
42. Ibid, p. 178 and 263.
43. Ibid, p. 201-202.
44. Ibid, p. 278-279.
45. Ibid, P. 292.
46. Ibid, P. 286-287.
47. Musa Şaşmaz, op. cit., p. 2.
48.Ibid.
49. أ.ن.خالفين، المصدر السابق، ص106.
50 جستن مكارثي، المصدر السابق، ص72-73.
51. نقلاً عن: أ.ن.خالفين، المصدر السابق، ص105.
52. Musa Şaşmaz, op. cit.t., p. 5-7;
- جستن مكارثي، المصدر السابق، ص74.
53. G. F. Dixon-Johnson, *The Armenians, Northgate-Blackburn, 1916*, P.17.
54. Christopher J. Walker, op. cit., p. 123.
55. Hagop Şahbazyan, A.G.E., S.113-114.
56. جستن مكارثي، المصدر السابق، ص75.
57. المصدر نفسه، ص76.
58. Musa Şaşmaz, op. cit.. p. 6.
59. G. B. Norman, op. cit., p. 251-252.
60. من الجدير بالذكر هنا بأنّ مصطلحات (التركي، والعثماني، والمسلم) كانت تطلق على سكان الإمبراطورية العثمانية بغض النظر عن قومياتهم.
61. جستن مكارثي، المصدر السابق، ص130-133.

62. Musa Şaşmaz, op. ci p. 5.
63. Garo Sasuni, A.G.E., S. 95.
64. James Creagh, op. cit., p.175.
65. Salahi Ramsdan Sonyel, *The Ottoman Armenians*..., p. 47-48.
66. ارنولد ج.توينبي، من الملخص التاريخي: معاملة الأرمن في الإمبراطورية العثمانية في عامي 1915-1916، في: مجموعة مؤلفين، مختارات من بعض الكتابات التاريخية حول مجازر الأرمن عام 1915، ترجمة: خالد الجبيلي، سوريا، 1995، ص26؛ ك.ل. استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، الموصل، 1951، ص277.
67. Garabet K. Moumdjian, op. cit.
68. نقلاً عن: هراج داسبنديان، المصدر السابق، ص10.
69. Salahi Ramsdan Sonyel, *The Ottoman Armenians*..., p. 47-48.
70. No. 50, Mr. Layard to the Earl of Derby, Constantinople, December 4,1877, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, p. 135-140.
71. Taha Niyazi Karaca, Ermeni Sorununun Gelişim Sürecinde Yozgat'Ta Turk Ermeni Ilişkileri, Ankara, 2005, S. 77.
72. لقد وصف قيصر روسيا اسكندر الثاني (1855-1881) هذا المؤتمر، بأنه: «تحالف أوروبي تحت زعامة الأمير بسمارك ضد روسيا». ينظر: هـ.أ.ل.فيشر، المصدر السابق، ص389.
73. Samuel M. Zwemer, *The Moslem World*, Vol:I, New York, 1920, p. 341-342;

    - جان شرف، المصدر السابق، ص149.
74. No. 64, Mr. Layard to the Earl of Derby, Constantinople, March 18,1878, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, p. 159-161; Alişan Akpinar, Eugene L. Rogan, AŞiret Mektep Devlet, Istambul, 1996, S. 63-64.
75. Nurşen Mazici, Uluslararasi Rekabette ermeni sorunu'nun kokeni 1878-1920, 3 Baski, Istambul, 2007, S.13; Musa Şaşmaz, Op. Cit., P. 7-9.
76. Salahi Ramsdan Sonyel, The Ottoman Armenians..., P. 51.

77. Musa Şaşmaz, op. cit., P. 7-9
78. Arman J.Kirakossian, *British Diplomacy and the Armenian Question*: From the 1830s to 1914, Princeton and London, 2003, P. 75; Musa Şaşmaz, op. cit., P. 7-9.
79. Salahi Ramsdan Sonyel, *The Ottoman Armenians*..., P. 38
80. Arman J. Kirakossian, Great Britain and the Armenian Question, in: *The Armenian Massacres 1894-1896*..., P. 26.
81. Ibid;

- وديع جويده، المصدر السابق، ص55.

82. Kamuran Gürün, The Armenian File, Istambul, 2007, P. 127-128.
83. Ibid.129.
84. Ibid, P. 130-131.
85. Ibid, P. 131-132.
86. أكدّ هنري تروتر قنصل كُردستان في رسالة له إلى وزير خارجية بريطانيا سالسبيري، بتاريخ 15/ 7/ 1879، على أن هناك اختلافاً كبيراً بين الإحصائيات التي قدمتها البطريركية الأرمنية إلى مؤتمر برلين، وبين الإحصائيات التي أوردها القنصل البريطاني السابق في أرضروم تايلور والتي تعود إلى عام 1869. حول هذا الأمر ينظر:

   -No. 235, Major Trotter to Marquis of Salisbury, Erzeroum, July 15, 1879,in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P.483-485.
87. Bilal N. ŞimŞir, Kürtcülük 1787-1923..., S. 155.
88. Musa Şaşmaz, Op. Cit., P.15; Salahi Ramsdan Sonyel, The Ottoman Armenians..., P. 51.
89. بول أميل، المصدر السابق، ص43-44.
90. Garo Sasuni, A.G.E., S. 96-97.
91. بول أميل، المصدر السابق، ص44.
92. Salahi Ramsdan Sonyel, The Ottoman Armenians..., P. 55.
93. ك. ل. استارجيان، المصدر السابق، ص279.
94. Salahi Ramsdan Sonyel, The Ottoman Armenians..., P. 56; Brad

Dennis, Kurdish-Armenian Relations in the late ottoman empire power structures and interactive behavior, MA thesis university of Utah, Department of languages and literature, 2008, P. 59-60.

95. No. 138, Sir A. H. Layard to Marquis of Salisbury, Pera, January 7, 1879, in: (B.Ş. B.D.O.A) Vol: I, P.297-298.

96. Salahi R.Sonyel, Minorities And The Destruction..., P. 286-287.

97. نقلاً عن: هراج داسنابديان، المصدر السابق، ص12.

98. Bilal N.Şimşir, KURTCULUK 1787-1923..., S.157.

99. Hagop Şahbazyan, A.G.E., S.84-85.

100. A.E., S.114-116.

101. Bilal NŞimŞir, Kürtcülük 1787-1923..., S. 154.

102. No. 81, The Marquis of Salisbury to Sir A. HLayard, Foreign Office, August 8, 1878, in: (B.Ş.B.D.O.A) Vol: I, P. 190-195;

- محسن حمزة حسن حسين، الأزمة البلقانية 1875-1878: دراسة في السياسة العثمانية والدبلوماسية الأوروبية، أطروحة دكتوراه، مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة الموصل، 2001، ص305.

103. سيأتي الحديث عن قنصلية كُردستان، والقنصليات الأجنبية الأخرى في كُردستان، لاحقاً ضمن محاور هذا الفصل.

104. وديع جويده، المصدر السابق، ص28-29.

105. Salahi Ramsdan Sonyel, The Ottoman Armenians..., P. 62.

106. Bilal N. Şimşir, Kürtcülük 1787-1923..., S. 161.

107. No. 3, Captain Clayton to Major Trotter, Van, May 14, 1880, in: (B.S.B.D.O.A), Vol: II, P.5-6.

108. ينظر مثلاً:

-No. 88, Sir A. H. Layard to The Marquis of Salisbury, Constantinople, September 14, 1878, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P. 206-207; No. 91. Sir A. H. Layard to The Marquis of Salisbury, Therapia, September 16, 1878, in:(B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P. 208-209.

109. No. 96, Sir A H. Layard to The Marquis of Salisbury, Therapia, September 19, 1878, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P. 215-216.
110. No. 91, Sir A H. Layard to The Marquis of Salisbury, Therapia, September 19, 1878, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P. 208-209.
111. No. 94, Sir A H. Layard to The Marquis of Salisbury, Therapia, September 19, 1878, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P.213
112. Bilal N. Şimşir, Kürtcülük 1787-1923..., S.116.

113. للتفاصيل عن هذا الموضوع ينظر: رۆهات ئەلاکۆم، کوردەکانی ئەستەمبوولی کۆن، وەرگێڕان، ئەحمەد تاقانە، هەولێر، 2005، ل27-53.

114. No. 152, Sir A. H. Layard to The Marquis of Salisbury, Constantiople, February 3, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P. 323.
115. No.153, Sir A. H. Layard to The Marquis of Salisbury, Constantiople, February 3, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P. 323-325.

116. جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص41.

117. Musa Şaşmaz, op. cit., P. 45-56.
118. Inclosure in No.2 16, Major Trotter to Sir A.H. Layard, Erzeroum, June 12, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P. 457-459.
119. No. 249, Major Trotter to The Marquis of Salisbury, Erzeroum, August 8, 1879, in:(B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P. 516-519; Musa Şaşmaz, Op. Cit., P.45-56.

120. في رسالة موجهة من أهالي بايزيد الأرمن إلى لجنة الإصلاح التابعة لأرضروم، بتاريخ 10/ 9/ 1879، يروون فيها تفاصيل الحرب في بايزيد-حرب 1877- قبل وبعد الاحتلال الروسي لها، ويذكرون فيها أن الجنود الأتراك هم من قاموا بالمذبحة في بايزيد، أما الشيخ جلال الدين فكان يتحرك بإمرتهم، وكانت لديه اتصالات مع جواسيس الأتراك. للاطلاع على النص الكامل للرسالة، ينظر:

-No. 266, Petition addressed to the Comnissioners, Bayazid, September 10, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P. 564-567.

121. نص العريضة الكاملة منشور في:

-Bilal N. Şimşir, Kürtcülük 1787-1923..., S. 166-169.

122. التعليق الأخير (لا يوجد عضو كُردي)، يعود إلى المؤرخ التركي بلال شمشير.

123. Bilal N. ŞimŞir, Kürtcülük 1787-1923..., S. 167-169.

124. No.221, Major Trotter to Sir A. H. Layard, Erzeroum, July 7, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A) Vol: I, P. 466-468.

125. No. 249, Major Trotter to The Marquis of Salisbury, Erzeroum, August 8, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A)VOL: I, P514-519.

126. Musa Şaşmaz, op. cit., P. 45.

127. No. 249, Major Trotter to The Marquis of Salisbury, Erzeroum, August 8, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A)VOL: I, P. 514-519.

128. No.253, Major Trotter to The Marquis of Salisbury, Erzeroum, August 8, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A)VOL: I, P. 527-528.

129. Musa Şaşmaz, op. cit., P. 56-57.

130. Ibid, P. 57-58.

131. No.253, Major Trotter to The Marquis of Salisbury, Erzeroum, August 8, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A)VOL: I, P. 527-528.

132. No.262, Major Trotter to The Marquis of Salisbury, Erzeroum, August 8, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A),VOL: I, P. 560.

133. MUSA ŞAŞMAZ, op. cit., P59-60.

134. No.240, Sir A. H. Layard to The Marquis of Salisbury, Constantiople, July 29, 1878, in:(B.Ş.B.D.O.A, Vol: I, P. 506; No. 241, Sir A. H. Layard to The Marquis of Salisbury, Therapia, July 30, 1878, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P. 507-511.

135. جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص41-42.

136. No.332, Major Trotter to The Marquis of Salisbury, Diarbekir, January 31, 1880, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P.663-665.

137.Inclosure in No.340, Baker Pasha to Sir A.H.Layard, Diarbekir, February 1, 1880, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P. 685-687.

138. Ibid.

139. Ibid.

140. جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص42.

141. Musa Şaşmaz, op. cit., P. 60.

142. للتفاصيل عن مشروع الإصلاح الذي قدمه الأرمن في سيواس وموش ينظر على التوالي:

-No.4, Lieuten-colonel Wilson to Sir A.H.Layard, SMYRANA, May 15, 1880, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: II, P.7-11; No.8 ,Captain Clayton to Major Trotter, VAN, May 25, 1880, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: II, P.25-33.

143. احمد جميل باشا (1837-1902): يعد من أبرز الشخصيات الكُردية في ديار بكر، تقلد مناصب عديدة في الدولة العثمانية، من أبرزها متصرف سيرت ووالٍ على اليمن، وكان لأسرته في النصف الأول من القرن العشرين دورٌ بارز في الحركة التحررية القومية الكُردية. ينظر: مالميسانيج، عائلة جميل باشا الدياربكري والنضال القومي الكُردي، ترجمة: فيض الله خان ودلشا يوسف، مراجعة: فدان ادم، ط2، ديار بكر، 2007، ص15-24.

144. المصدر نفسه، ص19.

145. للإطلاع على نص هذه المذكرة باللغتين الفرنسية والانكليزية ينظر:

-No.32, Collective Note addressed to the Porte, Constantinople, le 7 September, 1880, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: II, P.113-124.

146. Annexe au No.30, Seance de la Ghambre des Gommunes du 28 Mai 1889, GRUELTIES IN ARMENIA, IN: BILAL N.ŞIMŞIR, DOCUMENTS DIPLOMATIQUES OTTOMANS: AFFAIRES ARMENIENNES, Vol :I (1886-1893), Ankara, 1993, P36-37.

- سنشير إلى هذا المصدر الوثائقي فيما بعد بالاختصار التالي، وهو الأحرف الأولى من اسم المعد واسم الكتاب.(B.Ş.D.D.O.A.A)

147. محمد رفعت الأمام، المصدر السابق، ص30.

148. A. O. SARKISSIAN, HISTORY OF THE ARMENIAN..., P.109.

149. محمد رفعت الإمام، المصدر السابق، ص30.

150. وديع جويده، المصدر السابق، ص54؛
-M.Kalman, A.G.E., S.38-39.
151.C.F. DIXON JOHNSON, THE ARMENIAN QUESTION: ITS MEANING TO GREAT BRITAIN, n.p, n.d, P.1-2.
152. Ibid, P.4.
153. Ibid, P.5-7.
- ذكر القنصل الفرنسي السابق المسيو زارزيكي في وان أن العلاقات بين الكُرد والأرمن كان يسودها التسامح قبل عهد عبد الحميد الثاني، إلا أن هذه العلاقات سمّمها-حسب قوله- السلطان الأحمر، ينظر:
Andre Mandelstam, op. cit., P. 188.
154. وديع جويده، المصدر السابق، ص53-54.
155. المصدر نفسه، ص55.
156. فؤاد حسن حافظ، المصدر السابق، ص206.
157. وديع جويده، المصدر السابق، ص58؛
- Salahi R. Sonyel, Minorities..., P.287-288.
158. فؤاد حسن حافظ، المصدر السابق، ص206.
159. No.230, Major Trotter to The Marquis of Salisbury, Erzeroum, July 15, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P. 483-485.
160.Inclosure in No.340, Baker Pasha to Sir A. H.Layard, Diarbekir, February 1, 1880, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P685-687.
161. No.354, Sir A. H. Layard to Her Majesty›s Secretary of State for Foreign Affairs, Constantinople, April 27, 1880, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P. 721-730.
162. Inclosure in No.81, Major Trotter to the Earl of Dufferin, Constantinople, July 11, 1881, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol:II, P. 249-251; Ramazan Calik, A.G.E., S. 20-22.
163. No.107. Sir A. H. Layard to The Marquis of Salisbury, Therapia, October 19, 1878, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P. 232.
164. Inclosure in No.108, Sir.H. Layard to Captain Trotter, Therapia, October 22, 1878, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P. 233-234.

165. Inclosure in No.145,Captain Trotter to Sir A. H. Layard, Diarbekir, December 21, 1878, in: (B.Ş.B.D.O.A, Vol: I, P. 308-311; Inclosure in No.201, Major Trotter to Sir A. H. Layard, Katerbul, May 10, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P. 402-405.

166. ينظر مثلاً، نص الأوامر التي أرسلها تروتر إلى كلايتون، عندما عُيّن نائباً لقنصل كُردستان في وان بتاريخ 24/ 7/ 1879 في:

-Inclosure in No.237, Major Trotter to Captain Clayton, Erzeroum, July 24, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P. 496-499.

167. No.203, Major Trotter to The Marquis of Salisbury, Erzeroum, June 4, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P. 409-411.

168. Inclosure 1 in No.219, Monsignor Nerces to Sir A. H. Layard, Le 1er Juillet 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P. 464; Bilal N. Şimşir, Kürtcülük 1787-1923...,S. 175.

169. Inclosure 2 in No.219, Extract from the «Phare du Bosphore» of July 1, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P. 465.

170. Bilal N.Şimşir, Kürtcülük 1787-1923..., S.174.

171. No.219, Sir A. H. Layard to The Marquis of Salisbury, Therapia, July 1, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P. 463.

172. Ibid.

173. No.230, Major Trotter to The Marquis of Salisbury, Erzeroum, July 15, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P. 483-485.

174. Ibid.

175. No.25,Consul Taylor to the Earl of Clarendon, Erzeroum, March 19, 1869, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P. 52-70.

176. No.247, Sir A. H. Layard to The Marquis of Salisbury, Therapia, August 1, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P. 513-514.

177. Inclosure to No.201, Major Trotter to Sir A. H. Layard, Katerbul, May 10, 1879, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P. 402-405.

178. Inclosure to No.40, Memorandum, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: II, P. 148-151.

179. ارشاك سافراستيان، المصدر السابق، ص87.

180. هناك اختلاف بين الباحثين، حول المصطلح الذي يجب أن يطلق على انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري، فإن جليلي جليل قد أطلق عليها (انتفاضة)، واتخذها عنواناً لأطروحته للدكتوراه، أما ديفيد مكدول فيطلق عليها اسم (الثورة)، وعثمان علي مثلاً يطلق عليها اسم (الحركة)، ربما كان مصطلح الثورة هو الأفضل لإطلاقه على ما قام به الشيخ عبيد الله النهري، إلا أنه ونظراً لقصر مدتها لا يحبذ الباحثون إطلاق هذا المصطلح عليها، حيث لم تتجاوز أحداثها الشهرين، ولكن يمكن القول إن تأثيرها بقي في الحركة التحررية القومية الكُردية إلى وقت قريب من القرن العشرين، ويكفي القول: إنها كانت أول ثورة كُردية حملت في ثناياها أسس الفكرة القومية الحديثة، ولكن مع هذا سنطلق عليها مصطلح (الانتفاضة) في دراستنا، ربما لأنها الأقرب إلى الواقع، ولوضعها في إطارها الحقيقي، كما أن الأطروحة الأكاديمية الوحيدة التي اختارت موضوع الشيخ عبيد الله النهري عنواناً لدراستها، قد اختار صاحبها مصطلح الانتفاضة لقناعته بها وهو جليلي جليل. ولا حاجة لنا إلى الخوض في معاني المصطلحات الثلاثة (الحركة)، و(الانتفاضة)، و(الثورة).

181. للتفاصيل عن هذه الانتفاضة، ينظر: جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص67 وما بعدها؛ ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص105-114.

182. إن أسس الفكرة القومية هي: العِرْق أو الأصل الواحد، واللغة، والأرض والتاريخ المشترك؛ ولأنّ الفكرة القومية الحديثة هي مدينة بالدرجة الأولى للثورة الفرنسية التي اندلعت في عام 1789، فإن اندلاع هذه الثورة ضد النظام الملكي فيها وما تبعها من أحداث، وقيام الجمهورية الفرنسية الأولى عام 1791، ودخول فرنسا وأوروبا بعد ذلك إلى العهد النابليوني 1799-1815، قد بذرت بذور هذه الفكرة في جميع أنحاء أوروبا، وأول دولتين اتخذتا من هذه الفكرة أساساً لوحدتهما في القرن التاسع عشر هما ألمانيا وايطاليا. ينظر: اريك هوبسباوم، الأمم والنـزعة القومية، ترجمة: عدنان حسن، مراجعة وتحرير: مجيد الراضي، سوريا، 1999، ص21 وما بعدها.

183. وديع جويده، المصدر السابق، ص58.

184. فقد أدت المجاعة التي انتشرت عام 1878-1880 إلى تقويض اقتصاد المناطق الكُردية بصورة نهائية، وقد نشرت جريدة التايمز في 5 آذار/ مارس 1880 ذلك ووصفته بالقول: «الكوارث في ديار بكر والموصل كبيرة جداً، وفقد سكان المقاطعة الأخيرة وسائل البقاء تماماً»، وقد مات في هكاري وحدها أكثر من (عشرة آلاف)

شخص جوعاً، وكتبت جريدة مشاك الأرمنية إن : «المجاعة تشتد، والناس في كل مكان يرتدون الثياب الرثة، وقد خارت قواهم بسبب الجوع والمرض، وحولوا إلى هياكل ضامرة يهيمون على وجوههم في الطرقات دون هدف، يئنون ويتضورون من الجوع، ويطلبون على الدوام العون والمساعدة. لقد مات عدد كبير منهم بسبب الجوع»، كما مست المجاعة اقتصاد الكُرد الرحل وشبه الرحل، وتوجه آلاف الناس الذين كانوا في حالة يائسة نحو الشمال إلى الحدود الروسية، على أمل أن يجدوا مأوى وطعاماً في روسيا. وكتب شهود عيان أن جميع الطرقات حول جبال أرارات كانت مكتظة بالفقراء والجياع من الكُرد، ولقد مات الكثير منهم على الطرقات، بعد أن أصابهم الوهن والضعف نتيجة الجوع، وأنه مات (45) كُردياً في بايزيد من الجوع في بداية عام 1880، ينظر: جليلي جليل وآخرون، الحركة الكردية في العصر الحديث، ترجمة: عبدي حاجي، بيروت، 1992، ص32؛

-No.93,The Earl of Dufferin to Earl Granville, Therapia, August 23, 1881, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: II, P. 270-278.

185. وديع جويده، المصدر السابق، ص34.

186. المصدر نفسه، ص29.

187. ديوانى حاجى قادرى كۆيى، لێكۆڵینەوە ولێكدانەوەی: سەردار حمید میران وكەریم مستەفا شارەزا، پێداچوونەوەی: مسعود محمد، بغداد، 1986، ل85-89. لا يعلم بالضبط التاريخ والزمن الذي قال الحاج قادر كويى فيها هذه الأبيات الشعرية، إلا أن المؤرخ (كمال مظهر احمد) يؤكد بناء على ما لحقه من أبيات أخرى على أن الحاج قادر قال هذه الأبيات الشعرية في أواسط ثمانينيات القرن التاسع عشر، أو قبل المذابح-الأزمة- الأرمنية الأولى (1894-1896) بمدة قصيرة؛ ولكن يبدو بالنظر إلى محتوى الشعر الذي يغلب عليه طابع الحماسة القومية الشديدة، وكذلك إلى تقدير الحاج قادر كويى لنضال الأرمن ضد الدولة العثمانية، كما ذكره الباحث إحسان فؤاد؛ بالاستناد إلى هذه الأمور فإنّ الحاج قادر كويى قال هذه الأبيات الشعرية في زمن قريب جداً من إعلان بنود معاهدة برلين، وإنّ نيّات الدول الكبرى خلال سنوات 1879-1881 كانت معروفة عند الكُرد، بأنها ستقوم بالإصلاحات التي نصت عليها معاهدة برلين فقط، لتهيئة أرضية مناسبة لقيام دولة ارمنية، أو حتى لإعطائهم حكماً ذاتياً في شمال كُردستان، التي يعدها الكُرد على مر الزمان والعصور مهدهم الأول، ولكن بعد عام 1881 خفت حدة هذا الصراع على أرض الواقع حتى منتصف تسعينيات القرن التاسع عشر-كما سيأتي الحديث عنها

لاحقاً-، وربما اختار الحاج قادر كويى اسم (ارض الجزيرة وبوتان) عنواناً لشعره، لأن أغلب إجراءات لجان الإصلاح تعسفاً في شمال كُردستان وقعت وجرت في تلك المنطقة بالذات، لذلك فإن أغلب الظن أن الحاج قادر كويى إنما نطق بهذه الأبيات ما بين سنوات 1879-1881. للتفاصيل حول شرح كمال مظهر لهذا الأمر ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص266-271.

188. جليلي جليل وآخرون، المصدر السابق، ص34.

189. Avyarov, A.G.E., S.123.

190. ن.أ.خالفين، المصدر السابق، ص128؛ جليلي جليل وآخرون، المصدر السابق، ص34.

191. جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص64.

192. وديع جويده، المصدر السابق، ص30.

193. جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص61.

194. من وليم أبوت إلى ايرل اوف كرانفل، لقاء تاريخي فريد مع الشيخ عبيد الله النهري، تبريز 1/ 10/ 1881، في: عثمان علي، الكُرد في الوثائق البريطانية، اربيل، 2008، ص79.

195. جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص61.

196. عثمان علي، دراسات...، ص83.

197. وديع جويده، المصدر السابق، ص30-31.

198. Garo Sasuni, A.G.E., S. 104.

199. A.E.,S.104-105.

200. طبيب ومبشر أميركي، كان يعمل ضمن الإرسالية التبشيرية الأميركية في أورمية في كُردستان إيران، وكان كوجران محل ثقة كبيرة عند الشيخ عبيد الله النهري.

201. جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص73-74.

202. ف.ف مينورسكي، المصدر السابق، ص42-43.

203. ينظر: جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص73؛

-Garo Sasuni, A.G.E., S.102.

204. Ibid., S.104.

205. جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص81.

206. المصدر نفسه، ص84-85.

207. وديع جويده، المصدر السابق، ص31.
208. جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص89.
209. Hagop Şahbazyan, A.G.E.,S.116.
210. نقلاً عن: عثمان علي، دراسات...، ص89.
211. ينظر: وديع جويده، المصدر السابق، ص35-36 و ص42-43.
212. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص112-113.
213. ينظر:

- Garo Sasuni,A.G.E., S.101.

214. نقلاً عن: وديع جويده، المصدر السابق، ص34.
215. ينظر مثلا:

-Hagop Şahbazyan, A.G.E., S.114.

216. ينظر: ئەسکەندەر غدریانس، شۆڕشی شێخ عوبەیدوڵلای نەهری لە بەڵگەنامەی ئەرمەنیدا، وەرگێڕانی: محەمەد حەمە باقی، هەولێر، 2007، ل5، وە یان باشتر؛ ئەسکەندەری قوریانسی ئەرمەنی، دیرۆکا زیدەکافی یا کوردان، وەرگێڕان: لەزکینی جالی، هەولێر، 2010.
217. Salhi Sonyel, The Great War And The Tragedy Of Anatolia: Turks And Armenians In The Maelstrom Of Major Powers, Ankara, 2001, P. 20.
218. كرسام اهارونيان، المصدر السابق، ص21-22.
219. No.16, Captain Everett to Major Trotter, Erzeroum, June 25, 1880, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: II, P. 67-71.
220. جان شرف، المصدر السابق، ص150؛ محمد رفعت الإمام، المصدر السابق، ص30-31؛ رۆبەرت ئۆلسن، راپەڕینی شێخ سەعیدی پیران، وەرگێڕانی: ئەبوبەکر خۆشناو، ج2، سلیمانی، 1999، ل25.
221. نقلاً عن مؤلفه: المصدر السابق، ص221.
222. Kamuran Gürün, Op. Cit.,P. 153.
223. Ibid, P. 153-154; M. Kalman, A.G.E., S.40-41.
224. Kamuran Gürün, op. cit., P.154; Brad Dennis, op.cit., p.80;
- ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص117.

225. M. Kalman, A.G.E., S.42;

- احمد فؤاد رسلان، المصدر السابق، ص51.

226. Justin McCarthy and other, op. cit., P. 41-42;

- كرسام اهارونيان، المصدر السابق، ص21-22.

227. وهي مدينة كُردية تقع في شمال كُردستان إيران الحالية.

228. تم استخدام اللباس الكُردي في عمليات عديدة، من قبل الأرمن والروس والأتراك في شمال كُردستان، وذلك لإلصاق الجريمة بالكُرد، بحجة أنّ مرتكبيها كانوا يلبسون اللباس القومي الكُردي، وربما شكل هذا اللباس نقطة يجب الوقوف عندها طويلاً، لأنه لا يزال يستخدم في هذا الاتجاه. وسنأتي بأمثلة أخرى في الفصول اللاحقة، عن كيفية استغلال الأقوام المجاورة للكُرد لهذا اللباس.

229. No.63, Rustem Pacha Ambassadeur à Londres à Said Pacha Ministre des Affaires Etrangères Ottoman, Londres,le 22 fevrier 1890, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), Vol: I, P.73-74; Christopher J.Walker, op. cit., P. 127.

230. M. Kalman, A.G.E., S. 42.

231. كرسام اهارونيان، المصدر السابق، ص22؛ محمد رفعت الإمام، المصدر السابق، ص31-32.

232. أصدر البيان الشيوعي كارل ماركس (1818-1883)، وفردريك انجليس (1820-1895)، إثر نشوب ثورة 1848 في فرنسا وانتشارها في أوروبا. ولم يكن لهذا البيان -الذي أصبح فيما بعد يتمتع بشهرة كبيرة- أي تأثير يذكر حين صدوره. وفي البيان الشيوعي تقدم ماركس بفلسفة جديدة للتاريخ، وببرنامج جديد للإصلاح الثوري، ونداء جديد للعمل الدولي. للتفاصيل، ينظر: هـ.ل.فيشر، المصدر السابق، 329-330؛ رونالد سترومبرج، تاريخ الفكر الأوروبي الحديث 1601- 1977، ط3، القاهرة، 1994، ص436.

233. Justin McCarthy and other , op. cit., P. 42.

234. نقلاً عن: السعيد رزق حجاج، الأكراد والأرمن في العصر الحميدي، القاهرة، 1991، ص96.

235.Justin McCarthy and others , op. cit., P. 42.

236. السعيد رزق الحجاج، المصدر السابق، ص96-97.

237. M.Kalman, A.G.E., S. 43.
238. Justin McCarthy and others , op. cit., P. 42.
239. Christopher J.Walker, op. cit., P. 130-131; Brad Dennis, op.cit., p.91.
240. Justin McCarthy and others , op. cit., P. 43.

241. كرسام اهارونيان، المصدر السابق، ص22.

242. محمد رفعت الامام، المصدر السابق، ص31-32؛ السعيد رزق الحجاج، المصدر السابق، ص97.

243. Salahi Sonyel, The Great War..., P. 21; Justin McCarthy and other, op. cit., P. 43.
244. Jeremy Salt, Op. Cit., P. 61.
245. Garo Sasuni, A.G.E., S.112.
246. Garabet K.Moumdjian, op. cit.

247. محمد رفعت الامام، المصدر السابق، ص32؛

-Garo Sasuni, A.G.E., S.111.

248. جستن مكارثي، المصدر السابق، ص138-139.

249. محمد رفعت الامام، المصدر السابق، ص32.

250. M.Kalman, A.G.E., S. 52.

251. محمد رفعت الامام، المصدر السابق، ص32.

252. فؤاد حسن حافظ، المصدر السابق، ص208-209.

253. M.Kalman, A.G.E., S. 56-57.

254. محمد رفعت الامام، المصدر السابق ص32.

255. M.Kalman, A.G.E., S.34; Général Russe Mayéwski: Consul Général de Russie a Vanpuis a Erzeroum, Les Massacres D'Armirie, n.p, 1916, P. 21.

256. محمد رفعت الامام، المصدر السابق، ص32.

257. جليلي جليل، انتفاضة الأكراد...، ص58-59؛ م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص61.

258. No.16, Captain Everett to Major Trotter, Erzeroum, June 25, 1880, in:(B.Ş.B.D.O.A) ,Vol: II, P. 67-71.

259. ينظر مثلاً:

- No.47.Extract from a private Letter from Colonel Wilson, dated Smyrna, December 23, 1880, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: II, P. 171-173; Inclosure in No. 62, Captain Clayton to Major Trotter, Van, February 15, 1881, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: II, P. 195-197.

260. Antranik Celebyan, Antranik Paşa, Ermeniceden Turkceye Ceviren: Mariam Arpi- Nairi Arek, Istambul, 2003. S. 138.

261. طرح السلطان عبد الحميد الثاني شعار الجامعة الإسلامية عندما تدهورت أوضاع الدولة العثمانية كثيراً، وكان الهدف الأساسي لهذه الفكرة هو محاولة منه لربط الشعوب الإسلامية جميعها بالخلافة الإسلامية، ومجابهة الدول الأوروبية الكبرى الطامعة في أملاك الدولة العثمانية مثل بريطانيا وروسيا، وكان عبد الحميد يرى أن شعار الجامعة الإسلامية خير معين له لتنفيذ سياسته الداخلية والخارجية. ينظر: موفق بني المرجة، المصدر السابق، ص58- 118.

262. هنري باركي وآخرون، القضية الكوردية في تركيا، ترجمة: هفال، اربيل، 2007، ص15.

263. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص89.

264. No.158, The Earl of Dufferin to Earl Granville, Constantinople, January 10, 1882, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: II, P. 383-388; Garo Sasuni, A.G.E., S. 99.

265. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص53-67.

266. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص241-244.

267. ينظر:

-Garabet K. Moumdjian, op. cit.

268. Garo Sasuni, A.G.E., S.110.

269. ايف ترنون، ماردين: دراسة تحليلية لإبادة عام 1915، ترجمة: لطيفة عرنوق، لبنان، 2008، ص75.

270. يتفق اغلب الباحثين والمؤرخين من أمثال هاكوب شاهبازيان، وكارو ساسوني، وباسيلي نيكتين، ولازاريف، ومارتن فان بروينسن، وآخرين، وبناءً على دراسات وبحوث علمية قاموا بها أن كلمة (فلا) التي اطلقت على المسيحيين في شمال

كُردستان ولا تزال، تعود بأصولها إلى كلمة (فلاح)، لأنّ المسيحيين في العصر الحديث قد استقروا في قرى بكُردستان، واختار اغلبهم الزراعة كمهنة له لإعالة عوائلهم، وبما أن غالبية الكُرد كانوا من العشائر الرحل وشبه الرحل كان العديد من القبائل الكُردية تنظر باستصغار إلى هذه المهنة (أي الفلاحة)، لأنّ مهمة الرجل الأساسية عندهم في تلك الآونة كانت القتال والمصارعة، وليس القعود وغرس النباتات، وكانت نظرة هؤلاء الكُرد إلى معظم من يستقر من الناس في كُردستان، ويعمل بعمل آخر غير القتال والنبالة هي هذه، وحتى كان يطلق على الكُرد المستقرين اسم (كرمانج) أو اسم (كوران) لأن هؤلاء الكُرد أيضاً استقروا واختاروا مهناً أخرى غير تلك التي كان أجدادهم يمارسونها.

271. Hagop Şahbazyan, A.G.E., S.76.

272. Maurizio Russo, La formation des regiments de cavalerie kurde hamidie, Revue d'histoire arménienne contemporaine I ,1995, P. 31.

273. ليس القصد هنا أن الكُرد لم يكونوا يعرفون معنى الكافر أو لم يكونوا قد سمعوا بها، بل القصد هنا أن الكُرد لم يستعملوا هذا المصطلح، ضد أبناء أي ديانة كانت، عبر تاريخهم الطويل في المنطقة.

274. نقلاً عن: م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص64.

275. المصدر نفسه، ص65.

276. سەفەرنامەی هینری بیندەر: کوردستان - میزۆپۆتامیا - ئێران، وەرگێڕانی: ئەبوبەکر خۆشناو، سلێمانی، 2006، ل194-195.

277. Hagop Şahbazyan, A.G.E., S.76;

- ينظر، كذلك:

- Ohan Gaidzakian M. D., Illustrated Armenia and the Armenians, BOSTON, 1898, P. 85-86.

278. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص68 وص70-72؛ ينظر كذلك:كمال مظهر أحمد، المصدر السابق، ص241-243.

279. يورد لازاريف إحصائيات عن الأرمن والكُرد تعود إلى أواخر القرن التاسع عشر، مع

أنه لا يشير إلى التاريخ الدقيق للإحصائية، إلا أنه ذكر أنها تقع ضمن المدة التي بحث عنها في أواخر القرن التاسع عشر.

280. نقلاً عن مؤلفه: المصدر السابق، ص67.

281. Garo Sasuni, A.G.E., S.112.

282. ايف ترنون، المصدر السابق، ص75.

283. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص56؛

- Garo Sasuni, A.G.E., S.113.

- يذكر لازاريف أن موسى بك ينتمي إلى عشيرة جبران ولكن الصحيح كونه من عشيرة جلالي.

284. Recep MaraŞli, Ermeni Ulusal Demokratik Hareketi ve 1915 Soykirimi, Istambul, 2008, S.281.

285. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص56.

286. Recep MaraŞli, A.G.E., S.283; Musa Şaşmaz, kürt Musa Bey olayi (1883-1890), Istanbul, 2004, S.26-30.

287. Recep MaraŞli, A.G.E., S.282.

288. Frederick Davis Greene, Armenian Massacres Or The Sword Of Mohammed, Philadelphia & Chicago, 1896, P. 157-160.

289. Recep MaraŞli, A.G.E., S. 283-284.

290. A.E., S.283.

291. A.E.

292. No.308, Sir W.White to Marquis of Salisbury, Constantinople, May 20, 1889, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: I, P. 483-485.

293. سعيد باشا (1843-1907): هو ابن حسين باشا بن احمد آغا آل خندان، ويعرف بالكُردي، ولد سعيد باشا في مدينة السليمانية، في كردستان-العراق الحالية، وتقلد عدة مناصب في الدولة العثمانية، لعل أبرزها كان منصب وزير الخارجية في الدولة العثمانية، حيث تقلده في أواخر ثمانينيات القرن التاسع عشر وبقي فيه حتى منتصف تسعينيات القرن نفسه، وصار رئيساً لمجلس شورى الدولة بعد ذلك. للتفاصيل، ينظر: محمد أمين زكي بك، مشاهير الكرد وكردستان (1-2)، ترجمة: السيدة كريمته، ط2، دمشق، 2006، ص229-230؛ مير بصري، أعلام الكُرد، لندن-

قبرص، 1991، ص59-60.

294. Bilal N.ŞimŞir, Kürtcülük 1787-1923..., S. 201-202.

295. هلكوت حكيم، كتابات مع الأحداث، أربيل، 2009، ص24-25؛ صالح زهر الدين، المصدر السابق، ص45-46 ؛

-NURŞEN MAZICI, A.G.E., S. 34-35.

296. هلكوت حكيم، المصدر السابق، ص25.

297. Recep MaraŞli, A.G.E., S. 286.

298. ينظر نص هذه المناقشة في الملحق رقم (2).

299. Bilal N. ŞimŞir, Kürtcülük 1787-1923..., S.204;

- رؤهات ئەلاكۆم، سەرچاوەى پێشوو، ل58.

300. Recep MaraŞli, A.G.E., S.285.

301.Garo Sasuni, A.G.E., S. 113; Musa Şaşmaz,Kurd Musa Bey..., S.181 ve Ötesi.

302. Bilal N. ŞimŞir, Kürtcülük 1787-1923..., S.204; Arman J. Kirakossian, Op. Cit., P. 155-156.

303. Bilal N. ŞimŞir, Kürtcülük 1787-1923..., S. 204.

304. Garo Sasuni, A.G.E., S.113.

305. Recep MaraŞli, A.G.E., S. 283.

306. ينظر النص الأصلي باللغة الكُردية في الملحق رقم (3).

307. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص90.

308. Maurizio Russo, op. cit., P. 34.

309. ينظر، مثلاً: عبدالله العلياوي، المصدر السابق، ص172؛ ماجد محمد زاخويي، الفرسان الحميدية، دهوك، 2008، ص67.

310. يقول السلطان عبد الحميد الثاني بخصوص سبب تشكيله للفرسان الحميدية ما يلي: «إذا وقعت الحرب مع الروس فإن سرايا الأكراد المدربة تدريباً جيداً يمكنها أن تقوم بخدمات جليله؛ ثم إن فكرة الطاعة التي يتشربونها ستفيدهم كثيراً، أما رؤساؤهم الذين منحناهم رتباً عسكرية، فإنهم سيجعلونها مدار فخرهم واعتزازهم، وسيسعون إلى شيء من النظام والولاء، وسيأتي اليوم الذي تنتهي فيه حداثة السرايا الحميدية،

وتصبح جيشاً له أهميته». ينظر مؤلفه: مذكراتي السياسية 1891-1908، ط2، بيروت، 1979، ص33.

311. Fatih Unal, REFLECTIONS OF THE SECOND PROCLAMATION OF THE OTTOMAN PARLIAMENTARY SYSTEM ON EASTERN ANATOLIA AND ITS EFFECT ON THE ARMENIAN-KURDISH RELATIONS, REVIEW OF ARMENIAN STUDIES, Vol:4, No. 10. Ankara, 2006, P.50.

312. Avyarov, A.G.E., S.129-147.

313. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص115.

314. Vahakn N. Dadrian, The Armenian Question and the Wartime Fate of the Armenians as Documented by the Officials of the Ottoman Empire›s World War I Allies: Germany and Austria-Hungary, International Journal of Middle East Studies, Vol.34, No.1,Feb, 2002, P.63; ARMAN J.KIRAKOSSIAN, op. cit., P.162.

315. ينظر:

-MUSTAFA AKYOL, KURT SORUNUNU YENIDEN DUŞUNMEK, Istambul, 2006, S.43-44.

316. A.E., S.44.

- من المفيد هنا القول: إن الباحث الكُردي عثمان علي يذكر أن من أهم نتائج التشكيلات الحميدية على المجتمع الكُردي هي عودة الاعتبار للكُرد بصورة عامة ولقيادتهم التقليدية. ينظر مؤلفه: دراسات في الحركة الكُردية...، ص128.

317. Walter B. Harris,op.Cit., P. 288-289.

318. Maurizio Russo, op. cit., P. 35.

319. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص90.

320. Avyarov, A.G.E., S.47-88.

321. ينظر، مؤلفه: المصدر السابق، ص44.

322. Arman J. Kirakossian, Op. Cit., P. 162; Christopher J.Walker, Op. Cit., P. 134-135.

323. مارتن فان بروينسن، الآغا...، ج1، ص405.

324. Christopher J. Walker, op. cit., P. 134.

325. نقلاً عن: مارتن فان بروينسن، الآغا...، ج1، ص406.

326. C. F. Dixon Johnson, The Armenians..., P. 17-18.

327. Maurizio Russo, op. cit., P. 35.

328. Ibid.

329. كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص87؛ عبد الله العلياوي، المصدر السابق، ص173.

330. نقلاً عن: كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص87.

331. Maurizio Russo, op. cit., P. 37.

332. Ibid.

333. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص97.

334. قامت الدولة العثمانية بالتزامن مع تأسيس الحميدية، بمنح امتياز آخر لتلك العشائر المنضوية تحت لوائها، وهي فتح مدارس عشائرية لتربية أبنائها وتعليمهم؛ فقد صدرت إرادة سنية في أيلول/ سبتمبر 1890 بفتح تلك المدارس، وباشر العمل فعلياً بها عام 1892، وقد افتتحت المدارس العشائرية في: استانبول، وبغداد، ووان، وفي أغلب المناطق الحدودية في كُردستان، إلا أنّ هذه المدارس أغلقت بحلول عام 1906، وذلك لأنها ساعدت على نشر الوعي القومي بين أبناء العشائر الكُردية، ولم تحقق أهداف الدولة العثمانية من خلالها، وهي زرع ثقافة عثمانية إسلامية في نفوس أبناء العشائر الكُردية. للمزيد، ينظر: جليلي جليل، نهضة الأكراد الثقافية والقومية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ترجمة: بافى نازى وولاتو، بيروت، 1986، ص18-21؛ عبد الله العلياوي، المصدر السابق، ص181-186؛ ومن المفيد ذكره هنا أن عبد الله أوجلان، رئيس حزب العمال الكُردستاني في تركيا، قد علق على تأسيس هذه المدارس بأنها: «مثال على التجديد والإصلاح»، ينظر:

- Mustafa Akyol, A.G.E., S. 43.

335. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص114-115.

336.Edwin Munsell Bliss, Op. Cit., P. 97.

- من المفيد هنا القول إن الهيكل التنظيمي للفرسان الحميدية كان على النحو الآتي، أولاً: القوات الاحضارية ويدخل ضمن تشكيلاتها الأفراد الذين أعمارهم ما بين (17-20) سنة. ثانياً: القوات النظامية وتضم تشكيلاتها الأفراد الذين أعمارهم تتراوح ما بين (20 إلى 32) سنة. ثالثاً: القوات الاحتياطية وتستدعى في حالات

الطوارئ، ويدخل ضمن تشكيلها الأفراد ما بين (33-40) سنة. للتفاصيل ينظر:

- Avyarov, A.G.E., S.131-133;

- ماجد محمد زاخويي، المصدر السابق، ص78.

337. Maurizio Russo, op. cit., P. 38;

-م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص91-92.

338. Maurizio Russo, op. cit., P. 38.

339 .Ibid.

340. جليلي جليل وآخرون، المصدر السابق، ص44-45؛ كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص86-87.

341. H.F.B. Lynch, The Armenian Question III.(Conclusion). In Turkey, in: The Armenian Massacres... P. 147; Hagop Şahbazyan, A.G.E., S.118.

342. مارتن فان برونسن، الآغا...، ج1، ص405.

343. Maurizio Russo, op. cit., P. 31.

344. Ibid, P. 41.

345. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص90.

346. Avyarov, A.G.E., S.137.

347. Maurizio Russo, op. cit., P. 42.

348. W. Smonroe, Turkey And The Turks, Boston, 1907, P. 41-51; Robert T. Melson, Armenians in the Ottoman Empire: The Massacres of 1894-1896. Via at:(http://www.h-net.org/fisher/hst373/readings/melson.html).

349. Robert T. Melson, op. cit; Mim Kemal OKE, The Armenian Question, Ankara, 2001, P. 82

350. Mim Kemal OKE, op. cit., P. 81.

351. Arman J.Kirakossian, op. cit., P. 161-162.

352. Ibid, P.163.

353. No 38, From Vice-Consul Devey to Acting Consul Hampson, Van Julay 20, 1891, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: III, P. 76-77; Justin McCarthy and other, op. cit., P. 60.

354. Inclosure in No.47, From Vice-Consul Boyajian to Acting Consul Hampson, Kharput, September 26, 1891, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: III, P. 85-86

355. Inclosure in No.105, From Vice-Consul Devey to Acting Consul Fitzmaurice, VAN, December 8, 1892, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: III, P. 145

356.Général Russe Mayéwski, op. cit., P. 23-25.

357. Mayéwski V. T., 19. Yuzyild Kurdistan'in Sosyo- Kulturel Yapisi: Kurt-Ermen-Ilikşkler, Osmanlicaya tercume eden: Mehmet Sadik, Istambul, 1997, S.119-120.

358. Annexe au No.519. Ligh On Libertys Dawn. Little Sympathy with Methods of the Society, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), Vol: I, P.506.

359. Ermeni Komiteleri(1891-1895)T.C. Basbakanlik Devlet Arsivleri Genel Müdürlügü Osmanli Arsivi Daire2 Baskanlskanligi Yayin Nu: 48, Ankara, 2001, S.17.

360. A.E., S. 22-23.

361. نقلاً عن: جستن مكارثي، المصدر السابق، ص139.

362. Christopher J. Walker, op. cit., P. 135;

- كۆمەلە و ڕێکخراوە کوردییەکان **1918-1933** لە بەلگەنامەکانی هەردوو وەزارەتی دەرەوەی بەریتانیا و فرانسادا، بەرگی یەکەم، وەرگێڕانی: نەجاتی عەبدوللا، پێشەکی: کەمال مەزهەر ئەحمەد، سلیمانی، 2008، ل45.

363. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص117.

364. Christopher J. Walker, op. cit., P. 135-136.

365. Mayévsriy V.T., A.G.E., S.119.

366. No. 192, Rustem Pacha, Ambassadeur Ottoman à Londres, à Said Pacha, Ministre des Affaires Etrangères Ottoman, Londres, le 13 Janvire 1893, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), Vol: I, P. 203-205.

367. No.56, Rustum Pach, Ambassadeur Ottoman à Londres, à Said, Ministre des Affaires Etragères Ottoman, Londres, Le 17 Avril 1894, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), Vol: II, P. 94.

368. Inclosure in No.21, From Acting Consul Hampson to Sir W.White, Erzeroum, April 18, 1891, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: III, P. 45.
369. Inclosure in No.6, Memorandum by Sir A.Sandison, Constantinople, January 31, 1891, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: III, P. 8-10.
370. Inclosure 3 in No.6, From Acting Consul Hampson to Sir W.White, Erzeroum, January 16, 1891, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: III, P. 10-13.
371. M. Kalman, Belge ve taniklariyla Dersim DireniŞleri, Istambul, 1995, S.75.
372. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص97-98 ؛
-Kemal Süphandag, Büyük Osmanli Entrikasi Hamidiye Alaylari Arastirma-Inceleme, Istambul, 2006, S.175-184.
373. Edwin Munsell Bliss, Op. Cit., P. 351.
374. Arman J. Kirakossian, Great Britain..., P. 33-34.
375. Annexe au No.293, Extrait Morning Advestiser du 10 juin 1893, The Angora Trial from an occasional correspondent, Constantinople, June 3, 1893, : (B.Ş.D.D.O.A.A), Vol: I, P. 293-294.
376. Mayévsriy V. T., A.G.E., S.119.
377. No.116, Sir Clare ford to Earl of Rosebery, Constantinople, March 26, 1893, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: III, P.157-160.
378. ينظر، مؤلفه: ژيدهری بهری، ل126.
379. ينظر، مؤلفه: المصدر السابق، ص101-102.
380 .No. 75, Lieutenant Bennet to Mr. Goschen, Marash, June 7, 1881, IN :(B.Ş.B.D.O.A), Vol: II, P. 236-241.

الفصل الثالث

موقف الكُرد من الأزمة الأرمنية الأولى وتطوراتها حتى الانقلاب العثماني 1894 - 1908

أولاً - المرحلة الأولى من الأزمة الأرمنية (انتفاضة ساسون آب - أيلول 1894).

ثانياً - الإصلاحات الأرمنية الثانية.

ثالثاً - المرحلة الثانية من الأزمة الأرمنية الأولى 1895 - 1896.

أ - انتشار الأزمة في معظم أنحاء الأناضول.

ب - مسؤولية المرحلة الثانية من الأزمة الأرمنية الأولى.

رابعاً - تغيُّر الاستراتيجية الأرمنية تجاه الكُرد 1897 - 1908.

خامساً - جريدة كُردستان والمسألة الأرمنية 1898 - 1902.

أولاً ـ المرحلة الأولى من الأزمة الأرمنية[1]
(أزمة ساسون آب ـ أيلول 1894)

دخل الصراع بين الأحزاب والمنظمات الثورية الأرمنية، وعلى رأسها الهنشاق والطاشناق من جهة، والدولة العثمانية من جهة أخرى، مرحلة الاصطدام المباشر، فبعدما كان الصراع على أشده بين الطرفين، أولاً: داخل الأراضي العثمانية، من خلال قيام تلك الأحزاب والمنظمات، بعمليات نوعية ضد أهداف معينة، تقابلها الحكومة العثمانية برد فعل قوي وعنيف، وتزج الأرمن في السجون، دون النظر إلى علاقتهم بتلك القضايا من عدمها، وثانياً: الصراع الإعلامي الذي شنته تلك الجمعيات الأرمنية، على الدولة العثمانية في أوروبا وأميركا، بحيث أصبح الشغل الشاغل لوزارة الخارجية في الدولة العثمانية الإجابة وردّ الاتهامات الأرمنية للسلطان وحكومته في الصحافة الأوروبية والأميركية؛ تطور الوضع فيما بينهما وبات واضحاً للساسة الأجانب في الدولة العثمانية، أن لا مفرَّ من اصطدام الطرفين عن قريب عسكرياً، لذلك كانت منطقة شمال كُردستان هي الساحة التي تصارع فيها الطرفان، مستغلين المناطق الأرمنية التي كانت تتمتع بحكم ذاتي، منذ عهد الإمارات الكُردية في كُردستان مثل: منطقة ساسون التابعة لسنجق موش في ولاية بتليس، حيث اندلعت فيها وقائع الفصل الأول من الأزمة الأرمنية الأولى.

إن سكان قرى ساسون الواقعة جنوب موش، وتحديداً من الأرمن فيها،

كانوا مقطوعين تماماً عن الحياة الحضرية، ويعيشون بطريقة تشبه إلى حد كبير حياة الكُرد هناك، ضمن أُسر كبيرة قد يصل عدد أفراد بعض منها بين أربعين إلى خمسين نفراً في البيت الواحد، وكانت أرض الوادي الذي يسمى تالوري (Talori)، وهو الوادي الأرمني، غنية وخصبة وجيدة للرعي. أما بخصوص المنطقة الواقعة إلى الغرب منها ـ أي من تالوري ـ فكانت تعرف باسم ساسون الكُردية التي يسكنها المزارعون الكُرد، وكان مجتمعهم يهيمن عليه الآغوات الذين هم في الحقيقة رجال الإقطاع، وإلى الجنوب منها قرى كُردية، أما العنصر الثالث من السكان فهم الكُرد الرحل الذين اعتادوا الهجرة والتنقل، من منطقة ديار بكر في الصيف، وذلك بحثاً عن المراعي الصيفية[2].

وسكان هذه المنطقة من الأرمن والكُرد كانوا معروفين بأنهم لم يخضعوا لسلطة أي دولة أو حاكم عبر تاريخهم الطويل، ومرد ذلك إلى طبيعة تضاريس هذه المنطقة الوعرة جداً، ولهذا السبب بقيت هذه القرى منعزلة على حالها، ولم ترتبط بأية إدارة أو جهة رسمية، حتى أنهم لم يكونوا يعرفون شيئاً عن حال الحكم بالدولة أو الحكومات المتعاقبة التي حكمتهم، سواء في الحكومة العثمانية، أو في حكومات الإمارات الكُردية، أو حتى عندما كان يموت سلطان عثماني ويأتي غيره، فلم يكونوا يهتمون بذلك كثيراً. والحقيقة أن الأرمن الموجودين في هذه المنطقة كانوا يحترمون الإقطاعيين الكُرد ويطيعونهم، وكانت علاقتهم قوية جداً بالكُرد هناك، وكانوا يعيشون معاً منذ مئات السنين في سلام دائم ومودّة كالأقرباء، ولهذا كانت لديهم أسباب كثيرة لإدامة الصلح والسلام بينهم كل تلك العصور[3].

قال السير فيليب كيوري (P. Currie) سفير بريطانيا في استانبول (1893 ـ 1898)، في رسالة منه في 15 تشرين الأول/ أكتوبر 1894 عن ساسون وسكانها: «إن منطقة ساسون حيث تقع تالوري، هي الجزء الذي تنتشر فيه

الجبال، وغير مأهول بالشكل الأكبر من [ناحية] كينج، والذي يوصف بالجزء الأسوأ حكماً في متصرفيات الإمبراطورية؛ فالأرمن الذين يسكنونه على خلاف أولئك الذين يسكنون المناطق المنخفضة هم عرق نزّاع إلى الحرب، وشرس إذ يتعذر تمييزهم من جيرانهم الكُرد، الذين يمارسون سلطة إقطاعية عليهم، ولكن من ناحية الحكم لا يثقلون كاهلهم بفرض الضرائب، بل يطلبون مساعدتهم كمستأجرين في أخذ الثأر، ومحاربة السلطات المحلية، هناك (3000) أرمني في المنطقة و (1500) كُردي»[4].

وقعت أزمة ساسون في 19 آب/ أغسطس 1894، واستمرت نحو ثلاثة أسابيع، حيث انتهت وقائعها في 10 أيلول/ سبتمبر من العام نفسه، وقد اختلفت الروايات التاريخية في سرد أسبابها، ووقائعها، ودور الكُرد فيها، وتميزت من بينها الروايات الأرمنية، والبريطانية، والتركية العثمانية، وللتقرب إلى الواقع أكثر ولمعرفة الحقيقة التاريخية، نورد أدناه الروايات الثلاث، لنركز فيما بعد على دور الكُرد في أزمة ساسون بعد المقارنة بين هذه الروايات، هذا إذا ما علمنا أن الرواية الكُردية مفقودة تماماً، والبداية من الرواية الأرمنية:

اختلفت المصادر الأرمنية، سواء أكانوا كُتاباً أم شهوداً حول أحداث الأزمة، في الاتفاق على جميع حيثيات الرواية الأرمنية، إلا أن روايتهم على العموم لم تخرج من الإطار التالي:

في صيف عام 1893، ألقت الحكومة العثمانية القبض على أحد الثوريين الأرمن، ويدعى داماديان (Damadian) قرب مدينة موش، لظنّها أن أصدقاء هذا الرجل قد يكونون مختبئين في الجبال، الواقعة إلى الشرق من موش، وأنهم يحاولون القيام بحركة هناك. وطبقاً لهذه المعلومات أرسلت الحكومة طلباً إلى أحد زعماء الكُرد من عشيرة بكران، الذي جند رجاله في فرسان الحميدية، من أجل القيام بهجوم على المنطقة. وبفضل معرفته الجيدة بطبيعة

الجبال قام بالتحضيرات اللازمة، وقد حدثت مناوشات طفيفة بين الطرفين، الأرمني والكُردي، تم فيها الاستيلاء على الحيوانات، وكان يقتل رجل من حين إلى آخر، مرة من الكُرد وأخرى من الأرمن. وقد كابد الكُرد خسارة فادحة في إحدى المواجهات، إذ إنهم خسروا العشرات من رجالهم فيها، بحيث إنهم لم يعاودوا الكرة مرة أخرى في عام 1893، ليتأجل الحسم إلى ربيع عام 1894، حيث قام حاكم موش (تحسين باشا)، بصحبة قوات عسكرية مزودة بمدفعية ميدان بالانتشار في الجبال، إلا أنهم لم يقوموا بأي هجوم، مفضلين على ما يبدو التفاوض مع الأرمن. بعدها تقدم الكُرد من كل اتجاه، وقاموا تقريباً بفرض حصار على الوادي كله؛ ثم قاموا بسرقة الحيوانات، كانت النتيجة عبارة عن معارك عرضية سقط فيها رجل واحد أو أكثر من كل طرف. في إحدى المعارك استطاع الكُرد سحب جثتين لاثنين من رفاقهم قتلا في المعركة، وقاموا بحمل هاتين الجثتين إلى الحكومة في بتليس، وأبلغوها أنّ المنطقة كانت مليئة بالرجال المسلحين، الذين يتحدون سلطة الحكومة، فقامت هذه الأخيرة بتعزيز الكُرد بالجنود والقوات النظامية، ولكنهم كانوا متخفين بشكل عام، أي يلبسون اللباس الكُردي، لكي يبقوا قدر الإمكان على مظهر النـزاعات الاعتيادية، التي استمرت لعدة سنوات بين القرويين الأرمن والزعماء الكُرد. وتذكر الرواية الأرمنية أن عدد الكُرد غير النظاميين، الذين ساندوا الجنود الأتراك بلغ حوالى (30000) رجل، وحدث في حزيران/ يونيو 1894 أن قام الأرمن بضرب موظفي الحكومة، الذين جاؤوا لجمع الضرائب، بعد أن تلقوا إهانة منهم، وذكروا لهم بأنهم غير مستعدين لدفع الضرائب مرتين، للكُرد وللحكومة أيضاً، كما كان هناك بعض الجنود بصحبة هؤلاء الموظفين، لمحاولة القبض على بعض نبلاء الأرمن، إلا أنهم ردوا على أعقابهم، لذلك قادت القوات الحكومية العثمانية تصحبها قوات من الحميدية، هجوماً عنيفاً

على وادي تالوري، بحيث سوّت الكثير من القرى فيه بالأرض، ولم تفرق القوات المهاجمة بين رجل وامرأة وطفل، وقد قاموا بذبح الجميع، وكان العدد الإجمالي للقتلى الأرمن ما بين (8000) إلى (10000) شخص[5].

هذه الرواية هي التي روَّجتها، على وجه الخصوص، الأحزاب الأرمنية في كل من أوروبا وأميركا، كما أن هناك تفاصيل كثيرة في هذه الرواية بشأن الأفعال التركية والكُردية في القرى الأرمنية، ويجب التذكير هنا أن هناك اختلافاً بسيطاً فيما يتعلق بالرواية الأرمنية من قبل الشهود الأرمن، والمقالات المنشورة في الصحافة العالمية، غير أنه يمكن اعتبار هذه الرواية بمثابة الخط العام المتفق عليه من الأحزاب والمنظمات الأرمنية آنذاك، بل حتى الآن.

أما الرواية البريطانية فقد جاءت نوعاً ما مؤيدة للرواية الأرمنية، ومما يؤخذ على القناصل البريطانيين في كُردستان عند إجرائهم التحقيق بشأن أحداث ساسون أنهم استمعوا إلى الرأي الأرمني فقط، ولم يرد في تقاريرهم إلى سفارتهم في استانبول أنهم تحدثوا مع أي كُردي طوال سنوات التسعينيات من القرن التاسع عشر، في حين أنهم التقوا بعشرات الأرمن واستقوا منهم معلوماتهم، وقد قام البريطانيون بإرسال عشرات التقارير إلى سفارتهم في استانبول عن أزمة ساسون، ولكن التقرير الشامل، الذي بيّن تفاصيل تلك الأزمة حسب وجهة نظرهم، كان تقرير القنصل البريطاني في أرضروم غرافيس، الذي بعثه إلى السفير البريطاني في استانبول فيليب كيوري في 27 كانون الأول/ ديسمبر 1894، وفيما يلي النص الكامل للتقرير:

يقول غرافيس:

«على الرغم من أن الحكومة [العثمانية] لم تكن تعلم بوجود عدد من المحرضين السياسيين في منطقة ساسون، قبل أربع أو خمس سنوات، إلا أن اهتمامها الجدي تركز على حقيقة الأمر، في بداية حزيران/ يونيو عام 1893

عندما ألقت القبض على دامادیان، المحرض الأرمني قرب موش وأرسلته إلى بتليس، حيث بقي هناك لعدة شهور؛ ثم أُرسل لاحقاً إلى استانبول، إذ يُفترض أنه قدم اعترافات بخصوص التحريض على الفتنة والعصيان، في ساسون والأماكن الأخرى؛ ثم أطلق سراحه بعد ذلك أو سُمح له بالهرب.

في تموز/ يوليو عام 1893 حدثت عداوات بين الكُرد بتحريض من شيخ زيلان، والقرى الأرمنية في ناحية تالوري، ويبدو أن العشائر الكُردية المشتركة في هذا النـزاع كانت بشكل رئيسي من العشائر البدوية من بوتان، ودياربكر، وبالتحديد قبائل الباديكانلي (Badikanli)، والبكرانلي (Bekiranli)، والراشكوتانلي (Rashkotanli)، الذين اعتادوا قضاء فصل الصيف في جبال ساسون وموش، إلا أنهم قبل وقت مضى منعوا من القيام بذلك، بسبب تصرفهم غير القانوني والجامح، إذ اعتادت إحدى الكتائب العسكرية التركية المرابطة في فصل الصيف عند منطقة كاب الجيفس (Kab-li-Jevs) في ساسون لحفظ النظام.

انسحب الأرمن من تالوري إلى إحدى الحاميات، التي أعدوها لهذا الغرض، واستطاعوا أن يحموا أنفسهم بنجاح من هجمات الكُرد، الذين انسحبوا في نهاية المطاف باتجاه الجنوب، إلى حيث ملاذهم الشتوي. قام حاكم كنج (Gendj) مصطفى باشا ـ الذي وصل فيما بعد إلى موقع الحدث مع الضباط والجنود ـ باعتقال بعض الأرمن البارزين وتسفيرهم إلى بتليس، وأبلغ بأن أهالي تالوري يقومون بتمرد ضد الحكومة؛ بقي القسم الأكبر من الأرمن داخل حاميتهم، حتى انتهى فصل الشتاء وانسحبت القوات. بعد مدة قصيرة من ذلك، أُقيل مصطفى باشا، ويعتقد أن إقالته جاءت بعد مراسلة بين سوري باشا والي ديار بكر والباب العالي، بحيث عبر سوري باشا عن رأيه

بكل حرية عن سلوكه السيئ، ثم جاء بعده إبراهيم كمال باشا من ماردين، الذي يتمتع بسمعة سيئة خلال عمله كحاكم لبايزيد قبل ذلك...

وقد كان يُفترض بعد هذه التجربة أن تقوم السلطات في بتليس بمنع دخول الكُرد والبدو إلى ساسون مخافة أن تتجدد هجماتهم على تالوري. ومع ذلك، سمحت لهم بالدخول، وبعد مدة قصيرة من ذلك قاموا بأعمال عدوانية صغيرة ضد الأرمن، ومن المقرر أن تستفيد سلطات بتليس منهم، من أجل كسر قوة الأرمن في ساسون، والذين كانت إساءاتهم تتمثل بـ:

1 ـ إنهم [أي: الأرمن] لم يدفعوا الضرائب إلى الحكومة، بل كانوا يدفعونها لجيرانهم الكُرد الذين كانوا عبيداً لهم في أراضيهم.

2 ـ إنهم كانوا ملاذاً لعدد من المحرضين السياسيين على التمرد والفتنة، من أمثال داماديان حيث من المحتمل أن يكون هذا الأخير قد وشى بهم، على أنهم مستعدون للقيام بتمرد ضد الحكومة.

3 ـ إن الوجهاء منهم كانوا قد تملصوا من الحضور أمام والي بتليس، عن طريق رفضهم الدائم لدعواته المتشدّدة للمثول أمامه في تلك المدينة، ومن المؤكد على ما يبدو أنها كانت لكسب الثقة، ولقمع أي تمرد خطير؛ وفي الوقت ذاته ومن أجل تغطية آثار سوء إداراته، قرر تحسين باشا في البداية الضغط على الكُرد لتدمير القرى في ساسون، فإذا ما فشلوا بعد ذلك فإنهم سيطلبون المساعدة من القوات الإمبراطورية لإكمال دمارها.

في بداية هذا الصيف [صيف عام 1894] أرسل قائمقام كولب (Koulp) لجباية الأموال من ناحية تالوري، فأعلن الأهالي أنهم مستعدون لدفعها إذا ما قامت الحكومة بحمايتهم من الكُرد، الذين يفرضون عليهم الضرائب، إلا أن ذلك كان يبدو مستحيلاً عليهم القيام به. وعندها انهال عليهم بالسب والشتم وإساءة المعاملة، مما أدى إلى فقدانهم ضبط النفس، فقاموا بمهاجمته وانهالوا

عليه بالضرب المبرح، وطردوه مع مرافقيه خارج المنطقة، فقام بالإبلاغ عن أن تمرداً مسلحاً قد حدث ضد الحكومة، وعليه يجب تهيئة قوة عسكرية لقمعه، وبالفعل أرسل العثمانيون (300) جندي وضابط إلى موقع الحدث، فانسحب الأرمن إلى حامياتهم، وامتنع ضباط القيادة من مهاجمتهم، ومن المحتمل أنه في الوقت ذاته أي في نهاية حزيران/ يونيو عام 1894، تجاهل بعض وجهاء غيليكوزان (Ghelieguzan) [ناحية أرمنية] دعوة الوالي تحسين باشا إلى بتليس، وقام قرويون مسلحون في الناحية نفسها بملاحقة قوة عسكرية صغيرة كانت قد اعتقلت خمسة من سكان الناحية واستطاعوا أن ينقذوا أربعة سجناء منهم.

إن الكُرد الرُحَّل من الجنوب، الذين يمرون بهذه الظروف الحرجة، وغير المسموح لهم الدخول إلى المنطقة، قاموا بإظهار عداواتهم، ولا سيما للأرمن الذين كانوا قد تصدوا لهم في عام 1893؛ وعلى ما يبدو فإنهم في بداية شهر آب/ أغسطس قاموا بشن هجوم على قرى صغيرة، في منطقة شاتاخ (Shatakh)، واختلفت الآراء حول هؤلاء الكُرد، هل هم من كُرد البكرانلي أو كُرد خيان في منطقة كينج. لقد استولوا يومها على ما يقارب (200) رأس غنم، فقام الأرمن بملاحقتهم، وقتل بعض الكُرد في معركة أعقبت ذلك، ثم جاء الكُرد إلى موش وقدموا شكوى إلى المتصرف، فقام والي بتليس على الفور باتخاذ إجراءات موسعة، لكن غير متكافئة من أجل الانتقام منهم، بحجة أن الأرمن في ساسون هم في تمرد مفتوح الآن، حسب ما تعتقده الحكومة المركزية وحسبما يظهرفي الواقع؛ فاستدعت بسبب ذلك الاحتياط من الفرقة السابعة، وتمركزت القوات في موش وبتليس قادمة من أرزنجان، وأرضروم، ووان، وخربوط، ومن حاميات أخرى، في حين قام الوالي بتشجيع الكُردي

المعروف الشيخ محمد ـ آغا عشيرة البكران ـ على حشد جماعة من الكُرد غير النظاميين للتعاون مع القوات.

بدأت العمليات العسكرية الفعلية في التاسع عشر من شهر آب/ أغسطس، ويبدو أنها كانت تستهدف بشكل رئيسي مجموعتين من القرى التي يسكنها الأرمن بشكل كامل تقريباً في ناحية تالوري، وناحية شاتاخ... واجهت القوات العثمانية ـ على ما يبدو ـ مقاومة شرسة في المنطقة المذكورة أولاً، في البداية اندفع الكُرد نحو الأمام للمهاجمة وتم صدهم، كما حصل لهم في السنة الماضية، عندها تدخلت القوات النظامية؛ والأرمن الذين رأوا عدم الجدوى من أي مقاومة أخرى، حُوصروا وذُبحوا بدم بارد.

في منطقة شاتاخ، لم يكن هناك على ما يبدو أي مقاومة أرمنية تقريباً للقوات التي دخلت إلى القرى بكل هدوء، بحجة حمايتهم من الكُرد، وبعد ذلك قامت بذبح السكان، بدون تمييز في ظل أجواء من التعذيب والانتهاك.

ويقال إن اثنتين وثلاثين قرية دُمّرت وقتل ما بين (3000) إلى (4000) شخص خلال مدة ثلاثة وعشرين يوماً، والتي انتهت في العاشر من أيلول/ سبتمبر عندما ظهر المشير زكي باشا على مسرح الأحداث، ووضع حداً لارتكاب مجازر أخرى، بتسلمه القيادة من العقيدين توفيق بك وإسماعيل بك، اللذين توليا مسؤولية العمليات، واللذين كانت تقع على عاتقهما مع والي بتليس ومساعديه مسؤولية ما جرى، إلا إذا اتضح أنهم كانوا يتصرفون وفق أوامر صادرة إليهم من جهات عليا»[6].

إن الساسة البريطانيين على ما يبدو اعتقدوا أن هذا التقرير هو الأقرب إلى الحقيقة، وفق ما آلت إليه تحقيقاتهم المستمرة حول أسباب وتطورات الأزمة في ساسون؛ إن الرواية البريطانية قد بينت جانباً من الحقيقة، ربما عند مقارنتها مع الرواية العثمانية الآتية قريباً تتبين الحقيقة الواقعية بشكل أفضل،

وتوضّح دور الكُرد الفعلي في تلك الأحداث. لقد جاءت الرواية العثمانية لتفسير وقائع الأزمة على لسان وزير الخارجية سعيد باشا، في رسائله المتكررة إلى السفير البريطاني، وكان سعيد باشا قد استقى معلوماته من تقارير المسؤولين المدنيين، والعسكريين العثمانيين العاملين في كُردستان، والقريبين والمشاركين في أحداث ساسون.

قال سعيد باشا في رسالته المؤرخة بتاريخ 20 تشرين الأول/ أكتوبر 1894، للسفير البريطاني ما يلي:

«إن الثوري المشهور دامادیان الذي لا يمكن نسيانه، والذي كان من أهالي هاتشيم ضمن ولاية أضنة قد حضر محاضرات في المدرسة المدنية للطب لمدة ثماني سنوات، وقد شارك في شجار كوم كابي، وعندما كانت الشرطة تبحث عنه نجح في الهرب إلى أثينا حيث ذهب من هناك إلى جنوا. وعن طريق التنكر... نجح فيما بعد في الوصول إلى تالوري، عن طريق الأسكندرونة ودياربكر، التي اعتقل فيها أخيراً، عندما كان يتهيأ لارتكاب جرائم جديدة. تواصلت أعمال هذا الثوري من قبل شخص يدعى هامبارسم اتخذ لنفسه لقب مراديان (Mouradian)، فهو لم يكتف بتحريض الأرمن على التمرد بواسطة الكلام فقط، بل حثهم على مهاجمة مدينة موش، والاستيلاء على الأسلحة والذخيرة من المخازن العسكرية، وارتكاب مجازر بحق المسلمين الذين قد يواجهونهم في الطريق؛ ثم ادعى أنه أوروبي وتبجح بأنه يستطيع جلب قوات من انكلترا بواسطة مناطيد لمساعدة أبناء جلدته، إذا ما وقفوا في وجه السلطات، مؤكداً لهم بأن تمردهم سوف يحظى بالمساندة في كل مكان. فقد نجح في تحريض السكان الأرمن في حوالى عشر قرى، في جزء من البلد للقيام بثورة، وهكذا شكل عصابة مسلحة ببنادق البيردون ناعمة الماسورة، وبنادق ذات زند مصون وخناجر... وفؤوس وأسلحة أخرى؛

ثم قام معهم بمهاجمة عشيرة فليكيان [الكُردية] في نهاية شهر تموز/ يوليو الماضي [1894]، إذ قتل بعضاً منهم ونهب وسلب آخرين؛ ثم انطلق بعد ذلك في هجومه نحو عشيرتَيْ بكران وباديكيان [الكُرديتان] ثم قام بأسر حاجين ابن أخت عمر آغا، أحد زعماء أول عشيرة من هاتين الاثنتين [بكران] فملأ معدته ببارود البنادق؛ ثم قام بإحراقه، أما النساء المسلمات فلم يسلمن منه في قرية غيليكوزان، حيث قام باغتصابهن ثم قتلهن بطريقة تقشعر لها الأبدان؛ كانت معاملته للرجال قاسية بشكل متساوٍ، إذ قام بلف الحبال على رقاب بعض منهم، وسلخهم في الشوارع كما قطع آذان بعضهم الآخر.

وابتهاجاً بإعمالها الوحشية هتفت هذه العصابات بأعلى أصواتها بإهانات ضد دين الدولة كما أخذوا يصيحون بالهتافات ابتهاجاً بملكهم الملقب محلياً ـ وهو مراديان.

في هذا الوضع الباعث على الأسف لم تقف الحكومة مكتوفة الأيدي لأداء واجبها؛ فبفضل الإجراءات الحكيمة التي تبنتها استطاعت من دحر هذه العصابات الثورية، فتم اعتقال كل من هامبارسم وميغيرديكيان وقس كنيسة كيزل، الذي تبين أنه كان مشتركاً في الجرم مع هامبارسم ودامادیان، مع مساعديهم وسلموا إلى السلطات القضائية. أما النساء والأطفال الذين اختطفوا، وسجنوا داخل أحد الكهوف، فقد أُطلق سراحهم، وأرسلوا إلى قراهم، باختصار أعيد الأمن، ولم يبقَ شيء سوى معاقبة الأشخاص المذنبين بعد أن تتم محاكمتهم»[7].

وفي موضع آخر يقول سعيد باشا في رسالة أخرى بعثها إلى السفير البريطاني تحمل تاريخ 15 تشرين الثاني/ نوفمبر 1894، عن أزمة ساسون، ما يلي:

«قام بعض المتمردين الأرمن ـ المزودين بأسلحة من الخارج ـ بارتكاب

اعتداءات، وقد انضموا إلى صفوف بعض الكُرد المتمردين، فأحرقوا ودمروا قرى المسلمين الواقعة في هذه الأجزاء. ولإعطاء فكرة عن قساوة تلك العصابات الأرمنية فإنه يكفي القول إن من بين أعمالهم الأخرى هو حرق أحد المسلمين وهو حي بعد أن أدخلوا متفجرات في معدته.

جرى إرسال بعض القوات النظامية إلى مكان وقوع الحادث، ومعها أوامر بحماية السكان الآمنين من كل أعمال النهب والسلب هذه؛ وعلى عكس الافتراءات التي أشيعت بخصوص الحملة العسكرية، فالجنود لم يقوموا بحماية واحترام الجزء المطيع من السكان والنساء والأطفال فقط، بل إنهم أعادوا الأمن والهدوء العام ـ في إطلاق الولاء للواجب ـ بحيث نال رضا السكان المسالمين. ويزعم أن الكُرد استولوا على أثاث وحاجات وماشية الأرمن الهاربين، ومثل هذه الأمور هي ليست القضية، فقطاع الطرق هم من قاموا بحملها إلى الجبال قبل مشاركتهم في التمرد، وحمَّلوا مسؤوليتها لأصدقائهم الكُرد. ليس صحيحاً بأن عدداً من النساء الأرمنيات اختطفهن الكُرد، فهؤلاء النساء من أُسر قطاع الطرق المذكورين آنفاً، ذهبن بأنفسهن طوعاً إلى الكُرد المتمردين.

وفيما يخص قرى الأرمن، التي يقال إنها قد دُمرت، فالقرى المقصودة كانت في الحقيقة لأولئك المتمردين الأرمن، الذين قاموا بإخلائها قبل التحاقهم بأعمال اللصوصية وقطع الطرق. وفيما يخص البيانات الواردة في أحد التقارير، والتي تقول إن الأرمن مضطهدون، ويسيء معاملتهم بعض الكُرد من عشيرة (بكرانلي)، ما هي إلا محض افتراء، وعلاوة على ذلك فإن الرجل الذي قام الأرمن بإحراقه وتعذيبه هو من العشيرة المذكورة»[8].

قبل الدخول في مقارنة بين الروايات الثلاث، واستخراج الدور الكُردي منها، من الضروري هنا التطرق إلى تقرير اللجنتين العثمانية والأوروبية، بعد

التحقيق في أمر أزمة ساسون، وما جاء فيها، وما هي النتيجة التي توصلت إليها اللجنتان، ثم مقارنة الروايات الثلاث مع نتيجة التحقيقات التي تمت بخصوص هذه الأزمة، للتوصل إلى الحقيقة التاريخية قدر المستطاع، وبيان الدور الكُردي في تلك الأزمة.

فإثر اندلاع أزمة ساسون قامت الأحزاب والمنظمات الأرمنية في أوروبا وأميركا بإثارة ضجة إعلامية كبيرة وواسعة ضد الدولة العثمانية وسلطانها وضد الكُرد أيضاً، ونشرت الصحف الأوروبية وخصوصاً الإنكليزية منها وكذلك الصحف الأميركية[9] مقالات عديدة تتناول مذابح ساسون، بل حتى أن بريطانيا كانت تريد أن تتدخل عسكرياً في الأمر، إلا أن روسيا وفرنسا حالتا دون ذلك ـ سيأتي الحديث عن الموقف الدولي لاحقاً ـ وإثر الضغط الأوروبي على الدولة العثمانية اضطرت إلى تكليف لجنة تحقيق للبت في أزمة ساسون، ومعرفة الحقائق والأسباب التي أدت إلى اندلاعها، وهل حدثت فعلاً مذابح بحق الأرمن فيها؟ ومَنْ يتحمل مسؤوليتها؟ وكم هو حجم الخسائر البشرية والمادية؟ ولكن نظراً لمعرفة الدول الأوروبية مسبقاً أن التحقيق العثماني سيكون بطبيعة الحال منحازاً، لذلك بادرت بريطانيا بعد الحصول على موافقة كل من فرنسا وروسيا، بالضغط على الحكومة العثمانية، من أجل تشكيل لجنة تحقيق أوروبية، إلى جانب لجنة التحقيق العثمانية، سيكون الدول الأعضاء فيها، الدول الثلاث ذاتها التي لها قنصليات في أرضروم، وهي (بريطانيا، وروسيا، وفرنسا). وبعد جدال عنيف بين الطرفين وافقت الحكومة العثمانية، على تشكيل لجنة تحقيق أوروبية، تحقق في أزمة ساسون وتبقى قدر الإمكان ملازمة للجنة التحقيق العثمانية، وقد سميت هذه اللجنة بـ(لجنة القناصل)[10].

شكلت الحكومة العثمانية لجنتها للتحقيق برئاسة الجنرال عبد الله باشا، وهو قائد في الجيش العثماني، ومقرب إلى السلطان عبد الحميد الثاني،

وكانت بعضوية كل من عمر بك، وكان يشغل منصب مدير صندوق الادخار، ومجيد أفندي وهو السكرتير الأول لمكتب سكرتارية الوزارة الملكية الداخلية، وحافظ توفيق باشا قائد في رئاسة الأركان[11].

صاحبت لجنة القناصل اللجنة العثمانية للتحقيق، وكان الممثل البريطاني فيها هو اتش.أس.شبلي (H.S.Shipley)، والممثل الفرنسي هو المسيو م.فيلبرت (M.Vilbert) والممثل الروسي كان م.بيرفالسكي[12] (M.Prjevalsky). غادرت اللجنة العثمانية استانبول في 27 تشرين الثاني/ نوفمبر[13]، ووصلت إلى موش في 19 كانون الأول/ ديسمبر 1895[14]؛ ثم تبعتها لجنة القناصل بعد حصولها على الموافقة الرسمية من الباب العالي في 16 كانون الأول/ ديسمبر 1894[15].

قامت اللجنة العثمانية بإجراء بعض التحقيقات اللازمة، واستمعت إلى الشهود، وبعد عدة أشهر أصدرت تقريرها الذي اتهمت فيه الأرمن، بأنهم هم وحدهم المسؤولون عن أزمة ساسون، حيث اتهمتهم بصورة رسمية بأنهم هم من أحرقوا كنائسهم وقراهم، من أجل خلق صعوبات ومشاكل للدولة العثمانية، وأنهم يتحملون كل ما آلت إليه تلك الأزمة[16]، وقدرت اللجنة العثمانية عدد الأرمن الذين قتلوا في المواجهات مع الجيش العثماني بنحو (265) أرمنياً[17].

هنا لا بد من التذكير بأن نتائج اللجنة العثمانية لم تخرج عمّا قاله وزير الشؤون الخارجية في الدولة العثمانية، سعيد باشا، في رسائله المتكررة إلى سفارات الدول الأجنبية في استانبول، وإلى وزرائها مباشرة بعد وقوع الأزمة، وكما تطرقنا إليها سابقاً.

يبدو أن التقرير الذي أصدرته لجنة القناصل الثلاثة في 20/ 7/ 1895، في موش، كان أكثر حيادياً من تحقيق اللجنة العثمانية، ولكن قبل سفر لجنة

القناصل إلى ساسون، كانوا قد استلموا مهامهم في لجنة التحقيق، والتي كانت بمثابة خطة عملهم للوصول إلى الحقائق قدر الإمكان؛ فعلى سبيل المثال، وجه القنصل البريطاني في أرضروم غرافيس، تعليمات لممثل بريطانيا في لجنة القناصل المستر شبلي في 16 كانون الثاني/ يناير 1895، لغرض توجيهه، وكانت تنص على ما يلي:

1 ـ لبيان ما إذا حدثت هناك مجزرة بحق السجناء والرجال غير المسلحين والنساء والأطفال، ومن الذي قام بارتكابها. أهي القوات النظامية أم القوات غير النظامية الكُردية؟

2 ـ إذا ما حدثت مثل هذه المجزرة فهل كانت بعلم وموافقة القادة العسكريين في موقع الحدث والسلطات المحلية؟ ومن هم أولئك القادة المذكورون؟ ومن كان يمثل السلطات المذكورة.

3 ـ إذا ما كانت القضية كذلك فمن الذي خول القادة والسلطات المحلية القيام بذلك؟ وهل حصلوا على الأوامر من القائد المشير المسؤول أم من الحكومة المركزية؟

4 ـ إذا ما تم إصدار مثل هذه الأوامر العليا، فهل كانت تقارير السلطات المحلية والضباط العسكريين مبنية على حقائق، سواءٌ أنها أثبتت أن الأرمن في ساسون كانوا في تمرد مسلح ضد حكومة جلالة السلطان، أم مجرد القيام بالدفاع عن النفس ضد الكُرد.

5 ـ هل تصرف والي بتليس ـ بعد أحداث تالوري في العام الماضي ـ بالتعقل المطلوب، أم اتخذ الإجراءات الاحترازية المعقولة لمنع حدوث صراع بين الكُرد والأرمن، وسفك الدماء التي لا ضرورة لها؟

6 ـ إذا ما كان سعادته قد سمح بجمع الحشود الكبيرة من الكُرد المسلحين، لاشتراكهم في قمع التمرد المزعوم، فهل كان لديه ما يسّوغ له ذلك؟...[18].

عمل أعضاء اللجنة الأوروبية حوالى ستة أشهر في التحقيق بشأن تلك الأزمة، وكانوا في تلك المدة يبعثون ببرقيات ورسائل إلى سفرائهم يتحدثون فيها عن سير التحقيقات الجارية، ومنها على سبيل المثال، والمتعلقة بالكُرد، الخبر الذي نشرته جريدة نيويورك تايمز، في عددها الصادر بتاريخ 16/ 3/ 1895، والمتعلق بشهادة القس الأرمني هاشادور (Hatchadoor) وابنه للقناصل، حيث قالا: «إن الجندرمة قد أمروهما بتوقيع وثيقة، لإلقاء تبعة المذبحة على الكُرد، وتبرئة الأتراك من أي نقد، إلا أن القس رفض القيام بذلك، مما دفع الجندرمة إلى وضع مثلثات جرى تسخينها وتحميتها حول رقبته»[19]، وفي رسالة المندوبين الثلاثة إلى سفرائهم في 20 نيسان/ ابريل 1895، تم تأكيد هذا الأمر من شاهد أرمني آخر، قال القناصل: «..استدعينا في هذا اليوم هيبو (Hebo) من شينك (Shenik) وهي قرية [أرمنية] فذكر بأن رئيس الجندرمة هدده بالموت إذا هو اتهم الجنود بدلاً من الكُرد بقتل الأرمن، وأنه بواسطة نادر آغا، والمفتي الذي كان يقوم بدور المترجم استلم توصية مماثلة من المتصرف بحضور الباشا وسكرتير اللجنة، بأنه يجب أن يعزو - في اعترافاته - حرق القرى إلى الكُرد وليس إلى الأتراك»[20].

عقدت لجنة القناصل مئة وسبع جلسات، استمرت من 24/ 1 ولغاية 20/ 7/ 1895، وهو اليوم الذي أصدرت فيها تقريرها النهائي وانتهى رسمياً بذلك عمل تلك اللجنة[21].

سنحاول هنا قدر الإمكان اقتباس نصوص عديدة من هذا التقرير، والمتعلقة بالكُرد، وذلك بسبب أن الحكومة العثمانية لم تأخذه على محمل الجد كثيراً، لأن التقرير قد اتهم السلطات العثمانية بأنها هي التي تتحمل جزءاً كبيراً من أحداث أزمة ساسون، وأيضاً هاجمته الأحزاب والمنظمات الأرمنية آنذاك، وكذلك الكُتّاب الأرمن فيما بعد[22]، لأنّ التقرير لم يبرئ ساحة الأرمن

تماماً، ولم يتحدث عنهم كأنهم كانوا مساكين وفقراء وبعيدين عن المشاكل، وأنه بلمح البصر، ودون سابق إنذار، قام الأتراك والكُرد بمهاجمتهم وذبحهم، كما بينت تقاريرهم هذا الأمر في الصحف الأوروبية في تلك الآونة[23]. ولذلك لا تكاد ترى في المصادر الأرمنية والغربية المنحازة، بطبيعة الحال إلى الأرمن، وحتى في المصادر التركية إشارات واضحة إلى تقرير هذه اللجنة، وإنما أشير إليه ضمن فقرات قصيرة جداً. وفيما يلي مختصر عن تقرير لجنة القناصل. [قسمت اللجنة تقريرها إلى فصلين اثنين، في الفصل الأول تناولت أربعة محاور وهي على النحو التالي:

1 ـ مسح البلاد. (أي دراسة جغرافية ساسون).

2 ـ علاقة الكُرد والأرمن. (باعتبارهما العنصرين الوحيدين فيها).

3 ـ تقرير حول أحداث ساسون عام 1894. (وبُحث فيه عن تاريخ ساسون، وأهم الحوادث التي وقعت فيها بين الكُرد والأرمن حتى اندلاع الأزمة).

4 ـ ظروف التحقيق. (أهم الصعوبات التي واجهت اللجنة خلال التحقيقات).

أما الفصل الثاني فحمل عنوان (حوادث القتل والعصابات والأعمال غير القانونية، التي تعزى إلى الأرمن خلال صيف عام 1894)، وقد احتوت على المحاور الآتية:

1 ـ أعمال السرقة والعصابات والقتل الموجهة ضد الكُرد.

2 ـ أعمال العصيان والتمرد من جانب الأرمن تجاه الحكومة: الأعمال الأخرى باعتبارها تحضيرية للتمرد.

في الفصل الأول وتحت عنوان (مسح البلاد) سلط القناصل الثلاثة الضوء على تفاصيل دقيقة بخصوص تضاريس منطقة موش وسكانها بشكل

عام، ويتناول هذا المحور تفاصيل دقيقة فيما يخص تضاريس ساسون وأهم قراها والتجمعات السكانية فيها[24].

وبعد ذلك درسوا العلاقات بين سكانها من الكُرد والأرمن في المحور الثاني والذي حمل عنوان (علاقات الكُرد والأرمن)؛ تحدث القناصل بشيء من التفصيل عن هذه العلاقة، فبعد الحديث عن المراعي الخصبة في هذه المنطقة، والزراعة ومناجم الحديد فيها، قالوا عن علاقة الكُرد بالأرمن: «إن السكان الأرمن الذين يسكنون هذا الجزء من ولاية بتليس يحيط بهم عدد كبير من القرى الكُردية، من جانب ساسون وخيان وكالب، وفي موسم الصيف تأتي العشائر الكُردية شبه المستقرة، وخصوصاً عشيرة بكران وباديكان... يأتي هؤلاء الكُرد من اتجاه ديار بكر وسليفان، إلى جبال اتسوفاسار وانطوك وكورتيك داغ... وذلك لرعي قطعانهم، والفضل يعود إلى القرى الأرمنية، وإلى الأرض، وكذلك إلى الخصومة والتنافس الموجود بين الكُرد أنفسهم، من سكان كافار وتالوري، حيث كانوا قادرين على الإبقاء على علاقات جيدة مع جيرانهم وزوارهم الكُرد، وإنهم يعيشون ـ مثلما يستعمل التعبير لشاهد عيان ـ (كالإخوة في الأرض والماء)، وإنّ الصعوبات والمشاكل التي تنشأ بينهم تعزى إلى سرقات الماشية، وإلى الاختطاف الذي ينتهي دائماً بالتوصل إلى تسوية ترضي الطرفين»[25]؛ ثم يتناول التقرير ضريبة الكريف (Hafir) التي سادت في المجتمع الكُردي، بعد سقوط الإمارات الكُردية. يقول القناصل: «ويجب أن نضيف إذا كانت علاقة الكُرد مع الأرمن ذات صفة مقنعة فإنّ سبب ذلك أن الأرمن، لكي يكسبوا جانب الأمان، والمساعدة، والحماية، من الأغوات الكُرد عند الحاجة، فإنهم كانوا يدفعون لهم مدفوعات سنوية، وذلك بنسبة تنسجم مع مواردهم، والتي تعرف بـ(هافير) [الصحيح هو كريف] حيث تتضمن نسبة معينة من الحبوب، والماشية، والفضة، فضلاً عن مواد أخرى

مثل، الملابس، والمواد الزراعية. وعندما يتم زواج ابنة فلاح أرمني فإن الآغا وباسم هالا(Hala) [وهو اسم ضريبة] يدفع إليه نصف المبلغ الذي يدفعه العريس إلى والد العروس، وذلك حسب التقاليد»، ويتابع القناصل في إلقاء مزيد من الضوء على علاقة الشعبين في ساسون، بقولهم: «تعتمد كل قرية وبيت [أرمني] على آغا واحد أو أكثر، من الذين يستلمون الضرائب المختلفة التي أصبحت حق ملكية، وإذا رفض أرمني ولأي سبب كان أن يدفع فإن الآغا يجبره على القيام بذلك بالقوة بسرقة ماشيته أو إيذائه، ويعد آغوات قرية كافار وتالوري، بصورة رئيسية من آغوات الكُرد في ساسون (خارزان)، وهذا يعد وصفاً لما يعطيه الأرمن إلى الكريف، ولكنه فقط حق يضاف إلى الدليل المقدم الذي يبين، بأنّ المتطلبات يمكن استعمال الضغط للحصول عليها في تالوري وخيان، ولكنها أقل قسوة في غليكوزان وشمال وشينيك. وقد أكد أحد سكان شينيك أن كريف لا تدفع هناك»[26]. ويتابع القناصل الكلام في تقريرهم بأن الكُرد وآغواتهم، الذين التقوا بهم، عندما سمعوا من اللجنة ضريبة الكريف أنكروا ذلك، وذكروا لهم بأنهم لا يعرفون كلمة (كريف) أو معناها، حيث لا يوجد هنالك أية مدفوعات منذ خمسين سنة، وأن الضرائب التي يستلمها بعض الآغوات هي في الحقيقة ديون مستحقة على الأرض والحراثة والزراعة. لم تتمكن لجنة القناصل من الوصول إلى الحقيقة الثابتة حول تلك الضريبة التي تسمى بـ(ضريبة كريف)، لذلك لم يقوموا بنفيها أو إثباتها[27].

أما لماذا تدهورت العلاقة بين الشعبين في ساسون، والتي كانت حسب قولهم مقنعة، يقول القناصل: «خلال السنوات الثلاث أو الأربع الماضية بدأت العلاقات بين القرى الأرمنية...والكُرد تتصف بصفة عدائية، والتي تعزى إلى سببين، الأول: كان من جانب الكُرد والدعاية الدينية لشيوخهم والتي أدت إلى تسوية بين العشائر بشروط سيئة، ومنع كل أنواع الخصومات التي تنشأ

من الحماية [أي: حماية الأرمن]، بحيث أنها لا تمتد إلى الأرمن»[28]، ومعناه أن الكُرد عملوا في الآونة الأخيرة على تذليل خلافاتهم، وتوصلوا وبتأثير شيوخهم الدينيين، إلى عدم الدخول في صراع من أجل الأرمن الذين هم تحت حماية هذا الآغا أو ذاك، ولكن هنا لا يتطرق القناصل إلى أسباب هذا الاتفاق الكُردي.

أما السبب الثاني فهو كما يقولون: «من جانب الأرمن، فإن الهيجان الذي أحدثه رجال مثل داماديان، الذين يمثل خضوعهم للكُرد بمثابة العبودية، والذين لا توفر لهم الحكومة أية حماية منها، وعلى العكس من ذلك ترمي بهم في هذه العبودية؛ وقد شهد عام 1893 دليلاً على هذه الحالة المتمثلة بالعداء العلني، وذلك من خلال هجوم مشترك للعشائر الكُردية على تالوري»[29]، هنا يبدو أن الاتفاق الكُردي، المذكور في السبب الأول كانت وراءه الأعمال التي قام بها داماديان، وكما سيأتي الحديث عنه لاحقاً ضمن هذا التقرير.

يكتفي القناصل عند هذا الحد في البحث عن علاقة الكُرد والأرمن في ساسون، لينتقلوا بعد ذلك إلى المحور الثالث والذي يعد الأطول من بين محاور هذا الفصل، وكان بعنوان: (تقرير حول أحداث ساسون عام 1894). يفتتح القناصل هذا المحور بالقول: «هكذا كانت حالة الأمور هناك، عندما وصل رجل أرمني اسمه همبارسوم بويادجيان، وهو من ولاية أضنة، درس الطب في القسطنطينية وجنيف، إلى تالوري، واتخذ له اسم مراد لكي لا يكشف عن هويته، وبصحبته عصابة مسلحة تضم رفيقاً قديماً هو داماديان، عبرا إلى قرى المنطقة، وكذلك قرى كافار وذلك لممارسة مهنة الطب، ولكن في الوقت نفسه لكي يقنع الأرمن بأن يحرروا أنفسهم من العادة السيئة (كريف وهالا)، التي جعلتهم خاضعين للكُرد، ولكن لم يستطع هو ورفاقه الخمسة، الذين كانت لديهم بنادق إعطاء توضيحات مقنعة لإقامتهم في الجبال، وإن

أحدهم اعترف بأنهم جاؤوا بسبب الاضطهاد، الذي عانوا منه مع أُسرهم على أيدي الكُرد»[30].

هنا يتوصل القناصل الثلاثة إلى قناعة بأن السبب الأساسي في تعكير علاقة الكُرد والأرمن في ساسون، هو داماديان ومراد، وليس الكُرد كما تدعي معظم المصادر التي تناولت هذا الموضوع، وكما يفهم هنا أيضاً، لماذا لم تتطرق المصادر التاريخية بشكل تفصيلي إلى هذا التقرير المهم؟ والذي كان كاتبوه يظنون قبل وصولهم إلى ساسون أن الكُرد هم المعتدون، إلا أن سير التحقيقات أثبت غير ذلك، وكيف أن كلاً من داماديان ومراد، قد صورا علاقة الكُرد بالأرمن بعلاقة السيد بعبيده، لأنهم ـ أي داماديان ومراد ـ كانا متأثرين بطبيعة الحال بالفكر الاشتراكي، أي إن الكُرد كلهم آسياد، والأرمن كلهم عبيد، كما صور لهم داماديان ومراد، وهذا ما أنكرته اللجنة والعديد من الدراسات التاريخية، التي أكدت أن الفئة الأغنى في كُردستان، والتي كانت تحت حماية الكُرد ونشأت وتطورت في ظلهم هم الأرمن وليس الكُرد، بل إن الفئة الفقيرة المعدمة في كُردستان كانت من العامة من الكُرد، وقد طبق هؤلاء، الاشتراكيون الأرمن، معايير النظام الإقطاعي في أوروبا على النظام الإقطاعي في كُردستان، والتي أبغضتها الاشتراكية، ولكن الإقطاع الكُردي في الحقيقة يختلف تمام الاختلاف عن الإقطاع الأوروبي من حيث مرونته وعدالته، ولا يسع المجال هنا إلى الإطالة في هذا الموضوع.

يقول القناصل بعد ذلك: «وفي الحقيقة فإنّ معظم شهود العيان الأرمن ينكرون معرفتهم باسم شخص يدعى مراد، أما الكُرد فإنهم لا يعرفونه، وإنما سمعوا به، وتحت ظل هذه الظروف فمن المستحيل أخذ فكرة واضحة عن واقعه [أي: عن واقع مراد]، وإن الاستنتاج الوحيد الذي يمكن التوصل إليه هو أنه زار منطقتَيْ كافار وتالوري، وأقام فيهما وكذلك في القرى المحيطة

بهما، متنقلاً مع جماعته في الجبال، وكذلك راح يعطي استشارات بصورة مباشرة، تؤثر حسب اعترافه في العلاقات بين الأرمن والكُرد، وحسب رأي الرجل تونوا من تالوري أنه شجعه... بجلب انتباه الحكومة وذلك من خلال رفض دفع الضرائب»، ويمضي القناصل في التحدث عن مراد بالقول: «والأكثر من ذلك فإنّ محتويات دفتر مراد الذي عُثر عليه يتضمن شعراً وطنياً باللغة الأرمنية... ويتضمن الكتاب بداية أحداث عام 1894، حيث جاء مراد إلى البلاد لغرض سياسي مخفي، وذلك من أجل إثارة المواجهات بين الأرمن والكُرد... حدثت في صيف عام 1894 سرقة ثورين لرجل اسمه احمي احنوا من نيدران وكذلك قُتل اثنان من الكُرد... وحدث هنالك هجوم أيضاً على خيام اسمه حسن شوقي، وفي 28/ 7/ 1894 على فليكان وهم الكُرد الذين يسكنون موش، وحدث الهجوم بسبب شجار سابق حول الماشية التي سُرقت؛ ويبدو أن هذه الجرائم ارتكبتها عصابة بصحبة مراد، والتي يبلغ عددها خمسة رجال، ومن بينهم أرمن من كافار وتالوري»[31].

يذكر القناصل بأنه لا يمكن نكران هذه الأحداث، وهي أن الكُرد في ساسون شعروا فعلاً بأنهم محاصرون من الأرمن، الذين صاروا يفعلون ما يشاؤون، لذلك اجتمع الكُرد بقيادة شيخ زيلان محمد آغا، وبتشجيع حكومي لمواجهة هجمات الأرمن؛ ثم أثناء هجرات العشائر الكُردية حدث الصراع بين الكُرد والأرمن.

أنكر الجيش والكُرد، من الذين أخذت شهادتهم مشاركة الجيش العثماني في البداية في هذه الحركات، إلا أن الأرمن أكدوا أن الجيش شارك فيها منذ البداية؛ ثم يضيف القناصل بأنهم تأكدوا من أن الأرمن بعد مهاجمتهم للكُرد مرات عدة، بدأ مراد وجماعته يخططون لمهاجمة القطعات العسكرية العثمانية، المرابطة بالقرب من موقع الأحداث، وأنهم خططوا لاغتيال قائمقام

سوزان في شاتاخ فعلاً، وهذا ما اعتبرته الحكومة العثمانية تمرداً على سلطتها في المنطقة، ومن ثم بدأت قوات الجيش النظامية بالتدخل في أمر هذا التمرد، وقاد العمليات العسكرية في بداية الأمر العقيد توفيق بك، الذي استلم أمراً مباشراً من زكي باشا للقيام بالواجب، وكذلك أدهم باشا القائد العسكري في موش[32].

وبعدما يتطرق القناصل إلى عدد الجيش العثماني وعدّته، يقولون إن هذا الجيش تحرك في 13/ 8/ 1894 باتجاه قرى الأرمن، بعدها ترك هؤلاء قراهم واحتموا بالجبال. وفي 14 آب/ أغسطس حدث أول قتال بين المتمردين الأرمن وقوات توفيق بك؛ ثم يختصر القناصل الثلاثة تطور الأحداث السابقة بهذا الشكل «خلال السنوات القليلة الماضية شهدت العلاقات بين الأرمن في كافار وتالوري والكُرد تغييرات مهمة، وهنالك محرض سياسي اسمه همبارسوم بويادجيان لقبه مراد، استفاد من هذا ليشكل عصابة ترتكب بعض الأعمال السيئة ضد الكُرد، الذين اغتاظوا وهاجوا، واجتمعوا، وهاجموا الأرمن وبدأ القتال، وعدت الحكومة تصرف الأرمن بأنه تمرد علني، وأرسلت القطعات التي أدت إلى تمزيقهم، وإلقاء القبض على مراد»[33].

يذكر القناصل، بعد ذلك، أن الجيش العثماني في أثناء هجومه على قرى تالوري، لم يتمكّن من إلحاق الأذى بالأرمن، لأنهم كانوا قد احتموا في الجبال، إلا أنه في منطقة شاتاخ، ورغم عدم مقاومة الأرمن لهم فإنهم تعرضوا للقتل. ويضيف القناصل بخصوص الكُرد أثناء الهجوم، بأنهم كانوا مع قطعات الجيش العثماني، ولم يمارس الجيش أي ضغوطات عليهم للانسحاب من ساسون؛ ثم يتساءل القناصل بأنهم لم يتأكدوا من أنه، هل كان هذا الأمر فعلاً تمرداً ضد الحكومة العثمانية؟ وهل أن القمع العسكري تناسب مع قوة التمرد؟ وإذا ما كان صحيحاً ما نسمع به من قسوة القمع فمن يتحمل المسؤولية عنه؟

قام القناصل في نهاية هذا المحور باختصار الحقائق المؤكدة، التي أدت بنظرهم إلى افتعال أزمة ساسون، ومن الذي كان وراءَها، وهي كالآتي:

1 ـ الدعاية التي أطلقها أشخاص من أمثال دامادیان ومراد.

2 ـ تشكيل عصابات مسلحة منذ بداية شهر أيار/ مايو 1894.

3 ـ حالة العداء العلني ضد الموظفين الحكوميين التي أظهرتها بعض الحوادث....

4 ـ تصنيع البارود وتوزيعه، وكذلك الرصاص.

5 ـ تجمع الأرمن في أنتوك داغ، فقد جاؤوا..من أجل مضايقة الكُرد، والقيام بهجمات ضدهم.

6 ـ حرق أفراد عصابة دامادیان ومراد لبعض قراهم، أي: قرى الكُرد.

7 ـ التصميم على إبادة الجنود في المنطقة [34].

واختتم القناصل هذا المحور بكلمات«إن وجود الدعاية الأرمنية، وكذلك وجود مراد وجماعته بين سكان كافار وتالوري، ومشاركة مراد في القتال، وكذا الأرمن هي كلها حقائق لا يمكن نكرانها»[35].

في المحور الرابع والأخير من الفصل الأول، والذي كتب تحت عنوان (ظروف التحقيق) تؤكد اللجنة أن السلطات العثمانية قد وضعت في طريقها العديد من العقبات وخصوصاً فيما يخص الشهود، وأن أغلب هؤلاء هم من الذين تختارهم السلطات، وأنهم طلبوا في مرات عديدة بعض شهود معينين إلا أن السلطات المحلية كانت تمنعهم من الحضور أمام اللجنة، واختتم هذا المحور بأنّ النتائج التي توصّل إليها هذا التحقيق لا بأس بها، إلا أنها لا تكشف الحقيقة كاملة.

في الفصل الثاني، الذي كتب تحت عنوان: (حوادث القتل والعصابات والأعمال غير القانونية، التي تعزى إلى الأرمن خلال صيف عام 1894)،

قُسِمَ إلى محورين اثنين كما مر بنا، المحور الأول حمل عنوان: (أعمال السرقة والعصابات والقتل الموجه ضد الكُرد)، وفيما يلي ملخص عن هذه الوقائع، وهي:

1 ـ جرت أعمال سرقة للممتلكات، التي تعود إلى الكُرد من عشيرة باديكان في 5/ 5/ 1894، وظهر أنّ من قام بها هي عصابة أرمنية يقودها كيركو. (لم تستطع اللجنة إثبات جميع وقائع هذه الحادثة، وشككت فيها).

2 ـ الهجوم على قافلة لساعي البريد ذاهبة إلى موش، طبقاً لشهادة خمسة من الكُرد في 10/ 5/ 1894، شنّه (15) أرمنياً يقودهم كيركو. (تم تثبيت هذا الادعاء).

3 ـ سرقة الأغنام التي تعود إلى درويش آغا من خوشيكان، وجرح ابنه إبراهيم الذي توفي متأثراً بتلك الجراح. (إن التحقيق بخصوص هذه المسألة لم تتابعه اللجنة).

4 ـ الاغتصاب والخروقات والقتل البربري في 10/ 6/ 1894، لهيدوا زوجة موسى عبد الله من ماميلكان. الشكوى كانت من زوج الضحية. (شككت اللجنة في هذا الأمر، ولم يتم التثبت منه، لأن بعضاً من الشهود أثبته وأقرّه في حين أنكره بعض آخر فسقط دليل الإثبات والنفي؛ ولذا أهمل).

5 ـ خطف الأرمن امرأة كُردية، وكان المشتكي الكُردي هو نادر آغا. (لم يتم إثباته).

6 ـ القتل الوحشي لكُردي بين 14 و 17 تموز/ يوليو 1894. (لم يتم التأكد منه).

7 ـ مقتل أموا، وهو كُردي من خوشيكان على يد الأرمن. (وعلى الرغم من تأكيد الكُرد لهذا الحادث والشرطة كذلك، إلا أن اللجنة ذكرت بأنها لا تستطيع إثبات هذا الأمر).

8 ـ قتل الكُردي تيميش بن محمد وتقطيع جثته. (جرى التثبّت من أمر هذه الجريمة، إلا أن اللجنة شككت أيضاً في أمر مرتكبيها أكانوا من الأرمن أم الكُرد أنفسهم).

9 ـ مقتل سليم في تموز/ يوليو 1894، والمشتكي كان ابنه عبد الله. (لم تحقق اللجنة في هذا الموضوع).

10 ـ الهجوم على الكُردي محمد بن تابك.

11 ـ سرقة الماشية التي تعود إلى اكوا بن ابروا.

12 ـ الهجوم على موسى بن سادوا.

13 ـ قتل كُردي ونهب (150) رأس غنم منه. علق القناصل على الاتهامات الأربعة الأخيرة بالقول: «إن هذه الاتهامات الأربعة تبقى ضمن شهادات منفردة وغامضة، بحيث لا يمكن التوصل إلى أي استنتاج حولها».

14 ـ سرقت عصابة من المسلحين الأرمن ثورين يعودان لأناس من الكُرد. (جرى تأكيد هذا الأمر).

15 ـ القتل الوحشي لحسن بن كالو من قرية ايني كان وهو كُردي. (جرى تأكيد هذا الأمر).

16 ـ مقتل الكُردي سيلوا من كالي كانلي. (وقد تأكدت اللجنة منه).

17 ـ هجوم بعض الأرمن على خيم حسن شوقي، رافقته عمليات سرقة للماشية وجرح اثنين. (وقد تأكدت اللجنة منه).

18 ـ هجوم بعض الأرمن على خيم اين بن قاسوا في 15 آب/ أغسطس 1895، تبعه سرقة (300) رأس من الغنم، ومقتل أربعة من الكُرد، وجرح ثلاثة آخرين. (التأكد بنسبة كبيرة من هذا الحادث، رغم الاختلاف في التاريخ والدوافع).

19 ـ الهجوم على خيم اموا محيون في لاشيكان. (عدم التأكد منه).

20 ـ سرقة ماشية تعود لـفرحوا اغلوا وهو كُردي من اني كان. (جرى التأكد منها).

21 ـ قام الأرمن بجمع أموال ومنتجات زراعية من المسلمين لمدة سنتين، وذلك باسم مستحقات للكنيسة الأرمنية. (تلفيق وافتراء، شبهها القناصل على أنها مثل ضريبة الكريف).

22 ـ الدخول القسري في المسيحية من قبل مراد وجماعته. (ادعاء باطل).

23 ـ مقتل حجي آغا وهو كُردي من بكران، وقد جُلبت جثته المقطعة إلى معسكر ميركيموزان. (اتهام غير جدير بالاقتناع).

24 ـ قطع الأرمن للطرق وإغلاقها. (عبارة عن ادعاءات لا تدعمها حقائق بدرجة كافية).

25 ـ الهجوم على كُرد فليكان في 28/ 7/ 1894 وقتل ثلاثة منهم. (تم تثبيته).

26 ـ التعابير الجارحة التي تلفظت بها العصابات الأرمنية ضد الديانة الإسلامية. إن هذه الحقيقة وردت في العديد من الشهادات، وأضاف الشهود في الوقت نفسه أن الأرمن كان يهتفون باسم مراد بعبارة ملكهم ـ رئيسهم ـ ولم ينكر مراد ذلك وأن الشيء ممكن، آخذين في الاعتبار العادات والتقاليد في البلاد، وعلى الرغم من أن الدليل بخصوص هذا الاتهام جاء من جانب واحد، فإنه من الممكن أن نقول ـ القناصل ـ إن الإهانات جاءت من جانب الأرمن خلال نزاعاتهم مع الكُرد[36].

بهذا القدر والكيف يختتم هذا المحور لينتقل القناصل إلى المحور الثاني، والأخير في هذا الفصل وفيه يذكرون العصيان والتمرد الأرمني ضد الحكومة العثمانية، ويذكرون فيه حوالى ثمانية أعمال أرمنية مثل اعتداء على القائمقامين، والموظفين الحكوميين، وعدم دفع الضرائب، إذ تنفي اللجنة بعضها ويتم التثبت من بعضها الآخر، وكان الموقعون على هذا التقرير هم

على التوالي: فلبرد، وشبلي، وبيرفالسكي، وكان التوقيع تحت أسمائهم (في موش 20/ 7/ 1895)[37].

الشيء اللافت للنظر هو أن القناصل الثلاثة لم يتطرقوا إلى حجم الخسائر الأرمنية، وخصوصاً عدد القتلى الأرمن في أزمة ساسون، مما يوحي بإمكان وجود اختلاف بينهم في هذا الخصوص، أو أن العدد الذي كانوا قد سمعوا به قبل مجيئهم إلى ساسون كان أكبر بكثير من الحقائق والأرقام التي تأكدوا هم أنفسهم منها في موقع الحدث؛ ولكن الممثل البريطاني شبلي، قال في مذكرته المؤرخة في 12/ 10/ 1894 بأنه أخذ عدد المنازل كقاعدة، وعليه فمن المرجح وجود أكثر من (10000) أرمني في المنطقة، والأخذ في الاعتبار أولئك الذين كانوا أحياءً، فإن عدد الذين ماتوا لا يمكن أن يتجاوز الـ(1000) شخص[38]. ويتفق ريتشارد ديفي (Richard Davey) ـ من الضباط البريطانيين الذي زاروا المناطق المنكوبة في ساسون بعد انتهاء الأعمال العسكرية فيها ـ في دراسته المعنونة (تركيا وأرمينيا) مع السيد شبلي في أن عدد القتلى لم يتجاوز (1000) شخص، ويذكر بأنّ العدد (10000) يتجاوز عدد نفوس ساسون كلها[39].

بناءً على ما سبق، في رصد الروايات الثلاث (الأرمنية، والبريطانية، والعثمانية)؛ ثم بعد ذلك التطرق إلى تقرير اللجنتين العثمانية والأوروبية، يتبين بوضوح الدور الكُردي فيها، وأنهم ـ وخلافاً لما ذكرته أغلب المصادر ـ كانوا هم الطرف المعُتدى عليه في ساسون، وليس الأرمن ولا الأتراك الذين استغلوا هذه الفرصة، بعد أن وحدت العشائر الكُردية جبهتها للرد على اعتداءات داماديان ومراد، بل استغلت الحكومة العثمانية هذه الصراعات التي تندرج ضمن الصراعات العشائرية في المنطقة، لضرب الحركة الأرمنية فيها، التي صلب عودها كثيراً منذ أن ظهرت الأحزاب والمنظمات الأرمنية، على الساحة السياسية في كُردستان مع بداية التسعينيات من القرن التاسع عشر.

وبعد مقارنة الروايات الثلاث مع ما جاء في تقرير اللجنة الأوروبية يتبين أن الأرمن والكُرد في ساسون كانوا يعيشون بسلام منذ أزمنة قديمة معاً، وكانت تربطهم علاقات اجتماعية، واقتصادية مقنعة، حتى أن اغلب أرمن ساسون كانوا يتكلمون اللغة الكُردية، والبعض منهم كانوا لا يعرفون حتى اللغة الأرمنية[40] ؛ على المرء أن يتخيل كيف كان مستوى هذه العلاقة بين الشعبين.

كان هناك ثلاثة أنواع من التجمعات البشرية في ساسون هم: الأرمن المستقرون في القرى، والكُرد القرويون الذين كانوا يسكنون قرى مجاورة، والكُرد الرحالة الذين كانوا يأتون في الصيف من مناطق: بوتان، وديار بكر، ويقضون الصيف على تلال وجبال ساسون؛ ثم يهاجرون في الشتاء إلى مشاتيهم في جنوب كُردستان؛ بخصوص الكُرد المستقرين فإنهم كانوا على الدوام مرتبطين بعلاقات طيبة مع أرمن ساسون، بل إن الكُرد هم من حافظوا على استقلال ساسون، وحمايتها منذ القدم وليس الدولة العثمانية والمنظمات الثورية الأرمنية.

وبخصوص العشائر الكُردية الرحالة إلى منطقة ساسون فيرد على الدوام سواء أكان ذلك في الوثائق البريطانية، أم العثمانية، أم في الروايات الأرمنية، اسم ثلاث أو أربع عشائر كُردية هي: (زيلان، والباديكان، والبكران والراشكوتان)، وإنّ المطّلع على تاريخ كُردستان الحديث يرى أن تلك العشائر الرعوية الرحَّالة(الكوجر) كانت في تنقلاتها سواء في الصيف أم في الشتاء في عموم كُردستان، تدخل في صراع ومعارك خفيفة دوماً، مع معظم السكان المستقرين على طريقهم، سواء أكانوا أرمناً أو كُرداً أو من أي طائفة أو قومية أخرى، ونرى ذلك بوضوح مثلاً في هجرة عشيرة البكران، وكذلك في هجرة عشيرة الحيدارن في مناطق وان وبتليس، وهجرة عشيرة الشكاك على

الحدود الإيرانية العثمانية، وكذلك في هجرة عشيرة ملي في بادية الجزيرة الفراتية، وأيضاً في هجرة عشيرة الجاف في منطقة شهروزور، وبالتحديد في السليمانية على الحدود الإيرانية ـ العثمانية[41]؛ فإنه بمجرد هجرة العشائر بحثاً عن المراعي في الصيف والشتاء كانت تصاحبها دوماً مشكلات سواء بين العشائر الكُردية نفسها، وهي في التاريخ الكُردي الحديث لا تعد ولا تحصى، أو مع السلطات العثمانية في الأقاليم التي كانت تمر بها، أو مع الأرمن في الآونة الأخيرة.

إن مسألة أمر هجرة عشيرة بكران الكُردية على أنها هي السبب الأساسي في هذا الصراع، ووصف تلك الأحداث بأنها صراع كُردي أرمني هو أمر مبالغ فيه، ويذكر أحد شهود العيان الأرمن في ساسون، في وصفه تلك العلاقة ويدعى اسدادور كيراغوصيان (Asdadur Giragosian)، قائلاً: «حتى عام 1894 كانت أسرتي غنية كباقي أُسر منطقة ساسون، أما الكُرد الذين كانوا يعيشون حولنا فكانوا بصورة عامة ودودينَ، على الرغم من قيامهم بشكل متكرر بأعمالهم المعتادة، من سرقة للمواشي والأغنام إلا أننا كنا قادرين على استرجاعها، أو تعويضها...»[42]. أما بخصوص العشائر الرحالة فهي الأخرى لم تكن لديها مشاكل كبيرة مع الأرمن، حتى قبل الأزمة بقليل، وقد عبّرت امرأة أرمنية للجنة القناصل عن ذلك، كما مر، بقولها عن علاقة الأرمن والكُرد «إخوة بالأرض والماء».

يذكر العقيد شيرمسايد (Chermside) بخصوص علاقة الكُرد بالأرمن قبل الأحداث قائلاً: «...هناك مرعى جيد [أي: في ساسون] ومساحة واسعة من الغابات، فالعلاقات الحميمة موجودة بين الأرمن في ساسون، والكُرد آسيادهم الإقطاعيين السابقين»[43]. وتصف الباحثة جانيت كلاين (Janet Klein) علاقة الكُرد بالأرمن في ساسون، حتى ما قبل الأزمة بقليل،

على النحو الآتي: «...في منطقة ساسون قدم الكُرد المساعدة اللازمة للأرمن من أجل الاستقرار، كما كان الكُرد يساعدونهم في عمليات البذور والحصاد والحراثة، وباختصار فإن كلتا الطائفتين كانتا تبحثان عن الازدهار، وذلك بوضع ماشيتهم وحبوبهم في ظل ظروف سلمية، ويمارسون التجارة؛ ليحصلوا على الأرباح، وإن هذا الهدف لا يمكن تحقيقه إلا من خلال المساعدة المتبادلة والحكومة الجيدة»[44]. وأثبت تقرير لجنة القناصل صحة هذا الادعاء، وإن العلاقة بين الشعبين في ساسون كانت مقنعة تماماً، وإن الذي عكر صفو هذه العلاقة كانت الأحزاب الثورية الأرمنية، كما مر بنا.

إن شيوع الاتفاق حول العلاقة الطيبة بين الكُرد والأرمن، بين الذين درسوا هذه العلاقة عن قرب يكفي دليلاً قوياً لتبديد الرأي القائل بأنّ الأرمن كانوا يدفعون ضريبة قاسية لأسيادهم الكُرد، وإن ذلك أثقل كاهلهم، ففي الشهادة الأولى يقول الشاهد الأرمني (اسدادور كيراغوصيان) بأنهم كانوا أغنياء كباقي الأرمن في ساسون، أي إن الأرمن في ساسون على العموم كانوا أغنياء، وإن مسألة دفعهم للضرائب إلى الكُرد لم تكن سوى مسألة شكلية أو لا تتعدى مسألة تعاونية بين الطرفين ـ سنتطرق إلى ضريبة الكريف بعد الأزمة الأرمنية الثانية ـ ولا يمكن استبعاد مسألة أنهم كانوا يرفضون إعطاء الضرائب للحكومة، ليس لأنهم لا يملكون المال بل إن ذلك راجع إلى سببين، الأول: إن دفع الضرائب للحكومة العثمانية لم يكن مألوفاً لديهم في السابق. وثانياً: إظهار المنظمات الأرمنية لهم أن فعل هذا الأمر، أي: دفع ضرائب للحكومة يمس كرامتهم، كما فعلوا بخصوص دفع الضرائب للكُرد عندما وضحوا للأرمن في ساسون، أنه بمجرد إعطاء ضريبة كريف للكُرد فهذا يمثّل لهم عين العبودية والذل.

بالاستناد إلى ما سبق يظهر أن السبب الرئيس في اندلاع أزمة ساسون هي

الأحزاب الثورية الأرمنية؛ فقد دلت الأحداث على أن الأحزاب، قد فشلت في إحداث أي ثورة أو انتفاضة بين الأرمن في السهول، وخصوصاً في الأناضول الغربية، والتي كان فيها الأرمن قلة بالمقارنة بشمال كُردستان، التي رأى فيها الثوريون الأرمن ضالتهم، بحسب ما ذكرته الروايتان البريطانية والعثمانية؛ ومن خلال الاطلاع على تقرير اللجنة، وتقارير القنصليات البريطانية في كُردستان، يبدو أنهم جميعاً قد توصلوا إلى قناعة تامة بأنّ داماديان قد أعطى للإدارة العثمانية معلومات قيمة، بخصوص انتفاضة أرمنية على وشك الوقوع في ساسون، وأنّ الذي استلم قيادة الثوار، الذين تقدرهم المصادر التاريخية بحوالى (300) شخص، رغم تأكيد لجنة القناصل على أنهم خمسة فقط، هو بويادجيان هامبارسيان والذي اتخذ لنفسه لقب (مراد)؛ فما إن تمّ إلقاء القبض على داماديان، حتى قامت الحكومة العثمانية بتعزيزات عسكرية في ساسون، بدءاً من شهر تموز/ يوليو 1893 وحتى صيف 1894، وانتظرت الفرصة السانحة لضرب الحركة الأرمنية في ساسون، والتي كانت بامتناعهم ـ أي: الأرمن ـ عن دفع الضرائب للحكومة المركزية، وضرب الموظفين الحكوميين الذين أهانوا أحد قرويي ساسون من الأرمن، بل حتى أن الباحثين فيما بعد توصلوا إلى قناعة بأنّ الثوار الأرمن في ساسون كانوا السبب في اندلاع الأزمة الأرمنية فيها وليس الكُرد، كما توصلت إليها لجنة القناصل. ومن جانبها ذكرت نالبانديان السبب أيضاً بالقول«إن مراد بويادجيان وعصابته بدأوا هجمات صغيرة ضد الكُرد، الذين قاموا بدورهم بهجمات ضد الأرمن»[45]، ويتهم القنصل الروسي مايوسكي العصابات الأرمنية، على حد قوله، وما قامت به من أعمال رعب، بأنها السبب في تعكير علاقة الكُرد بالأرمن[46].

كما يتهم أحمد ثريا بدرخان[47]، في تقريره المقدم إلى مؤتمر السلام في باريس عام 1919، والمعنون (كُردستان أو أرمنستان: طغاة أم شهداء) الأرمن

الذين كانوا من أصل روسي، بأنهم هم من قاموا بإفساد علاقة الكُرد بالأرمن. ومن أعمالهم الكبيرة في هذا المجال، قيامهم في ربيع عام 1893 بالهجوم على الكُرد في ساسون وتالوري، حيث قاموا بذبح المئات من الكُرد؛ فمنذ تلك اللحظة بدأ الكُرد يدركون رغبات الأرمن، لذلك اندهش الكُرد من هذا العمل، ووجدوا أنفسهم أمام خيانة من قبل أولئك الذين يعدونهم إخوتهم ويقومون بذبحهم، كما قال أحمد ثريا بدرخان[48]، ولكن كل هذا لا ينفي أنّ السلطات المحلية في ساسون كانت هي الأخرى بشكل ما مسؤولة عن تكبير الموضوع وإعطائه حجماً أكبر، كما أنه لا يستبعد أنها قد دفعت بعشيرة بكران الكُردية، للهجوم على بعض القرى الأرمنية التي تحصَّن فيها الثوار الأرمن، الذين كانوا وراء مقتل أحد أقارب آغا بكران (محمد آغا)، بطريقة وحشية كما وردت في الوثائق العثمانية، وأكدتها لجنة القناصل.

هناك أمر آخر لا تذكره المصادر التاريخية إلا نادراً، وهو أن عشيرة كُردية كانت متحالفة مع الأرمن عند وقوع الهجوم التركي على ساسون، وهي عشيرة (بالاك) الكُردية، وأنها قاتلت إلى جانب القرويين الأرمن ضد القوات الحكومية. والأكثر من هذا أن بعض الأرمن والقناصل الأجانب اتهموا الكُرد بأنهم، في تلك المنطقة، قاموا بعمليات سلب ونهب، إلا أن المسؤولين العثمانيين أكدوا بأنّ هذا محض افتراء ليس إلا، وأن الأرمن عندما تركوا قراهم وفروا إلى الجبال، كان لديهم الوقت الكافي لإيداع ممتلكاتهم ومدخراتهم وحيواناتهم عند أصدقائهم الكُرد، وقد اتهمتهم الحكومة العثمانية بمساعدة الثوار الأرمن[49]، وهذا ما ذكرته أيضاً لجنة القناصل، عند إشارتها إلى عدم وقوع أي حالة سلب ونهب، من جانب الكُرد في أزمة ساسون.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى تبين أن الهجوم على ساسون قامت به فقط القوات الحكومية، ولم يشترك فيه الكُرد سواء أكانوا من الكُرد الحميدية،

الذين وإن وصلوا إلى مشارف ساسون بقيادة حسين باشا، أو من الكُرد الرحل مثل عشيرة بكران، رغم تأكيد لجنة القناصل أن بعض الكُرد كانوا معهم أثناء الهجوم؛ لذلك فإن المسؤولين العثمانيين وبعد ذلك البريطانيين نفوا نفياً قاطعاً اشتراك فرق الحميدية في أحداث ساسون، بل إنّ الأوامر أعطيت لهم لترك مواقعهم في ساسون بعد المعارك مباشرة، لانتشار الأمراض والأوبئة فيها، كما أنه لم تشارك في الهجوم أيضاً العشائر الكُردية الرحالة وعلى رأسها بكران، لأنها لم تستطع في مرات عديدة من إلحاق أي هزيمة بـ(الثوار) والقرويين الأرمن فيها، وجاء في أحد التقارير العثمانية أن عدد الكُرد الذين كانوا مع قوات الجيش العثماني عند الهجوم على ساسون كانوا ما بين (70 إلى 80) شخصاً، وكانوا يعملون كأدلاء للقوات العسكرية، لكونهم أهل المنطقة[50].

ويضاف إلى ذلك حسبما ذكره شهود عيان أن جنود القوات التركية عند هجومهم على ساسون، كانوا يتنكرون بارتداء الملابس الكُردية، لكي يعطوا انطباعاً بأنّ هذه الصدامات لا تخرج عن كونها صدامات عشائرية تقليدية، وليس أكثر من هذا[51]، وأكد هذا الأمر مواطن أميركي كان شاهد عيان على الحادثة، فقد ذكر بأنه رأى بأم عينيه الجنود الأتراك وهم يلبسون الملابس الكُردية[52]، وعند هجوم الجيش فر بعض من الأرمن والتجأوا إلى القرى الكُردية المجاورة بهدف حماية ومساندة الكُرد لهم، وبالفعل فقد دافعت عنهم بكل قدراتهم[53]؛ وطبقاً لرسالة مؤرخة في 9 تشرين الأول/ أكتوبر 1894 أعلن بعض الجنود الأتراك الذين دوّنوا ما قاموا به حسب أهوائهم ووجهة نظرهم الواحدة، فادّعوا أنّ الكُرد هم الذين ارتكبوا أسوأ الجرائم بحق الأرمن. وذكر هؤلاء أنه لم يكن هنالك أي مراعاة للعمر أو للجنس، حتى عندما كانت تتوسل الضحية عند أقدامهم[54]. وبالنظر إلى تفاصيل تقرير اللجنة الأوروبية يظهر

أنها احتارت في أمرها، بسبب أنها كانت تخطّط للذهاب إلى ساسون للبت في أمر الشكاوى الأرمنية، كما أكّد القنصل غرافيس لممثل بريطانيا المستر شبلي قبل ذهابه إلى ساسون[55]، لكن أعضاءها وجدوا أنفسهم أمام عدد كبير من الشكاوى الكُردية ضد الأرمن، والتي تمّ التثبّت من صحتها عند التحقيق بشأنها، لذلك لا نرى في تقرير هؤلاء ما يشير إلى إساءة كُردية ضد الأرمن بعكس ذلك، وكما مر بنا، ذكر التقرير عشرات الإساءات الأرمنية ضد الكُرد.

ثانياً - الإصلاحات الأرمنية الثانية

لا بد هنا من التطرق إلى الموقف الدولي من الأزمة في ساسون، ولو بشكل مختصر، لبيان تطور مواقف الدول الكبرى بخصوص المسألة الأرمنية؛ فالدول التي كانت حتى الأمس القريب، مع تكوين كيان سياسي للأرمن، ولو ضمن حدود الدولة العثمانية أصبحت في بداية التسعينيات تحارب التطلعات القومية الأرمنية بكل قوتها، والدول التي كانت ضد التطلعات القومية الأرمنية عند ظهور المسألة الأرمنية باتت تحارب من أجل الحقوق القومية الأرمنية، طبعاً كل لأجل مصلحته الخاصة. وكان لهذا الموقف الدولي تداعياته في الإصلاحات الأرمنية الثانية، حيث أجبرت الدول الكبرى الدولة العثمانية على البت فيها من جديد بعد أزمة ساسون.

بعد الحملة الإعلامية الأرمنية الكبيرة والناجعة في أعقاب أزمة ساسون هاج الرأي العام الأوروبي، وبشكل خاص في بريطانيا، التي لم يتردد رئيس وزرائها آنذاك غلادستون (Gladstone)، في إرسال سفنه الحربية إلى البحر الأسود، بهدف التدخل عسكرياً لحل هذه الأزمة، لولا معارضة كل من روسيا وفرنسا[56]. هنا يطرح سؤال نفسه، وهو: لماذا تغيرت سياسة الدول الكبرى، بخصوص المسألة الأرمنية في تسعينيات القرن التاسع عشر، وانقلبت المواقف عكس ما كان متعارفاً عليه، في سبعينيات وثمانينيات القرن نفسه؟

إن تغير سياسة الدول الكبرى تكمن في تغيير الأرمن لوجهتهم

السياسية، وكذلك لتغيير مصالح الدول الكبرى في المنطقة، فبعدما كان الأرمن في السبعينيات والثمانينيات يتطلعون نحو روسيا، التي رأوا فيها أنها الدولة الوحيدة القادرة على تحقيق آمالهم القومية، كما فعلت في بلغاريا في سبعينيات القرن التاسع عشر، غيَّر الأرمن وجهتهم نحو بريطانيا لاعتبارات عدة، منها أن روسيا قامت بالتشدّد مع الأرمن، في مقاطعة يريفان بعد وصول الأسكندر الثاني إلى الحكم فيها (1881ـ1897)، كما أن القيادة القومية الأرمنية آنذاك كانت بيد رجال الدين الأرمن، الذين كانوا يحتفظون بعلاقات طيبة مع الروس، حتى وإن كانت روسيا لا تستجيب إلى مطالبهم، ولكن بعد ظهور الأحزاب الأرمنية، ودخولها في صراع مع المؤسسة الدينية الأرمنية، وتمكنها من قيادة الأرمن منذ بداية التسعينيات، قامت هذه الأحزاب وعلى رأسها الهنشاق والطاشناق بنقل مراكزها إلى لندن، وعقدت في بداية العقد التاسع من القرن التاسع عشر تحالفات مع الحكومة البريطانية، من خلال علاقاتها مع وزراء ونواب في البرلمان البريطاني، أمثال غلادستون وجيمس برايس، الذين أيدوا السياسة الأرمنية في هذا المجال، وابتعد الأرمن بهذه الصورة شيئاً فشيئاً عن روسيا، التي قامت هي الأخرى بتغيير جذري في سياستها تجاه هذه المسألة، وأصبحت مدركةً للتوجهات الأرمنية[57].

من جانبها عزفت الدولة العثمانية على هذا الوتر وقامت باستغلال الاختلاف الدولي بخصوص المسألة الأرمنية لمصلحتها، وقد وجدت نفسها في موقف موحد مع روسيا، بشأن المسألة الأرمنية [58]، و كانت للحكومة القيصرية في ذلك الوقت أسبابها لمعارضة حل المسألة الأرمنية في الدولة العثمانية؛ فهي قد تخوفت من تصاعد حركة التحرر القومية الأرمنية، التي كانت ستمتد لتشمل حتماً منطقة ما وراء القوقاز، فليس من قبيل المصادفة أن الإدارة القيصرية في ما وراء القوقاز، التي يرأسها في التسعينيات من القرن

التاسع عشر وبداية القرن العشرين المتعصب الروسي المتحمس الأمير غوليطسين، قد انقلبت بالاضطهاد آنذاك على الأرمن والثقافة الأرمنية، فضلاً عن أن الساسة في سانت بطرسبورغ قد خافوا في حال نجاح الحركة الأرمنية في شمال كُردستان، من أن تكون روسيا آجلاً أم عاجلاً جارة لدولة أرمنية، واقعة تحت نفوذ أي دولة كبرى من الدول الأوروبية المعادية لروسيا، وخصوصاً بريطانيا، التي كانت تساند طموحات الأرمن في هذا المجال، وإنها لمشهورة عبارة وزير خارجية روسيا في عامي 1895 ـ 1896 الأمير أ.ب.لوبانوف روستوفسكي أن: «روسيا لن تسمح بإقامة بلغاريا أخرى، وهي بحاجة إلى أرمينيا بدون أرمن»[59].

كانت لألمانيا آنذاك مصالح اقتصادية مهمة في الدولة العثمانية، فلم تكن لتقف مكتوفة الأيدي في حال نشوب أي حرب مستقبلية ضدها[60]، أما فرنسا فقد وجدت أن لا مصلحة لها في هذا الصراع كله، لذلك لم تأخذه على محمل الجد، بل عملت على اتباع رأي روسيا في هذه المسألة، خصوصاً إذا ما علمنا أن روسيا وفرنسا قد دخلتا في حلف مشترك منذ عام 1892[61].

إزاء هذا الموقف الدولي المعقد، الذي رافق المسألة الأرمنية في تسعينيات القرن التاسع عشر، وعند عدم تمكن بريطانيا من التدخل عسكرياً في أعقاب أزمة ساسون، قامت بريطانيا بمحاولة أخرى وهي إقناع كل من روسيا وفرنسا بإحياء الإصلاحات الأرمنية من جديد، التي كانت قد أهملت، وغض الطرف عنها منذ عام 1881. في البداية قدمت بريطانيا مشروعاً لهذه الإصلاحات، عن طريق سفيرها في استانبول فيليب كيوري في شباط 1895، ومن أهم ما ورد فيه هو دمج الولايات الست ضمن إقليم واحد ـ أي معظم شمال كُردستان ـ وتعيين حاكم عام عليها. وقبل عرض السفير البريطاني لهذه المشروع على كل من روسيا وفرنسا قام أولاً بعرضه على البطريرك

الأرمني في استانبول ازميرلايان (Izmirlyan)، الذي أبدى موافقته المبدئية على خطة الإصلاح البريطانية، إلا أن البطريرك ذكر للسفير بأنه مقتنع أن القوى الأوروبية سوف تشارك في اختيار المحافظ، وأنّ الترتيب الأفضل هو أن يكون المحافظ مسيحياً، والأفضل منه كونه (أرمنياً). وذكر أيضاً بأنه في عمليات أخرى، في الخطة البريطانية للإصلاح، سواء أكانت تتعلق بالتعيين أم أي عمليات انتخابية تخص هذا الإقليم الجديد يجب أن يؤخذ في الحسبان إبعاد الكُرد الريفيين عنها، وأكد البطريرك الأرمني وألحّ كثيراً على هذه الملاحظة للسفير البريطاني، وذكر له ـ أي للسفير ـ أن الكُرد، وبالمقارنة مع عام 1880، أصبحوا مسلحين وأتباعاً للسلطات العثمانية، ويجب عليكم أخذ هذا الأمر في الحسبان[62].

ولكن بعد عرض خطة الإصلاح على روسيا أكدت من جانبها رفضها التام في جمع الأقاليم الستة ضمن إقليم واحد، وبعد مفاوضات عسيرة بين الطرفين وافقت بريطانيا على إلغاء هذا البند من خطة الإصلاح، ومقابل ذلك اتفقتا على تعيين شخصية عثمانية للإشراف على الإصلاحات، بعد التشاور مع الحكومة العثمانية، وكانت هذه القضية بمثابة ضربة قوية للمسألة الأرمنية آنذاك، وخيبت أمل الأرمن كثيراً[63].

لقد قدّم مشروع الإصلاحات الأرمنية، والتي تتضمن أكثر من تسعين مادة، إلى الحكومة العثمانية في 11 أيار/ مايو 1895، سفراء ثلاث دول، وهي: بريطانيا، وفرنسا، وروسيا في استانبول، وطلبت الدول الثلاث من الحكومة العثمانية الإسراع في تنفيذ هذا المشروع. وكانت هذه المذكرة تتضمن تعيين مفتش عام لمراقبة تطبيق الإصلاحات، وتشكيل لجنة تفتيشية لإدارة أعمال المراقبة، وإعادة النظام في النواحي والأرياف، وتنظيم الجيش والشرطة، والقضاء، والضرائب، وما إلى ذلك من الأمور الإدارية والاقتصادية[64]، وقد

سمي هذا المشروع باسم (مشروع أيار للإصلاحات)[65]. فيما يخص الكُرد في مشروع أيار للإصلاحات فقد جاء ذكرهم في فصلين، هما: الفصل التاسع، والفصل العاشر، وفي ما يلي صورة مختصرة عن هذه المواد التي تحدثت عن الكُرد:

في الفصل التاسع، وتحت المادة الرابعة والعشرين تناول مشروع الإصلاح (العشائر الكُردية الرحالة)، حيث جاء فيها بأنه من غير الممكن تفويض إحدى العشائر الكُردية في أي ولاية كانت بمتابعة وإلقاء القبض على الخارجين عن القانون والعصابات، وتسليمهم إلى الحكومة، هذا إذا علمنا بأنه من غير الممكن في الوضع الحالي ـ تقول المادة ـ إخضاع عشيرة كُردية لآغا عشيرة أخرى، لذلك فإن أمر ملاحقة العصابات والمجرمين بين العشائر الرحل ثم تسليمهم إلى المحاكم يجب أن يترك للجندرمة، بالاعتماد بطبيعة الحال على الأوامر التي يقدمها لهم الوالي؛ ثم تتابع المادة القول: إن الوسيلة الوحيدة للعيش عند تلك العشائر هي تربية الماشية حيث يذهبون في الصيف إلى مراعيهم، ويعودون في الشتاء إلى بيوتهم في المدن والقرى الصغيرة، لذلك فإنه يجب تخطيط الطرق التي يمرون بها، لتفادي حدوث أي تجاوزات بحق الأشخاص الساكنين، أو المستقرين في تلك المناطق وبممتلكاتهم التي تقع فيها مراعيهم، ويتم تشكيل قوة مسلحة يختارها الوالي لهذه المهمة، ولتكون قوة طارئة عند الحاجة، أي يتم تدخلها عند حدوث أي حادثة، كما يجب أن تعهد هذه العشائر الرحالة لدى الحكومة بأحد أقاربها رهينة وكفيلاً ضامناً منعاً لحدوث أي مشاكل لحين عودتهم إلى بيوتهم. ويجب على الحكومة العثمانية القيام بتشجيع هذه العشائر على الاستقرار، من خلال إعطائهم بعض الحوافز في المستقبل القريب، وجاء في هذه المادة أيضاً أن على الولاة والقائمقامين،

أن يولوا عناية فائقة لموضوع عدم تعرض رؤساء العشائر إلى أية إهانة أو مخاطر، من خلال مؤامرات أو اعتداءات قد يقوم بها أشخاص منحطّون. أما المادة الأخرى التي تحدثت عن الكُرد فهي المادة الخامسة والعشرون، ضمن الفصل العاشر، وكانت تخص (الفرسان الحميدية)، وهي أنه لا يجوز استخدام هؤلاء الخيالة، إلا في أوقات الضرورة، كما أنه لا يجوز لأفرادها حمل السلاح، وارتداء الأزياء الخاصة بهم إلا في أوقات التدريب، وأنه إذا حصل عكس ذلك، وخصوصاً عند حدوث أي مشكلة، فيجب إحالتهم إلى المحاكم[66].

إن الملاحظة التي تؤخذ على خطة الإصلاحات هذه هي أنها نظرت إلى شمال كُردستان على أنها منطقة ذات أغلبية أرمنية، مع العلم أن الساسة والضباط الأجانب العاملين في القنصليات المنتشرة في أغلب مدن كُردستان كانوا يذكرون ويدركون النسبة العالية للكُرد مقارنة مع أي عنصر آخر، ولكن مع ذلك همشت خطة الإصلاح دورهم وعاملتهم كأنهم غرباء عن هذه الأرض، فلم يأت ذكرهم إلا في المادتين السابقتين، وهي مواد تحمل في طياتها سمة الحذر والتهديد للكُرد. وقد فطن الساسة إلى ملاحظة مهمة هنا فيما يخصّ العشائر الرحالة، فبعدما تُخطط الطرق لها، وتُجهز قوة عسكرية تكون بمثابة قوة طوارئ، تحذر هذه المادة من عدم إهانة رؤساء العشائر، أو تعرضهم لأي عمل عدائي في أثناء هجراتهم الموسمية، وذلك لأن الساسة الأجانب بدأوا يدركون ما ستؤول إليه عمليات الثأر في كُردستان، والتي كانت في مرات عديدة مميتة للطرفين.

بعد مفاوضات بين الحكومة العثمانية وسفراء الدول الثلاث المارة الذكر، وفطنة السلطان عبد الحميد في استغلال الخلاف الأوروبي قدم اعتراضات عديدة على خطة الإصلاح الأوروبية في 17 حزيران/ يونيو 1895[67]، وكانت

نقاط الاختلاف مع المشروع الأوروبي للإصلاح، تنحصر في النقاط الآتية، كما بيَّنها السفير فيليب كيوري:

1 ـ إن المسيحيين في الولايات الست، سيعينون في الوظائف هناك حسب نسبهم السكانية.

2 ـ ستعيّن حكومة السلطان الموظفين من ذوي المراتب العالية، مثل: الولاة، ونوابهم ولن تكون عن طريق عملية انتخابية يقوم بها سكان الولاية.

3 ـ إلغاء المواد القضائية التي تتعارض مع القضاء العثماني[68].

أما فيما يخص الكُرد فيظهر أن الحكومة العثمانية لم تعترض على أي مادة تناولتهم، وقد جاءت المواد المتعلقة بهم في نص المسودة العثمانية للإصلاحات، متفقةً مع ما جاء في مسودة الإصلاح الأوروبية، وخصصت للكُرد فيها المادتان الرابعة والعشرون، والخامسة والعشرون، وعلى النحو الآتي:

«الفصل التاسع ـ (الرقابة على الكُرد)، (المادة 24): سوف تحدّد مواقع هجرة الكُرد بصورة مسبقة، وسوف يرافق ذلك ضباط مع قوة مسلحة كافية، فضلاً عن قوة من الجندرمة سترافق العشيرة في أثناء هجرتها، مع وجود مأمور للشرطة، وسيرهن الكُرد بعضاً من رجالهم في أثناء هجرتهم. أما اللوائح التنظيمية الخاصة بالطرق، وحمل الأسلحة فسوف تطبّق عليهم أيضاً، ويكون من مهمة الحكومة اختيار تثبيت الأراضي للعشائر الرحالة التي يتجولون فيها، ولا يعطى حق الانتخاب إلا إلى الأفراد الذين يشكلون جزءاً من السكان الحضريين.

الفصل العاشر ـ (الفرسان الحميدية) (المادة 25): «سوف يمنع حمل الأسلحة وارتداء الزي العسكري بالنسبة إلى الفرسان الحميدية خارج فترات

التدريب، وسوف تطبّق اللوائح التنظيمية العسكرية بهذا الشأن، وفي حال المخالفة فإنهم يخضعون للمقاضاة أمام المحاكم الاعتيادية»[69].

يبدو هنا أن الحكومة العثمانية قد وافقت على كل ما جاء في الخطة الأوروبية للإصلاح فيما يتعلق بالكُرد، لأنها لا تتعارض مع سياستها، ويظهر أن الحكومة العثمانية أذعنت للأوروبيين، في أن حق الانتخاب لا يمنح إلا للسكان المستقرين، وستبعد العشائر الرحالة عن أي انتخاب مستقبلي، وهذا ما كان يتمناه الأرمن.

لم توافق الحكومة العثمانية رغم تلقيها تنازلات كثيرة من جانب بريطانيا، على مسودة الإصلاح النهائية، وقد ماطلت كثيراً، لأنها علمت أن مجرد التوقيع على تلك الإصلاحات سيؤدي إلى زعزعة مكانتها في الأناضول كلها، ولكن بعد تجدد الأزمة الأرمنية إثر تظاهرة الباب العالي في أيلول/ سبتمبر 1895، والتي سنتناولها لاحقاً، انتشرت أعمال القتل، والسرقة، والنهب في أغلب مناطق الأناضول، وهي الأزمة التي عرفت بـ: (المذابح الأرمنية الأولى، أو المرحلة الثانية من الأزمة الأرمنية الأولى) ـ وسنتطرق إليها لاحقاً ـ اضطرت الحكومة العثمانية إلى الموافقة أخيراً على اللائحة النهائية، لمشروع الإصلاحات الأرمنية في 17/ 10/ 1895، والتي لم يتغير شيء في المواد المتعلقة بالكُرد فيها. وللأهمية التاريخية نورد هنا نص المواد المتعلقة بالكُرد، التي جاءت في لائحة الإصلاح النهائية: الفصل الحادي عشر: «(السيطرة على الكُرد) (المادة 27): سوف تُثبّت مناطق تهجير الكُرد بصورة مسبقة وبطريقة تتجنب أي ضرر تلحقها العشائر بالسكان، وإن كل ضابط لديه أوامر وستكون تحت إمرته قوة مسلحة، مع مصاحبة الجندرمة، الدين سيرافقون كل عشيرة أثناء التهجير، وينضم إليهم أيضاً مأمور بالشرطة، وستُقَدّم الضيافة للكُرد أثناء هجراتهم. أما اللوائح التنظيمية الخاصة بالطرق

وحمل السلاح، فسوف تُطبَّق على الكُرد. أما بالنسبة إلى العشائر الرحل والبدو فيجب على الحكومة تخصيص أراضٍ لهم». الفصل الثاني عشر: «(الفرسان الحميدية) (المادة 28) يمنع حمل السلاح وارتداء الزي بالنسبة إلى الفرسان الحميدية خارج مدة التدريب، وسيخضعون خارج هذه المدة للمقاضاة أمام محاكم اعتيادية، وتقوم لائحة تنظيمية عسكرية بتحديد جميع التفاصيل لخدمتهم وبدون أي تأخير»[70].

بعد موافقة جميع الأطراف على القيام بالإصلاحات الأرمنية في شمال كُردستان، وفي مرحلة التنفيذ نشب خلاف بين بريطانيا والحكومة العثمانية، على اسم الشخص المسؤول والمشرف على عملية تنفيذ الإصلاحات، ولكن في النهاية آل الأمر إلى أن يُترك للحكومة العثمانية، عندما أصرت على اسم (شاكر باشا)، الذي لم تكن بريطانيا تريده، بسبب ميوله إلى روسيا[71]، وقد عيّن العثمانيون كلّاً من «دانش بك» رئيس القسم القنصلي في الباب العالي، و«إحسان بك» وهو دبلوماسي في السفارة العثمانية في طهران، معاونين لشاكر باشا، كما عين مافروكورداتو أفندي (Mavrogordato Efendi) معاوناً من المسيحيين لشاكر باشا[72].

لم تحقق لجنة الإصلاح برئاسة شاكر باشا أي تقدم في شمال كُردستان[73]، فمن جهة واكب حضور هذا الأخير إلى كُردستان تجدد الأزمة الأرمنية، التي عصفت بمعظم مناطق شمال كُردستان، وكذلك دخوله في صراع ضد الولاة والمسؤولين العسكريين في المنطقة، وضد زكي باشا نفسه، المشرف على الخيالة الحميدية، ومن جانب آخر أهملت الدولة العثمانية أمر هذه الإصلاحات في عام 1897، لنشوب الحرب بينها وبين اليونان[74]، وأهملته كذلك الدول الكبرى المعنية نظراً لانتقال الصراع فيما بينها إلى مناطق أخرى في أفريقيا وجنوب شرق آسيا، كما أن الأوضاع الداخلية في

أوروبا نفسها أصابها توتر شديد بسبب ظهور الأحلاف العسكرية فيها، كما شهدت الساحة الأوروبية تسلحاً واسعاً بين معظم الدول الأوروبية، مما كان يوحي بوقوع حرب كبيرة بين الدول فيها، كل هذه العوامل أدت إلى أن تلقى هذه الإصلاحات مصير نظيرتها الأولى، على الرغم من أن شاكر باشا بقي في منصبه لغاية 20 تشرين الأول/ أكتوبر 1899[75].

ومن المفيد في الختام القول: إن بريطانيا طلبت من ساستها وضباطها العسكريين في أثناء قياها بدراسة أهم الإصلاحات الواجب اتخاذها في شمال كُردستان إبداء آرائهم في ذلك؛ برز هنا اقتراح العقيد البريطاني نورتون (Norton)، المفتش السابق للجندرمة العثمانية، في بتليس في عهد الإصلاحات الأرمنية الأولى[76]، وإن لم يأخذ الساسة البريطانيون اقتراحاته على محمل الجد، ورغم تحامل العقيد نفسه على الكُرد، في جوانب عديدة من اقتراحه هذا، إلا أن ما يهم في اقتراحه هنا أنه ذكر إنشاء إقليم في شمال كُردستان الحالية تحت اسم (إقليم أرمينيا الكُردية)، وإنّ هذا الضابط البريطاني قد فطن إلى أنه لا يمكن إخراج الكُرد من المعادلة العامة، لسياسة الإصلاحات في شمال كُردستان، لأنهم يشكلون الأغلبية فيها، وكان قد قدم مشروعه في آذار/ مارس 1895[77].

ثالثاً ـ المرحلة الثانية من الأزمة الأرمنية الأولى 1895 ـ 1896

أ ـ انتشار الأزمة في معظم أنحاء الأناضول

لم تهدأ الأوضاع فيما يخص المسألة الأرمنية في الدولة العثمانية، وقد دلت تقارير القنصليات والسفارات الأجنبية، وكذلك تقارير السلطات المحلية العثمانية على أن أزمة ساسون ما هي إلا مجرد بداية لما ستشهده البلاد مستقبلاً؛ فبعد أزمة ساسون، اشتدت الحملة الإعلامية بين الطرفين العثماني والأرمني، وصارت أكثر عنفاً وتطرفاً، وغدت المسألة الأرمنية من إحدى أكثر المسائل اهتماماً بها في الصحافة الأوروبية والأميركية حينذاك[78].

وبعد ساسون لم تتوقف الحكومة العثمانية عن ملاحقة نشطاء ومحركي الأرمن وزجهم في السجون بتهم مختلفة، وقد عرضت السفارات الأجنبية، ولاسيما البريطانية والفرنسية مرات عديدة وساطتها لغرض إعطاء عفو عن السجناء الأرمن في هذه الولاية أو تلك[79].

في شمال كُردستان تأزم الوضع كثيراً بين الكُرد والأرمن، فمن جهة لم تتوقف الأحزاب والمنظمات الأرمنية وعلى رأسها الطاشناق والهنشاق بالهجوم على العشائر الكُردية وخصوصاً الرحالة منها[80]، كما أن السلطات المحلية العثمانية شجعت بعض العشائر الكُردية على القيام بهجوم على

القرى الأرمنية أو التي تشتبه في أنها تحوي ثواراً من الأرمن، وقد أشارت تقارير القنصليات البريطانية إلى العديد من هذه الهجمات، التي يغلب عليها طابع السلب والنهب أكثر من طابع القتل وزهق الأرواح[81].

أما العامل الأبرز، الذي أجّج الصراع بين الكُرد والأرمن بشكل أكبر عما كان عليه من قبل فهي الشائعات التي كانت تنشرها كل من السلطات العثمانية المحلية والأحزاب الثورية الأرمنية، على أن الدول الأوروبية قد تباحثت مع السلطان عبد الحميد الثاني، وتوصلوا إلى قرار ينص على منح الحكم الذاتي للأرمن في الولايات الست، وهي تقريباً معظم شمال كُردستان؛ فمن جهة كانت الحكومة العثمانية تعبئ الكُرد على أساس أن هذه الأرض هي أرضهم وأرض المسلمين، فكيف سيتخلون عنها بهذه البساطة للأرمن المسيحيين، وحاولت أن تبين للكُرد أن السلطان عبد الحميد الثاني لا يمكنه دفع الأرمن عن أرض المسلمين نظراً للضغوط الدولية عليه، ولكن الكُرد يستطيعون ذلك، لأنهم أصحاب الأرض الحقيقيون هناك، ومن جهة أخرى كانت المنظمات الأرمنية توتر الأوضاع أكثر، بإشاعتها أن الأرمن قاب قوسين أو أدنى من الحصول على الاستقلال[82]. ويذكر أن الثوار الأرمن هددوا بالعصيان إذا لم تطبق الإصلاحات، في الوقت الذي وقف المسلمون بالضد منها، إذ عدّوها بمثابة شكل آخر للاستعمار الأوروبي الذي سيؤدي في نهاية المطاف إلى استقلال الأرمن، وتدمير الإمبراطورية العثمانية. قال القنصل البريطاني في أرضروم في 10 تموز/ يوليو 1895، إن جماعة واحدة من المسلمين أقسموا على (إراقة الدماء)، في حالة موافقة السلطان على مشروع الإصلاحات[83]؛ هذه الأسباب تُعدّ من أهم العوامل المباشرة التي أدت إلى اندلاع الأزمة الأرمنية الثانية، فضلاً عن الموقف الدولي منها، والتي سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

بدأت فصول هذه الأزمة في استانبول؛ ثم انتشرت بعد ذلك إلى كلّ

المدن والقرى في الأناضول، ولكن أغلب وقائعها كانت بطبيعة الحال في شمال كُردستان، وقد اشترك فيها الجميع: الأتراك، واللاز، والشركس، والكُرد، والأرمن، والعرب، ولكن الضحية الكبرى فيها كانت من العامة من الأرمن، الذين كانوا حتى وقت قريب بعيدين عن كل ما يمت إلى السياسة بصلة.

قامت المنظمات والأحزاب الأرمنية يقودهم الطاشناقيون بتظاهرة كبيرة في استانبول، للمطالبة بتسريع الإصلاحات الأرمنية في 30 أيلول/ سبتمبر 1895، وقد اتجهت التظاهرة إلى قصر السلطان عبد الحميد الثاني، لذلك سميت بـ(تظاهرة الباب العالي)[84]، وقد أرسل المتظاهرون طلباً يتضمن أهم مطالبهم، إلى سفارات الدول الكبرى[85]، وعندما كانت التظاهرة في طريقها إلى الباب العالي حدثت أعمال شغب فيها، بعدها عمدت الحكومة العثمانية إلى قمعها بكل قسوة. وأكدت تقارير شرطة استانبول على أنها لم تكن سلمية، وأن أغلب المتظاهرين كانوا يحملون سكاكين وأسلحة أخرى، بهدف نشر الفوضى في العاصمة، وإحراج الحكومة العثمانية، لذلك قُمعت التظاهرة بقسوة بالغة حتى وإن حدث ذلك أمام أنظار سفراء الدول الأجنبية فيها[86]. كما أنه ربما يرجع الرد القاسي للحكومة العثمانية على المتظاهرين الأرمن، إلى أن هذه التظاهرة تعد الأولى التي تشهدها استانبول، باعتبارها حاضرة الخلافة الإسلامية آنذاك، ومن عنصر غير مسلم هم الأرمن، وهذا ما لم تكن تتحمله الحكومة العثمانية[87].

شعرت المنظمات والأحزاب الأرمنية بعد قمع تظاهرة الباب العالي أن الوقت قد حان لإشعال انتفاضة عارمة في الأناضول، اعتقاداً منها أن الاستقلال الأرمني بات وشيكاً جداً، خصوصاً أن الأرمن كانوا يدركون الضغوط الأوروبية على الحكومة العثمانية، لتطبيق الإصلاحات الأرمنية في

الولايات الست، لذلك قادت تلك اللجان الأرمنية انتفاضة كبيرة في أغلب مناطق الأناضول، بهدف الحصول على الاستقلال أو الحكم الذاتي، كما صرح به بعض سفراء الدول الأجنبية في استانبول آنذاك[88].

وبعد بضعة أيام جرت محاولة في طرابزون لاغتيال بحري باشا والي وان السابق، مما خلق للسلطات الحاكمة حجة جيدة للانقضاض على الأرمن في طرابزون وما حولها، وفعلاً كان الهجوم على الأرمن في يوم 8 تشرين الأول/ أكتوبر الذي شهد أحداثاً مؤسفة للغاية، انتشرت بعده عمليات القتل والنهب والسلب في كل أنحاء الأناضول؛ فقد وقعت عمليات قتل وتشريد ضد الأرمن في مدينة بايبورت في يوم 12 تشرين الأول/ أكتوبر، وفي ولاية أرزنجان، وبتليس في 25 تشرين الأول/ أكتوبر، وفي أرضروم في 30 تشرين الأول/ أكتوبر، وفي عين تاب وسيواس في 12 تشرين الثاني/ نوفمبر، وفي ماراش في 18 تشرين الثاني/ نوفمبر، وفي سرت في 19 تشرين الثاني/ نوفمبر، وفي 28 كانون الأول/ ديسمبر في أورفا؛ ثم تبعتها بيردجيك، وموش، وآماسيا، وميزفون، والاسكندرونة، وقايسري، وادنة، ومرسين ويوزكات[89]؛ لتتوقف في منتصف شهر كانون الثاني/ يناير 1896 بعد ضغوط من الدول الأوروبية، وإرسالها إنذاراً شديد اللهجة إلى السلطان عبد الحميد وحكومته، بضرورة البدء بالإصلاحات، ووقف الهجمات، وحملات الاعتقال للأرمن، وبناء ما هدمته قواته واعتقال المذنبين الحقيقيين[90]، وذكرت بعض المصادر أن المذابح الأرمنية وقعت في (41) موقعاً خلال السنوات الثلاث 1894 ـ 1896[91].

لم تنتهِ أحداث الأزمة الأرمنية عند هذا الحد بل ختمت بثلاثة أحداث، أحدها: هي الحركة الأرمنية في مدينة وان في 14 حزيران/ يونيو 1896[92]، حيث قامت القوات العثمانية بالهجوم على الحي الأرمني فيها، بعد وقوعه

بيد اللجان الأرمنية. وكانت السلطات العسكرية العثمانية في وان قد قامت بالتنسيق مع القنصليات الأجنبية قبل العملية العسكرية، وأنهت حركة وان بسرعة، بعد أن قصفت الحي بالمدافع، ودمرت العديد من أبنيته، فهرب نتيجة ذلك العديد من أعضاء تلك اللجان الأرمنية إلى داخل الأراضي الإيرانية[93].

أما الحدث الثاني فكان في يوم 26/ 8/ 1896، عندما قامت مجموعة أعضاء من الطاشناق بغارة على البنك العثماني في استانبول واحتلاله، وقد قتل في هذه العملية ما يفوق مئة من الجنود الأتراك، وأخذ الأرمن المهاجمون العديد من الموظفين، والمراجعين في البنك رهائن، وكان مطلبهم الأساسي هو الإسراع في تطبيق الإصلاحات في الأناضول، وبعد تدخل السفارة الفرنسية في الموضوع، حُلّت هذه الأزمة، إذ توصلت الأطراف إلى تسوية تقضي بمغادرة المجموعة الأرمنية التي قامت بالعملية، ونفي أفرادها إلى مرسيليا والحفاظ على حياة الرهائن[94].

وكان الحدث الثالث هو الحركة الأرمنية في زيتون (Zeitoun)، التي تسمى الآن بالسليمانية، التابعة لسنجق موش، ويكاد الأرمن في زيتون لا يختلفون عن الكُرد في تلك المناطق، ومنذ القديم كانوا يتمتعون باستقلال شبه ذاتي، ولا يدفعون أي ضريبة للدولة العثمانية، وكانت زيتون في حركة مستمرة ضد السلطات العثمانية المحلية منذ بداية التسعينيات، إلا أنها اشتدت أواخر عام 1895، لتبلغ ذروتها في العام 1896[95]، وحدثت المواجهات العنيفة بين الطرفين في 24 تشرين الأول/ أكتوبر 1896، حيث حاصرت القوات العثمانية بشكل كامل زيتون، واضطر الهنشاقيون، الذين قادوا الحركة فيها إلى الانسحاب منها، واللجوء إلى الكنائس الموجودة في المنطقة، إلا أن أحداثها انتهت فعلياً في 28 تشرين الثاني/ نوفمبر 1896 [96]، عندما تدخلت

الدول الغربية، واقترحت مذكرة تفاهم ترضي الطرفين؛ تقوم على الالتزام وتطبيق الأمور التالية:

1 ـ يقوم أهالي زيتون بتسليم أسلحتهم للعثمانيين.

2ـ نفي خمسة من عناصر العصابات المسلحة الأرمنية إلى خارج الدولة العثمانية.

3 ـ إصدار عفو عام عن الأرمن المشاركين فيها.

4 ـ تخفيض نسبة الضرائب الحكومية عليهم[97].

أما عن عدد القتلى الأرمن في جميع تلك الأحداث التي وقعت بين سنوات 1894 ـ 1896، فهناك اختلاف كبير بين مختلف المصادر، سواء أكان ذلك مُتعلّقاً بإحصاء قتلى الأرمن في القرى، أم مراكز المدن، أم على مستوى الولاية الواحدة، أم عند الإحصاء العام لعدد القتلى في عموم الدولة العثمانية، وربما يكون من العسير، إن لم يكن من المستحيل التوصل إلى العدد الحقيقي للقتلى الأرمن في هذه الأزمة، فقد قدرت لويزا نالبانيديان أن عدد قتلى الأرمن هو بين (50000) إلى (300000) قتيل، في حين أكّد ريشارد.ج. هوفانيسيان (Richard.G. Hovannisian) أن العدد هو بين (100000) إلى (200000)؟! وأعطى هانس لوبوسيس، المبشر الألماني القريب من الأحداث آنذاك الرقم (88000)[98]، وتعطي بعض الإحصائيات الأرمنية الأخرى الأرقام ما بين (300000) إلى (400000) قتيل، في حين أن الدولة العثمانية أعطت الرقم (14000) فقط، وأنّ حوالى (30000) قد هاجروا إلى القوقاز[99].

ومن الجدير بالذكر أن أي إحصائية لا توجد بخصوص الكُرد، الذين قتلوا أثناء الأزمة الأرمنية، خصوصاً وأنّ هناك ما يشير إلى أن عدد الذين قتلوا من الكُرد ليس بالقليل، وذلك لأن أغلب هجمات اللجان الثورية الأرمنية

كانت ضد الكُرد في شمال كُردستان، سواء أثناء أزمة ساسون، أو في المرحلة الثانية أواخر العام 1895 وبداية العام 1896.

ب ـ مسؤولية المرحلة الثانية من الأزمة الأرمنية الأولى

سؤال شغل بال العديد من الباحثين والمؤرخين، لغاية اليوم هو: مَنْ يتحمل مسؤولية الأزمة الأرمنية؟ فهل هو السلطان عبد الحميد الثاني(القاتل الأعظم) اللقب الذي أطلقه عليه غلادستون رئيس وزراء بريطانيا، بعد تلك الأحداث[100]، ومن ورائه حكومته والسلطات المحلية والعسكرية؛ أم تتحملها المنظمات الثورية الأرمنية، وخصوصاً الهنشاق والطاشناق، بقيامها بالتحريض ونشر بذور الكراهية ثم إشعال انتفاضة عارمة ضد الدولة العثمانية، في أغلب المناطق التي يوجد فيها الأرمن؛ أم يتحملها الكُرد، والشركس، واللاز، المتهمون بأنهم كانوا هم اليد الطولى للسلطان في هذه الأزمة؛ أم تقع المسؤولية الأكبر في تطور المسألة الأرمنية، حتى وصلت إلى ما هي عليه، على الدول الكبرى وعلى رأسها بريطانيا وروسيا، اللتان اتخذتا من شمال كُردستان ساحة لنفوذهما، وتصفية حساباتهما السابقة؟

1 ـ مسؤولية الأحزاب والمنظمات الأرمنية

في البداية لا يمكن إغفال أن الأحزاب والمنظمات الثورية الأرمنية الهنشاق، والطاشناق، والأرمنيكان، كان في نيتها القيام بقيادة انتفاضة كُبرى في جميع الأناضول، وخصوصاً في شمال كُردستان ذات الطبيعة الجبلية والتضاريس الوعرة، فلا يمكن الادعاء بالقول، كما جاء في العديد من المصادر الغربية والمتأثرة بالرأي الأرمني القائل: إن المسلمين المتعصبين قد قاموا فجأة بالهجوم على الأرمن المسيحيين، حيث تم ذبحهم وسلب ونهب

أموالهم، وإنه لم يكن هناك أي سبب وراء ذلك؟! فقد استبعد هذا الادعاء لسبب منطقي سهل وهو أن المسيحيين الآخرين في الدولة العثمانية، وإن تعرضوا إلى مضايقات في بعض المناطق، إلا أنهم كانوا بعيدين كل البعد عن الأزمة الأرمنية، في أواسط التسعينيات مثل: النساطرة (الأشوريون) والكلدان في شمال كُردستان، واليونان في غرب الأناضول، وفي استانبول، وطرابزون، وفي أغلب المدن العثمانية المطلة على البحر الأسود والبحر المتوسط، فإن الأحياء اليونانية مثلاً لم تتضرر على سبيل المثال في استانبول أو في أضنة، والتي كانت قريبة من الأحياء الأرمنية، حيث كانت عمليات القتل والسلب والنهب على أشدها، ولكن السبب يعود في جميع أنحاء البلاد إلى الأحزاب والمنظمات الثورية الأرمنية التي تُشار أصابع الاتهام إليها في إشعال فتيل الانتفاضة في أغلب المدن الكبيرة في شمال كُردستان والأناضول كلها، وكانت تأمل من ورائها تدخل الدول الأوروبية في المسألة وحلها لمصلحتهم، كما حدث ذلك في المسألة البلغارية أواسط سبعينيات القرن التاسع عشر[101].

وفقاً لتقارير الحكومة العثمانية فإنّ كل الوقائع المتعلقة بالمسألة الأرمنية، بدءاً من ساسون وانتهاءً بحركة زيتون تدل أنّ الأرمن هم البادئون بالهجوم أولاً على المسلمين؛ ثم يأتي بعد ذلك الرد من المسلمين، ففي هذه المرحلة من الأزمة الأرمنية باشرت الحكومة العثمانية بإرسال لجان تحقيق، للبت في تلك الأحداث التي عصفت بالأناضول كلها؛ فمثلاً أرسلت لجنة تحقيق إلى ديار بكر في كانون الأول/ ديسمبر 1895، وبعد قيامها بإجراء التحقيقات اللازمة والانتهاء منها توصلت إلى اتهام الأرمن بأنهم كانوا السبب وراء اندلاع الأزمة فيها عندما قاموا بالهجوم على المسلمين وهم يصلون في أحد المساجد، وأدناه نص كلمة اللجنة عند الالتقاء بعدد من أهالي ديار بكر:

«نيابة عن مولانا السلطان قمنا بإجراء تحقيق بخصوص الاضطراب،

الذي حدث في بعض أجزاء من الأناضول، مثل: ساسون، وسيواس، ومعمورة العزيز، ودياربكر، نتيجة للفوضى الأرمنية، وبناءً على طلب الرجال البارزين في الأقاليم التابعة لجلالته. لقد شاهدنا الأعمال الوحشية التي حدثت، والتي تجاوزت ما حدث في ديار بكر، لقد أحزننا ذلك الأمر كثيراً، ومن الواضح أن ما حدث كان نتيجة لمؤامرات، حبكتها دول أجنبية معينة، وبشكل رئيسي انكلترا؛ لقد نشروا أفكاراً هدّامة في قلوب الأرمن، لقد تسببوا بالاضطرابات التي حصلت في العاصمة، وثاروا بوجه الباب العالي على أمل الظفر بالنيّات الشريرة. إن هذا الأمر لا يخدم مصالح الأرمن، بل يصب في مصلحة الإنكليز، الذين يحاولون السيطرة على هذا البلد من أجل أنفسهم.

إن هؤلاء الذين أصغوا إليهم سلكوا طريقاً حافلاً بالمخاطر، فقد نذروا أنفسهم لضرب عرش الدولة العالي، بإرادة مولانا السلطان، وإنجيل سيدنا المسيح، وكما هو مكتوب في كتبكم (إنْ مَنْ يقفْ بوجه قيصر فإنما يقفُ بوجه الرَّب)، إن أعداء الدولة قاموا باضطرابات موجهة ضد بعض أبناء شعبنا المحميين في الإمبراطورية، مما جلب الضرر لكل من الدولة، والمجتمعات الدينية المسلمة والمسيحية، على الرغم من حقيقة أن الدولة ترغب بالطمأنينة لجميع رعاياها، ومع ذلك فإن لجميع المواطنين من غير المسلمين حقوقاً، وليس ـ كما تنص عليه تقاليد السنة والشريعة الإسلامية ـ هناك فرق بين مسلم ومسيحي. وهذا الأمر المؤكد عليه، بدعم من جلالة مولانا السلطان عبد الحميد خان الثاني، قد منح المسيحيين مناصب عالية وسمات الشرف، لأن المسلمين والمسيحيين ـ في نظره ـ متساوون، فليس ثمة فرق بين المسلمين والمسيحيين، فما نقوله كنا قد سمعناه من جلالته بشكل مباشر»[102].

وقد أصدرت الحكومة العثمانية تقريراً مطولاً عن نتائج تحقيقاتها عن

أسباب تلك الأزمة، وتطورها، في تاريخ 2 شباط/ فبراير 1896، وفيما يأتي ملخص عن نتائج المحققين العثمانيين في شمال كُردستان:

تناول التقرير الوقائع في كل ولاية على حدة، بدءاً من أقصى شرق الأناضول، وانتهاءً بولاية حلب وأدنة والاسكندرونة، وقد تحدث المحققون العثمانيون عن ولاية (طرابزون) أولاً؛ لكونها الولاية الأولى التي ظهرت فيها الأحداث، بعد انتفاضة الباب العالي في أيلول/ سبتمبر 1895، ومن طرابزون بدأت بالانتشار في معظم ولايات الأناضول. يذكر التقرير أن الأحداث بدأت فيها حتى قبل تظاهرة الباب العالي، ففي 20/ 9/ 1895 تعرض بحري باشا وحمدي باشا، لمحاولة اغتيال هناك من جانب اللجان الثورية الأرمنية؛ ثم تبعتها أحداث أخرى، ولكن هدأت بعض الشيء، حتى وصول أنباء تظاهرة الباب العالي. وبدأت الأوضاع فيها تضطرب من جديد، وهاجم الأرمن السكان المسلمين، وقاموا بإطلاق النار من نوافذ بيوتهم على المارة من الناس، ليمتدّ هذا التخريب بعد ذلك إلى أغلب الأقضية والنواحي التابعة لطرابزون، وقد اتهم المحققون العثمانيون اللجان الثورية الأرمنية، بأنها كانت وراء جميع تلك الأحداث[103].

في ولاية (أرضروم) ذكر المحققون أن السلطات العثمانية تمكنت فيها من الاستيلاء على تقارير عديدة للأرمن، تدعوهم فيها للانتفاضة، بعضها مكتوب بحبر اعتيادي، والبعض الآخر بحبر غير مرئي (الحبر السري)[104]، كما عملت اللجان الأرمنية على إرهاب الأرمن، داخل أرضروم لكي لا يشاركوا في لجنة الإصلاحات، التي كان يرأسها شاكر باشا، وقد مارس الأرمن في أرضروم عمليات تعذيب مرعبة، وارتكبوا جرائم حتى ضد أحد شيوخ الكُرد، وهو الشيخ حيدر أفندي، كما جاء في نص التقرير، وعند وصول أخبار التظاهرة الأرمنية التي كانت قد حدثت في استانبول، بادر الأرمن بإطلاق

النار في السوق العامة للمدينة على المارة، لذلك قام المسلمون بالرد عليهم ومهاجمتهم، بعد ذلك فإن المحققين عددوا عشرات الأعمال التخريبية ـ كما يقولون ـ التي قام بها الأرمن، في أرضروم والأقضية التابعة لها؛ ثم توصلوا إلى أن تحرك القوات الحكومية فيها وتحرك الكُرد أيضاً ضدهم جاء ذلك كله بسبب النشاطات الأرمنية هناك[105].

في (بتليس) وبعد أن حصل الأرمن على السلاح قاموا بمهاجمة الجوامع في 13/ 11/ 1895 ورد المسلمون على هذا الهجوم، وحسب شهود عيان فإن المبشرين المسيحيين البروتستانت، كانوا قد أخبروهم أن ست ولايات في الأناضول، قد تركت لهم ولهذا قاموا بهذا الهجوم. فضلاً عن هذه العمليات فقد ذكر التقرير عشرات العمليات التي قام بها الأرمن في بتليس، ضد الأرمن الموالين للسلطات العثمانية، وضد المسلمين والكُرد فيها[106].

لا يخرج التقرير عن اتهام الأرمن في (سيواس) أيضاً، وعلى المنوال ذاته[107]، أما في ولاية (ديار بكر)، فقد قام الأرمن فيها بمهاجمة أحد الجوامع، الذي كان مكتظاً بالمسلمين، فأوقعوا عدداً من القتلى؛ ثم قاموا بإحراق سوق المدينة، فكان رد فعل المسلمين هو التصدي لتلك الهجمات، وانتهت عمليات الشغب هناك، كما يذكر التقرير في 23 تشرين الأول/ أكتوبر، لتنتشر بعد ذلك الاضطرابات، إلى أقضية ديار بكر ونواحيها. وفي 31 تشرين الأول/ أكتوبر اندفع أحد الأرمن في شوارع ديار بكر، كما يذكر المحققون، يصرخ بأعلى صوته: «إن مملكة أرمينيا على وشك التأسيس، وإن الأرمن سوف يكون لهم اليد العليا على المسلمين»[108]؛ ثم تطرق المحققون بعد ذلك إلى الاضطرابات في ولاية معمورة العزيز، وولاية وان، وولاية أنقرة، وأضنة، وحلب على التوالي، وفصلوا في ذكر عشرات الحوادث فيها، التي عمل الأرمن من خلالها على قتل المسلمين واستفزازهم.

وفي ختام التقرير اتهم المحققون اللجان الثورية الأرمنية، وكذلك الإرساليات التبشيرية المنتشرة في أغلب مدن الأناضول، وبعض القنصليات الأجنبية بأنها جميعاً كانت وراء اندلاع الأزمة الأرمنية، وهم الذين روّجوا للشائعات التي تقول: إن الأرمن باتوا قريبين جداً من الاستقلال مقارنة مع أي وقت مضى[109].

فضلاً عمّا سبق فإن هناك عشرات الوثائق والتقارير العثمانية التي تتهم فيها الثوريين الأرمن، لقيامهم بالهجوم على السكان المسلمين، كما تقول، وخصوصاً الكُرد في شمال كُردستان، مما يدل فعلاً على أن الأرمن قاموا بانتفاضة كبيرة آنذاك، إلا أنها باءت بالفشل [110]، ومن جانبها، لم تبرىء السفارات، والقنصليات الأجنبية في الدولة العثمانية قطّ، تلك الأحزاب الأرمنية من محاولة خلق انتفاضة أرمنية، واستفزاز السكان المسلمين وقتلهم، لكي يلاقوا رداً قوياً من قبلهم، بحيث يتطلب دخول الدول الأوروبية لحل المسالة الأرمنية، كما حدث في المسألة البلغارية في سبعينيات القرن التاسع عشر[111].

2ـ مسؤولية الحكومة العثمانية

هذا من جانب الأرمن، أما فيما يخص الحكومة العثمانية فإن أغلب الدوائر السياسية الغربية، وكذلك الرأي العام العالمي، يكاد يتفق على أن المسؤولية الأولى لتلك الأزمة (المذابح)، التي اكتسحت أراضي الدولة العثمانية، في تسعينيات القرن التاسع عشر، فتقع على عاتق الدولة، التي أرادت من خلالها تطهير المنطقة من الأرمن، لأنها رأت فيهم عنصراً خائناً، كان يعمل منذ معاهدة برلين 1878، على استغلال الظروف، لفصل الأناضول الشرقية ـ شمال كُردستان ـ عن الدول العثمانية.

لقد شاركت الحكومة العثمانية، في قمع الأرمن وقتل وتشريد العديد منهم، وسخرت كل طاقاتها في سبيل ذلك، وشجعت الأهالي في تلك المناطق، على الانخراط في أعمال العنف، والسلب، والنهب، وأصدرت لهم الفتاوى بذلك؛ وطبقاً لرأي لبيسوس فإن المذابح كان قد بادر بها الباب العالي من القسطنطينية، وقد أكد على أن المذابح الأرمنية ليست إلا إجراءً إدارياً، جاء أمره من الحكومة العثمانية باسم السلطان، وقد نفّذه بإرادة صلبة الموظفون في المحافظات، وحسب رأي لبيسوس فإنّ السلطات العسكرية والمدنية، أدّت أدواراً تكميلية ومختلفة في المجازر، وأن السلطات العسكرية كانت مسؤولة عن توزيع الأسلحة على الكُرد والشركس غير النظاميين، وكذلك على السكان المسلمين الذين كانت الدولة بحاجة إليهم وضمن إطار المشاركة؛ فالحكومة العثمانية كانت تقوم بتحضير الجماعات المسلحة المسلمة لضرب الأرمن، وفي الوقت نفسه تقوم بتطمين الأرمن بأنه لا خطر عليهم؛ ثم تقوم الجماعات المسلمة المسلحة برفقة الجيش والشرطة بالانقضاض عليهم[112]. ومن جانبه ذكر نائب القنصل البريطاني، ورئيس المترجمين في السفارة البريطانية في استانبول فتزموريس (Fitzmaurice)، الذي كانت السفارة قد أرسلته لتقصي الحقائق، أن الأوامر التي جاءت من الباب العالي بعد تظاهرة القسطنطينية، فسّرها المسلمون هنا وفي أي مكان آخر على أنها إرادة سلطانية، ولا بُدّ من تنفيذ أوامر الشريعة الإسلامية[113]، وكثيراً ما ذكر المسؤولون الحكوميون في الدولة العثمانية أن أحسن أرمني هو الأرمني الميت[114].

إن القناصل الغربيين في جميع مناطق الأناضول رفعوا تقاريرهم بخصوص تلك الأحداث، وذكروا فيها أن السلطات المدنية والعسكرية في جميع المدن والأرياف قد شاركت في عمليات الذبح، والنهب، والسلب التي مورست بحق الأرمن[115].

صحيح أن اللجان الثورية الأرمنية، بادرت هي بالهجوم على العديد من مرافق الدولة أولاً، وقامت بعمليات استفزازية ضد المسلمين، إلا أن رد الحكومة العثمانية كان عنيفاً وقاسياً، ولم يكن يتناسب مع مستوى الانتفاضة، فقد قام المسؤولون الأتراك بإخبار الأميركي جورج هيبورث (George Hepworth) مراسل جريدة (هيرالد نيويورك)، أن الأرمن جلبوا الدمار لأنفسهم بسبب طموحهم نحو الاستقلال، ولكن عندما أقر هيبورث بأنه كان هناك (تحريض كبير)، فقد أشار أيضاً إلى الوحشية التي تفوق الوصف، من جراء قيام الأتراك بعمليات الثأر، والتي أنزلت العقاب بالبريء والمذنب[116].

وعلى هذا الأساس لا يمكن في جميع الأحوال تبرئة ساحة الحكومة في معظم الأحداث التي عصفت بالدولة العثمانية، عند وقوع الأزمة الأرمنية الأولى في مرحلتها الثانية. وهناك إشارات ودلائل عديدة تؤكد أن الحكومة العثمانية من جانبها قامت بالتخطيط للقضاء على الأرمن، أو على الأقل ترهيبهم لمغادرة أراضي الدولة العثمانية، وأنّ المسلمين (الأبطال) حسب تعبير شهود عيان، عندما فرغوا من أمر الأرمن في طرابزون، غادروها واتجهوا نحو بتليس وأرضروم، وبعد ذلك إلى ديار بكر، ومنها مثلاً إلى سيواس وهكذا دواليك، حتى لم يسلم منهم أي تجمع سكاني حتى الذي يضم في ثناياه الأرمن المسالمين من العامة[117]. وقد ذكر هذا الأمر العديد من الشهود الأرمن، فإذا ما كانت الحكومة العثمانية بريئة من كل ما حدث فلماذا لم تقم بمنع هؤلاء (الأبطال) من الذهاب من ولاية إلى أخرى طمعاً في قتل الأرمن، والاستيلاء على أموالهم؟

هناك أمر آخر يلفت الانتباه عند النظر بدقة إلى تلك الأحداث ألا وهو إطلاق صوت (البوق)، وخصوصاً في المدن أو الأقضية الكبيرة، كإشارة لبدء الهجوم على الأرمن فيها، كما حدث في بتليس، وأرضروم، و أرزنجان،

وخربوط، وعينتاب[118]. هنا يتساءل المرء منْ هي تلك الجهة التي أطلقت صوت البوق، الذي أكده العديد من شهود العيان؟ ولماذا تبدأ عمليات القتل، والهجوم على الأحياء الأرمنية، بعد سماعه مباشرةً؟ وإذا ما كان إطلاق صوت البوق سمع في مدينة واحدة فقط، يمكن الاستنتاج أن عصابة من المسلمين أخذتها كإشارة للهجوم على الأرمن، ولكن إذا تكرر ذلك في عدة مدن ومناطق، لا يمكن البتة إبعاد أصابع الاتهام عن الحكومة العثمانية، وإنها ابتكرت هذا الأسلوب، من أجل تنظيم المهاجمين، وإعطاء موافقة الحكومات المحلية بالهجوم على الأرمن المسالمين في بيوتهم، والذين ليس لهم أي علاقة بالثوار الأرمن التابعين للمنظمات والأحزاب الأرمنية. والأكثر من هذا كله فقد حدثت مذابح طرابزون وخربوط في باحة متصرفيتها[119]، كما أن هناك مصادر وإشارات أخرى عديدة ليس هنا مجال لذكرها تؤكد أن عمليات القتل، والسلب، والنهب، كانت تجري تحت إشراف، وبمشاركة الحكومات المحلية في الأناضول، سواء الداخلة في شمال كُردستان أو الخارجة عنها، وأنّ الوثائق البريطانية مليئة بالاتهامات التي تطاول الحكومة العثمانية بهذا الخصوص.

ففي مدينة ديار بكر مثلاً أكد نائب القنصل فيها هالورد (Hallward) في تقريره المرسل إلى القنصل كمبرباتش (Cumberbatch) في أرضروم بتاريخ 17/ 3/ 1896، أن المسلمين قاموا في هذه المدينة بقتل (1100) مسيحي، ساعدهم في ذلك عدد قليل من الكُرد من خارج المدينة؛ قاموا بنهب الأسواق أولاً، ثم حرقها، كما اقتحموا العديد من المنازل، ونهبها وقتل سكانها، وإن أغلبية هؤلاء القتلى جرى قتلهم داخل منازلهم. وقد استمرت أعمال النهب، والقتل الجماعي لمدة ثلاثة أيام، والسلطات لم تحرك ساكناً على الإطلاق، على حد قول هالورد، وكان للجنود والضباط دور فعال في الأحداث، حيث

كان الاعتقاد العام هو أن الأمر برمته، قام بتنظيمه (أنيس باشا) والي ديار بكر، بالاتفاق مع بعض المسلمين البارزين، أمثال جميل باشا الحاكم السابق لليمن، وعارف أفندي، وطلعت أفندي رئيس البلدية، وبكر أفندي[120].

وقد ألقى عبد الرزاق بدرخان[121]، من جهته باللوم على الأتراك والحكومة العثمانية؛ ففي سؤال وجهه له بيرتراند بارييل (Bertrand Bareilles)، مدرس اللغة الفرنسية في البلاط العثماني آنذاك، وكان مقرباً من عبد الرزاق بدرخان، عن سبب الأزمة؟ ودور الكُرد فيها؟ أوضح له عبد الرزاق بدرخان أن كل البلاد بعد إصدار أمر بإنهاء حكم جدي بدرخان بك في كُردستان دخلت في عهد من الفوضى وفقدان الأمن، ولن يستطيع الأتراك أن يفرضوا نفوذهم على الكُرد، كنفوذ شيوخهم عليهم، ومنذ ذلك الحين قاموا بضرب الكُرد بالأرمن وبالعكس، كما فعلوا في بلغاريا، وألبانيا، وصربيا، وفي اليونان، عندما حرضوا شعباً ضد آخر[122].

وفي أعقاب محاولة بعض الصحفيين الأجانب، أمثال الدكتور هيبورث مراسل جريدة (هيرالد نيويورك)، لتبرئة السلطان عبد الحميد الثاني، ووصف الصراع الذي دار في الأزمة الأرمنية على أنه صراع بين قوميتين، هم الكُرد الرُحل الذين هم (قطب السلب والنهب)، والتجار الأرمن الذين هم فريسة سهلة لهؤلاء الكُرد، نفى البطريرك الأرمني في استانبول (مغاكيا أورمانيان)، للسفير البريطاني فيليب كيوري ذلك، حيث أخبره في آذار 1898: «بأنه ليس هناك عداوة طبيعية بين العرقين، اللذين تمازجا بالدم، وعاشا جنباً إلى جنب لقرون عديدة؛ كان الاختلاف الحقيقي بين رجل الجبال، ورجل السهول، بغض النظر عن القومية، أما العداوة التي نشبت بينهما خلال السنين الماضية فكانت من عمل السلطات التركية»[123].

وقبل الخوض في تفاصيل مسؤولية الجهات الأخرى في الأزمة الأرمنية الأولى في مرحلتها الثانية، من المفيد هنا القول إن معظم الحوادث وقعت في أواخر عام 1895 وبداية عام 1896، وهناك بطبيعة الحال رواية عثمانية، وأخرى أرمنية، حول كلّ حادثة، مهما كانت صغيرة أو كبيرة، وهكذا نجد أن هناك روايتين مختلفتين، وهذا الأمر أيضاً قد حيّر حتى القناصل البريطانيين في كُردستان، رغم تحيزهم في تلك الآونة إلى جانب الأرمن، إلا أنهم كانوا يشيرون دوماً إلى الروايتين؛ ثم يُبدون آراءَهم الخاصة بشأنها؛ فمثلاً ذكر نائب القنصل البريطاني في خربوط فستانا (Fcntana)، في تقريره المؤرخ في 28/ 8/ 1896 الأحداث التي وقعت فيها، بالشكل الآتي:

«...إن التفسير الرسمي لسبب اندلاع الاضطراب هو أن أحد الحلاقين ويدعى ايهليجيان أوغلو سركيس(Ehlijian Oghlou Serkis) قطع حنجرة أحد الكُرد عندما كان يحلق له، ويزعم أن اسم ذلك الكُردي الذي قُتِل غير معروف، وقد قُتل هذا الحلاق (سركيس) خلال اندلاع أعمال الشغب، إلا أن الرواة [لا يبين القنصل من هم هؤلاء الرواة، إلا أنه على الأرجح هم من الأرمن] سخروا من هذه القصة، والذين أكدوا لي أن الاضطراب بدأ بسبب الأحداث التالية: كان هنالك (يازماجي) أو تاجر مواد تطريز يدوية يدعى (كارابيت)، وبينما كان يؤدي عمله في السوق اقترب منه أحد رجال الحراسة الليليين، وهو تركي يدعى (حجي يعقوب اوغلو)، طالباً إليه بعض الوشاحات بسعر معين، رفض (كارابيت) ذلك قائلاً: إنه سيخسر في هذه المساومة، ومع ذلك أصر الحارس على ذلك، وعندما جدد (كارابيت) رفضه سحب الحارس مسدسه صارخاً: أيها الكافر، هل ستصدر الأوامر لي، ثُمَّ أطلق عليه النار فأرداه قتيلا...»[124].

3ـ مسؤولية الدول الكبرى

فيما يخص دور الدول الكبرى في الأزمة الأرمنية باختصار فإن هناك من يلقي باللوم كله على بريطانيا، وأنها كانت وراء تأزم الوضع في آسيا الصغرى، كما فعلت في قبرص، ومصر، وجنوب شرق آسيا، وأفريقيا،وأنها في البداية قد اتبعت المبدأ القائل: «النظام في آسيا الصغرى يعني السلام في أوروبا»، في إشارة منها إلى الحفاظ على وحدة الإمبراطورية العثمانية، والدفاع عنها أمام الزحف الروسي، الذي بدأ يقترب شيئاً فشيئاً إلى وسط أوروبا، مما ولّد مخاوف كبيرة عند البريطانيين[125]. وفي بداية التسعينيات قربت بريطانيا المنظمات الأرمنية منها، وقامت بتمويلها ودعمها مادياً ومعنوياً، حتى خلقت الحجة في الأزمة الأرمنية في عام 1894، وأرادت التدخل عسكرياً، لولا معارضة كل من روسيا وفرنسا. ولم يكن هدف البريطانيين في هذا كله مصلحة الأرمن، وإنما كان هدفهم تشكيل دولة فاصلة بين روسيا وأطماعها في آسيا الصغرى والبحر المتوسط[126]. يقول كاتب في جريدة الصباح (Matin) الباريسية، في عددها الصادر 13/ 10/ 1895، إن: «بريطانيا حاولت وتحت ذريعة (النظام في الشرق يعني السلام في أوروبا)، وضع ستة ملايين ونصف المليون كُردي، تحت نير عبودية تسعمئة ألف أرمني، يسكنون في اثنتين وأربعين ولاية من آسيا الصغرى»[127]. وقد لاحظ اللورد جيمس برايس، وهو صديق كبير وقديم للأرمن أن معاهدة برلين واتفاقية قبرص ساهمتا سلباً في مأساة الأرمن، ولاحظ في عام 1896 بعد موجة المذابح الأرمنية: «لو لم تكن هنالك معاهدة برلين والاتفاقية الأنكلو ـ تركية لما تعرض الأرمن وبلا شك إلى الاضطهاد بشكل مستمر، كما اضطهدوا لقرون، ولكانوا تجنبوا عاصفة النار والمجاعة والمذبحة التي حلت بهم عام 1895... فقبل معاهدة برلين لم يُضْمر السلطان العداء للأرمن، ولم يَكن عند الشعب الأرمني أي تطلعات

سياسية؛ ثم وضعت شروط فيما بعد من أجل حمايتهم، مما جعلهم لأول مرة يقعون في دائرة الشك والكراهية، وذلك ما بعث في نفوسهم العمل للخلاص الذي زاد التعبير عنه من كره حكامهم لهم، وقد علمتهم الاتفاقية التركية الإنكليزية النظر إلى انكلترا، فزاد تدخل هذه الأخيرة من مرارة الأتراك»[128].

وكان هناك اتجاه آخر يلوم روسيا على أنها هي الأخرى في البداية، وطوال عقد الثمانينيات عملت على دعم الأرمن وفي مرات عديدة عسكرياً أيضاً، لخلق توتر في المنطقة، ثم ما لبثت أن غيرت من سياستها، بعد أن تغيرت السياسية الدولية آنذاك ـ كما مر بنا ـ فقامت بمحاربة كل ما هو أرمني منذ عام 1893، واستمر ذلك إلى العام 1908، حتى إن الأرمن اعتادوا على إطلاق تسمية (روسيا الغادرة)، بعد الأزمة الأرمنية 1894 ـ 1896 لأنها وقفت أمام بريطانيا لحل هذه الأزمة، وحاربت الثوار الأرمن منذ عام 1896 إلى عام 1908[129]. وقد قال أحد الأرمن بعد الأزمة إن: «الأتراك أخذوا أجسادنا، وإن الروس أخذوا أرواحنا»[130]. ويلقي الصحفي والطبيب اي.جاي.ديلون (E. J.Dillon) في عمله (أرمينيا) الذي هو عبارة عما توصل إليه أثناء مشاهداته في كُردستان، عندما كانت الأزمة الأرمنية في أوجها، باللوم بشكل كبير حول روسيا القيصرية، ويذكر أنها كانت وراء تأجيج الصراع في شمال كُردستان. ويورد المثال التالي حول سياستها في المنطقة، ليبين من خلالها، كيف أن المسألة برمتها ليست مسألة صراع بين الأرمن والكُرد، يقول ديلون: «ما الذي يمنعك من الذهاب إلى المدرسة هذا الصباح يا جورج؟ سألت إحدى الأمهات اللطيفات ولدها المتمرد في أحد صباحات الصيف الجميلة، أجابها الولد: إنه الطين يا أمي، أجابت الطين؟! إنك تحلم يا ولدي، فالشوارع نظيفة تماماً، فأين الطين؟ فأجابها: إنه عميق جداً بحيث لا يمكن اكتشافه»[131].

وعند النظر بشكل أعمق، في تفاصيل السياسة الدولية تجاه المسألة

الأرمنية ـ والتي لا يسع المجال هنا إلى الخوض فيها أكثر مما سبق ـ يظهر أن العملية كانت أكبر بكثير من كونها صراعاً بين الكُرد والأرمن؛ أو هي حركة قومية أرمنية ضد سلطان الدولة العثمانية، وأنّ المنطقة بمجملها قد دخلت في دائرة الصراع الدولي من أجل النفوذ والسيطرة، لذلك فإن المسؤولية البريطانية والروسية ليست بأقل شأناً من المسؤولية التركية حول ما آلت إليه الأوضاع في كُردستان خلال الأزمة الأرمنية 1894 ـ 1896، بل لا يبتعد عن الحقيقة من يتصور باحثاً كان أو قارئاً، عند الخوض في تفاصيل هذا الصراع الاستعماري، بأنه ليس للكُرد، ولا للأرمن دور في تلك الأزمة، بل كانت تلك الأزمة برمتها فصلاً من فصول الصراع الاستعماري على مناطق النفوذ في آسيا، وكان ضحيتها الأرمن بدرجة كبيرة، والكُرد بدرجة أقل.

4 ـ المسؤولية الكُردية

أما بخصوص دور القوميات، التي كانت تسكن مع الأرمن في الأناضول، فتأتي أسماء كل من الكُرد، والشركس، واللاز، والعرب، ولكن بطبيعة الحال، يرد اسم الكُرد أكثر من جميع القوميات الأخرى، وذلك لأنّ الكثافة السكانية للأرمن هي الأعلى في شمال كُردستان مقارنة مع أي مناطق أخرى، وفي الولايات الست التي يطلق عليها اسم (أرمينيا الغربية)، لذلك فإن أغلب الحوادث وقعت في شمال كُردستان، فما حقيقة اتهام تلك القوميات بأنها تتحمل جزءاً من المسؤولية؟ وهل فعلاً أنها تتحمل المسؤولية؟ وما هي التحقيقات الحيادية التي يمكن الأخذ بها، والاستناد إليها في بيان دور هذه القوميات؟بخصوص المرحلة الثانية من الأزمة الأولى فقد ورد اسم الكُرد في أغلب مناطق كُردستان، باعتبار أن الكُرد والأرمن كانوا يعيشون معاً، ويأتي اسم الشركس في كل الوقائع التي حدثت في الأناضول، أما اسم اللاز فيأتي

بكثرة في أحداث طرابزون وأرضروم، وأما اسم العرب فيأتي في وقائع ولاية حلب وأورفا وماراش[132].

لا يتسع المجال هنا للدخول في تفاصيل دور هذه القوميات في الأزمة الأرمنية الثانية، إلا أن هناك ملاحظة مهمة قد ذكرها لوبوسيس، وهي أن: «القيادة العامة للمذابح كانت بيد اللاجئين المسلمين، الذين هربوا من العنف، الذي كان يمارسه المسيحيون عليهم في القوقاز، وخصوصاً الروس»[133]. إن هذه الملاحظة جديرة بالاهتمام، وذلك لأن أتباع تلك القوميات وخصوصاً (الشركس، واللاز) كانوا قد هاجروا من موطنهم الأصلي، هرباً من المسيحيين الروس، الذين استولوا على أراضيهم في أواسط القرن التاسع عشر، وعند هجرتهم إلى أراضي الدولة العثمانية قامت الأخيرة بإسكانهم في أغلب مناطق الأناضول بالقرب من التجمعات المسيحية، ولا يمكن الجزم بأن هذا الأمر كان مخططاً له آنذاك، ولكن لا ينفي أن هذه القوميات قد بادرت إلى الانتقام من كل ما هو مسيحي في الدولة العثمانية، متى سنحت لهم الفرصة بذلك. ولا يخفى على أحد أنه لم تمضِ مدة ثلاثين عاماً على استيطان الشركس في كُردستان حتى جاء ذكرهم في معاهدة برلين، بجانب اسم الكُرد، كما مر بنا سابقاً.

بخصوص الكُرد فقد ورد اسمهم في أغلب تقارير القنصليات البريطانية آنذاك، وذُكروا دائماً مع اسم الجنود الأتراك، أو الأتراك والكُرد، أو المسلمين والكُرد[134]، فهل هذا يعني أن الكُرد كانوا قد شاركوا فعلاً بوصفهم قومية واحدة متلاحمة في تلك الأحداث إلى جانب السلطان، والحكومة العثمانية؟ أم أن السلطان أفتى لهم بذلك فعدوا ذلك أي: اتباع أوامر السلطان وتنفيذها بمثابة نوع من العبادة؟ وإذا ما شارك الكُرد فيها فما هي الدوافع الحقيقية لهذه المشاركة؟ فهل هي دينية؛ أم سياسية؛ أم اقتصادية؟ ثم أين يكمن الدور الحقيقي للفرسان الحميدية في تلك الأزمة، التي سميت في المصادر الغربية، ظلماً بـ(المذابح الحميدية؟).

يمكن تقسيم الكُرد إلى قسمين، بخصوص مشاركتهم في تلك المرحلة الثانية:

القسم الأول، وهم القلة التي شاركت فيها، وأغلبهم كانوا من العشائر الرحالة، ولكن يلاحظ على سلوك هذا القسم أيضاً أنهم شاركوا في عمليات السلب والنهب، نظراً للظروف الاقتصادية الصعبة التي كانت تمر بها كُردستان، ولكنهم أيضاً كانوا بعيدين عن عمليات القتل، وهذا أيضاً لا ينفي أنه وقعت حوادث قتل في منطقة أو أخرى.

أما القسم الثاني، وهم تقريباً معظم الشعب الكُردي، في شمال كُردستان، وهي الفئة المعبرة عن الأخلاق والصفات الكُردية؛ هؤلاء لم يشاركوا في تلك الأحداث، بل أثبتت التجارب للأرمن في أزمتهم المشهورة، أن الصديق الوحيد للأرمن كانوا هم الكُرد، وأنهم ـ أي: الكُرد ـ وحدهم من عمل على إنقاذهم من بين جميع الشعوب الأخرى في المنطقة. ومن الغريب، وعكس ما هو متداول في المصادر الأرمنية والغربية فإنه يدخل ضمن هذه الفئة جانب كبير من الفرسان الحميدية، وسيأتي الحديث عن ذلك لاحقاً.

فيما يخص الفئة الأولى من الكُرد فإن أبرز الدوافع التي أدت بها إلى الاشتراك في الأزمة كان دافع الانتقام، لأنّ العشائر الكُردية الرحالة قد تأثرت بأعمال اللجان الثورية الأرمنية البشعة، لذلك عمدت إلى الانتقام، كلما سنحت الفرصة بذلك، ومن بينها على سبيل المثال عشيرة (البكران، والرشكوتان) في ولاية ديار بكر وبتليس، فقد تم التثبت، من خلال تحقيق لجنة القناصل في أحداث ساسون، من أن هذه العشائر وأثناء رحلاتها في أراضٍ تابعة للقرى الأرمنية قد تعرضت للهجوم خصوصاً في بداية التسعينيات وحتى حدوث الأزمة الأرمنية، لذلك كان من الطبيعي أن تعمد تلك العشائر إلى الدفاع عن نفسها، وتخويف الأرمن حتى وإن كان ذلك عن طريق الانتقام منهم وذلك

بنهبهم وسلبهم أو قتلهم، خصوصاً إذا ما علمنا أن الثأر وعدم التنازل عنه، أو نسيانه كان من إحدى أهم الصفات الاجتماعية لدى الكُرد آنذاك.

ومما يدخل في نطاق دافع الانتقام أيضاً هو كون أن أغلب هجمات الثوار الأرمن في التسعينيات، بل وفي أثناء الأزمة الأرمنية كانت ضد الكُرد، وليس ضد الجيش العثماني، إلا في حالات قليلة جداً، حتى في استانبول نفسها. فقد جاء في تقرير لجنة التحقيق في تظاهرة الباب العالي، ما يلي عن هجمات الأرمن على الكُرد في تلك المدينة البعيدة عن كُردستان: «... إن الحادث الذي جرى في بيت حجي حسن، في [حي] قاسم باشا حرّض عليه... خمسون أرمنياً، قاموا بإطلاق عيارات نارية من نوافذ دورهم، وقاموا برمي مصابيح نفطية على الكُرد، الذين كانوا جالسين في المقهى في الجهة المقابلة، وإن أحد هؤلاء الكُرد أصيب بجروح خطيرة، وقُتل آخر، وهكذا بدأ القتال بين الكُرد والأرمن، والنتيجة هي قتل عشرة من الجانبين...»[135]، ففي أغلب حوادث القتل يظهر بأنّ اللجان الثورية الأرمنية هي من كانت وراء ذلك، وهي التي أشعلت فتيلها وبدأتها.

كما حدثت أثناء الأزمة كذلك، مثل هذه الأفعال؛ فمثلاً في رسالة من القنصل العام في كُردستان (كمبرباتش)، إلى السير فيليب كيوري بتاريخ 11/ 10/ 1895، أي في بدايات المرحلة الثانية من الأزمة الأرمنية الأولى يتحدث القنصل فيها عن هجمات الكُرد في أرضروم، والأقضية التابعة لها؛ ثم يذكر أنه حصل على رسالة باللغة التركية، وبعد ترجمتها إلى الإنكليزية، تبين له أنها رسالة تهديد من بعض الكُرد، في منطقة خينس إلى الأرمن، وكانت الرسالة تحمل تاريخ (6 تشرين الأول/ أكتوبر 1895). وفيما يلي نص الرسالة التي كتبها الكُرد إلى الأرمن في تلك المناطق، والتي ستبين الشيء الكثير:

رسالة من الشيوخ الكُرد إلى القرويين الأرمن

إلى الأرمن في قرى خليل شاويش وكاكيك: «لقد سببتم قبل عدة أيام باختفاء شيخنا حيدر أفندي، وإذا لم يُعثر عليه فإنكم جميعاً سوف تكونون على حد السيف، يجب أن تعرفوا ذلك جيداً، ونحن نكتب إليكم باسم كل عشائرنا، الأختام (محمد، علي، قادر، ميتو)»[136].

وفي أثناء العمليات التي حدثت في ديار بكر ذكرت تقارير القنصلية البريطانية أن بعض الأشخاص قاموا بإثارة المسلمين فيها للهجوم على الأرمن، ومنهم على سبيل المثال جميل باشا[137]، ورغم أنه كان كُردياً في الأصل إلا أنه يحسب على الإدارة العثمانية هناك، وقد كان والياً سابقاً لليمن، أما لماذا فعل هذا الأمر؟ ربما يرجع ذلك إلى أنه لم يكن يميل إلى الأرمن، الذين كانوا السبب في بداية الثمانينيات بعزله من منصبه، عندما كان والياً على سيرت، كما نفي أكثر من مئة رئيس عشيرة كُردية كما مر بنا سابقاً في منطقة ديار بكر وحدها، في مرحلة الإصلاحات الأرمنية الأولى (1879 ـ 1881)، فلا بد من أن هؤلاء كانوا يضمرون العداء للأرمن[138].

وفي ديار بكر أيضاً اتّهم أحمد ثريا بدرخان، في تقريره المقدم إلى مؤتمر الصلح ـ السابق الذكر ـ الأرمن بأنهم من قاموا أولاً بالهجوم على الكُرد، حيث يقول ما نصه : «في ديار بكر قام الأرمن في 31/ 10/ 1895 بمهاجمة السكان الكُرد في الجامع، وقتلوا منهم (40) شخصاً، لذلك قام الكُرد بالرد على ذلك، وادّعى الأرمن بأن الكُرد قاموا بذبحهم من دون أي ذنب»[139].

في حركة وان التي اندلعت وقائعها في حزيران/ يونيو 1896، تؤكد التقارير العثمانية، وكذلك تقارير القنصليات الأجنبية فيها أن (الثوار) الأرمن هم من بدأوا الهجوم على الكُرد فيها مرات عديدة، ووصل الأمر حدّ التمثيل بجثثهم، وإلا لماذا نسقت القنصليات الأجنبية مع الحكومة المحلية

في وان، عملية الهجوم على الحي الأرمني هناك. ففي رسالة من الميجور ويليامز(Williams) إلى السير فيليب كيوري، بتاريخ 27 آذار/ مارس 1896، يؤكد فيها أنه كانت هناك حالتان هاجم فيها الثوريون الأرمن الكُرد في وان، في الحالة الأولى: قتل الأرمن ثلاثة من الكُرد، وجرحوا اثنين آخرين، وفي الحالة الثانية: قتل الأرمن فيها اثنين أو ثلاثة من الكُرد، ويضيف الميجور ويليامز قائلاً: «يقال: إن الجثث [أي: جثث الكُرد] في كلتا الحالتين مثّل بها بشكل مفزع»[140]؛ وأيضاً من الأعمال المؤثرة جداً قيام الأرمن بقتل سليمان آغا، ومحمد آغا، واللذين يعدان من أبرز آغوات عشيرة حيدران الكُردية في وان[141]. وفي زيتون قام الأرمن بقتل جميع الأسرى الكُرد، الذين كانوا قد قبضوا عليهم، عندما كانوا يمرون في مناطقهم، أو من الذين اشتركوا مع القوات التركية في الهجوم على زيتون[142]، كما ذكر القنصل الروسي في بتليس في عام 1912، عندما تطرق في تقريره المطول إلى المسألة الأرمنية أن اللجان الثورية الأرمنية كانت هي السبب في خلق العداوة بين الكُرد والأرمن في عام 1895 ـ 1896[143].

جاء اسم ضابط الحميدية موستيكو(Mostigo) الكُردي على أنه كان الأشرس في محاربة الأرمن في ولاية أرضروم وبتليس، وقام بعمليات عديدة ضدهم، ولكن عملياته تلك وكما بيّنها موستيكو للطبيب ديلون لم تكن تخرج عن إطار السلب والنهب، وأنه نادراً ما قتل أحداً وإنّما يكون ذلك في حالة إذا ما جوبه بمقاومة من الأرمن، يقول موستيكو: «إن الأتراك يكرهونهم [أي: الأرمن] ونحن لا نكرههم، فما نريده ليس سوى المال والغنائم، وبعض الكُرد يريدون أراضيهم، أما الأتراك فيريدون حياتهم...» [144].

تُعتبر ذكريات سعد الدين باشا، الذي ترأس إحدى اللجان العثمانية، لتقصي الحقائق، ولتهدئة الأهالي في شمال كُردستان، والذي كلف أيضاً،

بقيادة القوات العثمانية في وان، للقضاء على التمرد الأرمني فيها، من أبرز المصادر الحيادية التي تناولت الأزمة الأرمنية في شمال كُردستان في عام 1896، وقد التقى مع الكُرد والأرمن، وشخصيات من الإدارة المدنية، والعسكرية العثمانية هناك، وقد كشفت لقاءاته تلك، التي دونها بنفسه، عن ملاحظات دقيقة، كان لها أبرز الأثر في تلك الأزمة؛ في ذكرياته تلك لم يبرئ سعد الدين باشا أحداً سوى السلطان عبد الحميد الثاني، فيما آلت إليه الأوضاع أخيراً، ولكنه يلقي باللوم على الثوريين الأرمن، والجيش العثماني في شمال كُردستان، في استمرار تلك الأزمة.

لقد أدت عدة عوامل بنظر سعد الدين باشا إلى تفاقم الأوضاع في شمال كُردستان، منها:

1 ـ الأزمة الاقتصادية.

2 ـ الثوريون الأرمن، والانتقام الكُردي.

3 ـ السلطة العسكرية العثمانية الفاسدة.

فعن العامل الأول (الأزمة الاقتصادية)، والتي تغفلها جملة من المصادر، وردت إشارات عديدة في ذكريات سعد الدين باشا، وبالاستناد إليها يمكن الاستنتاج أن عمليات السلب والنهب كانت من إحدى نتائج هذه الأوضاع الزريّة، وفي أدناه بعض الأمثلة التي ذكرها سعد الدين باشا، عندما كان يجول في شمال كُردستان:

مدينة اخلاط في 28 كانون الثاني/ يناير 1896 ذكر احد أحياء اخلاط بالوصف التالي: «ويوجد هنا حوالى خمسة إلى ستة من بيوت الأرمن، والمسلمين وهم فقراء جداً، ويسكن في هذه المحلة (الخامسة) أكثر من (900) بيت، وقد دعوت الأهالي المسلمين ـ جلهم من الكُرد ـ لأبدي لهم النصائح، وقد ادّعوا بأنهم مظلومون، وليسوا بظالمين، حتى إنهم قالوا إن

حسين باشا قد استولى على كثير من أغنامهم وثيرانهم»[145] ـ سيأتي الحديث عن حسين باشا لاحقاً ـ هنا يظهر بأن وضع الكُرد لم يكن بأقل هولاً وسوءاً من أوضاع الأرمن في تلك المناطق.

يُدوّن سعد الدين باشا، مشهداً آخر في أخلاط، في 28 كانون الثاني/ يناير 1896 قائلاً: «وبعد خروجي[من أحد الأضرحة] كان يتواجد في الخارج أربعة إلى خمسة من المتسولين، ينتظرونني، وبعد أن أعطيتهم الصدقات، أتى مسرعاً كل من شاهد ذلك، وبعد أن حاولت ونويت أن أعطي لأولئك عدداً من القروش، حتى وجدت نفسي محاطاً بعدد كبير من المتسولين كالغمامة السوداء، وقد ضايقوني كثيراً إلى الحد الذي كاد أن يقطعونني، وهربت منهم بصعوبة، بمساعدة العساكر الذين كانوا معي»[146]. ويقول سعد الدين باشا في يوم الخميس 30 كانون الثاني/ يناير 1896، وبعد خروجي من أخلاط ووصولي إلى قائمقامية عادل جواز: «كانت في استقبالنا وحدات من الحميدية ووحدات الميري [أي: الحكومية]، مع القائمقام والضباط على ظهر الخيول، وبعد أن عبرنا هذه المنطقة شاهدت الأهالي مجتمعين، ظناً مني أنهم خرجوا لاستقبالنا، ولكن تبين أنهم آلاف من الشحاذين، كانوا قد خرجوا على أمل أن يحصلوا على بعض النقود منا»[147].

ويذكر سعد الدين باشا عشرات الأمثلة الأخرى عن الوضع الاقتصادي الصعب في معظم المدن الكُردية التي زارها في شمال كُردستان، والتي بيَّن فيها أن الأوضاع كانت مهيأة تماماً، ليس فقط لعمليات السلب والنهب، بل لعمليات القتل أيضاً، فقط من أجل الحصول على لقمة العيش. وقد ذكر سعد الدين باشا نفسه أنه كاد أن يقتل على يد عدد كبير من المتسولين في إحدى ضواحي أخلاط لا لشيء وإنما من أجل الحصول على المال ولقمة العيش، لذلك فبمجرد قيام الثوار الأرمن بعملية ما، وإفتاء الحكومة العثمانية لهم بهدر

مال الأرمني ودمه، الذي يعد أغنى عنصر حتى تلك اللحظة، ربما من الصعب جداً على أي شخص السيطرة بعد ذلك على جموع هؤلاء الجياع؛ وقد أكد العديد من الكُرد، سواء أكان ذلك للساسة الأوروبيين، أم للجان التحقيق العثمانية على أنهم حصلوا على فرمان سلطاني بهذا الخصوص[148]، وقد ذكروا هذا الأمر لسعد الدين باشا أيضاً[149].

اعتبرت وزارة الخارجية الفرنسية، بناءً على تقارير ساستها وقناصلها في الدولة العثمانية، أن هذا السبب يعد من أهم الأسباب التي أدت إلى انتشار الأزمة الأرمنية في معظم مناطق الأناضول، حيث كان للجوع وللبطالة المتفشية في المنطقة أبلغ الأثر في تلك الأحداث[150].

أما العامل الثاني (الثوريون الأرمن، والانتقام الكُردي)، فإن ذكريات سعد الدين باشا مليئة بشواهد وموضوعات من هذا القبيل، فقد تبين له أن أغلب الأعمال الكُردية ضد الأرمن كانت رد فعل على قيام اللجان الثورية الأرمنية بعمليات وحشية ضد هؤلاء الكُرد:

يذكر سعد الدين باشا أنه في قائمقامية عادل جواز، اجتمع في تاريخ 31 كانون الثاني/ يناير 1896، مع عدد من الشخصيات الكُردية، وألقى عليهم كلمة بمناسبة عيد ميلاد السلطان عبد الحميد[151]، وقد كان من بين الحضور الأخ الأكبر لحسين باشا رئيس عشيرة الحيدران (سلطان بك)، وقد كان قائداً في الحميدية أيضاً، وفي أثناء النقاش ذكر سعد الدين باشا أن سلطان بك امتعض من أقواله التي ذكر فيها أنه لا يجب مقاتلة الأرمن، فأجابه سلطان بك بأن هؤلاء الأرمن يدخلون عن طريق إيران إلى داخل أراضي العشائر الكُردية، وقد عملوا على قتل العديد من الكُرد، لذلك لم نستطع السكوت على اعتداءاتهم، وبعد أن أفتت الحكومة العثمانية لنا قمنا بالرد عليهم، واستطعنا الحصول على الغنائم منهم[152].

وربما أن المقابلة التي عقدها سعد الدين باشا مع مجموعة من الأرمن في وان، بتاريخ 19 آذار/ مارس 1896، هي خير دليل على أن اللجان الأرمنية كانت هي البادئة في الهجمات على العشائر الكُردية؛ ثم تلقت رداً عنيفاً نتيجة ذلك. وفحوى هذه المقابلة هي أن نحو (400) شخص من الأرمن طلبوا من سعد الدين باشا إعادتهم إلى قراهم التي احتلتها بعض العشائر الكُردية، وإخراج الكُرد من المنطقة كلها، وفيها يرد سعد الدين باشا على هؤلاء الأرمن بأن الكُرد لم يحتلوا قراهم إلا بعد قيامهم بقتل (14) كُردياً، كان من بينهم أربعة أفراد من الشخصيات المهمة لديهم[153].

هناك حوادث عديدة ذكرها سعد الدين باشا في هذا المجال، ولكن يكفي القول هنا إن السبب الرئيسي لاندلاع الأزمة الأرمنية الأولى في مرحلتها الثانية كانت اللجان الثورية الأرمنية؛ فسعد الدين باشا لم يكن كُردياً، ولكنه قد تفطن إلى سبب العديد من الحوادث التي جرت هنا وهناك، وأن الكُرد إذا ما شاركوا في تلك الأحداث فإنّ ذلك يرجع إلى الانتقام أو الرد على ما قامت به تلك اللجان الثورية الأرمنية، وفي أغلب المرات كان أعضاء تلك اللجان ينسحبون ويفرّون دون أن يتم اللحاق بهم، فتدفع ضريبتهم تلك القرية التي آوتهم.

كما كانت الحكومة العثمانية تستغل هذه الظروف في مرات كثيرة، للتأثير على الكُرد للقيام بهجمات ضد الأرمن؛ فمثلاً يتحدث سعد الدين باشا أنه اجتمع في 6 أيار/ مايو 1896، مع مجموعة من رؤساء وقادة الكُرد، ليبدي لهم النصائح في منطقة نوردوز، وكان من بينهم كوليهان بك، والشيخ أحمد أفندي، وسليم البايزيدي، وبعدما تأسفوا على ما آلت إليه الأوضاع في المنطقة، قال له رئيس عشيرة ماكوي: «سيدي، في كل يوم تأتي إلينا مضبطة ـ حكومية ـ كما أن أشراف وان يبعثون إلينا برجالهم بهدف إثارتنا ضد الأرمن، ويقولون لنا: كيف تشعرون؟ ألا ترون هؤلاء الأرمن النجساء؟ [يقصد أفعالهم

العدوانية] أنتم من جانبكم اعتدوا على قراهم واقتلوهم...نحن أيضاً لا نعلم شيئاً، نقوم بتصديقهم ونقوم بمثل هذه الأعمال غير الشرعية»[154].

أما العامل الثالث الذي أشار إليه سعد الدين باشا المؤثر في الأزمة الأرمنية فهو (السلطة العسكرية العثمانية الفاسدة)، حيث أشار في ذكرياته إلى عشرات المواقف، قام بها العسكر بالسلب والنهب وقتل الأرمن دون سبب أو أوامر بذلك، حتى إنه ذكر في إحدى المرات أنه يشعر بالحرج من الناس في أن هؤلاء يمثلون جيش الإمبراطورية العثمانية. وفيما يلي بعض الأمثلة عن تصرفات الجيش العثماني في شمال كُردستان:

في يوم 10/ 3/ 1896 يروي سعد الدين هذه الحادثة التي وقعت في وان: «اليوم في السوق سرق أحد أفراد المدفعية نابض بندقية من أحد دكاكين الأرمن وولى هارباً، وفي بعض الأزقة أيضاً، كان بعض العساكر يأخذون الشال من رقاب الأرمن، ويستولون على الحاجيات التي بحوزتهم، وعندما كان العساكر يتدفقون إلى السوق كان الأرمن يغلقون متاجرهم على وجه السرعة ويهربون...واشتكى بسكوباس [رجل دين الأرمن] من تصرفات العسكر، حتى قال لي: بأن العساكر عندما يصادفون الأرمن فإنهم يبصقون في وجوههم»[155].

ويقول في موضع آخر عن العسكر في وان: «إذا وقعت حادثة في وان فإن الجنود والضباط لا يحسنون فعل شيء سوى القيام بإعمال السلب والنهب، وإنني على ثقة تامة بأنهم سوف لا يبذلون أي جهد، ولن يطيعوا أمر الباشا القائد، أما رائد الكتيبة في القلعة الرئيسة ـ في وان ـ فإنه يقوم ببيع المواد الغذائية المخصصة للجنود، كما أنه يضم إلى راتبه ما يقارب (40000) قرشٍ من المبالغ المخصصة لوقود الجيش ويأمر الجنود بأن يتدفأوا بفضلات الحيوانات، وقد كتب لي رئيس عشيرة مارزكي [الكُردية] مع قائمقامهم السيد

شريف طلباً بعدم إرسال هؤلاء الجنود إلى مناطقهم، وأن القرويين يقولون لنا:(رجاءً لا ترسلوهم) بل يتوسلون لكي لا نفعل ذلك، كما أوصى القنصل الإنكليزي بعدم ترحيل أو إرسال هؤلاء الجنود إلى أي مكان؛ وكان من المقرر أن نضع فرقة من الجندرمة، على الطريق ما بين كوتور ووان، وبالتحديد في قرية قاشقولا وقرية قوجكرا وهي تابعة لعشيرة تاكوري، وذكرت هذا الأمر في لقاءاتنا مع رؤساء العشائر هناك، إلا أن رئيس عشيرة ميلان [الكُردية] هز بكتفيه ورأسه وضحك...وقال المسلمون غير مرتاحين منهم، وكذلك الأرمن، وإن الجندرمة غير مرحب بهم بيننا، لأن هؤلاء الجندرمة يلبسون الملابس الرسمية ويحملون بنادق الدولة، إلا أنهم في الحقيقة فرق من قطاع الطرق...»[156].

كما صرح سكان بعض القرى الأرمنية الذين يسكنون بالقرب من وان لسعد الدين باشا بأن الجندرمة يأتون إلى قرانا ينامون فيها، ويأكلون ويشربون، ولا يدفعون مقابل ذلك أي شيء[157]، وقد اعترف العسكر لسعد الدين باشا بأنهم يقومون بهذه الأفعال ضد الأرمن، لأن رواتبهم لا تكفيهم[158].

فضلاً عن ذلك فقد ذكر سعد الدين باشا عشرات الأمثلة الأخرى عن فساد العسكر في شمال كُردستان، وأنه بات على قناعة تامة بأن العسكر لا يقومون بشيء سوى عمليات السلب والنهب والقتل، إذا ما وقعت أي حادثة في أي منطقة في شمال كُردستان، حتى أنّ الكُرد والأرمن قد نفروا منهم. وفي المثال السابق ذكر آغا عشيرة ميلان أن السبب الرئيسي لتفاقم الأوضاع سوءاً هم هؤلاء العسكر وأن الجميع لا يرغب فيهم ولا يرتاح إليهم في كُردستان سواء من الكُرد أو الأرمن.

هذا فيما يخص العوامل، التي أدت ببعض العشائر الكُردية، إلى الاشتراك في تلك الحوادث، إلا أنه ثبت بعد ذلك، أن الغالبية العظمى من الكُرد لم

يشتركوا في تلك الأحداث، بل على العكس من ذلك قاموا بحماية الأرمن كلٌ في منطقته، حيث لم ترد في أي من المصادر أن أحداً غير الكُرد قد قام بإنقاذ الأرمن، ولكن ظهرت في الآونة الأخيرة بعض الدلائل والوثائق التي تشير إلى أن العنصر الوحيد الذي هب لإنقاذ الأرمن في أثناء الأزمة الأرمنية هم الكُرد والعديد من آغواتهم وبكواتهم، الذين كثيراً ما وصفوا على أنهم إقطاعيون، وكانوا بلا رحمة، وأنهم مجرمون وقطاعو طرق، ومهنتهم الرئيسة هي السلب والنهب؛ فلم ينقذهم الجيش العثماني، الذي يعد المسؤول المباشر عن حمايتهم، ولا السلطات المدنية التي ثبُت أنها وراء العديد من حوادث القتل والنهب التي لحقت بالأرمن آنذاك، ولا الشركس أو اللاز الذين قاموا بعمليات انتقامية ضد الأرمن، وكذلك ليس الأتراك كشعب، الذين بطبيعة الحال، كرهوا وبغضوا كل ما هو أرمني منذ معاهدة برلين عام 1878.

ففي ماردين مثلاً: عندما اقترب الجنود الأتراك، قام المبشر ب.دانييل (P.Daniel) العامل في الإرسالية الكاثوليكية الفرنسية بالاتصال بأحد الشيوخ الكُرد في ماردين، الذي كانت تربطه به علاقة قوية، بالعمل على تنسيق الجهود لحفظ المدينة، لذلك أخذ هذا الشيخ وأتباعه من الكُرد على عاتقهم حفظ المدينة، ودافعوا عنها بكل قوتهم. ويقال إن الأرمن فيها، والمهاجرين إليها من القرى المجاورة لم يشعروا بهذه السعادة، كتلك التي شعروا بها عند دفاع هذا الشيخ الكُردي عن الأرمن فيها، وفي أعقاب انتهاء الأحداث طلب المبشر الفرنسي دانييل من السلطات الفرنسية تكريم هذا الشيخ الكُردي، وفعلاً منحت له ميدالية تذكارية لعمله الكبير في إنقاذ الأرمن فيها[159]. كما ذكر أحد الشهود العيان أن ماردين فعلاً أنقذتها عشائر كُردية قوية، كانت تكنُّ كل الاحترام للإرساليات التبشيرية فيها، التي نسقت معهم في هذا الشأن، ويأتي اسم العشيرتان المشكاوية والماندالكانية، على أنهما حافظتا على

أرواح الأرمن فيها[160]. يقول أحمد ثريا بدرخان في هذا الشأن: «عندما أراد بعض الجنود التسلل إلى ماردين، لغرض ذبح الأرمن فإن (درويش آغا) - وهو رجل كُردي وشيخ عشيرة داشي - جاء ودافع عن أبواب المدينة، وقد أنقذ الأرمن، ولذلك حصل على وسام الشرف الفرنسي. وفي الحقيقة إن الأرمن في قرية كوتلي أنقذهم أحد الكُرد وهو (غازي آغا) رئيس كورسس (Gourses) وهذا أيضاً كُردي آخر، وهو أحد أحفاد الأمراء في بتليس، وشيخ هازروا شفاء الدين باشا الذي اعتقلته فيما بعد جمعية الاتحاد والترقي، الذي استقبل عنده (300) عائلة أرمنية، وأخيراً فإننا ندافع عن ذلك أمام العالم أجمع بأن الكُرد لم يذبحوا الأرمن على الإطلاق، وإنما كل ما قاموا به هو الدفاع عن أنفسهم، وذلك بسلاح اليد ضد الهجمات الأرمنية»[161].

هنا لا بد من الإشارة إلى أن الانحياز البريطاني للأرمن يظهر بشكل جلي في هذه الحادثة؛ ففي رسالة من نائب القنصل البريطاني في ديار بكر بتاريخ 17 آذار/ مارس 1896 إلى القنصل العام في كُردستان كمبرباتش، تناول فيها هذه الحادثة بالصورة التالية: «...أما ماردين فهاجمها الكُرد، إلا أن المسيحيين والمسلمين اتحدوا للدفاع عن المدينة وصدوا الكُرد، ومع ذلك تمكنوا من حرق قريتين كبيرتين وهما كوللي وتيلارمان اللتان تحتويان على (500) و(400) منـزل على التوالي بينما هرب سكانهما إلى ماردين»[162].

ويلاحظ في رسالة القنصل البريطاني أنه ذكر اسم العنصر المهاجم على ماردين ألا وهم الكُرد، ولكن هؤلاء وباتفاق جميع المصادر والشهود، هم من دافعوا عن المدينة وأنقذوها، إلا أن القنصل البريطاني لا يذكر اسم الكُرد، بل يضعهم تحت اسم أكثر شمولية هم المسلمون؛ لكن لماذا لم يقل عند الهجوم إن المسلمين هم من هاجموا المدينة، كما في حالة الدفاع؟!

في عام 1897 نشر كتاب في موسكو بعنوان: «المعونة للفاجعة الأرمنية

في تركيا»، وفيه جاء ذكر بعض الأمثلة عن مساعدة الكُرد للأرمن، ومنهم على سبيل المثال (السيد محمود زادة بيت الله)، الذي اشتهر بشجاعته في المنطقة؛ فقد قام بجمع حوالى (400) من رجاله، من أجل العمل على إنقاذ المئات من الأرمن في موكس، بل قام بدفع الضرائب بدلاً عنهم في السنة السابقة، والتي كانت تقدر بـ(300) ليرة عثمانية[163]. وذكر الرائد البريطاني مونسيل هذا الأمر أيضاً عندما زار موكس في تشرين الأول/ أكتوبر 1899، حيث قال: «إن العلاقة هنا بين المسيحيين والمسلمين كانت دائماً جيدة جداً، ولم تحدث أي مجازر، وهذا الأمر يعود بشكل رئيسي إلى نفوذ العديد من البكوات الكُرد، والذي كان (مورتلله بك) الأكثر نفوذاً بينهم، هناك أيضاً (سليمان بك)، وهو من المحاربين القدماء، وقد قاتل في سيليستريا وسيباستول، مع ابنه (ازنشر بك)، وكذلك (شيفكي بك) و(نوري بك)»[164]. ويذكر الرائد البريطاني مضيفاً إن مورتيلله يحتقر الكُرد الذين يلتحقون بالحميدية، ويقبلون الرتب العسكرية الحكومية، وإنه أراد الرحيل عن موكس إلا أنه وبضغط من الوالي نفسه عدل عن رأيه، لأن الوالي كان يعتقد أنه الضمان القوي لاستقرار المنطقة؛ ثم يشير الرائد مونسيل إلى منطقة أخرى أنقذها الكُرد أيام المذابح: «ذهبت من بالو إلى أرضروم عن طريق تيمران: هناك عدد كبير من السكان الأرمن الميسورين كثيراً، في منطقة كازا العائدة إلى كيغي التي تحتوي وحدها على (300) بيت أرمني، من مجموع بيوتها البالغة (400)، على حين تحتوي شلناكجلر على (200) بيت منهم، وكوموك على (150) بيتاً، وتيمران على (250) بيتاً، وحسينك على (200) بيت، يمتازون بعلاقاتهم الحميمة مع الكُرد، حيث قام البكوات الكُرد بحمايتهم أثناء أوقات المجازر...»[165].

كما عمل الدرسيميون الكُرد على إنقاذ العشرات من الأرمن، وإسكانهم بين ظهرانيهم، وعدم تسليمهم للسلطات العثمانية رغم الضغوط التي

مورست عليهم[166]. وفي وان عند هجوم القوات التركية على الحي الأرمني فيها قام رجل كُردي يدعى (الآغا عمر)، مع بعض أقربائه بإيواء وحماية أكثر من (100) شخص أرمني في منـزله[167].

ومن بين الآغوات الكُرد الذين عملوا على إنقاذ الأرمن، وإسكانهم ضمن أراضيهم إبراهيم باشا الملي، الذي كان يعد أحد أكبر قادة الفرسان الحميدية في كُردستان، وكان مركزه في مدينة (ويرانشهر)، الواقعة في جنوب غرب كُردستان[168]، فقد ذكر مارك سايكس عندما قام بزيارته في بدايات القرن العشرين، أن إبراهيم باشا قام بإنقاذ المئات من الأرمن وأسكنهم في ويرانشهر وما حولها، حتى يقال إن عدد الأرمن، الذين أنقذهم إبراهيم باشا الملي قد بلغ (10000) أرمني، وقد أنقذهم من الهلاك والدمار[169].

ربما كان تقرير الجنرال مايوسكي، الذي كان قنصلاً عاماً لروسيا في وان وأرضروم على التوالي لمدة سبع سنوات في تسعينيات القرن التاسع عشر، والمعنون تحت اسم: إحصائيات ولايات وان وبتليس(Statistique des Provinces de Van et de Bitlis) من أبرز التقارير الحيادية في هذا المجال وأكثرها قيمة، وقد كان مايوسكي قد رفع هذا التقرير إلى رئاسة الأركان الروسية، بعد الأزمة الأرمنية 1894 ـ 1896، وفيها اعتمد بشكل رئيسي على مشاهداته، حيث رأى بنفسه العديد من الوقائع التي حدثت إبان تلك الأزمة، فضلاً عن اعتماده على الكتابين الأزرق البريطاني، والأصفر الفرنسي، اللذين يعبران عن وجهة نظر البلدين من الأزمة الأرمنية.

في بداية تقريره الطويل يتحدث بالتفصيل عن العلاقة بين الكُرد والأرمن، والحكم العثماني في المنطقة، ويتهم المنظمات الثورية الأرمنية، بأنها كانت هي السبب الرئيسي في اندلاع الأزمة الأرمنية، وذلك بدعم كبير من الانكليز ـ كما يقول ـ منذ بداية تسعينيات القرن التاسع عشر، ويتهم مايوسكي هؤلاء

السجناء الذين تم العفو عنهم في اضطراب الأوضاع في شمال كُردستان. وبعد ذكره للعديد من الأعمال الانتقامية التي قامت بها تلك المنظمات يصل إلى الحديث عن أحداث زيتون ووان، وكذلك الأعمال التي قام بها الأرمن ضد الكُرد في وان، ومنها على سبيل المثال: قتل الأرمن لثلاثة من الكُرد والتمثيل بجثثهم، يقول مايوسكي: «بصورة عامة لا نجد في الصحافة موضوعاً حول هذه المسألة، ولا نجد صفحة واحدة تشرح لنا الوضع، وأن كل ما ذكر لا يتجاوز بعض الأكاذيب، ويجب أن نكرر القول هنا، بأنّ الفلاح الأرمني هو الذي عانى من العواقب الوخيمة للمسألة الأرمنية»[170]؛ ثم يتساءل القنصل الروسي: لماذا لم تحدث هذه الأحداث بين يونان الأناضول؟ ليجيب بالقول: لاختلاف سبيلهم عن الأرمن[171].

وبعد سرده لأوضاع الكاثوليك الأرمن، وموقف الحكومة العثمانية منها، يستمر في حديثه وبشكل مفصل عن الدور الحقيقي للكُرد في الأزمة الأرمنية التي اجتاحت معظم مناطق شمال كُردستان.

فتحت عنوان: وضع الكُرد، يقول: «إن موسى بك هو من كُرد كارجيكان، يعرفه معظم العالم، وكذلك كوليخان بك، وتيلي بك من كيفاش، وشاكر آغا من كازا في شاتاخ، وآخرين، وعلى الرغم من عدم إمكان مقارنتهم مع شيوخ العشائر، إلا أنهم كانوا مشهورين، ويعرفهم الجميع كأناس لهم سمعتهم وسط الكُرد، من أبناء البلاد. وخلال الثورة الأرمنية قام هؤلاء الآغوات بأدوارٍ مهمة جداً، وذلك بفضل التأثير الذي كانوا يمتلكونه، وعلى سبيل المثال: عمل رجال موسى بك، وكوليخان بك لحماية الأرمن، وتقديم المساعدة لهم، كما أن القرى الأرمنية التي لجأت إلى حماية الآغوات والعشائر كانت تحت ظلهم، في حين أن القرية المجاورة، التي لم تكن محمية أصابها الدمار، أما هنا فلم نجد أي شخص يساوره القلق»[172]، أي في المناطق التي كانت تحت حماية هؤلاء الآغوات من الكُرد.

وتحت عنوان: العلاقات بين الكُرد والأرمن، يورد بعض العبارات، وكأنها كتبت بقلم كُردي متعصب لقوميته، يقول مايوسكي في بداية الموضوع: «من دون أي استثناء فإن الادعاءات [الأرمنية] التي قدمها الإعلان [الدعايات الأرمنية] والتي تدعي بأن الكُرد كانوا يبحثون عن إبادة الأرمن، يجب رفضها قطعياً، فلو كانت هذه الادعاءات صحيحة، فلن نكون قادرين على أن نجد أي فرد منهم بين الكُرد، كما أن الشعوب المختلفة، التي تعيش وسط الكُرد، تعيش معهم بسلام، ولو كان الأمر كذلك لوجدنا أن هذه الشعوب تعمل كعبيد عندهم، أو أنهم كانوا سيهاجرون بصورة جماعية، والحقيقة أن كلا الخيارين لا يوجد ما يؤكدهما، وعلى العكس من ذلك فإن كل شخص يعرف حقيقة المحافظات الشرقية [شمال كُردستان] سوف يؤيد أن المناطق المحيطة بالقرى المسيحية هي غنية من جهة، ويسودها السلام والأمن مع الكُرد، كما أن القرى المسيحية، أي السكان الأرمن، كانوا يعرفون العمل بصورة منظمة، وكانوا يديرون أمور حياتهم مع الكُرد، حتى إن هنالك الكثير من الأغنياء بينهم، فلو كانت الحالة مثل ما يدعي الأوروبيون بوجود العصابات، والسارقين، فإننا سوف لا نجد حالة الرخاء عند هؤلاء الأرمن.

وهكذا وحتى عام 1895، فإنّ الضغط وتعذيب الأرمن في تركيا ليس إلا أسطورة مفتعلة تشوبها المبالغة، وحقيقة الأمر أن حالة الأرمن في تركيا لم تكن سيئة كالتي هي في البلدان الأخرى. لقد جرت الأحداث، التي عمد إليها الثوريون الأرمن، والتي وصفوها بالنهب والقتل، وانتشرت على صعيد واسع في القوقاز، وفيما يتعلق بمسألة اختطاف الماشية وغيرها فإنها ليست إلا سمة موجودة، وتمارس في مناطق عديدة في روسيا، بما فيها سرقة القطعان، أما فيما يخص حماية الأرواح والممتلكات فإن الحكومة التركية كانت تمارس صلاحيتها، وهي أفضل بكثير ممّا هو موجود في منطقة ايلزابيتول»[173].

يتابع مايوسكي حديثه المهم عن علاقة الكُرد بالأرمن بالقول: «وخلال الأعوام 1895 ـ 1896 كان الكُرد يعدون خطأً أعداء السكان الأرمن، وإنّ هذه لا تعني ضمنياً وجود عداء مستديم بين هذين الشعبين، وإنّ الاضطرابات لم تكن إلا مسرحية في تصور الثوريين الذين قاموا بتنفيذها»[174].

ويشير مايوسكي إلى بعض الشيوخ الكُرد كيف هبوا إلى مساعدة الأرمن وحمايتهم في أثناء الأزمة، وقد كان لهؤلاء الشيوخ سمعة سيئة في مجال العصابات والنهب، ولكن من خلال الاطلاع على أفعالهم تلك ينتفي أي دليل على أنهم كانوا سارقين أو قاطعي طريق، كما كان يدّعي الأرمن[175].

ثم يذكر مايوسكي بعضاً من هؤلاء الشيوخ الكُرد، ومواقفهم الحميدة والإنسانية من الأرمن، ومنها مثلاً: أنه في العام 1897، وعند عبوره لمنطقة كازا، قضى مايوسكي ليلته في قرية أرمنية تسمى (أرين)، وعند حضوره كان أحد وجهاء القرية ويدعى كياجيا، مع قس القرية يقومان بكتابة طلبات إلى السلطات العثمانية، يتمنّيان فيها عدم إبعاد حسين باشا الحيدرانلي من المنطقة، لذلك طلب مايوسكي من مترجمهما أن يشرح السبب في ذلك، وقد ذكره على هذا النحو: «عندما أخذ أمين باشا الحيدرانلي في أثناء أحداث وان، على عاتقه نهب القرى الأرمنية في (كازا)، وفي (عادل جواز)، طلبت (30) قرية أرمنية المساعدة من حسين باشا الحيدرانلي وحمايته لهم، فعهد حسين باشا أمر حماية تلك القرى، إلى سلطان بك ـ وهو الأخ الأكبر لحسين باشا ـ ووضع تحت إمرته (69) خيالاً من عشيرته، ولهذا لم تعانِ إلا أربع قرى أرمنية من مجموع ثلاثين قرية، وذلك لأنها لم تحصل على النجدة في اللحظة المناسبة، في حين لم تُصَبْ أية قرية أخرى بأذى»[176]، وعندما أراد حسين باشا أن ينسحب بعد أن هدأت الأوضاع نوعاً ما، حاول بعض القناصل الأجانب إقناعه بالعدول عن ذلك، وقدم الأرمن في تلك القرى طلبات عديدة إلى

والي وان، بهدف مكافأته وإقناعه بعدم الانسحاب، لأنه في حال حدث ذلك فإن القرى الأرمنية تلك ستبقى دون حماية حقيقية[177]. ويشير كارو ساسوني إلى أن حسين باشا قام بغض الطرف أيضاً عن بعض العمليات التي قام بها الطاشناقيون بعد الأزمة في منطقته، وكان من المتعاونين معهم رغم قيادته لأحد أكبر أفواج الفرسان الحميدية[178]، هذا هو حسين باشا الذي أطلق عليه السير أي.سانديسون سفير بريطانيا، لقب (الوحش) في بداية تسعينيات القرن التاسع عشر، بناءً على شكاوى أرمنية ضده[179].

وفي 16 تشرين الأول/ أكتوبر 1898، ذكر مايوسكي أنه في تلك الليلة التي قضاها في قرية (سوكينس)، التابعة لقضاء نوردوز، جاء إليه مختار القرية برفقة بعض الوجهاء الأرمن الكبار، وفي الحديث بين الجانبين جاء على ذكر مساعدة الكُرد لهم في أعقاب أحداث وان 1896. فقد ذكر هؤلاء الأرمن لمايوسكي أن الذي قام بحمايتنا هو شخص يدعى حاجي آغا، من كُرد ولاية الموصل؛ فبعد مسيرة يومين من هروبهم من قراهم، تمكنت قوة كان قد أرسلها حاجي آغا من الوصول إليهم لحمايتهم، وكان يبلغ عددهم (600) شخص، وفي اليوم الثالث وصل حاجي آغا بنفسه، و قدم الطعام لنا وذبح ثلاثين خروفاً، وخلال تلك المدة سكنّا تحت خيامه، من دون أن ندفع له شيئاً، والأكثر من ذلك أنه قام بإرسال رجاله معنا لحمايتنا، عندما ذهبنا إلى قرانا لغرض حصد المحاصيل؛ ثم يعقب مايوسكي على تلك الحادثة بالقول: «إنّ هذه حقائق مأخوذة من أفواه الأرمن أنفسهم، كما أن حاجي آغا كان معروفاً في مناطق الموصل وبتليس بوصفه رجل عصابات مشهوراً»[180].

والمثال الثالث الذي يذكره مايوسكي عن هؤلاء الآغوات الكُرد الذين قاموا بإنقاذ الأرمن، هو موسى بك؛ فقد ذكر الأرمن خلال أحداث وان أن موسى بك كان فريداً في موقفه، وقد قيل إن عدداً كبيراً من اللاجئين الأرمن

أثناء تلك الأحداث، قد وجدوا عنده الملجأ وكان من بينهم امرأتان اثنتان من النساء الأرمنيات اللواتي يحملن الجنسية الهنغارية، وكان موسى بك قد استدان منهم بعض المال، إلا أنه وبعد أن قادهم إلى بر الأمان أرجع إليهم مالهم[181].

يختتم مايوسكي حديثه عن العلاقات بين الكُرد والأرمن، بالقول: «في عام 1895 عندما وصلنا إلى الموصل كانت العلاقات بين الأرمن والكُرد جيدة، وفي مناطق عديدة من تركيا عاش هذان الشعبان بصداقة، إلا أن هذه العلاقة تغيرت عام 1895، حيث تم تحشيد الكُرد ضد الأرمن، وفي عام 1897 أدرك الأرمن أن سبب ذلك يعود إلى الثوريين؛ ثم تحسنت العلاقة فيما بينهم، وأن أولئك الذين يديرون المسائل الأرمنية يحاولون كسب الكُرد إلى قضيتهم»[182].

إن ما أورده الجنرال مايوسكي يعد خير دليل على بيان الدور الكُردي الإيجابي في الأزمة الأرمنية 1894 ـ 1896، وقد استخفّ في مرات عديدة بالآراء التي كانت تذكر أن الأرمن كانوا عبيداً للكُرد، وأنّ الكُرد كانوا سارقين وقطاع طرق، فقد أثبتت تجاربه الطويلة في كُردستان ومشاهداته أن الكُرد أناس مسالمون، وكان جميع أفراد الأقوام والطوائف يعيشون معهم بسلام ومحبة.

يعقب الباحث مايفسراي في.تي (Mayévsriy. V.T) بعد قراءته المعمقة لأحداث الأزمة الأرمنية الأولى، ودور الكُرد فيها قائلاً: إن الأرمن الذين كانوا يسكنون المناطق الكُردية كانت العلاقة طيبة بينهم وبين الكُرد ولأعوام طويلة، ولكن فيما بعد يفاجئنا العداء المفرط، الذي يظهره الأرمن للكُرد، وكأنهم أعداء لدودون، يرجع الحقد بينهما إلى مئات السنين، ولكن من الواضح أن العقول المدبرة، والقائمة على إدارة أحداث العنف، والإضرابات في

المنطقة، باستخدام الأرمن من بعيد لم تكن تعلم جيداً بطبيعة العلاقة في هذه المنطقة بين الأرمن والكُرد، ولو أنها كانت تعلم بمدى الانسجام الموجود بين الكُرد والأرمن في كثير من هذه المناطق المشتركة لكانوا عملوا على تقريب الأرمن والكُرد من بعضهما بعضاً بدلاً من إدخال العداء بينهما، وزرع الحقد وتحريض الأرمن ضد الكُرد، ولكانوا قد استفادوا أكثر من الشراكة والتوحد الأرمني الكُردي، أكثر بكثير مما كانوا يتوقعون[183].

إنّ أبرز نتائج الأزمة الأرمنية يتمثل بما يمكن تسميته بـ: إمارات كُردية جديدة، إمارات وإن اختلفت شكلاً وتنظيماً عن الإمارات الكُردية الأخرى، التي انتهى عهدها في منتصف القرن التاسع عشر، إلا أن أيّاً منها لم تكن تختلف من حيث النفوذ والقوة، فقد استغل بعض آغوات العشائر الكُردية الأوضاع، وكلما أتتهم الفرصة في تلك الأزمة الأرمنية استغلوها من أجل توسيع نفوذهم، وشكلوا اتحادات عشائرية كُبرى حلت محل السلطة المحلية والعسكرية العثمانية في كُردستان، التي فشلت في نشر الأمن والسلام، طوال أربعة عقود فيها؛ ومن أبرز تلك الاتحادات العشائرية، اتحاد عشائر الحيدران بقيادة حسين باشا، الذي أصبح السيد الأوحد في ولايتي بتليس ووان، واتحاد عشائر الملي، بقيادة إبراهيم باشا، الذي امتد نفوذه إلى ولايات ديار بكر، وأورفة، وحلب، والموصل.

فقد شهد شمال كُردستان في أثناء الأزمة وبعدها تحولاً في بنية السلطة المحلية، رافقته زيادة في أهمية ملكية الأرض، التي لم تكن فقط للأرمن، ولكن للفلاحين الكُرد أيضاً، وقد بدأ كل واحد من شيوخ العشائر والوجهاء بالبحث، وبطرق وأساليب شتى، عن توسيع مناطق نفوذه وزيادة ثروته، لذلك سار العنف جنباً إلى جنب مع عملية السيطرة على الأرض؛ فبعدما ظهرت المنظمات الثورية الأرمنية على الساحة في كُردستان، ومحاولتها زعزعة الثقة

بين الكُرد والأرمن شعر الكُرد بأنّ الأرض التي كانت لكليهما في الماضي يحاول الأرمن الآن الظفر بها لأنفسهم فقط، بمساعدة الدول الأوروبية[184].

وبناءً على ما مر فقد كانت هناك عوامل أعمق وأشمل اجتمعت جميعها لتؤدي، كنتيجة طبيعية، إلى ما هو، والمقصود أحداث الأزمة الأرمنية 1894 ـ 1896، والصراع على الأرض بين الأرمن والكُرد، وإنّ هذا الصراع، وكما مر سابقاً، بدأه الأرمن للظفر بتلك الأراضي (الولايات الست)، خصوصاً بعد محاولات الدولة العثمانية إسكان العشائر الكُردية الرحالة في عدة مناطق، لذلك عمل هؤلاء الآغوات الكُرد من أجل السيطرة والحفاظ على الأرض التي كانت، حسب اعتقادهم، أرضهم التاريخية وأرض أجدادهم، وكان هذا الصراع في حقيقته بين الكُرد والأرمن يحوي بعداً أعمق، ألا وهو: هل هذه الأرض هي كُردستان أم أرمنستان؟ وقد آلت الكفة في النهاية إلى الكُرد وأثبتوا أنها كُردستان، ولكنها للكُرد وللأرمن، كما كانت في السابق؛ إذ لم يمنعوا الأرمن من العيش معهم فيها؛ و كان العامل الحاسم في تلك العملية، الغلبة السكانية للكُرد في شمال كُردستان، رغم الإحصائيات الأرمنية والغربية العديدة التي أظهرت عكس ذلك، ولو كانت الكثافة السكانية الكُردية قليلة، مقارنة بكثافة الأتراك في بلغاريا مثلاً، لانتصر الأرمن دون شك، ولكانت تلك المناطق أرمنستان وليست كُردستان، كما انتصر البلغار قبل ذلك على الأتراك.

ويعد حسين باشا الحيدراني، وهو قائد متنفذ في الفرسان الحميدية، مثالاً للشخص الذي بدا كمالك للأراضي خلال هذه السنوات، وبعد الأزمة امتلك قرى عديدة، أو بالأحرى فرض حمايته عليها في بداية الأمر، إلا أنه عمل بعد الأزمة على امتلاكها من الأرمن أولاً، ومن المسؤولين الأتراك ثانياً، واتجه أخيراً إلى أراضي العلويين في درسيم، إلا أن نجاحه هناك كان محدوداً[185].

في الختام بقيت قضيتان مهمتان لا بد من التطرق إليهما وبحثهما،

الأولى: تتعلق بالتمثيل بجثث القتلى، والثانية هي ما تسمى بـ: كريف، والتي لم يدرسها بدقة أغلب من تناول علاقة الكُرد بالأرمن، ما عدا قلة قليلة جداً من الباحثين والصحفيين.

4 ـ أ ـ التمثيل بجثث القتلى

في مسألة التمثيل بالجثث لم يرد طوال التاريخ الكُردي الحديث حتى بدء الأزمة الأرمنية أن الكُرد قاموا في أثناء حركة أو انتفاضة ما بالتمثيل بجثث قتلى عدوهم، وما أكثر الحركات والانتفاضات الكُردية في العصر الحديث. لقد رصدت ظاهرة التمثيل بالجثث وسجلت في بداية التسعينيات، عندما تبنت الأحزاب والمنظمات الأرمنية العنف سبيلاً لتحقيق أهدافها، وهناك شبه اتفاق في الوثائق البريطانية والعثمانية على أن أول حادثة تمثيل بالجثث هي التي قام بها الهنشاقيون في ساسون، عندما قاموا بالقبض على أحد أقرباء آغا عشيرة بكران الكُردية ـ كما مر بنا سابقاً ـ فقتلوه وملأوا بطنه بالبارود.

لم يكن الرد التركي على أعمال تلك اللجان الأرمنية بأقل عنفاً منها، فقد دوّنت عشرات الحالات التي قام بها الأتراك للتمثيل بالجثث، وخصوصاً في المرحلة الثانية من الأزمة الأرمنية، كما أنّ عمليات القتل التي حدثت فيها ارتكب أغلبها عناصر من الجيش التركي، والفرق الشركسية. ولتوضيح هذا الأمر نورد المثالين التاليين، الأول: هو للكاتب الأرمني انترانيك ازهدريان (Antranic Azhderian) الذي قارن بين الكُرد والأتراك، ومسؤولية كل منهما في تلك الأزمة، في أعقاب تحقيقه في الأزمة الأرمنية في عام 1898، قال انترانيك ازهدريان: «صحيح أن الكُرد كانوا ينهبون البيوت والممتلكات، وفي حالة المقاومة يرتكبون جريمة القتل، ولكن رغم ذلك فإن عند الكُردي شعوراً بالرأفة، والرحمة، والإنسانية، ومن الممكن أن نقول الحقيقة إنهم أفضل من الأتراك، لأنّ الكُرد ينهبون ويقتلون من أجل الغنائم، في حين أن الأتراك

يعدون النهب، وقتل غير المسلمين امتيازاً وواجباً دينياً؛ والحقيقة أن الأتراك هم الذين يمسكون عصب الحكومة، وأنّ التركي هو المعتدي الحقيقي، في حين أن الكُرد ليسوا إلا آلة بأيدي الأتراك، لتنفيذ سياستهم المخططة بصورة متعمدة لإبادة الأرمن، فلدى التركي نجد الشراسة، وعدوانية النمر، وخداع الذئب، ويتخفى دائماً بالجانب الديني، ويعد الجنة الجزاء لمن يقاتل الكافر باسم الله وباسم النبي»[186]، والثانية هي مقارنة طريفة، ذكرها الكاتب الفرنسي لودفي دي كونتنس(Ludovie de Contenson) في مؤلفه: المسيحيون والمسلمون، الذي طبع في عام 1901، حيث قام الكاتب برحلة إلى كُردستان في عام 1897، قارن فيها بين الكُرد والشركس، بهذا الشكل ـ حسب وجهة نظره ـ: «إن الشركسي هو إنسان خشن وفظ، وبعد أن يجرد ضحيته يتركها عارية على الطريق، في حين أن الكُردي يتركك بملابسك ويشير لك إلى طريق العودة...»[187].

على الرغم من أن هناك بعض الملاحظات على ما ذُكر في هاتين الروايتين، إلا أن المهم في الأمر هنا أنه قد تبيّن للأرمن وللأجانب أن أكثر عنصر في شمال كُردستان، يتمتع بروح الإنسانية، والرأفة، وأن القتل ليس من صفاته، هم هؤلاء الكُرد، مقارنة بالأتراك والشركس.

وبخصوص بعض عمليات القتل الكبيرة، التي أشار إليها المؤرخ كمال مظهر أحمد، وأن الكُرد قاموا بها، معتمداً على بعض المصادر الأجنبية المتأثرة بالدعاية الأرمنية، فقد ظهر بعد ذلك أن تلك العمليات لم تحدث من حيث الأساس، أو أن فاعلها لم يكن كُردياً، يقول كمال مظهر: «خلال المذبحة الأولى افتتح أحد مشايخ الطرق واسمه الملا سعيد أحمد العملية بنفسه في مدينة أورفة، في الثامن والعشرين من كانون الأول / ديسمبر من العام 1895، حيث أمر بإحضار أرمني بريء أمامه فبطحوه على الأرض، وفصل رأسه عن

جسده بيده، على مرأى من الجمهور»[188]، وأيضاً، قوله: «وفي المذبحة الأولى أيضاً قتل شقيقان في منطقة وان، كانا يسميان عبد الحميد وعبد الغفور (200) أرمني، وكان هناك كثيرون من أمثال هذين الأخوين في خربوط، فهناك أيضاً قتل شقيقان معاً أكثر من (300) شخص، وقتل شخص كان يسمى حاجي بكو، وحده مئة شخص، وكان أحد الخبازين يتباهى بأنه قتل بنفسه (97) شخصاً، وكان قطع عهداً على نفسه أن يبلغ عدد ضحاياه مئة شخص»[189].

في البداية نقول إن المؤرخ كمال مظهر أحمد قد اعتمد في سرده لتلك الأحداث على بعض المصادر المنحازة للأرمن، ولتوضيح ذلك هنا يمكن القول إن القناصل البريطانيين في كُردستان على الرغم من تحاملهم على الكُرد، وقيامهم بالكتابة عن أبسط الحوادث، حتى في بعض المرات كانوا يكتبون عن حالة سرقة بعض الحيوانات القليلة جداً، وفي جميع الوثائق البريطانية المنشورة لم تكن هناك إشارة واحدة إلى مثل تلك الحوادث، وقد ورد الحادث الأول في بعض المصادر الأجنبية، مثل مؤلف م.كالمان (M.Kalman) ولكن هذا المؤلِّف نفسه مع ذلك لا يشير إلى أن الملا سعيد هو كُردي[190]. وللتذكير هنا فإن اسم أكثر شخصية كُردية ورد ذكره في المذابح هو (موستيكو)، على أنه أبرز من ارتكب الجرائم ضد الأرمن، ولكنه كما أكد للطبيب ديلون آنذاك، على الرغم من جرائمه العديدة لم يكن يقتل الأرمن إلا في حالات قليلة جداً عندما كانوا يقاومونه، وقال إنهم كانوا يريدون مال الأرمني، وإنهم لا يكرهونه، أما التركي - حسب قوله - فيريد دم الأرمني، كما مر بنا سابقاً.

الحادثة الثانية التي أشار إليها المؤرخ كمال مظهر كانت في وان وخربوط - وكما مرّ هذا الموضوع سابقاً - أثبتت الوثائق البريطانية، والروسية، والعثمانية، القريبة جداً من الأحداث في وان، أن اللجان الأرمنية هي من

قامت بقتل الكُرد في حادثتين منفصلتين، وقام الأرمن بالتمثيل بجثث الكُرد، وليس العكس، بل لقد أثبتت الوثائق والشهادات أثناء الانتفاضة الأرمنية في وان عدداً من المواقف عمل خلالها الكُرد على إنقاذ الأرمن ـ كما مر بنا سابقاً ـ كما أنه يجب الحذر من جميع المعلومات التي وردت في الكتب الأرمنية، أو من المقالات التي نشرت في أثناء وبعد انتهاء الأزمة الأرمنية في التسعينيات، وذلك لأنه تبين للساسة البريطانيين أيضاً، وهم المدافعون الأوائل عن المسألة الأرمنية زيف جميع المعلومات التي تأتيهم من الجانب الأرمني، وصاروا يترددون في أخذ المعلومات منهم. فعلى سبيل المثال ورد في أغلب المصادر الأرمنية أن عدد القتلى الأرمن في ساسون وحدها بلغ (10000) أرمني، وقد أخذ بذلك أيضاً المؤرخ كمال مظهر أحمد[19]، وهذا أيضاً غير دقيق ولا صحيح؛ إذ ثبت لدى القناصل الأجانب في كُردستان بعد التحقيقات التي قاموا بها أن عدد القتلى لا يتجاوز الألف، ولم تكن الوثائق البريطانية بشكل خاص، لتتجاوز حتى حادثة صغيرة مثل سرقة كُردي لخروف رجل أرمني، فكيف بها تتجاوز حادثة قيل إن عدد قتلى الأرمن فيها بلغ (500) وعلى يد أربعة فقط من الكُرد في وان وخربوط؟!

في موضوع متصل أشار المقدم البريطاني بكوت (Picot) في رسالة إلى الفريق شابمان (Chapman) في طهران بتاريخ 21 كانون الثاني/ يناير 1895، إلى أنه تلقى شكوى من قس أرمني عندما كان في زيارة إلى الحدود الفارسية العثمانية آنذاك، وقد ذكر له هذا الأخير أن الكُرد قاموا بسلب ونهب كنيستهم، وأنّ قريتهم تعرضت للسلب والنهب أيضاً؛ يشير بكوت إلى أنه وعد الأرمن بزيارة قريتهم للاطلاع على هذا الأمر والقيام بالواجب. يقول بكوت: وبعد أسبوع ذهبت إلى قرية القس الأرمني المار ذكره، فوجدت الكنيسة سالمة، لم يمسها أحد، ولم يلمس أحد حجراً واحداً فيها، ولم تتحرك جوهرة واحدة

من مكانها، ثم يضيف: «ألقى القس المحلي نفسه على الأرض، وكان مستعداً لكي يلتهم حفنة من التراب، عندما وجد نفسه معرى؛ لكذبه». وينهي بكوت تقريره إلى الساسة البريطانيين، بالقول: «...كانت تلك أولى تجربة لي مع الأرمن، وإذا كان هؤلاء الذين رأيتهم عينات منصفة لعرقهم، فلا يسعني سوى الاعتقاد بأن عاطفتنا إزاءهم هي مبالغ بها كثيراً، وأنّ كل كلمة تصدر من هؤلاء الناس تتطلب فحصاً دقيقاً لها في موقع الحدث»[192].

ربما كانت دراسة الباحث الإنكليزي والتر ب. هاريس، والمعنونة بـ: (وجهة نظر محايدة حول المسألة الأرمنية) إحدى أفضل الدراسات المحايدة التي تناولت المسألة الأرمنية، بعد انتهاء فصولها الأولى بنهاية العام 1896، فقد كان هاريس من الباحثين والرحالة الانكليز، الذين كانوا موجودين في كُردستان عند اندلاع الأزمة الأرمنية 1894 ـ 1896، ومن خلال الاطلاع على دراسته يظهر أنه كان مطلعاً جيداً على مضامين العلاقات الدولية بشأن هذه المسألة، وفي دراسته تلك حمّل جميع الأطراف مسؤولية الأزمة الأرمنية.

ينبّه هاريس قرّاءَه إلى ملاحظة مهمة جداً، وهي أنه وقبل إطلاق أي أحكام بشأن المسألة الأرمنية، يجب إدراك طبيعة الشخصية الأرمنية، وإجراء تقويم عام لها؛ ثم يقارن هاريس بين الأرمن والأتراك والكُرد، ويبين صفات كل منهم، والبداية من الأرمن، فيذكر هاريس: إن المسيحي غير المثقف والمتعصب، هو الذي ينظر إلى الكنائس الأخرى بارتياب بالقياس إلى كنيسته، فالكريكوري أفعاله مشابهة إلى حد كبير لأفعال المسلمين، فهو فاسق في حياته المنـزلية، ويمارس الرذائل التي يُفترض أن تكون لأولئك المسلمين، ويشرب الخمر بشكل أكثر مما ينبغي والذي يعده هو أمراً حسناً بالنسبة إليه، ويكون غير صادق عندما يجد الفرصة في العمل؛ فالأرمني هو شخص شرقي مثالي، يفتقد إلى اجتهاد ورجولة القروي التركي، وكثيراً ما يفضل الوصول إلى غاياته عن طريق المكر والخداع بدلاً من أن ينتهج التعامل النـزيه[193].

هذا هو الأرمني في المناطق الريفية، أما في المدن فيصح القول إن إخضاعه إن لم يكن بالشريعة الأخلاقية فعلى الأقل بالشريعة القانونية، حيث نجده هنا مجتهداً ويتكلم لغات عديدة، ورجل أعمال ممتازاً لا يدع فلساً واحداً في يده يمر دون أن يفيد منه اقتصادياً، ويمارس ضغطاً على الذين يعملون تحت يده، وهو غير جدير بالثقة ما لم يشعر أنه في مصلحته ومنفعته أن يكون العكس، وهو لطيف ومهذب ومقبول ظاهراً، ليس لديه عاطفة أو احترام لأي كان، ويصبح عديم الأخلاق عندما لا يكلفه العمل اللاأخلاقي أي شيء، وهو شخص مطيع ومجتهد في عمله، وسيد مسيطر لا يرحم، فضلاً عن ذلك فهو ذكي بشكل كبير[194].

يتطرق بعدها هاريس إلى صفات الأتراك، وحسب رأيه فالأتراك هم أفضل بكثير من الأرمن، وينفي أن تكون المذابح التي حدثت ذات صبغة دينية، وينهي حديثه عن الأتراك بالجمل التالية: «على الرغم من أنني أوضحت أن التركي هو ليس متعصباً من الناحية الدينية، إلا أن طبعه العنيف يجعل منه مرتكباً للاضطهاد عندما يجد الفرصة مواتية لذلك، ولا سيما إن كان الاضطهاد من النوع السياسي، لأن الحمية الوطنية لبلده وشعبه ومولاه السلطان، الذي يعتقد أنه خليفة الرسول، متجذرة في قلبه إلى حد كبير، لا أحد يعرف أكثر منه كم هو فاسد نظام الحكومة عنده، ولكن لا يوجد أحد يدافع بشكل أكبر منه عنه من أي هجوم يأتي من الخارج؛ ولذا فمن السهل عليه أن يعتقد بأن السكان المسيحيين كانوا عدواً للدولة، وعليه فهو يعدّهم عدواً شخصياً له، ففي تلك المسألة يكمن مفتاح الموقف»[195].

أما انطباعه عن الكُرد، الذين قال عنهم هاريس، إن الأتراك قد استغلوهم في هذه المسألة لضرب الأرمن، بعدما استفزهم هؤلاء كثيراً من خلال عمليات نوعية ضدهم، فيذكره ويصفه بما يلي: «إن هذا العرق من الرجال

الجبليين شديدي القدرة على الاحتمال، والمعروفين بأنهم يسكنون السلاسل الجبلية في آسيا الصغرى منذ عصور ما قبل التاريخ، كانوا معروفين بالنسبة إلى الأشوريين، وأنهم مذكورون تقريباً وأفعالهم في كل صفحة من صفحات التاريخ المتقلب لآسيا الصغرى؛ من ناحية المظهر يعدون عرقاً قوياً جداً من الرجال، ومن الناحية الشخصية يمتلكون بعض أفضل ميزات أبناء الشرق، ففي مناطقهم الجبلية، التي من النادر أن يصل إليها النفوذ المهلك للأتراك والفرس، فإنهم يعدون من أكثر الأعراق كرماً وطيبة، راضين بما قسمه الله لهم، ويعيشون حياة مليئة بالأخلاق غير معروفة لدى الأرمن، إلا أنهم من ناحية ثانية لصوص، فهذه الميزة لا يمكن أن يستغرب أنها موجودة في شخصيتهم، عندما يؤخذ في الاعتبار حجم المعاناة التي مروا بها، في الوقت الذي كان بلدهم يعد بمثابة ساحة قتال مستمرة، منذ الحقب الأولى في التاريخ ولحين نشوب الحرب التركية ـ الروسية. كم هو عدد الجيوش التي مرت من خلال بلدهم، وقامت بإعمال السلب والنهب، سيكون من الصعب عدها وإحصاؤها، ولكن حقيقة أن الطريق الرئيسي القديم المؤدي إلى ممالك البابليين، وإلى بلاد الرافدين وبلاد فارس، كان يمر من خلال بلدهم وهو دليل كافٍ على المعيشة المتفاوتة التي كانوا دائماً يعيشونها»[196].

من المهم القول هنا إنّ انطباع هاريس عن القوميات الثلاث، لم يتشكل من قراءة تقرير ما أو بعض المقالات المنشورة في الصحف، وإنما تشكلت نظرته تلك من مشاهداته في كُردستان، ومتى قال هذا الكلام عن الأقوام الثلاثة؟ لقد قاله بعد انتهاء الأزمة الأرمنية الأولى، عندما كانت الحملات الإعلامية في أوروبا على أوجها ضد الكُرد.

4 ـ ب ـ الكريف

أما فيما يتعلق بالقضية الثانية وهي: الكريف، فتعد من أبرز المسببات

المؤدية إلى اندلاع الأزمة الأرمنية الأولى في شمال كُردستان، فما أن تخلّى الأرمن عن هذا النظام حتى صاروا عرضة للهجمات، لأن الذي كان يحميهم منذ عصور خلت هم الكُرد بواسطة النظام الأمني أو نظام الحماية، الذي عُرف في التاريخ الكُردي الحديث بـ: الكريف ومعناه: (الحليف)[197]، وهناك من يفسره على أنه يعني: الجار، أوالأخ[198]، وآخرون يفسرونه على أنه يعني: الآب أو الراعي، أي: المسؤول عن الشيء[199].

ربما لا يفهم أو يستوعب العديد من الباحثين والمؤرخين، سواء أكانوا من الأجانب أم من الكُرد أنفسهم، مضامين نظام الحماية هذا، يستثنى من ذلك من عاش واختلط بالسكان في كُردستان، وخصوصاً في المناطق المختلطة دينياً، لأنّ فيها نشأ هذا النظام[200].

لا تعرف بالضبط الجذور التاريخية لهذا النظام، إلا أن هناك ما يشير إلى أن نظام الحماية: كريف، كان موجوداً في كُردستان إبان عهد الإمارات الإقطاعية الكُردية، ولكنه أصبح أكثر قوة وتنظيماً بعد سقوط تلك الإمارات في منتصف القرن التاسع عشر[201].

فبعد انهيار النظام الإماراتي في كُردستان، وعدم قدرة الدولة العثمانية على ملء هذا الفراغ الذي تركته الإمارات الكُردية سادت معظم أرجاء كُردستان فوضى عارمة، وقد أدى ذلك بالكُرد وغيرهم إلى حياة غير آمنة كلياً، أجبرت الجميع فيها على البحث عن الحماية، التي لا تستطيع الدولة العثمانية توفيرها.

فبخصوص الكُرد أنفسهم ظهرت أشكال جديدة من الكيانات، تجمع الكُرد حولها بهدف الحصول على الحماية والأمان ولقمة العيش، من هذه الكيانات مثلاً تلك التي أنشأها مشايخ الدين، الذين غدوا السادة من دون منازع في كثير من المناطق في كُردستان، مثل الشيوخ النهريين في هكاري

وبادينان، وشيوخ البرزنجة في السليمانية، وشيوخ بارزان في بادينان، وشيوخ بالو (بيران) في ديار بكر، وشيوخ آخرين غيرهم[202]، وكذلك التف الكُرد حول عشائرهم، لأنها أصبحت الضمانة الوحيدة للعديد منهم، في العيش بأمان في كُردستان، يقول ديفيد مكدول: «إن السبب في استمرارية الروح القبلية حتى الآن [في كُردستان]، هو النقد الموجه لفشل الدول في تلبية المطالب الفردية: العمل، والتوزيع العادل للثروات، والتحكيم، والصحة والرفاهية وما إلى ذلك»[203].

ظهر نوع آخر من الكيانات، وإن كانت جذور البعض منها تعود إلى العهد الإماراتي في كُردستان، وهي التي تسمى: اتحاد عشائر، مثل اتحاد عشائر الجاف، في جنوب وشرق كُردستان، واتحاد عشائر الحيدران، في شمال شرق كُردستان، واتحاد عشائر الشكاك، على الحدود الإيرانية العثمانية، واتحاد عشائر الملي، في غرب كُردستان[204]، كل هذه الكيانات ظهرت في تلك المدة، أو اشتد ساعدها وإن كانت موجودة، وكان السبب الأساسي بالدرجة الأولى في نشوئها واتساعها هو حاجتها جميعاً إلى تأمين نفسها والعيش بأمان دون خوف؛ ثم تأتي بعد ذلك ضرورات الحياة الأخرى.

أما فيما يتعلق بالكُرد والطوائف والأديان الأخرى، مثل اليزيديين الكُرد، والأرمن المسيحيين، فقد نشأ النظام المسمى بـ: الكريف، في جميع المناطق التي اختلط فيها الكُرد المسلمون بالكُرد غير المسلمين أو بالمسيحيين، ويقوم هذا النظام على رابطة الدم، وأساسها هو أن تقوم العائلة الكُردية بتطهير (ختان)، ابنها المولود حديثاً، في حضن إحدى العائلات الأرمنية أو بالعكس، وبعد ذلك ترتبط العائلتان بالدم، مثل الأعمام والأخوال؛ ثم يتبادل الطرفان الهدايا في مناسبات معينة خلال السنة، ويصبح هذا الأرمني وجميع أفراد عائلته بمثابة أقرباء لهذا الشخص الكُردي بالدم، فما يصيب الطرف الأول من خير أو شر يصيب الطرف الثاني، والعكس صحيح أيضاً[205].

والعملية هنا تعاونية أكثر منها إجبارية استبدادية، فإن تعرض الكريف إلى أي اعتداء أو أزمة فإنّ واجب الشرف، والدم، والعائلة، يناديه للدفاع عن كريفه حتى لو وصل الأمر إلى الموت، لأن أي مكروه أو اعتداءٍ لو أصاب كريفه فكأنما أصابه أو أصاب عائلته، وإذا لم يقم الكريف بالدفاع عن كريفه فستسوء سمعته بين سكان المنطقة، لأن هذه العلاقة كان رابطها الأساسي هو الشرف والكرامة، لأنّ إهانة كريفه في حادثة ما تُعد بمثابة إهانة شخصية له هو.

وفضلاً عن ذلك كان الكريف وكريفه يقومان بتبادل الهدايا في أوقات معينة من السنة، وغالباً ما كان الكريف غير المسلم(اليزيدي أو الأرمني)، يعطي لكريفه المسلم أكثر مما يأخذ، وذلك لأنه ثبت بأن الكريف غير المسلم كان في أغلب الأوقات هو الغني، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كانت وظيفة الحماية وتوفير الأمان تقع تقريباً على الكريف المسلم، يحميه من الكُرد الآخرين، أو من قطاع الطرق والسارقين، أو من موظفي الدولة الفاسدين، أو من الفرق الشركسية واللازية إن تواجدت في منطقتهم.كثيراً ما اتهم الكريف المسلم بأنه كان يأخذ ضريبة إجبارية من الكريف غير المسلم، فمثلاً يقول المؤرخ كمال مظهر: «فقد كان على أولئك الفلاحين البائسين [الأرمن] أن يدفعوا علاوة على (ضريبة الكفر) ضروباً أخرى من الضرائب والأتاوات، بل إن بعض المصادر تروي كيف كانت العروس الأرمنية في بعض المناطق تؤخذ في ليلة الدخول إلى الإقطاعي الكُردي أولاً»؟![206]

لا تشير الوثائق الأجنبية إلى مثل هذه الضريبة (الكفر)، ولم تكن هذه الضريبة موجودة أصلاً في أي مكان أو زمان في كُردستان، فقط كانت موجودة في مخيلة اللجان والمنظمات الأرمنية لا غير[207]. أما الضريبة الأخرى وهي ضريبة أخذ العروس الأرمنية في بعض المناطق إلى الإقطاعي الكُردي أولاً فقد ثبت بالأدلة زيف هذا القول من أساسه وأنها دعاية مغرضة، لأن أغلب

القناصل الأوروبيين البريطانيين والروس قد أشاروا إلى أن أقسى الإقطاعيين الكُرد جبروتاً كانوا موجودين في منطقة ساسون، ولكن لجنة القناصل الأوروبية عندما ذهبت للتحقيق في أمر أزمة ساسون، ذكرت أن أقسى الضرائب هي أن الأرمني كان يجب أن يدفع نصف مهر ابنته إلى الآغا الكُردي عند زواجها، ولكن اللجنة نفسها لم تستطع إثبات مثل هذه الضريبة والشائعات، بل حتى إن العديد من الأرمن هناك نفوا أنهم كانوا يقدمون أي ضريبة للكُرد، كما مر بنا سابقاً، ولم يكن إعطاء بعض المواد لهذا الآغا، أو المختار، أو الشخص الكُردي سوى مسألة تعاونية بين الطرفين؛ الجانب الكُردي يقدم الحماية ويموت في سبيل كريفه، والجانب الأرمني يقدم بعض الهدايا في مناسبات معينة. يقول هاريس عن عادة الكريف ما يلي: «في الحقيقة كان هناك نظام إقطاعي في العديد من الحالات ومنذ زمن بعيد، فكانت قبيلة كُردية توفر الحماية لقرية أرمنية من لصوص آخرين مقابل جزية سنوية تدفع للقبيلة، وهذا نظام موجود في معظم مناطق العالم الإسلامي، وعلى ما يبدو فهو مشابه لذلك النظام المتبع اليوم [في العقد الأخير من القرن التاسع عشر] في حالة اليهود في مغرب ما وراء الأطلس، والذين يدفعون مبالغ صغيرة للبربر من أجل توفير الحماية لهم»[208].

كما أن هناك مسألة أخرى، وهي التي ذكرها المؤرخ كمال مظهر، وهي: الليلة الأولى للإقطاعي، فإنّ مسائل الشرف، والكرامة، وعزة النفس، لم تكن تختلف ما بين الأرمني والكُردي، بل كانت عاداتهم وتقاليدهم في العديد من المناطق، هي واحدة حتى لباسهم وطريقة عيشهم، كانت لا تختلف عن الأخرى في شيء؛ ووجدنا في قضية موسى بك، هذا الإقطاعي الكُردي الكبير، في أنه فقط خطف فتاة أرمنية، أقام الأرمن الدنيا ولم يقعدوها، حتى تمكنوا من استرجاع فتاتهم، فكيف بقضية كبيرة مثل قضية الليلة الأولى؟!

بالاستناد إلى ما سبق يتبادر إلى الذهن سؤال، وهو: إذا كان الأمر هكذا، فلماذا لم يبادر الكُرد إلى الدفاع عن الأرمن في ساسون؟ أين كان كريفهم؟

إن تقرير اللجنة الأوروبية لتقصي الحقائق في ساسون يجيب عن هذا السؤال بوضوح، فقد ذكر القناصل أنّ سبب تدهور علاقة الكُرد بالأرمن في ساسون يرجع إلى شيئين، الأول: هو العصبية التي أظهرها شيوخ الكُرد، بحيث تعاونوا فيما بينهم لحماية أنفسهم، وقرروا إبعاد الأرمن من هذا التعاون، وكذلك أن لا يقاتل بعضهم بعضاً من أجل الأرمن، والسبب الثاني: كان في الهجمات الأرمنية على الكُرد هناك، بعد دخول اللجان الأرمنية إلى ساسون.

يظهر هنا بأن الذي حافظ على استقلال الأرمن في كُردستان، وحمايتهم لعصور طويلة من الزمن، كانوا هم الكُرد، أما لماذا تخلوا عن الأرمن، فذلك لأنه منذ ظهور الأحزاب والمنظمات الأرمنية على الساحة في كُردستان، وتصوير العلاقة القائمة بين الكُرد والأرمن بأنها مثل علاقة العبد بسيده، قام الأرمن بالهجوم على الكُرد ورفضوا حمايتهم منذ ذلك الوقت. وقد ذكر تقرير ساسون عشرات الهجمات الأرمنية على الكُرد وليس العكس، وبهذا العمل تحطم نظام الحماية (كريف) في كُردستان، فما أن تخلّى الكُرد عن حماية الأرمن في ساسون، حتى قام الجيش العثماني بمهاجمتهم.

ففضلاً عن أن تلك اللجان خلال السنوات الأولى من تسعينيات القرن التاسع عشر قد عملت في كثير من مناطق كُردستان على إقناع الأرمن المحليين بالتخلي عن نظام الحماية (كريف)، وتصويره على أنه شكل من أشكال العبودية، مثلما فعل داماديان ومراد قبل أزمة ساسون، كما مر بنا، فإنّ المفارقة هنا هي أن تلك الأحزاب والمنظمات، وكذلك الدول الأوروبية، فشلت في توفير ما كان يقدمه الكُرد للأرمن وهي الحماية؛ المهم هنا أن نظام

الحماية (الكريف)، قد بطل العمل به في شمال كُردستان، مما أثر في مجمل مرافق الحياة في كُردستان.

عندما شعر السكان الأرمن بأنهم غير قادرين على حماية أنفسهم، وأنّ تلك المنظمات والأحزاب الأرمنية لم تفِ بوعودها لهم، خلال الأزمة الأرمنية، بادر الأرمن من جديد إلى محاولة كسب الكُرد مرة أخرى من أجل إعادة نظام الكريف، الذي أمن لهم الحماية سابقاً، وقد مر بنا، في تقرير القنصل الروسي مايوسكي، كيف أن الأرمن طلبوا الحماية من الآغوات الكُرد، الذين كانوا معروفين على أنهم مجرمون وقطاع طرق، أمثال: حسين باشا الحيدران، وموسى بك، وحاجي آغا، وفعلاً وافق هؤلاء الإقطاعيون على حمايتهم والدفاع عنهم، بل إن الأرمن قد طلبوا من السلطات المحلية في وان، وكذلك من القناصل، أن يقنعوا حسين باشا بالبقاء في المنطقة، وأن لا يتخلى عن حماية قراهم، وقد أشار كثيراً سعد الدين باشا إلى هذا الموضوع في ذكرياته، ورغم قوله في مرات عديدة إن بعض الوجهاء من الكُرد والأرمن قد استغلوا أمر الحماية تلك، إلا أنه يقول في مرات أخرى، إن الأرمن كانوا يأتون إلى وان، ويترجون الوالي لغرض تعيين فلان الكُردي حارساً على قريتهم[209]، والأكثر من هذا يشير كارو ساسوني، إلى أنّ الطرفين الكُردي والأرمني، وفي أثناء قيام حزب الطاشناق، بقيادة حرب عصابات ضد الدولة العثمانية ما بين 1897 ـ 1908 ـ سيأتي الحديث عنها لاحقاً ـ وفي مرات عديدة عندما كانا يشتبكان في معركة ما، كان الأرمن يصيحون بأعلى صوتهم أنهم: كريف لهم، وما أن يسمع الكُرد هذه الصيحة حتى يتوقف القتال فوراً، بل يصيران بعد ذلك أصدقاء، ويساعد بعضهم بعضاً ضد القوات العثمانية هناك[210].

إن الملاحظة التي يجب أخذها في الاعتبار هنا أن سعد الدين باشا وصل إلى قناعة بعد الأزمة الأرمنية، أن الذي يستطيع أن يفرض النظام، والحماية

في شمال كُردستان كانوا هم الفرسان الحميدية، وليس الجيش العثماني المرتشي والفاسد، ولا السلطة المدنية[211]؛ لذلك فإن منطقة شمال كُردستان كلها وقعت تحت حماية الفرسان الحميدية، وهُمّش الجيش والسلطة المدنية في الولايات هناك وقلّ دورها؛ على هذا الأساس نرى هنالك شكاوى عديدة قدمها الجيش والسلطة المدنية ضد الفرسان الحميدية، لا لشيء إلا لسبب منطقي وواقعي وهو أن الحميدية سحبت البساط من تحت أقدامهم بعد الأزمة الأرمنية، وتمكنت من فرض الأمن إلى حد ما، وهذا ما لم تستطع الحكومة العثمانية القيام به في العقود الخمسة المنصرمة.

كثيراً ما تُنتقد الفرسان الحميدية على أنها كانت وراء العديد من المشاكل في كُردستان، ونرى هذا بوضوح في تقارير القنصليات الأجنبية العاملة في كُردستان، على أنها لم تكن لتشبع من عمليات السلب والنهب، وفي مرات قليلة كانت تقوم بالقتل إذا واجهت رداً من أصحاب الحق، ولكن على العموم هناك بعض الأمور التي يجب النظر إليها بدقة ومن أكثر من زاوية، منها أنه: متى كان الكُرد على وفاق مع الأتراك في عهد من العهود؟ ربما يفسر موقف الفرسان الحميدية من الأزمة الأرمنية الأولى، على أنها دافعت عن اسم وأرض (كُردستان) ضد اسم وأرض (أرمنستان)، بوعي أو من دون وعي، ولكنها في حقيقة الأمر دافعت عن الوجود الكُردي في كُردستان؛ كما يحسب للفرسان الحميدية أنها وفقت إلى حد بعيد في العمل على استقرار العشائر الكُردية الرحالة، وجعلت ابناءَها يلتفتون إلى الأرض حيث إن عشائر كُردية عديدة قامت بالاستقرار في القرى وفي المدن الكُردية، ويمكن القول إنها نزلت من الجبال لتستقر في السهول، مثل اتحاد عشائر الحيدران، والجلالي، والملي وعشيرة ميران، وعشيرة البكران، وعشائر أخرى عديدة استقرت بعدما كانت تقوم بالهجرة الموسمية، لذلك نرى أن الكل انتقدها؛ الكُرد المستقرون أولاً، ثم الأرمن والأتراك، وكذلك الجيش والولاة.

رابعاً ـ تغير الإستراتيجية الأرمنية تجاه الكُرد 1897 ـ 1908

بدأت الأحزاب والمنظمات الأرمنية من جهة، والأرمن المحليّون من جهة أخرى، السعي من أجل تدارك الموقف بعد انتهاء الأزمة الأرمنية 1894 ـ 1896، التي كانت نتائجها كارثية على المجتمع والاقتصاد الأرمني في شمال كُردستان من خلال خطين متوازيين، الأول: محاولة إعادة العلاقة الودية مع الكُرد، والتي من العسير جداً بدونها إن لم يكن من المستحيل، كسب المعركة ضد السلطان عبد الحميد الثاني وإدارته في كُردستان.

أما الخط الثاني: فكان التغيّر في الاستراتيجية الحربية للأحزاب والمنظمات الأرمنية؛ فبعدما كانت تعتمد في السابق على أسلوب الانتفاضات والثورات الشاملة، تغير نمط الحرب إلى قيادة الأرمن لما تسمى بـ: حرب عصابات ضد الدولة العثمانية ما بين أعوام 1897 ـ 1908؛ وقد نجم عنها مواجهات ملحمية لا حصر لها، كتب عنها أحد المؤرخين الأرمن قائلاً: «كانت عهداً من المجد، والتضحية، والبطولة»[212].

لقد عرفت الأحزاب الأرمنية أن أبرز أخطائها خلال الأزمة هي عدم كسب الكُرد إلى جانبهم في الصراع ضد الدولة العثمانية، بل إن تلك الأحزاب هي من أرادت في واقع الأمر انحياز الكُرد إلى جانب الأتراك في هذا الصراع، ظناً منها أن استقلال (أرمينيا الغربية) بات وشيكاً، وإنهم لا يحتاجون أي

مساعدة في الدولة العثمانية وكُردستان، لظنّهم أن الدول الأوروبية ستتدخل في المسألة ما أن تبدأ فصول الحرب، وأن أرمينيا بدون الكُرد أفضل بكثير من أرمينيا بوجود الكُرد.

بخصوص الأحزاب الأرمنية التي قادت الصراع في الحقبة ما بين 1897 و1908، فقد وقع أغلب ذلك الصراع على كاهل حزب الطاشناق، وذلك لان حزب الأرمنيكان انتهى عملياً بقضاء الدولة العثمانية على انتفاضة الأرمن في وان أواخر عام 1896، فقد كان وجوده الأساسي في تلك المدينة، كما انه لم يكن له ذلك الثقل في الخارج[213]، أما حزب الهنشاق، بزعامة نزاربكيان، فقد أصابه الانشقاق بحلول عام 1897، وذلك لأن بعضاً من أعضاء حزبه أرادوا تحويل الحزب إلى حزب قومي بالدرجة الأساس، وإخراجه من دائرة الاشتراكية التي أضرت به داخلياً وخارجياً حسب اعتقادهم، وقد أبعدت توجهات الحزب الاشتراكية حلفاءَهم الأوروبيين، كما أن هذا الحزب كان قد تلقى أشد الضربات أثناء الأزمة الأرمنية، وقام المنشقون بتأسيس حزب جديد في عام 1898، بمدينة الإسكندرية في مصر تحت اسم: هنشاق الجديد، كما تعرض حزب نزاربكيان لانشقاقات عديدة أخرى، فما يلبث أن يخرج من انشقاق إلا ويدخل في آخر، حتى الانقلاب العثماني في تموز 1908[214]، لذلك وجد حزب الطاشناق (A.R.F) نفسه وحيداً في قيادة الحرب المستقبلية ضد الدولة العثمانية، وهو يعمل على اكتساب الكُرد وآغواتهم، الذين لم يقاتلوا إلى جانب الدولة العثمانية خلال الأزمة، إلى صفوف المقاومة[215].

الكُرد وحرب العصابات الأرمنية

في شهر آب/ أغسطس 1896 أصدر حزب الطاشناق، فرع اسطنبول بياناً يتضمن (12) مادة، تناول فيها الفرع أغلب الأمور المستقبلية للحزب،

وقد اختتم الموقعون بيانهم بالفكرة الآتية، والتي يظهر من خلالها أن الحزب لن يتوقف عن نضاله ضد الدولة العثمانية، حتى حصوله على كامل حقوقه القومية، فقد جاء فيه: «نحن نعرف أننا سنموت، ولكننا سوف نبقى نقاتل في سبيل معتقداتنا وقوميتنا، ومطالبنا الخاصة كشعب وكأفراد أرمنيين، لن نكل أو نمل إلى أن تتحقق حريتنا واستقلالنا، والى ذلك الحين سوف نبقى نقاتل لغاية آخر أرمني حي على سطح الأرض، ولن نترك العثمانيين يذوقون طعم الراحة والأمان في عاصمتهم استانبول، لحين تحقيق مطالبنا أو الموت دونها»[216].

بخصوص الكُرد قام الطاشناقيون باتباع الأساليب الآتية معهم طوال المدة من 1897 إلى 1908، وهي:

1 ـ الانتقام من الآغوات و البكوات الكُرد، الذين تعاونوا مع الحكومة العثمانية، خلال الأزمة الأرمنية 1894 ـ 1896، أو من الذين سيتعاونون معها في المستقبل.

2 ـ محاولة كسب الآغوات الكُرد، الذين لم يتعاونوا مع الحكومة العثمانية، أو الذين ساعدوا الأرمن خلال الأزمة، أو الذين اتخذوا موقف الحياد حينذاك.

3 ـ إقامة علاقة صداقة مع المثقفين الكُرد المعارضين للدولة العثمانية، بهدف توحيد الجهود.

لم تصدر هذه الاستراتيجية الجديدة من الطاشناقيين، ضمن منشور معين، إلا أنه يمكن الاستدلال عليها من خلال متابعة سير الأحداث التاريخية، التي اشترك فيها الكُرد والأرمن خلال المدة 1897 ـ 1908، والتي تبين بوضوح أن الأرمن قد أحسوا بدور العامل الكُردي الفعّال والمؤثر في المسألة الأرمنية.

قامت خلايا الحزب الأرمني الطاشناق بتنظيم صفوفها في كُردستان بعد انتهاء الأزمة الأرمنية، وبقيادة حرب عصابات ضد مرافق الدولة العثمانية في

كُردستان، وضد الآغوات الكُرد الذين كانوا قد تعاونوا مع القوات العثمانية حينذاك، كما قاموا بالعديد من العمليات ضد الأرمن المتعاونين مع الحكومة العثمانية، إذ كانوا يعدونهم خونة[217].

وأول عملية كبيرة قاموا بها ضد الكُرد كانت في أواخر شهر تموز/ يوليو من عام 1897[218]، فقد غادرت قوة مؤلفة من (250) رجلاً من الطاشناقيين قاعدتها على الحدود الفارسية وكانت بقيادة فارتان (Vartan)، وقامت بمهاجمة مخيم قبيلة مازرك (Mazrik) الكُردية في سهل خاناسور (Khanasor) قرب مدينة وان[219] وقد هاجمت تلك القوة إحدى المجموعات العشائرية المسماة (شاكيفتي شيكاك) التي أحبطت الاجتياح الأرمني الداعم لانتفاضة وان في حزيران 1896، وقد هاجموا مخيم الشيخ شريف (في بعض المصادر الشيخ شرف) على حين غفلة، فقُتل العديد من الكُرد (أكثرهم من النساء والأطفال)، وفقاً لتوصيف القنصل البريطاني في تبريز: «مع الاقتراب من الوادي حيث كان المخيم، توقفوا للجم جيادهم ولتناول القربان المقدس؛ ثم أكملوا مسيرتهم نحو الخيم الكُردية التي فتحت عن الجانبين، بحسب الفصول، وعند صدور الإشارة المتفق عليها مع بزوغ فجر الخامس من آب/ أغسطس (1897)، أمطروا المكان بوابل من نيران البنادق ثلاث مرات على التوالي، وما أن ألقوا أسلحتهم أرضاً حتى انقضوا شاهرين سيوفهم على الكُرد العزل، وقتلوا كل من كان في مرمى الحسام، من رجال، ونساء، وأطفال، إضافة إلى الشيخ وعقيلته [يقصد هنا الشيخ عبد القادر] الذي قتله القائد الدكتور أوهانيان»[220].

قام العثمانيون بتشكيل لجنة للتحقيق في هذا الحادث، وكانت برئاسة (المقدم محمد عزت بن علي) قائد الكتيبة الحميدية (56)، و(محمد توفيق) نائب مساعد المدعي العام في هكاري، والموظف المدني (سعيد بك)، وجاء في تقريرهم أن عصابة مسلحة أرمنية قامت في ليلة الجمعة 25 تموز/ يوليو

ـ الصحيح أنهم عبروا الحدود في تلك الليلة ـ بهجوم مفاجئ على معسكر يعرف ب: خانسور في (كازاباك)، وكان يعد المعسكر الصيفي لشيخ القبيلة، حيث كان يوجد فيه المقدم (شريف بك) من الكتيبة الحميدية (العشرين) مع بعض أفراد القبيلة، وقد ارتكبت العصابة أعمالاً وحشية ضدهم، وحسب التقرير يبعد معسكر خانسور حوالى نصف ساعة عن الحدود الفارسية، وفي الهجوم قُتل (160) ما بين رجل وامرأة وطفل، وجرح (70) شخصاً؛ ولكن أفراداً من العشيرة نفسها لاحقوا العصابة الأرمنية حتى الحدود الفارسية، وقتلوا بعضاً من أفرادها، وكان من بين القتلى عدد من جنود الفرس. وقال المحققون العثمانيون بخصوص القتلى من الكُرد ما يلي: «الحقيقة فإن الأعمال الشنيعة، التي ارتكبها هؤلاء المتمردون ضد المسلمين لا سابقة لها، وهكذا لم يكونوا مقتنعين بقتل النساء المسلمات فقط، وإنما حتى إنهم بقروا بطون الأطفال، وقطعوا صدورهم، وقد عثر في حقيبة أحد الأرمن المقتولين على قطع من صدور أطفال»[221]. ويتابع المحققون في هذه الحادثة القول: إن الشيخ نعيم الدين أفندي قُتل بشكل مروع، حيث قطع إرباً، وكذلك الشيخ (كوسنين أفندي) الذي قلعت أسنانه، وينهي المحققون تقريرهم بالقول: «وحصل الشيء نفسه [أي: عملية التمثيل بالجثث] مع الأطفال من الذكور، والإناث من عمر سنة إلى سنتين، وآخرين تركوا، بعد أن قطعت أيديهم وأرجلهم، وهكذا توجد مشاهد أخرى يصعب وصفها، حتى إنهم عاملوا النساء الحوامل بمنتهى الوحشية، حيث أجبروهم على الإجهاض، وفي حالة أخرى قاموا بشق بطونهم، وأخرجوا الجنين من داخل الرحم. هذه هي نتيجة تحقيقاتنا»[222].

وباستفادتهم من عنصر المفاجأة أحرز الأرمن نصراً ساحقاً، وصفه مؤلفون أرمن بطرق مختلفة مثل (قُتل الجزء الأكبر من القبيلة)، أو(أُبِيْدَ الجزء

الأعظم من القبيلة)[223]، وطبقاً للمؤرخ لانغر (Langer) فإن الأرمن: «قاموا بقتل أو التمثيل بالرجال، والنساء، والأطفال، بشكل وحشي»[224]، وتشير بعض الإحصاءات الأخرى إلى أن عدد القتلى من الكُرد قد بلغ (400) شخص من الجنسين[225].

انتشر هجوم خاناسور بشكل واسع في الصحافة الأوروبية، فكان تأثيرها الأعظم على الأرمن، فقد جربوا شعوراً من التشجيع، كما نما لديهم الأمل على أنهم سيحصلون على حريتهم السياسية بأنفسهم، بدلاً من اضطرارهم للاعتماد على الوعود الأوروبية العقيمة[226].

من جانبه قام الشيخ شريف بالهجوم على القرى الأرمنية الواقعة على الحدود الفارسية العثمانية، بهدف الانتقام من الأرمن، وتذكر بعض المصادر أن حوالى (150) أرمنياً قتلوا في هذا الهجوم[227]، بادلها الفدائيون الأرمن بهجوم آخر على معسكر شريف بك وهكذا[228]، بعدها ألقى العثمانيون القبض على الشيخ شريف إلا أنهم أخلوا سبيله بعد ذلك بحلول عام 1900[229].

قام الأرمن بعد ذلك بعشرات العمليات ضد الآغوات الكُرد، خصوصاً المنضوين تحت لواء الحميدية، وقد برز أسماء العديد من الأرمن آنذاك، وتداول الناس في كُردستان على أنهم أبطال لا يهابون الموت، أمثال: روبين (Rouben)، واشخان (Ishkhan)، وفاردان فاردابيت (Vardan Vardbed)، وتاتول (Tatoul)، وابرو (Abro)، وسيروب باشا (Serop Pacha)، وكيفورك جافوش(Kevork Chavoush)، وآخرين غيرهم كثر[230].

يتحدث بعض المؤلفين الأرمن والمعجبين بالطاشناق عن (أشخاص خالدين)، من الذين قاتلوا في (المعارك الأرمنية من أجل التحرير)، فوصفوهم بالأبطال الأسطوريين، أكثر من الأحياء الذين استطاعوا النجاة بأنفسهم في خضم المعارك الجسام، وفي بعض الأحيان من خلال جميع

أنواع النجاة بشكل عجيب؛ فقد أشاروا إلى الثوريين بوصفهم أصحاب ثأر، الذين لا يترددون في المجازفة بحياتهم من أجل قتل أولئك الذين يعدونهم من الظالمين. وأطلق مؤلف آخر على مثل هذه الأعمال اسم (عمليات الثأر الإرهابية) التي نفذت من أجل (الدفاع عن النفس)[231]، ومنهم أحد هؤلاء الفدائيين هو (كيفورك جافوش) مثلاً، إذ يطلق عليه وصف: «الرجل صاحب الخنجر، المستعد دوماً من أجل قتل أولئك الذين يضايقون الناس العزل»[232]. ومن جانبه وصف القائد الأرمني روبين في مذكراته عن حرب العصابات في موش، فدائيي الأرمن هناك بهذا الشكل: «كان لدى فدائي موش مشية متهورة وطائشة، حيث كان يمشي رافعاً رأسه إلى الأعلى بتفاخر، وعندما كان يحدق إلى أي شخص تحس بأنه يود أن ينقض عليه كالنمر...»[233].

وبرز أيضاً في تلك الحقبة القائد الأرمني المعروف انترانيك باشا (Antranik Pacha) (1927 - 1865)، حيث قام بالعديد من العمليات القتالية ضد الأغوات الكُرد، منها العملية المشهورة في عام 1901، عندما قام بالهجوم على خليل بشير ـ المتهم بقتل أحد قادة الفدائيين الأرمن ـ وقتله انترانيك مع ثلاثة كُرد آخرين، وتحصن انترانيك بعدها في أحد الأديرة بالقرب من موش؛ إذ حاصرته الشرطة التركية هناك، وقام بالتفاوض معهم. وأكد انترانيك للشرطة التركية من خلال وسيط على أنهم ليسوا أعداء للسلطان، وإنما هم ضحايا الكُرد، وإنهم لم يقوموا بمهاجمة حملة البريد، ولم يهاجموا القرى، وكان قتلهم لهؤلاء الكُرد بسبب مسؤوليتهم عن قتل بعض الأرمن، ويعترفون بالسلطان العثماني أنه سلطانهم، ولكن يجب وضع حد لرؤساء وشيوخ الكُرد وانتهاكاتهم في المنطقة، وإقامة العدل والقانون، عندها سينـزلون من الجبال، ويمارسون حياتهم الاعتيادية[234]، كما قاد انترانيك باشا انتفاضة ساسون الثانية

التي اندلعت في العام 1903، إلا أن القوات العثمانية تمكنت من محاصرته، والقضاء على حركته في نيسان/ ابريل 1904[235].

أما فيما يخص إقامة العلاقات الودية مع الكُرد، بهدف توحيد الجهود، وطرد الأتراك من كردستان، فيشير روبين إلى أن عدداً من القادة الثوار الأرمن اجتمعوا في العام 1895 لبحث العلاقة مع الكُرد، وفي الاجتماع غُلِّب الرأي الداعي إلى ضرورة إقامة علاقات مع الكُرد، إذا أرادوا الحصول على الحرية لمنطقتهم، وطرد الجنود العثمانيين منها، وكان من مؤيدي التعاون مع الكُرد الفدائيان (تاتول، وابرو)، لذلك استغل فاردان فاردابين امتعاض الكُرد من الدولة العثمانية، إثر إلقاء مسؤولية تفاقم الأوضاع عليهم في الأزمة الأرمنية، حيث استفاد من هذه الحالة إلى أبعد حدود؛ فقد التقى بشكل متواصل مع القادة الكُرد الذين لم تتلطخ أيديهم بدماء الأرمن، كما يقول، وعرض عليهم رسالة الأخوة والحب، والتعاون الثنائي؛ لقد أوضح لهم أنهم بقتل الأرمن يحفرون قبورهم بأيديهم، وكسب بهذه الدعوة عدداً من القبائل الكُردية، التي كانت لديها الإرادة في العيش كأخوة وبالتعايش السلمي[236]، وكان الكُرد يدعونه كيشيش أو قشّه (Keshish) ـ أي الكاهن أو الأب ـ وهذا سهل عمله في بعض القرى الأرمنية التي خدم فيها[237]. ويذكر روبين عن فاردان فارابيت: «بأنه أعطى المئات والآلاف من القطع الذهبية الصفراء لضباط الحكومة وآغوات الكُرد، وأرسل إليهم هدايا من بغال محملة بالجبن، والزبدة، والقمح، والشعير، وعشرات من رؤوس الأغنام من أجل، كما أراده هو، أن يعمي عيون ضباط الحكومة والآغوات الكُرد [عن الثوار الأرمن في المنطقة]»[238].

وقد وقف العديد من الكُرد إلى جانب الثوار الأرمن، حتى وصل الأمر ببعض الكُرد إلى تأليف القصص والأغاني عن أعمال هؤلاء الفدائيين الأرمن[239]، وأن الكُرد أنفسهم أطلقوا لقب (الباشا) على القائد الأرمني سيروب نظراً لأعماله البطولية في المنطقة[240].

لقد انضم العديد من الكُرد إلى حزب الطاشناق، وعملوا في صفوف الفدائيين الأرمن، بل وصل الأمر إلى أن قتل بعضهم في هذا السبيل؛ فقد أشارت المصادر الأرمنية إلى كُردي يدعى مسطو (Misto)، كان يعمل مخبراً لدى الفدائيين الأرمن، يقول عنه ساسوني: «كان من أكثر الرجال صدقاً، ويمكن الاعتماد عليه في نقل الأخبار، فقد كان يقوم بواجباته بأكثر من المطلوب، ولكنه قتل مع مجموعة بوهيك (Pohig)، على أثر نيران العدو»[241].

واشتغل بعضهم الآخر مع الفدائيين الأرمن في مجال نقل الأسلحة، ففي الرابع عشر من نيسان/ ابريل 1903 مثلاً، أبرق قائمقام بتليس إلى استانبول: إنه ألقي القبض على مجموعة من الكُرد يشتبه بهم في تزويد الفدائيين الأرمن بالأسلحة، كما وردت في مجموعة وثائق القناصل الانكليز في كُردستان في العام 1903 أن الحرفيين الأرمن يقومون بتجهيز الأسلحة في البيوت الكُردية[242].

كما أن قسماً من رؤساء العشائر الكُردية غضوا الطرف في أثناء دخول بعض المجموعات الأرمنية إلى مناطقهم، وأبـدوا تجاه أفرادها حسن النيّات[243]، وقد أبلغ القنصل الإنكليزي العام في تبريز (أ ـ فانسلاف)، في تقريره في كانون الأول 1903، أن أرمن تركيا استلموا السلاح عبر الحدود التركية ـ الفارسية، وذلك بمساعدة الكُرد ذوي النفوذ[244].

فضلاً عن ذلك، فإنّ الفعاليات الكُردية ـ الأرمنية كانت شبه علنية في درسيم[245]، ووردت في وثائق الدبلوماسيين الإنكليز في عام 1903 أيضاً معلومات تفيد أن كُرد سيرت موّنوا الفدائيين الأرمن، الذين حاصرهم الجيش التركي في ساسون بالمواد الغذائية[246]. ويقول روبين عن تموين الكُرد للفدائيين الأرمن أثناء حرب العصابات: «عندما يعسكر الفدائيون في قرية لا

يغادرونها وهم جائعون، تنافس الكُرد والأرمن على القيام بدور الضيافة، بأقل قدر من الطعام والماء يمكن أن يجهز»[247].

وكتب نائب القنصل البريطاني في وان تيريل (Tyrrell) في نيسان/ ابريل 1904، أنّ الثوريين الأرمن يصلون إلى وان بشكل متواصل متنكرين بزي الكُرد، وأن الكُرد على أهبة الاستعداد لمساعدتهم على هذا العمل، والسماح لهم بالعبور من الحدود، وإرشادهم إلى الطريق التي يسلكونها، مقابل أموال كافية تدفع لهم[248].

وفي الرابع من آذار/ مارس العام 1905 كتب القنصل الروسي شيركوف في بتليس إلى السفير زينوفيف في استانبول الآتي: «لا يجوز التغاضي عما اكتشف خلال هذا الشتاء، من وقائع تثبت وجود علاقة خفية بين الكُرد والثوار الأرمن، وأكثر من ذلك فإنهم [أي: الكُرد] يقدمون المساعدات للثوار [الأرمن] في قراهم»[249].

إلا أن هذه العلاقة بين الفدائيين الأرمن والكُرد تأثرت كثيراً بخيانة قاسم بك شقيق موسى بك في العام 1907، كما يقول روبين، حيث كان يعمل مع الثوار الأرمن منذ أواخر القرن التاسع عشر إلا أنه خانهم عندما قام بقتل ثلاثة منهم كانوا بصحبته[250].

ومن جانب آخر نشأت علاقة بين النخبة المثقفة الكُردية المعارضة للدولة العثمانية في أوروبا والأحزاب الأرمنية هناك، وخصوصاً مع حزب الطاشناق، في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ومن أبرز هؤلاء الذين ارتبطوا بعلاقات طيبة مع الأرمن هم: (عبد الرحمن بدرخان[251]، وعبد الله جودت[252]، وإسحق سكوتي[253]، وعثمان بدرخان) ـ سنتحدث عن هذه العلاقة لاحقاً ـ إلا أنه من المفيد القول، إن الكُرد والأرمن اتفقا هناك كمبدأ، على أن الدولة العثمانية كانت هي السبب الأساسي في نشوء

الأزمة الأرمنية، وتدهور علاقة الكُرد بالأرمن؛ فعلى سبيل المثال عندما فر عثمان بدرخان من الدولة العثمانية إلى أوروبا، أدلى ببعض التصريحات لجريدة (ماتين) وفيما بعد نشرت الجريدة الأرمنية نوردار(Nordar) نص هذا التصريح كاملاً، في عددها الرقم (228) الصادر في كانون الأول/ ديسمبر 1900، ومن خلال التعليق أشارت الجريدة إلى: «إن عثمان بك هو من أبناء أمراء كُردستان، وغادر تركيا متحاشياً عقوبة السلطان لرفضه تنفيذ أوامره بتهجير سكان إحدى القلاع، وأكد عثمان بك في تصريح له أنه سعى لسنوات طوال إلى توحيد قوى الأرمن والكُرد، من أجل الانتفاضة الكبرى ضد النير التركي: إن الكُرد والأرمن مسلحون سراً [القول لعثمان بك] وهم ينتظرون فقط عودتي، لكي نقوم قيامة رجل واحد، وسوف تكون من أعنف المعارك، التي ستشهدها الإمبراطورية العثمانية منذ نشأتها، إن رغبتي تتلخص في خلاص كُردستان من الفوضى، ومن الوضع الاقتصادي المشين، الذي أوجده النير التركي المخزي، الذي حول هذا الشعب المحارب، إلى سلاح بيد الاستبداد والتعسف لمصلحة الحكم التركي المطلق»[254].

رغم هذا التعاون الكُردي مع الأرمن خلال المدة 1897 ـ 1908، إلا أنه بقي محدوداً، ولا يمكن إعطاء تلك القضية شكلاً أكبر من حجمها الحقيقي؛ صحيح أن العديد من الكُرد قد ساعدوا المجموعات الثورية الأرمنية، إلا أن قلة قليلة وكما يقول فدائيو الأرمن من بين هؤلاء الكُرد من آمنوا بقضيتهم، ومن جانبهم لم يكن من السهل الوثوق بالكُرد. يقول الباحث كارابيت ك.مومدجيان: «إن القبائل الكُردية والقرى التي تعاونت مع الحركة الأرمنية كانت محدودة من حيث العدد، معظمها على ما يبدو شارك في الجهود المبذولة بسبب الخوف، لأنها كانت تقع ضمن مجال عمل المجموعات الفدائية الأرمنية؛ إن عدداً قليلاً جداً فقط من الكُرد تعاونوا وبشكل منفرد

مع الأرمن بسبب إيمانهم بعدالة القضية الأرمنية، بل انضموا إلى بعض المجموعات الفدائية الأرمنية، وقُتِلوا ببسالة في القتال جنباً إلى جنب مع زملائهم الأرمن»[255].

هنا لا بد من القول، إن الأرمن في تلك الآونة لم يقدموا برنامجاً يقنع الكُرد بشرعية قضيتهم، وكان هناك غموض واضح بشأن أهدافهم، ولماذا لا نقول: إن الكُرد قد ساعدوا الأرمن بدافع العلاقات العميقة الجذور بينهم والموغلة في القدم، وإن الأرمن هم الأقرب إلى قلوب الكُرد من الأتراك، حتى وإن اختلفت ديانتهم، فعاداتهم وتقاليدهم هي نفسها، لذلك يبدو أن السبب في عدم توجه الكُرد بقوة نحو الثوار الأرمن يكمن في أن أهداف هؤلاء الثوار كانت غامضة لدى الكُرد؛ ثم لماذا يقاتل الكُرد إلى جانب الأرمن؟ ولماذا يعرضون أنفسهم وعوائلهم للخطر؟

وصح المثل القائل: «إن التاريخ يعيد نفسه»، فبالأمس القريب كان الكُرد يحتاجون إلى مساعدة الأرمن، أيام انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري، وكم مرة حاول فيها الشيخ كسبهم إلى جانبه إلا أنهم لم ينضموا إليه، لاختلاف قضيتهم وأهدافهم، وشكوكهم نحو نيّاته، فهم خافوا من أن يقوم الشيخ بتأسيس دولة كُردستان على حساب دولة أرمنستان، وأما الآن، أي خلال المدة 1897 ـ 1908، فقد تبدلت الأدوار رأساً على عقب، فاليوم يقوم الأرمن بطلب مساعدة الكُرد، ولكن هنا يلاحظ الفرق، وهو أن العديد من الكُرد قد قاموا بتقديم المساعدة إلى الأرمن، في حين نرى أن الأرمن أيام الشيخ عبيد الله النهري لم يقدموا أي مساعدة تذكر، بل قاموا بتشويه صورة انتفاضته عند الدول الغربية، كما مر بنا سابقاً.

لذلك كان على الثوار الأرمن أن يقدموا برنامجاً يرضي طموحات الكُرد أيضاً، ولا يخفى على أحد أن الكُرد كثيراً ما شكّكوا في نيّات الأرمن حول

محاولتهم تأسيس أرمنستان الكبرى، كما أنه ومنذ مؤتمر برلين 1878، كان قد طغى على تفكير الكُرد في شمال كُردستان أن الأرمن سيحولون كُردستان إلى أرمنستان، لذلك نجد أن الكُرد كثيراً ما عدوا الأرمن خونة، لأنهم يحاولون الظفر بالأرض التي كانت تعود لكليهما سابقاً.

أما لماذا لم يقدم الأرمن هذا البرنامج الذي يلبي ولو قليلاً من طموحات الكُرد أيضاً؟ لسبب بسيط وهو: أن الأرمن كانوا لا يطيقون اسم كُردستان، لأنهم كانوا يعتقدون أن الأتراك هم من أطلقوا هذا الاسم في الأساس بعد مؤتمر برلين، وأنه في الحقيقة، كما يروى في تاريخهم هي أرمنستان ولا حاجة بنا هنا إلى الخوض في مسألة كُردستان وأرمنستان من جديد لأن هذه المسألة قد بحثناها سابقاً.

تظهر هذه القضية بوضوح في المقابلة التي أجراها الطاشناقي مالهاس(Malhas)، مع الشيخ محمد صديق الابن الأكبر للشيخ عبيد الله النهري الذائع الصيت، ففي حديث جرى بينهما يتبين الغموض في أهداف الأرمن، التي تخوف الكُرد منها دوماً منذ مؤتمر برلين.

ففي خريف 1903 قام الأرمني مالهاس، وهو أميركي من أصول أرمنية، بالسفر متنكراً بصفة طبيب إلى منطقة شمدينان في هكاري، لملاقاة الشيخ محمد صديق، وكان تحت إمرة الشيخ محمد صديق (10000) مسلح آنذاك، حسب المصادر الأرمنية[256]، وكان الشيخ محمد صديق على علاقة سيئة بالسلطات العثمانية هناك[257]، واستقبله الشيخ محمد صديق بشكل لائق؛ اجتمع مالهاس مع الشيخ بصفته ممثلاً لحزب الطاشناق، وفي البداية عرفه هذا الأخير بمبادئ حزبه على الشكل الآتي، كما يقول بنفسه:

«اعتباراً من أول يوم بدأنا فيه تشكيل تنظيماتنا، حاولنا ورغبنا كثيراً بأنْ نؤسس علاقات طيبة وتعاوناً مشتركاً مع جيراننا الكُرد، وخير مثال على ذلك

قيامنا بتلبية دعوة عبد الرحمن بدرخان الذي نشر وقتها مقالات في جريدة تروشاق (Troshak) ـ بخصوص العلاقات الكُردية الأرمنية ـ وقد لبينا الدعوة، وكانت حركتنا مؤثرة ضد العثمانيين، وإن أعمالنا النضالية وحركاتنا المسلحة في جميع الأراضي العثمانية كانت تستهدف القوات العثمانية، ولم توجه نحو الكُرد يوماً، ونحن نعد هؤلاء كإخواننا في المنطقة، وإن حركتنا التحررية، ونضالنا، ودعواتنا، لم نختص فيها فقط بالمطالبة بحقوق الأرمن، وإنما دعونا دائماً إلى حصول كل القوميات، والشعوب الأخرى، وأولهم الكُرد على حقوقهم، وحرياتهم، وحقهم في العيش الكريم، وفي الحقيقة إن السلطان عبد الحميد، هو الذي استغل جهل الكُرد، وعدم درايتهم بمكامن الأمور، واستخدمهم كوسيلة ردع ضدنا، والقسم الأكبر من الأرمن الذين اصطدموا، وحاربوا الكُرد كانوا مجبرين ومضطرين على ذلك، بالنسبة إلينا نحن الأرمن مشكلتنا الأساسية هي مع الإدارة العثمانية، ونحاول جهدنا للإطاحة بهذا النظام، ولا نكن أية ضغينة أو عداء ضد الكُرد، ولا مشكلة متأصلة لنا معهم»[258].

بعدها عرض مالهاس مطالب حزبه على الشيخ محمد صديق، وهي:

1 ـ تأمين حماية مخابراتنا ومراسلينا، مع الأحمال التي يحملها الحمالون على ظهورهم، إلى منطقة خوشاب، وتأمين سلامتهم حين مرورهم في هذه المناطق.

2 ـ يقوم الشيخ باستخدام نفوذه، لعقد اتفاقية بيننا وبين رؤساء العشائر الكُردية على طول الحدود ـ الفارسية العثمانية[259].

أجاب الشيخ محمد صديق على مالهاس ومطالبه بالشكل الآتي:

«أنتم الأرمن ولأنكم مسيحيون، تحظون بدرجة عالية من الحماية من الخارج، فعندما يصاب أي أرمني بخدش بسيط وبأي قرية كانت يقوم سفراء

الدول الأجنبية في استانبول برفع شكوى عند السلطان ويطالبون بحقوقه، وعندما يُقتلون [أي:الأرمن] على أيدي العثمانيين [الأتراك] يوجه الاتهام إلى الكُرد، وعندما يقوم العثمانيون بالاعتداء والهجوم يكون السبب في ذلك الكُرد، وفي كل مشكلة تحدث وفي أي منطقة كانت، يكون المعتدي هم الكُرد، ويكون الأرمن مظلومين، هكذا تفهم الدول الأجنبية المسألة، وأنتم أيضاً تقولون وتؤيدون ذلك، فلا أجد سبباً خاصاً يجعلني أحبكم، وانحاز إلى جانبكم، ولكنني أعرف، كما أنتم تعرفون نحن الكُرد، وأنتم الأرمن من أقدم الشعوب التي سكنت هذه الأراضي، وعلى عكس الأتراك هم من جاؤوا حديثاً إلى مناطقنا، فإنني استغرب أنه حتى الآن لم نقم بتوحيد جهودنا للتحرك بشكل موحد في مناطقنا، فلا أجد سبباً وجيهاً يمنع ذلك، فأراضينا كبيرة وشاسعة، وكافية لكلا الشعبين وأكثر، فالأراضي والمناطق التي تمتد من باشقالا و نوردوز وصولاً إلى الموصل، هي ملكنا نحن الكُرد، وما يحاذيها في الشمال هي لكم أنتم الأرمن. وهذا هو الموضوع الأساسي الذي يجب مناقشته، ففي حال إذا أصبحتم في حالة تعاون جدي معنا، تستطيعون تحقيق خططكم، ولن يتبقى لنا أي سبب لنكون ضدكم»[260].

ثم اقترح الشيخ محمد صديق على مالهاس، بشأن خطة الطاشناق، والتي تم عرضها عليه، ما يلي:

«من الممكن أن نقوم بتأمين الطريق للمخبرين الأرمن، وكذلك تأمين مرور البضائع إلى خوشاب بحرية، بواسطة رجالنا، ولكننا في الوقت الحاضر لا نرى أهمية لذهاب وإياب المجموعات المسلحة في المنطقة، ولكن مستقبلاً وعند الضرورة سنقوم بتأمين هذا الأمر أيضاً، وإنني أريد أن يحضر عندي المسؤولون في إدارة مجلس حزب الطاشناق في شهر أيار/ مايو المقبل [1904]، وبدوري أعدكم بأنني سأقوم بدعوة كل رؤساء العشائر الكُردية والآغوات، في منطقة شمدينان لاجتماع عام معهم»[261].

ثم اشترط الشيخ على مالهاس بأنه مقابل هذه الخدمات يجب على حزب الطاشناق تلبية مطالبنا، وتتضمن ما يلي:

1 ـ أن يقوم حزب الطاشناق بإنشاء مصنع للأعيرة النارية التي تُستخدم للأسلحة الخفيفة في منطقة شمدينان، ومن حسابهم الخاص، ويستفيد من هذا المصنع أيضاً كل الطاشناقيين.

2 ـ أن يقوم ممثلو الطاشناق بتصدير وتوزيع منتجات أهالي شمدينان، من التبغ إلى مصر والدول الأوروبية.

3 ـ أن يقبل الطاشناقيون حدود كُردستان، التي حدَّدها الكُرد وبدون نقاش.

4 ـ أن يعمل حزب الطاشناق على تأمين مساعدة الدول الأوروبية المسيحية للكُرد أيضاً[262].

لكن لم يتمكن حزب الطاشناق من إرسال أيّ من أعضائه في الموعد الذي حدده الشيخ محمد صديق لمالهاس، وبعد ذلك فقد الشيخ حماسته لهذا المشروع، ولم يلتقِ الطرفان حتى الانقلاب العثماني 1908[263].

هنا يقع مكمن الخلاف بين الأرمن والكُرد، وهو أن أغلب المناطق التي كان يحارب فيها الثوار الأرمن في ساسون ووان، قد أدخلها الشيخ محمد صديق ضمن حدود كُردستان، وهذا ما لم يكن يقبله الأرمن، ولكن على العموم يظهر من حديث الشيخ محمد صديق أنه يقبل بدولة أرمنية، وضم إليها بعض الأراضي التي يدخلها العديد من الكُرد ضمن حدودهم التاريخية، ولكنه قال للأرمن: إنها لكم، صحيح أنه حتى الحدود التي ذكرها الشيخ محمد صديق كانت غامضة بعض الشيء، إلا أن الأرمن إذا كانوا يريدون حقاً أن يكسبوا الكُرد إلى جانبهم في النضال ضد الدولة العثمانية، فيجب عليهم المفاوضة مع الشيخ محمد صديق على هذا الأمر، وليس كما يقول مالهاس

نفسه: إنه اندهش من جواب الشيخ محمد صديق على مطالبهم[264]، ولذلك يمكننا القول إن الأرمن كان لديهم حلم وآمال، وكان الكُرد أيضاً لديهم أحلامٌ وآمال أخرى، ولكن المصيبة لكلا الطرفين أن الأرض التي يحلم بها كل منهما (أي: من الكُرد والأرمن) هي واحدة، وهي بنظر الكُرد كُردستان، وبنظر الأرمن أرمنستان.

وكثيراً ما يقال إن الأتراك استغلوا الكُرد لضرب الأرمن، ولكنه بالنظر إلى مؤتمرات الطاشناقيين بعد ذلك يظهر أنهم هم أنفسهم أرادوا استغلال الكُرد أيضاً لضرب الأتراك وطردهم مما عدّوها أرض الأرمن وحدهم، وليس أرضهم وأرض الكُرد، لتكون لديهم الكلمة العليا في تلك الأرض. ولم يأتِ في أغلب أحاديثهم عن الكُرد كون تلك الأرض التي يحاربون من أجلها هي من حق الكُرد أيضاً، فإذا ما استقلت تلك الأرض فما هو موقع الكُرد فيها؟ فمثلاً دار النقاش التالي بين انترانيك وصبوح في أحد اجتماعات حزب الطاشناق، المنعقدة في فيينا، في الأول من آذار/ مارس 1907، وقد خُصّص جانب كبير منه للتحدث عن الكُرد، فكان على النحو التالي:

قال انترانيك باشا: «إذا قام الحاكم بالضغط على الكُرد فإنني متأكد أن الكُرد سيغيرون نظرتهم تجاهنا، لأن العنصر الديني أو الفارق الديني الذي بيننا هو المسألة المهمة في علاقاتنا، إضافة إلى ذلك فإن الكُرد ليسوا بالناس المتدينين كثيراً، فهم ليسوا على علم بأمور الدين، فضلاً عن ذلك فإنهم يستطيعون بكل حرية السلب وكذلك الخطف والقتل، فلماذا يتفقون مع قرابينهم»[265]. وكان صبوح (Sebuh) متفقاً فكراً مع انترانيك حين قال: «ينقسم الكُرد إلى عشائر ورعايا، ولذا لن تكون لنا صداقة دائمة مع العشائر، وإذا لم تقم الدولة بنـزع سلاحهم، أو الضغط عليهم، فإن استعمالهم ضد الدولة هو شيء مستحيل»[266]، وأضاف انترانيك: «إنْ أصبح بالإمكان استخدام إحدى العشائر الكُردية ضد الحكومة فإنّ ذلك سوف يجدي نفعاً، بسبب العداوات

العشائرية بين الكُرد أنفسهم، حيث تتكاتف العشيرة العدو لتلك العشيرة مع الدولة، ويتم إسقاط جميع الخطط»[267].

يتبين من هذه المناقشة حول الكُرد بعدم وجود اختلاف في سياسة الأتراك تجاه الكُرد مع سياسية الاحزاب الارمنية تجاههم، على اطلاق؛ فالأتراك يستغلون الكُرد لضرب الأرمن، والأرمن يستغلون الكُرد لضرب الأتراك، لينقسم الكُرد بعدها إلى قسمين، قسم ضد الحكومة وقسم مع الحكومة، وبالنتيجة يستفيد منه الأرمن، هنا كان حرياً بالأرمن أن يحاولوا كسب الكُرد بصدق، وكان باستطاعتهم ذلك لو تنازلوا بعض الشيء عن حدود أرمنستان الكبرى، والنظر إلى الكُرد على أنهم إخوة لهم يعيشون إلى جنبهم على أرض واحدة؛ لذا فهي لكلا الطرفين، خصوصاً إذا ما علمنا أن غالبية الأرمن كانوا متعلمين، عكس الكُرد الذين ابتعدوا عن التعليم، منذ سقوط إماراتهم في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

يقول الباحث مايفسراي: إن القسم الأكبر من الكُرد لم يكونوا يخضعون لسيطرة الحكم العثماني، وإن أكثر من نصف الكُرد كانوا يكنون الحقد والكره ضد الإدارة العثمانية، وكانت هذه النقاط في مصلحة الشراكة الأرمنية الكُردية وقتها، ولكن حماقة قادة الأرمن وجهلهم ضيّعت هذه الفرصة من بين أيديهم، ولم يستطيعوا استغلال التباعد الموجود بين الكُرد والأتراك؛ ولو حصل الاتحاد بين الأرمن والكُرد لكانت نتيجة التظاهرات وحركات التمرد في كُردستان قد أخذت طابعاً مغايراً للأحداث، والشيء الذي كان يربط هذين الشعبين هو كرههما للأتراك، وفيما بعد صارت هنالك بعض المحاولات الخجولة في هذا الاتجاه، إلا أنها جاءت متأخرة، وأيضاً هزيلة بعدما تعاون الأرمن مع الأوروبيين، واستصدروا قوانين وقرارات دولية ضد الكُرد، وخصوصاً بعد الأحداث الأرمنية التي تعرض فيها الكثير من الكُرد، إلى ضرر الجماعات والمنظمات الأرمنية[268].

خامساً ـ جريدة كُردستان والمسألة الأرمنية 1898 ـ 1902

دخلت المسألة الأرمنية في صميم اهتمامات جريدة كُردستان[269]، التي أصدرها كل من الأخوين (مقداد مدحت بدرخان)[270]، و(عبد الرحمن بدرخان) خلال المدة (1898 ـ 1902)، وتعد من أهم المصادر الكُردية المقربة زمنياً من الأحداث الأرمنية في كُردستان[271]. ولهذه الجريدة أهمية مميزة في المسألة الأرمنية والعلاقات الكُردية ـ الأرمنية في تلك الفترة لأسباب عديدة، منها:

1 ـ إن ما جاء في هذه الجريدة من آراء ومواقف ومعلومات تُعد بمثابة الرأي الكُردي الوحيد من الأحداث التاريخية التي مرت بها كُردستان آنذاك.

2 ـ صدرت جريدة كُردستان ضمن مرحلة تاريخية مهمة، كانت فيها المسألة الأرمنية لا تزال في أوجها، وفي الوقت الذي يمكن عدّه البداية الأولى الحقيقية لنشوء علاقات كُردية أرمنية على مستوى النخبة.

3 ـ إن رَئِيْسَي تحرير جريدة كُردستان هما من أبناء بدرخان بك، أمير إمارة بوتان، حيث كان غالبية الأرمن في كُردستان الشمالية تحت حكمه ومن رعاياه، حتى سقوط الإمارة عام 1847، كما مر بنا سابقاً.

صحيح أن جريدة كُردستان لم تكن تمثل حزباً سياسياً، ولم تكن تمثل الرأي العام الكُردي بشكل واسع آنذاك إلا أن ذلك لا يعني أنها لم تكن تمثل ذلك القطاع الواسع من الجماهير الكُردية، وذلك بالاستناد إلى عدة أمور، منها: أن رَئِيْسَي تحرير جريدة كُردستان كانا أميرين من أمراء بوتان، وكانت لهما شهرة واسعة في كُردستان، بل إن عائلة بدرخان بك تعد من أعرق العوائل التي ناضلت في سبيل الحصول على الحقوق القومية الكُردية لأكثر من قرن من الزمن، فضلاً عن أن من يقرأ جريدة كُردستان يلاحظ أنها كانت منتشرة بين فئات واسعة من الكُرد. وعلى الرغم من عدم سماح السلطات العثمانية آنذاك بدخولها إلى كُردستان، أو حتى إلى الدولة العثمانية، فقد نشرت جريدة كُردستان رسائل عديدة أرسلها قُرّاؤها من الكُرد وغيرهم، إلى صاحبي جريدة كُردستان، وقد جاءت رسائل من: ماردين، وديار بكر، وأضنة، والسليمانية، والشام، وطرابلس، مما يؤكد سعة انتشارها بين الكُرد آنذاك ورأيهم فيها[272].

وضعت جريدة كُردستان المسألة الأرمنية ضمن اهتماماتها الأولى، باحثةً عن أسباب هذه المشكلة، ودور الكُرد فيها؛ ثم ما هي أهم الاقتراحات والحلول الناجعة للخروج من هذه الأزمة؟

إن أول إشارة إلى هذه المسألة في جريدة كُردستان جاءت في ذلك الخبر الذي أورده مقداد مدحت بدرخان، في العدد الثالث منها الصادر في 20 أيار/ مايو 1898، حيث جاء فيه: «منذ سنتين أو ثلاث سنوات، حدث اشتباك بين الكُرد والأرمن، هذه الحالة غير جيدة، الدولة غير راضية عنها، بعد الآن سأكتب عن هذا الموضوع أيضاً»[273]. من خلال هذا النص يبدو أن صاحب الجريدة أدرك خطورة وأهمية هذا الموضوع بالنسبة إلى الكرد والأرمن، وأيضاً بالنسبة إلى الدولة العثمانية، ولكن يظهر عند قراءة الأعداد اللاحقة من جريدة كُردستان، التي صدرت في عهد رئاسة مقداد مدحت بدرخان، عدم

البحث في أمر هذه المسألة، كما وعدت بها قُرّاءها، وربما كان ذلك بسبب مرضه، الذي لم يمهله للكتابة عن هذا الموضوع، وعجل في أمر تركه لجريدة كُردستان، أو لحدوث أمر طارئ تمثل في عدم سماح السلطات العثمانية لجريدة كُردستان، من الدخول إلى الدولة العثمانية؛ لكونها جريدة مناهضة للسلطان عبد الحميد الثاني، وانشغال مقداد مدحت بهذا الأمر، رغم نفي صاحب الجريدة صفة المعارضة عن جريدته، وعدّها جريدة لا تتعارض مع قوانين الدولة العثمانية، في العددين الأخيرين اللذين أصدرهما وهما العددان الرابع والخامس.

غدت جريدة كُردستان في عهد عبد الرحمن بدرخان أكثر ليبرالية وتحررية في بحثها عن أسباب تدهور الدولة العثمانية، وتخلف القوميات المنضوية تحت لوائها، مقارنة بالشعوب الأوروبية أو المتحضرة، لذلك تحدثت جريدة كُردستان في هذه المرحلة بجرأة تامة عن المسألة الأرمنية، والعلاقات الكُردية الأرمنية، أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

ففي أول رد فعل لجريدة كُردستان بخصوص هذه المسألة كتب عبد الرحمن بدرخان، في العدد السابع الصادر في 5 تشرين الثاني/ نوفمبر 1898، مقالاً تحت عنوان: (ليس للإنسان إلا ما سعى)، نبه فيه الكُرد إلى مخاطر الأمية، والجهل، حتى وصل الأمر بالدول الكبرى إلى استغلال هذه الآفة عند الكُرد بتهديد أرضهم ومنحها للأرمن، لأنه حسب الدول الكبرى، والحديث لعبد الرحمن بدرخان، لا تقبل أن يحكم شعب جاهل وأُمي مثل الشعب الكُردي شعباً متعلماً ومتمدناً كالشعب الأرمني، وإذا لم يستفق الكُرد من غفلتهم، سيأتي يوم ويتحقق هذا الأمر؛ ثم يتحدث عبد الرحمن بشيء من التفصيل عن الأرمن والكُرد، بقوله: «منذ عدة سنوات يلاقي الأرمن ظلماً كبيراً من مأموري الدولة، ولهذا يفعلون كل شيء، لكي يخلصوا أنفسهم من هذا

الظلم، وهذا حقهم، المأمورون يأتون من استانبول إلى هذه المنطقة [يقصد كُردستان] ويلحقون أضراراً كبيرة بالأرمن، ولهذا يجب على الكُرد عدم قتل الأرمن، لا يرضى الله عن هذه الحالة، الأرمن مظلومون؛ ولذا يجب على الإنسان أن لا يسلط سيفه على المظلومين»، وبعد ذلك يقول عبد الرحمن للكُرد: أنتم مظلومون مثل الأرمن أيضاً، اكتبوا للسلطان عن ظلم مسؤوليه في كُردستان، وإن لم يستجِبْ ابعثوا رؤساءكم إلى السلطان، ليطلعوه على هذه الأوضاع، وكونوا مثل الأرمن الذين يفدون بأنفسهم في سبيل مصلحتهم[274].

يتبين من هذا النص أمور عدة، حيث أراد صاحب جريدة كُردستان إيصالها إلى الكُرد وهي أن جهل وأُمية الكُرد هما السبب الرئيسي في استغلال الدولة العثمانية لهم، واستخدامهم لقتل الأرمن، فضلاً عن استغلال الدول الكبرى لهذا النقص عند الكُرد، وإعطاء الوعود للأرمن بمنحهم كُردستان، في حين يشدد عبد الرحمن بدرخان على أن قضية الكُرد والأرمن هي قضية واحدة، وتتمثل بالظلم الواقع عليهما من الدولة العثمانية.

أورد عبد الرحمن بدرخان هذه الفكرة ذاتها، أي استغلال الدولة العثمانية جهل الكثيرين من الكُرد لضرب الأرمن، في العدد الثامن أيضاً الذي صدر في الأول من كانون الأول/ ديسمبر 1898. بدأ صاحب الجريدة في المقال المعنون:(هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) بنصيحة الكُرد، أخذ طريق العلم والتفكر في واقع الكُرد الحالي، والمستوى المتدني ثقافياً لمجتمعهم، ثم يؤنب علماء الدين الكُرد في أنهم لم يحركوا ساكناً لمنع الكُرد من قتل الأرمن وإيقاظهم من غفلتهم، وأنه تقع على عاتق هؤلاء العلماء المسؤولية الأولى في ذلك، حيث قال: «في الحرب بين الأرمن والكُرد أعلم أن الكُرد قتلوا الكثيرين من أبرياء الأرمن، لم يكن الله راضياً بهذا العمل، عمل الكُرد ذلك الذنب لجهلهم، لم يكونوا يعلمون أن قتل الأرمن كقتل

المسلمين، قسم من ذلك الذنب يقع على عاتق العلماء المسلمين»[275]؛ ثم يُذكِّر عبد الرحمن بدرخان علماء الكُرد من المسلمين بذلك قائلاً : «بأنكم لو كنتم وعظتم هؤلاء الناس لما فعلوا ذلك، ولما كان الكُرد قد قتلوا هذا الكم من أبرياء الأرمن»[276]. في هذا المقال أيضاً يظهر أن عبد الرحمن بدرخان لم يخرج من الإطار السابق، وهو استغلال الحكومة العثمانية لجهل الكُرد في ضرب الأرمن، وعدم وقوف علماء المسلمين من الكُرد ضد هذا الأمر، وتوعيتهم بهذا الخصوص. تناول عبد الرحمن بدرخان هذه المسألة في العدد التاسع الصادر في 16 كانون الأول/ ديسمبر 1898 أيضاً، ففي المقال الذي حمل عنوان: (الوطن) ذكر عبد الرحمن بدرخان أن الأرمن استاؤوا كثيراً من ظلم الدولة العثمانية، ولذلك عارضوا هذا الأمر، وطالبوا بحقهم، ولأن الكُرد جهلاء استغلت الدولة العثمانية هذه الصفة عندهم، ودفعتهم لقتل الأرمن، ثم يقول للكُرد: «أنتم مظلومون أكثر منهم [أي: من الأرمن] لكنكم جُهلاء... ما تنالونه من ظلم لا يناله الأرمن»[277].

تابع عبد الرحمن بدرخان أمر استغلال الدولة العثمانية للكُرد، ودفعهم لقتل الأرمن في مقالة أخرى نشرت في العدد الحادي عشر تحت عنوان: (هلاك أمتي من عالم فاجر...)، يؤكد فيه أن لا بد للكُرد من السير في طريق العلم، ليتداركوا وضعهم الحاضر، وأنّ على علماء الكُرد أن يأخذوا مسؤوليتهم على محمل الجد؛ ثم يقول: «فكروا [أي: الكُرد] إلى أي حد الأرمن هم أصحاب نخوة وغيرة، هم مظلومون مثل الكُرد، إلا أنهم يفدون بأرواحهم في سبيل نيل الحرية، جهلاء الكُرد لا يعرفون، يقتلون الأرمن، وهذه الأوضاع تضر بالكُرد... على الكُرد أن يتفقوا مع الأرمن، ويعملوا معاً على طرد مسؤولي الحكومة الظالمين... وبدل من أن تساعدوا الأرمن المظلومين ذهبتم لقتلهم؟!»[278]. يظهر أن عبد الرحمن بدرخان لم يخرج من

الإطار الفكري نفسه الذي طرحه منذ العدد السابع بخصوص الكُرد والأرمن، وهو أن هناك سببين رئيسين يقفان وراء الأحداث الأرمنية في كُردستان وهما، أولاً: جهل الكُرد، وثانياً: استغلال مسؤولي الحكومة العثمانية لهذا الجهل، ودفع الكُرد إلى قتل الأرمن، الذين انتفضوا بدورهم ضد الحكومة العثمانية، ومطالبتهم بالاستقلال على غرار شعوب البلقان، ويبدو أن عبد الرحمن بدرخان هنا كان متأثراً بوجهة النظر الأرمنية إلى حد بعيد، كما هي حال غالبية الرأي العالمي آنذاك.

جاء ذكر الأرمن ضمن رسالة جاءت من كُردستان، نشرها صاحب الجريدة في العدد الثالث عشر الصادر في 2 نيسان/ ابريل 1899، وكانت مرسلة من أحد أهالي ديار بكر رُمز إلى اسمه بالحرفين (ش.م)، وقد هدد صاحب الرسالة السلطان عبد الحميد الثاني بأنه إذا لم يقم بإصلاح الأوضاع في كُردستان فسينضم الكُرد إلى جانب الأرمن، ويطالبون بالعدالة، لأنّ الكُرد أيضاً صاروا لا يطيقون هذا الظلم في كُردستان وعلى الكُرد[279]. وفي العدد ذاته وضمن مقالة تاريخية بعنوان: (بدرخان بك)، يذكر عبد الرحمن بدرخان أن والده حارب المسؤولين الفاسدين في كُردستان، حتى آخر لحظة من حكمه، ولو حارب الكُرد أيضاً هؤلاء المسؤولين الفاسدين لما وصلت الأوضاع في كُردستان، وبلغت هذه الحالة الميؤس منها؛ ثم يضرب المثل بالأرمن، ويقول: «لأن الأرمن وقفوا في وجه تلك الأوضاع، وهم يعملون ليخرجوا أنفسهم من ظلم المسؤولين، ألقي القبض على بعضهم وفقد بعضهم الآخر، وهم مستمرون على غيرتهم؛ يجب أن يتفق الكُرد معهم، لأنّ الأرمن والكُرد مظلومون من عبد الحميد، لكن الكُرد جهلاء لا يدركون هذه الحقيقة، ولهذا يقتلون الأرمن... إذا اتفق الكُرد والأرمن فلا يستطيع المسؤولون أن يظلموا في كُردستان»[280].

يظهر أن الفكرة التي أراد عبد الرحمن بدرخان إيصالها إلى الكُرد قد وجدت صداها في كُردستان، حيث جاءت في الرسالة التي وجهها (ملا صالح جزيري)، من ماردين والتي نشرها صاحب جريدة كُردستان، في العدد الرابع عشر، الصادر في 20 نيسان/ ابريل 1899، ما يلي: «يحرك [السلطان] الكُرد دائماً لقتل الأرمن، لقد علمنا أن الأرمن مظلومون، وعرفنا قصده، هو يريد أن نبقى دائماً في حالة من التوحش [التخلف]، نحن نحارب الأرمن دائماً، ولكن فليطمئن من الآن فصاعداً فإنه لن يرى منا ما هو حرام»[281].

لا يتناول عبد الرحمن بدرخان بعد ذلك المسألة الأرمنية على صفحات جريدته، حتى العدد الثالث والعشرون الصادر في 24 شباط/ فبراير 1900، ولكنه في هذا العدد أيضاً لا يتحدث عن العلاقة بين الكُرد والأرمن، وإنما عن حادثة وقعت في استانبول بين السلطان عبد الحميد والأرمن؛ ففي المقال المعنون: (تصرف غريب) يذكر عبد الرحمن بدرخان بعضاً من أوجه السياسة العثمانية، التي اتبعها السلطان عبد الحميد تجاه الأرمن، حيث يشير إلى أن هؤلاء تحصنوا في مكان ما في استانبول، وحدثت مناوشات بينهم وبين القوات العثمانية، وكيف أن السلطان عبد الحميد كان يرسل إليهم الطعام، ولكن من يقبض عليه يسجن ثم يخنق سراً[282].

أصبحت جريدة كُردستان من العدد الخامس والعشرين، حتى الواحد والثلاثين، وهو العدد الأخير منها، وكأنها جريدة تعنى بالعلاقات الكُردية ـ الأرمنية فقط، حيث استحوذ هذا الموضوع على أغلب صفحاتها، وبحث صاحبها بصورة أكثر دقة، من الأعداد السابقة، أسباب الصراع في كُردستان. وكان ينشر مقالاته عن هذا الموضوع باللغتين الكُردية والتركية العثمانية، وفي مرتين أو ثلاث نشر المقال ذاته وفي العدد نفسه باللغتين المارّتَيْ الذكر،

وذلك على ما يبدو لإيصال الحقائق إلى قراء جريدته، أما لماذا ركز على المسألة الأرمنية، في هذه الأعداد، فيبدو أن ذلك راجع إلى عدة أسباب وهي:

1 ـ بالاستناد إلى ما ورد في هذه المقالات يبدو أن الحوادث بين الكُرد والأرمن قد تجددت في بعض مناطق كُردستان، وأن المشكلة كانت أكبر مما يتصورها، وأن أسبابها أعمق وأشمل.

2 ـ يظهر من لهجة هذه المقالات أن عبد الرحمن بدرخان قد تعرض لانتقادات لاذعة عندما التحق بالمعارضة العثمانية في أوروبا، والمتمثلة بجمعية الاتحاد والترقي، سواء من جانب الأرمن أو الموالين لهم من الأوروبيين، لا لشيء سوى أنه ينتمي إلى القومية الكُردية، كما يقول في مواضع عديدة من أحاديثه عن هذه المسألة.

3 ـ إن عبد الرحمن بدرخان قد اطلع على واقع المسألة الأرمنية، بشكل أعمق وأشمل، مما كان قد تحدث عنها في المقالات السابقة، والتي كان قد ألقى فيها بالذنب كله على السلطان عبد الحميد، وفرسانه الحميدية في كُردستان.

نشر عبد الرحمن بدرخان في العدد الخامس والعشرين، الصادر في 1 تشرين الأول/ أكتوبر 1900 مقالاً تحت عنوان: (إلى الكُرد) باللغة التركية العثمانية؛ في البداية رجا بدرخان الكُرد الاستماع لما سيقوله في هذا المقام، وذكر أنه ابن والد ضحى بنفسه من أجل الكُرد وكُردستان، وها هو يتابع خطى والده بعيداً عن كُردستان. بعد ذلك يقول: «بسبب هويتي الكُردية، والتي أفتخر بها لدى الأوروبيين، في أوروبا أُلامُ على تلك الأعمال السيئة، التي تفعلونها بحق الأرمن، أتساءلُ: ما هي دوافع هؤلاء [أي: دوافع الأرمن]؟ اطمئنوا... دوافع الأرمن واضحة ومكشوفة، في نية الأرمن بعد انفصالهم عن الدولة العثمانية أن يجعلوا أرض كُردستان الطاهرة مرتعاً وموطناً لهم،

وأعلم أيضاً كيف أنهم نشروا مرتزقتهم المتوحشين في كُردستان... كيف أنهم شوشوا أفكار شخص سفيه، كل هذه الأعمال معلومة عندي، ولكن كل هذا لا يمنحكم الحق بأي شكل من الأشكال أن تهجموا عليهم، وتبيدوهم؛ لا يجوز أن تصدقوا، وتساندوا الحكومة»[283]؛ ثم يقول للكُرد: بأن منْ يمتلك القوة الآن في الدولة العثمانية يتحكم في حقه، وكونوا على يقين من أنه لن تقوم دولة أرمنية على أرضكم، وتريد الدولة العثمانية وروسيا هذا الأمر، إلا أن ذلك خارج عن سيطرتهما، ويضيف: «والآن مهما قامت الحكومة بأعمال العنف ضد مرتزقة الأرمن الأشرار، ومهما حدثت من قبلكم أعمال النهب والثأر ضد الأرمن فستحقد عليكم روسيا وأوروبا، ويفرح ويبتهج الباشا بذلك [أي: السلطان]»[284]. ويتابع عبد الرحمن بدرخان حديثه بذكر أن السبب الرئيسي لتخلف كُردستان والكُرد الآن هو السلطان عبد الحميد وحكومته: «وأنتم أيها الكُرد كان من المفروض عليكم مساعدة الأرمن الأبرياء والضعفاء، وليس قتلهم كما أمركم السلطان بذلك، واعلموا أيها الكُرد أن قضيتكم وقضية الأرمن هي قضية واحدة، بل إن الكُرد مظلومون أكثر من الأرمن لو تتفكرون قليلاً في أوضاعكم»؛ ثم يضيف: بأن أجداد الكُرد أبداً لم يكونوا هكذا، كانوا لا يقبلون الظلم أبداً على أحد، سواء أكان من جنسهم، أو دينهم، أو من جنس وديانة أخرى. ويتحدث بدرخان بعد ذلك عن دور الدول الكبرى في هذه المسألة، وأنها قامت بتوزيع مناطق النفوذ فيما بينها في الدولة العثمانية، وأن لسفرائها دوراً رئيسياً في الأحداث في كُردستان، ولا سيما روسيا وبريطانيا، ويذكر للكُرد: «بأنكم أصبحتم مثل العصا بيد مسؤولي الحكومة العثمانية، تضربُ بها مَنْ يخالفها»، وينبه الكُرد بعد ذلك إلى ضرورة النظر إلى تاريخهم الكبير والعظيم في المنطقة، وأنّ اكتساب العظمة لا ينبع من الدخول تحت رعاية زكي باشا والفرسان الحميدية، بل إن اكتساب ذلك يأتي بالاعتماد فقط

على القدرات الكُردية وحدها، ويضيف قائلاً: «المسؤولون الذين يدفعونكم إلى الاقتتال...لا يتوانون عن إعدامكم فوق جبال كُردستان، إذا واجهتكم مسؤولية قانونية، فمسؤولو الحكومة أولئك هم كالأشجار والأحجار لا شعور لهم»[285]، ويختتم مقاله بتذكير الكُرد بأنهم إذا نظروا إلى المستفيدين منهم من هذه الأزمة فإن عددهم قليل جداً، ربما لا يتعدى الاثنين منهم، وإنهم دون شك من الكُرد السيئين.

هنا بدأ عبد الرحمن بدرخان يتناول المسألة الأرمنية من خلال منظور مختلف بعض الشيء؛ ففضلاً عن ذكره، للأسباب السابقة نفسها التي أججت الأزمة الأرمنية في كُردستان أضاف سببين آخرين في هذا المقام، وهما:

1 ـ أطماع الأرمن في كُردستان، والتي يعدونها أرضهم التاريخية، وهذا ما لا يقبله الكُرد.

2ـ دور السفارات والقنصليات الأجنبية في تأجيج الصراع في كُردستان، ولا سيما الروسية والبريطانية منها.

خصص عبد الرحمن بدرخان العدد السادس والعشرين، الصادر في 14 كانون الأول/ ديسمبر 1900، في أغلبه للمسألة الأرمنية، حيث نشر في هذا العدد مقالتين مطوّلتين في هذا الجانب، حملت الأولى اسم (إلى الكُرد)، والثانية عنوان (الكُرد والأرمن). ففي المقالة الأولى لم تختلف أفكاره عن تلك التي نشرها في المقالة السابقة التي أوردها في العدد الخامس والعشرين، سوى أنه قام بزيادة بعض الإضافات والمعلومات عليها؛ فقد ذكر في بداية مقالته أنه دائماً يتعرض للمعاتبة في أوروبا على خلفية الأحداث الأرمنية في كُردستان، ويضيف: «في الواقع أنا أعلم أن بعض الأرمن يريدون أن يجعلوا من كُردستان وطناً لهم، فينفصلون عن الدولة العثمانية، ولهذا السبب أنا أعلم أن كثيرين منهم يعملون في هذه الدول الأجنبية بهمة عالية، وكثيرين

آخرين منهم يقاتلون في كُردستان، وينشرون الكراهية»[286]. ثم يقول للكُرد ناصحاً: «ولكن كل هذا لا يعطي لكم الحق في قتل الأرمن، وهناك العديد من الأبرياء الذين قتلتموهم؛ صحيح أن على الكُرد عدم الموافقة أبداً على إعطاء أرضهم للأرمن، أو أن تقام دولة أرمنستان على أرضهم، ولكن رغم ذلك يجب على الكُرد المحافظة على جيرانهم الأرمن». ثم يهاجم صاحب المقال السلطان عبد الحميد الثاني، ويعده السبب الرئيسي في هذه الأحداث، حيث يقول: «عبد الحميد يفتعل هذا القتال، ويؤجّجه ليقول للدول الأجنبية إن هؤلاء وحوش، وغير قابلين للتمدن، بهذه الطريقة يجلب لكم غضب الدول ونفورها، ويظهر نفسه بأنه معصوم ومعذور عما فعله»[287]. ثم يتطرق إلى الأوضاع الزريّة في كُردستان، التي تئن من الويلات التي أصابتهم على يد مسؤولي السلطان عبد الحميد، ويأتي ليتحدث عن الأرمن كذلك مخاطباً الكُرد بقوله: «نعم يوجد بين الأرمن من هم أعداؤكم، ولكن هؤلاء فئة قليلة، والأرمن أيضاً لا يوافقونهم، ولكن اعلموا جيداً أن عدوكم الرئيسي هو سلطانكم... ولذا اعلموا جيداً أن عدوكم هو عبد الحميد، رأس الفتنة يجب أن تقفوا ضده، وليس ضد الأرمن». وينهي عبد الرحمن هذا المقال بإسداء النصائح للكُرد، ومعاتباً لهم: «ماذا جنيتم من هذه الأفعال؟ هل استغنيتم أم زاد الفقر بينكم؟ مَنْ منكم صار غنياً؟ لا أحد سوى مسؤولي السلطان عبد الحميد فقط، وإنّ الأضرار التي يلحقها بكم هؤلاء المسؤولون لا يلحقها بكم هؤلاء الأرمن، ويقع على عاتقكم الحفاظ عليهم»[288].

قام عبد الرحمن بدرخان بإرسال نسخة من هذه المقالة إلى جريدة تروشاك الطاشناقية، لكي تنشرها على صفحاتها، وبعد أربعة أشهر قامت بترجمة هذه المقالة ونشرها تحت عنوان: (نداء إلى الكُرد)، في عددها الرابع، الصادر في الرابع من حزيران/ يونيو 1901، وقد نشرت الجريدة معها

معلومة تفيد بأن حزب الطاشناق بمساعدة أعضائه تمكن من توزيع خمسمئة نسخة من هذه المقالة في (أرمينيا التركية)، والتي كان قد طبعها عبد الرحمن بدرخان باللغتين الكُردية والتركية، لكي توزع هناك، وقد تمكن أعضاء حزب الطاشناق، من إدخالها إلى (أرمينيا التركية)، من أجل توزيعها على الكُرد[289].

ومن المفيد هنا القول إن هذه المقالة التي كتبها عبد الرحمن بدرخان كانت موجهة بالدرجة الأساس إلى الكُرد، ولم تكن تعبر عن جميع أفكاره، فيما يخص المسألة الأرمنية، كما سيأتي الحديث عنها لاحقاً، ولكن لا بد هنا من التنويه إلى أن الأرمن قد استغلوا هذه المقالة، ووضعوها ضمن إطار: «أن الجاني يعترف بنفسه بما ارتكبه من جرائم ضدنا»، لذلك بادرت الجرائد الأرمنية إلى التحدث عن تلك المقالة، وفتح باب العلاقات الكُردية الأرمنية من جديد، وما هي مسؤولية الكُرد فيها؟ وهل أبقى الكُرد مجالاً لتكوين علاقة جديدة بينهم وبين الأرمن؟ أسئلة طرحها الأرمن في مقالاتهم تلك، ومنها مثلاً المقالة الافتتاحية في عدد تروشاك الصادر في حزيران/ يونيو وتموز/ يوليو 1901، والتي تعبر عن وجهة نظر الطاشناقيين تجاه الكُرد، وقد جاء فيها:

«إن مشكلة تكوين علاقة جيدة بين الكُرد والأرمن ليست بالمشكلة الحديثة، وليس خافياً على أحد آراء كل من (نرسيس فارجابديان)، و(مغرديج خريميان) حول هذا الموضوع، حيث قاما بخطوات ايجابية في طرح أفكار بهذا التوجه، وخلال السنوات العشر الأخيرة أصبحت واضحة تحركات الثوار الأرمن من منطقة إلى أخرى، في سبيل تحقيق التفاهم مع الكُرد؛ نحن لا ننكر إرثنا في هذا الطريق، بل على العكس نحن مستعدون أن نعمل من أجل تحقيق النجاح في هذا المجال... إن المضي في هذا التوجه، ومسألة محاولة تقريب وجهات النظر، والعمل على تحقيق التفاهم بين الكُرد والأرمن قد تحمل مسؤوليتها الأرمن، وعملوا بهمة من أجل تحقيقها، وحتى الآن الأرمن

هم البادئون والطالبون لهذا التوجه»[290]. ولكن في السنوات الأخيرة، حسب كاتب المقال، حدثت تحركات محدودة من جانب الكُرد، نحو مسألة التفاهم الكُردي الأرمني، وخير مثال على ذلك: قيام بعض الكتاب بنشر مقالاتهم، ودعواتهم في جريدة تروشاك، وهذا دليل على أن فكرة التعاون الكُردي الأرمني قد انتشرت في أوساط الكُرد أيضاً، ولكن عند مراجعة الأرمن لأحداث التاريخ، ينطبق عليهم المثل الفرنسي القائل: «يتحدثون عن الحبل، فيما يتدلى منه شخص معلق على شفير الموت»[291].

ويتابع كاتب المقال حديثه بالقول: «ففي الحقيقة إذا سألتمونا: من هم الذين يقومون بإيذاء الأرمن أكثر من الآخرين، وباستمرار منذ بداية القرن التاسع عشر؟ فلن تجد أي أرمني يجيبك بغير الكُرد، وهكذا ففي الحقيقة نحن نتكلم عن الذين قاموا بضرب الأرمن، وقتلهم، والتعرض لأعراضهم، وسفك دمائهم، وطردهم من مناطق سكناهم، أي كما ورد في المثل الفرنسي: نحن الأرمن نتحدث عن الحبل الكُردي، الذي يعلقون به الأرمن، الوضع معقد جداً ومفجع، ولهذا يجب أن نكون دقيقين وحذرين جداً، عند محاولتنا القيام بالحديث التوعوي، والتثقيفي، والدعوة إلى هذا الأمر بدم بارد، فيجب أن نراعي الوضع من جميع أبعاده»[292].

ويعزو كاتب المقال أسباب الخلاف الكُردي الأرمني مستنداً إلى حديث لأعضاء حزب الطاشناق عن عدة أمور، منها: طبيعة حياة المجتمع الكُردي العشائري المعتمدة على الترحال، واختلاف هذا الأسلوب مع حياة المجتمع الأرمني، فضلاً عن التحريض العثماني المستمر للكُرد ضد الأرمن، ولا يجب إغفال اختلاف ديانة الكُرد عن الأرمن، في أنّ الدين الإسلامي أخذ دوراً مهماً في زيادة الخلاف بين الشعبين، لذلك إذا ما أُريد للعلاقات الكُردية الأرمنية النجاح، حسب كاتب المقال، فيجب تغيير أسلوب الحياة

البدائية لدى الكُرد، وبهذا يكون لكلا الشعبين الكُردي والأرمني القدرة على الوقوف أمام التدخلات الخارجية في حياتهم وخصوصاً تدخلات العثمانيين والروس، ولكن حتى هذا الأمر سيكون ذا نتائج بطيئة، وذلك بسبب الحالة النفسية الزرية التي يمر بها الأرمن، وهم بحاجة إلى المزيد من الوقت، لكي يستوعبوا هذا التوجه الجديد، ويتجاوزوا حالتهم النفسية[293].

ويختتم كاتب المقال حديثه بالأفكار التالية: «ولهذه الأسباب الجوهرية التي ذكرناها فإنه ليس من السهل تحقيق الوحدة، لأن المعوقات المتأصلة لها متجذرة ومتداخلة... وكل هذا يدفعنا إلى عدم التفاؤل...، ولكن أليس من الممكن تشكيل تحالفات صغيرة تعمل على الأقل كأساس لمحاولة تخفيف آثار الخلاف والمشاكل بين الكُرد والأرمن؟ نحن نؤمن بأن من الممكن إيجاد وسط ملائم لتوافق الأرمن مع بعض قادة الكُرد، ولو لم تكن هذه التوافقات غير مستمرة... علينا أن نبرهن للكُرد أننا ندافع عن مصالحهم هم أيضاً، ويجب علينا إثبات ذلك على أرض الواقع وبقوتنا الذاتية، وعندما نستطيع أن نحقق لأنفسنا تلك القوة نكون قد امتلكنا الكُرد أيضاً إلى جانبنا، وعلى عكسه إذا بقينا ضعفاء فإن الكُرد لن ينظروا إلينا إلا كوننا مستعمرة تحت أيديهم، يتحكمون بنا وقتما يشاؤون، لن يفكروا بنا كشركاء لهم أبداً ضد عدونا المشترك العثمانيين»[294].

هنا يتبين الفرق بين الكُرد والأرمن، لأنّ الأرمن في جميع مقالاتهم تلك، وأبرزها التي مرَّت، لا يرون أبداً أنهم جزءٌ من المشكلة، وليسوا جزءاً من الحل نفسه، فلم يرد في هذا المقالة، والتي قال فيها كاتبها بأنها تعبر عن رأي الطاشناقيين وكل الأرمن أن الأرمن هم أنفسهم كانوا السبب في كثير من الأحداث والوقائع، وهم كانوا على دراية بذلك، أما عبد الرحمن بدرخان فكان يلقي بأغلب اللوم على الكُرد حتى الآن في مقالاته، ثم يقوم باتهام

جماعة صغيرة من الأرمن، في حين أنّ هؤلاء لم يتهموا أياً منهم، بل كانوا يتهمون على الدوام الكُرد والسلطان، وكانت أعنف مقالاتهم ضد الكُرد وليست ضد السلطان. لقد أظهر المقال هنا الأرمن بشكل إيجابي وصورة مُلمّعة، فهم الشعب الطيب، والمتعلم، وغير المؤذي، ويظهر الكُرد على أنهم جهلة، ومتوحشون، ويعتدون على الأرمن دون سبب. وتبين المقالة أيضاً أن هناك فرقاً شاسعاً بين مجتمع الكُرد ومجتمع الأرمن، هذا القول صحيح إذا ما قارنا بين الأرمن الذين يعيشون خارج كُردستان وبين الكُرد في كُردستان، أما في داخل كُردستان فكان مجتمعهم، ومجتمع الكُرد لا يختلف كثيراً، بل يعد مجتمعاً واحداً وليس مجتمعين؛ فالمدن كان يسكنها الكُرد والأرمن، وإذا ما كان هناك العديد من الكُرد يعيشون حياة الريف والترحال فإن أرمن القرى في ساسون وزيتون، كانوا لا يختلفون عنهم، كما أكد ذلك العديد من القناصل والرحالة، الذين زاروا المنطقة. صحيح كانت هناك فروق بينهما، ولكن ليس كما تصفها المصادر الأرمنية وهذه المقالة أيضاً، مثل الذي يعيش في السماء، والذي يعيش على الأرض، وأنّ ما ذكر لا يأتي إلا من نظرة استعلائية من جانب الأرمن، فكيف يدينون أنفسهم ولو بذنب صغير جداً، وهم أصحاب هذا المجتمع الراقي؟!

الملاحظة الأخرى التي تؤخذ على المثقفين، والساسة الأرمن، الذين نشروا مقالاتهم بخصوص العلاقات الكُردية الأرمنية هي أنهم ذكروا للكُرد بأنّ عليهم النضال معاً ضد السلطان، ولم يكن هؤلاء يختلفون في نظرتهم عن الأرمن في هذا المجال، ولكن ما كان يثبط عزيمة الكُرد هو عدم وضوح أهداف الأرمن بشأن أرضهم، فإذا ما حُرِّرت، فهل هي كُردستان أو أرمنستان؟ أو إنها كُردستان وأرمنستان؟ وكان الكُرد دوماً ينتظرون جواباً صريحاً من الأرمن، ولكنهم لم يحصلوا على هذا الجواب مباشرة، إلا أن الكُرد كانوا يعرفون

الجواب: من خلال مقالاتهم، وكتبهم، وأحاديثهم، فدوماً كانوا يطلقون على تلك الأرض (أرمينيا الغربية)، أو (أرمينيا التركية)، كما استخدمتها جريدة تروشاك، عندما نشرت مقالة عبد الرحمن بدرخان. ويبدو جلياً، من خلال ما سبق، أن الأرمن كانوا لا يقبلون من الأساس اسم كُردستان، فكيف بالكُرد أن يوحدوا جهودهم مع الأرمن، حتى وإن كان عدوهم واحداً، وهو السلطان عبد الحميد الثاني.

بالعودة إلى جريدة كردستان، وفي المقال الثاني، الذي نشره عبد الرحمن بدرخان، في العدد السادس والعشرين، والذي حمل عنوان: (الكُرد والأرمن) يلقي صاحبه باللائمة مرة أخرى على السلطان عبد الحميد والفرسان الحميدية؛ ففي بداية المقال يتساءل الكاتب: «ما الذي حدث حتى وصلت الأمور بين هذين الشعبين، اللذين عاشا معاً لقرون عديدة بحيث أصبحا لا يطيق أحدهما الآخر»؟. ثم يجيب عبد الرحمن بدرخان عن سؤاله، ويذكر أن السبب الأساسي وراء ذلك هو السياسة التي اتبعها السلطان عبد الحميد (سياسة فرق تسد) تجاه القوميتين المتجاورتين منذ زمن بعيد: «في الأعوام الأخيرة أُزهقت أرواح كثيرة، وهدمت بيوت كثيرة، وسفكت دماء كثيرة، هل رأى الأرمن قبل ذلك أذى، أو مكروهاً من الكُرد؟ كلا، وماذا رأى الكُرد من الأرمن؟ لا شيء»[295]. ويمضي بعد ذلك بالقول: إن البحث عن جذور المشكلة يبين أن السلطان عبد الحميد هو السبب الرئيسي في ذلك؛ ثم يأتي عبد الرحمن بدرخان بمثالين يدعمان رأيه، فعن المثال الأول قال: كان هناك مصطفى باشا[296]، رئيس عشيرة ميران الكُردية في ولاية ديار بكر في بداية حياته، ولمدة ما يقرب من عشرة إلى خمسة عشر عاماً راعياً للغنم، ولكنه قام ببعض الأعمال السيئة ضد الأهالي وكذلك ضد الأرمن في تلك المنطقة، فقربه السلطان عبد الحميد، لأن هذا الأخير يحب هذا النوع من

الرجال، وأكرمه بعد ذلك بلقب (الباشا)، وأسند إليه قيادة بعض ألوية الفرسان الحميدية، وإنّ هذا الشخص كان يؤذي الأرمن بل وأقرب المقربين إليه، وقد أرسلت شكاوى عديدة إلى السلطان عبد الحميد بحقه، إلا أنه لم يكن يلقي لها بالاً. أما المثال الثاني الذي أورده عبد الرحمن بدرخان فكان عن (أمين باشا) أحد الأغوات الكبار لعشيرة حيدران الكُردية في منطقة وان، ويذكر عبد الرحمن بأن هذا الشخص كان واحداً من رؤساء الفرسان الحميدية، الذين تسببوا بمذبحة ساسون، وكانت السلطات العثمانية قد ألقت القبض عليه، وأصدرت حكماً بسجنه مدى الحياة، ولكن عبد الرحمن يذكر أنه سمع من جريدة (المؤيد) المصرية[297] أنه قد أخلي سبيله وهنا يتساءل عبد الرحمن: «إذا كان هذا الرجل السيئ بريئاً فلماذا إذن ألقي القبض عليه، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة»؟ إلا إذا كانت السلطات العثمانية تريد ذلك، أي إخلاء سبيله، ويختتم بدرخان مقاله هذا بالقول: إنه من وراء هذين المثالين يتبيّن أن السلطان عبد الحميد يتحمل الوزر الأكبر في هذه المسألة، التي أضرت بالكُرد والأرمن كثيراً، وهم إن أرادوا الخروج من هذه الأزمة فعليهم الاتفاق، ومواجهة السلطان عبد الحميد ومسؤوليه الفاسدين في كُردستان[298].

هنا يتهم عبد الرحمن بدرخان صراحة الفرسان الحميدية بأنها وراء العديد من الأحداث التي تقع في كُردستان ضد الأرمن، ولكنه يلقي باللائمة على السلطان عبد الحميد الثاني في أنه يريد أن تتفاقم هذه الأحداث في كُردستان، ولا يريد حلها، وأنه يعرف من هم المسؤولون عن ذلك، إلا أنه رغم ذلك يدعمهم، لأنهم ينفذون سياسته في المنطقة.

يفتتح عبد الرحمن بدرخان العدد السابع والعشرين، الصادر في 13 آذار/ مارس 1901، بمقالة باللغة الكُردية خالية من أي عنوان، ليتحدث بصورة مباشرة عن المسألة الأرمنية، التي تبدو أنها أحرجته كثيراً في أوروبا، كما يظهر

ذلك من لهجة المقالة؛ ففي البداية يهاجم بدرخان الأتراك بصورة عنيفة، ويذكر أنهم السبب الأول والرئيسي في جميع المشاكل التي واجهت الكُرد في تاريخهم الحديث، ويقول للكُرد: لا تغُرنَّكم هذه النياشين والأوسمة، التي تعطيها لكم الحكومة، وهي حكومة ظالمة، تظلم الكُرد منذ خمسمئة عام، وإن هؤلاء السلاطين من الترك دمويون، ومستبدون، وهم في الحقيقة ليسوا خلفاء، وإنما هم ملوك ظالمون، خلعهم واجب، والآن يستخدمونكم لضرب الأرمن، وسلطانكم لا يأبه في أن تقتطع كُردستان من الدولة العثمانية، وقد عقد اتفاقيات عديدة مع الروس لتسليمهم أرض الكُرد؛ ثم يقول عن الأرمن: «ألا تعلمون أن الأرمن لا يستطيعون أن يعادوكم، عدوكم ذلك السلطان، الذي يَعِدُ الروس أن يسلمكم ووطنكم إليهم، أنا أعلم أنه قبل عدة سنوات تشكل مجلس في وان، لقتل الأرمن بيد الكُرد، وحضر ذلك المجلس المرحوم الشيخ عبيد الله الذي كان إنساناً عالماً وتقياً، اعترض على أمر السلطان، وأجاب بأننا إن نقتل الأرمن اليوم بلا سبب فسيأتي يوم يقتلنا فيه شعب آخر»[299]. ثم يضيف بأنه عار على الكُرد أن يقوموا بقتل أناس أبرياء ضعفاء من الأرمن، وأنه قام بإرسال بعض الأشخاص والرسائل إلى كُردستان لحل هذه المشكلة، وتوعية الناس، وأنه إذا سنحت له الظروف فسيقوم هو بنفسه بزيارة كُردستان، عن طريق بلاد فارس لحل هذه المشكلة. وفي آخر المقالة يرجو من فقهاء وعلماء كُردستان تدارس هذه الحالة في المساجد، وأن يجدوا لها الحلول الناجعة[300].

أشار عبد الرحمن بدرخان هنا إلى مواقف الشيخ عبيد الله النهري من الأرمن، وأنها كانت تمثل في صميمها الموقف الكُردي الأصيل والمستقل، وأن هذا فعلاً هو الخُلق الكُردي، وأن ما يقوم به بعض الكُرد في كُردستان، لا يحسبون على القومية الكُردية، بل هم جنود الأتراك، الذين أعمتهم المناصب

والنياشين والأموال، التي أغدقها عليهم السلطان عبد الحميد الثاني، وأنه لولا الأتراك لما حدثت مثل هذه الأحداث في كُردستان، وفي هذه المقالة يشير إلى أنه أرسل رسالة إلى الكُرد في كردستان، عن طريق بعض الأشخاص، لكي يعطوها للكُرد، ولكي ينصحوهم بعدم إيذاء الأرمن، وهذا ما أُشيرَ إليه أيضاً في جريدة تروشاك، كما مر بنا سابقاً.

وفي العدد ذاته، السابع والعشرين، نشر عبد الرحمن بدرخان مقالة أخرى عن الكُرد والأرمن تحت عنوان: (إلى الكُرد)، في هذه المقالة أيضاً لا يخرج عن إيراد الأسباب السابقة نفسها للمسألة الأرمنية، وهي أن السلطان عبد الحميد يستغل الكُرد لضرب الأرمن وقتلهم، في حين أن الأرمن هم أقرب الأقوام إلى الكُرد تاريخياً واجتماعياً، حيث يقول في هذا الصدد: «الباشا يستفيد من الجهلاء والمسيئين، جعلكم عصاه في يده، وقام بالظلم والاعتداء والأعمال التخريبية، وكل ما يحدث يقولون هم الكُرد»؛ ثم يبدي النصائح للكُرد، وأنّ عليهم عدم الانخداع بوعود الحكومة لهم، وعدم القبول بهذه المناصب والأوسمة التي تمنح لهم، وأنّ يتعظ الكُرد بموقف الشيخ عبيد الله النهري من الأرمن، وكيف أنه حرم قتلهم، وسلب ممتلكاتهم[301].

لقد خصص عبد الرحمن بدرخان العدد الثامن والعشرين كله تقريباً، والصادر في 14 أيلول/ سبتمبر 1901 للمسألة الأرمنية، حيث نشر مقالة مطولة بالكُردية والتركية عن الفرسان الحميدية، ودور هؤلاء السلبي في الأزمة الأرمنية، وقد اختار بدرخان عنوان: (ألوية الفرسان الحميدية) اسماً لمقاله. في البداية يذكر أن هذه الألوية شكّلها بنية فاسدة السلطان عبد الحميد الثاني، كجميع أعماله الأخرى؛ ثم يتحدث بعد ذلك عن الموقع الاستراتيجي المهم لكُردستان، والأطماع الروسية فيها، والتهاون العثماني بهذا الخصوص، وفي أمر هذه المنطقة المهمة جداً، كما يقول، بالنسبة إلى إدامة واستمرار الدولة

العثمانية في الحياة، ويمضي بالقول: «بأن كُردستان فعلاً لا تحتاج إلى هذه الألوية، التي أُسست بهدف الدفاع عن الحدود الشرقية للدولة العثمانية، كما أن كُردستان الآن بلاد مدمرة أكثر من أي وقت مضى، تحتاج كُردستان للدفاع عنها: إلى الطرق، والمواصلات، وسكك الحديد، وتنظيم الجيش، وليس إلى هؤلاء الفرسان، بحجة الدفاع عنها». ثم يستمر في حديثه عن سبب تأسيس هؤلاء الفرسان إلى أن يصل إلى قول ما يلي: «أصل الهدف من تأسيس هذه الفرسان هو عندما يأس الأرمن من ظلم الحكومة كثيراً طلبوا العدالة، فخاف زكي باشا أن ينضم الكُرد أيضاً إلى الأرمن، وينتفض الشعبان سويةً، ولذا طلب الإذن من السلطان بتأسيس هذه الألوية، والسلطان أيضاً يريد أن ينافق بين الشعوب وأفراد سلطنته، ولذا رأى فكرة زكي باشا مناسبة جداً لكسب ود الكُرد له، وإبعادهم عن الأرمن، فأمر بتأسيس هذه الألوية من الخيالة سريعاً»[302]. ثم يقول إنّ هذه الألوية صارت اليوم وبالاً على الجميع في كُردستان، و أفرادها لا يؤذون الأرمن فقط، ولكن كل من يعارضهم، أو يعارض السلطان، بحيث انقسمت كُردستان يومئذٍ بين ثلاث فئات أو أقسام: «الأرمن، والفرسان الحميدية، والكُرد غير الحميدية، هذه الأقسام الثلاثة في كُردستان هم أعداء، ينهب ويقتل بعضهم بعضاً، بحيث أصبح الوطن مذبحة للإنسان، حتى إن كثيراً من الأرمن والكُرد أدركوا حالهم، ويبحثون عن علاج لظلم الحكومة واستبدادها، ولم تبقَ زاوية من كُردستان لم تسمع منها صرخات استغاثة أليمة، لم يبقَ مكان لم يلطخ بدماء الأبرياء، لا يأمن أحد على روحه وماله...»[303]؛ ثم يأتي وينتقد الحكومة على إنشائها لهذه الألوية، التي لا تلبي حاجاتها المادية والعسكرية، ولهذا أطلقت يدهم في كُردستان، يفعلون ما يشاؤون دون رقيب، وإن هناك فرقا شاسعاً بين فرق الفرسان الحميدية، وبين فرق القوزاق الروسية، من حيث التنظيم والتموين.

عبد الرحمن بدرخان في مقاله هذا ألقى الضوء على هذه الفرق من الفرسان الحميدية، وذكر أنها لا تمثل الكُرد، ولا تمثل المجتمع الكُردي، وإنما تمثل فئة صغيرة فقط، كانت منبوذة في المجتمع الكُردي، والآن هي المستفيدة، وليس الأرمن وحدهم من يعانون من هذه الألوية، وإنما الكُرد غير المنضوين تحت لوائها يعانون أيضاً من أفعالها في كُردستان، وأنّ هؤلاء الفرسان هم آلة بيد السلطان نفسه، حتى إن الجيش النظامي العثماني هناك بدأ ينـزعج كثيراً من تصرفات الفرسان، وتصرفات زكي باشا الأب الروحي لهم.

يتحدث عبد الرحمن بدرخان في العدد نفسه وضمن فقرة (حوادث) عن بعض الوقائع المؤلمة أيضاً، فكما يقول: وقع في ساسون وكذلك في وان قتال كبير بين المواطنين، ولم تأبه الدولة العثمانية لذلك، بل إنها قامت بالحجز على العديد من الرسائل والدعاوي التي أرسلها ممثلو الدول الكبرى في استانبول إلى حكوماتهم للوقوف بوجه هذه الأحداث، وهي تستخدم العنف لإخماد هذه الانتفاضات، التي قامت في المنطقة[304].

يظهر أن عبد الرحمن بدرخان، ولغاية نشره هذه المقالة، كان واقعاً تحت تأثير الدعاية الأرمنية، كبقية الناس الذين يطلعون للمرة الأولى على وقائعها، وذلك لأنه، حتى وإنّ كان في الدولة العثمانية أيام الأزمة الأرمنية 1894 ـ 1896، إلا أنه كان بعيداً عن أحداثها في كُردستان، ويبدو أن الدعاية الأرمنية كانت هي مصدره الوحيد للمعلومات حول هذه المسألة، ولكنه أخذ ينظر إلى واقع الأمر بمنظور ورؤية مختلفة بعد ذلك، كما سيتبين هذا الأمر في الأعداد اللاحقة من جريدة كُردستان.

لقد لخص عبد الرحمن بدرخان أهم الأسباب التي أدت إلى الحوادث المأسوية في كُردستان بين الكُرد والأرمن، في مقاله الذي نشره باللغتين الكُردية والتركية العثمانية، ضمن العدد التاسع والعشرين، الصادر في

14 تشرين الأول/ أكتوبر 1901 والمعنون بـ: (وضعية حاضر ومستقبل كُردستان). يقول عبد الرحمن في بداية مقاله، باحثاً عن أسباب هذه المسألة: إنه منذ عشر سنوات، ونتيجة لفساد السلطان عبد الحميد، يحدث قتال شرس في كُردستان بين الكُرد والأرمن، والكُرد الذين بقوا لسنوات طويلة تحت ظلمة الجهل يقومون بقتل الأرمن، وبأوامر مباشرة من السلطان العثماني، بل أصبح كل المسيحيين تحت تسلط الفرسان الحميدية، ومن جهة أخرى يوجد في كُردستان أرمن يطالبون بالاستقلال عن الدولة العثمانية، والظالمون منهم يختبئون من الحكومة، ولأجل أهدافهم يقومون بأعمال مخالفة للأخلاق الإنسانية ومذمومة، وفضلاً عن هذا كله يقول عبد الرحمن بدرخان: توجد هناك أيضاً روسيا، التي تثير الأحقاد والنفاق بين القوميتين، وهي تقوم بهدم أواصر الإخوة والصداقة، التي عمرت لمدة طويلة بين الشعبين، ويلخص بدرخان هذه الأسباب في جملة معبرة عن أهم العوامل التي أدت إلى هذا الاقتتال في كُردستان قبل الدخول في شرح تفاصيلها: «عشوائية حكومتنا، ونفاق عبد الحميد، وبمصيبة الجهلة وبواسطة الكُرد في القتال والنهب، وبدون حسن إدارة الأرمن وحلمهم في الاستقلال، ودخول روسيا في هذه الأحوال»[305]؛ ثم يدخل عبد الرحمن بدرخان في شرح تفاصيل هذه الأسباب والعوامل، كما يلي[306]:

1 ـ بعد الاقتتال الشديد في السنوات الماضية لم تقم الحكومة باتخاذ التدابير اللازمة، والمؤثرة لمنع ذلك... ولذا تستمر نار الفتنة حتى الآن... ولتبرئة نفسها في نظر الأوروبيين تتهم الكُرد، ولتحقيق هذا الهدف يعلن السلطان دائماً بأنه يريد إصلاح مملكته، لكن الكُرد عصاة يريدون أن يبقوا في وحشيتهم [تخلفهم]، وليثبت السلطان ادعاءاته، رتب حيلاً ودسائس كثيرة، وجعل هذه الفكرة في أوروبا مقبولة؛ القتال الذي يحدث في كُردستان

حتى الآن، كله من تأثير هذه التدابير لعبد الحميد، ولهذا أيها الشعب الكُردي اتركوا القتال والنهب إلى الأبد، واتفقوا مع الأرمن، إن لم تتركوا هذا النفاق، وتدافعوا عن أنفسكم بالإجماع مع الأرمن من ظلم مسؤولي عبد الحميد، ليكن في علمكم أن أحوالكم وأحوال الأرمن سوف تتدهور أكثر.

2 ـ يقوم الكُرد بهذا القتال، ليس لأن الكُرد ميالون للقتل والظلم، فلو كان طبعهم ميالاً للقتل فإنهم ومنذ عصور طويلة يعيشون هم والأرمن معاً، ولحدث قتال كهذا في العصور السابقة، ولكن بالعكس منذ عصور عديدة عاش الكُرد والأرمن معاً في صداقة وإخوة، ولكن اليوم، كتلك العصور، الكُرد يشبهون السلطان بالخليفة، فيعدّون إرادته مقدسة، وتنفيذ أوامره فرضاً، ولا يعرفون بأنّ جهل، لا يعرفون بأنّ هذا سلطان غاصب، يعمل ليل نهار لإبادة شعبه، وحماية نفسه وعرشه.

3 ـ في مسائل الاقتتال هذه يوجد بعض الأرمن أيضاً يستحقون النقد والمؤاخذة، هم ذلك القسم من الأرمن، الذين أعلنوا عصيانهم، بسبب الظلم الذي يرونه، وينسبونه إلى الإسلام، وبهذه الصورة فإن ما هو موجود من المسلمين من: ترك، وكُرد تخلوا عنهم، وهكذا نشروا النفاق، والحقد بينهم، وبين أصدقائهم وإخوانهم. لا توجد ولاية يكون فيها الأرمن غالبية مقارنة بالكُرد أو الترك، ولذا حلم استقلال الأرمن خيال مستحيل، ولتحقيق هذا الحلم افتروا على المسلمين والشعب وهذا شيء فظيع. إذا اتفق الأرمن مع الكُرد منذ البداية لحلت العدالة بلا شك، وما قتل هذا العدد من الأرمن، في بداية هذه الحالة سوى تصوّر الإنكليز أن هذا العصيان عمومي (شامل)، لأنّ الانكليز يريدون قوتنا وإصلاحنا [أي: إصلاح الدولة العثمانية] أعانوا الأرمن، وقد تصور الانكليز بأن هذا العصيان هو فقط ضد حكومة السلطان، ولكنهم عندما رأوا أنّ هذا العصيان ضد شعوب أخرى تخلّوا عنهم.

4 ـ روسيا تعلم أن عدم الاستقرار، والنفاق يضعفان أية دولة، ولهذا عندما أرادت حكومتنا أن تقوم ببعض الإصلاحات على أية حال منعتها روسيا. الأرمن الذين لجأوا إلى روسيا سلمتهم لحكومتنا. ومهما كان ظلم السلطان يزداد ضد شعبه كان حسن تقدير الروس للسلطان يزداد، كان الروس يأمرون قناصلهم في ولاياتنا بدفع الكُرد ضد الأرمن عن طريق العطاءات والتكريم، ومن جانب آخر يقولون للأرمن: أنتم مظلومون تظلمكم حكومة السلطان ولذا يجب أن تعتنقوا (تلتجئوا) إلى الدين (المذهب) الأرثوذوكسي، ليستطيع أن يأخذكم في حمايته، ولكن يجب أن يعلم الأرمن بأنه لا حقيقة لادعاء روسيا بأنها تريد الخير دائماً، فما أن تسيطر على ملك دولة، عندئذ تمحو وتبيد الشعب وانتماءه القومي بشتى الوسائل، ولا تترك له أية حرية، هذه حقيقة واضحة، وهي أن روسيا لا تريد أبداً تأسيس حكومة أرمنية مستقلة بجوارها، وفي النهاية يجب أن يتحرى الأرمن عن سعادتهم في دولتنا، وأنْ لا يروا السعادة في حكم الروس، إن بقيت دولتنا فالأرمن باقون، وإلا فالأرمن يبادون جميعهم، ولكن إذا انفصل الأرمن عن دولتنا، فتستطيع دولتنا الاستمرار في الحكم، ولكن نتأسف للأرمن الذين تعايشنا معهم منذ زمن طويل ينفصلون عنا»[307].

لقد نشر عبد الرحمن في العدد السابق نفسه الترجمة التركية لهذا المقال، وأضاف إلى ذلك بعض الجمل والمعلومات الأخرى، خصوصاً فيما يتعلق بدور السلطان في هذه المسألة، ودور روسيا والروس واتباع الأرمن لهم وتنفيذ أوامرهم، حيث يقول: في الوقت الذي كانت انتفاضة الأرمن قبل ست سنوات تستند إلى المادة الخاصة في معاهدة برلين، التي وعدتهم بالإصلاحات، فإنهم لو قاموا بتلك الانتفاضة بصورة نظيفة وإنسانية، لعاشوا الآن مع مواطنيهم والناس الآخرين بسعادة وحرية، ولكن بسبب استهتارهم

واستخفافهم بالإسلام والمسلمين والعثمانيين، وفقدانهم للحماية الإنكليزية، حرموا من تلك الفرص، والآن يحاولون جلب انتباه الأوساط السياسية في (بطرسبورغ) إليهم، والأوضاع الحالية هي نتيجة لتلك التغييرات والمنعطفات السريعة[308].

إن نظرة سريعة إلى محتوى هذا المقال توضّح أن صاحب جريدة كُردستان قد نظر إلى الموضوع رؤية شمولية أوسع من ذي قبل، مؤكداً أنّ هناك أسباباً عديدة تقف وراء المسألة الأرمنية في كُردستان، وليس فقط لان الكُرد ميالون للقتال، كما شاع عنهم، بل هناك أيضاً السبب الأرمني، فهم يتحملون قسطاً كبيراً من وزر الأزمة، وكذلك روسيا، التي اتهمتها جريدة كُردستان علانية بتأجيج الصراع في كُردستان، لتهيئة الظروف السانحة للتدخل في شأن الدولة العثمانية، ثم احتلال كُردستان.

لم يتوقف عبد الرحمن بدرخان عند هذا الحد في النظر بشمولية إلى أسباب هذه المسألة، فقد نشر في العدد الثلاثين، مقالة باللغة الكُردية تحت عنوان: (أساس النفاق في كُردستان)، ونشر ترجمتها التركية أيضاً، مع زيادة بعض المعلومات عليها في العددين الثلاثين، والواحد والثلاثين وهو العدد الأخير من جريدة كُردستان، كما هو معروف.

في بداية مقالته هذه يؤكد بدرخان على أن من أهم أسباب المشاكل في كُردستان والدولة العثمانية، ومنها المشكلة الأرمنية، هو التبشير المسيحي في الدولة العثمانية، وأنّ الحامي الرئيسي لهذه لحركة التبشيرية هي الدولة الفرنسية. ويضيف: إنّ المبشرين يقومون وكما هو معلوم بنشر الفساد والشقاق بين أفراد المجتمعات التي يوجدون فيها، وإنّ الدول الأوروبية، وخصوصاً فرنسا، قامت بإبعاد هؤلاء المبشرين الماسونيين من أراضيها[309]، والآن يستولون على الشرق، ومنها الدولة العثمانية وكُردستان. وبعدما يتحدث عما فعله

المبشرون في الصين، فإنهم أدخلوها في حروب لا تنتهي، وكيف أن الهدف الأساسي لهؤلاء المبشرين هو السلب والنهب، والسيطرة على المقدرات الاقتصادية لهذه البلدان. وتبين ذلك بوضوح في الأحداث التي وقعت في الصين قبل سنتين، كما يقول عبد الرحمن بدرخان. ثم يشير صاحب المقال بعد ذلك إلى معاهدة فرضتها الدولة الفرنسية على الدولة العثمانية، اشتد على إثرها ساعدهم كثيراً في كُردستان ومناطق أخرى، بحيث أصبحوا يتطاولون على السكان، بل ويحتقرونهم في مرات عديدة، وعندما يقوم هذا الشعب بالتصدي لهم في بعض الأحيان، عندما ترتقي الأحداث إلى حد المواجهة، وقتل بعض المبشرين، تنتشر في أسماع العالم أن هذا الشعب ظالم وغدار، من دون أن يعلموا أن السبب في ذلك هم هؤلاء المبشرون. ويضيف عبد الرحمن بدرخان قوله: «هذا الغدر الذي يمارسه هؤلاء المبشرون وحكوماتهم يقع كله على رأس هؤلاء الناس، الذين أصبحوا فقراء ومعدومين، من جراء ظلم عبد الحميد. إنّ من خُلق ابن آدم أن ينتقم [من الظالم]، لكن ليس كالكُرد الغارقين في الجهل؛ وحتى الشعوب التي هي على شيء من المعرفة لا تستطيع أن تبقى [مظلومة] وهي تُحتقر، ولهذا حيف الكُرد، في هذا الزمان الذي يتجاوز فيه الأرمن على الكُرد، وبناءً عليه لامتزج الكُرد معهم على أحسن وجه. فمنذ عدة أعوام اختل هذا الامتزاج تماماً، ولا بد من سبب لذلك، والسبب هو فساد وفتنة المبشرين في زمن تيمورلنك؛ فعندما أرادت روسيا أن تتجاوز حدود كُردستان من جهة قوقازيا، دافع الأرمن عن كُردستان أكثر من أصدقائهم المسلمين، وهذا دليل ومعلوم ليس وراء هذه الأحداث أيّ سبب آخر...»[310]؛ ثم يذكر أن هذه الحكومات الأوروبية، والمبشرين يتدخلون في شؤون الدولة العثمانية وكُردستان بحجة الدفاع عن الأرمن، في حين أنّ هدفهم الأساسي هو مصالحهم الذاتية، وليس الدم الأرمني كما يقولون. وينتقد عبد الرحمن

بدرخان كثيراً معاهدة برلين، وخصوصاً المواد (23) و(61)[311]، لأنه إذا طُبِّقت هذه البنود في كُردستان، فضلاً عن بنود المعاهدة الفرنسية تلك فـ : «سيأتي زمان تهيئ هذه الأسباب مذبحة لم ير العالم مثلها»[312]. هنا وبناءً على هذا النص يبدو ومن خلال استقراء عبد الرحمن بدرخان لظروف المسألة الأرمنية في كُردستان أن الأوضاع إذ ما استمرت في المستقبل على هذه الوتيرة فسيقع في كُردستان قتال واسع، بل وربما ستهيئ هذه الأسباب مذبحة في كُردستان، لم ير العالم مثلها، وفعلاً كان تنبؤ بدرخان في محله، حيث أدت هذه الأسباب إلى حدوث مذابح للأرمن وللكُرد، خلال الحرب العالمية الأولى.

في الأعداد الأولى التي أصدرها عبد الرحمن بدرخان يظهر أنه يتهم الفرسان الحميدية، والسلطان عبد الحميد بقتل الأرمن، إلا أنه في الأعداد الأخيرة من الجريدة، يتهم الأرمن بتجاوزهم على الكُرد، من خلال دعم الدول الأوروبية، والمنظمات التبشيرية لهم؛ هنا بدا واضحاً لبدرخان أن الصراع في كردستان ليس مجرد صراع ضد السلطان عبد الحميد الثاني، أو حتى ليس صراعاً ضد الظلم، بل إنّ الصراع في كُردستان بين الكُرد والأرمن لا يتعدى مسألة واحدة فقط، وهي (الأرض)؛ فبعدما كان عبد الرحمن بدرخان يهاجم السلطان عبد الحميد، ويدعو الكُرد للانضمام إلى الأرمن في مقاومتهم له، يظهر أنه، في الأعداد الأخيرة، يهاجم الأرمن، والدول الكبرى، والتبشير المسيحي، كونهم يريدون إعطاء كُردستان إلى الأرمن، وأنّ هذه الأرض هي أرمنستان، كما يقولون وليست كُردستان. أما لماذا هذا التغيير الكبير في آراء عبد الرحمن بدرخان بشأن المسألة الأرمنية، فيبدو أنها ترجع إلى الأسباب التالية:

1 ـ إن عبد الرحمن بدرخان، كان في بداية عهده في البلاد الأوروبية، ولم يكن بعد قد اختلط بالمعارضة العثمانية بشكل جيد، كما أنه لم يكن على

اطلاع على مضامين المسألة الأرمنية، لذا كانت جريدة كُردستان في بداية عهدها، وكانت حتى العدد السادس عشر بمثابة منبر للنصائح الموجّهة إلى الكرد ليس أكثر.

2 ـ بعد ذلك، وبعد أن تعرضت جريدته إلى مضايقات السلطان عبد الحميد الثاني فإن قراءة أعداد الجريدة من العدد السادس عشر، وحتى العدد الخامس والعشرين توحي بأن جريدة كُردستان هي عثمانية معارضة أكثر منها جريدة كُردية قومية معارضة، لأن الجريدة أفردت أغلب مقالاتها في هذه الأعداد، لمهاجمة السلطان عبد الحميد الثاني، الذي رأى فيه صاحب الجريدة أنه هو السبب في جميع مشاكل الدولة العثمانية.

3 ـ يظهر أن جريدة كُردستان، ومنذ العدد السادس والعشرين قد عاد إليها حسها الكُردي، وبدأت الحديث عن أبرز المشاكل التي تعصف بالكُرد، في تلك المدة، وعلى رأسها المشكلة الأرمنية. ويبدو أن هذا التغيير في سياسة الجريدة جاء لأن عبد الرحمن بدرخان، وخلال عامي 1901 و1902، قد اختلط كثيراً بالمعارضة العثمانية في أوروبا وقد انضم وكما هو معروف إلى جمعية الاتحاد والترقي العثمانية الجناح اللامركزي مع اقتراب عقد المؤتمر الأول للمعارضة العثمانية[313]. ويظهر من خلال مقالاته السالفة الذكر، والتي نشرها منذ العدد السادس والعشرين، أنه كان معرضاً دائماً للنقد والشكوى، من جانب المعارضين الأرمن في جمعية الاتحاد والترقي، بل ومن الأوروبيين الذين اختلط بهم، ووقعوا تحت تأثير الدعاية الأرمنية، وكان من المفروض على المعارضين الأرمن أن يهاجموا السلطان عبد الحميد الثاني وحده كونه هو السبب الأساسي في هذه الأزمة. وكما كان يفعل عبد الرحمن في جريدته كُردستان، فإنّ هؤلاء الأرمن كانوا قد حملوا الكُرد مسؤولية كبيرة، ولهذا نرى أن بدرخان، يخوض في ذكر جميع الأسباب التي أدت إلى وقوع هذه الأزمة،

حتى إننا في الأعداد الثلاثة الأخيرة نراه يغفل الإشارة إلى السبب الكُردي، أو حتى إلى السلطان عبد الحميد الثاني، إلا ما ندر، ويشير بإصبع الاتهام إلى الأرمن أنفسهم، والدول الكبرى، وعلى رأسها روسيا وفرنسا، والى التبشير، واعتبار هؤلاء المبشرين الماسونيين ينشرون الفساد في كُردستان، بعد أن طردتهم حكومات بلدانهم، بسبب ما يقومون به، والآن تدعمهم هذه الحكومات ذاتها لنشر الفساد في كُردستان.

هوامش الفصل الثالث

1. لقد أُطلقت تسمية (الأزمة الأرمنية) على وقائع تطورات المسألة الأرمنية بين سنوات 1894-1896، في حين أطلق عليها الأرمن وبعض الدوائر السياسية الأوروبية مصطلح (المذابح الأرمنية)، والاختلاف بين التسميتين هو: أن مصطلح (الأزمة) تعني: أن الأحداث التي وقعت آنذاك يتحملها الطرفان وكذلك بعض الأطراف الأخرى وخصوصاً الدول الغربية، أما إطلاق مصطلح (المذابح) فتعني أن كل المسؤولية تعلق في رقبة الدولة العثمانية، ومن ورائها الكُرد بطبيعة الحال، وكأن الأمر كان مخططاً له ومدبراً، واعتقاداً منا أن المصطلح الأول (الأزمة الأرمنية) هو الأقرب إلى الحقيقة التاريخية لذلك سنستخدمه في دراستنا هذه لا المصطلح الثاني.
2. Christopher J. Walker, op. cit., P. 136-137.
3. MAYÉVSRIY V.T., A.G.E., S.132.
4. No.277, Sir P.Currie to Earl of Kimberley, Therapia, October 15, 1894, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: III, P.386-389.
5. AN ARMENIAN, ARMENIAN AND HER PEOPLE, HARTFORD, 1896, P.208-215 and 239-265; W. J.WINTLE, ARMENIA AND ITS SORROWS, LONDON, 1896, P.65-81; EDWIN MUNSELL BLISS, op. cit., P. 368-372; Francois Surbezy, Les Affaires d›Armenie et l›Intervention des Puissance Europeennes (de 1894 a 1897), Universite de Montpellier-Montane, 1911.
6. Inclosure I in No.345, Consul Graves to Sir P. Currie, Erzeroum, December 27, 1894, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: III, P.478-481.
7. ينظر، نص الوثيقة باللغتين الفرنسية والانكليزية، في:
   -No. 278, Sir P.Currie to the Earl of Kimberly, Therapia, October 20, 1894, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: III, P.390-392.
8. No.291, Sir P. Currie to the Earl of Kimberly, Constantinople, November 15, 1894, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: III, P.406-407.
9. حول تأثير وقائع الأزمة الأرمنية في مجمل سنوات التسعينيات من القرن التاسع

عشر، على العلاقات العثمانية الأميركية، وأحوال الإرساليات التبشيرية الأميركية في شمال كردستان أثناء تلك الأزمة ينظر:

-James Eldin Reed, American Foreign Policy: The Politics of Missions and Josiah Strong 1890-1900, Church History, Vol. 41.No. 2, Jun., 1972, P. 230-237.

10. ينظر:

-KAMURAN GŪRŪN, op. cit., P.180-181; L'Abbe Eugene GRISELLE, UNE VICTIME PANGERMANISME L'Armenie Martyre, PARIS, 1916, P.19-22.

11. No.209, Said Pacha, Ministre des Affaires Etrangeres Ottoman, a Rustem Pacha, Ambassadeur Ottoman a Londres, Constantinople, le 26 November 1894, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), Vol: II, P.293-294.
12. Annexe 3 au No. 351, Extrait du «Standard» du 22 December 1894: THE ARMENIAN QUESTION(FROM OUR CORRESPONDENT)CONSTANTIOPLE, Friday Night, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), Vol: II, P.484-486.
13. No.211, Said Pacha, Ministre des Affaires Etrangeres Ottoman, a Rustem Pacha, Ambassadeur Ottoman a Londres, Constantinople, le 27 November 1894, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), Vol: II, P.295.
14. No.209. Said Pacha, Ministre des Affaires Etrangeres Ottoman, a Rustem Pacha, Ambassadeur Ottoman a Londres, Constantinople, le 26 November 1894, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), Vol: II, P.293-294.
15. Annexe 3 au No.318, Article de fond L› «Observer» du 16 december 1894, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), Vol: II, P.428-430.
16. REPONSE AU MEMOIRE DE LA SUBLIME-PORTE EN DATE DU 12 FEVRIER 1919, Constantinople, 1919, P.7; Guenter Lewy, The ARMENIAN MASSACRES in OTTOMAN TURKEY: A Disputed Genocide, Salt Lake City, 2005, P.20.
17. Guenter Lewy, op. cit., P.20.

18. No.365, Sir P. Currie to the Earl of Kimberley, Constantinople, January 16, 1895, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: III, P.501-502.

19. ينظر، النص الأصلي للخبر، في:

-Richard Diran Kloian, From The Armenian Genocide: News Accounts from the American Prss 1915-1922, Via at: (http://www.teachgenocide.com.Thc%20New%20York%20Times%20).

20.W. J. WINTLE, op. cit., P. 80.

21. ينظر النص الأصلي لتقرير لجنة القناصل الأوروبيين باللغتين الفرنسية والإنكليزية في:

-Inclosure in No.-59, Reprt of the Consular Delegates attached to the Commission appointed inquire into the Events at Sasun, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: IV, P.73-102; L'Abbe Eugene GRISELLE, op. cit., P.21-24.

22. ينظر مثلاً:

- W. J.WINTLE, op. cit.,P.72-81.

23. ينظر:

- No. 124, Rustem Pacha, Ambassadeur Ottoman a Londres, a Said Pacha, Ministre des Affaires Etrangeres Ottoman, Londres, Le 25 Septembre 1894, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), Vol: II, P.200-201; No. 151, Rustem Pacha, Ambassadeur Ottoman a Londres, a Said Pacha, Ministre des Affaires Etrangeres Ottoman, Londres, Le 12 November 1894, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), Vol: II, P.232.

24. Inclosure in No.59, Reprt of the Consular Delegates attached to the Commission appointed inquire into the Events at Sasun, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: IV, P.93-95.

25. Ibid, P. 95.

26. Ibid.

27.Ibid, P.95-96.

28.Ibid, P.96.

29. Ibid.
30. Ibid.
31. Ibid, P.97.
32. Ibid, P.99.
33. Ibid, P. 100.
34. Ibid, P. 100-101.
35. Ibid, P.101.
36. Ibid, P. 103-111.
37. Ibid, P. 111-115.

- من المفيد هنا القول إن القنصل البريطاني في أرضـروم غرافيس (قنصل كُردستان)، ورغم تدوينه بعض الملاحظات على نتائج لجنة التحقيق، إلا أنه أكد للسفير البريطاني فيليب كيوري، موافقته التامة على تحقيقات ونتائج لجنة القناصل ينظر:

-Inclosure I in No. 89, Consul Graves to Sir P.Currie, Erzeroum, August 12, 1895, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: IV, P. 157-158.

38. KAMURAN GÜRÜN, op. cit., P.180; Roy Douglas, Britain and the Armenian Question 1894-7, The Historical Journal, Vol: 19, No. 1, Mar 1976, P.116-117.
39. Richard Davey, Turkey and Armenia, in: THE ARMENIAN MASSACRES 1894-1896..., P.171-172.

- يستهزئ ريتشارد ديفي في دراسته هذه من المعلومات التي نشرتها الصحف الأوروبية والأميركية عن عدد القتلى معتمدين على الروايات الأرمنية، يقول ديفي إنّ عدد القتلى في البداية كان (1000) شخص؛ ثم ارتفع إلى (2000)؛ ثم إلى (10000) شخص، وهو ما يتجاوز العدد الكلي لكل سكان ساسون؟! ينظر:

- Ibid, P.171.

40. يقول البارون فون ديركولتز، صاحب مجلة كولونيا الألمانية، في عددها (168)، الصادر في 24/ 2/ 1895، معقباً على أزمة ساسون، إنّ جميع المعلومات عن هذه الأزمة إنما ترجع إلى مصدر واحد وهو المصدر الأرمني، وكلها أكاذيب كما يقول؛

ثم يذكر أنه التقى رئيس اللجنة العثمانية للتحقيق في أزمة ساسون عبد الله باشا، وبين له: «أنه خارج نطاق أي شيء، فإن هؤلاء الأرمن الموجودين في هذه المناطق يتميزون كثيراً عن الأرمن المسالمين في المدن الكبرى، حيث إنهم شعب صلب ومتوحش، مثلما هو حال الرعاة الكُرد، وهؤلاء لا يتكلمون اللغة الأرمنية وإنما الكُردية». ينظر:

-No.471, Tevfik Pacha, Ambassadeur Ottoman a Berlin, a Said Pacha, Ministre des Affaires Etrangeres Ottoman, BERLIN, Le 25 Fevrier, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), Vol: II, P.635-640.

41. عن هذه الهجرات الكُردية والمشاكل التي صاحبتها، ينظر مثلاً: باسيلي نيكتين، المصدر السابق، ص89-101 وص116-124؛ ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص83-88؛ عثمان علي، دراسات في الحركة الكُردية...، ص188-190.

42. EDWIN MUNSELL BLISS, op. cit., P.374.

43. No.277 , Sir P. Currie to the Earl of Kimberley, Therapia, October 15, 1894, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: III, P.386-389.

44. Janet Klein, CONFLICT AND COLLABORATION: RETHINKING KURDISH-ARMENIAN RELATIONS THE HAMIDIAN PERIOD 1876-1909, Int J. Turkish Studies, Vol: 13, Nos. 1-2. 2007.P.157.

45. Louise Nalbandian, The Armenian Revolutionary Movement, California 1963, P.121.

46. Général Russe MAYEWSKI, op. cit., P.11.

47. الأمير أحمد ثريا بدرخان (1883-1937): هو ابن أمين عالي بدرخان، حاز على شهادة الهندسة الزراعية من جامعة استانبول في بداية القرن العشرين، نفي عدة مرات لمعارضته للسلطان عبد الحميد الثاني، وكان من المؤسسين لعصبة استقلال كُردستان بعد الحرب العالمية الأولى. للتفاصيل، ينظر: مالميسانز، بدرخانيو جزيرة بوتان...، ص82-96؛ صلاح محمد سليم هروري، الأسرة البدرخانية: نشاطها السياسي والثقافي 1900-1950، دهوك، 2004، ص77-90.

48. KURDISTAN ou ARMENIE: TYRANS ou MARTYRS, Le

COMITE de L›INDEPENDANCE KURDE, LE CAIRE, 1919, P.20.

- من الجدير بالذكر هنا أن الباحث نجاتي عبد الله قد تمكن من العثور على هذا التقرير، بعد ما كان مفقوداً لمدة طويلة، وقد قام بنشره على صورته الأصلية مع ترجمته إلى اللغة الكُردية، وطبعته مؤسسة زين للطباعة والنشر في السليمانية عام 2009 على شكل كتاب، ويحمل عنوان (كوردستان يا ئەرمەنستان: شەهیدەکان یا ملهورەکان)، وسيُشير بعد ذلك إلى هذا المصدر إلى نص التقرير الأصلي باللغة الفرنسية. كما أنه من المهم القول هنا إنّ هذا التقرير لا يحمل اسم أحمد ثريا بدرخان وصُدر باسم عصبة استقلال كُردستان، ولكن مقارنة نص هذا التقرير مع بعض التقارير الأخرى التي بعثها أحمد ثريا بدرخان إلى سياسيي الدول الكبرى المنتصرة في الحرب العالمية الأولى يتبين بوضوح بصورة لا تدع المجال للشك أن أحمد ثريا بدرخان هو كاتب هذا التقرير.

49. Annexe 3 au No. 213, Extrait du Morning Post du 27 Novembre 1894, The State of Amenia to the editor of the morning post, in: (B.Ş.D.D.O.A.A), Vol: II, P.298-300; No. 291, Sir P. Currie to the Earl of Kimberly, Constantinople, November 15, 1894, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: III, P. 406-407;

- م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص102.

50. No. 188. Said Pacha, Ministre des Affaires Etrangeres Ottoman, a Zia Pacha, Ambassadeur Ottoman a Paris, Constantinople, le 23 November 1894, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), Vol: II, P.272-273.

51. Frederick Davis Greene, THE ARMENIAN CRISIS IN TURKEY: THE MASSACRE OF 1894 ITS ANTECEDENTS AND SIGNIFICANCE, NEW YORK-LONDON, 1895, P.20-21.

52. W. J. WINTLE, op. cit., P.66-67.

53. EDWIN MUNSELL BLISS, op. cit., P.376.

54. J.CASTELL HOPKINS, THE SWORD OF ISLAM OR SUFFERING ARMENIA: ANNALS OF TURKISH POWER

AND THE EASTERN QUESTION, Brantford and Toronto, 1896, P.316-317.

55. No.365, Sir P. Currie to the Earl of Kimberley, Constantinople, January 16, 1895, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: III, P.501-502.

56. ARMAN J. KIRAKOSSIAN, Great Britain... P.39; STANFORD J. SHAW AND EZEL KURAL SHAW, HISTOPY OF THE OTTOMAN EMPIRE AND MODERN TURKEY, Vol:II Reform-Revolution- and Republic: The Rise of Modem Turky 1808-1975, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, 1988, P.204.

57. للتفاصيل عن هذه المتغيرات ينظر:

-ARMAN J.KIRAKOSSIAN, British Diplomacy..., P.162-200; ANDRE MANDELSTAM, op. cit., P.296-297.

58. MUSA ŞAŞMAZ, op. cit., P.184.

59. م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص106؛

- Rahmetli Babamin, BITLIS'TE ERMENILER VE ERMENI MEZALIMI, BITLIS, 1996, S.140.

60. MUSA ŞAŞMAZ, op. cit., P.184-185.

61. للمزيد عن تطور العلاقات الروسية الفرنسية أواخر القرن التاسع عشر، ينظر:
هـ.أ.ل.فيشر، المصدر السابق، ص399-405؛ بيير رونوفن، تاريخ القرن العشرين، ترجمة: نور الدين حاطوم، ط2، بيروت-دمشق، 1980، ص19-23.

62. ARMAN J.KIRAKOSSIAN, British Diplomacy..., P.202.

63. Ibid, P.209-211.

64. Bengi Kümbül, Tercuman-I Hakikat Gazetesine Gore: Osmanli Ermenileri 1914-1918, Antalya, 2006, S. 45-46.

65. Garabet K. Moumdjian, op. cit.

66. Inclosure I in No. 39, Observations on the Draft of Reforms Presented by the Ambassadors of the three Powers for certain Vilayets in Anatolia, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: IV, P.45-46.

67. No.39, Sir P. Currie to the Marquess of Salisbury, Therapia, August 3, 1895, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: IV, P.28-29.
68. No. 75, Sir P. Currie to the Marquess of Salisbury, Therapia, August 21, 1895, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: IV, P.130; Halil Metin, TURKIYENIN SiYASi TARIHINDE ERMENILER VE ERMENI OLAYLARI, Istambul, 1997, S.77-78.
69. Inclosure I No. 75, Summary of Concessions embodied in the Turkish Draft of Reforms, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: IV, P.133.
70. Inclosure in No. 273, Act embodying the Reforms for the six Vilayets inhabited by Armenians, as drawn up by the Delegates the three Embassies in conjunction with Munir Bey, the Secrtary-Général of the foreign Department, and revised by the three Ambassadors and Said Pasha, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: IV, P.326.
71. MUSA ŞAŞMAZ, op. cit., P.185-186.
72. Ibid, P.188.
73. Andre Mandelstam, La Societe des Nations et Les Puissances devant LE PROBLIME ARMENIEN, Via at: (http://www.imprescriptible.fr/mandelstam).
74. للتفاصيل عن سير إصلاحات شاكر باشا، وأهم المشاكل التي واجهتها بعد ذلك حتى اندلاع الحرب العثمانية اليونانية عام 1897، ينظر:

 -No. 245,Tevfik Pacha, Ministre des Affaires Etrangeres Ottoman, aux Ambassadeurs Ottomans a Paris, Londres, Vienne, Rome, St-Petersbourg, Berlin, le 23 Novembere 1896, In:(B.Ş.D.D.O.A.A), Vol: IV, P. 221-223; ARMAN J. KIRAKOSSIAN, Great Britain..., P.53-54; MUSA ŞAŞMAZ, op. cit., P.188-120.
75. BENGI KÜMBÜL, A.G.E., S.47.
76. للمزيد عن دور العقيد نورتون في كُردستان إبان عهد الإصلاحات الأرمنية الأولى، ينظر:

-Inclosure 2 in No.58, Captain Clayton to Major Trotter, VAN, December 29, 1880, in: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: II, P.190-191.

77. ينظر نص مقترحات العقيد نورتن بخصوص إقليم (أرمينيا الكُردية)، في الملحق رقم (4).

78. ينظر مثلاً:

-No. 441,The Earl of Kimberley to Sir P.Currie, FOREIGN OFFICE, March 28, 1895, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: III, P.594-596.

79. Ibid; No. 347, Mr. Herbert to the Marquess of Salisbury, Therapia, October 29, 1895, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: IV, P.388-389.

80. Mayévsriy V.T., A.G.E., S.128-129.

81. No.74, Sir P.Currie to the Marquess of Salisbury, Constantinople, August 21, 1895, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: IV, P. 127-129.

82. No.33, Sir P. Currie to the Marquess of Salisbury, Constantinople, August 1, 1895, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: IV, P. 23-24.

83. Edwin Munsell Bliss, Op. Cit., P. 22.

84. M. Kalman, Bati-Ermenistan..., S. 57-58.

85 Nurşen Mazici, A.G.E., S.39; Arman J. Kirakossian, Great Britain...,P.41-42.

86. No.166,Tavik Pacha, Minister Ottoman des Affaires Etrageres, a Morel Bey, Charge d›Affaires Ottoman a Londres, SUBLIME PORTE, le 9 December 1895, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), Vol: III, P.171-175.

87. Halil Metin, A.G.E., S.78-80.

88. Edwin Munsell Bliss, Op. Cit., P. 20-23.

89. Peter Balakian, The Burning Tigris: The Armenian Genocide and America›s Response, New York, 2004, P. 59-60; Guenter Lewy, op. cit., P. 421-456.

- من الجدير بالذكر هنا أن الوثائق البريطانية، وأغلب الباحثين والمؤرخين الذين تناولوا تلك الأزمة، يختلفون في إيراد التواريخ الدقيقة لكل منطقة أو ولاية عند وقوع

الحوادث، وذلك لأن بعضاً منهم قد أرجع البداية إلى العملية الأرمنية، وبعضهم الآخر أرجعها إلى الرد العثماني، كما أن هناك اختلافات واضحة بين التواريخ فيما يتعلق ما بين مراكز الولايات وأقضيتها وقراها، إلا أن المهم هنا هو أن مدة وقوع الحوادث في أي منطقة كانت لم تكن تتجاوز ثلاثة أو أربعة أيام.

90. Halil Metin, A.G.E., S.80.
91. Robert T. Melson, op. cit.

- للتفاصيل عن بعض عمليات القتل، التي قال الأرمن إن الأتراك والكُرد ارتكبوها بحقهم ونشرتها الصحافة العالمية ينظر:

-Les émigrés arméniens, La revue blanche, No. 82. novembre 1896, Paris, P.394-399; Hors de France, L'armenie Turque, Une Mer de Sang, La Revue Forezienne, No. 44. Aout 1901, P. 630-635.

92. Mayévsriy V. T., A.G.E., S.146.
93. Ibid, P. 148-149.
94. Guenter Lewy, op. cit., P. 24.

- غسان وليد مصطفى الجوادي، المسألة الأرمنية في الدولة العثمانية 1878-1918: دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة الموصل، 2010، ص95-96.

95. Nurşen Mazici, A.G.E., S. 41-42; Salahi R. Sonyel, Minorities And The Destruction..., P. 293.
96. Guenter Lewy, op. cit., P.24.
97. Peter Balakian, op. cit., P. 60; M. Kalman, Bati-Ermenistan..., S.60.
98. Robert T. Melson, op. cit.
99. Salhi R. Sonyel, Minorities And The Destruction..., P. 292-293.

100. ينظر: فؤاد حسن حافظ، المصدر السابق، ص214. من الجدير بالذكر هنا أن الوزير اليساري الفرنسي آنذاك جورج كليمنصو، الذي صار رئيساً لمؤتمر السلام الذي عقد في باريس بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، قد أطلق عند اشتداد وقائع الأزمة

الأرمنية الأولى على السلطان عبد الحميد الثاني لقب (السلطان الأحمر). ينظر: المصدر نفسه.

101. حول هذه المسألة، ينظر:

-Walter B. Harris, op. cit., P. 282-284.

102. David Gaunt, Massacres Resistance, Protectors: Muslim-Christian Relation in Eastern Anatolia During World War I, New Jersey, 2006, P. 42-43.

103. No. 290, Tavik Pacha, Ministre Ottoman des Affaires Etragères, aux Représentants Ottomans a L'Etranger , Sublime Porte, Le 2 Fevrier 1896, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), Vol: III, P. 264-265.

104. للمرء أن يتصور بمجرد إيراد هذه المعلومة(استعمال الحبر السري) إلى أي مدى وصل المستوى التنظيمي للجان الأرمنية؟!

105. No. 290, Tavik Pacha, Ministcr Ottoman des Affaires Etragères, aux Représentants Ottomans à L›Etranger , Sublime Porte, Le 2 Fcvrier 1896, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), Vol: III, P. 266-269.

106. Ibid, P. 269-271.

107.Ibid, P. 271-275.

108. Ibid, P. 275-276.

109. Ibid, P. 276-288.

110. ينظر على سبيل المثال:

- No. 19,The Morning Advertiser, Thursday, October 24, 1895: The Stamboul Riots Turkish Police Report (from our correspondent), Constantinople, Oct. 19.IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), Vol: III, P. 44-47.

111. Kamuran Gürün, op. cit., P. 183.

112. Robert T.Melson, op. cit.

113. Ibid.

114. M. Kalman, Bati-Ermenistan..., S. 63.

115. ينظر مثلاً:

-No. 395, Mr. Herbert to the Marquess of Salisbury, Constantinople,

October 31, 1895, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: IV, P.406-407; No. 398, Mr. Herbert to the Marquess of Salisbury, Constantinople, November 2, 1895, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: IV, P.425-426; No. 453,Mr. Herbert to the Marquess of Salisbury, Constantinople, November 8, 1895, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: IV, P. 459-462.

116. Guenter Lewy, op. cit., P. 22-23.

117. Edwin Munsell Bliss, op. cit., P. 394-416.

118. Ibid, P. 477-479; An Armenian, op. cit., P. 264-265.

119.Edwin Munsell Bliss, op. cit., P. 480; Inclosure I in No. 96, Vice-Consul Fcntana to Mr. Herber, Kharput, August 28, 1896, IN: Muammer Demirel, Ermeniler Hakkinda Ingiliiz Belgeleri(1896-1918): British Documents On Armenians, Ankara, 2002, P. 228-232;

- من الجدير بالذكر أن الإحالة إلى هذا المصدر الوثائقي فيما بعد ستكون بالمختصر الآتي:(M.D.B.D.A) وهي الأحرف الأولى من اسم المعد واسم الكتاب باللغة الانكليزية.

120. Inclosure in No. 50, Vice-Consul Hallward to Consul Cumberbatch, Diarbekir, March 17, 1896, IN:(M.D.B.D.A), P. 126-129.

121. عبد الرزاق بدرخان (1864-1918): وهو من أحفاد بدرخان بك أمير بوتان، وصف بأنه من أشدّ المعارضين لحكم الدولة العثمانية لكُردستان، كانت له نشاطات سياسية عديدة لعل أبرزها اشتراكه في تأسيس جمعيتي (الإرشاد)، و(جيهانداني)، وكان من ابرز المنادين بتأسيس دولة كُردية بالاعتماد على روسيا القيصرية؛ أعدمته الحكومة العثمانية في الموصل أواخر الحرب العالمية الأولى. للمزيد، ينظر: جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص137-189؛ صلاح محمد سليم هروري، الأسرة البدرخانية...، ص35-39.

122. Roland BAREILLES, Le Crépuscule Ottoman 1875-1933: un Français chez le dernier grand sultan, préface d'Alain Decaux de L'Académie française, Etudes kurdes, No 50 Decembre 2002, P. 89-90.

123. No. 218, Sir P. Currie to the Marquess of Salisbury, Constantinople, March 9, 1898, IN:(M.D.B.D.A), P. 341-343.
124. Inclosure I in No. 96, Vice-Consul Fcntana to Mr. Herber, Kharput, August 28, 1896, IN:(M.D.B.D.A), P. 228-232.
125. Annexe au No.30, Extrait du «Matin» (Paris) du 13 October 1895: Turcs Et Armeniens, IN: (B.Ş.D.D.O. A.A), Vol: III, P. 3-7.
126. Ibid.
127. Ibid, P.6.
128. Guenter Lewy, op. cit., P.8.
129. Rouben Der Minasian, Armenian Freedom Fighters: The Memoirs Of Rouben Der Minasian, Translated And Edited By: James G.-Mandalian, Boston, 1963, P. 90-95.
130. Samuel M. Zwemer, op. cit., P. 343.
131. E. J. Dillon, The Condition of Armenia, IN: The Armenian Massacres 1894-1896..., P. 233.

- وبهذا الخصوص أيضاً فقد عبر الأرمن عن أملهم بخسارة روسيا أمام اليابان في الحرب التي كانت قد اندلعت بينهما في نيسان 1904، ينظر:

-No. 308, Vice-Consul Tyrrel to Sir N.O.Connor, Van, April 8, 1904, IN:(M.D.B.D.A), P. 445-446

132. Edwin Munsell Bliss, op. cit., P. 465; M.Kalman, Bati-Ermenistan..., S. 58.

- يقول شاهد عيان ارمني من ماراش، إنه في 18 تشرين الثاني/ نوفمبر، أطلق للجنود العرب العنان في المدينة، فقاموا بمهاجمة الأرمن من كل حدب وصوب، ويضيف الشاهد قوله: «كان العرب الأشرار رابطي الجأش، لا أستطيع وصف المشهد الذي كنا نشاهده، كمهاجمة المنازل المحيطة بفناء الكلية، ومقتل اثنين من رجالنا، وإصابة آخر ثالث بالرصاص». ينظر:

-Edwin Munsell Bliss, op. cit., P. 458.

- هنا لا بد من التذكير أنّ مثل هذه الشواهد لا تحصى ولا تعد، وقد أوردها الشهود

الأرمن، في مختلف المصادر التي تناولت المسألة الأرمنية؛ هي شهادات ضد الكُرد والعرب والشركس واللاز، ولكن يجب التنويه عن أن أغلبها مبالغ فيها كثيراً، أما لماذا جاء اسم الكُرد أكثر من غيرهم، وذلك لكثرة الأرمن في مناطقهم مقارنة بالمناطق الأخرى، فلو كانت للأرمن كثافة عالية في مناطق القوميات الأخرى، لجاء ذكرهم على أنهم وحوش وقتلة مثل الكُرد، ففي اورفة وماراش وعيتاب، رغم قلة عدد العرب فيها جاء اسمهم في شهادات الأرمن.

133. Robert T. Melson, op. cit.

134. هناك عشرات الأمثلة التي رواها القناصل البريطانيون بعد انتهاء الأزمة، هاجم فيها الكُرد مع الجنود الأتراك البلدات والقرى الأرمنية، وقاموا بسلب ونهب وقتل العديد من الأرمن، ينظر المصدر الوثائقي:

-(M.D.B.D.A) op. cit.,P. 127-266.

135. No. 19,The Morning Advertiser, Thursday, October 24, 1895: The Stamboul Riots Turkish Police Report (From Our Correspondent), Constantinople, Oct. 19, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), Vol: III, P. 44-45.

136. Inclosure 2 in No. 345, Letter from Kurdish Chiefs to Armenian Villagers, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: IV, P. 387.

137. Inclosure in No. 50, Vice-Consul Hallward to Consul Cumberbatch, Diarbekir, March 17, 1896, IN:(M.D.B.D.A), P. 126-129.

138. مّرت الإشارة إلى هذه المعلومات في المبحث الثاني ضمن الفصل الثاني.

139. KURDISTAN ou ARMENIE, op. cit., P. 21.

140. No. 58, Major Williams to Sir P. Curri, van, May 27, 1896, IN: (M.D.B.D.A), P. 173-174.

141. Kamuran Gürün, Op. Cit., P. 199.

142. Salahi R. Sonyel, Minorities And The Destruction...,P. 293; M. Kalman, Bati-Ermenistan..., S. 60.

143. Aspirations Et Agissement Revolutionnaires Des Comités Arméniens,avant et après la proclamation De La Constitution Ottomane, Istambul,1917, P. 74.

144. E. J. Dillon, op. cit., P. 250.

145. Sami Önal, A.G.E., S. 14.

146. A.E., S.16.

147. A.E., S.18.

148. Edwin Munsell Bliss, Op. Cit., P. 476.

149. Sami önal, A.G.E., S. 22.

150. (36) Bâb-iAlî, Hàrici Nezàreti, Tercume Odasi (Hariciye Nezâreti'ne 6 Kasim 1896 tarihinde Paris Büyükelciliginden gelen 597 numarah telgrafin tercümesidir), icinde: Osmanli Belgelerinde Ermeni-Fransiz Iliskileri 1879-1918, Cild: I, T.C. BAŞBAKANLIK DEVLET ARSDVLERD GENEL MÜDÜRLÜGÜ Osmanli Arsivi Daire Baskanligi Yayin Nu: 58, Ankara, 2002, S. 75-85.

151. إن ميلاد السلطان عبد الحميد الثاني كان في يوم الأربعاء 16 شعبان 1258 هـ المصادف 21 أيلول/ سبتمبر 1842، وإن التاريخ الميلادي الذي أورده سعد الدين باشا (31 كانون الثاني/ يناير 1896) يقابل يوم 16 شعبان من السنة الهجرية.

152. Sami Önal, A.G.E., S.22.

153. A.E., S.79-81.

154. ينظر نص هذه المقابلة، في الملحق رقم (5).

155. Sami Önal, A.G.E., S. 68.

156. A.E., S.73-74.

157. A.E., S.146-147.

158. , A.E., S.77.

159. Les Missions Catholiques, Bulltin Hebdomadaire Illustré, Tome: 34, Lyon-France, Janvier-December 1902, P. 597.

160. David Gaunt, Op. Cit., P. 43-44; J. Rendel Harris And Helen B. Harris, Letters From The Scenes Of The Recent Massacres In Armenia, London, 1897, P. 105-106.

161. Kurdistan Ou Arménie, Op. Cit., P. 21.

162. ينظر:

- Inclosure in No. 50, Vice-Consul Hallward to Consul

Cumberbatch, Diarbekir, March 17, 1896, IN:(M.D.B.D.A), P. 126-129.

163. Naci Kutlay, İttihad Terakki Ve Kürtler, Ankara, 1992. S.267.

164.Incosure in No.242, Major Maunsell to Sir N. OConor, Van, October 30, 1899, IN:(M.D.B.D.A), P. 368-371.

165. Ibid , P. 370-371.

166. M. Kalman, Belge ve taniklariyla..., S.111-112.

167. Mayévsriy V.T., A.G.E., S.148.

168. تقع ويرانشهر تحديداً الآن على الحدود التركية السورية، في المنطقة التي تسمى الجزيرة الفراتية.

169. Ugur Ü. Üngör, A Reign of Terror: CUP Rule in Diyarbekir Province 1913-1923, MA This is University of Amsterdam, Department of History, 2005, P. 26; Inclosure 4 in No. 53, Vice-Consul Fitzmaurice to Sir P. Curri, Adiamman, March 26, 1896, IN:(M.D.B.D.A), P. 154-155.

170. Général Russe Mayéwski, op. cit., P. 41.

171. Ibid, P. 64.

172 Ibid, P. 75.

173. Ibid , P. 77-79.

174. Ibid.

175. Ibid.

176. Ibid, P. 81-83.

177. Ibid.

178. Garo Sasuni, A.G.E., S.121.

179. Inclosure in No.6, Memorandum by Sir A. Sandison, Constantinople, January 31, 1891, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: III, P. 8-10.

180. Général Russe Mayéwski, op. cit., P. 83.

- يجب التكرار دائماً أن الأتراك لم يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم، فيما يتعلق

بالمسألة الأرمنية، أمام المحاكم الدولية، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، لأنهم لم يستطيعوا إثبات أن الأتراك هم من قاموا بحماية الأرمن من الكُرد، ولم يستطيعوا إثبات عدم اشتراك الأتراك في تلك الإحداث المؤسفة والمأسوية؛ فمثلاً في تقرير مايوسكي عن الأزمة الأرمنية الأولى يقوم الدكتور البروفيسور (عزمي سوسلو-Azmi SUSLU) بإيراد نص تقرير مايوسكي كاملاً في كتابه عن المذابح الأرمنية، ولكي يقوم بالدفاع عن الأتراك ويظهرهم للعالم بأنهم هم من أنقذوا الأرمن في تلك الأزمة ولولاهم لهلكوا، ورغم مكانة عزمي سوسلو العلمية يقوم بتغيير كلمة (كُرد) إلى (ترك) في نص تقرير مايوسكي الذي أورده، فأينما وردت كلمة كُرد أو كُردي قام الدكتور البروفيسور بتغييرها إلى كلمة الأتراك أو تركي، وذلك لدعم حجته الضعيفة أصلاً؛ فمثلاً، العنوان الذي وضعه مايوسكي تحت عنوان (وضع الكُرد) قام عزمي سوسلو بتحريفه إلى عنوان (العشائر)، والعنوان الذي ثبته مايوسكي تحت اسم (العلاقات بين الكُرد والأرمن)، استبدله عزمي سوسلو بكل بساطة بـ(العلاقات بين الأتراك والأرمن)، وهكذا يقوم بتغيير كل كلمة حتى نهاية تقرير مايوسكي. ينظر:

- Général Mayéwski, Massacres By The Armenians Against The Turks, Edited By Prof. Dr. Azmi Suslu, Ankara, 1991, S.16-31.

181. Général Russe Mayéwski, op. cit., P. 83.

182. Ibid, P. 91.

183. Mayévsriy V. T., A.G.E., S. 128.

184. Janet Klein, op. cit., P. 155-158

185. Ibid, P. 159-160.

186. Antranic Azhderian, The Turk And The Land Of Haig Or Turkey And Armenian: Descriptive-Historical And Picturesque, New York, 1898, P. 355.

187. L'Abbé Eugène Griselle, Une Victime Du Pangermanisme L'arménie Martyre, Paris, 1916, P. 23-24.

188. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص257. من الجدير بالذكر أن المؤرخ كمال مظهر قد اعتمد في إيراد هذه المعلومة على رسالة من القنصل البرتغالي في حلب إلى السفير الايطالي في استانبول.

189. المصدر نفسه، ص57-58. أما المصدر الذي اعتمد عليه المؤرخ كمال مظهر أحمد

في تدوين هذه المعلومة فقد كان مصدراً وثائقياً مكتوباً باللغة الروسية، وهو:(إبادة الأرمن في الإمبراطورية العثمانية، مجموعة وثائق ومواد جمعت تحت إشراف البروفيسور م. ك. نيرسيسيان، يريفان، 1966).

190. M. Kalman, Bati-Ermenistan..., S.62.

191. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص250.

192. Inclosure in No. 409 , Lieutenant-Colonel Picot to Lieutenant-Général Chapman, Tehran, January 21, 1895, IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: III, P. 549-550.

193. Walter B. Harris, op. cit., P. 281.

194.Ibid.

195.Ibid.

196. Ibid, P. 287.

- يقول المؤرخ لازاريف، عن مقولة اللصوصية عند الكُرد: «والمقولة حول إن الكُرد في غالبيتهم سراق وقتلة، يعيشون على غزو القرى الآمنة والسلب على الطرق الواسعة، ليست نزعة قبيحة متحيزة ومشبعة تماماً بالروحية الاستعمارية والشوفينية فحسب، بل وهي غير علمية أبداً ولا صحيحة من حيث الجوهر...». ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص58.

197. ينظر المبحث الأول من الفصل الأول.

198. ورد هذا المعنى في مقابلة أجراها محمد شمس الدين مع كابريل سينكو، رئيس منظمة النهرين الآرامية في عام 2007، ينظر:

- Muhammad Shamsaddin Megalommatis, Aramean Armenian Massacres of the Ottoman Times: a Kurdish Responsibility, Via at: (http://www.americanchronicle.com).

199. Kirzioglu M. Fahrettin, ATROCITIES COMMITTED BY THE ARMENIANS IN KARS AND ITS VICINITY 1918-1920: Originals of 7 Booklets published in Turkish and French on the Armenian Atrocities and Outrages in Erzincan-Kars-Revan-NahCivan-Ahikelek and Borçali, Ankara, 1999, P. 105.

- يذكر الأديب الكُردي اسماعيل طه شاهين أن أصل كلمة (كريف) تعود إلى كلمة (قريب) العربية، لكنها حرفت بمرور الزمن، نتيجة لاختلاف اللغتين.

200. لا يزال هذا النظام موجوداً ومعروفاً عند الكُرد المسلمين والكُرد اليزديين في جنوب كُردستان، ولأنّ النظام والسلطة المدنية موجودان خلال معظم حقب القرن العشرين تحول هذا الكريف إلى عادة اجتماعية أكثر منها كنظام أمني، فلا يزال للعديد من الكُرد كريفهم، من الديانة أو الطائفة الأخرى التي تجاورها، يتبادلون الزيارات في الأعياد والمناسبات ويسأل بعضهم عن أحوال بعض ويقف إلى جانبه إذا ما تطلب الأمر ذلك، وإن هذا النظام يحسب للمجتمع الكُردي وليس عليه.

201. ينظر: المبحث الأول في الفصل الأول.

202. ينظر، مثلاً: وديع جويده، المصدر السابق، ص17-18.

203. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص52.

204. ينظر الفصل الأول.

205. Kirzioglu M. Fahrettin, op. cit., P.105.

206. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص242. وقد استند المؤرخ كمال مظهر إلى لازاريف في إيراد هذه المعلومة.

207. يعدد الكاتب الأرمني سركيسيان ضرائب عديدة، كانت مفروضة على الأرمن في الدولة العثمانية، منها: ضريبة الرأس، وضريبة الإعفاء من الخدمة العسكرية، وضريبة القشلاق، وهي ضريبة خاصة بالشتاء، وضريبة الضيافة، ويستند إلى جيمس برانت، القنصل البريطاني الذي زار كُردستان في عام 1838، في أن الأرمن كانوا يدفعون ضريبة الشتاء للكُرد، ولكن يلاحظ أن من بين العديد من الضرائب التي ذكرها هذا الكاتب لا وجود لضريبة (الكفر)، وعلى الرغم من كونه أرمنياً متحيزاً إلى قضيته لا يشير إلى تلك الضريبة. ينظر:

- A.O. Sarkissian, History Of The Armenian..., P. 33-36.

- هناك بعض المؤلفات الأرمنية فقط تشير إلى ضريبة الكُفر، ينظر:

-Hagop Şahbazyan, A.G.E. S.124; Garo Sasuni, A.G.E., S.139.

208. Walter B. Harris, op. cit., P. 288.

209. Sami Önal, A.G.E., S.149-152.

210. Garo Sasuni, A.G.E., S.120-121.

211. Sami Önal, A.G.E., S.139-141.

212. Guenter Lewy, op. cit., P.. 31.

213. احمد فؤاد رسلان، المصدر السابق، ص51.

214. M. Kalman, Bati-Ermenistan..., S.42-44;

- جان شرف، القضية الأرمنية في السلطنة العثمانية، بيروت، 1997، ص183.

215. Justin McCarthy and other , op. cit., P. 86-92.

216. Mayévsriy V. T., A.G.E., S.125.

217. ROuben Der Minasian, Op. Cit., P. 60-62.

218. كانت للجان الثورية الأرمنية عمليات عديدة ضد الكُرد قبل هذه الحادثة، ينظر على سبيل المثال

- No. 58, Major Williams to sir P. Currie, Van, May 27, 1896, IN:(M.D.B.D.A), P. 173-174.

219. Guenter Lewy, op. cit., P.30; H. M. Knadjian, The Eternal Struggle A Word Picture of Armenians Fight for Freedom, California, n.d, P. 112.

220. Justin McCarthy and other , op. cit., P. 69-70.

221. No. 293, Report of Turkish Commission on the Raids of Armenians over the Turkish Frontier, July 31/August 12, 1897, IN: (B.Ş.D.D.O.A.A), Vol: IV, P. 283-285.

222. Ibid.

223.Guenter Lewy, op. cit., P. 30.

224 Ibid.

225. Justin McCarthy and other , op. cit., P. 70.

226.Guenter Lewy, op. cit., P. 30.

- يتحدث كارو ساسوني عن هذه الحادثة، وكأنها من أحد الفصول المهمة والمجيدة في حياة الفدائيين الأرمن بعد الأزمة الأرمنية الأولى، ويضيف أن القائد انترانيك كان من بين المهاجمين الأرمن، ينظر:

-Garo Sasuni, A.G.E., S.120.

227. Justin McCarthy and other , op. cit., P. 70.

228. Incosure in No. 242. Major Maunsell to Sir N. O'Conor, Van, July 2, 1899, IN:(M.D.B.D.A), P. 363.

229. Justin McCarthy and other , op. cit., P. 70.
230. Rouben Der Minasian, Op. Cit., P. 112-115.
231. Guenter Lewy, op. cit., P. 31.
232. Ibid.
233. Rouben Der Minasian, Op. Cit., P. 70.
234. Déclaration Du Chef Revolutionnaire Antranik, Supplément a Pro Arméniea du 25 Janvier 1909.
235.Kamuran Gürün, Op. Cit., P.203-204; Nurşen Mazici, A.G.E., S. 46-47.
236. Rouben Der Minasian, Op. Cit., P. 113.
237. Garabet K.Moumdjian, Op. Cit.
238. Rouben Der Minasian, Op. Cit., P. 110-111.
239. أرشاك سافرستيان، المصدر السابق، ص91.
240. Rouben Der Minasian, Op. Cit., P. 126.
241.Garo Sasuni, A.G.E., S.121.
242. جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص94.
243.Garo Sasuni, A.G.E., S.121.
244. جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص94
245. Garo Sasuni, A.G.E., S.121.
246. جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص94.
247. Rouben Der Minasian, Op. Cit., P.75.
248. Inclosure in No. 309, Vice-Consul Tyrrell to Sir N. O'Conor, Van, April 11, 1904, IN:(M.D.B.D.A), P. 447-448.
249. جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص95.
250. Rouben Der Minasian, Op. Cit., P. 203-208; Garo Sasuni, A.G.E., S. 134.
251. عبد الرحمن بدرخان (1868- 1936): هو ابن الأمير بدرخان، ولد في استانبول وترعرع فيها، شغل منصب نائب رئيس الإدارة في وزارة المعارف باستانبول قبل أن يلتحق بالمعارضة العثمانية في الخارج سنة 1898. أصبح رئيس جريدة كُردستان

بعد أخيه مقداد مدحت. التحق بجمعية الاتحاد والترقي العثمانية الجناح اللامركزي، وشغل منصب مدير أول مدرسة كُردية في استانبول سنة 1910. كانت مشاركته في الأحداث الكُردية بعد ذلك ضعيفة، توفي في استانبول سنة 1936 ودفن فيها. ينظر:

-Malmîsaij, Abdurrahman Bedirhan Ve Ilk Kürt Gazetesi Kurdistan Sayi: 17 ve 18, Sweden, 1992, S. 11-28;

- عەبدوللا زەنگەنە، دیدارەك دكەل مالمیسانز، گوڤارا رۆژنامەنووس، ژمارە (8)، هەولیر، 2006، ل119-121.

252. عبد الله جودت(1869-1932): يعد من أبرز المفكرين في الدولة العثمانية، وهو كُردي من دياربكر، كان واحداً من الأربعة الأوائل الذين أسسوا جمعية الاتحاد والترقي العثمانية، وله نشاطات سياسية وصحفية عديدة. للمزيد، ينظر: مالميسانز، القومية الكوردية ود.عبد الله جودت في مطلع القرن العشرين، ترجمة: شكور مصطفى، أربيل، 2000، ص9 وما بعدها؛ فەرهاد پیربال، رۆژنامەگەریی کوردی بەزمانی فەرەنسی، هەولیر، 1998، ل16-17.

253. اسحق سكوتي(1868-1902): ولد في دياربكر من أسرة كردية، كان أيضاً ضمن المؤسسين الأربعة لجمعية الاتحاد والترقي العثمانية، عمل ضمن المعارضة العثمانية في الخارج حتى وفاته. للمزيد، ينظر: كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص116-117؛ فەرهاد پیربال، رۆژنامەگەریی کوردی...، ل18-19.

254. نقلاً عن: جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص89.

255. Garabet K. Moumdjian, op. cit.

256. Garo Sasuni, A.G.E., S.129.

257. Justin McCarthy and other , op. cit., P. 82-83.

258.Garo Sasuni, A.G.E., S.129-130; M. Kalman, Bati-Ermenistan..., P. 68.

259. Garo Sasuni, A.G.E., S. 130.

260. Ibid.

261. Justin McCarthy and other , op. cit., P. 97.

262. Garo Sasuni, A.G.E., S. 13.; M.Kalman, Bati-Ermenistan..., P. 68; Garabet K. Moumdjian, op. cit.

263. Justin McCarthy and other , op. cit., P. 97.

264. Garo Sasuni, A.G.E., S. 130.

265. Antranik Çelebyan, A.G.E., S. 138.

266. A.E.

267. A.E.

268. Mayévsriy V. T., A.G.E., S.128.

269. يحبذ الباحثون والصحفيون الكُرد إطلاق تسمية جريدة كُردستان (الأولى)، أو جريدة كُردستان (الأم) على هذه الجريدة، لسببين، الأول: لأنها تعد أول جريدة كُردية ظهرت في تاريخ الثقافة الكردية، وثانياً: إنها تعد الطور الأول من جريدة كُردستان، التي أصدرها البدرخانيون ضمن ثلاث حقب، الأولى بين سنوات (1898- 1902)، والثانية بين عامي (1908- 1909)، أما الدور الثالث من هذه الجريدة فصدرت خلال المدة (1917- 1918)، كما من المفيد بالذكر هنا أن جريدة كُردستان قد صدرت باللغتين الكُردية والتركية العثمانية. للتفاصيل ينظر: كوردستان يەكەمين رۆژنامەی کوردی 1898- 1902، کۆکردنەوە و پێشەکی: کەمال فوئاد، چاپی سێیەم، تاران، 2006؛ مەحمود زامدار، کوردستانی دایك، هەولێر، 1998.

270. مقداد مدحت بدرخان (؟ - 1917): هو ابن بدرخان بك، لا تعرف سنة ميلاده وأحداث طفولته، شارك مع أخيه أمين عالي بدرخان في حركة كُردية ضد السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1889 في طرابزون، على حدود كُردستان الشمالية وكان مصيرها الفشل. أصدر أول جريدة كُردية سماها كُردستان، انتمى لحزب الحرية والائتلاف العثماني في استانبول بعد انقلاب تموز 1908، توفي بحلول سنة 1917. ينظر: مالميسانز، بدرخانيو جزيرة...، ص160- 162؛ هوكَر طاهر توفيق، دور الصحافة الكُردية في تطوير الوعي القومي الكُردي 1898- 1918، دهوك، 2004، ص72-73.

271. لقد صدر من جريدة كُردستان (31) عدداً ما بين سنوات 1898- 1902، وحمل العدد الأول تاريخ 22 نيسان/ ابريل 1898، وكانت تصدر بأربع صفحات، وبحجم (25.5 35.5). أصدر الأعداد الخمسة الأولى منها مقداد مدحت في القاهرة، واستلم إصدارها من العدد السادس حتى العدد الواحد والثلاثين، الذي يعد العدد الأخير منها شقيقه الأصغر عبد الرحمن بدرخان، وأصدرها في مدن مختلفة من العالم؛ فالأعداد (6-19) أصدرها في مدينة جنيف، ومن العدد (20-23) في

القاهرة، وصدر العدد (24) في لندن، والأعداد (25-29) في مدينة فولكستون جنوبي لندن، والعددان الأخيران (30و 31) في جنيف مرة أخرى. للمزيد ينظر: كوردستان یەکەمین رۆژنامەی کوردی -1898 1902، سەرچاوەی پێشوو، ل 1؛ جەمال خەزنەدار، مرشد الصحافة الكُردية، بغداد، 1973، ص17.

272. ينظر: هوكَر طاهر توفيق، دور الصحافة...، ص92-94 و125-129.

273. جريدة كُردستان، العدد (3)، 20 أيار 1898.

274. جريدة كُردستان، العدد (7)، 5 تشرين الثاني 1898

275. جريدة كُردستان، العدد (8)، 1 كانون الأول 1898.

276. العدد نفسه.

277. جريدة كُردستان، العدد (9)، 16 كانون الأول 1898.

278. جريدة كُردستان، العدد (11)، 10 شباط 1899.

279. جريدة كُردستان، العدد (13)، 2 نيسان 1899.

280. العدد نفسه.

281. جريدة كُردستان، العدد (14)، 20 نيسان 1899.

282. جريدة كُردستان، العدد (23)، 24 شباط 1900.

283. جريدة كُردستان، العدد (25)، 1 تشرين الأول 1900.

284. العدد نفسه.

285. العدد نفسه.

286. جريدة كُردستان، العدد (26)، 14 كانون الاول 1900.

287. العدد نفسه.

288. العدد نفسه.

289. جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص86. كان عبد الله جودت أيضاً، يقوم بنشر مقالات في جريدة تروشاك الطاشناقية، وكان لا يخرج في أطروحته الفكرية عن الأفكار التي كان عبد الرحمن بدرخان يتناولها، حول الأخوة الأرمنية الكُردية، والإشادة بموقف الشيخ عبيد الله النهري من الأرمن أثناء فصول انتفاضته. يقول عبد الله جودت في إحدى مقالاته تلك عن هذه العلاقة: «أريد أن أتحول بالحديث إلى جماعة من الكُرد يسمون أنفسهم جماعة (محبي الأمة الكُردية)؛ وقد أصدروا، ومنذ ستين، جريدة خاصة بهم باسم (كُردستان)، وشيئاً فشيئاً أصبحوا ينشرون الأفكار العصرية بين أبناء الشعب الكُردي، وكانوا يدعون في جريدتهم إلى التعاون بين الكُرد والأرمن،

ويقولون إنه في حالة وصول الكُرد إلى تفاهم مع الأرمن فسوف يكونون أقوياء في مقاومة العثمانيين، وبالطبع إن هذه الدعوات ضعيفة في الوقت الحاضر بالنسبة إلى الأهالي، ولكن من الممكن أن تنبت هذه البراعم الفكرية وتتشعب مع الزمن، وإننا نتأمل أن نقطف ثمار هذه الدعوات في المستقبل، ونستطيع أن نبني قوة كبيرة على مستوى دولتنا نابذة للسلاطين العثمانيين». ينظر:

-M. Kalman, Bati-Ermenistan..., S.70;

- جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص85-86.

290. Garo Sasuni, A.G.E., S.126; M.Kalman, Bati-Ermenistan..., S.73.

291. Garo sasuni, A.G.E., S. 126.

292. A.E.

293. A.E., S.127.

294. A.E; M. Kalman, Bati-Ermenistan..., S.73; Yervand Sarkisian, Documents From The History Of Armenian-Kurdish Relations, Acta Kurdica, Vol: 1, 1994, P. 27-36.

295. جريدة كُردستان، العدد (26)، 14 كانون الاول 1900.

296. مصطفى باشا: هو مصطفى بن تمر آغا بن إبراهيم آغا رئيس عشيرة ميران الكُردية، التي تقع مناطق سكناهم ما بين حدود إقليم كُردستان العراق والحدود السورية في الجزيرة الفراتية. دخل مصطفى باشا في سلك الفرسان الحميدية في بداية تشكيلها ونال على إثرها الباشاوية، شارك مع الدولة العثمانية في عملياتها ضد المعارضين لها، سواء أكانوا من الأرمن أم الكُرد أم العرب، قُتِل في ظروف غامضة عام 1901 في كُردستان سوريا الحالية. ينظر: عيسى إبراهيم قاسم، الميران في إمارة بوطان، دمشق، 2007، ص24-32.

297. المؤيد: وهي جريدة مصرية شهيرة أصدرها الشيخ علي يوسف في سنة 1889 وتحولت في كثير من المرات إلى جريدة ناطقة باسم خديوي مصر، وكان لها دورٌ متميزٌ في التصدي للاحتلال البريطاني لمصر. للتفاصيل ينظر: سليمان صالح، الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن، مصر، 1990، ص67- 114.

298. جريدة كُردستان، العدد (26)، 14 كانون الأول 1900.

299. جريدة كُردستان، العدد (27)، 13 آذار 1901.

300.العدد نفسه.

301. العدد نفسه.

302. جريدة كُردستان، العدد (28)، 14 أيلول 1901.

303. العدد نفسه.

304. العدد نفسه.

305. جريدة كُردستان، العدد (29)، 14 تشرين الأول 1901.

306. تُرجمت هذه الأسباب إلى اللغة العربية كما وردت في نصها الكُردي، دون إحداث أيّ تغييرات في ترتيب الجمل والكلمات قدر المستطاع؛ للوصول إلى معناها الصحيح.

307. جريدة كُردستان، العدد (29)، 14 تشرين الأول 1901.

308. العدد نفسه.

309. جريدة كُردستان، العدد (30)، 14 آذار 1902. في هذا المقال يصف عبد الرحمن بدرخان في خمسة مواضع هؤلاء المبشرين بالماسونيين، الذين طردوا من بلدانهم، وينشرون الفساد اليوم في كُردستان بمساعدة تلك الحكومات الأجنبية التي طردتهم سابقاً، ويقومون بنشاطاتهم تلك وتحت نظر الحكومة العثمانية.

310. العدد نفسه.

311. جريدة كُردستان، العدد (31)، 14 نيسان 1902.

312. جريدة كُردستان، العدد (30)، 14 آذار 1902.

313. انضم عبد الرحمن بدرخان إلى جمعية الاتحاد والترقي العثمانية، الجناح اللامركزي عندما كان في أوروبا، وقد حضر المؤتمر الأول لهذه الجمعية الذي عقد في فرنسا عام 1902، وكان يمثل الكُرد فيها عبد الرحمن بدرخان، وحكمت بابان وإسماعيل حقي. ينظر: فەرهاد پيربال، رۆژنامەگەریی کوردی...، ل15-30؛ مالميسانز، رۆژنامەنووس و سیاستمەداری گەورەی کورد عەبدولڕەحمان بەدرخان، وەرگێڕانی لە تورکییەوە: ئارام خدر قەلادزەیی، گۆڤاری ڕامان، ژمارە (17)، هەولێر، 1997، ل 131.

الفصل الرابع

الكُرد والأرمن إبّان حكم الاتحاديين
حتى انتفاضة وان 1908 ـ 1915

أولاً ـ الكُرد في حقبة التحالف الأرمني التركي 1908 ـ 1914.

أ ـ انتخابات مجلس المبعوثان.

ب ـ الأرمن ومأزق الإقطاع الكُردي.

ج ـ الإصلاحات الأرمنية الثالثة.

ثانياً ـ الوضع في شمال كُردستان ورد الفعل الكُردي 1912 ـ 1914.

أ ـ السياسة الأرمنية.

ب ـ الرد الكُردي.

ثالثاً ـ الكُرد والأرمن في العام الأول من الحرب العالمية الأولى.

أ ـ إعلان الحرب والمذابح الكُردية.

ب ـ انتفاضة الأرمن في وان (نيسان ـ أيار 1915).

جـ ـ الموقف الكُردي.

أولاً ـ الكُرد في حقبة التحالف الأرمني التركي 1908 ـ 1914

تحالف الأرمن تحت قيادة أحزابهم الثورية القومية، وعلى رأسها الطاشناق مع جماعة تركيا الفتاة (Young Turks) [1]، منذ عقد التسعينيات من القرن التاسع عشر؛ فأمام سلبية مواقف الدول الكبرى من مسألتهم علّق الأرمن أملهم الأخير على ضرورة الاتفاق مع الليبراليين الأتراك، الذين بدأوا يُنَظِمون أنفسهم في أوروبا ضد نظام السلطان عبد الحميد الثاني[2]، فشاركوا بنشاط في مؤتمر تركيا الفتاة الذي عقد في باريس عام 1902، وقد شهد انشقاقاً بين الليبراليين العثمانيين والقوميين الأتراك، حيث ساندت الفئة الأولى مندوبي الأرمن، ورأت أنه يجب على تركيا الإيفاء بالتزامات اتفاقياتها الدولية المتضمنة حماية الأقلية الأرمنية، في حين أصرت الفئة الثانية على أن لا تتدخل القوى الخارجية في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية؛ ونتيجة لإصرار كل طرف على موقفه لم يفضِ مؤتمر عام 1902 إلى نتيجة ملموسة[3]. ولم تتقارب وجهات النظر بين التوجهات الليبرالية والقومية في تركيا الفتاة، حتى عقدهم مؤتمرهم الثاني في باريس عام 1907، فقد اتفق الجميع بمن فيهم الأرمن على ضرورة إسقاط نظام السلطان عبد الحميد الثاني أولاً؛ ثم بعد ذلك يجري التباحث في الأمور الأخرى، وهذا ما حدث عندما قامت جمعية الاتحاد والترقي بقيادة الانقلاب العثماني في 23 تموز/ يوليو1908 وإعادة

العمل بدستور عام 1876، ومنذ ذلك الوقت دخلت الأحزاب الأرمنية في تحالف مع جمعية الاتحاد والترقي حتى بداية العام 1914، رغم حدوث بعض التوترات بينهما بين الفينة والأخرى[4].

أعلنت جمعية الاتحاد والترقي التي استلمت الحكم على الفور إحياء دستور عام 1876 والمساواة بين المواطنين العثمانيين كافة، المسلمين وغير المسلمين على حد سواء، وأعلنت عن إجراء الانتخابات، وأصبح الدستور، والحكومة الدستورية (المشروطية)، والحرية، الشعارات المنتشرة للثورة في أرجاء الدولة العثمانية كافة[5].

كان من نتائج الانقلاب الذي قادته جمعية الاتحاد والترقي أن بدلت الأدوار بين الأرمن والكُرد، بخصوص علاقتهم بالدولة العثمانية والأتراك بشكل عام؛ فمن المعروف، كما مر بنا سابقاً، أن الإقطاعيين الكُرد كانوا أصحاب السلطة العليا في جميع أنحاء كُردستان العثمانية، طوال مدة حكم السلطان عبد الحميد الثاني، ليس لأن هذا الأخير قد أغراهم أو تحالف معهم لضرب هذه القومية أو تلك، وربما كان هذا صحيحاً إذا ما نظرنا إلى هذه المسألة من وجهة نظر السلطان عبد الحميد نفسه، عندما قال في مذكراته عن سياسته في تقريب الكُرد: «... من الضروري تقوية العنصر التركي في بلاد الروم والأناضول خصوصاً، وصهر الأكراد وضمهم إلينا»[6]، إلا أنه فيما يخص الكُرد فلا يمكن عده تعبيراً عن الصواب كله، بل الأصح هو التقاء مصالح كل من السلطان عبد الحميد الثاني والإقطاعيين الكُرد في بعض القضايا، لعل أبرزها هي المسألة الأرمنية، وكذلك عدم التدخل في شؤون عشائرهم. وعلى حد تعبير أحد المؤرخين: «بالنسبة إلى زعماء العشائر [الكُردية] كانت الحكومة المثالية هي: تلك التي ترضى بترك الزعماء يحكمون كما يشاؤون، بدون أي تمرد»[7]، وإلا بماذا نفسر عدم قيام الكُرد في شمال كردستان

بحركاتهم المعتادة ضد الدولة العثمانية منذ تأسيس الفرسان الحميدية في عام 1891 حتى الانقلاب العثماني عام 1908، خلافاً لتاريخ الكُرد قبل وبعد ذلك ضد الحكومات العثمانية الأخرى.

لذلك فإنه بمجرد إعلان النظام البرلماني العثماني ظهرت فجوة بين الأرمن (الذين شاركوا في الانتصار)، والكُرد (الذين رأوا أنهم كانوا في وفاق مع الحكومة السابقة، وعدوا جمعية الاتحاد والترقي غير مشروعة)[8]. ويذكر كارو ساسوني أنّ كلّاً من الكُرد والأرمن في بداية إعلان الدستور أخذ موقفاً مضاداً منه[9].

أعلنت الجمعيات الثورية الأرمنية توقفها كُلياً عن القتال المسلح (أو ما تسمى بحرب العصابات ضد الدولة العثمانية)، وصرح صباح كوليان (Sabah Gulyan)، رئيس حزب الهنشاق بـ: «نحن الهنشاق سوف نتخلى عن نشاطاتنا الثورية، ونسعى إلى الارتقاء ببلدنا بكل ما نملك»، وأعلن رئيس الطاشناق أكنوني (Aknoni): «بأن أحد واجباتنا المهمة جداً هو حماية النظام العثماني، والعمل على وحدة الشعوب العثمانية، والتنسيق مع حزب الاتحاد والترقي»[10].

وفي 3 أيلول/ سبتمبر 1909 نشرت الصحف التركية والأرمنية اتفاقية حزب الطاشناق، أقوى الأحزاب الأرمنية، مع الاتحاديين وجاء فيها:

«من أجل بناء دولة ديموقراطية، والحفاظ على وحدة الشعب، وتبديد مخاوف بعض الجهات العثمانية، توصلت جماعة الاتحاد والترقي مع جماعة ومنظمات الطاشناق إلى اتفاق كامل في النقاط الآتية:

1 ـ العمل على تقوية النظام الدستوري الجديد، وبناء ثقافة سليمة تقوم على التفاهم بين شعوب المجتمع.

2 ـ العمل بكل وضوح وصرامة ضد كل الحركات والعقليات الرجعية.

3 ـ العمل والمحافظة على هيبة الدولة العثمانية ووحدتها، مع احترام توجهات وآراء كل من الحزبين في الدعوة إلى الحرية والاستقلال داخل خيمة الدولة، والعمل على توعية الجماهير والرأي العام على الابتعاد عن التفكير الاستبدادي والرجعي.

4 ـ العمل متحدين على تقدم الدولة وازدهارها وتطورها، وفي الوقت نفسه الدعوة إلى إعطاء صلاحيات أوسع للإدارات المحلية في كل محافظات الدولة»[11].

بعدها قام حزب الطاشناق بنقل مركزه العام إلى أرضروم[12]، كما قامت الاحتفالات الأرمنية في أغلب المدن والأقضية التي كان يسكنها الأرمن[13]، الذين أحيوا في أيلول/ سبتمبر 1908 لأول مرة في أرضروم قداساً على أرواح ضحاياهم الذين قتلوا في الأزمة الأرمنية بين 1894 ـ 1896[14].

ألقى نائب القنصل البريطاني في وان النقيب دكسون (Dickson)، في تقريره المرسل إلى سفير بريطانيا في استانبول السير جيرالد. لوثر (G.Lowther) بتاريخ 30/ 9/ 1908، الضوء على الأجواء التي سادت مدن وقرى شمال كُردستان، في الأشهر الثلاثة الأولى بعد الانقلاب العثماني، ضمن تقرير مطول، تحدث فيه عن واقع علاقة الكُرد بالأرمن بعد الانقلاب مباشرة. فتحت عنوان (القضية الأرمنية) تحدث دكسون عن الأرمن بعد الانقلاب وأعطاهم الوصف التالي «....كان هنا بالطبع وقتاً أمام الناس هنا[يقصد الأرمن] ليتمكنوا من فهم معنى مثل هذا التغيير، ولكن عندما أدركوا ذلك كان وقعه عليهم استثنائياً، فبعد أن كانوا مسحوقين ومنبوذين منكمشين على أنفسهم، لا يجرؤون على إظهار وجوههم خارج الحي الأرمني، أصبحوا مشاغبين، وصاخبين، ومتغطرسين، ونسخة وقحة لأردأ أنواع السياسيين»[15].ويضيف إلى ما مرّ: أن الجالية التركية الصغيرة في وان،

والتي تتألف من موظفين حكوميين وضباط ومالكي أراضي صغار ومزارعين، كانوا يتبجحون في السابق على أنهم باشبوزوق مسلحون، يطالبون بأعلى أصواتهم، ويتآمرون من أجل إبادة الأرمن؛ إنهم الآن مقهورون وحزينون، ولا محال إنهم قانعون بتحول الأمور، والذي حرم العديد منهم من الحصول على وسائل العيش الاعتيادية. إنهم يشعرون بشكل عام بالازدواجية. وينهي حديثه عن الأرمن بالقول: «في الحقيقة إن رؤساء (الفدائيين)، الذين كانوا قبل شهرين إما في السجن أو مطاردين هم الآن آسياد الموقف المنتخبين ذاتياً، حتى إنهم أخذوا يحاولون إملاء أوامرهم على نائب الوالي، وأخذوا يدعون بكل وقاحة مفرطة أن الدستور يساندهم في دعواهم هذه، بحيث صدقهم، ليس أغلبية الأرمن فقط، بل العديد من الكُرد أيضاً؛ إن العديد من الآغوات الكُرد الذين جاؤوا إلى وان بدعوة من نائب الوالي من أجل الإجابة عن ما فعلوه من أعمال سيئة، قاموا بالفعل بسؤال آرام (Aram) [أحد قادة الثوار الأرمن] عن الفقرة القانونية التي سيمنحهم بموجبها العفو»[16].

يتابع دكسون شرحه للأوضاع في شمال كُردستان بعد الانقلاب، لينتقل إلى موضوع آخر كتبه تحت عنوان (المسألة الكُردية)، قال دكسون: «إن أحد التحولات الكبيرة في هذه الولاية والتي يجب متابعتها من النظام الجديد هو التغيير الذي يجب أن يحدث في أوضاع الكُرد، فالتغيير الوشيك هو واضح على الرغم من صعوبة التنبؤ بما سيمتاز به، والكرد أنفسهم في الوقت الحاضر أو على الأقل أولئك الذين على صلة مع الحكومة، يدركون أن عهد الترخيص المجاني الذي كانوا متنعمين به تحت حماية السلطان والمشير قد أشرف على الانتهاء [يقصد الفرسان الحميدية]، أما في الوقت الحالي فيبدو أن معظمهم سيجلسون ويراقبون ما يحدث». ويضيف دكسون مختتماً حديثه عن الكُرد: «... فمثل هؤلاء الذين رأيتهم[أي: الكُرد] مقهورون وخانعون جداً، وقد

حملت عنهم فكرة بأن الكُرد هم ناس يسهل التعامل معهم، وإنهم سوف لن يسيئوا التصرف إذا ما شعروا أن الحكومة لا تستحسن هذا الأمر بشكل حقيقي؛ إن تغاضي المسؤولين الفاسدين هو الشيء الوحيد الذي يشجعهم على السلب والنهب»[17].

لم يقف دكسون عند هذا الحد في بيان الأوضاع في شمال كُردستان، في تقريره الثاني والذي حمل أيضاً تاريخ 30/ 9/ 1908، ففي هذا التقرير يأخذ القارئ والمتتبع للمسألة الأرمنية إلى الأجواء التي سادت الأوساط الأرمنية قبل انعقاد مؤتمر برلين في عام 1878، طارحاً فيها الفكرة المثيرة للجدل بين المؤرخين، وهي: «هل يعيد التاريخُ نفسهُ؟»، وهي أن الأرمن لم يستفيدوا من دروس الماضي، مع العلم أن ما قد نعموا به بعد الانقلاب العثماني كان يشبه إلى حد كبير تلك الأماني القومية التي راودت فكر كل أرمني خلال عامي 1877 و1878؛ يقول دكسون: «إن الطريقة العنجهية التي كان يحاول زعماء الطاشناق بها إملاء أوامرهم على الحكومة وزعماء الكُرد مع التهديد بالعقوبة إذا لم يقوموا بإطاعة أوامرهم قد أثارت المسلمين بشكل كبير أيضاً، مما أدى إلى قيام المذكورين آخراً بالتهديد حتى وصل الأمر إلى إلصاق إعلانات على جدران مدينة وان تحذر الأرمن وزعماءَهم الروس، ويذكرونهم بالمجازر السابقة، مع التلميح إلى احتمال تكرار المجازر نفسها إذا ما دعت الضرورة إلى ذلك، وقد علمت أن الأرمن لايزالون يجلبون الأسلحة والذخائر سراً إلى البلاد»[18].

في استانبول أسست النخبة الكُردية فيها، التي عارضت حكم السلطان عبد الحميد الثاني، أول جمعية سياسية، وهي جمعية (التعاون والترقي الكُردية ـ كُرد تعاون وترقي جمعيتي)، حيث افتتح المقر العام لها في العاصمة استانبول بتاريخ 25 أيلول/ سبتمبر 1908، وانتخبت الجمعية الشيخ

عبد القادر النهري ابن الشيخ عبيد الله رئيساً لها، وأحمد ذو الكفل نائباً له، وقامت العائلة البدرخانية، التي كان يرأسها آنذاك أمين عالي بدرخان بدور بارز فيها[19]، وأصدرت بيانات نشرت على صدر صفحات لسان حالها مجلة (كُرد تعاون ترقي)[20]، نددت فيها بحكم الاستبداد السابق، وذكروا أن ما عاناه الكُرد لم يكن بأقل مما عانته أية قومية أخرى على يد الحكومة السابقة، فمثلاً ذكر الشيخ عبد القادر النهري في عريضته التي نشرتها مجلة (كُرد)[21] في عددها الأول، الصادر بتاريخ 5 كانون الأول/ ديسمبر 1908، أنّ الكُرد قد أحرزوا مواقع مهمة بين عناصر الدولة العثمانية المختلفة، وأنّ كُردستان قد امتزجت بشكل كبير بهذه الدولة التي احتضنتهم، إلا أنها قامت باضطهاد الكُرد ونفت أغلب زعمائهم من كُردستان، مضيفاً أن الاتحاد في الدولة العثمانية لا يمكن أن يتشكل بهذه السياسة، وإنما بالدستور والقانون وليس بالضغط والإكراه[22]. أما إسماعيل حقي بابان[23]، الذي كان من أبرز الوجوه الكُردية آنذاك، وكان أستاذاً في جامعة استانبول، فقد كتب مقالات متميزة في مجلة (كُرد)، حيث ذكر: إن ما يتم تداوله بأن الحكومة العثمانية السابقة كانت عدوة لفكر جميع القوميات هو أمر صحيح، ولكن في الوقت نفسه لم تكن الحكومة السابقة عدوة لفكر الكُرد فحسب، بل كانت عدوة للسان الكُرد، وهذا ما يفسر النسبة العالية للأمية بين الكُرد في تلك الآونة[24]. وقد كانت لمقالات سليمان نظيف[25] وقعها العميق في نفوس الكُرد آنذاك، ففي مقالة له تحت عنوان (أزمير ليست بكُردستان) نشرت في العدد السابع من مجلة (كُرد) الصادر في تاريخ 16 كانون الثاني/ يناير 1909، ذكر أنّ الذي حول كُردستان إلى بلاد مدمرة هي الدولة العثمانية، بل إن كُردستان كانت أكثر تقدماً وحضارة عندما خضعت للدولة العثمانية قبل أربعمئة سنة مما هي عليها الآن. ويتساءل سليمان نظيف: متى سيحين الوقت لتظهر هذه الدولة؟ والتي تقع كُردستان

ضمن حدودها السياسية اهتماماً بها وبسكانها بعد هذه السنوات الطويلة من حكمها؟[26]

كان الهدف الأساسي للجمعية الكُردية فضلاً عن الترقي بالمجتمع الكُردي تحت ظل الدولة العثمانية هو: إقامة علاقات متميزة مع الأقوام المجاورة لا سيما مع الأرمن، كما جاء في بيانها الذي نشر في العدد الأول من مجلة (كُرد)[27]. وطبقاً لمبادئ الجمعية فإنها كانت تهدف إلى مراقبة الدستور، والى متابعة مفهوم العثمانية، وإنهاء الصراعات القبلية، والمحافظة على التجانس والعلاقات الجيدة مع الأرمن والنساطرة والرعايا الآخرين للدولة العثمانية[28].

رأت الجمعية الكُردية أن المسألة الأرمنية، التي لامست تاريخ ووجود الكُرد في الصميم، هي من أحد أبرز أهدافهم التي لا بد من إيجاد حلول ناجعة لها، ولم يغفل كتابها هذا الأمر منذ العدد الأول من مجلتهم (كُرد تعاون ترقي)؛ ففي هذا العدد الذي صدر في تاريخ 5 كانون الأول/ ديسمبر 1908 نشر إسماعيل حقي بابان مقالة باللغة التركية العثمانية حملت اسم (الكُرد وكُردستان)، تطرق فيها صاحب المقال إلى المسألة الأرمنية، وكيف أن الحكومة العثمانية السابقة استغلت جهل الكُرد وأميتّهم في هذه المسألة، ولم تقم بإصلاح الوضع في كُردستان، بل إنّ أتباع الحكومة لسياسة التحريض، والتخريب، والقتل قد عرضت الكُرد إلى إخطار مميتة. وفي كل حادثة تقع في كُردستان كانت الحكومة العثمانية السابقة تقوم بتبرئة موقفها، وتظهر نفسها أمام الآخرين على أنها ليست السبب في تلك الأحداث التي تقع في كُردستان وإنما الكُرد أنفسهم هم الذين يتحملون المسؤولية كاملة؛ ثم أضاف: «ومن التهم التي ألقيت على عاتق الكُرد هي عداؤهم القديم للأرمن، لأن الأرمن هم أعداء منذ القدم، وإن طوينا صفحة العهد السابق فإننا سنرى أنه لم يكن

هناك شعب ممتزج ومتحد مع جيرانه مثل الكُرد، ولم تصدر أيّ شكوى من الكُرد ضد الأرمن... الكُرد وكسائر العثمانيين يصونون مذهب، ومال، وعرض المواطنين الآخرين من غير المسلمين، وهم يقدرون ذلك لكونهم مسلمين، وكما قال الرسول الجليل (ص):(لهم ما لنا، وعليهم ما علينا)، بل إنهم يراعون ذلك الآن أكثر من غيرهم»[29].

من نشاطات الجمعية الكُردية الأخرى قيامها بفتح فروع لها في معظم مدن كُردستان، وقد كانت أقوى فروعها تلك التي فتحتها في مدن شمال كُردستان، وخصوصاً فرعي دياربكر وبتليس. فقد ورد في تقرير من نائب القنصل البريطاني في دياربكر هيرد (Heard) بتاريخ 3/ 1/ 1909، عن حفل افتتاح هذا الفرع: «...كان عدد الحاضرين يتجاوز (10) آلاف شخص... إن لهذا الاجتماع مغزى واضحاً، وهو أن النادي الكُردي أقوى بكثير من فرع الاتحاد والترقي في دياربكر، الذي بدأ يفقد الكثير من أتباعه هنا... يقول أعضاء النادي الكُردي هنا إنهم تسلموا توجيهات من الفرع الرئيسي في القيادة في استانبول بإقامة علاقات إيجابية مع النصارى، ولكن التوجه الإسلامي المحافظ للنادي لا يساعد على إقامة علاقات من هذا النوع»[30]. وكان فرع بتليس أقوى هذه الفروع وأكبرها حسب بعض الباحثين، ففيما كان عدد أعضاء النادي الأرمني في هذه المدينة في تشرين الثاني/ نوفمبر 1908 يبلغ (50) عضواً فقط، وعدد أعضاء الاتحاديين (90) عضواً فقط (ربما أن أغلب هؤلاء كانوا من الكُرد أيضاً)، كان عدد أعضاء النادي الكُردي يبلغ (680) عضواً، ولقد كتب القنصل الروسي اكيموفيج (Akemovig) في تقريره المؤرخ في 30 تشرين الثاني/ نوفمبر 1908 عن هذا النادي قائلاً: «بلغ عدد أعضاء النادي الكُردي بضعة آلاف»، ووصل عدد أعضاء هذا النادي ما بين شهري شباط/ فبراير وآذار/ مارس من العام 1909 إلى (80000)، ربما تكون هناك مبالغة في احتساب عدد

أعضاء النادي، الذي كان على ما يفهم من هذه التقارير في تعاظم مستمر. وحسب تقرير اكيموفيتش: إن نادي بتليس الذي كان يضم أثرياء الكُرد جمع (10000) ليرة تركية بهدف إنشاء مصنع في بتليس[31].

إن مجرد ورود هذا العدد من الأعضاء في النادي الكُردي مقارنة مع نسب أعضاء الأرمن والأتراك في جمعياتهم في شمال كُردستان يبدّد معظم الإحصائيات التي كان قد قدمها كل من الأرمن والأتراك، عن نسبهم السكانية في المنطقة قبل تلك المدة. فإذا كانت تلك الإحصائيات صحيحة إذن، لتفوقوا على الكُرد، خصوصاً إذا ما علمنا أنهم هم من كانوا أصحاب الثورة والدستور، وليس الكُرد كما كانوا يتباهون بذلك.

أ ـ انتخابات مجلس المبعوثان

من أبرز مراحل التعاون بين الأرمن والأتـراك تلك التي كانت في الانتخابات البرلمانية التي جرت في شهري تشرين الثاني/ نوفمبر وكانون الأول/ ديسمبر من العام 1908، إذ أقيمت الانتخابات في جميع ولايات الدولة العثمانية بما فيها شمال كُردستان، التي تحالف فيها الطرفان ضد مرشحي جمعية التعاون والترقي الكُردية. وحسب النظام الانتخابي العثماني جرت الانتخابات على مرحلتين، المرحلة الأولى: وهي وجوب حصول المرشح على (500) صوت لكي ينتقل إلى المرحلة الثانية: والتي يقوم فيها (500) شخص من الذين حصل كل واحد منهم على (500) صوت بانتخاب ممثل واحد فقط ينوب عنهم في مجلس المبعوثان العثماني، أي أنّ كل عضو في مجلس المبعوثان كان يمثل أصوات (50000) صوت من الولاية التي انتخبته ورشحته، وقد اتُّفِق على أن يكون عدد أعضاء مجلس المبعوثان العثماني (275) عضواً يمثلون أعراق وولايات الدولة العثمانية كافة[32].

وحـدت الأحـزاب والتنظيمات الأرمنية قوائمها الانتخابية قبل الانتخابات؛ فمثلاً أشار نائب القنصل البريطاني في وان النقيب دكسون إلى أن حزبي الهنشاق والطاشناق قد اتفقا على ترشيح الدكتور آرام نائباً عنهم في وان[33]، ويلقي دكسون بعض الضوء على الدعاية الأرمنية للانتخابات، وأبرز سبلهم للفوز بمقعد عن وان، حيث يقول: «يحيك [الطاشناق] الدسائس مع زعماء عشيرة الحيدران، متعهدين لهم بالعفو عنهم على شرط أن يقوموا بالتصويت في الانتخابات لمصلحة (الدكتور آرام) كنائب عن وان، وإن لم يفعلوا ذلك فالعقاب في انتظارهم، وما كان هذا الأمر إلا محض خداع من جانب الطاشناق، إلا أن الكُرد على الرغم من تأثرهم بذلك في البداية، فإنهم كما أخبرني حسين باشا قرروا عدم التصويت للأرمن، وإنهم على الأرجح قاموا بوضع مرشح كُردي يمثل منطقتهم»[34].

وبعد أن وحدت تلك الأحزاب الأرمنية قوائمها الانتخابية تحالفت مع جمعية الاتحاد والترقي في محاولة منها للحصول على أكبر قدر ممكن من المقاعد في مجلس المبعوثان العثماني[35]، ولكن الأرمن، ولإدراكهم لنسبهم القليلة في جميع أنحاء الدولة العثمانية، كانوا قد اقترحوا على الاتحاديين منحهم عشرين مقعداً في مجلس المبعوثان، حتى وإن لم يتمكنوا من الحصول على هذا العدد من المقاعد، إلا أن الاتحاديين رفضوا ذلك، وبعد مفاوضات بين الطرفين، توصلا إلى الاتفاق على أن يمنح الأرمن (14) مقعداً[36]، ولا تشير المصادر القريبة إلى النسبة الدقيقة لكل من الأرمن والكُرد في مجلس المبعوثان[37]، وذلك لأن العديد منهم كانوا قد دخلوا إلى المجلس ضمن قوائم جمعية الاتحاد والترقي، في حين دخل بعض آخر منهم ضمن أحزابهم القومية، وتصادف أن يكون العضو المنتخب ينتمي إلى حزب أرمني أو إلى الحزب الكُردي، وفي الوقت نفسه ينتمي إلى جمعية الاتحاد

والترقي العثمانية؛ ولكن على أية حال كان هذا الوضع سائداً في الانتخابات الأولى التي شهدها شمال كُردستان بعد الانقلاب العثماني في تموز/ يوليو 1908، وكان من أبرز الأسماء التي مثلت الأرمن في مجلس المبعوثان النائب فارتكيس 1871 ـ 1915 (Vartkes) الذي كان قد شارك في تمرد الأرمن في وان عام 1896، وكانت السلطات العثمانية قد حكمت عليه بالإعدام، إلا أنها عادت وخفَّفت حكمه إلى السجن المؤبد بعد تدخل الدول الكبرى في المسألة، وكذلك النائب باسطرماجيان (Pastirmaciyan) الذي كان قد شارك في الهجوم على البنك العثماني ومحاصرته في عام1896[38].

أما الكُرد فيظهر أنهم كانوا قد امتعضوا من العملية الانتخابية برمتها، فعلى الرغم من أن مجلتهم ولسان حال جمعيتهم (كُرد تعاون ترقي)، كانت قد نشرت العديد من الأخبار عن مجلس المبعوثان وأبنيتها وباركت افتتاحها، إلا أن هذه المجلة قد نشرت بعض الأخبار والمقالات التي توحي بأن الكُرد شعروا بغبن خلال هذه العملية الانتخابية، ولم يكونوا راضين عن نتائجها؛ ومن هذه الأخبار التي نشرتها مثلاً البرقية التي وصلت إليها من فرعها في دياربكر، وتحمل تاريخ 26 كانون الأول/ ديسمبر 1908، والتي نشرت في العدد الخامس من مجلة (كُرد) الصادر بتاريخ 2 كانون الثاني/ يناير 1909، ومضمون هذه البرقية التي نشرتها المجلة تحت عنوان (رسالة تلغرافية تستحق الانتباه): هي شكوى من فرع جمعية التعاون والترقي الكُردية في دياربكر، وهي أن مرشحها (عارف أفندي) قد فاز في الانتخابات وحصل على ما مجموعه (55000) صوت، إلا أن عارف أفندي قد تعرض إلى حملة واسعة تستهدف تشويه سمعته، وأن هذه الدعاية التي استهدفته ما هي إلا محض افتراء، ولذلك طالب فرع دياربكر في هذه البرقية، من مركز الجمعية الكُردية في استانبول الدفاع عن عارف أفندي «الذي يتمتع بشهرة واسعة في الولاية»

حسبما جاء في نص البرقية[39]. وبعدها مباشرة نشرت مجلة (كُرد) تعليقاً، وفي معرض الدفاع عن عارف أفندي، جاء فيه: «التلغراف أعلاه يستحق الانتباه بكل الأشكال، إن عارف أفندي يمتلك مثل تلك الشهرة والحمية والاقتدار، إذ مهما نشرت أكاذيب ضده فإنها لا تؤثر في سمعته المتميزة... ونحن دوماً نقدر حسن الإصابة في انتخاب مثل هؤلاء، ونبارك لهم ذلك بكل حق وتقدير»[40].

يتبين من هذه البرقية أن مرشحي جمعية التعاون والترقي الكُردية في كُردستان قد تعرضوا إلى مضايقات قبل الانتخابات وفي أثناء إجرائها، ولا تُعرف بالضبط الجهة التي قامت بتشويه سُمعة النائب عارف أفندي في دياربكر، أهم الاتحاديون أم الأحزاب الأرمنية؟ لأن البرقية لا تشير بصراحة إلى أية أسماء، ولا يمكن استبعاد دور الطرفين الاتحادي والأرمني في ذلك، خصوصاً أنهما كانا متحالفين في تلك الانتخابات، ولكليهما نفوذ في دياربكر.

ومما يرجح أن الأرمن كانوا قد اصطدموا بالكُرد أثناء الانتخابات، وعملوا على الإضرار بنوابهم، تلك المعلومات التي أوردها (سليمان بن حسين باشا الأرزنجاني) في مقاله المعنون (الكُرد والأرمن)، الذي نشر في العدد التاسع من مجلة (كُرد) الصادر في تاريخ 30 كانون الثاني/ يناير 1909.

يتبين من خلال قراءة هذا المقال أن صاحبه قد كتبه نتيجة وقوع صراعات أو حتى مصادمات بين الكُرد والأرمن خلال العملية الانتخابية. وفي مرات عديدة نبَّه سليمان بن حسين باشا الأرمن إلى عدم الاستماع، والتأثر بأقوال بعض الأشخاص الذين وصفهم بـ(الفاسقين والمنافقين) على حد تعبيره. يتناول صاحب المقال في بدايته العلاقات الطيبة التي سادت بين الكُرد والأرمن في مختلف عصور التاريخ، وامتزاجهم الاقتصادي والاجتماعي، بحيث إذا تضرر أحدهما سيتضرر الآخر دون شك؛ ففضلاً عن الاقتصاد الذي وحد المجتمعين تتشابه العادات والتقاليد الاجتماعية لكلتا القوميتين، وكما

أن الكُرد كانوا سنداً للأرمن في كُردستان كان الأرمن كذلك يسندون الكُرد في استانبول؛ ثم يقول: «فعلى الكُرد مراعاة حقوق الأرمن من جميع جوانبها بمقتضى الشريعة الإسلامية، وعلى الأرمن أن لا ينخدعوا بأكاذيب بعض المنافقين، الذين يلقنونهم مواضيع سلبية تجلب التعصب، ويجب أن لا يكون بينهما أية موانع واصطدام [صراع]، وأن ما عايشوه من كمال رفاه ووفاق لا يحتاج إلى بحث ومناظرة. إن الكُرد والأرمن عاش بعضهم إلى جانب بعض منذ سنة (2600) قبل الميلاد إلى الآن... بكل وئام ومحبة، فإذا كانت الادعاءات التي تقول: بأنه كان بينهما شقاق وخصومة أمراً صحيحاً لكان أحدهما في كل الأحوال قد تمكن من محو الآخر من الوجود في مثل هذه المدة الزمنية الطويلة جداً»[41]. ويذكر سليمان الأرزنجاني لقرائه أنه عند متابعة علاقات الشعوب المختلطة الأخرى لا يرى سوى الثورات والحروب المستميتة، وأن المنطقة المستثناة من ذلك حتى وقت قريب كانت فقط كُردستان، كما أنه مثلما كان الأرمن منْ سكنوا هذه المنطقة منذ القدم، فاليوم أثبت التاريخ أن الكُرد الذين يعدون أحفاد الميديين هم السكان الأصليون لتلك المنطقة منذ القدم أيضاً، كما أن دخول الأرمن إلى الدين المسيحي، وتشرف الكُرد بالدين الإسلامي لم يؤثر في علاقاتهما بعد ذلك. ويضيف سليمان الأرزنجاني: «إن الرجال الأفاضل والعلماء الذين أنتجتهم كلتا القوميتين، كانوا دائماً يلقنون قومهم ويرشدونهم إلى إدامة المحبة القديمة الموجودة بينهما، وإدامة سعادتهما القومية وتأمينها، وهذا ما لم يكن موجوداً في أية منطقة وأية ديار وقومية، وكذلك تشهد العصور والدهور والتاريخ على ذلك؛ ففي إحدى القرى الأرمنية التي يبلغ عدد بيوتها ثلاثمئة بيت يسكن فيها الكُرد في عشرة منازل منذ القدم، وكذا الحال في القرية الكُردية ذات الثلاثمئة بيت، حيث تحتوي على عشرة بيوت أرمنية تسكنها منذ القدم بجانب الكُرد، وأن وجود العديد من الكنائس

والأديرة المقامة على قمم التلال والجبال لهو إثبات باهر على وجود مثل هذه المحبة»[42]. يتابع سليمان الأرزنجاني حديثه بالذكر أن هناك الكثير من الأرمن على قيد الحياة، من الذين جربوا ورأوا هذا التعاون الذي لا مثيل له في أي منطقة أخرى، ولم تظهر المشاكل بينهما إلا بعد أن ساءت الإدارة في بلادهما، أي: إدارة الدولة العثمانية، فضلاً عن أسباب أخرى، منها مثلاً: عدم المساواة بين الكُرد والأرمن في مسألة التعليم خصوصاً بعد انتشار المدارس الحديثة في كُردستان؛ ثم يتحدث كاتب المقال عن كيفية استقبال الكُرد والأرمن معاً بكل فرح وسرور إعلان الدستور، وأن هذه المشاكل التي حدثت بينهما بعد إعلانه إنما تعود جذورها إلى العهد السابق، وأن على عقلاء كلتا القوميتين التقريب بينهما. ويختتم مقاله بالحديث عن الانتخابات بقوله: «... يجب على الكُرد والأرمن [أي: عقلائهم] أن يتجولوا في جميع مدننا وولاياتنا ومناطقها شبراً شبراً، ليقفوا على صور وأنواع الإصلاحات الواجب تحقيقها... من أجل إعادة الوفاق القديم الموجود بينهما على ما كان عليه سابقاً. وبالمحصلة فإن على الكُرد والأرمن أن يعملوا من أجل سد ثغرة الجهل والتحقير العام التي ظهرت بينهما، وفي هذه المرة فإن السعي أو الجهد والإقدام الذي قام به كلا الطرفين في انتخاب مبعوثيهم في مجلس المبعوثان أظهر عدم اطمئنان وثقة أحدهما بالآخر مع الأسف الشديد، وبهذه الحالة إذا نفّذت الجهود التي ذكرتها وشرحتها آنفاً... فإنه في الانتخابات التي ستجري بعد أربع سنوات إن شاء الله سينتخب الكُرد مثلاً (جانم قره بت أفندي) مع (هامبارسوم أفندي) كمبعوثين عنهم، وإن الأرمن سينتخبون كلاً من (أحمد أفندي) و(محمد بك) كمبعوثين عن دياربكر... فإذا أعطينا المجال لبعض الفسقة غير المعروفين والذين يتبعون أهواءهم... ويقولون إنهم أصدقاؤنا وهم أعداؤنا فلن نكون قادرين على الاستفادة من الحرية والعدالة، التي أنعمها الله تعالى علينا،

ولن نستطيع أن نميز أصدقاءَنا من أعدائنا، مثلما كنا في عهد الاستبداد قبل عهد هذه الحرية، فمن الطبيعي أن أُحمّل مسؤولية وبال حالنا هذا على عاتق أصدقاء وعقلاء كلتا القوميتين»[43].

لم يكتب سليمان بن حسين باشا الأرزنجاني هذه المقالة الطويلة، والمليئة بالأفكار إلا بعد وقوع بعض الأحداث بين الكُرد والأرمن أثناء الانتخابات، ولا يعرف هنا من هم الفاسقون والمنافقون الذين عملوا على زرع الفتنة بين الكُرد والأرمن آنذاك، ولا تخرج دائرة الشك هنا عن الاتحاديين والأحزاب الأرمنية المتحالفة معهم، ولكن بالنظر إلى محتوى هذا المقال والذي سبقهُ يظهر بأن الخاسر الوحيد في تلك الانتخابات كانوا هم الكُرد فقط، ولم تكن شكاواهم تلقى صدى عند أحد سوى ما حفظه التاريخ للكُرد.

ب ـ الأرمن ومأزق الإقطاع الكُردي

إن الأرمن الذين كانت جمعية الاتحاد والترقي تساندهم كانوا يسعون دوماً إلى وضع شروط يجدونها ضرورية في شمال كُردستان لاستغلال هذه الحرية، وبهذه الرغبة ذكروا أن الكُرد، وخصوصاً الفرسان الحميدية، كانوا ضد النظام البرلماني العثماني، ويعارضونه ويعدونه خطراً على الدولة العثمانية[44]، فقد صدر عن الاجتماع الخامس لحزب الطاشناق في عام 1908 الذي عُقد بعد الانقلاب العثماني مباشرة، ما يلي بخصوص الإقطاعيين الكُرد: «إن بقايا الأمراء الإقطاعيين من عهد النظام غير الدستوري السابق، والذين فقدوا الكثير من امتيازاتهم بعد إعلان النظام الدستوري الجديد، سيبقون مصدر تهديد لنا، وسيستغلون أول فرصة تتاح لهم لمهاجمتنا»[45].

لذلك حاول الأرمن بالاتفاق مع الاتحاديين توجيه ضربة إلى الإقطاعيين الكُرد الذين تحكموا بمستقبل كُردستان طوال العهد السابق، وكانت خططهم

في ذلك موجهة إلى مسألتين حساستين، الأولى: ضرب الفرسان الحميدية، وتشتيت قوتها، والثانية: إرجاع الأراضي، التي ادّعى الأرمن أنها كانت لهم سابقاً، من الملاكين والبكوات الكُرد، الذين كانوا قد استولوا عليها منذ عقد تسعينيات القرن التاسع عشر.

1 ـ الفرسان الحميدية

نظرت حكومة الاتحاد والترقي وكذلك الأرمن إلى الفرسان الحميدية، على أنهم مصدر تهديد مباشر لهما معاً[46]، وربما كانت محاربة الاتحاديين للحميدية من أولى الأعمال التي قاموا بها، إثر سيطرتهم على السلطة في أواخر تموز/ يوليو 1908؛ فقد ثار القائد الحميدي المشهور إبراهيم باشا الملي في أقصى جنوب غرب كُردستان ضد الاتحاديين عندما سمع أخبار الانقلاب العثماني، ولكن نتيجة لعدم تكافؤ القوى، وعدم التنسيق والتنظيم داخل قوات إبراهيم باشا تمكن الاتحاديون من دحر قواته قرب ويرانشهر، مركز حكمه؛ ثم ما لبث أن توفي في 5 كانون الثاني/ يناير 1909[47]. وقد وجه اندحار إبراهيم باشا الملي ضربة قوية إلى الإقطاعيين الكُرد، وأرسلت إليهم الحكومة العثمانية الجديدة رسالة مفادها: أنها لا تتهاون في ضربهم وتدميرهم إن اختلفت مصالحهما، وأن الكُرد قد فهموا الدرس من خلال سقوط إبراهيم باشا الملي[48].

إذا كانت وفاة إبراهيم باشا الملي تُعد ضربة قوية للفرسان الحميدية وللإقطاعيين الكُرد، فإنه دون شك لم تكن الحادثة الأخيرة، وذلك لأنه في أعقاب الانقلاب المضاد الفاشل في نيسان/ ابريل1909[49]، الذي قاده بعض أنصار السلطان عبد الحميد ألقت حكومة الاتحاديين القبض على رموز الإقطاع الكُردي في كُردستان، بتهمة الخيانة العظمى، وأبرزهم كان حسين

باشا الحيدراني، وبلغ عدد الآغوات الكُرد الذين اعتقلوا بعد فشل الانقلاب في دياربكر وحدها (17) من البكوات، ولكن بعد التحقيق معهم وإثبات براءاتهم أطلق سراحهم في أواخر سنة 1909 وبداية سنة 1910. وفور إطلاق سراحهم من السجن هاجر حسين باشا الحيدراني، وتيمور باشا، وأمين باشا، وسيد علي، وموسى بك، مع (12000) أسرة من عشيرة الحيدران، مع (6) أفواج حميدية إلى داخل الأراضي الإيرانية[50]. وجاء في تقرير سري لمقر قيادة منطقة القوقاز العسكرية الروسية، حول المسألة الكُردية في الدولة العثمانية بعد فشل الانقلاب المضاد: «... إن حكام تركيا الفتاة المنبهرين بنجاحاتهم السياسية، لا يتّسمون ببعد النظر ولا بمعرفة المنطقة... وفي اللحظة الحاضرة فإن الكُرد كلهم يناصبون السلطات التركية العداء... وإنهم كانوا جميعاً على أهبة الاستعداد للهجرة إما إلى فارس وإما إلى روسيا... وإن الخيالة الكُردية نفسها أضحت غير موجودة في الواقع منذ لحظة هروب حسين باشا»، ولم يعد حسين باشا مع رفاقه إلى كُردستان العثمانية إلا في أواخر سنة 1912، بعد الاندحار الكبير للجيوش العثمانية في البلقان، كما تمت مصادرة أغلب أراضي عشيرة الحيدران[51].

بالنظر الدقيق إلى هذه الأحداث يظهر أن الوضع في شمال كُردستان قد انقلب رأساً على عقب، وبات الاتحاديون والأرمن هم المسيطرون على الأوضاع فيها، وهنا لا بد من طرح سؤال مهم، وهو: ماذا كانت ستفعل الدعاية الأرمنية لو كانت (12000) أسرة من أسرهم، حتى وإن كانت هناك مبالغة في تقدير عددهم، قد هاجرت إلى القوقاز مثلاً؟ فإنه بمجرد هجرة أسرة أو أسرتين أو حتى سكان قرية واحدة أرمنية أو أكثر إلى القوقاز كانت الشكاوى الأرمنية تنهال على القنصليات والسفارات الأجنبية في استانبول حتى تصل إلى رؤساء الدول في: روسيا، وبريطانيا، وفرنسا، والولايات المتحدة الأميركية، ويكفي

القول هنا: إن غياب الرأي الكُردي في أغلب حقب المسألة الأرمنية جعل موقفهم ضعيفاً أمام الرأي العام العالمي، وكما صرح به صالح بدرخان[52] في مقاله المعنون (القلم قبل السيف) بأن الشعب الكُردي هو الآن مثل الشخص الأصم والأبكم الذي لحق به أذى كبير، ولكنه لا يستطيع التعبير عن ذلك، أو حتى طلب المساعدة[53].

بعد ذلك أقدم الاتحاديون على تغيير الهيكل التنظيمي للفرسان الحميدية في عام 1910، إثر مناقشات عديدة مع الأرمن في مجلس المبعوثان[54]، فبعدما كانت تضم (64) فوجاً عسكرياً، دمج بعضها ببعض وسُرح بعضها الآخر فتقلص بذلك عددها إلى (23 أو 24) فوجاً فقط، كما غيّروا اسمها إلى قوات (العشائر) حسب بعض المصادر، أو إلى (أفواج الفرسان الخفيفة) حسب مصادر أخرى[55].

إن تنظيم الأفواج الجديدة لم يسرّ الأرمن ولا الكُرد، فالأرمن قد احتجوا على هذا التنظيم الجديد وكانوا يريدون حلها بشكل تام، أما الكُرد فقد احتجوا من جانبهم، وخصوصاً القبائل الكُردية التي لم تقم الحكومة بضمها إلى تلك الفرسان، وأوكلت مهمة تهدئتهم إلى بعض شيوخ القبائل وعلماء الدين[56].

إن أبرز الشخصيات الكُردية ممن وقف ضد إجراءات الاتحاديين والأرمن في شمال كُردستان هو رئيس عشيرة جبران الكُردية شاكر آغا (شكر آغا) وابن أخيه مير ميهي (محي)، فقد انتقد شاكر آغا كثيراً هذا الاتحاد بين الاتحاديين والأرمن، وكانت لعمليات مير ميهي في منطقة نوردوز تأثيرها الواضح في السلطات الحكومية والأرمن هناك، وقد طالب الأرمن بمعاقبة مير ميهي وكذلك شاكر آغا، وهدّدوا بأنه إذا لم ينفِ الاتحاديون شاكر آغا من المنطقة سيقوم الأرمن بالهجرة منها[57].

إن شاكر آغا الذي عمل ضد نشاطات الجمعيات الأرمنية نيابة عن

الحكومة خلال عهد السلطان عبد الحميد الثاني، كان قد أبقى ولاءَه للنظام الجديد بعد إعلان الدستور، حيث كان صاحب نفوذ واسع، والأكثر من ذلك أنه كان يعمل عادة على مساعدة المفارز العسكرية، التي أقيمت من أجل القضاء على العصابات حول نوردوز ومناطق شاتاخ وتوجيه هذه المفارز، وتوجيهها. ولهذا السبب أُجلت المطالب الأرمنية لمدة من الزمن، ولكن بسبب استمرار الضغوط الأرمنية كانت الضغوط تزداد تبعاً لذلك على شاكر آغا، الذي قام بدعم مطالب ابن أخيه مير ميهي، وتمرد هو بدوره على الاتحاديين، ولم تهدأ الأوضاع بين الطرفين حتى عام 1914، عندما اغتال مير ميهي أحد أفراد عشيرته[58].

2 ـ مشكلة الأراضي

قال القنصل الفرنسي في وان زارزكي (Zarzecki) في تقرير له يعود إلى عام 1913، إنه ومنذ عام 1909 فصاعداً كانت هناك : «حرب حقيقية بين الشعبين [الكُردي والأرمني]»[59]، وذكر أحد أعضاء محكمة التمييز في استانبول في العام 1913 أن (90 %) من حوادث القتل في ولايات الأناضول الشرقية (شمال كُردستان)، هي بسبب مسائل الأراضي، وإن تقارير ولاة بتليس ووان الرسمية توضح حالة القرويين التعيسة في تلك الجهات[60].

تدلّ هذه التصريحات والأقوال على أنّ أهم مشكلة واجهت الكُرد والأرمن، بعد الانقلاب العثماني هي مشكلة الأراضي، التي ألقيت تبعاتها حسب المصادر المقربة، على عاتق الكُرد فقط، مع العلم أن هذه المشكلة كانت تحمل في طياتها أبعاداً أخرى، وتتحمل مسؤولية ذلك أطراف عديدة غير الكُرد مثل الأرمن أنفسهم الذين لم يتمكنوا من إثبات ملكيتهم لتلك الأراضي، كما أنهم كانوا قد باعوا الكثير من أراضيهم إلى الكُرد؛ وكذلك

الحكومة العثمانية الجديدة، التي لم تحاول بصورة جدية حل هذه المشكلة؛ فضلاً عن الحكومة العثمانية السابقة، التي قامت باستملاك العديد من أراضي الأرمن، الذين كانوا قد هاجروا إلى القوقاز الروسية بعد الأزمة الأرمنية في التسعينيات، ثم قامت ببيعها إلى الإقطاعيين الكُرد، والمهاجرين الجدد من الشركس واللاز في المنطقة.

بعد الانقلاب العثماني مباشرة رجعت العديد من الأسر الأرمنية، التي كانت قد هاجرت إلى القوقاز خلال تسعينيات القرن التاسع عشر، وكانوا قد تخلوا عن أراضيهم التي استولت عليها الحكومة العثمانية، وبعض الإقطاعيين الكُرد الكبار، وقد طالب الأرمن عن طريق أحزابهم وبطريركيتهم في استانبول بإرجاع أراضيهم المسلوبة، وقد وافق بعض الإقطاعيين الكُرد على إرجاع هذه الأراضي، التي لم تكن بحوزتهم سندات ملكيتها وخصوصاً في موش[61]، ولكنهم في الوقت نفسه ذكروا أن الكثير من هذه الأراضي كانت عليها ديون ومستحقات مالية، هم من قاموا بتسديدها إلى الحكومة العثمانية، وأن على الحكومة تعويضهم كذلك عن الأموال التي صرفوها على تلك الأراضي؛ من جانبها رفضت الحكومة العثمانية الجديدة مسألة التعويضات جملة وتفصيلاً، كما أن الحكومة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وعن طريق البنك الزراعي، كانت قد باعت تلك الأراضي إلى الإقطاعيين الكُرد، ولذلك لم يكن هؤلاء ليتنازلوا عن تلك الأراضي للأرمن بمجرد ادعائهم امتلاكها دون إثباتات ووثائق وأيضاً تعويضات، وهذا ما أدى إلى توتر الأوضاع بينهما أكثر فأكثر. الحقيقة، إن الأرمن إما أنهم استعملوا أجزاء من هذه العقارات من دون تسجيل مسبق، وإما أنهم باعوا عقاراتهم المسجلة من دون بيعها بسعرها الحقيقي عندما غادروا البلاد، وقد وجّهوا اللوم للعشائر الكُردية، لأنهم اشتروا عقاراتهم بأسعار منخفضة أو أنهم أخذوها منهم بالقوة[62].

ففي قضاء عادل جواز قرب وان وافق حسين باشا مثلاً على إرجاع القرى الأرمنية التي كان قد حافظ عليها من التدمير أثناء الأزمة الأرمنية الأولى، ولكنه طلب من الأرمن أن يدفعوا له (450) ليرة تركية كتعويض وأجور حماية له، وقد وافق الأرمن على هذا مبدئياً، ولكنهم لم يكونوا يملكون هذا المال[63].

أشار النقيب دكسون، نائب القنصل البريطاني في وان، في تقريره السابق، والمؤرخ في 30/ 9/ 1908 إلى مشكلة الأراضي بقوله: «صدرت الأوامر من فريق نائب الوالي إلى زعماء عشيرة الحيدرانية (حسين باشا، وأيمن باشا، وتيمور باشا، وكور محمد بك)، للحضور في وان لحسم مسألة تخليهم عن أراضي وقرى الأرمن، التي استولوا عليها إبّان أوقات المجزرة، ووجدوا أن الحكومة جادة فجاؤوا ووافقوا على تسليم جميع الأراضي، التي لا يمتلكون سندات ملكية رسمية لها، أما في الحالات المشكوك فيها أو إذا كان أصحابها السابقون مستعدين لتقديم المعلومات، عندها يصبح الأمر تحت أنظار المحكمة للبت في الأمر»[64].

لقد ضغط الأرمن كثيراً على الاتحاديين من أجل حسم مشكلة الأراضي، وضرورة إرجاعها إلى الأرمن حتى ولو كانت بالقوة، ولكن المشكلة هنا لم تكن تتعلق بالكُرد فقط، ولو كان الأمر كذلك لسهل حلها، ولكن المشكلة الرئيسة هي أن الأرمن لم يتمكنوا من إبراز أية وثائق رسمية، تؤكد عائدية هذه الأراضي لهم، من جهة أخرى، رضخ بعض الإقطاعيين الكُرد إلى هذا الأمر، وأعادوا بعض الأراضي إلى الأرمن، ولكنهم شددوا على الحكومة العثمانية لتمنحهم تعويضاً عن خسارتهم، وعن الأموال التي دفعوها إلى الحكومة وإلى البنك الزراعي التركي، والتي صرفوها على تلك الأراضي، إلا أن الحكومة من جانبها لم تقم بدفع أي أموال إلى الكُرد، ولو كانت الحكومة عمدت إلى هذا الحل لكانت قد أزالت التوتر بين الكُرد والأرمن[65].

في بداية عام 1909 وحسب الاتفاق المعقود بين الاتحاديين والأرمن الطاشناق أرسلت لجنة إلى شمال كُردستان للبت في هذه المشكلة، وكانت اللجنة تتكون من أربعة أعضاء؛ اثنان من الأتراك وآخران من الأرمن[66]، وقد بادرت جمعية (التعاون والترقي الكُردية) إلى تقديم مذكرة في العام 1909 إلى كامل باشا وزير الداخلية في الحكومة العثمانية الجديدة وبطريركية الأرمن في استانبول، بشأن ضرورة اتخاذ الإجراءات العاجلة من أجل دراسة أوضاع شمال كُردستان، وإصلاحها، وإرسال الهيئات إلى مختلف أنحاء المنطقة[67]، وقد نشرت الجمعية الكُردية بياناً بهذا الشأن في العدد السابع من مجلة كُرد الصادر في تاريخ 16 كانون الثاني/ يناير 1909، تحت عنوان (الكُرد والأرمن) جاء فيه: «قامت جمعيتنا بتقديم تقرير إلى وزارة الداخلية، توضح فيه التدابير الواجب اتخاذها لتسوية وإصلاح الخلافات الموجودة بين الكُرد والأرمن، الساكنين في الولايات جنباً إلى جنب، ولحل تلك الخلافات من أساسها، ينتظر من الباب العالي أن ينظر بعين الاعتبار والاهتمام لوضع اقتراح التقرير موضع التنفيذ في أقرب وقت ممكن، وخصوصاً اهتمام وعناية سيادة الباشا وزير الداخلية. إن التقرير السابق الذكر ومضامينه سوف يؤمن سعادة وسرور كلتا القوميتين بشكل آني، وحسن صداقتهما جنباً إلى جنب، ومن جانب آخر فإن تنفيذ ذلك هو من المطالب والأماني المهمة بالنسبة إلى إخواننا المواطنين من الأرمن»[68].

لا تشير المصادر القريبة إلى فحوى هذا التقرير، الذي أرسلته الجمعية الكُردية إلى الحكومة العثمانية والبطريركية الأرمنية، وربما يمثل هذا التقرير المحاولة الكُردية الأولى أو الرأي الكُردي الوحيد بخصوص مسار الإصلاحات في شمال كُردستان، ولكن لم يتم العثور على هذا التقرير حتى الآن، ولا يشير أي مصدر تاريخي إلى ماهيته ومضمونه، الذي يبدو أنه على

الأغلب لم يكن ليخرج من المقترحات الكُردية حول كيفية حل مشكلة الأراضي، وربما تناول موضوع الفرسان الحميدية ومسائل أخرى لا تخرج عن هذا الإطار.

ولاستفحال مشكلة الأراضي في شمال كُردستان وجه الشيخ عبد القادر النهري، رئيس الجمعية الكُردية، في آذار/ مارس 1909، نداءً إلى الكُرد في كُردستان يوصي فيه بعدم استعداء الأرمن، أي: عدم محاربتهم نتيجة لهذه الظروف الناشئة بينهما[69]، كما قام بنفسه في خريف 1909 بالسفر إلى منطقة شمدينان مسقط رأسه في كُردستان، وشكل ما أطلق عليه الباحث ديفيد مكدول (المؤتمر الكُردي الأرمني) وجاء في خطابه الذي ألقاه في هذا المؤتمر: «يجب أن نعيش كالإخوة مع الأرمن، يجب علينا أن نعيد تلك الأراضي التي يطالبون بها، التي لم نرجعها بعد، سوف نعمل من أجل تمتين أسس التفاهم والانسجام فيما بين أبناء بلدنا العثمانيين»، ولكن يبدو أن سفره إلى كُردستان وعمله في تقريب وجهات النظر بين الكُرد والأرمن لم يلقَ استحساناً عند حكومة الاتحاديين التي قامت باعتقاله لدى عودته إلى استانبول[70].

بعد ذهاب اللجان المختصة والمتشكلة من الأتراك والأرمن إلى شمال كُردستان لم تتمكن هذه اللجان ومن ورائها الحكومة العثمانية من العثور على أية سجلات تؤيد عائدية هذه الأراضي إلى الأرمن، لذلك حاول الطاشناقيون إقناع حكومة الاتحاديين أخذها بالقوة وطرد الكُرد منها، ورغم استجابة الحكومة العثمانية لهم في مرات عديدة، إلا أنها نصحت الأرمن في عام 1910 بأن يتابعوا قضيتهم بصورة قانونية في المحاكم المدنية، وحوّلت مشكلة الأراضي إلى وزارة الداخلية العثمانية للبت في حلها[71].

بدأت وزارة الداخلية بطلب تقارير مفصلة للمشتكين الأرمن، في الولايات التي تقع فيها هذه الأراضي المتنازع عليها، وبعد مفاوضات

ومحاورات استغرقت بعض الوقت وتدقيق لتلك الشكاوى انتهت الوزارة من تحضير وثيقة هيّأتها بناءً على ما وردها من تقارير تخص هذا الموضوع، وقد جاء قرار وزارة الداخلية على النحو الآتي: «إن الأراضي التي يستعملها المهاجرون إليها بعد مغادرة الأرمن خلال عهد حكم عبد الحميد الثاني ستعود ملكيتها إلى أصحابها الحقيقيين طالما أن المشتكين قدموا دليلاً موثوقاً به، وإن المهاجرين عليهم أن يجدوا لهم أماكن أخرى، وإذا كان المهاجر قد صرف بعض النفقات فإنه يجب تعويضه عن ذلك»، وتحوّلت مشكلة الأراضي بناءً على توصيات وزارة الداخلية إلى المحاكم المدنية[72].

كان الرد الأرمني حيال هذا القرار هو الاستنكار والرفض، وذكروا أن أغلب الذين للأرمن شكوى ضدهم هم من المسؤولين ويعملون في الإدارة، أو من الذين لديهم معارف في الحكومة العثمانية، ويستطيعون التأثير في عمل هذه المحاكم، لذلك فإن هذه المحاكم لن تكون محايدة حسب اعتقادهم[73]. وعلق المكتب الغربي لحزب الطاشناق في أوروبا على خطوة الاتحاديين هذه بالقول: «أُخبِرَ الأرمن بأن يلجأوا إلى المحاكم، ولكن ليست لديهم أموال، وليست لديهم أية طريقة للحصول عليها، فكيف يمكن أن يذهبوا إلى المحكمة، وهم يعلمون عدم كفاءة المحاكم، التي ربما تأخذ سنوات طويلة لحسم النزاع؟! كما يذكر أن معظم العاملين في المحاكم هم من المرتشين، وهم لا حول لهم ولا قوة، وأن باستطاعة الحكومة أن تتخذ إجراءً بهذا الشأن، وذلك من خلال ترتيبات إدارية، وينبغي القول هنا: إن القرار أن يترك إلى المحاكم يمثل قصر نظر وهو أمر خاطئ أيضاً...»[74].

من جانب آخر أثارت هذه القرارات غضب السكان والعشائر الكُردية، حيث إنهم هناك يزرعون الأراضي ويحصدونها منذ (17 ـ 18) عاماً، وإذا بهم تؤخذ منهم فجأة، مما شكل ضربة اقتصادية لهم، كما سببت لهم أيضاً، جرحاً

في كبريائهم، وهكذا بدأت عمليات انقسام واسعة ومشاعر غضب، تفاقمت يوم بعد يوم ضد جمعية الاتحاد والترقي، فإن قسماً منهم ترك الأراضي العثمانية، وبدأ يتوقع المساعدة من روسيا، وذلك بذهابهم كلاجئين في الأراضي الإيرانية التي تقع تحت نفوذ روسيا[75].

عندما استولت جمعية الحرية والائتلاف على السلطة في استانبول، إثر انقلاب على حكومة الاتحاديين في 21 تموز/ يوليو 1912، أبدت حكومة الائتلافيين التي لاقت دعماً من الكُرد أيضاً استعدادها لحل مشكلة الأراضي وخلصت إلى الرأي القائل: إنه لا بد من تعويض الكُرد المرحلين عن تلك الأراضي لحل المشكلة، لذلك قاموا بإصدار قرار يتضمن تخصيص مبلغ قدره (100000) ليرة تركية لتعويض المتضررين الكُرد، إلا أن هذا القرار لم يدخل حيز التنفيذ بسبب الحرب البلقانية 1912 ـ 1913، وعودة جمعية الاتحاد والترقي إلى سدة الحكم في استانبول في أعقاب انقلاب 23 كانون الثاني/ يناير 1913، نتيجة للخسارة الكبيرة للجيوش العثمانية في جبهة البلقان[76].

لم تُحلّ مشكلة الأراضي بين الكُرد والأرمن بعد ذلك، ليتم تداولها ضمن محاور وتشريعات الإصلاحات الأرمنية الثالثة في شمال كُردستان، والتي سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

برزت أسماء كُردية عديدة وقفت ضد الإجراءات الحكومية والأرمنية لنـزع تلك الأراضي من الكُرد، ومنهم على سبيل المثال النائب الكُردي عن دياربكر في مجلس المبعوثـان العثماني عـزيز فيزي (1879 ـ 1933)، الذي كان يدخل في نقاشات ومجادلات حامية الوطيس مع النواب الأرمن في مجلس المبعوثان، ويذكر أن نقاشاته مع النائب الأرمني فارتكيس كانت بارزة جداً في هذا المجال[77].

ولكن أبرز من يأتي اسمه في مسألة العقارات هو سعيد بك، الذي كان

يمتلك أراضي واسعة في ولاية وان، وحسب رسالة كتبت من قبله يفهم أنه كان يحتج على الحكومة العثمانية الجديدة، وذلك لتعاونها مع الأرمن، وأعرب بأن الحرية التي وعدوا بها لم تكن للأرمن فقط، ويجب أن تكون للجميع، واعترض على قرارات الحكومة العثمانية بخصوص مشكلة الأراضي[78].

شعر الكُرد ولا سيما أفراد العشائر الكُردية أن الحكومة العثمانية وقفت إلى جانب الأرمن ضدهم في مشكلة الأراضي، لذا عبّر سعيد بك عن وجهة نظر تبناها كثيرون، وكان تمرده نتيجة مباشرة لسياسة الحكومة العثمانية التي قضت بإعادة الأملاك المصادرة من المزارعين الأرمن. وعندما جاء رجال الدرك إلى مقره في (ارجيك) قرب وان، ليأمروه بإعادة الأراضي إلى الأرمن قاوم سعيد بك وقتل شرطيين، وبدلاً من انتظار العقاب هرب وأعلن تمرده على الدولة العثمانية، وقاد بنفسه مجموعة مسلحة مؤلفة من خمسين إلى سبعين رجلاً، وقاد عمليات عديدة ضد أهداف حكومية وأرمنية[79]، وفي رسالة منه موجهة إلى مجلس الأرمن في وان هدّد بأنه سوف يقتل واحداً من الأرمن، عن كل حقل من حقوله إذا ما قاموا بأخذها بالقوة[80]، وبعد معارك عديدة مع الجيش العثماني والأرمن تمكّنت قوة من الجيش العثماني من قتل سعيد بك، مع مجموعة من أتباعه في شمال غرب إيران قرب الحدود العثمانية في عام 1914[81].

يبرئ أحمد ثريا بدرخان الكُرد في تقريره المقدم إلى مؤتمر السلام في باريس، السابق ذكره، من أية مسؤولية حول مشكلة الأراضي، التي استفحلت كثيراً بين الكُرد والأرمن في شمال كُردستان، بعد الانقلاب العثماني في عام 1908، ويذكر بأن تلك الأراضي كان الكُرد قد اشتروها من الحكومة العثمانية السابقة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وأن هذه الأراضي بعد أن هجرها الأرمن استولت عليها الدولة العثمانية، وصارت من ممتلكاتها؛

ثم قامت الحكومة العثمانية ببيعها إلى الكُرد، كما يتهم احمد ثريا بدرخان الروس أيضاً بأنهم كانوا وراء تأجيج هذا الصراع بين الكُرد والأرمن لأهداف سياسية عليا[82].

هنا لابد من التنويه إلى أن الحكومة العثمانية قد تعاملت مع مشكلة الأراضي بسياسة الكيل بمكيالين، فمن جهة دعمت الأرمن لاسترجاع أراضيهم، ومن جهة أخرى حاربت العوائل الكُردية التي كانت هي بدورها قد فقدت أراضي في عهد الحكومات العثمانية السابقة، وأبرز مثال على ذلك هو حسين بدرخان بك، فعند محاولته إرجاع بعض ممتلكات والده في جزيرة بوتان جوبه بمقاومة من الحكومة ضده، التي كانت تخاف من عودة النظام القديم، خصوصاً بعد اندحار إبراهيم باشا الملي في بداية العام 1909[83].

يمكن القول بناءً على ما سبق: إن أحد أهم أسباب معاداة الكُرد للحركة الدستورية (المشروطية) هو أنهم رأوا فيها تحالفاً بين الأتراك والأرمن لحكم كُردستان، وسحب البساط من تحت أقدامهم، وليس لأن الكُرد شعب غير متحضر ولا يعرف ماهية هذه الحركة[84]؛ فإن الكُرد كبقية الأمم في الدولة العثمانية استبشروا بهذه الحركة، ويظهر هذا الأمر جلياً على صدر صفحات مجلة كُرد تعاون ترقي[85]، ولكنهم ما أن وجدوا انحياز الأتراك بصفتهم أصحاب السلطة الحاكمة إلى الأرمن حتى أصابهم الشك في أمرها، وأثبتت أعمال الحكومة العثمانية الجديدة في كُردستان صدق شكوك الكُرد بخصوص الحركة المشروطية، وهذا ما ظهر واضحاً في كتاب سعيد النورسي[86] المعنون (مناظرات أو رجتة [راجيت] العوام)، الذي طبع في استانبول عام 1911[87].

فبعد أن برّأت المحاكم العثمانية سعيد النورسي من التهم الموجه إليه، بتهمة اشتراكه في حركة نيسان/ ابريل 1909 الانقلابية، هاجر إلى كُردستان وقام برحلة بين الكُرد الرحّالة الهرتوشيين (الارتوشيين) وبالتحديد بين أفخاذها

(كودان، ومامخوران، وهاجان) في ولاية وان، وقد اجتمع هناك بالعديد من رجال القبائل الكُردية، وطرحوا عليه أسئلة بخصوص الدستور وجمعية الاتحاديين والأرمن، وقد طرح عليهم بدوره بعض الأسئلة، وبعد أن رجع إلى استانبول قام بطبع هذه المناقشات والحوارات في كتاب مستقل، كما مر، ومن خلال ما ورد فيها من طرح أسئلة من جانب رجال القبائل الكُردية وأجوبة سعيد النورسي، يقرب الباحث والقارئ بشكل أفضل إلى الواقع الحقيقي في كُردستان.إنَّ أبرز الأسئلة التي وجهت إلى النورسي، بعد أن شرح لهم محاسن الحرية والحركة المشروطية، كانت بخصوص الأرمن، حين قالوا له: «فحينئذ صدقنا أن الحرية حسْناء، لكن حرية الأرمنيين شوْهاء تحوّجنا إلى التأمل، فما رأيك فيها؟»، وكان جواب النورسي في جزأين، حيث أجابهم أولاً: «ما حريتهم إلا أن لا يظلموا أو لا يخل راحتهم، فهذا شرعي!.. وأما ما زاد: فإما تجاوز منهم مقابلة لتجاوزكم الوهمي، وإما استفادة اغتنموها من جهالتكم»، أما الجزء الثاني من جوابه فجاء على الشكل الآتي: «لو كانت حريتهم كما تظنونها مضرة بنا فلسنا معاشر المسلمين بخاسرين.. لأن الأرمنيين الذين بيننا لا يبلغون ثلاثة ملايين.. وغير المسلمين فينا لا يبلغون عشرة ملايين.. مع أن ملتنا وإخواننا الحقيقية مقدار ثلاثمائة مليون؛ وهم مقيدون بثلاثة قيود، أو بقيدين، أو بقيد ونصف تحت تضييق الاستبداد المعنوي وإسارة الأجانب.. فما حرية غير المسلمين فينا إلا وهي مقدمة لحرية ملتنا فيهم.. ورشوة معنوية لدفع ذلك الاستبداد المعنوي عليهم وعلينا.. ومفتاح لتلك القيود في أعناقهم على أرجلنا.. نعم حريتنا معاشر العثمانيين كشافة لطالع آسيا الخربة الخاوية الخالية.. ومفتاح لبخت الإسلامية المنكشفة.. وأساس لاتحاد الإسلام!»[88].

لم يقف رجال القبائل الكُرد في إتحاف النورسي بأسئلة عن الأرمن عند هذا الحد، مما يضفي شعوراً على خوفهم من الدستور لأنهم رأوا فيه

استعلاء الأرمن في كُردستان، ففي سؤال لهم: «كيف نتساوى مع الأرمنيين؟» باعتبارهم غير مسلمين، أجابهم النورسي: «المساواة ليست في الفضيلة والشرف، بل في الحقوق.. والملك والمسكين سيان في الحقوق!.. فيا للعجب! الشريعة التي نهت عن تعذيب النملة والتجاوز على حقها؛ كيف لا تحافظ على حقوق بني ادم، لا سيما أهل الذمة؟!.. ألا تكفي لتصحيح ظنكم وتقويم اعوجاجكم محاكمة أمير المؤمنين علي (رض) مع يهودي فقير.. ومرافعة فخركم صلاح الدين الأيوبي مع نصراني مسكين!». وبعد شرح طويل لحقوق المسيحيين (أهل الذمة) بين المسلمين، يبدو أن الكُرد هناك لم يكونوا منـزعجين من هذه المساواة بقدر ما كانت تمس كرامتهم في أن الأرمن، وحسب السؤال الآتي، كانوا يمنون على الكُرد بأنهم هم من أنعموا على الكُرد بالدستور والحرية. قال رجال القبائل للنورسي في سؤال بهذا الشأن: «حريتهم تشوشنا، لأنهم يتجاوزون الحدود، ويقولون مفتخرين:(إن الحرية والمشروطية بنتيجة سعينا) فنقع في اليأس»؛ أما جواب النورسي فكان على النحو الآتي: «أظن إن تجاوزهم الآن يشفي غيظ مما توهموا منكم من التجاوز الماضي، أو تصنع وتهديد في مقابلة ما يتخيلون منكم من تجاوز سيأتي، فخيالهم كوهمهم باطل، فان اطمأنوا وامنوا بعدم التجاوز؛ ثم كفروا بالعدالة فبقوة الحق نرغم أنوفهم. وأما قولهم نحن استحصلنا المشروطية فهو كذب...، بل عسكرنا وجمعيتنا... هم الذين استحصلوها... وأما هدف مقصد الأرمنيين في الماضي، فما كان إلا البكلك والمختارية وابن عم المختارية، أعني عدم المركزية السياسية، أما الآن فمن مئة منهم اتبعنا تسعون، وعشرتهم يهيمون في أودية الظلمة الماضية»[89].

احتوى هذا الكتاب على أسئلة وأجوبة أخرى عديدة متعلقة بالأرمن في كُردستان، ما لهم وما عليهم، ولكن يظهر أن المسألة الأرمنية قد شغلت تفكير

الكُرد في شمال كُردستان كثيراً، وحسب سؤال رجال القبائل الكُردية يرون في أنهم، أي الأرمن، صاروا أصحاب الكلمة العليا في كُردستان بعد الانقلاب العثماني.

ومما يتعلق بسعيد النورسي والأرمن أيضاً، وما ورد عنه أثناء رحلته إلى دياربكر في خريف العام نفسه، أنه اجتمع بوجهاء المدينة ومثقفيها وتحدث إليهم وخطب فيهم، متخذاً جانب الحيطة في تأكيد ولائه للاتحاديين، عندما حض الكُرد على الوحدة وعلى دفن خلافاتهم: «كُردستان تعود للكُرد والأرمن وليس للترك، والوحدة هي من أعظم المهام في الوقت الحاضر، والحب والمودة هو الأصل والطبيعة الملازمة لتلك الوحدة، إنه لمن الممكن إقناع غير المسلمين بأن وحدتنا تمثل هجوماً على أمراض ثلاثة: الجهل، والفقر، والشقاق»[90].

جـ- الإصلاحات الأرمنية الثالثة

تسارعت عملية انحلال الدولة العثمانية في العهد الدستوري، فلم تمضِ إلا مدة قصيرة من عمرها حتى فقدت معظم ممتلكاتها الأوروبية، ففي 5 تشرين الأول/ أوكتوبر 1908 أعلنت بلغاريا استقلالها التام عن استانبول، وفي غضون ساعات أعلنت الإمبراطورية النمساوية ـ المجرية ضم البوسنة والهرسك إليها، وفي الوقت عينه أعلن الزعماء اليونانيون في جزيرة كريت انضمامهم إلى اليونان، وفي أيلول/ سبتمبر 1911 قامت ايطاليا بغزو ولاية طرابلس في ليبيا؛ ثم أضيفت إلى هذه النكسات حروب البلقان لعامي 1912 ـ 1913، وبعد أن اضطرت الحكومة العثمانية إلى توقيع معاهدة بوخارست في 10 آب/ أغسطس 1913 مع دول البلقان، كانت الدولة العثمانية قد فقدت (7.32 %) من أراضيها و(20 %) من سكانها فأصبحت بشكل مختلف؛ ففي حلول عام

1913 خسر العثمانيون (83 %) من الأراضي الأوروبية، وليس من المفاجئ أن يكون لكل هذا الأمر تأثير واضح في معنويات قيادة جمعية الاتحاد والترقي من جهة، وعلى المشاعر القومية لمعظم الشعوب العثمانية الأخرى، ولا سيما المسيحية منها مثل الأرمن[91].

لم تؤثر هذه الأحداث والوقائع في علاقات جمعية الاتحاد والترقي وحزب الطاشناق فقط، بل على مجمل الأوضاع في المنطقة بصورة عامة، فرغم أن تحالفهم استمر إلى بداية العام 1914، فقد بلغ عدد اللقاءات بين الجانبين حتى منتصف عام 1911 أحد عشر اجتماعاً رسمياً[92]؛ وكان هنالك دائماً عدم ثقة تشوب مسيرة علاقة الجمعيتين، ومما يدل على عدم ثقة الأرمن بالحكومة الجديدة (الحكومة الدستورية) هي إشارة نائب القنصل البريطاني في وان النقيب دكسون في تقريره المؤرخ في 30 أيلول 1908، إلى أن الأرمن لم يكفوا عن سياستهم فيما يتعلق بتهريب الأسلحة سراً إلى عمق الأراضي العثمانية، رغم مضي شهرين على إعادة العمل بالدستور في الدولة العثمانية، وإعلان قادة الأحزاب الأرمنية إنهاء حرب العصابات ضدها[93].

إن أول حادثة هزت تحالف الأرمن والأتراك هي المذابح التي حدثت للأرمن في أضنة خلال شهري آذار/ مارس ونيسان/ ابريل 1909، ففي هذه الواقعة ألقى كل طرف اللوم على الآخر، فمن جهة اتهم الأرمن الاتحاديين بأنهم هم من دبروا هذه المذابح التي راح ضحيتها، حسب المصادر الأرمنية ما بين (20000) إلى (25000) شخص، ولكن الاتحاديين من جهتهم وجهوا اللوم إلى أنصار النظام القديم، نظام السلطان عبد الحميد الثاني، على أنهم هم من كانوا وراء هذه الحادثة المؤلمة، لبداية العهد الدستوري في الدولة العثمانية[94]، ولكن بعد مدة اتهم الاتحاديون في تقرير سري لهم عن مذابح أضنة الأرمن بأنهم هم من بدأوا باستفزاز المسلمين أولاً، وإن أولى عمليات

القتل في هذه المدينة كان ضحاياها من المسلمين، مما أدى إلى رد فعل قوي من جانبهم[95]. المهم في الأمر هو أن الاتحاديين بعد أن سيطروا على الحكم في استانبول في نيسان/ ابريل 1909، وفشل الانقلاب المضاد، قاموا بمحاكمة العديد من الأتراك الذين اتهمتهم حكومة الاتحاديين الجديدة بالوقوف وراء أحداث أضنة، وأمرت بإعدام العديد منهم، كما أُقيل العديد من الموظفين من مناصبهم في الحكومة والإدارة[96]. هذه الإجراءات من جانب حكومة الاتحاديين أقنعت الأرمن بضرورة الاستمرار في تحالفهم رغم بعض الأصوات المعارضة لهذا التحالف لعدم جدواه[97]. كما أن أغلب الجمعيات السياسية والمعارضين السياسيين بعد الانقلاب المضاد لم يفلت من قبضة الاتحاديين سوى الأرمن، فقد أُغلقت جميع الجمعيات التي أسسها سياسيو الشعوب الأخرى ومثقفوها في الدولة العثمانية بعد الانقلاب العثماني في تموز/ يوليو 1908، ودمجوا معظمها بجمعية الاتحاد والترقي، ومنها: الجمعية الكُردية للتعاون والترقي، وأثبتت انتخابات عام 1912 ثبات هذا التحالف بين الأتراك والأرمن[98].

كانت مشكلة الأراضي هي الأخرى أحد الأسباب التي أدت إلى تردي علاقة جمعية الاتحاد والترقي بالأرمن، الذين كانوا يتوقعون من الحكومة العثمانية الجديدة طرد الكُرد من تلك الأراضي التي تعود إليهم، حتى من دون إبراز أية مستمسكات قانونية من جانبهم، ولم تبخل حكومة الاتحاديين بطرد العديد من الإقطاعيين الكُرد، وإرجاع مناطق وقرى عديدة إلى الأرمن ـ كما مر بنا سابقاً ـ رغم ذلك لم يكن الأرمن راضين عن ما حصلوا عليه. ومما زاد الطين بلة هو أن الأرمن حاولوا تحويل قضاء موش إلى منطقة ذات حكم ذاتي واقعة تحت سيطرتهم، واقتطاعها من ولاية بتليس، وهذا ما لم تنفذه حكومة الاتحاديين رغم إعطائها وعوداً بذلك[99]. فضلاً عن أن سياسة

التجنيد العسكري جعلت الأرمن يفرون من هذه الحكومة، وكثيراً ما اشتكى الطرفان من التجنيد العسكري، فالأرمن كانوا يتهمون الحكومة باتباع سياسة قاسية في تجنيدهم، والحكومة تتهم من جانبها الأرمن بالهروب من الخدمة العسكرية[100].

تسارعت وتيرة الأحداث بين الطرفين المذكورين حتى كان عام 1911 حيث ظهرت خلافاتهما إلى العلن، فمن جهة، قامت بعض الصحف الأرمنية بنشر مقالات لأول مرة بعد الانقلاب العثماني تهاجم الأتراك وتطالب بالحكم الذاتي، مما أغضب الأتراك كثيراً وتخوف القناصل الأجانب في كُردستان من أن أي عمل مثل هذا ربما يؤدي إلى وقوع حرب في المنطقة لا تحمد عقباها[101]، ومن جهة أخرى، خرج بعض الاتحاديين عن سياسة المهادنة والتحالف مع الأرمن، وقاموا بمهاجمتهم في العلن، وإن أية سياسة تتبعها الحكومة لمصلحتهم لا تلاقي القبول منهم ويطالبون بالمزيد، ومن هؤلاء الاتحاديين الذين هاجموا الأرمن المشير عثمان باشا قائد الفيلق الرابع العثماني ومفتش الولايات الشرقية العام، حيث كان قد ألقى خطاباً في موش في آب/ أغسطس 1911 هاجم فيه الأرمن، ودافع عن حقوق الكُرد في تملك تلك الأراضي التي يدعي بها الأرمن حسب قوله، وقد أثارت خطبته ضجة سياسية كبيرة، وتبرأ الاتحاديون على الفور من خطابه، وهاجموه على صدر أغلب صفحات صحفهم[102].

ولكن رغم ذلك استمر التحالف بين الطرفين، فعندما جرت انتخابات جديدة لمجلس المبعوثان العثماني في ربيع عام 1912، دخل الأرمن والاتحاديون في تحالف ثنائي، وحصل الأرمن على تسعة مقاعد في المجلس الجديد، اثنان منهم ينتميان إلى لجنة الاتحاد والترقي، وثلاثة من الطاشناق، والبقية كانوا من المستقلين[103].

ازداد التوتر بين الأتراك والأرمن في أعقاب حروب البلقان (1912 ـ 1913)، ويقال إن الأرمن الأتراك كانوا قد خدموا بإخلاص في صفوف الجيش العثماني، إلا أن الحكومة العثمانية لم تغفل عن حقيقة أن واحداً من أهم القادة الأرمن، وهو انترانيك باشا قد انتقل إلى بلغاريا، حيث أخذ ينظم مجموعة من المتطوعين للقتال جنباً إلى جنب مع البلغاريين ضد الأتراك[104].

إثر الاندحار الكبير لجيوش الدولة العثمانية في البلقان أواخر عام 1912، وفقدانها معظم ممتلكاتها الأوروبية سوى استانبول وشبه جزيرة غاليبولي ومدينة أدرنه التي بقيت بيدها[105] بدأ الأرمن في إرجاء الأناضول كافة، يفكرون ملياً في تغيير تحالفهم مع الأتراك والتوجه نحو الغرب من جديد، هنا بدأت المسألة الأرمنية تطفو على الساحة السياسية الدولية من جديد[106]. وعلّق كارو ساسوني على توجهات السياسة الأرمنية في أعقاب حرب البلقان بأنها عادت إلى السياسة الأرمنية القديمة نفسها التي اتبعوها في التسعينيات[107]، وهي: خلق وضع متوتر في شمال كُردستان، يؤدي إلى حرب بين سكانها لكي تهيىء حجة للدول الأوروبية الكبرى للتدخل عسكرياً في شمال كُردستان، وتكوين كيان أرمني هناك.

دخل معظم شمال كُردستان في بداية العام 1913 في ما يمكن تسميته (إنفلات أمني، وفوضى عارمة)، غابت فيها أي هيبة للسلطات العسكرية والإدارية العثمانية؛ وبدأ رجال السياسة والصحفيون يتساءلون فيما إذا كانت تركيا الأسيوية ستحافظ على وحدتها، كما انتشرت شائعات في بداية العام 1913 بأن تقسيم الأناضول بات مسألة وقت ليس أكثر[108]. وقد رأى الأرمن نتيجة حرب البلقان مثالاً للقتال والنضال من أجل الحرية، وأن ذلك يعد فرصة للعمل، وقد زادت تحركاتهم، وظهرت جرائدهم مرة أخرى في أوروبا وأميركا تدعو إلى النقد والتحريض، وتمني النفس، كما أرسل الأرمن في اليابان

طلبات إلى محكمة لاهاي[109] من أجل التدخل لمصلحة المسألة الأرمنية في الدولة العثمانية، كما ظهر العديد من المقالات في الجرائد المشهورة في الولايات المتحدة الأميركية، تحرض على يقظة الرأي العام العالمي من أجل الإصلاح في (أرمينيا الغربية)، وطالبت الجالية الأرمنية في باريس في عريضة مقدمة إلى رئاسة الجمهورية الفرنسية بإيجاد حل لمشكلاتهم في تركيا، كما وصلوا إلى السفارة البريطانية في استانبول وطلبوا من الساسة البريطانيين في الدولة العثمانية ضمانات للإصلاح طبقاً لمعاهدة برلين[110].

أما الأرمن في القوقاز فقد هاجوا أيضاً للمطالبة بتدخل روسي ضد العثمانيين[111]، وقاد الحملة الأرمنية فيها وكيل البطريركية الأرمنية في اتشميادزين بوغوص نوبار باشا (Boghos Nubar Pasha 1930 - 1851)، حيث فوضته الأحزاب الأرمنية في مؤتمر تفليس الذي عقد في تشرين الأول/ أوكتوبر 1912، العمل من أجل إعادة إحياء الإصلاحات الأرمنية، ومحاولة كسب الرأي العام الغربي إلى جانب مسألتهم من جديد. وقد سافر إلى لندن في كانون الأول/ ديسمبر 1912 لمحاولة التأثير في مقررات مؤتمر لندن، الذي عقد في 17/ 12/ 1912 لبحث تسويات الأزمة البلقانية[112]، وقد انشغل بوغوص باشا طوال عام 1913 في أوروبا لإحياء الإصلاحات الأرمنية، وقد ذكر حينها بأن الأرمن لا يرغبون في الانفصال عن الدولة العثمانية، ولا يريدون احتلالاً روسياً، وإنما يطالبون فقط بالإصلاحات في مناطقهم[113].

بادرت روسيا بسرعة إلى محاولة احتواء التحركات الأرمنية في الدولة العثمانية، وكان أكبر مخاوفها أن يتأثر الأرمن في القوقاز بتلك التطورات الحاصلة هناك، فباركت الحكومة الروسية أعمال بوغوص باشا في هذا المجال[114]، ويقال إن الساسة الروس كانوا قد وعدوا بوغوص باشا بتعيينه حاكماً على الإقليم الأرمني في الدولة العثمانية إن تكللت مساعيه بالنجاح[115].

كما أرادت روسيا كذلك الحفاظ على مصالحها في شمال كُردستان وعلى السواحل الجنوبية للبحر الأسود، وقامت بتنبيه استانبول عدة مرات بأن ليس لها الحق أن تمنح حق امتياز لسكك الحديد، أو أي امتياز من نوع آخر، قرب حدودها في الأناضول إلا بعد ضمان موافقتها، ولم تكن روسيا قادرة على الدخول عسكرياً في الأناضول، لوجود ألمانيا التي ازدادت مصالحها في هذه المنطقة، لذلك كانت السياسة الروسية أثناء فترة 1912 ـ 1914 في الأناضول هي: ضمان منطقة نفوذ في الأناضول في حال تجزئة الدولة العثمانية[116].

مهد وزير الخارجية الروسية سازانوف (Sazonov) لإحياء الإصلاحات الأرمنية في شمال كُردستان عبر طريقين، الأول: تهديد الدولة العثمانية عن طريق كايرز(Giers) سفير روسيا في استانبول، بضرورة وقف الاعتداءات الكُردية على الأرمن، كما لوح بالتدخل عسكرياً إن استمر الوضع على حاله؛ ثانياً: طرح إحياء الإصلاحات الأرمنية طبقاً لأحكام المادة (61) من مؤتمر برلين، على دول الوفاق الثلاثي(روسيا، بريطانيا، وفرنسا)[117]، ومحاولة الحصول على دعمهما قبل الإقدام على تنفيذه[118]. لم يتم تداول المسألة الأرمنية في مؤتمر لندن في شهر كانون الأول/ ديسمبر 1912، وقررت الدول الثلاث (روسيا، وبريطانيا، وفرنسا)، بناءً على الاقتراح الروسي تفويض سفرائها في استانبول لبحث هذه المسألة، دون إشراك أية دولة أخرى؛ حتى الدولة العثمانية نفسها لم يسمح لها بالاشتراك في مؤتمر السفراء الثلاثة، الذي عقد في استانبول في 8 كانون الثاني/ يناير 1913، واستمر إلى يوم (23) من الشهر نفسه[119].

قدم السفير الروسي مشروع الإصلاحات الأرمنية إلى سفيري بريطانيا وفرنسا، وكان المشروع الروسي للإصلاح قد وضعه المحامي المشهور والمترجم الأول في السفارة الروسية في استانبول ماندلستام (Mandelstam)،

وقد احتوى على (22) مادة، وسمي بـ(مشروع الإصلاحات الأرمنية)، ونصت المادة الأولى منه على تشكيل ولاية أرمنية من الولايات الست (أرضروم، وان، بتليس، دياربكر، خربوط، سيواس)، وجاء في مادته الثانية: «ينبغي أن يكون الحاكم العام لولاية أرمينيا من الرعايا المسيحيين العثمانيين، ويحسن أن يكون أوروبياً يعينه جلالة السلطان لمدة خمسة أعوام، وتقره الدول العظمى»، أما المادة الخامسة فقد جاء فيها: «يتساوى عدد الأعضاء المسلمين والمسيحيين في مجلس الولاية»، أما القوة العسكرية والشرطة التي يجب تشكيلها لحماية هذه الولاية فقد تناولتها المادة الحادية عشرة وجاء فيها: «تؤلف قوة من الشرطة والجندرمة في الولاية ويكون نصف المجندين من الأهالي المسلمين والمسيحيين»، وتناولت المادة الثانية عشرة موضوع الفرسان الحميدية حيث ذكرت: «يؤدي المجندون الذين هم من أهالي الولاية خدمتهم العسكرية في الولاية في زمن السلم، وتحل كوكبة الفرسان الخفيفة الكُردية (حميدية سابقاً)». أما ما يخص مشكلة الأراضي فقد جاء ذكرها ضمن المادة السابعة عشرة على النحو الآتي: «تضع لجنة برئاسة الحاكم العام الشروط التي تعاد بمقتضاها الأراضي، التي انتزعت من الأرمن بلا حق، أو يعوضون عنها إما بأراض أخرى، أو بثمنها»[120].

لم تعارض كل من بريطانيا وفرنسا مشروع الإصلاحات الأرمنية الذي قدمته السفارة الروسية، سوى إبداء بعض الملاحظات التي لا تؤثر في جوهر المشروع، فبريطانيا كانت قد وافقت على التخلي عن نفوذها في شمال كُردستان ومعظم أرجاء الأناضول وتركها لروسيا، بعد أن دخل الطرفان في حلف مشترك ضد ألمانيا منذ عام 1907، أما فرنسا فقبلته على شرط عدم المساس بحقوقها ومصالحها الاقتصادية في تلك الولاية الجديدة[121]. وكاد السفراء الثلاثة أن يوقعوا على مسودة مشروع الإصلاحات الأرمنية، إلا أن

دخول ألمانيا في المسألة، ومجيء الاتحاديين مرة أخرى إلى السلطة إثر انقلاب 23 كانون الثاني/ يناير 1913، أجبر السفراء على تأجيل الموضوع لحين الوصول إلى حل يرضي جميع الأطراف[122].

كان الرد الألماني تجاه مساعي السياسة الروسية في المنطقة رداً قوياً فقد أعلن زيمرمان (Zimmerman) المسؤول في الدائرة الخارجية الألمانية أن مصالح ألمانيا تتطلب أن تُستشار بشأن الأناضول، ويعد خط سكة حديد بغداد هو اهتمامها الأول في المنطقة، هذا إذا ما علمنا أن ألمانيا كانت تعد في تلك الفترة الشريك الأقوى والأقرب إلى الدولة العثمانية؛ ومنذ أواخر شهر كانون الثاني/ يناير 1913 بدأت الدبلوماسية الألمانية ـ عن طريق سفيرها في استانبول فانكنهيم (Wangenheim) ـ تعبر عن مخاوفها وتهدد وتعترض «وفي بعض الأوقات كانت تقاريره رائعة، حيث ذكر أن الروس كانوا يسلحون الكُرد للهجوم على الأرمن، وفي تقارير أخرى يذكر شيئاً مختلفاً، وهو أن الروس يشجعون الكُرد والأرمن على التحالف وإعلان التمرد...»[123]. كما اتخذت ألمانيا المسألة الكُردية حجة قوية لها للوقوف بوجه المشروع الروسي؛ ففي الحديث الذي أجراه فون ياغوف سكرتير وزارة الخارجية الألمانية، مع س.ن.سفيربييف السفير الروسي، عندما عبّر عن موقف حكومته الرافض لمشروع الإصلاحات الأرمنية، صرّح بأن الأرمن سيتصرفون تصرف المتحدي، وقال: «إن على الدول الكبرى أن لا تنسى عند دفاعها عن الأرمن مصالح الأكراد أيضاً»[124].

حاولت الحكومة العثمانية من جانبها استغلال هذا الخلاف بين الدول الكبرى، وقدمت مشروعاً للإصلاح في نيسان/ ابريل 1913، وطلبت من بريطانيا الإشراف عليه إلا أن بريطانيا لم تقبل بهذا العرض العثماني دون الحصول على الموافقة الروسية، وهذا ما لم تستطع الحكومة العثمانية أن

تضمنه، لذلك فشلت المساعي التركية وترك الأمر مرة أخرى للدول الكبرى، لكي تناقشه في مؤتمر لندن الذي عُقد في 30 أيار/ مايو 1913، لبحث تطورات الأزمة البلقانية[125].

أسند مؤتمر لندن إلى سفراء الدول الأوروبية الست في استانبول، الذين كانوا قد شاركوا في مؤتمر برلين وهي (روسيا، وبريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، وإمبراطورية النمسا ـ المجر، وايطاليا)، موضوع البت في أمر الإصلاحات الأرمنية، وقام السفراء الستة بدورهم بتشكيل لجنة لدراسة المشروع الروسي، ولم يتم التوصل طوال صيف 1913 إلى نتيجة ملموسة وذلك بسبب الخلافات الروسية الألمانية[126]. فقد واجه المشروع الروسي للإصلاح مقاومة عنيفة على لسان المندوب الألماني يسانده زميله النمساوي، وقد أظهر الاثنان تحمساً شديداً لمصلحة السيادة التركية المهددة، حسب رأيهم بالمشروع الروسي، ولم تتوصل اللجنة إلى نتيجة ملموسة، وكان الهدف الألماني وراء هذه المعارضة هو ضمان مصالحها في الأناضول، وبدأت سفارتا روسيا وألمانيا بوضع برنامج إصلاحات مخفضة يكون موضع قبول لدى الجميع[127]. وبالنسبة إلى الباب العالي فقد عارض البرنامج المخفض أيضاً، وبعد عراقيل طويلة رضخت الحكومة العثمانية إلى واقع الأمر، بعد اتفاق روسيا وألمانيا على مشروع الإصلاحات المخفضة، واتفق الطرفان على النص النهائي لمشروع الإصلاحات الأرمنية في 8/ 2/ 1914 الذي وقعه الممثل الروسي جلكيفتش (Gulkevitch) ممثل الدول الست، والصدر الأعظم سعيد حلمي باشا عن الحكومة العثمانية[128].

وحسب المشروع الجديد فقد قُسّمت ولايات شرق الأناضول وشمال كُردستان إلى إقليمين، على أن يتم تعيين مفتشين أوروبيين على رأس هذين الإقليمين، وبصلاحيات عامة وواسعة، وشمل الإقليم (أ) ولايات (أرضروم،

وطرابزون، وسيواس)، أما الإقليم (ب) فضم ولايات (وان، وبتليس، وخربوط، ودياربكر)، حيث يقوم كل مفتش منهما بإدارة أحد الإقليمين، ويكون مسؤولاً عن إدارة المنطقة مدنياً وعسكرياً. ومن أجل الحفاظ على الأمن وتطبيق مهامه، فباستطاعته طلب تعيين قوة إضافية في أية منطقة يرى أنها بحاجة إلى ذلك، وتكون القوات العسكرية والشرطة تحت إمرته، وبإمكانه عزل أي موظف من موقعه أياً كان، إذا كان غير مُؤَهّل لإشغال ذلك الموقع، أو كان مقصراً في أداء واجباته، وبإمكانه أيضاً تعيين وتبديل الموظفين الصغار، أما بالنسبة إلى الموظفين الكبار فتعينهم استانبول، ولكنه يستطيع إبداء الرأي والمميزات التي يجب توافرها في الشخص المختار للوظائف المهمة، ويستطيع عزل موظفي القضاء والمحاكم أيضاً، ولكن بعد تبليغ وزارة العدل بذلك، التي عليها الرد على المفتش العام بأقصى سرعة ممكنة، والأوامر والتبليغات تنشر باللغات الثلاث (التركية، والأرمنية، والكُردية)[129]، كما أنه لم يكن هناك أي ذكر لكلمة (أرمينيا) أو (أرمن) في المشروع الجديد[130].

أما بخصوص الفرسان الحميدية فقد أخذت حيزاً كبيراً في المشروع الجديد، واتفق الموقعون بشأنها على أن: «تحول كتائب الحميدية إلى قوة احتياط، وتبقي أسلحتها في المستودعات الحربية، ولا تصرف إلا في وقت التعبئة أو المناورات، وتكون الكتائب تحت قيادة القائد الموجود في الإقليم، وفي زمن السلم ينتخب قادة الكتائب، والفصائل، والسرايا، من الضباط العاملين في الجيش العثماني الشاهاني، ويقضي رجال هذه الكتائب عاماً واحداً في الخدمة العسكرية، وعليهم أن يأتوا إلى الكتيبة بخيلهم وسروجهم تامة، وكل رجل بقطع النظر عن نسبته ودينه، يكون في دائرة التجنيد هذه وتتوافر فيه الشروط السابقة، يمكن إلحاقه بالكتائب السالفة الذكر، وفي زمن الحرب والمناورات يعاملون معاملة الجنود النظاميين»[131].

وقد وضع قانون آلية اختيار مجالس المحافظات وصلاحياتها منذ 13 آذار/ مارس 1913، حسب مبادئ المشاريع التي فرضتها الدول الغربية على الدولة العثمانية، وبحسبها يُجرى تعداد سكاني في كلتا المنطقتين، وبإشراف المفتش العام شخصياً، وأن لا تتأخر عملية الإحصاء سنة كحد أقصى، ثم تحدّد نفوس السكان، ودياناتهم، وقومياتهم، ولغاتهم؛ وبالاعتماد على هذه العملية تُشكل المجالس والإدارات المحلية. فمثلاً المجلس العام في ولايتي بتليس ووان، وحسب المشروع الجديد سوف يتشكلان مناصفة ما بين المسلمين والمسيحيين، وإذا لم تنتهِ عملية الإحصاء في ولاية أرضروم خلال سنة، عند ذلك تعتمد مشاركة جميع القوميات في تعيينات المجلس العام للمدينة[132].

اتفق كلا الطرفين الأوروبي والدولة العثمانية على ضرورة تعيين مفتشين أوروبيين على الإقليمين المذكورين، على أن لا يكونا من الدول الأوروبية الكبرى، لذلك عُيّن الموظف المدني الهولندي أل. سي. ويستنينك (L.C Westenenk) في منصب المفتش العام لإقليم (أ) الذي يضم الولايات (أرضروم، وطرابزون، وسيواس)، واختير الضابط النرويجي نيكولاس هوف (Nikolas Hoff) لمنصب المفتش العام لإقليم (ب) الذي كان يضم ولايات (وان، وبتليس، ودياربكر، وخربوط)[133]. سافر المفتشان إلى استانبول في أواخر شهر نيسان/ ابريل 1914، لدراسة المسألة عن قرب قبل استلام مهام عملهما، وفي بداية الصيف من العام نفسه وصل هوف إلى مدينة وان، ورحب به (الفدائي) الأرمني المشهور أشخان بالقول له: «أنت المسيح الذي انتظرناه طوال السنوات الخمس أو الست الماضية»[134]، وكان ويستنينك على وشك المغادرة نحو أرضروم، ولكن في 28 حزيران/ يونيو اغتيل ولي عهد النمسا فرانسيس فرديناند في سراييفو، فأدّى هذا الحادث إلى إشعال فتيل الحرب

العالمية الأولى[135]؛ ففي 1 آب/ أغسطس أعلنت ألمانيا الحرب على روسيا، وفي الشهر نفسه أعلنت الدولة العثمانية التعبئة العامة في البلاد، بعد ذلك مباشرة طردت المفتشين ويستنينك وهوف، وفي 31 كانون الأول/ ديسمبر 1914، وبعد أن دخلت الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا اتخذت مبادرة أحادية الجانب وهي قيامها بإلغاء مفتشيات الإصلاح[136].

ثانياً ـ الوضع في شمال كُردستان ورد الفعل الكُردي 1912 ـ 1914

أ ـ السياسة الأرمنية

تأثر الكُرد بالوضع الناشئ في شمال كُردستان نتيجة لحرب البلقان وللتحركات الأرمنية، وكذلك لتأزم العلاقات التركية والأرمنية، ولظهور بوادر في تغيير سياسة الأتراك تجاه الكُرد والعودة إلى سياسة السلطان عبد الحميد الثاني القديمة ذاتها، كل هذه المتغيرات نشأت في شمال كُردستان نتيجة لوصول الأرمن إلى قناعة، بعد ما أفضت إليه حرب البلقان، أن حصولهم على نوع من الحكم الذاتي تحت الحكم التركي هو ضرب من المستحيل، لذلك فإن الفرصة سانحة أمامهم لجلب أنظار الدول الكبرى إلى مسألتهم التي بدون دعمها لن يتمكنوا من الحصول على هذا الاستقلال.

أشارت تقارير القنصليات الأجنبية في شمال كُردستان إلى وجود تغيير في سياسة الأرمن، وظهور بوادر معارضة أرمنية ضد الأتراك لأول مرة بعد الانقلاب العثماني في تموز/ يوليو 1908، حيث ألقى القنصل الروسي في بتليس (تاشاراكوف) في تقريره الدقيق والمطول، بتاريخ 24/ 12/ 1912، الضوء على تأثير حرب البلقان في مجمل الأوضاع في شمال كُردستان، وكيف أن هذه الحرب قد أدت إلى تغيير موقف الأرمن من الأتراك؟ فيذكر

تاشاراكوف أنه لا يمكن نكران تأثير حرب البلقان على المنطقة، حيث ولد عند المسلمين في بتليس شعور بالاشمئزاز والنفور، ليس فقط ضد السلافيين وإنما ضد المسيحيين بشكل عام، كما أدى ذلك إلى إثارة الأرمن، وجدّد لديهم الأمل بمستقبل أفضل خارج نطاق الهيمنة التركية. إن هذه المعلومات والدعايات التي نشرها الأرمن حول احتلال روسيا لـ: وان، وبتليس، وأرضروم، أدت إلى وقوع أحداث كبيرة بين الأرمن والأتراك، وبدا واضحاً أن الأرمن سيكونون ضحية لخسائر الدولة العثمانية في البلقان. وقد وصل العداء التركي الأرمني إلى مرحلة خطيرة جداً عندما وصلت أخبار قرب دخول البلغار إلى العاصمة استانبول، ولذلك لم يكن المسلمون هنا ليستطيعوا احتواء غضبهم على المسيحيين، في حين لوحظ عند الأرمن شعور بعدم الاكتراث، كما أن هؤلاء الأرمن «حسب ما سمعنا قاموا بتقاسم أراضي المسلمين مفترضين وصول الجنود الروس، وانسحاب المسلمين نحو الجنوب وترك ممتلكاتهم»[137]، ويضيف القنصل الروسي إنه سمع أيضاً، أن الأرمن قد قدموا شكوى للوالي ذكروا فيها أنهم لم يعودوا يستطيعون العيش مع الأتراك، الذين أعربوا من جانبهم ـ أي الأتراك ـ عن نفاد صبرهم تجاه الأرمن في الولاية، فإن ازدياد التوتر والعداء هنا مربوط بتطورات الحرب في البلقان «وإذا ما استمر الوضع على هذه الوتيرة فيمكن التوقع بأنه وتحت أية ذريعة سينفجر التطرف الإسلامي في هذه الولاية ضد الأرمن»، كما أن لجنة طاشناق زيتون تعمل من أجل تأجيج الرأي العام الأرمني، وقد عملت، أي هذه اللجنة على خلق أجواء عدائية بين المسلمين والأرمن مما قد يؤدي إلى تصادم الطرفين، وذلك من أجل تهيئة أرضية مناسبة لدخول الجيش الروسي كطرف في المسألة، ثم احتلال المنطقة، وقد عملت لجنة طاشناق زيتون على تبني جمعية الطاشناق، في مؤتمرها المقبل لمثل هذا الأسلوب لنيل أهدافهم

القومية، وقد كانوا متحمسين لشعارهم الجديد وهو: «إجلب الروس إلى هنا»[138].

وللوصول إلى هذا الهدف قال القنصل الروسي: «لجأ الطاشناقيون إلى وسائل مختلفة، وعملوا جاهدين على إحداث تصدع بين الأرمن والمسلمين، وخصوصاً مع القطعات العثمانية، وهكذا نجد أن أفراد اللجان الطاشناقية في بتليس وموش زرعوا الرعب وسط الشعب، وقاموا بدفع الأرمن إلى غلق محلاتهم في الأسواق، وقاموا بعد ذلك بتسليح عصابة من الثوريين في شهر تشرين الأول/ أوكتوبر والثاني/ نوفمبر، وقاموا بقتل عدد من الكُرد، وذلك انتقاماً لموت رافاييل مفتش المدرسة الأرمنية في طاشناق زيتون، وإن ذلك كله لا يهدف إلا إلى إيجاد جو تصادمي بين المسلمين والطاشناقيين، وهكذا سيقوم المسلمون بمهاجمة القرى الأرمنية، مما سيؤدي إلى تدخل الجيش الروسي». لا يقف القنصل الروسي عند هذا الحد في إظهار تغيير السياسة الأرمنية في المنطقة، والأعمال التي تقوم بها لجانهم الحزبية لجلب أنظار الدول الكبرى إلى مسألتهم، فيذكر أن وجهاء الأرمن الطاشناقيين أعلنوا أنهم سيرتكبون خطأً جسيماً إذا لم يستغلوا الوضع الحالي، لجلب الروس إلى هنا، وإن الأرمن في المدن والأرياف كان لديهم شعور معين تجاه روسيا، وقد عبروا مرات عديدة بأن الحكومة التركية غير قادرة على إعادة النظام والقانون والرخاء إلى هنا، ولذلك عرض الكثير من الأرمن، اعتباراً من هذا الوقت، كنائسهم للجنود الروس، لتنصيرهم في المعابد الأرثوذكسية، وأدّت انتصارات الحكومات السلافية في البلقان إلى أفراح واسعة وكبيرة بين الأرمن، وبنوا آمالهم في أنهم سينقذون من تركيا. إن الأرمن الذين كان لديهم شعور بالانتقام بسبب المآسي يعدون اندحار الأتراك بأنه فضل من الله، انتقاماً لما لاقوه على أيديهم، كما أنهم قد استنتجوا بعد مقارنة أوضاعهم في تركيا

والقوقاز أنهم لن ينتظروا بعد الآن الجميل ولا الحرية تحت الهيمنة التركية، وأن الحرية ستأتي مع الجيوش الروسية عندما تقوم باحتلال بتليس، وأن الأرمن الآن قد ولوا بوجوههم نحو روسيا بعد أن تضايقوا من الانكليز وعقم إصلاحاتهم في المنطقة[139].

يظهر من هذا التقرير لقنصل روسيا في بتليس، فضلاً عن بعض التقارير الأخرى له حول الموضوع نفسه[140]، كيف أن الحرب في البلقان قد أثرت في الأرمن، الذين قاموا بتغيير مواقفهم السياسية، وأدى هذا التغيير في موقفهم إلى التأثير في مجمل الأوضاع في شمال كُردستان.

لم تختلف تقارير القنصليات البريطانية عن مثيلاتها الروسية في إبراز هذا التغيير المفاجئ في السياسة الأرمنية في شمال كُردستان، وقيامهم ببث الدعايات عن قرب تفكك الدولة العثمانية وقيام دولة أرمنية في شمال كُردستان. ذكر نائب القنصل البريطاني في وان جي. مولينيوكس سيل (J.Molyneux Seel)، بتاريخ 4/ 4/ 1913 في تقرير له تحدّث فيه عن التطورات السريعة للوضع في شمال كُردستان في أعقاب حرب البلقان قائلاً"... لا يمكن القول إن الوضع العام يخلو من القلق، فما أن يمرَّ يومٌ بصعوبة حتى تروّج الشائعات المغرضة في الخارج مثل: إن الأتراك يقومون الآن بصناعة القنابل، وإن الأرمن قد أصبح لديهم مدافع رشاشة وحتى مدفعية ثقيلة، وإن الروس قد أرسلوا (3000) بندقية ومدفع للنسطوريين، وإن كذا شخصاً قد اغتيل، وإن المجازر على وشك الحدوث في كذا مكان، وإنه شُوهدت طائرة روسية تحلق فوق المدينة وهلم جرا. فجميع هذه الشائعات لا أساس لها من الصحة، إلا أنها تهدف إلى خلق حالة خطرة من الشعور بين السكان؛ فمن الممكن الاعتقاد بأن هذه الشائعات تهيأ في الخارج بنيّات خبيثة [يقصد هنا روسيا] وهي إلى حد ما ناتجة عن العلاقات الحالية المتشنجة بين

العناصر المختلفة للسكان...إن الأحداث الأخيرة في أوروبا انعكست بشكل يتعذر تجنبه على توسيع الهوة بين الأرمن والأتراك، ومهما كان نوع الطموح الذي يحمله الحزب الطاشناقي فليس ثمة شك سوى أن الجماهير الأرمنية في هذه الولاية تتأمل لا لمجرد الإصلاحات، بل تتطلع للتخلص من قبضة الحكم التركي»[141]. وأشارت تقارير أخرى للقنصلية البريطانية في أرضروم، تعود إلى شهر حزيران/ يونيو من العام نفسه إلى أن الأرمن يبثون دعاية في شمال كُردستان مفادها: قرب سقوط الدولة العثمانية[142].

بجانب هذه الدعاية الأرمنية في شمال كُردستان زاد الأرمن من نشاطهم في تهريب الأسلحة سراً إلى شمال كُردستان وخصوصاً الطاشناقيين، وطبقاً لنائب القنصل البريطاني في وان أيان سميث (Ian Smith) فإن حزب الطاشناق قد قام بصورة سرية باستيراد الأسلحة خلال عام 1913، وقام بتوزيعها بين أتباعه. قال سميث: «لقد رأيت الأرمن وهم يحملون الأسلحة بصورة علنية في مناطق من البلاد، وإن عدداً لا بأس به من السكان قد وضعوا معلومات معروفة عن الأنواع المختلفة عن البندقيات وآلياتها... ويقال إن الأرمن في ولاية وان هم الآن مسلحون بصورة أحسن من الكُرد؛ لقد حصلوا على عدد من البنادق الحديثة، فضلاً عن عدد قليل من البنادق المارتين، والتي كانت الحكومة قد وزعتها على كل قرية». كانت سياسة الطاشناق،كما يقول نائب القنصل، هي: «جعل الأرمن في الولاية في وضع يستطيعون الوقوف به أمام المسلمين إذا ما دعت الضرورة»[143]، وفضلاً عن الأسلحة الخفيفة امتلك الأرمن قنابل أثارت هلعاً بين عامة الناس في شمال كُردستان[144]، ومن جانبها ألقت السلطات العثمانية في مرات عديدة القبض على مهربي الأسلحة من الأرمن[145].

ومن الأساليب الأخرى التي اتبعتها الأحزاب الأرمنية، لجلب أنظار

الدول الكبرى إلى مسألتهم من جديد، هي إمداد القنصليات الأجنبية في شمال كُردستان بشكاوى كثيرة ضد الانتهاكات الكُردية؛ فبعدما كانت الشكاوى الأرمنية قد اختفت ما بين أربع إلى خمس سنوات بعد الانقلاب العثماني في تموز/ يوليو 1908، ها هي الشكاوى الأرمنية تظهر من جديد في أعقاب حرب البلقان مباشرة، فقد وصل إلى القنصليات البريطانية منذ بداية عام 1913 عدد كبير من الشكاوى الأرمنية تعود لشهور نيسان/ ابريل، وحزيران/ يونيو، وآب/ أغسطس، وأيلول/ سبتمبر[146]. فمثلاً قدم القس الأرمني في موش إلى القنصل البريطاني في أرضروم موناهان (Monahan) في 25/ 8/ 1913 عريضة طويلة شكا فيها من الظلم الواقع على الأرمن هناك من الجميع، وخصوصاً من القبائل الكُردية، فيذكر أن أرمن ساسون، وخويت، ومودیکان، هم تحت استبداد القبائل الكُردية، بل أصبحوا تقريباً عبيداً لهم، وأنهم أي الأرمن مجبورون على إعطاء الكُرد نصف محصول الأرض، وإنهم يدفعون ضرائب للكُرد عن حيواناتهم وزبدتهم، وهم مجبرون أيضاً على كل أنواع العمل للآغوات الكُرد، فعلى سبيل المثال: جني الحقول، والبساتين، وجمع أوراق الأشجار، وبناء البيوت، وجلب الحطب من الجبال، وحتى لو رغب الأرمني بالزواج فعليه أن يقدّم هدية إلى الآغا ليوافق على الأمر، ونشاهد في بعض الأماكن إن الأرمن يحاولون التخلص من هذا الاستبداد وهذه الضرائب، فالكُرد الذين يتلقون النصح والإرشاد من المسؤولين الأتراك يحاولون تشتيت الأرمن عن طريق الاستيلاء على جميع أراضيهم؛ فالمحاكم والمسؤولون يساعدون الكُرد بإصدار أحكام في مصلحتهم؛ ثم ذكر القس الأرمني أمثلة وعدداً كبيراً من الاعتداءات الكُردية على الأرمن، وأضاف: «إن الأغلبية من الكُرد في هذه المنطقة هم من الخارجين عن القانون، فهم لا يؤدون الخدمة العسكرية ولا يدفعون الضرائب، وهم يعيشون على السلب

والنهب، فالحكومة العثمانية غير قادرة عليهم، أو إنها لا ترغب في وضع حد لهم من أجل ضمان أمن الأرمن»[147].

وأشارت تقارير أرمنية أخرى مقدمة من خربوط والمناطق الأخرى، إلى أن الأرمن الذين يئسوا من فكرة مشاهدة ترسيخ الأمن والنظام بدأوا يهاجرون بأعداد كبيرة، وذكر هاريس(Harris) نائب القنصل البريطاني في دياربكر وخربوط بأن نصف منازل الأرمن تماماً في المدينة خالية ومقفولة فقد غادر أصحابها البلد، وقد قدّم البطريرك الأرمني أركاروني(Archarouni) استقالته احتجاجاً على العديد من الحوادث بسبب عدم استطاعته ضمان إنصاف الشكاوى التي يقدمها لأبناء قومه[148].

تظهر هذه التقارير أن الأرمن اتبعوا الأسلوب نفسه، الذي ساروا عليه خلال الحرب الروسية العثمانية 1877 ـ 1878، وكذلك في بداية تسعينيات القرن التاسع عشر، عندما أرادوا جلب جيوش إحدى الدول الكبرى إلى شمال كُردستان، ومن الجدير بالذكر هنا أن التقارير الأرمنية أشارت إلى هجرة أرمنية واسعة إلى القوقاز هرباً من الظلم الكُردي خلال عامي 1913 و 1914، وإذا كان الأمر صحيحاً فمن الذي قُتِل خلال الحرب العالمية الأولى. لقد ذكروا في تقاريرهم قبل الحرب العالمية الأولى أن قراهم وبلداتهم صارت خالية من السكان، لذا فإن الذين قُتلوا من الأرمن في الحرب هم ليسوا من أرمن شمال كُردستان، لأنها كانت خالية منهم بالاعتماد على تقاريرهم وشكاويهم قبل الحرب بمدة قصيرة جداً، كما أن الأتراك هنا وإن كانوا يحرّضون الكُرد على الأرمن بدءاً من منتصف العام 1913، إلا أن جمعية الاتحاد والترقي لم تغيّر من سياستها نحو الأرمن حتى منتصف العام 1914، كما سيأتي الحديث عن هذا الأمر لاحقاً.

وفضلاً عن ذلك فقد أشار القنصل البريطاني موناهان نفسه، عندما قام

بزيارة إلى أرضروم، في تقرير له بتاريخ 10/ 11/ 1913 بأن الأرمن في هذه المنطقة حقيقة لا يشتكون من الوضع الأمني السيئ الحالي، وإن تقارير الجريمة التي نشرت في الصحافة الأرمنية هي مبالغ فيها كثيراً[149]، وإن الذي يقوم بتعكير الوضع الهادئ بين الأرمن والكُرد هي الحكومة العثمانية[150]؛ ثم تطرّق القنصل إلى ذكر حسين باشا الحيدران وقال بشأنه: «إنه الآن أغنى من أي وقت مضى، حسين باشا لا يبدو ـ كما سمعت حتى الآن ـ أنه من المالكين المضطهدين في هذا الوقت، فقبل عشرين سنة قام ببناء صف من الدكاكين في القرية، وهو أمر نادر أن يحدث في قرية، والدكاكين الآن مزدهرة اقتصادياً، فقد عهد بها إلى أحد الأرمن لإدارتها على أساس تقاسم الأرباح»[151].

صاحبت هذه الشكاوى ضد الكُرد في شمال كُردستان حملة دعائية أرمنية ضدهم على المستوى الدولي أيضاً، وهذا ما نلمسه في بعض المواقف الكُردية، منها مقالة لخليل خيالي[152]، المعنونة (فاعتبروا يا أولي الأبصار) التي نشرتها مجلة (هتاوى كُرد) في عددها الثاني الصادر في 4 كانون الأول/ ديسمبر 1913، انتقد فيها كاتباً أرمنياً يدعى (ارشاق جوبانيان) كان قد ألقى محاضرات عن علاقة الكُرد والأرمن في سويسرا، ووصف الكُرد بأنهم متخلفون وجهلة، وطبع هذه المحاضرات على شكل كتاب تحت عنوان (ماضي ومستقبل التربية الاجتماعية للأمة الأرمنية) وردَّ عليه خليل خيالي بأن هذا الأمر ليس صحيحاً، حيث توجد بين الكُرد مدارس عديدة، وأن جوبانيان يقوم باستغفال الناس في أوروبا بهذا الخصوص[153]. كما أشار زنار سلوبي في مذكراته إلى تأثير هذه الدعاية الأرمنية ضد الكُرد في الأوروبيين، فيذكر أنه عندما كان طالباً في لوزان السويسرية في عام 1913 علم صاحب جريدة (جازيت دي لوزان) بأن كُردياً يسكن في أحد البانسيونات، لذلك جاء صاحب الجريدة خصيصاً لكي ينظر إلى هذا الكُردي، لأنه كما قال سلوبي:

«المعلومات التي يعرفها عن الأكراد [نتيجة للدعاية الأرمنية] تعطي انطباعاً عنهم، وكأنهم وحوش جبلية، دفعته فضوليته للمجيء لمشاهدتي»[154]؛ ثم أضاف سلوبي: إن السيد جاك صاحب الجريدة السويسرية عندما شاهده سيداً مهندماً، ولا يختلف عنه بشيء أدرك أنه ضُلّل بدعاية مغرضة، وقد صرّح بنفسه بأن الافتراءات والدعايات السياسية التي يشيعها عدد من الأرمن ليس لها أي صلة بالواقع؛ ثم جاء سلوبي بمثال عن الدعاية الأرمنية ضد الكُرد في أوروبا شاهدها بنفسه، حيث ذكر أنه حضر محاضرة مع أخيه أكرم في إحدى الكنائس في لوزان، لشخص ادعى أنه مبشر أميركي ولكنه كان أرمنياً ويلبس الملابس الكُردية في أثناء إلقائه لمحاضرته، وأضاف سلوبي: «وبدأ يتحدث [أي الأرمني المتنكر بصفة مبشر أميركي] حول المدة الطويلة، التي قضاها بين الكُرد، الذين يعيشون كالوحوش في الجبال [حسب قوله] ولا يعترفون بأية ديانة؛ ثم وصف الكُرد بعد ذلك بصورة مقرفة، وأخرج فجأة من تحت إبطه نسخة من الإنجيل، ثم صرخ قائلاً: (لكي أتمكّن من طبع نسخة من كتاب الرباني المقدس ونشره بين الكُرد، لا بد من المال...)»، وبعد ذلك أضاف سلوبي أنه قام هو وأخوه أكرم بتوبيخه، بعد انتهاء محاضرته، وقالا له: «أليس عار عليك أن تصف الكُرد بمثل هذه الكلمات البذيئة وتنعتهم بالوحوش»، وانتهى النقاش بين الطرفين بتهديد كل منهما للآخر[155].

ربما يلقي تقرير نائب القنصل البريطاني في وان أيان سميث بتاريخ 10/ 5/ 1913، والبرقية التي ألحقها بتقريره المزيد من الضوء والإيضاحات على توجهات الأحزاب السياسية الأرمنية تجاه الكُرد آنذاك، حيث ذكر نائب القنصل أن الأحزاب الأرمنية بعد أن وحّدت نفسها ضمن حلف برئاسة الطاشناق، واتفقت على نبذ الخلافات والعمل معاً، ارتكز حلفها الجديد هذا على مبدأين هما:

1 ـ تسليح الأمة الأرمنية تحت توجيه الطاشناقيين.

2 ـ إن جميع الأنشطة السياسية المتبعة يجب أن تحظى بموافقة وتصديق جميع الأحزاب[156].

وإن هذا الحلف المتشكل من الأحزاب الأرمنية الطاشناق، والهنشاق، والرامغافار (Ramgavar) كان قد أرسل برقية في 25/ 4/ 1913، من بتليس إلى الصدر الأعظم، كما بعث بنسخة من هذه البرقية إلى بطريركية الأرمن في استانبول، وفيها تهاجم الأحزاب الثلاثة الحكومة العثمانية والكُرد بلغة شديدة اللهجة، بأن الحكومة تلاحق الأرمن لسبب بسيط في حين إن: «..القوانين تطبق فقط من أجل كسب ود المجرمين الكُرد وضرب السكان الأرمن...»[157].

مقابل هذا الاتجاه الأرمني الذي مثلته الأحزاب السياسية الأرمنية كان هناك اتجاه آخر في تلك المدة، ينبه الأرمن إلى تاريخ العلاقات الطيبة بين الشعبين الأرمني والكُردي، وأن على الأرمن عدم معاداة الشعب الكُردي، وإنما توجيه هذا العداء إلى الحكومة العثمانية وإدارتها الفاسدة في شمال كُردستان. وعلى الرغم من قلة المواقف الأرمنية التي أيدت هذا الاتجاه، إلا أن التاريخ حفظ بعضاً منها؛ فمثلاً جاء في إحدى رسائل أسقف موش نرسيس خوراخونيان في تشرين الأول/ أوكتوبر 1912 أنه: «من العبث اتهام الأكراد والشركس أو غيرهم؛ فإن جذور الشر والغدر هي الحكومة التركية، وليس هناك أي فرق حول أي حزب من الأحزاب التي تترأسها سواء أكانوا اتحاديين أم ائتلافيين»[158].

ولكن أبرز من حاول توجيه سهام الأحزاب السياسية الأرمنية نحو الأتراك، وتنبيه الأرمن إلى ضرورة التعاون مع الكُرد في سبيل الوصول إلى حل لمسألتهم، وتذكير روسيا بضرورة إعادة النظر في سياستها تجاه المسألة

الكُردية ودعمها، إن أرادت روسيا نشر نفوذها في شمال كُردستان وحل المسألة الأرمنية هناك، هو بيريسواكي (Beresowaky) مراسل جريدة (القديس بطرسبيرغ بيرجوفسكايا فيديموس)، الذي ألقى محاضرة في 9/ 6/ 1913 في تفليس بعنوان (اختفاء أرمينيا)، وهي ثمرة رحلته التي استغرقت أربعة أشهر في النصف الأول من عام 1913 في وان، وبتليس، ودياربكر، وخربوط، وسيواس، وأرضروم، وقامت بعض الصحف الأرمنية مثل جريدة مشاك بنشر نص هذه المحاضرة بعد ذلك، وقد طرح في محاضرته فكرة هي الأولى من نوعها في تاريخ المسألة الأرمنية، وعلاقة الكُرد بها، كانت تتلخص بـ: «إن حل المسألة الأرمنية تكمن في حل المسألة الكُردية».

يذكر بيريسواكي أن الدولة العثمانية لم تضعفها حرب البلقان بشكل كبير كما يعتقد، بل لا تزال قوية في آسيا، وإنها منذ انتهاء الحرب تقوم بتعزيز عنصرها المسلم المتعصب هناك، وأن هذا التعصب اليقظ ينتشر الآن في القوقاز، حيث أصبحت المسألة الأرمنية مسألة روسية خطيرة؛ ثم قال بيريسواكي: «فالعنصر الأساسي لهذه المسألة هو العنصر الكُردي»[159]، بعد ذلك وجه اللوم إلى روسيا لأنها، وعلى العكس من الإنكليز والألمان، لم تولِ الكُرد اهتماماً جدياً: «الذين هم أحفاد لفاتحين أُصلاء، رغم أنهم غير متحضرين الآن بشكل لا يبعث على الأمل»[160]؛ ثم يتحدث بعد ذلك بشكل مطوّل عن تاريخ الكُرد وعلاقاتهم بالأتراك وثوراتهم وانتفاضاتهم في القرن التاسع عشر، وسياسة السلطان عبد الحميد الثاني تجاههم، والحركة الكُردية في عهد الاتحاديين التي اشتدت بعد حرب البلقان بشكل لافت في معظم أجزاء شمال كُردستان بقيادة كل من (عبد الرزاق بدرخان، وعبد القادر النهري وآخرين)، وقال عنها: «كانت هذه الدعاية والحركة الكُردية موجهة ضد الحكومة التركية، ولكن الآن هناك حركة أخرى تحرضها الحكومة التركية

قد بدأت بين الكُرد وموجهة ضد الأرمن. لقد شاهدت بنفسي عضوين من البرلمان التركي ذهبا بين الكُرد وأخذا يحرضانهم ضد الأرمن، وقام هذان العضوان بتوزيع أوراق كتب عليها أنا مناهض للمسيحيين، وأنا مناهض للأرمن»[161].

وحسب بيريسواكي فإن الإنكليز يدعمون الأتراك في سياستهم تجاه المسألتين الأرمنية والكُردية ولتأليب أحدهما ضد الآخر، وطلب من روسيا دعم الحركة الكُردية التي نشأت في أعقاب حرب البلقان، وذكر بأن: «الشخص الكُردي على الرغم من كونه قاطع طريق، بفضل الظروف التي هيأتها الحكومة التركية، فهو لا يزال يتطلع إلى أمور أفضل، وهو صاحب طبيعة معتدلة وعقلانية»[162]، والآن يتطلع الكُرد إلى الروس لدعمهم ضد الأتراك كما فعلوا في البلقان؛ ثم ينتقل بيريسواكي إلى شرح أحوال الأرمن في الدولة العثمانية وكيف أن جمعية الاتحاد والترقي قد استغفلت الأحزاب الأرمنية الثلاثة الطاشناق، والهنشاق، والديموقراطيين الاجتماعيين (الرامغافار) وجردتهم من حركتهم عن طريق خداع زعمائهم، ليقول بعد ذلك عن مشكلة الأراضي، التي أخذت اهتماماً كبيراً بعد الانقلاب العثماني: «وطبقاً لبعض الصحف الروسية فإن قضية الوضع الاقتصادي السيّىء هي زراعية تماماً، لكنها ليست كذلك، فلا جدوى من إثارة مسألة استرجاع الملكية لأصحاب الأرض الحقيقيين من الأرمن، والتي قام الكُرد بالاستيلاء عليها؛ ينبغي على الأرمن التخلي عن هذه الآمال، فمن غير المجدي التحدث الآن عن إزاحة مليونين ونصف مليون كُردي يمتلكون الآن هذه الأراضي»[163]. وبعيداً عن مشكلة الأراضي يظهر أن أوضاع الأرمن في شمال كُردستان ازدادت سوءاً على يد الحكومة التركية، من حيث أنواع الضرائب التي فرضت عليهم،

والمعاملة غير الإنسانية لهم من جانب الجيش التركي، وعمليات التجنيد العسكري القاسية. وضرب مثالاً عن ذلك بقوله: «قام أحد الأرمن ممن لديه ثلاثة أولاد جنود في الحرب، بزيارة أثناء وجودي عند القائمقام الذي كان يعد رجلاً مثقفاً بشكل جيد، طلب الوالد الحصول على أخبار عنهم قال القائمقام وأنا سمعته:(لا يوجد هناك كلاب كافية في الشوارع، لتأتي أنت وتسألني عن كلاب أخرى)»[164]. وفي المحاكم المدنية أيضاً هناك عدم مساواة واضحة بين الأرمن والعناصر الأخرى في المجتمع العثماني، والأسوأ من هذا كله هو سياسة المصرف الزراعي التركي، التي من خلال السلف الزراعية وحيلها الشيطانية، كما قال، جردت الأرمن من أراضيهم، وكيف أن هذه الأعمال قد أثرت في بنيان المجتمع الأرمني في الدولة العثمانية، لذلك ذكر بيريسواكي: أن على روسيا أن تقوم بنشر نفوذها في شمال كُردستان، خصوصاً بعد فشل السياسة الإنكليزية والفرنسية، وتوجه أنظار الناس على مختلف أعراقهم وأديانهم إلى روسيا، التي يتوجب عليها اعتبار المسألة الأرمنية كأنها مسألة روسية، والمطلوب الآن من الأرمن العقلانية والإجماع، وعدم الاتكال على الإصلاحات التي سوف يطبقها الأتراك؛ ثم اقترح على الساسة الروس تبني المسألة الكُردية، وكيف ستؤدي هذه السياسة في المستقبل إلى حل المسألة الأرمنية كذلك، حيث قال: «إن الجنرالين باسكوفيتش ولازاريف كانا مؤيدين لسياسة ناشطة في أرمينيا [أي: في شمال كُردستان]، فعندما استولى الشيخ عبيد الله على أورمية، فلسوء الحظ رفض البيان الروسي عرض مساعدته، على أساس أنه زعيم لقطاع طرق، أما الإنكليز فلم يكن لديهم مثل هذا الوسواس. يتوجب على روسيا تقديم الدعم المعنوي للحركة الكُردية كما ساعدت منغوليا، وبهذا الشكل نستطيع أن نعطي الأرمن في تركيا الفرصة للتنفس

بحرية. إن الخطر المترتب على الأرمن لا يأتي من الكُرد بل من الحكومة... فهذا هو واجبنا لإنقاذهم [يقصد: الأرمن] من الدمار الذي يهددهم في تلك الأرض الجهنمية لأعضاء تركيا الفتاة...»[165].

ب ـ الرد الكُردي

عكس الحركة الأرمنية التي كانت موجهة ضد الكُرد منذ إعلان الدستور في تموز/ يوليو 1908، كانت الحركة الكُردية التي تطورت كثيراً في أعقاب حرب البلقان موجهة ضد الأتراك وليس الأرمن، وإن كانت المسألة الأرمنية هي إحدى نتائج ظهورها وتطورها، مثل انتفاضة الشيخ عبيدالله النهري؛ فإن الإصلاحات الأرمنية الأولى في شمال كُردستان التي بدأ تنفيذها في عام 1879، كانت من أكبر مسببات اندلاع انتفاضة الشيخ النهري، إلا أن الانتفاضة وجهت ضد الفرس والأتراك، ولم توجه ضد الأرمن، كما مرَّ بنا سابقاً، وكما ذكر بيريسواكي أيضاً أن هناك حركة كُردية واسعة في معظم أنحاء شمال كُردستان، يقودها عدد من القادة الكُرد البارزين أمثال عبد الرزاق بدرخان والشيخ عبد القادر النهري، إلا أن هذه الحركة موجهة ضد الحكم التركي، وليست ضد الحركة الأرمنية أو ضد روسيا «لذا على الأرمن والروس تغيير سياستهما تجاه هذه الحركة الكُردية»؛ كما أشارت تقارير بريطانية عديدة منذ كانون الأول/ ديسمبر 1912 إلى هذه الحقيقة وهي عدم ميل الكُرد إلى الأتراك، وأن علاقاتهم باتت متوترة جداً[166]. قال نائب القنصل البريطاني في وان جَي مولينيكس ـ سيل عن مساعي الحكومة التركية لتوجيه الحركة الكُردية نحو الأرمن وعدم استجابة الكُرد، في تقرير له يعود إلى تاريخ 4/ 4/ 1913 ما يلي: «إن السلطات التركية واعية تماماً لخطر التدخل الروسي، بحيث إنني مقتنع بإنهم لن يسمحوا بأقل مقدار من التحريض، على قيام الكُرد

بمجزرة ضد الأرمن، إلا أن خطر الكُرد في مبادرتهم على القيام باضطرابات مثل الحركات الموجهة ضد الحكومة التركية، بشكل أكبر من توجيهها ضد السكان المسيحيين هو موجود فعلاً»[167].

أشار السير جيرالد لوثر سفير بريطانيا في استانبول في رسالة إلى وزير الخارجية ادوارد غراي (Edward Grey) بتاريخ 5/ 4/ 1913، التي يلقي فيها جانباً من الموقف الكُردي في شمال كُردستان، حيث قال: «بأنهم يشاهدون الكُرد ساخطين إزاء الحكومة التركية المركزية، ويقال بأنهم ينتظرون احتلال حلفاء البلقان لاستانبول، للانطلاق بحركة ضد الحكومة... وإن الخطر يكمن في محاولة ناجحة للجنة (الاتحاد والترقي) لكي تحرّف ميول المسلمين الكُرد ضد الأتراك إلى قنوات مناهضة للمسيحيين، كما أنهم تمكنوا من الحصول على وثيقة أرمنية هي عبارة عن: مناشدة من أجل احتلال بريطاني لكليكيا وتدويل استانبول والمضايق كوسيلة (لإصلاح إثم مؤتمر برلين)؛ فهذه الوثائق لربما تكون دليلاً على تجدد نشاط الجمعيات الثورية الأرمنية في هذه المناطق، كما أن هناك العديد من المؤشرات أخيراً تدل على أنه منذ انقلاب الثالث والعشرين من كانون الثاني/ يناير[1913]، فإن المشاكل الأرمنية الكُردية بدأت تتنامى بشدة وقد تتطلب معالجة جذرية قريباً»[168].

أدت أسباب عديدة إلى تفاعل الحركة الكُردية منذ أواخر العام 1912 حيث امتدت إلى الحرب العالمية الأولى، وكان أغلبها متعلّقاً بالتحركات الأرمنية في شمال كُردستان، وتحالفهم ـ أي الأرمن ـ مع حكومة الاتحاديين التي اتخذت تدابير قاسية ضد الكُرد ولم تفعل الأمر نفسه مع المتمردين الأرمن، كما أن الخوف الكُردي من سيطرة الأرمن على كُردستان عن طريق الإصلاحات الأوروبية أثارت ذعراً كبيراً لديهم، كما لا يمكن إغفال أن الكُرد رأوا في حكومة الاتحاديين حكومة كافرة وغير شرعية[169].

إثر انتشار أخبار الاندحار الكبير للجيش العثماني في البلقان أواخر عام 1912، ظهرت حركة كُردية واسعة في معظم شمال كُردستان، وعاد المنفيون الكُرد من إيران إلى مناطقهم، وبدأوا يتحركون من أجل تضافر الجهود لإنشاء دولة كُردية، وأبرز المنفيين الذين عادوا كان عبد الرزاق بدرخان، وحسين باشا الحيدران[170].

انقسمت الحركة الكُردية الناشئة بين عدة قيادات أو مراكز قوة، ربما كانت السبب الرئيسي في إضعافها بعد ذلك، وهي:

1 ـ حسين بدرخان في جزيرة بوتان وولاية دياربكر، يسانده بقوة كامل بدرخان[171]، وكانا من ذوي الميول البريطانية.

2 ـ عبد الرزاق بدرخان في أرضروم ووان، وكان ذا ميول روسية.

3 ـ ملا سليم البتليسي، وسيد علي، والشيخ شهاب الدين، في بتليس وكانوا بدورهم يميلون إلى روسيا.

4 ـ حسين باشا الحيدران في أرضروم، وكانت له بعض الميول نحو روسيا.

5 ـ عبد القادر النهري وابنه عبد الله في مسقط رأسيهما شمدينان.

كان الشغل الشاغل لهؤلاء القادة الكُرد هو كيفية توحيد جهودهم، وإخراج الأتراك من كُردستان، والوقوف بوجه الأرمن، وكذلك بوجه مساعيهم في تحويل كُردستان إلى أرمنستان، ومحاولة تأسيس دولة كُردية، وقد أشارت تقارير بريطانية وروسية إلى هذه التحركات الكُردية، فقد اجتمع القادة الكُرد في مؤتمر موسع في أيار/ مايو 1913 في أرضروم، لبحث التطورات التي شهدتها الساحة السياسية في كُردستان ومحاولة توحيد الجهود. وتمخض عنه تأسيس لجنة الإرشاد[172] التي أصدرت بدورها القرار الآتي:

1 ـ بما أن الحكومة العثمانية وافقت إكراهاً على التضحية بالولايات

الست لمصلحة الأرمن، تحت راية الإصلاحات الأرمنية، فمن الضروري أن نحتج على هذه القرارات منذ الآن إلى أن توافق جميع الأعراق الأخرى في البلاد إلى جانب الأرمن على هذا القرار المذكور أعلاه. فلنستخدم قوة السلاح لنطرد المسؤولين العثمانيين من الولايات، والأقضية، والنواحي، ونشكّل حكومة جديدة برئاسة أشخاص تنتخبهم الأمة.

2 ـ لا بد من عدّ الضباط والمسؤولين، الذين يقررون الالتحاق بركب مقاتلينا كإخوة لنا، لكن يجدر قتل كل من يعترض طريقنا، والنظر إلى هؤلاء كخونة للدين، ولأرض الأجداد وللأمة.

3 ـ يجدر قتل كل كُردي يساعد الخونة ومصادرة أراضيه.

4 ـ يجدر إرسال ممثل عن كل عشيرة وناحية إلى مركز الثورة الأساسي الذي سيقرر لاحقاً[173].

5 ـ لا بدَّ من تشكيل حكومة موقتة للبت في مطالبنا وللبت في القضايا جميعها، وحكم الأمة نظراً إلى الوضع القائم في البلاد.

6 ـ إرسال وفد إلى الأوساط السياسية ومجلس السفراء[174] بهدف تعريف القوى العظمى بحكومة كُردستان الموقتة[175].

يبدو واضحاً من نص القرار الأول أن أحد أهم أسباب الحركة الكردية، التي تفاعلت بشكل كبير بعد حرب البلقان هي المسألة الأرمنية، وخوف الكُرد من تنازل الدولة العثمانية عن شمال كُردستان تحت ضغوط خارجية لمصلحة بناء دولة أرمنية، وهذا ما لم يكن يقبله الكُرد، الذين رأوا في فساد الدولة العثمانية وضعفها كذلك سبباً مباشراً حول التضحية ببلادهم لمصلحة الأرمن.

ربما كانت المدة ما بين 1912 ـ 1914 من أكثر الفصول التاريخية الكُردية في العصر الحديث تشابكاً وحبكة، بحيث إنه إلى الآن لم يتفق الباحثون

والمؤرخون حول تطورات الأحداث التاريخية في تلك المدة، ولكن يمكن القول باختصار: إن الخط الأساسي للحركة الكُردية بعد حرب البلقان وحتى اندلاع الحرب العالمية الأولى كان على النحو الآتي:

اتفقت القيادات الكُردية المختلفة على ضرورة الاجتماع في مكان ما للبت في مسألة استقلال كُردستان، وطرد الأتراك من بلادهم، ومواجهة مخاطر المسألة الأرمنية كذلك على مستقبل كُردستان، رغم ظهور بعض الخلافات بين الزعماء الكُرد الذين اجتمعوا في أرضروم في شهر أيار/ مايو 1913، ومنها أولاً: عدم الاتفاق على الشخص الذي سيقود الحركة التحررية الكُردية في هذه المرحلة، وكانت الخلافات على أوجها بين جميع من حضروا الاجتماع؛ ثانياً: الاختلاف على اسم الدولة، التي يجب كسب ودّها لتكون سنداً للحركة الكُردية، فكان عبد الرزاق بدرخان وحسين باشا الحيدران مواليين لروسيا، في حين أن حسين باشا بدرخان كان موالياً لبريطانيا. ولكن على الرغم من هذه الخلافات يبدو أن القيادات الكُردية انتخبت حسين باشا بدرخان لقيادة هذه الحركة، وتمخض عن مؤتمر أرضروم اسم التنظيم الذي أشارت إليه فقط الوثائق الروسية، واقتبس منها الباحثان جليلي جليل ولازاريف هذه المعلومة، والمسمى بلجنة (الإرشاد)[176]، وقامت هذه اللجنة بإصدار القرار الذي أُشير إليه سابقاً، إلا أن هذه اللجنة أصيبت بنكسة كبيرة بعد شهر واحد فقط من تأسيسها، عندما اغتالت جمعية الاتحاد والترقي حسين باشا بدرخان في ظل ظروف غامضة، والتي يبدو أنها كانت تراقب عن كثب التحركات الكُردية منذ استيلائها على السلطة في شهر كانون الثاني/ يناير 1913. بعدها برز نشاط عبد الرزاق بدرخان، الذي يبدو أنه قد أصبح الرجل الأول في لجنة الإرشاد، حيث قام في الأشهر الأخيرة من العام 1913، بتوزيع منشورات موقعة باسمه تدعو باسم اللجنة الكُردية إلى الانضمام إليها للقيام بانتفاضة كُردية شاملة،

وإعلان دولة كُردستان. وكانت حركة ملا سليم البتليسي التي اندلعت خلال شهري آذار/ مارس ونيسان/ ابريل عام 1914، هي ضمن مخططات هذه اللجنة الكُردية، وبانهيارها انهارت الآمال الكُردية في الاستقلال؛ ذكر المؤرخ جليلي جليل ناقلاً عن مجلة (أرارات) الأرمنية التي كانت تصدر آنذاك في لندن قولها: «إن الخطوات العملية التي اتخذها عدد من الزعماء الكُرد في استانبول، بهدف توحيد المجموعات والتنظيمات الحزبية دعت في أيار/ مايو 1912 [الصواب أيار 1913] إلى اجتماع عام لكلّ المجموعات الكُردية السياسية والاجتماعية، وتمت الموافقة بالإجماع على تشكيل حزب موحد يمثل مصالح الكُرد عموماً، كما تم تحديد الهدف السياسي الأساسي والمسائل العملية للتوحيد، وكتبت مجلة (أرارات) عن ذلك ما يلي: كان على ذلك الحزب أن يهيئ لانتفاضة عامة، واستعانوا بتكتيك الألبان في عملياتهم، أولاً: الامتناع عن تسديد الضرائب؛ ثم طرد جميع الموظفين الأتراك، وأخيراً تشكيل حكومة موقتة، وإعلان كُردستان دولة مستقلة»[177].

وفيما يلي نورد تسلسلاً لهذه الأحداث التاريخية وتطوراتها[178]:

1 ـ حركة حسين باشا بدرخان

يعد حسين بدرخان أحد القادة الكُرد، الذين كان لهم دورٌ متميز في الحركة التحررية الكُردية. منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر؛ فقد قام بحركة ضد الدولة العثمانية في عام 1878 بعد انتهاء الحرب الروسية العثمانية، إلا أن حركته باءت بالفشل، وبعد انقلاب تموز/ يوليو 1908 تواجد في مسقط رأسه وحاول استرجاع أملاك والده بدرخان بك، ولكنه جوبه بمقاومة من الاتحاديين؛ وفي انتخابات ربيع عام 1912، فاز حسين بدرخان مع أخيه حسن بمقعدين في مجلس المبعوثان العثماني عن ولاية كُردستان أو دياربكر،

وبالتحديد كان حسين بدرخان قد فاز بمقعد مدينة سيرت، إلا أنه جرد من حقوقه بقرار من جمعية الاتحاد والترقي، ثم أبعدوه[179].

في أعقاب حرب البلقان كثف حسين بدرخان من نشاطاته في سبيل استقلال كُردستان، وكان أحد أبرز الأسباب التي دفعته إلى إعلان حركته ضد الدولة العثمانية، وتنصيب نفسه أميراً على كُردستان منذ مؤتمر أرضروم أيار/ مايو 1913، فضلاً عن كرهه العميق للأتراك، هو ظهور المسألة الأرمنية من جديد، وتخوّفه من استعلاء الأرمن على الكُرد في كُردستان وتأسيس دولة أرمنية[180].

في 21 كانون الثاني/ يناير 1913، نشر عبد الله جودت في جريدة (ترجمان حقيقت) وفي مجلته (اجتهاد)، مقالة تحت عنوان (أهي كُردستان أم أرمنستان؟) منتقداً فيها المقالات والدعايات الأرمنية، وخصوصاً تلك التي نشرتها جريدة (جامانك) الأرمنية التي ذكرت أن شمال كُردستان هي أرمنستان، وقد استشهد عبد الله جودت في مقاله هذا بأمثلة عن تاريخ الكُرد في تلك المنطقة، ليدافع عن كُردستانيتها. وبعد مضي يومين من نشر مقاله هذا تلقى عبد الله جودت هذه البرقية من عائلة بدرخان في دياربكر، وفيما يلي نص البرقية: «إلى السيد عبد الله جودت في جغال أوغلوا [منطقة في استانبول]، باسم مئة ألف نسمة، نشكركم على مقالكم المنشور في ترجمان حقيقت بعنوان (أهي كُردستان أم أرمنستان؟)، عشت أيها الوطني الغيور، إن التصميم على عقد اجتماع عام، وحضور شخصكم الفاضل فيه من أجل التفكير بشأن مستقبل كُردستان ومصيرها في مكان ما هنا مناسب، أمل أمتنا الكبير، وأنا باسم عشائر بختيان جميعاً لمنتظرون تشريفكم لنا». التوقيع: (سليمان ـ كامل حسن ـ حسين أمير بدرخان زاده)[181].

أجاب عبد الله جودت على هذه البرقية بقوله: «أشكركم وإني مملوك

أمتنا ودولتنا، أما التفصيلات ففي طريقها إليكم من طريق البريد. عبدالله جودت»[182].

لم يتم العثور حتى الآن على ماهية نوع هذه التفاصيل، التي بعثها عبد الله جودت إلى حسين باشا أمير بوتان، بخصوص الاجتماع الكُردي الذي اتفقت عليه مراكز القيادة الكُردية لمواجهة التحديات، التي واجهت الكُرد في أعقاب حرب البلقان، وأهمها هي انبعاث المسألة الأرمنية من جديد، وسياسة الإصلاحات الأوروبية، وربما أن عبد الله جودت نفسه كان من المشاركين في هذا الاجتماع.

تدلّ هذه الأحداث على أن تحركاً نشطاً كان هناك، تقوم به عائلة بدرخان بك، التي فرضت سيطرتها على أملاك إمارة بوتان القديمة، وأن هذه العائلة كانت تحت قيادة حسين بدرخان باشا. ومما يدعم هذا الاتجاه ما ورد في تقرير من نائب القنصل البريطاني في وان جَي مولينوكس ـ سيل عن الأوضاع في شمال كُردستان ويعود إلى تاريخ 4/ 4/ 1913، تحدث فيه عن أثر الإصلاحات الأرمنية في حركة حسين بدرخان باشا بقوله: «يبدو أن هناك فكرة رائجة بين الكُرد مفادها أن الإصلاحات المزمع القيام بها في الولايات الأرمنية تهدد بدمار وجودهم القومي؛ ويقال: إن الاضطرابات في منطقتي الجزيرة وميديات سببها جواسيس حسين باشا (بدرخان)، الذي قال: إن الإمارة الأرمنية على وشك التأسيس، ودعا الكُرد للقيام بثورة لحماية وجودهم القومي»[183].

يبدو من خلال ما سبق بأن الرجل الأول في لجنة الإرشاد الكُردية كان حسين بدرخان، وبحسب ما يفهم من الوثائق البريطانية والروسية، كان حسين بدرخان، بالاستناد إلى تحركاته آنذاك، الرجل الأول الذي كان يقود التحركات الكُردية في بوتان، ودياربكر، وخربوط، وحتى في بتليس نفسها[184].

لا تشير المصادر القريبة إلى أعمال حسين باشا بدرخان بعد ذلك،

سوى أن الأتراك قد اغتالوه في حزيران/ يونيو 1913، وبمقتله انهارت آمال العائلة البدرخانية في تأسيس دولة كُردية في شمال كُردستان[185]. وقد رثت مجلة (روزى كُرد) في عددها الثاني الصادر بتاريخ 19 تموز/ يوليو 1913 وفاة حسين باشا بدرخان، وأبدت تأسفها العظيم لهذه الخسارة الكُردية الكبيرة[186]. وفي العدد الثالث من مجلة (روزى كُرد) الصادر في تاريخ 14 آب/ أغسطس 1913، نشرت المجلة صورة لحسين باشا بدرخان على غلافها، كما نشرت مقالة عن حياته[187].

لقد تولى رئاسة الحركة الكُردية في تلك المناطق بعد اغتيال حسين بدرخان، شقيقه حسن بدرخان، الذي أخبر بدوره نائب القنصل البريطاني في وان مولينوكس ـ سيل استعداده للثورة، ولكنه سوف يرضى إذا ما منحت الحكومة العثمانية للكُرد ما وعدت به العرب، أي تعيين موظفين يتكلمون لغتهم المحلية، وإنفاق دخل الضريبة محلياً[188]؛ ولكن يبدو أن الزعيم الفعلي للجنة الإرشاد الكُردية أصبح عبد الرزاق بدرخان، الذي عُرف بميوله الروسية، ومحاولة الحصول على دعم روسيا لنيل الاستقلال الكُردي.

2 ـ تحركات عبد الرزاق بدرخان

لعبد الرزاق بدرخان تاريخ طويل في معارضة الدولة العثمانية، منذ تسعينيات القرن التاسع عشر إبان عهد السلطان عبد الحميد الثاني، ولم يتفق مع توجهات جمعية الاتحاد والترقي أيضاً، وعارض سياستها في كُردستان. وخلال سنوات 1911 ـ 1914 تواجد عبد الرزاق بدرخان في كُردستان إيران، ودخل في تحالف مع الزعيم الكُردي سمكو شكاك، وقد فتح في مدينة خوي الكُردية جمعية عرفت باسم (جيهان زاني ـ التعليم)[189].

تواجد عبد الرزاق بدرخان في شمال كُردستان على الحدود العثمانية

الإيرانية، في معظم شهور عام 1913 لمحاولة تهيئة حركة كُردية يعمل من خلالها الكُرد على طرد الأتراك من بلادهم، وشارك في مؤتمر أرضروم، وكان من أبرز المنادين بضرورة كسب روسيا إلى جانب الحركة الكُردية[190]؛ كما كانت تحركاته تهدف إلى الوقوف بوجه التحركات الأرمنية في شمال كُردستان، وأراد أن يبعث إلى الأرمن والأوروبيين رسالة مقاومة، فقد شعر أنهم كانوا على وشك السيطرة على الشرق العثماني، ونزع سلاح الكُرد، وإعطاء أراضيهم للأرمن، وإخضاع الكُرد كلهم للعبودية[191].

في 9 تموز/ يوليو 1913 ذكر نائب القنصل البريطاني في وان مولينوكس ـ سيل، في أحد تقاريره أن الزعيم الكُردي عبد الرزاق بدرخان كان يعمل بين صفوف الكُرد، لبعث فكرة الحكم الذاتي الكُردي تحت السيادة الروسية، وكانت حجته في ذلك أن الحكومة العثمانية على وشك منح الحكم الذاتي للأرمن، وبهذه الدعاية قيل إنه كان مدعوماً من جانب العملاء الروس في خوي وأرومية وأماكن أخرى[192]. ذكر المبشر الإنكليزي ويكرام عندما كان في رحلة إلى كُردستان في تلك الآونة، أنه كان يطلق على عبد الرزاق بدرخان لقب (ملك كُردستان الموحدة)[193]، وربما حصل على هذا اللقب بعد اغتيال حسين بدرخان باشا، واستلامه مهام قيادة التنظيم الكُردي (الإرشاد).

رصدت تقارير القنصليات البريطانية تحركات مكثفة لعبد الرزاق بدرخان قام بها في الأشهر الأخيرة من عام 1913، وإنه كان يدعو الكُرد إلى القيام بثورة عارمة خوفاً من وقوع كُردستان بيد الأرمن، وأن الخطوة الأولى في ذلك هي طرد الأتراك الذين يعدون السبب الأساسي في ذلك[194].

قام عبد الرزاق بدرخان بتوزيع مناشير ورسائل بين الكُرد في شمال كُردستان، كتبها بنفسه باسم لجنة الإرشاد الكُردية، وأبرزها تلك التي نشرتها جريدة هاراتش (Haratch) الأرمنية في عددها الصادر في 31 تشرين الأول/

أوكتوبر 1913، وفي هذا المنشور يدعو عبد الرزاق بدرخان إلى الثورة بوجه الحكم التركي في كردستان، لأن بلاد الكُرد في خطر، وأنها ستعطى للأرمن، والحكومة العثمانية غير مبالية بذلك: «ستنعم الولايات الست التي تشكل (أرمينيا) وهي: (وان، وبتليس، وأرضروم، وسيواس، وخربوط، ودياربكر) بميزات خاصة للأرمن... وإذا صادق المجلس في (لندن) على امتيازات الأرمن... فستكون الخيبة من نصيب الكُرد... نحن الكُرد المعروفين من أغلبية الأوروبيين، وفي جميع أوساط المثقفين، نحن من تصفهم المعاجم كعشائر شبه متوحشة نعيش على السرقة، وكرعاة لا يُعترف بنا كأمة لها الحق في الحضارة على غرار الأرمن. بالطبع لن يصغي أحد إلى برقياتنا، وخطاباتنا، وممثلينا، وفي ظل الظروف الراهنة نستذكر المثل الفارسي التالي (بسلاحنا المرفوع ستبقى الأمة محمية). مع ذلك لا نقول إننا سنرفض قرارات القوى الست، لكن سكان الولايات المجموعة تحت اسم (أرمينيا)، وسكان المناطق الأخرى هم من الكُرد بنسبة ثمانين في المئة، وهم يمتلكون معظم الأراضي، وبالتالي لا بد من أن تحتل حقوقهم ومصالحهم الصدارة. والآن بما أن الحكومة تخلت عنّا فإن كان ثمة من أمة تستحق امتيازات فهي الأمة الكُردية. فضلاً عن ذلك، تجدر الإشارة إلى أن المسيحيين الأشوريين الذين يشاطرون الكُرد في تقاليدهم، وعاداتهم، وشيم عشائرهم، والذين انضموا إلينا وباتوا حلفاءنا لن يقبلوا يوماً أن تُعطى الامتيازات للأرمن مع تجاهل الكُرد والأشوريين»[195].

لا تحتاج هذه الوثيقة التاريخية المهمة النفيسة جداً إلى تعليق، سوى التذكير بأنه على الرغم من أنّ السبب الأساسي للثورة التي دعا إليها عبد الرزاق بدرخان كان يكمن في تطبيق الإصلاحات الأرمنية في شمال كُردستان. رغم ذلك، فإن عبد الرزاق بدرخان وجّه الثورة نحو الأتراك وليس نحو الأرمن،

وإن اللغة الحماسية المليئة بالعواطف التي كُتِبَ بها هذا المنشور تظهر أن عبد الرزاق بدرخان نفسه لا يلوم الأرمن في ما آلت إليه أوضاع الكُرد آنذاك، ولكن يوجّه كل اللوم والنقد إلى الأتراك، ويوضع هذا الموقف من عبد الرزاق بدرخان ضمن القائمة الطويلة من المواقف التي أظهرها القادة الكُرد والذين يمثلون الشعب الكُردي، في أن الخصم والعدو هو الأتراك وحكوماتهم، عكس الأرمن الذين لم يفهموا هذا الأمر حتى دفعوا الثمن غالياً خلال الحرب العالمية الأولى، وكانوا يعدّون دوماً الكُرد من أعدائهم، وتجب إزاحتهم من معظم أرجاء شمال كُردستان.

إن المعلومات عن تحركات عبد الرزاق بدرخان وعلاقته بالأرمن قليلة، ولا تتطرق المصادر المقربة إلى نوع هذه العلاقة وما حدث بعد ذلك، سوى أنه كان على اتصال بحركة ملا سليم البتليسي التي اندلعت في آذار/ مارس ونيسان/ ابريل من العام 1914.

3 ـ حركة ملا سليم البتليسي (آذار/ مارس ـ نيسان/ ابريل 1914)

تُعَدُّ حركة ملا سليم البتليسي إحدى أبرز الحركات الكُردية التي شهدت بين ثناياها فكراً قومياً كُردياً بارزاً، قلما نجده في الحركات الكُردية الأخرى، وقد شكلت قمة الصراع الكُردي التركي في العهد الدستوري، والتي أراد من خلالها الكُرد إخراج الأتراك من شمال كُردستان، كما يمكن أن نعدَّ هذه الحركة انعطافةً متميزةً وخطيرةً في الوقت نفسه بشأن العلاقة الكُردية الأرمنية.

وردت أسماء ثلاث شخصيات أو أربع كان لها الدور الأكبر في إعلان هذه الحركة وقيادتها، وهم: (الملا سليم البتليسي، وسيد علي، وشقيقه الشيخ شهاب الدين، وخير الدين برازي)، ومن المفيد في هذا الصدد القول إن سيد علي والشيخ شهاب الدين، كانا من أحفاد الشيخ جلال الدين، الذي كان قد

اتُهم أثناء الحرب الروسية العثمانية 1877 ـ 1878، بقيامه بنهب وسلب قرى الأرمن وقتلهم، كما مرَّ بنا سابقاً، وكان الشقيقان من أشد المناصرين للتعاون الكُردي الأرمني في هذه الحركة، إلا أن القيادة الفعلية لهذه الحركة كانت بيد ملا سليم البتليسي، الذي كان واحداً من أشهر الشخصيات الدينية في بتليس، ولذا تُعرَف هذه الحركة في المصادر التاريخية بحركة ملا سليم البتليسي(196).

لا يمكن القول ببساطة إن هذه الحركة، التي اندلعت رحاها خلال شهري آذار/ مارس ونيسان/ ابريل 1914، كانت بعيدة عن التحركات الكُردية الأخرى، التي نشأت وتطورت بعد حرب البلقان وانتشار الدعاية الأرمنية بخصوص قرب تأسيس دولة للأرمن في شمال كُردستان، ومن الممكن جداً القول إن ملا سليم مع الشيوخ الآخرين كانوا متواجدين في مؤتمر الكُرد في أرضروم، الذي كان قد انعقد في أيار/ مايو 1913، لذلك لا يمكن استبعاد كون حركة ملا سليم البتليسي من أحد أبرز إفرازات مؤتمر أرضروم، خصوصاً إذا ما عُلِم أن خير الدين برازي كان أول ضحايا هذه الحركة؛ فقد ألقى الأتراك القبض عليه في أيلول/ سبتمبر1913 وأمروا بإعدامه في الشهر نفسه، بتهمة توزيعه للمناشير الداعية إلى الحركة ضد حكومة الاتحاديين، وتأسيس دولة كُردية مستقلة(197)، وفي الوقت نفسه فإن المناشير السابقة الذكر التي وزعها عبد الرزاق بدرخان كانت تعود إلى المدة نفسها التي أُلقي القبض فيها على خير الدين برازي، وبناءً عليه فإن المناشير التي كان ينشرها بين الكُرد كانت هي مناشير عبد الرزاق بدرخان نفسها. ويؤكد عبد الرزاق بدرخان من جانبه في أحد تقاريره المرفوعة إلى الساسة الروس في الحرب العالمية الأولى على أن خير الدين برازي كان من مؤسسي اللجنة الكُردية (الإرشاد)، وكان يقيم عنده في مدينة خوي بكردستان إيران، وعند عودته إلى كردستان الدولة العثمانية تعرض للخيانة من أحد مرافقيه ويدعى (حسين أفندي)، وقُتِلَ غدراً

بيد شخص شركسي؛ ثم سلَّم حسين أفندي جميع المستندات والمنشورات المتعلقة بلجنة الإرشاد، التي كانت بحوزة خير الدين برازي إلى والي وان تحسين باشا[198]. ويذكر المؤرخ لازاريف بهذا الصدد أيضاً: «لم تكن انتفاضة بتليس عفوية، إذ إنه قد أعدَّ لها على مدى ثلاث سنوات كل من عبد الرزاق بدرخان، ويوسف كامل، وغيرهما من الزعماء الأكراد الذين هم بالدرجة الأولى من أقارب بدرخان...»[199].

وبالاستناد إلى هذه الأمور فإن الأمل الكُردي في طرد الأتراك من شمال كُردستان، وإنقاذ الكُرد كذلك من عملية التهميش في الإصلاحات الأرمنية انحصر بعد اغتيال حسين باشا بدرخان، في حركة ملا سليم البتليسي. وكانت أولى التحركات الكُردية في هذه الحركة قبل اندلاعها بعد أن وحد الكُرد مواقفهم إلى حد ما هي الاتصال بالأرمن لتشكيل جبهة موحدة ضد الأتراك، وبطلب من السيد علي التقى ملا سليم البتليسي بقيادات حزب الطاشناق الأرمني سراً في موش، وتعود هذه اللقاءات إلى عام 1913، كما صرّح به كارو ساسوني. في اللقاء الأول التقى ملا سليم مع القس الأرمني فارتان فاربيت (Vartan Vartabw) عضو اللجنة المركزية لحزب الطاشناق، في كنيسة سورب كارابيت (Surp Garabet) الواقعة بالقرب من موش، وباسم سيد علي عرض عليه ملا سليم توحيد الجهود الكُردية والأرمنية لطرد الأتراك من بلادهم؛ وحضرت في الاجتماع الثاني قيادات بارزة من حزب الطاشناق، ففضلاً عن فارتان حضر معه كورن (Gorun)، وروبن (Rupen)، وقد اتفق ملا سليم معهم على الأهداف التالية للحركة الكُردية الأرمنية الموحدة، وهي:

1 ـ إن هذا البلد، إنما يخص الكُرد والأرمن.

2 ـ إن تمتع هذا البلد بحكم ذاتي واسع شرط أساسي.

3 ـ يجب أن يدير البلد الأرمن والكُرد[200].

ثم قرروا في وقت لاحق: «الإعلان عن استقلال جميع محافظات الشرق، من خلال الوحدات الكُردية والأرمنية، وضمان إدارة المنطقة من أبناء القوميتين القاطنتين فيها»[201]. وبحسب قول مينورسكي فإن الكُرد أفادوا: «بأننا محتاجون إلى ذلك الحامي مثل الأرمن الذين لديهم روسيا»[202].

قبل اندلاع الحركة بمدة قصيرة، وبالتحديد في 10 آذار/ مارس 1914، توجه ملا سليم بطلب رسمي، باسم الكُرد المنتفضين، إلى الزعيم الديني للأرمن في بتليس، حيث طمأنه عن مشاعر الكُرد الصادقة تجاه الأرمن[203]، وذكر فيه بأن حركته موجهة كلياً ضد حكومة الاتحاد والترقي وليست موجهة ضد الأرمن، وأدناه نص هذه الرسالة:

«لا يخفى على سعادتكم أننا أقدمنا على حشد فدائيي الإسلام هنا، ولكن نعلمكم أننا لا ننوي أبداً الشر للشعب الأرمني، وأصدرنا أوامر صارمة بهذا المعنى لأنصارنا في المنطقة، ونطلب أن تصدروا أنتم أوامر أيضاً لأتباعكم، ليقفوا موقف الحياد، وأنْ لا يتدخلوا بما يجري من الإحداث من حولهم، وإذا رأى أحد من أتباعكم أحداً من الثوار الكُرد فليتظاهر وكأنه لم يره، إن وجودنا هنا لمسألة مختلفة كلياً ولا تمت للأرمن بصلة»[204]. وقد شدّد سيد علي من جانبه في أوامره إلى الكُرد بعدم التعرض للأرمن[205].

اندلعت حركة ملا سليم البتليسي في بداية شهر نيسان/ ابريل 1914، ودخل ثوار الكُرد مدينة بتليس وسيطروا على أجزاء منها، ولكن لم يستمر بقاؤهم في بتليس لأكثر من أسبوع، حيث تمكنت القوات الحكومية من محاصرة الثوار الكُرد في بتليس، وقتلت العديد منهم، وألقت القبض على قادتهم، ومن ضمنهم سيد علي والشيخ شهاب الدين وأعدمتهما مع (13) آخرين[206]. كما اعتقلت السلطات العثمانية يوسف كامل بدرخان في سيرت بتهمة المشاركة في الحركة[207]، وهذا ما يدعم الرأي القائل بأن عائلة بدرخان،

التي كانت على رأس لجنة الإرشاد، لم تكن بعيدة عن هذه الحركة؛ أما ملا سليم فكان قد التجأ إلى القنصلية الروسية في بتليس، وطلب الحماية منها، وبقي فيها إلى حين بدء الحرب العالمية الأولى عندما أغلق الأتراك القنصلية الروسية فيها، وهاجموا بنايتها، وأسروا ملا سليم ثم قاموا بإعدامه مباشرة[208].

وعلى الرغم من أن طبيعة الحركة وأهدافها كانت واضحة جداً، من خلال عملياتها فإن الصحف التركية والغربية قد صوّرت الحركة الكُردية تصويراً ناقصاً ومشوهاً ينسجم مع سياسة الحكومة التركية. إن المراسلين الإنكليز، والفرنسيين، والروس كانوا يقيمون الانتفاضة الكُردية بأنها حركة رجعية، ويفسرونها كما لو كانت ضد الأرمن والمسيحيين في شمال كُردستان، فمثلاً كتب مراسل (ديلي تلغراف) بصراحة ما يلي: «لقد أعلن زعماء الانتفاضة الكُردية، حرباً مقدسة ضد الأرمن»[209]؛ ولكن بالاستناد إلى ما سبق تُفند جميع الآراء التي نادت بأن الحركة الكُردية كانت موجهة ضد الأرمن والمسيحيين.

ماذا كان دور الأرمن، حسب الاتفاق السابق الذكر؟ كان على الأرمن فعلاً، إن كانوا يعدّون الأتراك عدواً لهم هو أن يقاتلوا الأتراك إلى جانب الكُرد ويطردونهم من بلادهم، إلا أن العكس حدث بشكل كامل، فعندما أعلن ملا سليم حركته، لم يفِ الأرمن بتعهدهم القتال إلى جانبه، بل إن الأتراك قاموا بتجنيدهم وتوزيع السلاح عليهم وقاتلوا إلى جانب القوات الحكومية ضد ثوار ملا سليم البتليسي[210]، علماً أن ثواره من الكُرد عند دخولهم بتليس ومرورهم في الحي الأرمني فيها لم يتعرضوا للأرمن، بل إن الثوار الكُرد أخبروا الأرمن أنهم لا يكنون لهم العداء، وإن حربهم موجهة ضد الحكومة العثمانية فقط، وأن لا خطر عليهم من جانبهم[211]. وعلى الرغم من الظروف السيئة للثوار الكُرد لم تلاحظ ولا عملية نهب واحدة من جانب المتفضين في المدينة. وكما يشهد مراسلو الصحف الأرمنية أنفسهم، فلقد كان الكُرد

يعبرون عن مشاعر الاحترام والصداقة تجاه السكان الأرمن، حيث كتب مراسل جريدة (اوريزون) في بتليس ما يلي: «كانت الجماهير الكُردية تعامل الأرمن بغاية الطيبة والمودة، حتى إنهم كانوا يمتنعون عن أخذ الخبز، الذي كان الأرمن يتبرعون لهم به، كانوا يأخذون من الأرمن الوقود عند الضرورة فحسب، لأنهم كانوا خلال اليوم كله تحت الثلج والمطر، وكان ذلك يريح الأرمن بشكل كبير»[212].

وبحسب تاشاراكوف، القنصل الروسي في بتليس، فإن سبب الانتقام القاسي التركي ضد الكُرد كان يتلخص في أن هذه الحركة لم تكن موجهة ضد الأرمن، كما كانت السلطات تنتظره، بل كانت ضد الحكومة التركية تماماً[213].

يذكر كارو ساسوني أن أخا سيد علي الشيخ رشيد كان قد أفشى بمعلومات مهمة وخطيرة للحكومة العثمانية عن الاتفاقية الكُردية الأرمنية، ولهذا بادرت القوات الحكومية إلى السيطرة على مواقف الأرمن. ونظراً لعلم الأتراك بهذه الحركة مسبقاً وبعلاقاتها مع الأرمن فقد دخلوا موش، وأجبروا الأرمن على إمدادهم بالمتطوعين للوقوف في وجه الحركة الكُردية؛ وبعد أن خضعوا للأمر أرسلوا على الفور إلى سيد علي برسالة يخبرونه بأنه لو شاهد الأرمن يقاتلون إلى جانب القوات الحكومية فعليه أن لا يستغرب، لأن ذلك هو مجرد ذر للرماد في عيون الأتراك، لأن الأرمن لا يزالون صادقين ويحترمون الاتفاقية التي وقعت بينهم[214].

لكن كامل بدرخان في تقرير له إلى الروس يعود تاريخه إلى عام 1917، يذكر رأياً مخالفاً لرأي كارو ساسوني، ويذكر بأن الطرفين الكُردي والأرمني في عهد الثورة الدستورية عقدا حلفاً وبمشاركة واسعة، واتفقا على أن يعيشا بسلام ولا ينخدعا بدسائس السلطات التركية بعد الآن، وأن يوحدا جهودهما للخلاص من الظلم التركي لنيل حقوقهما؛ ثم يضيف: «رغم تلك التعهدات

الحسنة بين الطرفين، انخدعت اللجان الأرمنية بوعود تركيا الفتاة، وقاموا ـ أي: الأرمن ـ بخيانة الكُرد، ووضعوا أيديهم في أيدي الأتراك، وخلال حركة بتليس التجأ الأرمن إلى والي بتليس، ليحصلوا منه على السلاح لاستخدامه ضد الكُرد، وقد أعطاهم (700) قطعة سلاح، وقاموا مع الأتراك بالهجوم علينا»[215].

بمجرد النظر إلى أحداث هذه الحركة يجب عدم إلقاء اللوم على الكُرد مهما كان، في أي تبعات أو تطورات أخرى للمسألة الأرمنية، لأنه قبل الحرب العالمية الأولى بحوالى خمسة أشهر كان الكُرد في حركة الملا سليم البتليسي قد مدّوا أيديهم إلى الأرمن لإخراج الأتراك وطردهم من بلادهم، بلاد الكُرد والأرمن، ولكن الأرمن وإن اتفقوا مع الكُرد نظرياً إلا أنهم لم ينفّذوا هذا الاتفاق عملياً، وإن ما أشار إليه كارو ساسوني من أن الأتراك كانوا يعلمون بهذه الحركة مسبقاً، وأن أخا الشيخ سيد علي قد أفشى بسر المعاهدة الكُردية الأرمنية للأتراك، وأن الأرمن أُجبروا على مقاتلة الكُرد، كل هذا لا يقنع الباحث، خصوصاً إذا نظرنا إليه من وجهة النظر الأرمنية ومقارنة هذا الموقف الأرمني بموقفهم من انتفاضة الشيخ عبيد الله النهري، والذي مرَّ بنا سابقاً، فهنا يطرح السؤال نفسه، وهو: أين تكمن المصلحة الأرمنية إذا ما تعاونوا مع حركة ملا سليم البتليسي، وأن ما سيقاتلون لأجله في المستقبل ستكون أرمنستان أو كُردستان؟ يبدو هنا أن الأرمن قد فكّروا ملياً قبل الإقدام على أي خطوة بشأن دعم الحركة الكُردية من عدمها، وهم كانوا على علم بمجيء لجان الإصلاح الأرمنية، وتحت إشراف أوروبي، بل كان مسؤولو هذه اللجان قد وصلوا في تلك المدة إلى استانبول، فلماذا يقاتلون مع الكُرد ويعرضون مصالحهم إلى الخطر، وهم يريدون إلى جانب دحر النفوذ التركي في شمال كُردستان تدمير قوة الكُرد أيضاً، الذين هم في نظر الأرمن لا يقلّون

خطراً عن الأتراك، وربما كانت لجان الإصلاح ستحقق لهم هذه الأهداف. أما قول كارو ساسوني إن الأرمن أجبروا على قتال الكُرد، فيمكن الإجابة على ذلك بأن الأرمن في تلك المدة لم يكونوا يحسبون حساباً كبيراً للسلطة التركية، وأشارت تقارير القنصليات الأجنبية في شمال كُردستان إلى أنهم كانوا أكثر وأحسن تسليحاً من الكُرد، وكان بمقدورهم القتال وبقوة إلى جانب الكُرد[216]. كما أن كامل بدرخان أشار بوضوح إلى أن الأرمن قاتلوا مع الأتراك ضد الكُرد بملء إرادتهم، وإذا ما كان صحيحاً أن الأتراك أجبروا الأرمن على مقاتلة الكُرد فيجب هنا تطبيق الأمر نفسه على الكُرد عندما قاتلوا الأرمن في تسعينيات القرن التاسع عشر، وبناءً عليه لا يجب تحميل الكُرد أي تبعات أخرى للمسألة الأرمنية بعد ذلك، لأن الكُرد قد نبّهوا الأرمن إلى أن عدوهما المشترك هم الأتراك، وأن الذي قُتِلَ على أيديهم أولاً هم الكُرد وليس الأرمن.

ورغم الدور السيّئ للاتحاديين من جهة، وللأحزاب الأرمنية من جهة أخرى في التفريق بين الكُرد والأرمن وبث العداوة، فقد كانت هناك مؤشرات على أن العلاقات الكُردية الأرمنية لا تزال تحمل جوانب إيجابية، منها مثلاً ما نقله مراسل جريدة (مشاك) من أن الكُرد عندما كانوا يغادرون بتليس هرباً من القوات الحكومية كانوا يودعون السكان الأرمن، وتجنباً للانتقام خرج الفلاحون الكُرد من قراهم إلى الجبال. كتبت جريدة (اوريزون): «شاهد الجيش أن جميع القرى الكُردية في منطقة ناحي خالية من السكان، لقد أودع الأكراد نساءهم، وأطفالهم، وأموالهم...لدى الأرمن، أما هم فقد رحلوا إلى أماكن مجهولة»[217].

كما امتازت مواقف صحف الأرمن بأنها كانت إيجابية، ودافعت عن أهداف الحركة الكُردية أمام الهجمة التركية والعالمية عليها، حسبما نقلها المؤرخ جليلي جليل، وامتازت مقالات الكاتب الصحفي الأرمني

(ب.نافاسارديان)، بهذا الخصوص معتمداً على مراقبته الشخصية وخبرته الطويلة في دراسة وضع الكُرد؛ فقد أشار إلى أن الحركة في بتليس يجب وضعها في عداد الحركات الكُردية المعادية للأتراك، وأعلن مجيباً على عنوان مقاله (انتفاضة كُردية أم مذبحة أرمنية؟) : «كانت الحركة الكُردية انتفاضة ضد تركيا الفتاة، إنها لم تكن موجهة ضد الأرمن، ولا بهدف القيام بمذابح أرمنية». أما رئيس تحرير الجريدة الأرمنية الشهيرة (مشاك) غ.اراكيليان، فاستنتج من عدد من رسائل المراسلين الشهود عيان ما يلي: «لقد اتضح لنا بالتدريج ظروف الحركة الكُردية، وانطلاقاً من الأنباء القليلة والمشوشة والمتناقضة أحياناً يمكن أن نستنتج أن الحركة الكُردية الحقيقية تتسم بطابع سياسي، وأن مضمونها ليس هو النهب أو التعصب الديني، وليس في سلب السكان الآمنين كما يزعم بعضهم حتى الآن، بل يعبر مضمونها عن طموح الأكراد للتكوين القومي، وإلى تأسيس الحكم الذاتي»[218].

قبل الختام لا بد من التطرق ولو مختصراً إلى السياسة الروسية تجاه الكُرد خلال أعوام 1912 ـ 1914، التي أحدثت نقاشات حادة بين أغلب المؤرخين والباحثين الذين تناولوا سياسة روسيا تجاه الكُرد في تلك الفترة، فمن المؤرخين من أكد صدق النيّات الروسية تجاه الكُرد، وأن الروس أرادوا تخليص الكُرد من الأتـراك، وهؤلاء ذكروا أن الحركة الكُردية بين أعـوام 1912 ـ 1914 إنما كانت روسية بالمعنى الحقيقي للحركة، لأن الروس هم من دفعوا الكُرد إلى إعلان حركتهم، وهم من دعموها مادياً، وهم من آووا الملا سليم البتليسي في قنصليتهم في بتليس، أمثال المؤرخين لازاريف[219] وجليلي جليل[220]؛ إلى مؤرخ آخر شكك بتلك النيّات (الحسنة) التي أبدتها روسيا تجاههم، وأن هذه السياسة لم تكن لتخرج عن صفة الاحتلال والاستعمار مثل ديفيد مكدول[221] وجستن مكارثي[222].

بعيداً عن هذه التعقيدات، وعن مراسلات القناصل والسفراء الأجانب، التي يدعم بها كل اتجاه حجته، يمكن الاستدلال على الموقف الروسي بعد كل ما مرّ عرضه من خطين أساسيين:

1 ـ الخط الأول هو اتجاه السياسة الروسية إلى تأييد الحركات القومية كافة، التي اندلعت أو ستندلع في معظم أرجاء شمال كُردستان والأناضول في المستقبل، بما فيها الحركة الكُردية؛ لأن روسيا أرادت، وكما مرَّ بنا سابقاً، ضمان نفوذها في الأناضول إذا وقعت أي حرب مستقبلية كتلك التي حدثت في البلقان، كما أن روسيا قد استندت إلى الرأي القائل: إن أي موقف معادٍ أو مناهض للحركة الكُردية في تلك المدة سينعكس سلباً على مصالحها في المنطقة، وربما سيتوجه الكُرد إلى التحالف مع الأتراك أنفسهم مرة أخرى، أو يحاولون كسب قوة دولية أخرى عظمى إلى جانبهم مثل بريطانيا وألمانيا، إذن، فأين تكمن مصلحة روسيا في عدم تأييد الحركة الكُردية؟! كما أن الروس كانوا يدركون بأنهم عاجلاً أم آجلاً سيحتلون جميع مناطق شمال كُردستان، والتي يشكل الكُرد فيها النسبة الأكثر كثافة من جميع القوميات الأخرى، فلا بد إذن، من التعامل مع حركتهم بوجه حسن ولو كان ظاهرياً، لأن أحداً من الباحثين لم يستطع إثبات أن روسيا كانت تدعم مادياً أي حركة كُردية، وإنما موقفها كان يتلخص في التأييد ليس إلّا.

2 ـ أما الخط الثاني للسياسة الروسية تجاه الكُرد فكان يتمثل في تلك السياسة التي أظهرتها روسيا على المستوى الدولي بعيداً عن الواقع في شمال كُردستان، والتي بينتها رسائل وزير الخارجية الروسي سازانوف إلى الحكومة العثمانية، وإلى الزعماء الأوروبيين كذلك، وهي: إظهار الكُرد بمظهر المتوحش أو الظالم المتعطش للنهب والسلب والقتل، الذي لم ينفك عن إيذاء الأرمن على الدوام، وذلك لأن روسيا احتاجت فعلاً إلى ذريعة للدخول

في شمال كُردستان، وفرض الإصلاحات الأرمنية على الدولة العثمانية، وإن أفضل السبل إلى ذلك هو: إحياء المسألة الأرمنية، وتوجيه سهام اضطهاد الأرمن إلى الكُرد، وتصويرهم على أنهم مضطهدون لأتباع الديانة المسيحية في شمال كُردستان، وإن لم تتحرك أوروبا فستجد بعد مدة قصيرة شمال كُردستان بدون أي مسيحي وبدون أرمن.

إن أبرز من هاجم سياسة روسيا تجاه الكُرد آنذاك، واطلع على أهدافها ومراميها هو أحمد ثريا بدرخان، وذلك في تقريره الذي كان قد أرسله إلى مؤتمر السلام في باريس، الذي سبق ذكره، حيث ذكر فيه أن روسيا كانت متأكدة من وجوب تدخلها في شمال كُردستان، ولكن كانت تحتاج إلى ذريعة لهذا التدخل، وكان لإظهار الكُرد بمظهر المعتدي على الأرمن هو ضالتها في ذلك. ويشير إلى رسالة من الحكومة الروسية إلى حكومات الدول الأوروبية الكبرى بتاريخ 15/ 6/ 1913، جاء فيها: «إن الأخبار الأخيرة لم تؤدِ إلا إلى التأكيد على الانطباع، الذي نتوقعه في القريب العاجل، حول التجاوزات المؤسفة للكُرد»، ويرد أحمد ثريا بالقول: «وفي الحقيقة فإن التجاوزات المؤسفة التي أعلنوا عنها لم تحدث على الإطلاق»[223]. ومن الوسائل التي اتخذتها روسيا للتقرب من الأرمن، وكسبهم بعد سنوات من العداء، هي وعودهم للأرمن بحل مشكلة الأراضي التي يطالبون بها، وبالتالي الضرب على وتر الخلافات الكُردية الأرمنية، وعقّب أحمد ثريا على ذلك، كيف أن روسيا: «لا يساورها الخجل للمطالبة بما تسميه بالأراضي المغتصبة»؛ لأنها تعلم أن الكُرد كانوا قد اشتروا تلك الأراضي من الدولة العثمانية كما يقول، وأن إيجاد الحلول لهذه المشكلة كان يتطلب جهداً أكبر من مجرد انتزاع هذه الأراضي من الكُرد بالقوة فقط، وانتقد أحمد ثريا كثيراً مساعي السفير الروسي في الدولة العثمانية السيد كايرز في هذا المجال آنذاك، وأنه كان قد

هدد بدخول الجيش الروسي إلى شمال كُردستان لحل هذه المشكلة إذا لزم الأمر. وبعد مفاوضات طويلة تمكنت روسيا من فرض الإصلاحات الأرمنية على الدولة العثمانية، عن طريق إبراز مظالم الأرمن من جهة، والتدخل كذلك في شؤون الحركة الكُردية الصاعدة آنذاك من جهة أخرى[224].

وقد أختتم أحمد ثريا قوله عن السياسة الروسية، بالتحدث عن المفتشيْنِ الأوروبيين اللذيْن وصلا إلى استانبول، حيث قال: «وافقت روسيا على إرسال اثنين من المفتشين العامين مع سلطات تامة. إن هذين المفتشين كانا يجهلان اللغة الكُردية، وكان يصاحبهما مترجمون أرمن، وقد ادعيا بأنهما كانا مبعوثين من جانب أوروبا، وذلك من أجل تخليص المسيحيين من ظلم شعب متطرف ومتوحش، وإنهم لا يمكن أن يجدوا حلاً غير تجريد الكُرد من أراضيهم وإعطائها للأرمن. إن أثر هذا الظلم يمكن أن يكون له انعكاس كبير على المسلمين ولا يمكن فهمه من قبلهم، طالما أن هؤلاء يجهلون أن هذه الأراضي قد دُفع ثمنها، وإنهم يعتقدون عندما يقومون بذلك بأنهم سوف يحققون العدالة. كما قام أحد أعضاء جمعيتنا[225] بزيارتهم خلال إقامتهم في القسطنطينية، وذلك بقصد إعطائهم بعض الملاحظات بخصوص كُردستان، إلا أنه أصيب بخيبة أمل، فقد أجابوه بأن لديهم خزينة من الكتب عن البلاد، وهم يبحثون فيها، على الرغم من أن عضو الجمعية قد نبههم إلى أن مؤلفي هذه الكتب من الأوروبيين، ولم يكونوا يعرفون اللغة الكُردية، ولم يبقوا في كُردستان إلا لمدة قصيرة جداً، وكانت انطباعاتهم ضعيفة بخصوص مشكلات بلاده، ولذلك ليس باستطاعتهم أن يكون لديهم انطباع حولها»[226].

ثالثاً - الكُرد والأرمن في العام الأول من الحرب العالمية الأولى

سجلت الحرب العالمية الأولى أحد أسوأ وأشد فصولها قساوة وعنفاً في شمال كُردستان، لأنّ أقل التقديرات تشير إلى مقتل ما لا يقل عن مليون ونصف المليون إنسان من الكُرد والأرمن في تلك المنطقة، وإذا ما كانت المأساة الأرمنية معروفة لدى العالم أجمع منذ الشهور الأولى من وقوعها، فإن المأساة الكُردية في تلك الحرب، وبعد مضي مدة زمنية طويلة عليها، غير معروفة حتى للعديد من المؤرخين المهتمين بالتاريخ الكُردي الحديث، بل إن الكُرد أنفسهم متهمون لدى الرأي العام العالمي بأنهم مشاركون في المذابح الأرمنية، التي تعرض لها الأرمن في عام 1915، وإنهم كانوا اليد التي ضرب بها الأرمن.

لا تكاد تخرج أسباب عدم معرفة الرأي العام العالمي بالمأساة الكُردية في الحرب العالمية الأولى، عن عدم استطاعة الكُرد التعريف بقضيتهم والمآسي التي تعرضوا لها لدى الرأي العام العالمي، على أنهم ليسوا (الجلادين)، كما صورتهم الدعاية الأرمنية والإرساليات التبشيرية المسيحية، التي كانت تعمل آنذاك في شمال كُردستان، بل إنهم ضحايا الحرب مثل الأرمن، كما تعاملت الدول الكبرى في الحرب مع الكُرد على أنهم عنصر مُعادٍ، فضلاً عن الهجمة الإعلامية الأرمنية الكبيرة ضد (الجلادين) الكُرد في أثناء الحرب العالمية

الأولى وتعريفهم للعالم المتقدم، حتى قبل الحرب، على أنهم اليد المنفذة للمذابح في شمال كُردستان، وأخيراً، فإن ظهور الحركة الكمالية في شمال كُردستان ونجاحها أدى إلى طمس المأساة الكُردية بشكل كبير حتى الآن.

طرأت على مواقف الأرمن والكُرد بشأن الحرب، والموقف من الأتراك تغييرات عديدة، فبعدما كان الأرمن على وفاق وتحالف مع الأتراك، تبدلت مواقفهم منذ النصف الثاني من العام 1914 بوقوفهم إلى جانب روسيا ضد الدولة العثمانية، في محاولة منهم للاستفادة من ظروف الحرب وتأسيس أرمينيا الكبرى، أما الكُرد فيكاد معظم المؤرخين والباحثين الذين تطرقوا إلى الموقف الكُردي من الحرب يتفقون على نتيجة واحدة وهي: أن الموقف الكُردي كان يتأرجح قبل اندلاع الحرب وفي بدايتها ما بين محايد ومؤيد للروس، إذ إن أحداث حركة الملا سليم البتليسي كانت لاتزال عالقة في أذهانهم وخصوصاً الكُرد في ولايات أرضروم، وبتليس، ووان، ولم يكونوا لينسوا موقف قنصلية روسيا في بتليس من حمايتها للملا سليم البتليسي، ولكن تطورات الحرب، وأعمال الفرق المتطوعة الأرمنية المصاحبة للجيش الروسي قد بدّلت موازين التحالفات في شمال كُردستان رأساً على عقب، كما سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

لقد كانت الإصلاحات الأرمنية الثالثة، وظهور بوادر الحرب العالمية الأولى البداية الحقيقية للتنافر التركي الأرمني من جديد واصطفافهما في معسكرين متضادين، مما أدى إلى وقوع أعنف وأشد كارثة في تلك الحرب، فلم تكن في نية الأحزاب والمنظمات الأرمنية الوقوف بوجه روسيا في أي حرب ضد الدولة العثمانية، وقد كان هذا موقف الأرمن على الدوام طوال القرن التاسع عشر، لذلك ولتوحيد المواقف اجتمعت اللجنة المركزية لحزب الطاشناق، بين حزيران/ يونيو وآب/ أغسطس 1914 في أرضروم،

لبحث تطورات الإصلاحات الأرمنية والموقف من أي حرب مستقبلية للدولة العثمانية ضد روسيا؛ وقد حاولت الحكومة العثمانية كسب ولاء الأرمن عن طريق عرض دولة تتمتع بالحكم الذاتي لهم، على شرط أن يقوم الأرمن العثمانيون بتنظيم تمرد لإخوانهم، الذين يعيشون في ما وراء الحدود في الأقاليم الروسية، وأن ينسقوا هذا الأمر مع المسلمين هناك، فإذا ما نجح التمرد فإن الأرمن سوف يُمْنَحون مقاطعة تشمل كلاً من إقليم قارص، ويريفان، وجزءاً من ايليزابيتول، وقسماً من إقليم أرضروم، ووان، وبتليس. إن هذه الدولة الواسعة كان ينظر إليها باعتبارها محمية عثمانية تتمتع بحكم ذاتي، لذا فقد أصغى الساسة الأرمن في اجتماع أرضروم إلى الخطة، إلا أنهم رفضوها وقدموا النصح للاتحاديين بأن يقوموا بدلاً من ذلك بالبقاء في موضع الحياد وعدم دخول الحرب على الإطلاق. فُهِمَ هذا الأمر على أنه إشارة على عدم الولاء، فالفكرة قد قدّمها عضوان في اللجنة المركزية لجمعية الاتحاد والترقي، وهما كل من عمر ناجي الزعيم السياسي في شرق الأناضول، وبهاء الدين شاكر، الذي قدر له أن يؤدي دوراً رئيسياً في المذابح الأرمنية بعد ذلك[227]. وفي نهاية المؤتمر اتخذت اللجنة المركزية لحزب الطاشناق القرار الآتي: «نظراً للسياسات المتناقضة، التي اتبعتها حكومة الاتحاد والترقي، ومنذ أمد بعيد ضد المجموعات غير المسلمة وخصوصاً الأرمن، في كل المجالات الاقتصادية، والاجتماعية، والإدارية، واتباعهم أساليب التضييق، والخداع، والتسويف، في تطبيق الإصلاحات في المسألة الأرمنية، لكل ما تقدم تقرر: أن يبقى الطاشناقيون في موضع المعارضة ضد جماعة الاتحاد والترقي، وانتقاد سياساتهم ومعارضة كل تشكيلاتهم وخططهم بكل شدة»[228].

بعد ذلك تقرر عقد اجتماع موسع لكل الشرائح والمنظمات الأرمنية، وأعضاء مجلس الأمة الأرمني، وأحزاب الهنشاق والطاشناق برئاسة مندوب البطريركية الراهب كابرييل جواهرجيان (Kapriel Cevahirciyan) في المدرسة الأرمنية المركزية العليا في منطقة غَلَطَهْ (Galata) باستانبول، وقد صرح المجتمعون في ختام اجتماعهم، وبهدف رفع الشكوك التي كانت تحيط بهم من الحكومة العثمانية أنهم قرروا أن يبقوا صادقين على عهدهم معها، وأنهم سوف يستمرون في أداء الخدمة العسكرية، ولن يتأثروا أو ينقادوا وراء التدخلات الخارجية[229].

ولكن الأرمن كانوا قد حسموا موقفهم قبل ذلك، حيث كانوا يتبعون استراتيجية مغايرة لما كانوا يعلنونه، استعداداً للحرب وللقتال بجانب روسيا ضد الدولة العثمانية، أما أبرز خططهم في هذا الشأن فكانت على النحو الآتي:

1 ـ إرسال المتطوعين الأرمن العثمانيين إلى الجانب الروسي، وتجنيدهم ضمن فرق متطوعة خاصة، تساند القطعات العسكرية الروسية في حال هجومها على الدولة العثمانية.

2 ـ انضمام الجنود الأرمن العثمانيين إلى الجيش الروسي بكل عتادهم عند بدء القتال.

3 ـ يجب أن يقوم الأرمن في القرى المختلطة بالمسلمين وخصوصاً من الكُرد، بالهجرة إلى قرى أرمنية خالصة أو طرد المسلمين منها، كما جاء في منشورات تعليمات الدفاع عن النفس(Instructions for Personal Defense) عند بدء الحرب. 4 ـ على الأرمن عند اقتراب الجيش الروسي من مناطقهم القيام بانتفاضة في معظم المناطق التي يسكنونها، وبذلك يضربون الجيش العثماني من الخلف ويسهلون المهمة على الجيش الروسي[230].

ثم قامت اللجان الأرمنية، قبل الحرب بمدة قصيرة، بتوزيع الأمر الآتي على كل مراكزها وفروعها في داخل الأراضي العثمانية، وهذا نصه:

«بعد اندلاع الحرب الروسية العثمانية، وتقدم القوات الروسية إلى داخل الأراضي العثمانية، فإذا كانت الغلبة للجيش الروسي وتراجعت القوات العثمانية فإن المسلحين الأرمن سوف يتدخلون من الخلف لمحاصرة الجيش [العثماني] بين نارين؛ ثُمّ القيام بمحاصرة مراكز ومقرات قيادة الجيش ونسفها بالقنابل، وبعدها القيام بقتل الجنود المذعورين والهاربين من داخل هذه المراكز، أما إذا كانت الغلبة للجيش العثماني فعلى مسلحي الجيش الأرمني الانخراط بين صفوف الجيش الروسي، والانسحاب معهم؛ ثُمّ تشكيل مجاميع مسلحة للدخول في حرب عصابات مع الجيش العثماني»[231].

أما الكراسات التي تحمل عنوان (تعليمات الدفاع عن النفس)، التي كانت اللجان والمنظمات الأرمنية قد وزعتها بين الأرمن منذ عام 1910، فقد وضعت نماذج للإرهاب التي سوف يتم اتباعها بهجمات إرهابية متنكرة تحت أسماء مستعارة مثل (الدفاع عن النفس)، وهو نهج قد يعنون على أنه (هجوم دفاعي) ليهاجم ويقتل العدو تحت الافتراض، وإلا سوف يهاجمك ويقتلك العدو[232]. وقد طُبقت هذه المعادلة بحذافيرها على الكُرد؛ فقبل كل شيء وضع الأرمن الكُرد في خانة الأعداء، لذا فقد وجب تطهير المنطقة منهم بأي شكل كان.

باقتراب الحرب مع الدولة العثمانية قامت روسيا بتشكيل الجيش الروسي في القوقاز تحت قيادة الجنرال الكونت ايلاريون ايفانوفيتش فورونتسوف ـ داشكوف (Illarion Ivanovich Vorontsov - Dashkov)، وكان مركزه العام في مدينة تفليس عاصمة القوقاز الروسية، وكان يدار بشكل فعلي من

قبل الفريق الركن ان.ان. يودينيش(N.N. Yudenich) ويقوده الجنرال اي. ز. مايشلايفسكي (A.Z.Myshlayevsky) [233].

قام كل من العثمانيين والـروس بتنظيم وحدات مخصصة لحرب العصابات خلف خطوط الجبهة، وكانت قد بدأت التحضيرات بأشهر قبل بدء الحرب، حيث قام الروس بتجنيد الأرمن والأشوريين وبعض من الكُرد ـ سيأتي الحديث عن الكُرد لاحقاً ـ كمتطوعين من بين الرعايا العثمانيين، في حين كان العثمانيون يبحثون عن حلفاء من بين الأرمن والمسلمين في أقاليم القوقاز الروسية. كان لدى الروس حوالى (100000) أرمني في الجيش النظامي معظمهم من المواطنين الروس، فضلاً عن ما يقدر بـ(10000) متطوع أرمني عثماني، جنَّدهم المكتب القومي الأرمني في تفليس[234]، الذي كان يترأسه العمدة أ.خاتسيان (A.Khatisian) [235].

بدأ الأرمن استعداداتهم بإنشاء فرق المتطوعة من الأرمن العثمانيين، وبدعم كبير منقطع النظير من روسيا، وقد قام د.هاكوب زافرييف (Dr. Hagop Zavrief)، رئيس حزب الطاشناق، بالطلب من انترانيك العودة إلى تفليس لقيادة إحدى تلك الفرق، وقد وصل الأخير إليها في 12/ 8/ 1914، وكان الدعم الروسي الكبير لفرق المتطوعة الأرمنية قبل بداية الحرب سببه أن روسيا كانت تفكر في جبهتها الأوروبية ضد الجيوش الألمانية والنمساوية، كما أن الروس لم يكونوا يتوقعون هجوماً عثمانياً مبكراً على حدودهم في القوقاز، لذلك سحبت أغلب قطعات الجيش الروسي من جبهة القوقاز، بحيث لم يبقَ فيها إلا (350000) رجل، كان هذا السبب يقف وراء هذا الدعم الروسي للفرق الأرمنية لكي تسد هذا الفراغ، إلى أن يتسنى للروس سحب فرقهم العسكرية من الجبهات الأخرى وإرسالها إلى جبهة القوقاز، عند وقوع أي هجوم على حدودها من جانب الجيوش العثمانية هناك[236].

كما قام القيصر الروسي نيقولا الثاني (Nicholas II) (1894-1917) بنفسه بزيارة تفليس في 24/ 11/ 1914 بعد بدء الحرب مع العثمانيين مباشرة، وقد استقبله الأرمن هناك بحماس، لأنهم كانوا مقتنعين بأن روسيا سوف تساعدهم في تحقيق دولة أرمنية مستقلة، ولم يقم القيصر بأي شيء يؤثر في اعتقادهم، حيث قال القيصر للبطريرك الأرمني بتعبير غامض: «لا تيأس من طموحاتكم فإنها سوف تتحقق، وسوف يكون للأرمن مستقبل عظيم»[237].

قامت القيادة القومية الأرمنية في تفليس بتجنيد عدة فرق أرمنية من أرمن الدولة العثمانية، إلا أن أبرزها كانت الفرق الآتية، التي أدّت دوراً متميزاً في الحرب، وعدَّ العثمانيون عملها في الحرب سبباً مباشراً في خسارة الجيش العثماني في معركة ساريقاميش المشهورة، وكذلك في سقوط مدينة وان بيد الروس في منتصف عام 1915، وهذه الفرق هي:

1 ـ الفرقة الأولى: برئاسة انترانيك باشا اتجهت نحو وان عن طريق أورمية.

2 ـ الفرقة الثانية: التي يقودها درو (Dro) توجهت نحو اغدير.

3 ـ الفرقة الثالثة: يقودها هامازاسب (Hamazasb) توجهت نحو ساريقاميش.

4 ـ الفرقة الرابعة: يقودها كيري الأرضروملي (Keri Erzurumlu) توجهت نحو أرضروم.

5 ـ الفرقة الخامسة: التي يقودها فارتان وكانت تسمى (اتحاد أرارات)، تحركت نحو وان أيضاً لدعم الانتفاضة الأرمنية فيها.

6 ـ الفرقة السادسة: كانت تحت قيادة كريكور افشاريان (Krikor Avşaryan) توجهت نحو ساريقاميش وأرضروم[238].

من جانبهم، لم يكن العثمانيون غافلين عن النشاطات الروسية و الأرمنية

في تفليس وعلى الحدود، وقد حاولوا بدورهم إنشاء فرق من المتطوعين المسلمين سواء داخل أراضيهم على الحدود الروسية، أو في عمق الأراضي الروسية بين مسلمي القوقاز هناك، وقد شكلوا هيئة عرفت في بداية الأمر بـ(التشكيلات الخصوصية أو مخصوصة)[239]، ولكن بعد مدة قصيرة غيّروا اسمها إلى (الجمعية الثورية القوقازية)، وكان مقرها العام في أرضروم ولها فرعان في طرابزون ووان، وقد انتشرت فروعها الثانوية في معظم المدن التي كانت تقع على الحدود العثمانية ـ الروسية، والعثمانية ـ الإيرانية، وكان يترأس هذا التنظيم الدكتور بهاء الدين شاكر[240].

تشكلت هذه الجمعية الثورية القوقازية بصيغتها النهائية ما بين أيلول/ سبتمبر وتشرين الثاني/ نوفمبر 1914 وكانت مهمتها الأساسية: «إجراء جميع التحضيرات المناسبة، لبدء ثورة عامة وسط شعوب القوقاز، وأن واجبهم هو مساعدة الإمبراطورية العثمانية في الحرب ضد روسيا، والعمل على قطع خطوط الاتصال العسكرية الروسية، وعرقلة النقل، والحصول على كل المعلومات الممكنة حول القطعات الروسية، وتحركاتها ومساعدة الجيش العثماني في تدمير القوات الروسية»[241].

كما لم تكن القيادة العسكرية العثمانية غافلة عن النشاطات الأرمنية في تفليس وبين أرمن الدولة العثمانية، ففي تقرير سري يعود تاريخه إلى 19/ 9/ 1914 أرسلته القيادة العامة للجيش العثماني إلى قطعاتها العسكرية كافة في أرضروم، وبتليس، ووان، وطرابزون، تناولت تلك النشاطات، وكيفية مواجهتها وقد جاء فيها:

«لقد علمنا أن الروس كانوا يستعملون الأرمن في القوقاز ويحرضونهم على التمرد، وذلك مقابل وعود بأن الأراضي التي يستولون عليها سوف تُعطى لهم ويمنحون عليها الاستقلال، والأكثر من ذلك قاموا بإرسال رجال متنكرين

بزي فلاحين إلى القرى الأرمنية، وقد جلبوا معهم الأسلحة والذخيرة لغرض توزيعها عليهم، ومن ناحية أخرى وصل ابن الجنرال الروسي لوريس ميلكوف لهذا الغرض إلى وان، وقد اتخذ المسؤولون عن الأرمن القرارات الآتية:

الحفاظ على ولائهم للعثمانيين بكل هدوء أثناء إعلان الحرب، وإذا ما أعلنت الحرب سوف يقوم الجنود الأرمن في الجيش العثماني بالانضمام إلى العدو مع أسلحتهم، وعند تقدم أو انسحاب الجيش العثماني سوف يشكّل هؤلاء الأرمن عصابات مسلحة تقاتل ضد الجيش العثماني، وبناءً على ما سبق سوف تتّخذ الحكومة العثمانية الإجراءات التالية:

1 ـ يجب على كل وحدات الحدود إلقاء القبض على كل شخص، مهما كان زيّه يحاول الوصول إلى جانبنا، وإرساله إلى مؤخرة الجيش، وحتى اعتقاله، واعتقال كل من يحاول نقل الأسلحة، والذخيرة، وقتل كل من يحاول الهروب من الميدان.

2 ـ يجب إبداء المساعدة الممكنة للحكومات المحلية، دون إلحاق الضرر بالمجهود الحربي.

3 ـ يجب قتل كل المسؤولين عن إلحاق الضرر بالجيش، وكل أولئك الذين يهربون دون إطاعة الأوامر، ويجب على الضباط أنفسهم قتلهم أو بأوامر منهم.

4 ـ يجب أخذ الحيطة والحذر في كل شيء...

5 ـ تنوير الشخصيات الكُردية المؤثرة، وكذلك الطوائف الإسلامية الأخرى بخصوص النيّات الروسية والأرمنية في المنطقة، وضرورة تنبيههم أن الأمن والسلام يعتمدان على معارضة الروس»[242].

كما أرسلت الحكومة العثمانية في الوقت نفسه برقية إلى الحكومات المحلية في شمال كُردستان وعلى الحدود الروسية العثمانية ورد فيها:

1 ـ سوف تكلّف عناصر من الشرطة متنكرين بزي فلاحين... بالحصول على المعلومات عن التنظيمات الأرمنية، وكذلك التنظيمات غير الإسلامية ومعرفة أماكن تواجدهم؟ وفي أي قرى هم؟ ومن هم الذين يديرونهم، وكذلك أسماء شيوخهم أو رؤسائهم؟

2 ـ ينبغي سحق حركات التمرد، التي سوف تؤدي إلى إحداث الاضطرابات، ولكن من دون استدعاء الجيش، وفي حالة عدم جدوى ذلك يمكن استدعاء الوحدات القريبة منهم، وكذلك مصادرة الأسلحة من أي شخص يشتبه به.

3 ـ يجب كسب الكُرد المسلمين ووجهائهم لدعم قضيتنا، الذين يمكن أن تُساء قيادتهم بسبب الجهل[243].

أ ـ إعلان الحرب والمذابح الكُردية

في 2 تشرين الثاني/ نوفمبر 1914 أعلن السلطان محمد الخامس (1909 ـ 1918)، الحرب ضد روسيا، وناشد الرعايا المسلمين في دول الحلف ـ أي في بلاد المسلمين التي تسيطر عليها كل من روسيا وبريطانيا وفرنسا ـ للمشاركة في كفاح مشترك مع الإمبراطورية العثمانية[244]. وقد ألقت الحكومة العثمانية بكل ثقلها في جبهة القوقاز، والهدف الأول من ذلك كان، كما أراد الاتحاديون منها، هو فتح آسيا الوسطى والاتصال بالأقوام التي تتكلم اللغة التركية، ومحاولة ضمها إلى الدولة العثمانية، وبالتالي تشكيل الوطن التركي الكبير (طوران)[245].

زحفت القوات الروسية، بعد إعلان الدولة العثمانية الحرب عليها مباشرة، جنوباً لتحتل بايزيد، والاشكيرد، وديادين، وقره كليس الحدودية[246]، إلا أنها اصطدمت بالجيش العثماني في معركة (كيبريكي ـ كوبروكوي) التي

أدت إلى هزيمتها وانسحابها من تلك المنطقة في 3/ 12/ 1914، وتغلغلت القوات العثمانية بعد ذلك إلى عمق الأراضي الروسية لكنها اضطرت بعد ذلك إلى الانسحاب هي أيضاً بدورها مع نهاية الشهر[247].

كانت المعركة الحاسمة التي شلت الجيش العثماني بشكل كبير في جبهة القوقاز هي معركة ساريقاميش (Sarikamiş)، ففي كانون الأول/ ديسمبر 1914 وبتشجيع حماسي من المستشارين العسكريين الألمان، بدأ الجيش العثماني الثالث بقيادة أنور باشا شخصياً، هجوماً موجهاً ضد ساريقاميش الحيوية، التي كانت تحتوي على خط سكة حديدية، عبر الحدود الروسية إلى قارص[248]. وقد استمرت هذه المعركة من 4 كانون الأول 1914 إلى 18 كانون الثاني/ يناير 1915، وكانت النتيجة انتصاراً ساحقاً لروسيا، وإبادة الجيش الثالث العثماني بشكل شبه كامل، ومن بين (90000) جندي شاركوا في هذه المعركة، خسر العثمانيون حوالى (70000) بين قتيل وجريح وأسير[249]، وطبقاً لـفليكس كوز (Felix Guse) وهو ألماني خدم رئيساً للأركان في الجيش العثماني الثالث فإنه لم يعد سوى (30000) مقاتل منه، وكان ينبغي إعادة بناء الجيش الثالث من الصفر، لذا لم يستطع استعادة قوته الأصلية قطّ[250].

فيما يخص الأرمن فإنه عندما بدأت الحرب والمعارك الصغيرة الأولى هرب معظم الجنود الأرمن في الجيش العثماني إلى الجانب الروسي، واندمجوا مع الفرق الأرمنية التي كانت تتقدم الجيوش الروسية في معاركها، نظراً لمعرفتها بالمنطقة[251]، إذ يقول نوكالس (Nogales) وهو ضابط ذو رتبة عالية من أميركا الجنوبية في الجيش العثماني ـ بأنه عندما غادر أحد زعماء الحزب الطاشناقي ويدعى باسطرماجديان إلى روسيا أخذ معه: «تقريباً جميع الجنود الأرمن في الجيش الثالث، ليعود معهم بعد مدة قصيرة ويقوموا بحرق

القرى الصغيرة، وذبح جميع سكانها المسلمين المسالمين من الذين وقعوا بأيديهم»[252].

وقعت في تلك المعارك الأولى مذابح للكُرد بشكل واسع، فكثيراً ما تقول المصادر التاريخية إن الكُرد كانوا هم السبب في عدم تقارب القوميتين الكُردية والأرمنية، ولكن أحداث الحرب أثبتت أن الأرمن كانوا هم السبب وليس الكُرد، وذلك لأنهم كانوا يريدون الولايات الست فقط لأنفسهم، ولم يكونوا يريدون لأحد أن يشاركهم العيش فيها، على الرغم من قلة عددهم مقارنة بالكُرد أو بمجموع المسلمين في شمال كُردستان، كما أن المعارك والمذابح الأرمنية الأولى ضد الكُرد أثبتت أن الأرمن في بداية الحرب، لم يكونوا يريدون طرد الكُرد من شمال كُردستان فحسب، ولكنهم أرادوا إبادة الكُرد في تلك المناطق، وذلك مخافة من عودتهم إليها مرة أخرى. يقول جستن مكارثي بهذا الصدد: «بخلاف الأعمال الوحشية ضد المسلمين في أوروبا في الحرب الروسية التركية 1877 ـ 1878 وفي حروب البلقان، يبدو أن هجمات الأرمن على مسلمي الشرق في أثناء الحرب العالمية الأولى تركزت على القتل بدلاً من الدفع إلى الفرار»![253]

فعندما تقدم الجيش الروسي في تلك المناطق في بداية الحرب جرت أولى المذابح فيها للكُرد على يد الفرق المتطوعة الأرمنية المصاحبة للجيش الروسي، وقامت تلك القوات بتدمير القرى التي تقع على طريقها، سواء الواقعة منها في الشمال في بايزيد والاشكيرد أم في الجنوب على حدود ولاية وان.

وقعت المجازر الأولى للكُرد عندما اجتاح الروس منطقتي (دير ـ باشقالا) و(سراي)، التي تقع جنوب وشرق وان، على الحدود العثمانية الإيرانية في بداية الحرب؛ ففي شهر تشرين الثاني/ نوفمبر1914 انسحبت

القوات العثمانية القليلة من المنطقة قبل تقدم الجيش الروسي، على إثرها قامت مجموعات من المتمردين الأرمن المحليين والقادمين من إيران بمهاجمة القرى الكُردية والسكان المدنيين في دير وباشقلا، وفي العديد من القرى المحتلة ارتكبت عمليات اغتصاب جماعية بحق النساء، وتعرض أغلب الذكور للقتل، كما شهدت مدن دير، وباشقلا، وسراي، عمليات نهب وقتل كثيرة. كانت الأحداث في تلك المدن إشارة إلى ما سيحل في المقاطعات الأخرى، حيث تعرض الذكور الذين بلغوا سن القتال للقتل، أما النساء فتعرضن للاغتصاب، في قرية كبيرة واحدة على الأقل قرب سراي اقتاد الأرمن القرويين إلى داخل المسجد الذي أحرقوه فيما بعد بمن فيه. إن الأرقام التي تقدم بها الناجون غير دقيقة، لكنها تشير إلى وحشية الاعتداءات على النساء، فعلى سبيل المثال: «تعرضت أكثر من أربعمائة امرأة وفتاة للاغتصاب في دير»، وعندما تراجع الروس عن دير وباشقلا في شهر كانون الأول/ ديسمبر 1914، فرَّ معظم السكان الأرمن من تلك المنطقة إلى إيران مع الجنود الروس خوفاً من الأعمال الانتقامية، بالمقابل قام أفراد العشائر الكُردية بقتل كل من يصادفهم من الأرمن عند انسحابهم[254]. وقال الميجر نوئيل لاحقاً في عام 1919 عن مذابح باشقلا: «يصعب القول أي مقدار عاش من الأهالي بعد هذه المذابح، التي ارتكبها الأرمن في أعقاب الاحتلال الروسي؛ إن مملكة باش قلعة [باشقلا] التي تحملت كسائر الممالك تقريباً، تقدر الآن تفاخر فقط بسبع قرى مسكونة من (180) قرية قبل الحرب»[255].

أما المذابح الثانية للكُرد فوقعت في المدن الكُردية الحدودية، بين الدولة العثمانية وروسيا في الشمال، ففي يوم الثامن من تشرين الثاني/ نوفمبر 1914 استولى الروس على بايزيد، وديادين، والاشكيرد وارتكبوا مجزرة بحق سكانها، ولم يتمكن من الهرب سوى نفر قليل من سكانها، ولم يتبقَ فيها سوى

سكانها الأرمن ليقوموا بالترحيب بالفاتحين. أبلغ القادة العسكريون الروس في بايزيد سانت بترسبورغ بأن: «القوات [الروسية] استقبلها بكل حفاوة السكان ورجال الدين الأرمن، وأن ممثلين عن مجاميع (إثنية) أخرى كانوا أيضاً من ضمن الحاضرين، إلا أن الأرمن كانوا الأكثر عدداً بينهم...»(256).

في بايزيد وعلى حد قول الأمير شاخوفسكي دمر الأرمن بشكل كامل القرى الكُردية، فعندما علم أهالي تلك القرى أن الجيش الروسي قد اقترب من أراضيهم، أرسلوا إليهم ممثليهم من الوجهاء والرجال المعروفين، ولكن الأرمن ألقوا القبض عليهم وقتلوهم؛ ثم قاموا باحتلال القرى الكُردية وتدميرها وقتلوا جميع أهاليها من الكُرد، وأمام أعين الكُرد كانوا يعتدون على نسائهم(257).

وذكرت بعض التقارير أنه عندما توغل الروس في منطقة بايزيد ـ الاشكيرد، شمال كُردستان في كانون الأول/ ديسمبر 1914، قالوا إنه لم يسلم من سيف الوحدات الأرمنية الملحقة بالجيش الروسي غير واحد من عشرة(258).

كتب الصحفي التركي أحمد أمين يالمان (Yalman) أنه في غضون ثمانية عشر يوماً تقريباً ذُبح السكان المسلمون الذين وصل عددهم إلى مئة وأربعين ألف مسلم على سهل الاشكيرد ـ بايزيد من قبل الجنود المتطوعين الأرمن، ساعدهم على ذلك السكان الأرمن المحليون، وطبقاً لفليكس كوز فإن كلّا من الأرمن الروس والأرمن المحليين قد شاركوا في هذه الأعمال الوحشية(259).

في آذار/ مارس 1915 ارتكب الأرمن والقوات الروسية مجزرة قتل فيها حوالى (30000) مسلم في قارص واردهان، وأزيلت بيوتهم من على وجه الأرض، تاركين نساءهم وأطفالهم من دون طعام أو مأوى، بينما كان يتعرض

الرجال والنساء الآخرون على السواء للضرب والإهانة من جانب الأرمن، الذين كانوا ـ على الأقل إسمياً ـ تحت القيادة الروسية[260].

ومن الجدير ذكره هنا أيضاً أن المذابح الأرمنية والروسية بحق الكُرد في شمال كُردستان لم تتوقف طوال عام 1915؛ ففي قرية ميرهيهو[261] (Merhehu)، في 4 آذار/ مارس 1915 قام الأرمن المحليون بالتنسيق مع المتطوعين الأرمن في الجيش الروسي، بقتل (42) رجلاً و(13) امرأة. وقد ذكرت التقارير العثمانية أن النساء اغتصبْن وقُطِعَتْ صدورهن[262]. وبين السادس من تشرين الثاني/ نوفمبر والعاشر منه عام 1915، قام اللواء الروسي القوزاقي بتدمير القرى الكُردية، التي تقع بين بايزيد ودياذين وقام بارتكاب مجزرة بحق السكان والأطفال، عن طريق الاستيلاء على جميع المواد الغذائية والأعلاف التي عثر عليها في المنطقة[263].

وبهذا يظهر أن أولى شرارات القتل والمذابح في الحرب العالمية الأولى قامت بها الفرق المتطوعة الأرمنية ضد الكُرد في مناطق الاشكيرد، وبايزيد، وجنوب وان، وبالتحديد في باشقلا ودير، وليس العكس ـ كما شاع خطأ عند بعضهم ـ أنّ الكُرد هم من قاموا بالمذابح ما أن بدأت الحرب، كما أنه لم يكن في نية الكُرد مقاومة الروس أصلاً، بل كانوا يرحبون بجيوشهم إلا أن تلك الأعمال أدت إلى تغيير مواقف الكُرد بشكل جذري، كما سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

وهناك شهادات عديدة سجلتها مراكز الشرطة العثمانية آنذاك، ومن بين الشهادات التي أدلى بها السكان الكُرد في تلك المناطق، التي طاولتها المذابح نقتبس الشهادتين الآتيتين:

شهادة تحت القَسَم: أدلى بها (محمد توفان أفندي) دونت هذه الشهادة بتاريخ 4/ 6/ 1916: وأدناه مقتطفات منها: «...إن الأرمن، في بداية الحرب

قاموا وبمعية الروس في 22/ 11/ 1914 باحتلال قرى منطقة الدير، وقد قامت العصابات الأرمنية بقتل جميع الرجال في القرى الكُردية المحتلة. وأثناء مرورهم بها، قتلوا آلاف الأطفال بالسيف، فضلاً عن قيامهم باغتصاب الشابات؛ فقد اغتصبوا أكثر من (400) بنت كُردية، في حين قاموا بقتل النساء العجائز، وقبل احتلال الأرمن باشقلا، التي هي مركز إدارة المنطقة، جاؤوا إلى هذه المدينة في 30/ 11/ 1914، وبدأوا أعمالهم الشنيعة، وأعلن الأرمن الذين كان يقودهم اوزيب (Oseb)... الأحكام العرفية في الكنيسة، وسجنوا أكثر من (200) مسلم، بعد أن مارسوا كل أنواع التعذيب عليهم في قسم الإسطبل في الكنيسة بهدف أخذ أموالهم. أما اللجان الأرمنية تحت قيادة قره بيت أفندي (Garabet Efendi) الذي كان قاضياً في المحكمة، فدخلوا بيوت المسلمين واليهود وسرقوا كل شيء... وتم توزيع السلع المسروقة بين اللجان الأرمنية، وقد بقي العدو (13) يوماً في باشقلا، وخلال هذه المدة قام الأرمن بكل التصرفات المشينة تجاه المسلمين، حتى إنهم فرقوا جموع المسلمين في الجوامع، فضلاً عن أن الطرقات كانت مليئة بجثث النساء، اللاتي قطعت صدورهن وبُقرت بطونهن، أما الأطفال فقطعوا أوصالهم، وهناك العديد من البنات اللاتي اغتصبن، والرجال الذين فقئت أعينهم، وليس بالإمكان سرد كل الأعمال الشنيعة التي قام بها الأرمن»[264].

وهذه شهادة أخرى من أحد أهالي القرى التابعة لبايزيد، عما ما فعله الأرمن بالسكان الآمنين هناك بعد معركة ساريقاميش، يقول (فهيم بك بن قهرمان بك) وهو من سكان مرادية في بايزيد، وسجلت هذه الشهادة بتاريخ (10/ 6/ 1916): «في شهر أيار/ مايو 1915 احتلت الفرق الأرمنية الروسية، التي تضم في معظمها الأرمن، بايزيد و(300) قرية في آباغة (Abaga)، وهي المنطقة التي تعرف بالمرادية، حيث قاموا بذبح المسلمين الذين واجهوهم

في الطريق، حتى أولئك الذين استسلموا لهم، وكما علمنا فإن مصيرنا حتى إذا ما استسلمنا سوف يكون مثل مصير إخواننا، ولذلك قررنا أن نهاجر مع أهالي القرى في المرادية إلى أرسيس، اتخذ (10000) مسلم الذين نجوا من الاضطهاد الأرمني من منطقة آباغة، من المرادية ملجأ لهم... وبعد ذلك سمعنا أن هؤلاء المسلمين الذين اتخذوا مرادية ملجأً لهم قد ذُبحوا، وخلال مسيرتنا أخبرنا صالح بك رئيس قرية كوموش أن الناس في قريته والقرى المجاورة قد ذبحتهم العصابات الأرمنية التي كان يرأسها أرام من وان، وحرقوا الأطفال وهم أحياء في الأفران، وفي الطريق لاحظنا مع صالح بك قرية ايكيش التي كانت تضم (80) منـزلاً وقد أحرقت جميعها، وهناك في كل مكان توجد جثث الرجال والنساء الذين قتلوا بطريقة مروعة، وقد انضم إلينا النساء والأطفال الذين كانوا قد نجوا من كوموس بالاخ وهي قرية جرت فيها المذبحة، وقد أخبرنا هؤلاء أن كل السكان في قريتهم قتلوا بدون رحمة»[265].

كانت هذه الأحداث قد وقعت في بداية الحرب، عند اكتساح الجيوش الروسية المصاحبة للفرق الأرمنية المنطقة الكُردية. وتدل هذه الأحداث على أن المذابح الأولى في شمال كُردستان هي تلك التي ارتكبها الأرمن بحق الكُرد، وليس العكس كما هو معروف في كتب التاريخ.

ب ـ انتفاضة الأرمن في وان (نيسان ـ أيار 1915)

كان ضمن خطة اللجان الأرمنية القيام بانتفاضة كبيرة في معظم المدن والأرياف التي يتواجدون فيها، في جميع مناطق الدولة العثمانية خصوصاً في شمال كُردستان، ما أن يبدأ الجيش الروسي بالتحرك صوب الأراضي العثمانية، وحسب نالبانديان: «كان التوقيت الأنسب ـ بالنسبة إلى الثوار ـ لنشر حالة من التمرد العام، لتحقيق الهدف المباشر هو دخول تركيا الحرب»[266]، لذلك

فبعد إعلان الدولة العثمانية التعبئة العامة، أعطت لجنة الطاشناق في شمال كُردستان، إدارة وان إلى اخريميان، وإدارة بتليس وموش إلى فاهان وبابازيان، للقيام بانتفاضة حالما تتقدم الجيوش الروسية[267].

استناداً إلى مصدر قريب من الانتفاضة في وان كان مجموع المسلمين في مدينة وان يقارب (180000) نسمة، (30000) منهم فقط هم من الأتراك، والبقية كلهم من الكُرد[268]، وطبقاً لمصدر آخر كانت ولاية وان تضم (200000) كُردي، و(120000) أرمني، و(70000) من النساطرة، وبضعة الآف من الأتراك، واليزيدين، واليهود[269]؛ ومع بدء الأوضاع فيها بالاضطراب قام الأتراك بالهجرة منها، ولم يبق فيها إلا الكُرد المسلمون[270]؛ يمكن تطبيق الأمر نفسه على مجمل مناطق شمال كُردستان، أي ما أن اندلعت الحرب حتى هجرها الجميع من المسلمين إلا الكُرد سكانها الأصليون فبقوا، وبالتالي فإن الذين قتلوا وذبحوا ودُمرت قراهم على يد الفرق الأرمنية والجيش الروسي، في معظم مناطق شمال كُردستان كانوا من الكُرد، الذين وثقوا بالجيش الروسي في بداية الحرب، ولم يكونوا يتوقعون هذا العنف من الأرمن.

تسارعت الأحداث في وان منذ شهر شباط/ فبراير 1915[271]، بعد انتشار أخبار الهزيمة الكارثية للجيش العثماني في ساريقاميش، فبدأت حركات تمرّد أرمنية صغيرة في نواحي وأقضية وان مثل كواش. وحسب بعض المراقبين السياسيين الإيرانيين الذين كانوا مطلعين على النشاطات الأرمنية في المنطقة والدعم الروسي لها كانت خطة اللجان الأرمنية على النحو الآتي في وان: «عندما يبدأ الضباط الروس بالتعرض للحدود العثمانية يقوم الأرمن في داخل الولاية مجتمعين بحمل سلاحهم في زمن محدد، ويقومون بالهجوم مرة واحدة على المراكز العسكرية الحيوية المساندة للجيش العثماني، ويسهّلون مهمة الجيش الروسي في التقدم واحتلال المنطقة»[272].

وفي هذه المناطق بالتحديد، وقبل وصول الانتفاضة إلى وان، بدأت المذابح الكُردية على يد المتمردين الأرمن، الذين بدأوا بمهاجمة القرى الكُردية، وكانوا يقتلون أي كُردي يصادفونه وبـدون تمييز سواء أكـان صغيراً أم كبيراً ذكراً أم أنثى؛ فقد كانوا يقتلون الجميع بوحشية[273]، وذكرت تقارير عثمانية أن الأرمن قد أثاروا الكُرد كثيراً، وأن الأرمن قاموا في منطقة ميركة واستوريجوا الواقعة على طريق وان على الحدود الإيرانية العثمانية، في بداية الحرب بقتل (40) كُردياً فيها[274]، وبعد أن أرسل الجيش العثماني في وان بعضاً من أفواجه العسكرية للقضاء على تلك التمردات الأرمنية الصغيرة، استغل الأرمن في مدينة وان الفرصة لإعلان انتفاضتهم في أواسط نيسـان/ ابريل 1915[275].

ألقى جودت بك حاكم وان وصهر أنور باشا، القبض على وجهاء الأرمن في وان بتاريخ 4 نيسان 1915، وقام بإعدامهم جميعاً[276]، إلا أن آرام مانوكيان، النائب السابق في مجلس المبعوثان العثماني، قد تمكن من الإفلات من قبضة جودت بك، وأصبح زعيم انتفاضة وان التي بدأت أحداثها فعلياً في 13 و14 نيسان/ ابريل، بعد أن قتلت القوات العثمانية زعماء الأرمن الآخرين، وسيطر الأرمن على الحي الأرمني فيها وعلى أبرز مرافق المدينة، وتحصن جودت بك مع بعض من أفواجه العسكرية في القلعة القديمة لمدينة وان، على أمل أن تصلهم الإمدادات سريعاً[277].

قام الأرمن في وان بحرق معظم الحي الإسلامي، وقاموا بإغلاق قنوات الماء التي تنقل الماء إلى الحدائق والحقول، وقاموا بتسميم آبار الماء لمنع المسلمين من الحصول على مياه للشرب، أما الطريق الذي كان يؤدي إلى الجامع الكبير المعروف باسم الجامع الأحمر (Kizil Cami) ويمرّ من خلال الحي الأرمني، فكان سكانه يقذفون المسلمين الذين كانوا يذهبون إلى الجامع

بالحجارة، وأخيراً صعّدوا هجومهم عندما قاموا بالاستيلاء على الجامع، وتحويله إلى سجن للمسلمين الذين بقوا أحياء بعد المجزرة، وأطلقوا عليه اسم اسير جامي(Esir Cami) جامع السجناء[278].

كان انترانيك باشا قد قطع الطريق قبل ذلك على الجيش العثماني، عندما احتل مواقع مهمة في باشقلا جنوب وان[279]، وفي هذه الواقعة كان انترانيك قد ضمن استسلام بعض الزعماء الكُرد، الذين كان لديهم أكثر من (1800) خيال تحت قيادتهم، طلب الروس منه أن يسلمهم أولئك الأسرى، لذا ما إن قاموا بإطلاق سراحهم حتى بدأوا بالانتقام عن طريق مهاجمة القرى الأرمنية في المنطقة، مما سبب إحراجاً كبيراً بالنسبة إلى أنترانيك، الذي لجأ فيما بعد إلى قتل جميع الأسرى قبل أن ينتهز الروس الفرصة لأخذهم، ومن ثم يطلقون سراحهم، كما كان انترانيك يهاجم في طريقه القرى الكُردية، الواقعة على الطريق عند عبوره الحدود إلى عمق الأراضي العثمانية في شمال كُردستان[280]. يقول الضابط الروسي يليسييف (Yeliseyev) عن هجمات انترانيك: «تقدمت قواتنا في ملاحقة فرقة (المتطوعين) سيئة الصيت التي يقودها انترانيك، تحركت من اتجاه إيران وقامت بالانتقام بكل مرارة من الكُرد والأتراك، رأينا آثارهم، فجميع القوات الروسية في منطقة وان، التي كانت تتقدم نحو الجنوب دخلت إلى الكتل الوعرة في الجبال... لم يبقَ أي من السكان...الجميع غادروا مع القوات ولم تبقَ سوى جثث القتلى من الكُرد والأرمن والتي عكرت مزاجنا...»[281].

وحسب ما ذكرته التقارير العثمانية كان عدد الثوار الأرمن، الذين بدأوا الانتفاضة وسيطروا على وان حوالى (30000) مسلح[282]، وكان القائد العسكري والسياسي للثوار الأرمن في وان هو أرام مانوكيان، الذي تمكن من الصمود أمام ضربات القوات العثمانية، حتى دخلت فرقة (اتحاد أرارات)

بقيادة (فارتان) إلى المدينة في منتصف شهر أيار/ مايو، وقد كان عدد مسلحيها حوالى (4000) مسلح، تمكنوا من السيطرة على بقية أجزاء المدينة[283]، كما كان لفرقة نزاربكوف (Nazarbegov) الأرمنية، الذي أصبح فيما بعد وزير الحرب في جمهورية أرمينيا، دور كبير في التنكيل بالمسلمين في وان[284].

وفي أثناء تقدم الجنود الأرمن نحو وان وعند دخولها كانوا يرفعون أعلاماً عليها شعارات (الحرية للأرمن)، و(الخلاص لأرمنستان)، وكتبوا على قبعاتهم كلمة (انتقام)[285].

إن دخول الفرق الأرمنية إلى مدينة وان وعدم وصول الإمدادات إلى واليها جودت بك، أضعف الحامية العسكرية فيها كثيراً، مما اضطره إلى الانسحاب منها ومغادرة وان بشكل نهائي في ليلة 16/ 17 من أيار/ مايو 1915، وسقطت معظم أنحاء مدينة وان بعد ذلك بيد الأرمن[286]. وقام السفير الألماني في استانبول بإخبار وزارة الخارجية الألمانية بتلك الحوادث والمذابح، في البرقية التي بعثها في 20 أيار/ مايو 1915 وجاء فيها: «أعلن الأرمن العصيان في ولاية وان، وبدأوا الهجوم على القرى المسلمة وعلى القلعة، خسرت القلعة (300) من أفرادها، وبعد أيام عديدة من قتال الشوارع سقطت المدينة في أيدي العصاة، وفي 17 أيار/ مايو 1915 احتل الروس مدينة وان، وانحاز الأرمن إلى جبهة الأعداء وبدأوا بقتل المسلمين، عندها بدأ (80000) من المسلمين بالهرب من المدينة باتجاه بتليس»[287].

حين أخلى العثمانيون وان هاجمت العصابات الأرمنية على الطرق أولئك الذين استطاعوا الفرار، فقتلت نحو (400) من مجموعة واحدة بين ارجيش وعادلجواز، ووجد لاجئون آخرون أن عصابات أرمنية وقرويين أرمن مسلحين قد سدوا طريقهم، وكانوا يقتلون جميع المسلمين الذين يمرون قريباً منهم[288].

وما أن استولى الأرمن على المدينة حتى قاموا بقتل جميع الكُرد، الذين لم يستطيعوا الهروب، وقاموا بسوق (3000) من الكُرد القرويين، واقتادوهم إلى زيغي خارج وان وذبحوهم، وبالمقابل قامت العشائر الكُردية بالانتقام من القرويين الأرمن الذين وجدوهم[289]. يقول مكارثي: «إن الأرمن قتلوا الكُرد، كما أنهم هاجموا الكُرد في وان أيضاً، مما أجبر الكُرد الآخرين على العودة إلى عادتهم القديمة في (السلب والنهب)، وذلك بسبب أن سلطة الحكومة كانت ضعيفة، ولذلك هرب الأرمن تاركين قراهم، ويذكر بأن القرويين الكُرد الموجودين في وان تعرضوا إلى القتل وبإعداد كبيرة جداً»[290].

مع تقدم الجيش الروسي وتراجع الجنود العثمانيين من وان شارك في الهجوم ضد المسلمين ـ الكُرد ـ عدد من الأرمن المحليين الذين كانوا إلى ذلك الحين بعيدين عن القتال، واتحدوا مع مجموعات أعضاء الفرق الأرمنية، وقد تعرضت قرى المسلمين في منطقة (بازيري) لهجوم الأرمن المحليين ومجموعات أرمنية وصلت قبل تقدم الجيش الروسي؛ لم يكن لدى القرويين المسلمين الأقرب إلى (بازيري) سوى القليل من الوقت ليهربوا، ووفقاً لأقوال الذين تمكنوا من الفرار دُمر العديد من القرى في ذلك الوقت، وأزهقت أرواح كثيرين منهم، وتعرض اللاجئون للهجوم في طريقهم إلى الجنوب، بحيث إن الجثث كانت متناثرة على طول الطريق[291].

سيطر الأرمن المنتصرون على المدينة، وأحرقوا ما تبقى من أحياء المسلمين ومن المنشآت الحكومية والإسلامية، وبعد مضي بضعة أيام، أي في العشرين من أيار/ مايو 1915 دخل الروس إلى وان، وقبيل وصولهم قام الأرمن باستحداث إدارة خاصة بهم في المدينة برئاسة أرام مانوكيان[292]، ويذكر بأنه كان لأرام نفسه دور كبير في تلك المذابح التي حصلت في وان[293].

كما رحب الأرمن بالجنرال الروسي نيكولاييف (Nikolayev) وقدموا

له مفتاح المدينة، وبعد يومين أعلن هذا الأخير في احتفال تشكيل حكومة إقليم وان الأرمنية وعين أرام مانوكيان حاكماً عليها، وأرسل القيصر الروسي تهانيه لهم[294].

استمرت المجزرة ضد المسلمين ـ الكُرد ـ في وان والقرى المحيطة بها، مع بعض الاستثناءات. كان الناجون من وان هم فقط أولئك الذين استطاعوا الفرار مع الجيش العثماني في المقام الأول، دمرت قرى زفيه، وملا قسيم، وشيخ قرة، وشيخ عينة، وزورياد باكس، وخضر، وعمق وايانس، وورندز، وحرويل، ودير، وزيوانا، وقرقر، وقرى كثيرة أخرى لم تحدد بالاسم. ويبدو أن الزعماء المدنيين والدينيين وأسرهم كانوا أول من كان على قائمة الاغتيال في وان، لكن الأرمن أبادوا مسلمي وان بشكل كبير قبل أن يتمكنوا من تنظيم أي مقاومة بزمن طويل، ولم تكن أعمال التعذيب البشعة بحق وجهائهم إلا نتاج كراهية شديدة، إذ دمّر الأرمن كل شيء إسلامي في وان، فقد أحرقوا وهدموا جميع المساجد، ودمروا الحي المسلم كاملاً. وحين انتهت مهمة الأرمن والمعركة بين العثمانيين والأرمن، بدت وان أقرب إلى خرائب قديمة منها إلى مدينة، لم يبق في مدينة وان العريقة برمتها إلا بضعة مبانٍ[295].

حتى بعد وصول الروس عزم الأرمن على إبادة المسلمين الكُرد في المنطقة، فيذكر أن قرى شمال وان قد أبيدت على أيديهم، وأن سكان قرى جنوبها التجأوا إلى الموصل وإيران وجُلهم من الكُرد، أما الباقون فوثقوا بالروس إلا أنهم كانوا مخطئين في ذلك، فقد قتلوا وأبيدوا على يد الأرمن والقوزاق، بل حتى أن بعض الكُرد العائدين إلى وان بعد نداءات الروس لهم وخصوصاً الرحل منهمفقد قتلوا وأبيدوا على يد الفرق الأرمنية[296].

واستناداً إلى تقارير عثمانية صدرت في برلين في 1 تشرين الأول/ أوكتوبر 1915، قُتل ما لا يقل عن (180000) مسلم في أثناء انتفاضة الأرمن

في وان[297]، وبحسب أحد الضباط الروس فإن عدد قتلى الكُرد في منطقة وان وصل إلى (40000) قتيل، وطبقاً لقول بحري بك الملاك من خوشاب، فإن القرى العشرين التي كانت عائدة له قد مات من سكانها الذين كان عددهم (12000) شخصٍ، خلال الأشهر الستة الأولى من الحرب أكثر من (8000) كُردي بسبب المرض[298].

تمكن الجيش العثماني من استعادة وان مرة أخرى في 4 آب/ أغسطس 1915[299]، وعند انسحاب الجيش الروسي منها قام بنهب ما تبقى من المدينة. وحسب بعض المصادر فإن مجموع الأرمن الذين هاجروا من وان مع القوات الروسية إلى القوقاز قد بلغ (400000) أرمني، ولم يكونوا كلهم من أرمن وان، بل من أرمن بتليس وموش والمناطق الأخرى أيضاً، كانوا قد قصدوها عند سيطرة أرام عليها[300]. ثم خسر العثمانيون مرة أخرى مدينة وان في نهاية شهر آب/ أغسطس 1915، واستمرت عمليات السيطرة من الجانبين حتى تمكن الروس من احتلالها بشكل كامل في 29 أيلول/ سبتمبر 1915[301]. وقد تحولت وان إلى مدينة مدمرة تماماً بعد تلك المعارك، وحتى الآن هناك وان القديمة المدمرة، التي تعود للحرب العالمية الأولى، ووان الجديدة التي بناها سكانها الكُرد بعد الحرب[302].

وأخيراً يلخص محمد أمين زكي أوضاع الكُرد في بداية الحرب، وما آلت إليه على يد الأرمن والأتراك من بعدهم بقوله: «في أوائل الحرب العالمية العظمى، ألحقت العصابات الأرمنية المسلحة تسليحاً تاماً، أضراراً عظيمة بأرواح الأكراد وأموالهم، حيث كانت تلك العصابات في مقدمة طلائع الجيوش الروسية، التي اكتسبت بلاد (بايزيد) و(الشكُرد) و(وان)، وليت الأمر كان قاصراً على هذا فقط، بل إن الترك أنفسهم لم يكونوا يحجمون عن تدمير بلاد الكُرد، والإسراف في قتلهم بأسباب وحجج واهية، واستمروا دائبين

على العمل للقضاء عليهم نهائياً، حتى إن أحد قواد الترك الكبار وهو خليل باشا، كان يعترف مباهياً بما ارتكبه ضد الأمراء الوطنيين الكُرد وزعمائهم، من المظالم وأعمال القسوة والانتقام»[303].

جـ ـ الموقف الكُردي

يكاد المؤرخون والباحثون عن موقف الكُرد في شمال كُردستان، من الحرب ومن التحالفات التي شهدتها، أمثال لازاريف[304]، وجليلي جليل[305]، وديفيد مكدول[306]، وستانفورد شو[307]، وجستن مكارثي[308]، وآخرون غيرهم، يجمعون على حقيقة واحدة وهي: إن الكُرد عند اندلاع الحرب العالمية الأولى في جبهة القوقاز، كانوا في موقف معاد ومضاد للأتراك، وكان موقفهم يتأرجح ما بين الحياد والانحياز إلى روسيا، لأسباب عديدة منها مثلاً: إن الكُرد لم يكونوا يثقون بالأتراك، ولا يميلون نحوهم، وإن حركاتهم العديدة في العهد الدستوري، وآخرها حركة ملا سليم البتليسي خير دليل على ذلك[309]، كما أن الكُرد في ولايات بتليس، ووان، وأرضروم، لم يكونوا لينسون البطش الذي مارسه الأتراك ضدهم عند إخمادهم لحركة ملا سليم البتليسي، بل وما فعلوه بالبتليسي نفسه في بداية الحرب، عندما قاموا باعتقاله وإخراجه من القنصلية الروسية في بتليس وإعدامه فوراً وعلى الملأ، فضلاً عن أسباب أخرى مثل الضرائب والتجنيد العسكري. أما بخصوص روسيا فقد كانت حينذاك أقرب الدول الكبرى إلى الكُرد، سواء من ناحية اتصال حدودها مع حدود الكُرد في شمال كُردستان، أو إيوائهم للملا سليم البتليسي في قنصليتهم في بتليس، مما أثّر بشكل كبير في توجّه مشاعر الكُرد نحوهم، كما أنه لا يجب إغفال دور كل من عبد الرزاق بدرخان وكامل بدرخان في تحسين صورة روسيا بنظر الكُرد قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى. هذه الأسباب أدت إلى ميل الكُرد نحو

روسيا أكثر من الأتراك، ولكن رغم ذلك فإن هذا لا ينفي بطبيعة الحال وجود بعض الاستثناءات بين الكُرد، في أنهم قد لازموا جانب الأتراك، وخصوصاً عند إعلان الجهاد ضد الكفار الأجانب.

لا توجد معلومات وافرة يمكن الاعتماد عليها عن حجم المشاركة الكُردية في الجيش العثماني النظامي، وذلك لأن الجميع في هذا الجيش كان يتم تعريفهم على أنهم عثمانيون، أو مسلمون، أو أتراك، حتى وإن كانوا ينتمون إلى قوميات وعناصر أخرى. يقول المؤرخ الكُردي محمد أمين زكي عن الحجم الكُردي في الجيش العثماني في الحرب العالمية الأولى ما يلي: «قدم الشعب الكُردي لأتون هذه الحرب الضروس جيشين؛ هما الجيش الحادي عشر ومقره معمورة العزيز، والجيش الثاني عشر ومقره الموصل، ومائة وخمسة وثلاثين بلوكاً سوارياً من الجيش الاحتياطي، أي أربع فرق ولواء، علاوة على بعض وحدات حاميات الحدود وكامل آلايات الجندرمة ورجال الأمن، وقدم كذلك معظم أفراد جيشين آخرين، وهما الجيش التاسع في أرضروم والعاشر في سيواس»[310]. ولا يختلف ما أورده محمد أمين زكي عن حجم الكُرد في الجيش العثماني عن ما أورده لازاريف والمؤرخون الآخرون[311].

أما عن حال الجندي الكُردي في الجيش العثماني فكان لا يختلف عن حال الجنود الأرمن كثيراً، بل وربما كانت أحواله في بعض القطعات العسكرية أسوأ بكثير من حال الجنود الأرمن، فقد ذكر الطبيب والمبشر الأميركي هنري ريكس (Henry Riggs)، الذي تواجد في خربوط أثناء الحرب العالمية الأولى، أنّ حال الجندي الكُردي في الجيش العثماني لم يكن يختلف عن الجندي الأرمني، بل كان الضباط الأتراك في مرات عديدة يعاملونهم أقسى بكثير من معاملتهم لأقرانهم من الجنود الأرمن، وذلك لأن الكُرد، كما كانوا

يقولون جهلاء ولا يعرفون اللغة التركية، ويضيف بأنه رأى أحد الجنود الكُرد المساكين يضرب حتى الموت بسبب فراره من الجيش ستّ مرات[312].

ذكر كارو ساسوني أن معظم الكُرد في الجيش الثالث قد أُبيدوا في معركة ساريقاميش، وقد نقل عن أنور باشا بعد خسارته في تلك المعركة قوله: «إذا نظرنا إلى مصادمات ساريقاميش من الخارج نحسب أننا مهزومون، ولكن حقيقة نحن منتصرون؛ لأن ساريقاميش من الغابات وحتى أرضروم، وعلى طول الطريق، وعلى مسافات بعيدة تركنا جثث عشرات الآلاف من شباب الكُرد»[313]، ويدعم ديفيد مكدول هذه الحقيقة بقوله: «لقد لاقى الآلاف من المجندين الكُرد حتفهم في الجيش الثالث، المرابط في ساريقاميش وعلى الجبهات الأخرى...»[314].

أما بخصوص الدعايتين التركية والألمانية بين العشائر الكُردية في محاولة منهما لتشكيل فرق غير نظامية منها لدعم الجيش العثماني النظامي والقتال إلى جانبه في المعارك فلم تأتيا بنتائج ملموسة[315]، على الرغم من أن الحكومة العثمانية تمكنت قبل بداية الحرب من تشكيل (16) فوجاً كُردياً في بايزيد وحدها، إلا أن القوة العسكرية الكُردية لم تكن ذات فائدة ملموسة للأتراك العثمانيين في بداية الحرب، فمثلاً لم يبقَ من بين (18000) فارس كُردي كانوا موجودين في صفوف الجيش الثالث سوى (2800) شخص، من جانب آخر وَجّه أبرز قادة الكُرد في شمال كُردستان، أمثال عبد الرزاق بدرخان وكامل بدرخان، بل وحتى القائد الحميدي المشهور كورحسين باشا، نداءً إلى الكُرد يدعونهم فيه إلى: تغيير الجبهة، وتوجيه سلاحهم ضد الدولة العثمانية[316].

وقد أثبتت المعارك الأولى بين روسيا والدولة العثمانية في جبهة القوقاز هذا الأمر، عندما انسحب الكُرد من المعارك ولم يقاتلوا بجانب الجيش

العثماني، فمنذ الشهور الأولى من الحملة على جبهة القوقاز، وبعد معركة كيبريكي بدأت القطعات الكُردية تتشتت عائدة إلى بيوتها، ونظراً للموقف الأرمني والكُردي من الأتراك في بداية الحرب، كتب ف.أ. غوردليفسكي: «كان على السلطات التركية في سنوات الحرب التحرك في أرمينيا الغربية وكردستان كأنما في أرض دولة معادية...»[317].

وقد لوحظت حالات انتقال تشكيلات كُردية، غير نظامية، من ضمن الجيش التركي إلى الجانب الروسي؛ ففي خلال الأسابيع الأولى من الحرب انتقل إلى الجانب الروسي عدد من الزعماء الكُرد وقادة الحميدية ومن ضمنهم: رسول بك وحميد بك من قره كليس، ومحمد بك من ديادين، وعلي بك رئيس ادامين، وقد بلغ عدد قواتهم (4000) فارس، وفي المعارك قرب بايزيد استسلمت القطعات الكُردية إلى الروس بدون مقاومة تقريباً[318]. يقول مكارثي عن هذا الأمر: «برهن أعضاء العشائر الكُردية بمن فيهم أعداء سابقون للحكومة على غرار سمكو [شكاك] عن نيتهم في مواجهة الروس إن كانوا يخسرون، إلا أنه حين بدا الاجتياح الروسي محتملاً جداً، اختفى المقاتلون الكُرد وفرقة الخيالة العشائرية الخفيفة بكل بساطة، إذ غاب أي أثر لوجود الجنود غير النظاميين الكُرد، والسكان الكُرد في وان ما أن بدت الهزيمة وشيكة...»[319].

ومما يجدر ذكره هنا أن معظم المقاتلين في تشكيلات بهاء الدين شاكر، في البداية كانوا من الكُرد الذين جُنّدوا محلياً، ولذلك عندما قام بهاء الدين شاكر بالتصرف ضد التقدم الروسي عبر الحدود العثمانية، وذلك بتحريك تشكيلاته من شرق أرضروم وغرب الخط بين ارتفين والتوا، فإن العديد منهم عادوا إلى بيوتهم ليدافعوا عن عوائلهم ضد الروس، هذا العمل أدى بالجيش العثماني إلى الانسحاب إلى أرضروم وحفر الخنادق والدفاع عنها[320].

إذا كان الأمر هكذا فماذا حدث بعد ذلك لكي يقوم الكُرد بتغيير موقفهم في الحرب والقتال بجانب الأتراك مرة أخرى ضد الجيوش الروسية؟ لقد أشاد المؤرخون الأتراك بعد ذلك، على غرار المؤرخ التركي(حسين قوجة) بالدور الذي أدّته القوات الحميدية في التصدي للجيوش الروسية منذ عام 1915 وحتى العام 1918، حيث يقول: «إن أفواج الحميدية كانوا موفقين في حروب العصابات، التي خاضوها ولمدة طويلة ضد الجماعات الأرمنية، حيث أتقنوا السيطرة على الممرات، واستخدموا طريقة الهجوم بشكل مفاجئ، واستخدموا تكتيك (الكر والفر) مباشرة أثناء حروبهم مع العدو»[321]، وحسب رأي هؤلاء المؤرخين كانت الأفواج الحميدية قد وقفت بوجه الهجمات الروسية والأرمنية، وساهمت في عدم حصول (كارثة روم أيلي ثانية)، في المنطقة التي تضم الأراضي الشرقية في الأناضول[322].

الجواب في سبب التغيير السريع في الموقف الكُردي من الروس والتوجه نحو الأتراك يكمن في تلك المذابح التي ارتكبتها الفرق الأرمنية والجيوش الروسية ضد الكُرد في مناطق بايزيد، والاشكيرد، ووان، وعلى طول الحدود الروسية العثمانية والحدود الإيرانية العثمانية؛ فإن هذه المذابح قد كلفت الكُرد الكثير من الأرواح، الذين لم يقاتلوا بجانب الدولة العثمانية واستقبلوا الفرق الأرمنية والجيش الروسي ظناً منهم أنهم يقاتلون الأتراك من جبهة واحدة وعدوهم واحد، إلا أنهم لاقوا العكس، بل رأوا أن الأرمن يقومون بإبادة الكُرد، وذلك لخلق أرضية مناسبة لاندماج (أرمنستان الغربية)ـ الولايات الست ـ حسب قولهم بأرمنستان الشرقية ـ الروسية ـ وتأسيس دولة أرمنستان الكبرى.

كان استخدام القوة والبطش ضد الكُرد يدخل منذ البداية في المخططات العسكرية الأرمنية، والذين قاموا بدورهم بالتأثير في الروس، فقد قال آمر

سرية الاستطلاع الأشورية الرابعة ومترجم نائب القنصل في أورمية مثلاً، بأن الروس المقتنعين بحلفائهم المخلصين من الأرمن والأشوريين كانوا يشعرون بأن الكُرد غير متمدنين، وغير متحضرين، ولا يفهمون سوى لغة القوة، وكان يجب أن يعاملوا بكل وحشية. وذكر ضباط روس خدموا في ساحة القتال ضد الكُرد بالأسلوب نفسه: بأن الكُرد هم شعب غير متحضر، ولا يعرفون إلا القوة، وهم لا يطيعون سوى القوي. وكتب ضباط روس آخرون عن الإساءات المستمرة الصادرة عن الأرمن في الجيش الروسي بحق الكُرد، الذين كانوا يعانون أصلاً من البرد والجوع، هذه الإساءات كانت أحكاماً فعلية بالموت، إذ اشتكى الكُرد أنفسهم مراراً وتكراراً إلى القادة الروس من ظلم وتعدي الأرمن الخادمين في جيشهم، الذين كانوا يقومون بقتل الكُرد ونفيهم، ويستولون على أراضيهم ويغتصبون نساءهم، ويسرقون ماشيتهم، ويمارسون الابتزاز بحقهم. كان القادة العسكريون الروس يرسلون تقاريرهم بانتظام إلى سانت بطرسبرغ بأن وجود الوحدات الأرمنية في جيش الاحتلال الروسي كان يثير العداء بشكل غير ضروري للسكان الكُرد المستقرين، مما يدفعهم إلى مقاومة الحكم الروسي، وعليه يتوجب عدم استخدام الأرمن في العمليات العسكرية، التي تنفذ في المناطق التي يسكنها الكُرد بشكل رئيسي[323].

ونتيجة لهذه الأعمال، والتي سبقت الإشارة إليها أيضاً، بدأ الكُرد من جديد بتغيير ولائهم نحو العثمانيين على حد قول ستانفورد شو، وقد سببوا بعد ذلك صعوبات جمة للقوات الروسية المحتلة لمناطقهم في شمال كُردستان[324].

فضلاً عن ما مرّ ذكره بخصوص المذابح التي طاولت الكُرد في بداية الحرب، ذكرت تقارير كل من (عبد الرزاق بدرخان، وكامل بدرخان، وبوريس شاخوفسكي) الذين كانوا مشاركين في هذه الحرب، ويقاتلون بجانب الروس

ويقومون بأعمال الدعاية لهم بين الكُرد، وكانوا شهود عيان عما فعله الأرمن بالكُرد في بداية الحرب، بأن انحياز الكُرد إلى جانب الأتراك في الحرب كان بسبب الأعمال الأرمنية المؤذية والمدمرة.

وفيما يلي نبذة صغيرة عن تقرير كل من عبد الرزاق بدرخان وبوريس شاخوفسكي، عن الموقف الكُردي في بداية الحرب وعمليات القتل الأرمنية ضدهم، وسيأتي الحديث لاحقاً في موضوع مستقل عن تقرير كامل بدرخان:

سبق ذكر نشاطات عبد الرزاق بدرخان، في مجال الدعاية لروسيا بين الكُرد، ومحاولة كسب الدعم الروسي للقضية الكُردية؛ من جانب آخر، وفي أثناء الحرب العالمية الأولى قاد عبد الرزاق بنفسه مجموعة من الكُرد وحارب الجيش العثماني في معارك عديدة، ويذكر بنفسه أنه كان يتوقع نجاحاً كبيراً بين الكُرد لتوجيه سلاحهم ضد الأتراك، والوقوف مع الجيش الروسي الذي احتل الأراضي الكُردية في شمال كُردستان، إلا أن أعمال القتل الأرمنية، ومشاركة الجنود الروس في عمليات القتل في مناطق عديدة، وتهاونهم بشأن تلك الأعمال الأرمنية ضد الكُرد قد أضعفت مساعيه كثيراً، وجعل الكُرد لا يثقون به وبوعوده أبداً.

ففي تقرير له يعود تاريخه إلى أواخر العام 1915، يلخص عبد الرزاق بدرخان تاريخ أسرته، التي عملت جاهدة منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، في سبيل نيل الحقوق القومية الكُردية، ليتطرق بعد ذلك إلى دوره في الحرب وما رآه بأم عينيه من المذابح الأرمنية للكُرد، بل كاد هو نفسه أن يقتل على أيدي تلك الفرق[325].

يقول عبد الرزاق: «حين سمعت بمجيء درو [أحد قادة الفرق الأرمنية إلى منطقة بايزيد] مع ثلاثمائة من رجاله إلى كيفيري ـ شاميانة، أقنعت الكُرد بالاطمئنان إليه، لأنني كنت مقتنعاً بأن لا خوف من الأرمن الموالين للروس،

ولكنهم ذبحوا الملا الذي خرج إليهم بالخبز والملح ذبح النعاج؛ ثم دخلوا القرية وقتلوا ثماني نساء مع أطفالهن بحرابهم، مما جعل كُرد آباغة يلاحقون درو وعصابته حتى جرحوه، وأجبروهم على الخروج من القرية»[326].

كثيراً ما يُوجّه النقد إلى الفرسان الحميدية، على أنهم كانوا اليد الطولى للأتراك في ضرب الأرمن، في حين ذكر عبد الرزاق بدرخان أنه ما أن أعلنت الحرب، حتى أبدى خمسة من رؤساء الحميدية رغبة الانضمام إلى الروس وهم: (سردار بك، ومجيد آغا، وعثمان آغا، وحسين بك، وعزيز جانكير آغا)، إلا أن أعمال الأرمن وقتلهم لابن عم أحد هؤلاء، فضلاً عن قتلهم لآخرين قد أثر فيهم، وجعلهم يحاربون مرة أخرى مع الأتراك. يقول عبد الرزاق بخصوص هؤلاء: «إنّ القادة الخمسة أعربوا لي عن تذمرهم، ورأوا أن هذه الأعمال تناقض وعودهم»[327].

وعن مذابح الأرمن للكُرد في باشقالا، ورد الفعل الكُردي ضدهم يقول عبد الرزاق: «قبل سفر الكولونيل نالكاييف لأول مرة إلى باشكالي، لم يلحق الكُرد أي أذى بالأرمن، ليس هذا فحسب، بل حموهم من هجمات العصابات التركية، التي كانت ترتكب النهب والسلب والقتل بين الناس، ولكن الأرمن سلبوا بعض بيوت الكُرد، وقتلوا بعضهم بعد احتلال باشكالي، مما كان سبباً لأنْ يثأر الكُرد لأنفسهم من الأرمن، حين سنحت لهم الفرصة بعد سيطرة الترك على المدينة، مما دفع الأرمن إلى الهجرة إلى روسيا مجبرين. ومن ناحية أخرى فإن الأرمن الذين كانوا قد التحقوا بالقوات الروسية ارتكبوا مجزرة أثناء خروجهم من كوتور، راح ضحيتها (270) شخصاً بين رجل وامرأة وطفل، وأسروا الفتيات الكُرديات كما أحرقوا القرى وسلبوا مواشيها. لقد وصف لي هذه المجازر مفصلاً كل من المير (كنياز ج.ج) جارابخادزي، والباروجيك ايفانوف (من فرقة المشاة الخامسة)، والكابتن بلاتونوف (من

الفرقة الثامنة)، وأشخاص آخرون ممن رأوا تلك المجازر»؛ ثم يضيف بأنه وعند مروره بجولفا: «رأينا البيوت تحترق في قرى الفرسان وسط النيران، التي سببتها العصابات الأرمنية»[328].

يتابع عبد الرزاق بدرخان في تقريره في موضع آخر الأعمال الأرمنية ضد الكُرد بالقول: «كان الأرمن سبباً في تدمير بعض القرى الكُردية بقذائف المدافع، يجب أن نقول الحقيقة، إن الكُرد الجلاليين، أنصاف الغرباء والمقاتلين كانوا يكمنون في المغاور، ويمطرون الجنود الروس بوابل من الرصاص، وحين كانت الفرصة تسنح للمترجمين الأرمن العاملين عند الضباط الروس، كانوا يلقون تبعة تلك الأعمال على القرويين الكُرد البؤساء، الذين لم يكن لهم في كل ذلك أي ذنب... كان أغلب الضباط الروس يميلون إلى الأرمن أكثر من ميلهم نحو الكُرد، بسبب الوشايات الكاذبة التي كان المترجمون الأرمن يشون بها، وفي أغلب الأحيان كان الروس يبخسون الكُرد حقهم بسبب عدم إدراكهم، وهذا ما كان يدفعني إلى تكرار القول للجنرالات بأن العلاقات الروسية الكُردية تستوجب وجود مترجمين من الكُرد السنيين من يريفان وقارص، والحقيقة أقول: كانوا يقبلون اقتراحي ولكنهم لم يعملوا به مطلقاً؛ فلو اهتم الروس بما كان بين الكُرد والجورجيين من أواصر المحبة والمودة لكان ذلك كافياً لأن يتخذوا مترجميهم ممن كان يعرف التركية من هؤلاء»[329].

ينتقل عبد الرزاق بدرخان إلى الحديث عن الأعمال الأرمنية في بعض القرى الكُردية الأخرى، ويذكر بأنهم تحركوا من قرية جوبوقلي باتجاه قرية ملا حسن، وكانت الجبال تواجههم وكأن ثمة ألفا عائلة كُردية فرت من قراها وخيمت هناك: «جاءني مئة من رجالها حين سمعوا خبر مجيئنا، وقدموا لي

رسالة زودهم بها الجنرال تروخين حين كان هناك، تقضي بألا يقاتلهم أحد؛ ثم سلموا أسلحتهم، إلا أن الأرمن كانوا استغلوا غياب الجنرال تروخين، وهاجموا تلك العوائل، وأجبروها على الفرار بعد أن انتهكوا أعراض النساء والفتيات، مما دفع بسبع وعشرين فتاة وامرأة من العوائل المرموقة على الانتحار، كان من بين الرجال المائة الذين جاؤوا إلينا أقرباء أيوب خان بك، شقيق سعيد بك، وهؤلاء كانت قرية ميندان لهم، هاجمهم الأرمن المقيمون في هذه القرية، واستباحوا نساءهم، وقتلوا رجالهم، وسلبوا أموالهم وممتلكاتهم»[330].

ويختتم عبد الرزاق بدرخان تقريره بذكر هذه الحادثة، بالقول: «خرجنا من وان بصعوبة بالغة ـ عندما كان أرام يحكمها ـ حتى وصلنا إلى افزينة في منطقة كوروندشت، حيث أخبرنا الشرطة الأرمن بأن شيخ هذه الديار قد ساند الأرمن، ولم يسمح بقتلهم وقد بادر أرمنيو هذه المنطقة برد الجميل لهم، فأعلنوا عن تضامنهم مع الكُرد، حين قدوم الروس، ورجوهم ألا يغادروا ديارهم. لقد بقي الكُرد في أماكنهم امتثالاً لرغبة الأرمن ووعودهم، ولكن العصابات الأرمنية المسلحة حين دخلت منطقة كوروندشت، بدأت في قتل الكُرد، دون الامتثال لرغبة ورجاء إخوتهم الأرمن، أرشدتنا الشرطة إلى منزل كان فيه ما يقارب ستين جثة، بينما وجدت في القرية المقابلة ثمانمائة جثة أخرى، راح الكُرد المرافقون لي يدفنونها وفق شرائع دينهم»[331].

هذه بعض الحالات التي أشار إليها عبد الرزاق بدرخان في تقريره الذي رفعه إلى الجهات العسكرية الروسية العليا في تفليس، عن أعمال الفرق الأرمنية الوحشية ضد الكُرد عند اكتساح الجيوش الروسية لشمال كُردستان، التي كانت سبباً مؤثراً في تغيير وجهة الكُرد في الحرب، كما أن هذا التقرير وتقارير أخرى في هذا المجال ـ أشير سابقاً إلى بعض منها ـ تذكر بأن المذابح

الأولى في الحرب العالمية الأولى هي تلك التي قام بها الأرمن ضد الكُرد وليس العكس.

لقد دعمت تقارير بوريس شاخوفسكي، الذي شغل في أثناء الحرب منصب رئيس قسم العلاقات مع الكُرد لدى مقر قيادة جيش القوقاز، تقرير عبد الرزاق بدرخان عن سبب تغيير الكُرد لوجهتهم في الحرب، فيتحدث شاخوفسكي عن زعماء الكُرد من الحميدية الذين انضمّوا إلى جانب روسيا في بداية الحرب، إلا أنهم بسبب أعمال الفرق الأرمنية ضدهم غيّروا ولاءَهم، ويضيف أنه عندما اندلعت الحرب ضد تركيا انحاز رسول بك شمسدينوف، وأخوه حميد بك، وأبناء أيوب باشا في ناحية قره كليس، إلى الجيش الروسي مع أفواجهم الحميدية مع العديد من الشخصيات الأخرى، الذين كانت أسماؤهم مدونة ضمن الوثائق الروسية، وقد كان هناك زعماء آخرون يأملون اقتراب الجيش الروسي من مناطقهم لكي ينضموا إليه[332]، بل حتى أن كور حسين باشا كان ينتظر الروس للانتقال إلى جانبهم[333]، إلا أن الجرائم ـ كما يقول ـ التي قام بها الأرمن ضد الكُرد بغير وجه حق، وتبعهم في هذا الأمر الجيش الروسي الذي مارس الأعمال نفسها ضد الكُرد، كانت سبباً كافياً إلى عدم تغيير الكُرد وانحيازهم إلى الروس بعد ذلك، ولم يقوموا بتسليم أنفسهم بعد هذه الأحداث إلى الجيش الروسي، لأنهم كانوا يقتلون ما أن يسلموا أنفسهم، كما أن هؤلاء الأرمن كانوا يقومون بالتعدي على شرف الكُرد[334].

ثم يقول شاخوفسكي: «بعد تلك المذابح التي ارتكبها الأرمن بحق الكُرد [في بداية الحرب] اندفع هؤلاء الكُرد إلى التفكير بسياستهم، وقد تركوا انحيازهم إلينا، وانحازوا بعد ذلك إلى الأتراك وقاتلوا بجانبهم، كما أن زعماء الحميدية الذين كانوا قد أبدوا رغبتهم في القتال إلى جانبنا ضد الأتراك، فروا إلى كُردستان، بعد أن قتل الأرمن بعضاً منهم، وأهانوا آخرين، وأرسلوا

الرسالة التالية إلينا: كنا نعتقد أن الروس يحكمون الأرمن، ولكن الآن تبين لنا أن الأرمن يتحكمون في الروس». وقد ذكر شاخوفسكي أن الكُرد بعد ذلك سببوا صعوبات جمة للجيش الروسي في شمال كُردستان، ولكن رغم ذلك يذكر أنه لم يتغير موقف الكُرد كثيراً من الروس، وكانوا يراسلونهم على أنهم مرحب بهم في كُردستان ولكن بشرط أن لا يصاحبهم الأرمن[335].

أما عن سبب برودة موقف القيادة الروسية من الكُرد، فرأى شاخوفسكي أنه يكمن في التأثير الكبير لسادة الأرمن في تفليس، الذين عملوا من خلال زوجة المحافظ المحلي داشكوف القوية والطاعنة في السن، وفي مقر قيادة القوقاز وفي بطرسبرغ، وعلى أساس تقارير من تفليس اتجهوا فقط لتأييد الأرمن، وأشار شاخوفسكي في أحد تقاريره أن الروس لم يعيروا أي اهتمام للكُرد[336].

هوامش الفصل الرابع

1. تركيا الفتاة: وهم العثمانيون المعارضون لحكم السلطان عبد الحميد الثاني، الذين تجمعوا في أوروبا منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وتمكنوا من الظفر بالحكم إثر انقلاب 23 تموز/ يوليو 1908، عن طريق جمعيتهم المعروفة باسم جمعية (الاتحاد والترقي)، للمزيد ينظر: ارنست أ. رامزور، تركية الفتاة وثورة 1908، ترجمة: صالح احمد العلي، قدم له وراجعه: نقولا زيادة، بيروت، 1960، ص39 وما بعدها.
2. Arsen Avagyan ve Gaidz F.Minassian, Ermeniler Ittihat Vc Terakki: Işbriliginden Gatismay, Istambul, 2005, S. 22; Andre Mandelstam, La Société des Nations...
3. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص158.
4. ينظر:

   -Roderic H. Davison, «The Armenian Crisis 1912-1914», The American Historical Review, Vol.53, No.3, 3 Apr 1948, P.481-505; Fatih Unal, op. cit. , P. 49-77.
5. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص160.
6. ينظر، مؤلفه: مذكراتي السياسية...، ص29.
7. Justin McCarthy and others, op. cit., P. 150.
8. Fatih Unal, op. cit., P. 49.
9. Garo Sasuni, A.G.E., S.136.
10. Fatih Unal, op. cit., P. 53.
11. M.Kalman, Bati-Ermenistan..., S.83-84.
12. Yusuf Halaçoglu, Facts On The Relocation Of Armenians 1914-1918, Ankara, 2002, P. 44.
13. Fatih Unal, op. cit., P. 52.
14. Salahi Sonyel, The Great War.., P. 35.

   - لمعرفة أجواء الفرح التي عمت الأوساط الأرمنية إثر إعلان نبأ الانقلاب العثماني بشكل مفصل ينظر:

   -Rouben Der Minasian, Op. Cit., P. 230-236; Hüseyin Çelik, The

1915 Armenian Revolt In Van: Eyewitness Testimony, Via at: (www.tallarmeniantale.com).

15. No.333, Captain Dickson to Sir G.Lowther, Van, September 30, 1908, IN:(M.D.B.D.A), P. 488-489.
16. Ibid, P. 489.
17. Ibid, P. 491-492.
18. Inclosure No. 333, Captain Dickson to Sir G.Lowther, Van, September 30, 1908, IN:(M.D.B.D.A), P. 493-495.
19. للتفاصيل عن هذه الجمعية الكُردية ومؤسسيها ينظر: مالميسانز، جەمعییەتی تەعاون و تەرقی کورد رۆژنامەکەی، وەرگێران: زریان رۆژهەلاتی، پێداچوونەوەی: سدیق سالح، سلێمانی، 2007، ل11-78؛ علي تتر توفيق، الحياة السياسية في كوردستان 1908-1926، ترجمة: تحسين إبراهيم الدوسكي، مراجعة: عبد الفتاح علي البوتاني، دهوك، 2007، ص86-94.
20. ينظر الأعداد التسعة الأولى من هذه المجلة على صورتها الأصلية، ومترجمة أيضاً إلى اللغة التركية الحديثة، التي تمكن من العثور عليها حتى الآن الباحث الكُردي محمد أمين بوز ارسلان في كتابه:

    -M.Emin Bozarslan, Kürd Teavün Ve Terakk Gazetesi, Govara Kurdi-Turki , Kürdçe-Türkçe Dergi 1908-1909, Uppsala-Sweden, 1998.
21. من المفيد أن نذكر هنا أن هذه المجلة تعرف بين الأوساط الثقافية الكردية بمجلة (كُرد) فقط.
22. جمعيتمزك رئيس فضائل انيسى سيد عبدالقادر عبيداه افندينك نمونهء فكر وعرفان، مجلة كُرد، العدد (1)، 5 كانون الأول/ ديسمبر 1908، ص6-7.
23. إسماعيل حقي بابان (1876-1913): هو ابن ذهني باشا بن حسين باشا، كان عضواً نشيطاً في جمعية الاتحاد والترقي العثمانية، وانضم كذلك إلى جمعية التعاون والترقي الكُردية، انتخب في العام 1908 مبعوثاً عن بغداد في مجلس المبعوثان العثماني، أصبح أستاذاً في جامعة استانبول بعد ذلك. للمزيد ينظر: مير بصري، المصدر السابق، ص65.
24. ينظر مقاله: كردلر وكردستان، مجلة كُرد، العدد (1)، 5 كانون الأول/ ديسمبر 1908، ص3-4.

25. سليمان نظيف (1868-1927): هو ابن سعيد باشا من كُرد دياربكر، عاش في أوروبا إبّان عهد السلطان عبد الحميد الثاني. عرف سليمان نظيف بآرائه الحرة، ونزعته الدستورية. تقلد عدة مناصب في عهد الاتحاديين منها والي الموصل، وبغداد، والبصرة. وهو من أمر بإعدام الشيخ عبد السلام البرزاني في عام 1914 عندما كان والياً على الموصل. للمزيد ينظر: مير بصري، المصدر السابق، ص66-69؛ كورديكى يەكرەنگ، ديارى ژمارەى، گۆڤارى رۆژنامەڤانى، ژمارە (9)، هەولێر، هاوينى 2002، ل3-4.
26. ينظر مقاله: ازمير كردستان دكل، مجلة كُرد، العدد (7)، 16 كانون الثاني/ يناير 1909، ص51.
27. جمعيتك بياننامەسى، مجلة كُرد، العدد (1)، 5 كانون الأول/ ديسمبر 1908، ص1-2.
28. Erdal Ilter, Armenian And Russian Oppressions 1914-1916: Testimonies Of Witnesses, Ankara, 1999, P. 31.
29. ينظر مقاله: المصدر السابق، ص3-4.
30. ملحق في تقرير السيد هيرد، 3 كانون الثاني/ يناير 1909، في: عثمان علي، الكورد في الوثائق البريطانية...، ص105.
31. جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص73-74؛ مالميسانز، القومية الكوردية ود.عبد الله جودت...، ص32.
32. Bengi Kümbül, A.G.E., S.76-79;
- عبد الله العلياوي، المصدر السابق، ص220-223؛ جاوان حسين فيض الله الجاف، الكُرد وموقفهم من جمعية الاتحاد والترقي **1889-1914**: دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2009، ص84-85.
33. No.333, Captain Dickson to Sir G. Lowther, Van, September 30, 1908, IN:(M.D.B.D.A), P.489.
34. Ibid, P. 491.
35. Justin McCarthy and others, op. cit., P. 133-134.
36. Bengi Kümbül, A.G.E., S.78.
37. للتفاصيل عن بعض المرشحين الكُرد ودورهم في مجلس المبعوثان العثماني خلال عامي 1908-1909، ينظر: عبد الله العلياوي، المصدر السابق، ص223-228؛ جاوان حسين فيض الله الجاف، المصدر السابق، ص85-86.

38. Bengi Kümbül, A.G.E., S.78-79.

39. شايان دقت برتلغرافنامه: دياربكر 13 كانون أول/ ديسمبر 324، مجلة كُرد، العدد (5)، 2 كانون الثاني/ يناير 1909، ص40.

40. كُرد، مجلة كُرد، العدد (5)، 2 كانون الثاني/ يناير 1909، ص40.

41. ينظر مقاله: كردلر وارمنيلر، مجلة كُرد، العدد (9)، 30 كانون الثاني 1909، ص75.

42. سليمان بن حسين باشا الارزنجاني، المصدر السابق، ص75-76.

43. المصدر نفسه، ص76-77.

44. Fatih Unal, op. cit., P. 53.

45. M. Kalman, A.G.E., S. 82.

46. Fatih Unal, op. cit., P. 62.

47. للتفاصيل عن حركة إبراهيم باشا الملي، ينظر: احمد عثمان ابو بكر، أكراد الملي وإبراهيم باشا في: إبراهيم الداقوقي وآخرون، عشائر كُردستان، أربيل، 2002، ص93-140؛ محمد علي بك إبراهيم باشا، أمير أمراء كُردستان إبراهيم باشا الملي 1845-1908، دراسة وتحقيق: عبد الفتاح علي البوتاني وعلي صالح الميراني، أربيل، 2009، ص14 وما بعدها.

48. Dikran Mesrob Kaligian, Armenian Organization and Ideology under Ottoman Rule 1908-1914, New Brunswick-New Jersey, 2009, P.68-69;

- ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص166؛ مارتن فان بروينسن، الآغا...، ج1، ص412.

49. الانقلاب المضاد: وهو الانقلاب الذي قاده المؤيدون للسلطان عبد الحميد الثاني وللجامعة الإسلامية في 13 نيسان/ ابريل 1909، الذين نادوا بأن الشريعة الإسلامية في خطر، بعد أن سرت الشائعات أنّ النظام الدستوري العلماني الجديد قد خرق الشريعة. فقد هاجمت مجموعة من الضباط والجنود مجلس المبعوثان والباب العالي، وطالبوا بإسقاط الحكومة التي أقامها الاتحاديون، ثم ما لبثت أن انتشرت حركات مماثلة في بعض الولايات العثمانية الأخرى، إلا أن الاتحاديين تمكنوا من السيطرة عليها، واتهموا السلطان عبد الحميد بتدبير هذا الانقلاب، فخلعوه على إثرها. ينظر: احمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، بيروت، 1982، ص272-273.

50. Dikran Mesrob Kaligian, op. cit., P. 69;

- م. س. لازاريف، المصدر السابق، ص224-233.

51. م. س. لازاريف، المصدر السابق، ص227.

52. صالح بدرخان (1874-1915): ويسمى كذلك صالح عوني بدرخان، ولد في مدينة اللاذقية بسوريا، وهو ابن محمود عزت بن صالح بن عبد الله خان، ووالدته هي ليلى ابنة بدرخان بك، انتقل بين عدة مدن في بلاد الشام بهدف الدراسة، أصدر في العام 1900 جريدة (أوميد) في القاهرة، وكتب مقالات في مجلتي (روزى كُرد) و(يكبون) عام 1913، توفي في عام 1915 إثر إصابته بمرض التيفوئيد. للمزيد ينظر: صالح بدرخان (مذكراتي)، ترجمة: روشن بدرخان، دمشق، 1991، ص11 وما بعدها؛ مالميسانز، بدرخانيو جزيرة بوتان...، ص176.

53. ينظر: مجلة روزى كورد، العدد(3)، 14 آب/ أغسطس 1913، ص6-10؛ هوكَر طاهر توفيق، دور الصحافة...، ص172.

54. عن هذه المناقشات بخصوص الفرسان الحميدية في مجلس المبعوثان العثماني، ينظر: م. س. لازاريف، المصدر السابق، ص224-226.

55. Fatih Unal, op. cit., P.62;

- ماجد محمد زاخويي، المصدر السابق، ص125-136.

56. Fatih Unal, op. cit., P. 64.

57. Ibid, P. 65-66; Justin McCarthy and others, op. cit., P. 152.

58. Fatih Unal, op. cit., P. 66-67.

59. Roderic H. Davison, op. cit., P. 483.

60. مطاليب جمعية طاشناقسوتيون، جريدة التقدم (الحلبية)، العدد (391)، 9 أيار/ مايو 1913. نقلاً عن: الكسندر كشيشيان، صفحات وثائقية من جريدة (التقدم) الحلبية عن الأحوال الأرمنية والعربية في الدولة العثمانية، حلب، د.ت، ص112.

61. Dikran Mesrob Kaligian, op. cit., P. 60-61.

62. حول هذه المطالب والشكاوى الكُردية ينظر:

-Inclosure No.370, Disappearing Armenia, In:(M.D.B.D.A), P. 588-590; Fatih Unal, op. cit., P.59-60; Justin McCarthy and others, op. cit., P. 152-153.

63. Dikran Mesrob Kaligian, op. cit., P. 63; Arsen Avagyan ve Gaidz F.Minassian, A.G.E., S.38.

64. No.333, Captain Dickson to Sir G. Lowther, Van, September 30, 1908, In:(M.D.B.D.A), P. 491.
65. حول ضغط الأرمن على الاتحاديين بخصوص مشكلة عائدات أراضيهم مع الكُرد، وعدم استجابة الحكومة العثمانية للمطالب الكُردية ينظر:
 -Dikran Mesrob Kaligian, op. cit., P. 61-66; Fatih Unal, op. cit., P. 59-62.
66. Dikran Mesrob Kaligian, op. cit., P. 59-60.
67. مالميسانز، القومية الكوردية ود.عبد الله جودت...، ص33.
68. كردلر-ارمنيلر، مجلة كُرد، العدد (7)، 16 كانون الثاني/ يناير 1909، ص54.
69. Garo Sasuni, A.G.E., S.143.
70. ينظر، مؤلفه: المصدر السابق، ص169؛ جرجيس فتح الله، يقظة الكُرد: تاريخ سياسي ١٩٠٠-١٩٢٥، اربيل، 2002، ص63-64.
71. Dikran Mesrob Kaligian, op. cit., P. 62.
72. Fatih Unal, op. cit., P. 60.
73. Ibid.
74. Dikran Mesrob Kaligian, op. cit., P. 63.
75. Fatih Unal, op. cit., P. 60-61
76. Bengi Kümbül, A.G.E., S.48-49;
 - م. س. لازاريف، المصدر السابق، ص294-295.
77. Erdal Ilter, Op. Cit., P. 33-34.
78. Fatih Unal, op. cit., P. 67.
79. Justin McCarthy and others, op. cit., P. 152-153.
80. Fatih Unal, op. cit., P. 68.
81. Ibid, P.69; Justin McCarthy and others, Op. Cit., P. 153.
82. Kurdistan Ou Armenie, Op. Cit., P. 17-18.
83. Fatih Unal, Op. Cit., P. 57-58.
84. من المفيد ذكره هنا أن اثنين من مؤسسي جمعية الاتحاد والترقي العثمانية التي تأسست في العام 1889، كانوا من الكُرد، وهما:(عبد الله جودت، واسحق سكوتي)، ينظر: أرنست أ. رامزور، المصدر السابق، ص50-51؛ عبد الله العلياوي، المصدر السابق، ص187-188.

85. أكدت الجمعية الكُردية أن أحد أهدافها هو ضمان سلامة الدولة والحفاظ على الدستور. ينظر: جمعيتك بياننامه‌سى، المصدر السابق، ص1-2.
86. سعيد النورسي(1876-1960): يعد من أبرز علماء الدين الإسلامي الكُرد في الدولة العثمانية، عمل في مجال التعليم الكُردي، وله نشاطات سياسية عديدة لعل أبرزها اشتراكه في تأسيس جمعيتي (التعاون والترقي) و(التعالي) الكرديتين، وهو الذي أسس حركة النور في تركيا. ولا يزال سعيد النورسي مثار جدل واسع بين المثقفين الكُرد حول دوره في الحركة التحررية الكُردية. للمزيد، ينظر: آزاد سعيد سمو، سعيد النورسي: حركته ومشروعه الإصلاحي في تركيا 1876-1960، دمشق، 2008؛ عبد الله محمد علي العلياوي، سعيد النورسي ودوره في الكوردايتي، مجلة جامعة السليمانية، العدد (8)، قسم B، 2001، ص238-239.
87. ينظر النص الكامل لهذا الكتاب بالعربية والتركية العثمانية في: بديع الزمان سعيد النورسي، آثار بديعية، استانبول، 1999، ص490- 656. من الجدير بالتنويه هنا أننا على الرغم من وجود أخطاء لغوية عديدة في النصوص المقتبسة من كتاب سعيد النورسي فقد اقتبسنا تلك النصوص دون أية تغييرات حفاظاً على الأمانة العلمية.
88. المصدر نفسه، ص623-624.
89. المصدر نفسه، ص627-628.
90. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص169؛ جرجيس فتح الله، المصدر السابق، ص64.
91. Guenter Lewy, Op. Cit., P. 35.
92. Dikran Mesrob Kaligian, op. cit., P. 52.
93. Inclosure No.333, Captain Dickson to Sir G.Lowther, Van, September 30, 1908, IN:(M.D.B.D.A), P. 493-495.
94. للتفاصيل عن هذه المذابح وتأثيرها في علاقة الأرمن بالأتراك، ينظر:
-Arman J.Kirakossian, British Diplomacy..., P.303-304; Guenter Lewy, Op. Cit., P.35; Helen Davenport Gibbons, The Red Rugs Of Tarsus: A Woman›S Record Of The Armenian Massacre Of 1909, New York, 1917.
95. No.372,Turkey Annual Report 1913: Mr. Beaumont to sir Edward Grey, December 4, 1914, Asiatic Turkey, IN:(M.D.B.D.A), P. 593-598.

96. M.Kalman, Bati-Ermenistan..., S.80-82.

97. Dikran Mesrob Kaligian, op. cit., P.43-48.

98. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص163؛

-Guenter Lewy, Op. Cit., P. 34-35.

99. Dikran Mesrob Kaligian, op. cit., P. 68.

100. Hikmct Özdemir, Ermenilcrin Uyrukluk Sorunu Içinde: 80. Yilinda 2003 Penceresinden Lozan Sempozyumu, Ankara, 2005, S.102-103.

101. No.347, Sir G.Lowther to Sir Edward Grey, Constantinople, October 4, 1911, In:(M.D.B.D.A), P. 541-543.

102. ينظر نص هذه الخطبة في الملحق رقم (6). من المهم القول هنا: إن مشير باشا قد تعرض لانتقاد شديد من جانب بعض زعماء الاتحاديين على خلفية نشر خطابه هذا، ومنهم مثلاً: جلال نوري بك ينظر:الكسندر كشيشيان، المصدر السابق، ص71.

103. David Gaunt, Op.Cit, P. 40.

104. Guenter Lewy, Op.Cit, P. 36.

105. للتفاصيل عن حرب البلقان وتأثيرها في الدولة العثمانية، ينظر: فيروز احمد، الحرب والمجتمع تحت حكم الأتراك الشباب **1908-1918**، في: ألبرت حوراني وآخرون، الشرق الأوسط الحديث، الجزء الأول: طلائع الإصلاح وتبدل العلاقات مع أوروبا ١٧٨٩-١٩١٨، ترجمة: اسعد صقر، دمشق، 1996، ص159-178.

106. Roderic H. Davison, Op. Cit., P. 483-485; Samuel M.Zwemer, Op. Cit., P. 344-346.

107. Garo Sasuni, A.G.E., S.145.

108. Salahi Sonyel, The Great War..., P. 72-74.

109. محكمة لاهاي: كان تأسيس هذه المحكمة أحد إنجازات مؤتمر لاهاي في هولندا، الذي كان قد عقد في عام 1899، لبحث مسألة سباق التسلح الأوروبي، وقرر مؤتمر لاهاي إقامة هذه المحكمة بصورة دائمة للتحكيم، تضم في عضويتها عدداً كبيراً من الخبراء القانونيين العالميين.ينظر: عبدالوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، ج5، ط3، بيروت، 1990، ص398.

110. Roderic H.Davison, op. cit., P. 485-486.

111. Guenter Lewy, Op. Cit., P. 36.
112. Fatih Unal, op. cit., P. 70-71; Justin McCarthy and others, op. cit., P. 146.
113. Zekeriya Turkmen, Vilayat-I Sarkiye (Dogu Anadolu Vilayetleri) Islahat Mufettisligi 1913-1914, Ankara, 2006, S.79 -80; Roderic H.Davison, op. cit., P. 490.
114. Roderic H.Davison, op. cit., P. 488-497.
115.Zekeriya Turkmen, A.G.E., S.138-140.
116. للتفاصيل عن السياسة الروسية تجاه المسالة الأرمنية خلال أعوام 1912-1914، ينظر:

-Roderic H. Davison, op. cit., P. 85-497.

117. تكون هذا الحلف في عام 1907 لمواجهة التحالف الثلاثي المتكون من (ألمانيا، وإمبراطورية النمسا-المجر، وايطاليا)، وإن جذور هذين الحلفين تمتد إلى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وقد اندلعت الحرب العالمية الأولى بالأساس بين هذين الحلفين أو المعسكرين. للتفاصيل، ينظر: بيير رونوفن، المصدر السابق، ص13-27؛ هـ. أ. ل. فيشر، المصدر السابق، ص423-440.
118. Roderic H. Davison, op. cit., P490; Zekeriya Turkmen, A.G.E., S.135-136.
119. Fatih Unal, op. cit., P71-72; A.O. Sarkissian, Op. Cit., P. 109-111.
120. ينظر النص الكامل لمشروع (الإصلاحات الأرمنية) الذي تقدم به ماندلستام في: جمال باشا السفاح (مذكرات)، ترجمة: علي احمد سليمان شكري، تحقيق: عبد المجيد محمود خالد، بيروت، 2004، ص323-334.
121. Roderic H. Davison, Op. Cit., P.490-492; Arman J. Kirakossian, British Diplomacy..., P. 308-312.
122. Roderic H.Davison, Op. Cit., P. 491;

- فيروز احمد، المصدر السابق، ص161-167.

123. Roderic H. Davison.Op.Cit., P. 491.
124. نقلاً عن: م. س. لازاريف، المصدر السابق، ص355.
125. Bengi Kümbül, A.G.E., S.49.

126. Justin McCarthy and others, op. cit., P. 146-147.

127. من المفيد القول هنا: إن نائب القنصل الفرنسي في وان، زارزكي قدم من جانبه إلى سفارة بلاده في استانبول عدة فرضيات بخصوص علاقة الكُرد بالأرمن، وسياسة الإصلاحات في شمال كردستان، بتاريخ 11/10/1913، في تقريره المعنون (المسألة الكردية الأرمنية في قرى وان وبتليس)، أما هذه الفرضيات فتتلخص، بـ:1- منح حكم ذاتي كردي أرمني. ولكنه يعقب بعد ذلك باستحالة تطبيق هذا الأمر، لانقسام الكُرد والأرمن، وعدم اتفاقهم فيما بينهم، لذلك من المستبعد نجاح مثل هذا الحكم. 2- منح حكم ذاتي للكُرد وللأرمن بشكل منفصل. ولكن زارزكي أقر بصعوبة هذا الحل أيضاً، لاختلاط الكُرد والأرمن في المناطق التي يسكنونها، وصعوبة الفصل بين الشعبين، وربما سيؤدي مثل هذا الحل إلى مشاكل كبيرة في المستقبل. 3- تطبيق تركيا للإصلاحات. 4-احتلال الروس للمحافظات الشرقية لآسيا الصغرى.

وحين استبعد نائب القنصل الفرنسي زارزكي الفرضيتين الأولى، والثانية، ذكر أن الدول الأوروبية إذا لم تحاول فرض الإصلاحات من جديد على المنطقة، ويفضل أن تكون تحت إشراف أوروبي، فإن المنطقة برمتها لا محالة ستقع تحت الاحتلال الروسي، وهذا الأمر سيؤثر في المصالح الفرنسية في آسيا الصغرى. ينظر:

- No.20, M.Zarzecki Vice-Consul de France à Van, à M. Pichon M.A.E, Van, Le Octobre 1913, Le: Hasan Dilan, Fransiz Diplomatik Belgelerinde Ermeni Olaylari 1914-1918- Les Evenements Armeniens Dans Les Documents Diplomatiques Francais 1914-1918, Vol: Ii, Ankara, 2005, P.22-29.

128 .André Mandelstam, La Société des Nations...; Guenter Lewy, Op. Cit., P. 37-38.

129 .Halil Metin, A.G.E., S. 80-81.

130 .Guenter Lewy, Op. Cit., P. 38.

131. نقلاً عن: جمال باشا السفاح، المصدر السابق، ص337.

132 .Halil Metin, A.G.E., S.81.

133. V. Yeghiayan ve L. Fermanian,RAFAEL LEMKIN: Soykirimi Dosyasi, Turkcesi Ali Cakiroglu, Istambul, 2009, S.31; Guenter Lewy, op. cit., P. 38.

134 . Justin McCarthy and others, op. cit., P. 166-167.

135 . Guenter Lewy, Op. Cit., P. 38.

136 . Ibid; Justin McCarthy and others, op. cit., P.167.

137 . Aspirations Et Agissement, Op. Cit., P. 70-71.

138 . Ibid, P. 71-73.

139 . Ibid, P. 74-75.

- ينظر نص هذا التقرير كذلك في:

-Rahmetli Babamin, A.G.E., S. 221-228.

140. Aspirations Et Agissement, Op. Cit., P. 75-79.

141. No.369, British Vice Consulate(J.Molyneux-Seel), Van, April 4th, 1913, IN:(M.D.B.D.A), P. 582-585.

142. Inclosure in No. 367, Consul Monahan to Sir G.Lowther, Erzeroum, June 14, 1913, IN:(M.D.B.D.A), P. 578-581.

143. Salahi R.Sonyel, Minorities And The Destruction..., P. 301.

- ينظر كذلك :

-Inclosure 2 in No.389, Vice-Consul Smith to Sir L.Mallet, Van, January 10, 1914, IN:(M.D.B.D.A), P. 635-636.

144 .No.363, Consul Monahan to Sir G.Lowther, Erzeroum, April 23, 1913, In:(M.D.B.D.A), P. 574-575; Inclosure in No.367, Consul Monahan to Sir G. Lowther, Erzeroum, June 14, 1913, In: (M.D.B.D.A), P. 578-581.

145. Ibid.

146. No.365, Sir G. Lowther to Sir Edward Grey, Constantinople, June 29, 1913, IN:(M.D.B.D.A), P.575-576; No.366, Sir G.Lowther to Sir Edward Grey, Constantinople, May 7, 1913, IN:(M.D.B.D.A), P. 576-378.

147. No. 379, Inclosure in Consul Monahans No.61 of 29th. september 1913 Armenian Bishop of Moush to consul Monahan, Moush 2/15 August 1913 in: (M.D.B.D.A), P. 612-616.

148. No.385, Asiatic Turkey And Arabia Confidential, Mr. Marling to Sir Edward Grey, Constantinople, October 10, 1913, IN:(M.D.B.D.A), P. 626.

149. يقول في تقريره هذا إنه لا ينفي حدوث بعض السرقات الصغيرة من جانب الكُرد وعمليات الاختطاف، ولكنه يذكر أنه لم يشاهد في الوقت نفسه مثل هذه الحالات حتى في القرى التي زارها بنفسه، ينظر:

-No.377, Erzeroum, 29th Sptember 1913, IN:(M.D.B.D.A), P 603.

150 .Ibid.

151 .Ibid, P. 604-605.

152. خليل خيالي(1876-1949): يعد واضع الألفباء الكُردية المبنية على أساس الحروف العربية، له دور كبير في الحياة الثقافية الكُردية في الربع الأول من القرن العشرين. للمزيد، ينظر: هوكر طاهر توفيق، الألفباء الكوردية...، ص23-32.

153. باب ناجو، فاعتبروا يا أولي الأبصار، مجلة هتاوى كرد، العدد (2)، 4 كانون الأول/ ديسمبر 1913، ص3-10. من الجدير بالذكر أن اسم (باب ناجو) هو أحد ألقاب خليل خيالي.

154. ينظر، مذكراته: مسألة كُردستان: 60 عاماً من النضال المسلح للشعب الكُردي ضد العبودية، تنقيح وتقديم: عز الدين مصطفى رسول، ط2، بيروت، 1997، ص41.

155. المصدر نفسه، ص41-42.

156 .No.378, British Vice-Consulate His Excellency Sir Grard A.Lowther, Van, May 10th, 1913, IN:(M.D.B.D.A), P. 611-612.

157. ينظر النص الكامل لهذه البرقية في الملحق رقم (7).

158. نقلاً عن: م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص296.

159 .Inclosure No.370, Disappearing Armenia, In:(M.D.B.D.A), P. 587.

160 .Ibid.

161 .Ibid.

162 .Ibid.

163 .Ibid, P. 588.

164 .Ibid, P. 589.

165 .Ibid, P. 591.

166. ينظر مثلاً:

-No.386, Sir G.Lowther to Sir Edward Grey, Constantinople, December 31, 1912, IN:(M.D.B.D.A), P. 626- 627.

167 .No.369, British Vice Consulate (J.MOLYNEUX-SEEL), Van, April 4th, 1913, IN:(M.D.B.D.A), P. 582-585.

168 .No. 362, Sir G.Lowther to Sir Edward Grey, Constantinople, April 5, 1913, IN:(M.D.B.D.A), P. 573.

169 .Justin McCarthy and others, op. cit., P.149-150.

170. للتفاصيل عن الأوضاع في شمال كُردستان بعد حرب البلقان ينظر: جليلي جليل وآخرون، المصدر السابق، ص76-87.

171. كامل بدرخان (يوسف كامل بدرخان) (؟-1934): وهو أحد أبناء الأمير بدرخان، كان من المعارضين للحكم التركي لكُردستان، فقد عارض حكم السلطان عبد الحميد الثاني وعارض الاتحاديين، وكان من مؤسسي لجنة الإرشاد الكُردية في عام 1913، وكان له دورٌ كبيرٌ في الحرب العالمية الأولى، وقاتل إلى جانب الجيش الروسي؛ وقد اتخذ بعد ذلك مدينة تفليس عاصمة جورجيا مكان إقامته بعد انتهاء الحرب حتى وفاته. ينظر: مالميسانز، بدرخانيو...، ص144-151.

172. لا بد من التنويه هنا أن الكُرد ربما كانوا متأثرين بالتنظيمات السياسية الأرمنية وعملها في المنطقة، حتى أن اختيار الكُرد لمصطلح (اللجنة) كما وردت في معظم الوثائق البريطانية، يبدو أنه كان متأثراً باسم (لجنة) الطاشناق التي كان لها نشاط كبير في المنطقة آنذاك.

173. تم اختيار مدينة بتليس بعد ذلك لتنفيذ هذا الدور، وصارت مركزاً للحركة الكُردية التي تزعمتها لجنة الإرشاد.

174. يقصد سفراء الدول الأوروبية الأربع، الذين كانوا يبحثون في شأن الإصلاحات الأرمنية بعد انتهاء حرب البلقان عام 1913 وهي: بريطانيا، وروسيا، وفرنسا، وألمانيا كما مر بنا سابقاً.

175 .No. 384, Inclosure in Mr.Consul Monahan,s No.69, of, 31st, October 1913: A summary translation from the Armenian newspaper Haratch, IN:(M.D.B.D.A), P.624-625; Justin McCarthy and others, op. cit., P. 284-285.

176. هناك خلط واضح في المعلومات التي أوردها الباحثون والمؤرخون، الذين تناولوا الأحداث السياسية والتاريخية التي مر بها الشعب الكردي في شمال كردستان خلال أعوام 1912-1914، بإعطائهم انطباعاً بأنه كان هناك تنظيمان سياسيان في كردستان خلال المدة 1912-1914، فعندما يتحدثون عن التحركات الكردية بقيادة عائلة بدرخان يذكرون أنهم عملوا على تأسيس تنظيم كردي في أعقاب انتهاء حرب البلقان في العام 1913، وأن هؤلاء القادة قد اجتمعوا في أرضروم خلال شهر أيار لبحث هذا الأمر، ولكن لا يشيرون إلى أن هذا التنظيم هو تنظيم الإرشاد بالمعنى الدقيق، ولا يتحدثون بعد ذلك عن محاولات العائلة البدرخانية وتحركاتها ضد الحكومة العثمانية إلا بشكل منفرد، ولكن هؤلاء الباحثين عندما يتحدثون عن حركة ملا سليم يذكرون أن المخطط الأول لهذه الحركة هو تنظيم الإرشاد الذي كان تحت زعامة ملا سليم البتليسي والذي تأسس في عام 1913، رغم ذكر البعض منهم اشتراك بعض أفراد العائلة البدرخانية فيها، في حين وبعد اكتشاف العديد من الوثائق الأجنبية، التي تعود إلى تلك المدة، وربط الأحداث بعضها ببعض وبناء أمور عليها تبين أن تنظيم الإرشاد الذي كان يقود حركة ملا سليم البتليسي هو التنظيم نفسه الذي كان قد تأسس في أيار/ مايو 1913 في أرضروم، وكان لايزال على رأسه البدرخانيون، والمحرك الأول لهذا التنظيم منذ البداية وحتى ما بعد انهيار حركة ملا سليم البتليسي كان عبد الرزاق بدرخان بالدرجة الأولى. كما أن هناك وَهْماً آخر وقع فيه أغلب هؤلاء المؤرخين والباحثين، وهو أنهم يتعاملون مع كل حركة على حِدة، وكأنه ليس لإحداهما علاقة بالأخرى مثل حركة حسين بدرخان، وتحركات عبد الرزاق بدرخان، وحركة ملا سليم البتليسي، إلا إن من بينهم من أشار فعلاً إلى وجود انتفاضة كردية كبيرة في المنطقة، مثل لازاريف وعثمان علي.ينظر: م. س. لازاريف، المصدر السابق، ص289-358؛ جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص137-225؛ ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص171-175؛ عثمان علي، دراسات في الحركة الكردية...، ص215-233؛ كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص101-112؛ صلاح محمد سليم هروري، الأسرة البدرخانية...، ص41-71؛ علي تتر توفيق، المصدر السابق، ص125-134.

177. نقلاً عن مؤلفه: نهضة الأكراد...، ص192-193.

178. سنتطرق هنا فقط، إلى علاقة هذه الحركات الكردية بالأرمن، والموقف الأرمني منها، وذلك لأن المجال لا يتسع هنا للخوض في تفاصيلها التي لا ترتبط بموضوع

الدراسة، كما أن تفاصيلها متوافرة في المصادر التاريخية الأخرى، ولا داعي لتكرارها هنا.

179. مالمسيانز، بدرخانيو...، ص130.

180. ينظر: م. س. لازاريف، المصدر السابق، ص303-306. يذكر الباحث ديفيد مكدول بأن حسين بدرخان، كان الشخصية الرئيسة وراء التآمر الكُردي في المنطقة حتى اغتياله. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص173.

181. مالميسانز، القومية الكوردية ود.عبد الله جودت...، ص58.

182. المصدر نفسه.

183 .No. 396, British Vice Consulate (J.Molyneux-Seel), Van, April 4Th, 1913, In:(M.D.B.D.A), P. 582-585.

184. يشير نائب القنصل البريطاني في وان أيان سميث في تقرير له بتاريخ 10 كانون الثاني/ يناير 1914، إلى أن الاتحاد الكُردي الذي كان من المزمع تشكيله، تحت قيادة عائلة بدرخان قد باء بالفشل. ينظر:

-Inclosure 1 in No. 389, Vice-Consul Smith to L.Mallet, Van, January 10, 1914, IN:(M.D.B.D.A), P. 634.

- من المهم هنا القول بأن جليلي جليل يذكر أنّ خير الدين برازي كان رئيس اللجنة الكردية، إلا أن عبد الرزاق بدرخان يقول إنه كان أحد الذين وضعوا أساس اللجنة الثورية الكردية. ينظر: جليلي جليل وآخرون، المصدر السابق، ص78؛ عبد الرزاق بدرخان، بقعة ضوء، ترجمة وإعداد جليلي جليل، ترجمة النص الكُردي: حيدر عمر-علي جعفر، برلين، 2000، ص32.

185. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص172-173؛ مالمسيانز، بدرخانيو جزيرة بوتان...، ص136.

186. بۆ كرمانجی: ونداکی مزن، مجلة روزى كُرد، العدد (2)، 19 تموز/ يوليو 1913، ص21، في: رۆژی کورد 1913: گۆڤاری جفاتی هێڤی لی قوتابیانی کورد -1913 ئەستەموول، ئامادەکردن ولێکۆلینەوەی: عەبدوللا زەنگەنە، پێشەکی: ئیسماعیل شوکر، سلیمانی، 2005.

187. ينظر: حيات مشاهير: بدرخانى حسين باشا مجلة روزى كورد، العدد (3)، 14 أب/ أغسطس 1913، ص4-6، في: هەمان سەرچاوە.

188. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص173؛

-Justin McCarthy and others, op. cit., P. 159-160.

189. للتفاصيل ينظر: جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص137-189؛ صلاح محمد سليم هروري، الأسرة البدرخانية...، ص59-72.
190. م. س. لازاريف، المصدر السابق، ص297-304.
191 .Justin McCarthy and others, op. cit., P. 159.
192 .Salahi R.Sonyel, Minorities..., P. 299.
193. دبليو. أي. ويكرام وادكار. تي. أي. ويكرام، مهد البشرية: الحياة في شرق كُردستان، ترجمة: جرجيس فتح الله، ط4، أربيل، 2010، ص37-38.
194 .Justin McCarthy and others, op. cit., P. 159.
195. لظهور هذه الوثيقة أهمية كبيرة في تاريخ الكُرد، فرغم علاقتها بالمسألة الأرمنية بشكل مباشر، بينت هذه الوثيقة أن الحركة الكُردية خلال عامي 1913-1914 إنما كانت تقودها لجنة الإرشاد، وأن هذه الوثيقة قد عملت على ربط الأحداث والتحركات الكُردية في شمال كُردستان، منذ مؤتمر أيار/ مايو 1913 في أرضروم، حتى ما بعد انهيار حركة الملا سليم البتليسي في نيسان/ ابريل 1914. للاطلاع على النص الكامل لمنشور عبد الرزاق بدرخان ينظر الملحق رقم (8).
196 .Garo Sasuni, A.G.E., S.146-147;

- عثمان علي، دراسات...، ص215-226.

197. ينظر: جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص198-199.
198. ينظر مذكراته: المصدر السابق، ص32.
199. نقلاً عن مؤلفه: المصدر السابق، ص310.
200 .Garo Sasuni, A.G.E., S.147-148
201 .A.E.;

- مالميسانز، القومية الكردية ود.عبد الله جودت...، ص61.

202. نقلاً عن: م. س. لازاريف، المصدر السابق، ص318.
203. جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص202.
204. الوثيقة رقم (8)، بتليس، 16 نيسان 1914، في: عثمان علي، الكورد في الوثائق...، ص126-127.
205. Garo Sasuni, A.G.E., S. 148.
206. A.E.
207. جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص213.

208. زنار سلوبي، المصدر السابق، ص45.
209. جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص220.
210 .Garo Sasuni, A.G.E., S.148-149; Bengi Kümbül, A.G.E., S.109.
211. الوثيقة رقم (8)، بتليس، 16 نيسان 1914، في: عثمان علي، الكورد في الوثائق...، ص121.
212. نقلاً عن: جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص206-207.
213. م. س. لازاريف، المصدر السابق، ص312.
214 .Garo Sasuni, A.G.E., S.148.
215. ئەفراسیاو هەورامی، کورد لە ئەرشیفی رووسیا و سۆڤیەتدا، پێداچوونەوەی کوردییەکەی: مستەفا غەفور، هەولێر،2006، ل10.
216. ينظر مثلاً:

-No. 415, Report on a Journey through part of Vilayets of Van and Bitlis, 25 MAY 1914, IN:(M.D.B.D.A), P.662-665; Hüseyin Çelik, Op. Cit.

217. جليلي جليل، نهضة الأكراد...، ص209.
218. نقلاً عن: المصدر نفسه، ص222-223.
219. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص319-341.
220. ينظر مؤلفه: نهضة الأكراد...، ص137 وما بعدها.
221. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص170-173.
222. ينظر:

-Justin McCarthy , The Armenian Rebellion..., P. 157-169.

223 .Kurdistan Ou Armenie, Op. Cit., P. 17.
224 .Ibid, P. 17-18.
225. يقصد هنا جمعية الاستقلال الكُردية، التي أسسها أحمد ثريا بدرخان مع بعض الكُرد الآخرين في مدينة القاهرة المصرية عام 1917، واللافت هنا أن هذه الجمعية الكُردية، وكما هو متعارف عليه، كانت قد تأسست في العام 1917، ولكن هذا النص قد يوحي أنها ربما كانت قد تأسست قبل تلك المدة، أو أن العضو الذي ينتمي إلى هذه الجمعية الذي زار المشرفيْنِ الأوروبيين في استانبول في عام 1914، كان من أحد المؤسسين لهذه الجمعية بعد ذلك.ينظر: علي تتر توفيق، المصدر السابق، ص171-177.

226 .Kurdistan Ou Armenie, Op. Cit., P. 19.

227 .David Gaunt, Op. Cit., P. 56-57; Samuel M.Zwemer, Op. Cit., P.346; Viscount Bryce, The Treatment Of Armenians In The Ottoma n Empire, London, 1916, P. 43-45.

228 .Bengi KÜMBÜL, A.G.E., S112.

229 .A.E., S.112-113; Mim Kemal OKE, op. cit., P. 108- 109.

230. للتفاصيل عن هذه الإستراتيجية الأرمنية ينظر:

- No. 394, Erzeroum, 14th October 1914, IN:(M.D.B.D.A), P. 644-646; Justin McCarthy and others, op. cit., P. 277-387; Stanford J. Shaw, The Ottoman Empire In World War I, Vol: I, Ankara, 2006, P. 94-105.

231 .Yusuf Halaçoglu, Op. Cit., P. 46-47.

232. ارمنى قوميتةلرينك امال وحركات اختلاليةسى: اعلان مشروطيتدن اول وصوكره، استانبول، 1332(1916)، ص202-203؛

-Stanford J. Shaw, Op. Cit., Vol: II, P. 864.

233 .Ibid, P. 802.

234 .David Gaunt, Op. Cit., P.56.

- يذكر عدد من المؤرخين الأتراك أن حوالى (60000) أرمني تطوعوا في الجيش الروسي قبل بدء الحرب، كما وردت في شهادات أرمنية بأن عدد المتطوعين الأرمن العثمانيين في الجيش الروسي بلغ (30000) متطوع، ينظر:

-Hikmet Özdemir Ve Digerleri, Ermeniler: Surgun Ve Goc, Ankara, 2005, S.56; Verjiné Svazlian, Memories Of Eyewitness-Survivors Of The Armenian Genocide, Translated from Armenian by: Tigran Tsulikian and Anahit Darbinian, Via at: (http://ermeni.org).

235. Mim Kemal ÖKE, op. cit., P. 109.

236. Stanford J. Shaw, Op. Cit., Vol: I, P. 95-97.

237. Ibid, P104; Mim Kemal OKE, op. cit., P.109.

238. للتفاصيل عن تلك الفرق الأرمنية، تشكيلاتها، وتحركاتها، ومعاركها العسكرية،

ينظر: الوثيقة رقم (2008)، إلى قيادة مجموعة باسنلر في بدروانس، 11حزيران 1915، في: الوثائق، المجلد الثالث، انقرة، 1986، ص61-63؛ جستن مكارثي، المصدر السابق، ص 198-199؛ بول اميل، المصدر السابق، ص52-53؛

-Stanford J. Shaw, Op. Cit., Vol: I, P. 103-105; Stanford J. Shaw, Op. Cit., Vol:II P. 782-783; Guenter Lewy, Op. Cit., P. 103.

239 .David Gaunt, Op. Cit., P. 57-59;

- هايكازن غازاريان، وثائق تاريخية عن المجازر الأرمنية عام ١٩١٥، ترجمة: نزار خليلي، سلسلة دراسات ووثائق المجازر الأرمنية (4)، اللاذقية-سوريا، 1995، ص39-41.

240 .Stanford J. Shaw, Op. Cit., Vol: I, P. 431.

241 .Ibid, P. 434.

242 .NO: 1, Erzurum 19.9.1914, Le :Documents, Ankara, 1982, P. 23.

243 .Ibid, P. 22.

- ينظر نص الوثيقتين المارّتي الذكر أيضاً على الموقع الالكتروني:

-http://www.tallarmeniantale.com/index.htm.

244 .David Gaunt, Op. Cit., P. 62;

- بيير رونوفن، المصدر السابق، ص51.

245 .Dana Renee Smythe, Remembering the Forgotten Genocide: Armenia in the First World, MA Thesis University East Tennessee State, the faculty of the Department of History, 2001, P. 120-121;

- م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص432.

246. جستن مكارثي، المصدر السابق، ص 193؛

-Erdal Ilter, Op. Cit., P. 16-17.

247. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص433-434.

248 .David Gaunt, Op. Cit., P. 59-60.

249. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص434؛

-Justin McCarthy and others, op. cit., P. 178-180; Maria T. O. Shea, Trapped Between The Map And Reality: Geography and Perceptions of Kurdistan, New York & London, 2004, P. 84.

250 .David Gaunt, op. cit., P. 60.

251. الوثيقة رقم (1999)، إلى قسم إحلال الأمن والسكون المستقل، 25 شباط 1915، في: الوثائق، المصدر السابق، ص23-24؛ الوثيقة رقم (2000)، نسخة شيفرة من ولاية ادنة بتاريخ 26 شباط 1915، في: المصدر نفسه، ص27-28.

252 .Guenter Lewy, Op. Cit., P. 117.

253. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص202.

254 .Justin McCarthy and others, op. cit., P. 233-234.

255. ينظر تقريره: ملاحظة في الوضعية الكوردية، تقديم: عبد الفتاح علي البوتاني، جامعة دهوك، 2009، ص32. سيأتي الحديث عن هذا التقرير لاحقاً.

256 .Stanford J. Shaw, Op. Cit., Vol: II, P. 805.

257. ئەفراسیاو هەورامی، سەرچاوه پێشوو، ل85.

258 .Maria T.O.Shea, op. cit., P. 88;

-ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص177-178.

259 .Guenter Lewy, op. cit., P.117.

260 .Stanford J. Shaw, op. cit., Vol: II, P. 919.

261. هكذا وردت في المصدر، وربما هي قرية مير ميهو(محو) الذي كان على خلاف مع الأرمن، قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى، كما مر بنا.

262 .Guenter Lewy, op. cit., P.117.

263 .Stanford J. Shaw, op. cit., Vol: II, P. 809.

264.Ahmed Rustem Bey, The World War And The Turco-Armenian Question, Berne, 1918, P. 96; Erdal Ilter, Op. Cit., P. 95-97.

265 .Erdal Ilter, op. cit., P.97-98.

266 .Justin McCarthy and others, op. cit., P. 180-181.

267.Azmi Süslü, Armenians And The 1915 Event Of Displacement, Second Edition, Ankara, 1999, P. 70.

268. فريديوف نانسن، من كتابه (أرمينيا والشرق الأدنى): الأرمن خلال الحرب العظمى، في: الفيكونت جيمس برايس وآخرون، المصدر السابق، ص94.

269.Rene Pinon, L'indépendance De L'arménie, La Voix De L'arménie, Revue Bi-Mensuelle, No.24,15 Decembre 1918, Paris, P. 866.

- أقرت هاتان الإحصائيتان، رغم وجود بعض الملاحظات عليهما، أنّ عدد الكُرد كان يفوق الجميع في وان.

270. فريديوف نانسن، المصدر السابق، ص94.

271. الوثيقة رقم (1998)، شيفرة من انقرة لوزارة الحربية، 25 شباط 1915، في: الوثائق، المصدر السابق، ص19.

272 .Halil Metin, A.G.E., S.144.

273 .A.E., S.145.

274 .Par M. G., La Défense Héroique De Van (Arménie), Genève, 1916, P. 25-26.

275 .Halil Metin, A.G.E., S.147.

276 .Recep Maraşli, A.G.E., S.213.

277. جستن مكارثي، المصدر السابق، ص193-194؛

-Yusuf Halaçoglu, op. cit., P. 55.

278 .Stanford J. Shaw, op. cit., Vol: II, P. 804.

279. الوثيقة رقم (2007)، إلى مديرية الأمن العام، 22 أيار 1915، في: الوثائق، المصدر السابق، ص53؛

-Antranik Çelebyan, A.G.E., S.179-180.

280 .Stanford J. Shaw, op. cit., Vol: II, P. 786.

281 .Ibid, P. 952.

282 .Justin McCarthy and others, op. cit. P.206.

283 .Recep Maraşli, A.G.E., S.213.

284 .Stanford J. Shaw, op. cit., Vol: II, P. 910.

285. ارمنى قوميتةلرينك امال وحركات اختلاليةسى، المصدر السابق، ص205.

286 .Yusuf Halaçoglu, op. cit., P. 55.

287 .Ibid, P. 54.

288. جستن مكارثي، المصدر السابق، ص204.

289 .Justin McCarthy, (Seminar on Turkish-Armenian Relations Organized by the Democratic Principles Association 15 March 2001 / Istambul), Via at: http://www.mfa.gov.tr/grupa/ad/adf/pres.by.prof.mccarthy..htm.

290 .Justin McCarthy, The Ottoman Peoples And The End Of Empire, London, 2001, P. 110.

291 .Justin McCarthy and others, op. cit., P. 236.

- للمزيد عن أحوال الكُرد والمسلمين خلال انتفاضة وان، ينظر:

-Hüseyin Çelik, op. cit.

292 .Justin McCarthy and others, op. cit., P. 215-216.

293 .Erdal Ilter, op. cit., P.98.

294 .Justin McCarthy and others, op. cit., P. 216.

295. جستن مكارثي، المصدر السابق، ص203-204.

296. Justin McCarthy and others, op. cit., P. 238-241.

297. فريديوف نانسن، المصدر السابق، ص94.

298. م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص441.

299 .Justin McCarthy and others, op. cit., P. 242.

300 .Stanford J. Shaw And Ezel Kural Shaw, Op. Cit., P. 316.

301 .Justin McCarthy and others, op. cit., P. 242.

302 .Recep MaraŞli, A.G.E., S.213.

303. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص255.

304. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص417.

305. ينظر: جليلي جليلي وآخرون، المصدر السابق، ص89-90.

306. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص176-177.

307 .Stanford J. Shaw, op. cit., Vol: I, P. 422-424.

308 .Justin McCarthy and others, op. cit., P.219-220.

309. اندلعت في كُردستان حركات عديدة بعد الانقلاب الدستوري في تموز 1908، منها حركة إبراهيم باشا الملي، وأحداث الشيخ سعيد الحفيد، وحركة عبد السلام البرزاني.

310. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص252.

311. ينظر مثلاً: م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص416-420.

312 .Henry H.Riggs, Days Of Tragedy In Armenia: Personal Experiences in Harpoot 1915-1917, Michigan, 1997, P. 43-44.

313 .Garo Sasuni, A.G.E., S.155-156.

314. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص181.

315. للتفاصيل عن الدعاية التركية والألمانية بين الكُرد قبل الحرب العالمية الأولى ينظر: كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص130-164.

316. م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص416 و ص435.

317. جليلي جليل وآخرون، المصدر السابق، ص90.

318. م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص436.

319 .Justin McCarthy and others, op. cit., P. 220.

320 .Stanford J. Shaw, op. cit., Vol: I, P. 422-423.

321 .Mustafa Akyol, A.G.E., S.46.

322 .A.E., S.46-47.

323.Stanford J. Shaw, op. cit., Vol:II, P.805-806.

324 .Ibid, P.810

325. عبد الرزاق بدرخان، المصدر السابق، ص23-25.

326. المصدر نفسه، ص39.

327. المصدر نفسه، ص41.

328. المصدر نفسه، ص43-45.

329. المصدر نفسه، ص46.

330. المصدر نفسه، ص51-52.

331. المصدر نفسه، ص53

332. ئەفراسیاو هەورامی، سەرچاوە پێشوو، ل38.

333. هەمان سەرچاوە، ل84-85.

334. هەمان سەرچاوە، ل38.

335. هەمان سەرچاوە.

336. م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص462-463.

الفصل الخامس

عمليات التهجير والتطورات الأخيرة للمسألة الأرمنية 1915 ـ 1920

أولاً ـ تهجير الأرمن والكُرد من شمال كُردستان.

أ ـ تهجير الأرمن.

ب ـ التهجير الكُردي.

جـ ـ استيطان الأتراك ومسلمي البلقان في شمال كُردستان.

ثانياً ـ الاحتلال الروسي لشمال كُردستان 1916 ـ 1917.

أ ـ العمليات العسكرية.

ب ـ تقرير كامل بدرخان 29 أيلول 1917.

ثالثاً ـ الكُرد والأرمن في العام الأخير من الحرب.

رابعاً ـ الكُرد والأرمن في مؤتمر السلام في باريس.

أ ـ النشاط السياسي الأرمني.

ب ـ النشاط السياسي الكُردي.

خامساً ـ موقف الدول الكُبرى من المسألتين الأرمنية والكُردية.

أ ـ روسيا (السوفياتية).

ب ـ فرنسا.

جـ ـ الولايات المتحدة الأميركية.

د ـ بريطانيا.

سادساً ـ نشوء الحركة الكمالية وتطورها في شمال كُردستان ونهاية المسألة الأرمنية.

أولاً ـ تهجير الأرمن والكُرد من شمال كُردستان

اتبع القادة العسكريون منذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أسلوبَ إخلاء المناطق الداخلة ضمن خط المواجهات الحربية من السكان وخصوصاً من الأقليات المشكوك في ولائها، من خلال الترحيل القسري على أنه إجراء ضروري تفرضه ظروف الحرب. وهذا الأمر كان أسلوباً مارسته الدول الاستعمارية في إفريقيا، وبصفته تكتيكاً عسكرياً غالباً ما كان مصطحباً بدرجة عالية من الأعمال الوحشية؛ لأن الترحيل كان يتم بشكل سريع ودون أي مقاومة تذكر. فالبريطانيون خلال الحرب البويرية[1] (Boer War)، والألمان في صراعهم مع قبائل الهيريرو[2] (Herero) في جنوب غرب إفريقيا مطلع القرن العشرين قاموا بتطبيق عقوبات جماعية بهذه الطريقة. أما حروب البلقان فقد تمخضت عنها عملية تطهير عرقي واسعة. وخلال الحرب العالمية الأولى أخلى الألمان خطوط الجبهة في بلغاريا وفرنسا من الناس في المناطق التي احتلوها، لأنهم كانوا يتوقعون أنهم غير موالين. وفي ذلك الوقت، بدأت عمليات الترحيل القسرية التي رافقتها أعمال لاإنسانية وحشية قاسية ـ كما حدث في بلغاريا ـ والتي كانت تهدف إلى بث الذعر في نفوس السكان، ودفعهم للهرب أو على الأقل تخويفهم. كما قامت روسيا أيضاً بعمليات ترحيل قسرية للسكان، ففي 25 تموز/ يوليو 1914 أصدر رئيس الأركان أوامره بإخلاء (رعايا العدو من الذكور الذين بلغوا

سن الخدمة العسكرية) قرب الحدود الروسية، فقد أرسل السكان من ذوي الأصل النمساوي والألماني الذين ـ يستطيعون بدنياً حمل السلاح ـ إلى روسيا الوسطى، كما نفوا اليهود أيضاً. في كانون الثاني/ يناير 1915 وعلى طول الجبهة القوقازية، أصدر نائب الملك داشكوف أوامره بترحيل الآلاف من المسلمين (المتصلبين) من قارص وباطوم، ودفعهم مئات الأميال باتجاه الشمال نحو روسيا الوسطى[3].

رأت حكومة الاتحاديين من جانبها أيضاً، وخصوصاً وزير الحربية أنور باشا[4]، ورئيس الوزراء طلعت باشا[5]، بعد الخسارة في معركة ساريقاميش وانتفاضة الأرمن في وان، ضرورة إيجاد حل ليس للمسألتين الأرمنية والكُردية فحسب، بل في إعادة تنظيم الخريطة القومية في شمال كُردستان، وكان هذا الحل برأيهم تهجير الأقوام غير المخلصة والمشكوك في ولائها للأتراك من المنطقة، وإسكانهم في غرب الأناضول على أن تتراوح نسبة نفوسهم ما بين (5 %) إلى (10 %) من مجموع سكان تلك المناطق. أما المرحلة الثانية من خطتهم فكانت تتضمن جلب وإسكان الأتراك والأقوام المسلمة الأخرى، التي كانت قد هاجرت من البلقان هرباً من التنكيل المسيحي في حروب عامي 1912 ـ 1913.

كان تطبيق هذه السياسة على أرض الواقع ضرباً من الخيال إذا جاز التعبير، خصوصاً إذا ما عُلِمت الظروف المزرية التي كانت تمر بها الدولة العثمانية وتحديداً في جبهتها القوقازية، إلا أن رؤساء الاتحاديين آثروا أن يطبقوها، إذا ما كانت ستصب في مصلحة الدولة العثمانية ومصلحة الأتراك بالدرجة الأساس، وعلى حد تعبير أحد الضباط الأتراك بهذا الشأن عندما قال: «إذا كنا نحن الأتراك ننـزف دماً حتى الموت في هذه المعركة، من أجل وجود الإمبراطورية العثمانية فلا يوجد شعب آخر في هذه الإمبراطورية يقوم

بذلك»[6]. وهناك من يرى أنَّ أساس فكرة التهجير والمذابح كان قد ولّدها الألمان عند زعماء الاتحاديين نتيجة لخبرتهم السابقة في هذا المجال[7].

لقد مرّت ما يعرف بخطة أنور وطلعت الأصلية بثلاث مراحل، لجعل شمال كُردستان منطقة مؤيدة ومخلصة للأتراك، وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولى تهجير الأرمن: في البداية كان على أنور وطلعت تهجير الأرمن قبل غيرهم من العناصر والشعوب، وبأسرع وقت ممكن نتيجة لتطورات الحرب، وهناك سببان لتهجير الأرمن قبل غيرهم، الأول: الخيانة العلنية التي أظهرها الأرمن ما إنْ بدأت الحرب، حسب وجهة نظرهما، خصوصاً وأن أنور باشا كان القائد الأول للجيش في ساريقاميش، وكان مّطلعاً عن قرب على الأعمال الأرمنية في هذا المجال، وكان يرى في الأرمن سبباً رئيساً في هزيمته في ساريقاميش، وكانت قد حدثت انتفاضات أرمنية مماثلة بعد سقوط مدينة وان، في كل من: بتليس، وموش، وأرضروم، وزيتون، وسيواس، وقيصري، والاسكندرونة، وأورفا[8]، والثاني: كان عدد نفوس الأرمن أقل بكثير من الكُرد، بحيث يمكن التعامل معهم بسرعة مقارنة بالكُرد.

أما المرحلة الثانية: من الخطة فتضمنت: تهجير الكُرد بعد أن ينتهوا من الأرمن، وإسكانهم في ولايات غرب الأناضول، وذلك بسبب ما ثبت لديهم من عدم إخلاصهم أيضاً، في معارك الدولة العثمانية الأولى في جبهة القوقاز، أما السبب الثاني في تهجير الكُرد أن زعماء الاتحاديين رأوا على ما يبدو أن منطقة شمال كُردستان ـ الأناضول الشرقية ـ قد تحولت إلى منطقة كُردية خالصة بعد تهجير الأرمن منها، وهذا ما أثار مخاوفهم من استغلال الكُرد لهذه الظروف الجديدة، والقيام بانتفاضة يصعب على الحكومة العثمانية السيطرة عليها وقمعها، مما سيؤدي إلى تشكيل الكُرد لكيان سياسي لهم في تلك المنطقة.

وكانت المرحلة الثالثة من الخطة إسكان الأتراك والعناصر المسلمة البلقانية المخلصة للاتحاديين في شمال كُردستان، وإيجاد تشكيلة إثنية (قومية) تتماشى مع تطلعاتهم الطورانية.

1 ـ تهجير الأرمن

كانت إحدى أبرز المآسي التي شهدتها الحرب في شمال كُردستان هي قيام الحكومة العثمانية بتهجير الأرمن، الذين بقوا في ولايات بتليس، وأرضروم، ومعمورة العزيز ـ خربوط ـ إلى الصحراء السورية، وقد رافق عمليات التهجير وقوع مذابح للأرمن وخصوصاً للرجال منهم، كما شهدت تلك العمليات وفاة عدد كبير منهم نتيجة الجوع والمرض.

فبعد المعارك الأولى، جاءت مبادرةٌ مهمة من وزارة الحرب؛ فقد كتب ضابط الأركان (عصمت) برقيةً سرية للغاية إلى (طلعت باشا) يوضّح فيها مخاوف الجيش من استفحال انتفاضة الأرمن في وان جاء فيها: «كما نعلم فإن هناك على مشارف وان وفي مدينة وان نفسها مركزاً لعمليات التمرد الأرمنية المستمر، أعتقد أنه يتوجب علينا إزاحتهم من وكر التمرد وتشتيتهم، أبلغنا الجيش الثالث أن الروس قاموا في 7 نيسان/ ابريل [1915] بإجبار القرويين المسلمين على عبور حدودنا وهم عراة. من أجل وقف هذا الأمر والأمر الذي ذكرته توّاً، أود أن أقول ما يلي: فإما أن نقوم بترحيل الأرمن المذكورين مع عوائلهم بالقوة إلى روسيا، وإما يتوجب علينا إجبارهم على الرحيل إلى الأجزاء الموغلة من الأناضول، أطلب منك اختيار أحد الخيارين، إن لم تكن هناك أي خطورة أمنية، فإنني أرغب بإرسال قُطّاع الطرق مع عوائلهم خارج منطقة التمرد، وأرحب بفكرة استبدالهم بسكان مسلمين»(9).

بادرت الحكومة العثمانية في يوم 24 نيسان/ ابريل 1915، بإرسال

قطعات الجيش إلى معظم المناطق التي شهدت انتفاضات أرمنية في أغلب مدن الأناضول، وقامت بوقف عمل اللجان الأرمنية، التي كانت تعمل بحرية حتى يوم 24 نيسان/ ابريل، وإقفال مراكزها، وكذلك قامت باعتقال قادة اللجان، والمليشيات، والمنظمات الأرمنية العسكرية، وجميع المحرضين على حركات التمرد؛ ثم قامت بإعدام هؤلاء القادة الأرمن، ولهذا لا يزال الأرمن يستذكرون يوم 24 نيسان من كل سنة باعتباره وكما يسمونه هم ذكرى يوم (المجزرة الأرمنية)[10].

يبين مولانا زاده رفعت[11] في كتابه (تركية انقلابنك ايج يوزي ـ الوجه الخفي للانقلاب التركي) طريقة تشكيل (الوحدات الخاصة) أي: أدوات فرق الإبادة العسكرية بين عامي 1914 ـ 1918، فيذكر: «طالما بدأ الروس الهجوم بعد نكبة ساريقاميش يتقدمهم فدائيو الأرمن الخارجون على القانون وقد تسببوا في إثارة الفتن هنا وهناك، وانتهى بهم الأمر إلى الاستيلاء على وان وإجبار واليها جودت بك على الهرب، فقد قرر حزب الاتحاد والترقي في جلسته السرية الطارئة إبادة الأرمن، وعدم ترك أرمني واحد على قيد الحياة. فور صدور هذا القرار دارت مباحثات بين القادة الترك حول طريقة تنفيذه، وأحيل الأمر إلى لجنة تنفيذية، كان من بين أعضائها الثلاثة الدكتور بهاء الدين شاكر، والدكتور ناظم، ووزير التربية شكري، سميت لجنة التنفيذ الثلاثية»[12].

حذّرت دول الحلفاء في تصريح يعود تاريخه إلى 24 أيار/ مايو 1915، الحكومة العثمانية من القيام بأي عمل من شأنه أن يؤدي إلى حدوث المذابح للأرمن، وجاء في نص التصريح: «منذ شهر قام السكان الأتراك والكُرد بالاتفاق مع عملاء الحكومة التركية، وفي الغالب بمساعدتهم بارتكاب مجازر ضد الأرمن، وبصورة خاصة المجازر التي ارتكبت في أواسط شهر نيسان/ ابريل في: أرضروم، وترجان، وبتليس، وموش، وساسون، وزيتون،

وفي كل كليكيا، وفي ضواحي وان تمت إبادة سكان أكثر من (100) قرية وبصورة جماعية، كما أن الحكومة التركية في صدد اضطهاد السكان الأرمن العزل في العاصمة. وأمام هذه الجرائم الجديدة ضد الإنسانية التي يرتكبها الأتراك، تعلن دول الحلفاء بصورة علنية للباب العالي أنه يتحمل شخصياً مسؤولية أعضاء الحكومة، وكذلك جميع أولئك الذين شاركوا في هذه المجازر»، إلا أن حكومة الاتحاديين نفت من جانبها قيامها بأي عمل يصب في هذا المجال[13].

أصدرت الحكومة العثمانية بعد ثلاثة أيام، أي: في 27 أيار/ مايو 1915(قانون توطين الأرمن)، والذي دعا إلى ترحيل المدنيين الأرمن لحين انتهاء الحرب، إلى السهل السوري ذي الوحدات السكنية المتباعدة عن بعضها وإلى المنطقة الصحراوية، على أن لا تتجاوز نسبتهم في المناطق المرحل إليها ما بين (5 ـ 10 %)، كما جاء في القانون أيضاً، أن عملية الترحيل تقع على عاتق السلطات المدنية، وقد أبقى الاتحاديون فقط الحرفيين والمهنيين الأرمن في مناطقهم؛ لحاجة الجيش العثماني إليهم[14].

ذكـر طلعت باشا للسفير الأميركي هنري مورغنتاو (Henry Morgenthau)، (1913 ـ 1916)، عن سبب اتخاذ الحكومة التركية قرار تهجير الأرمن بالقول: «... إن المسائل التي نتضاد بها مع الأرمن هي ثلاث نقاط: الأولى: جعلوا من أنفسهم أغنياء على حساب ضرر الكُرد، الثانية: أرادوا أن يحكمونا وقاموا بإنشاء دولة، الثالثة: قاموا بمساعدة أعدائنا؛ فقد ساعدوا الروس في قوقازيا، ونستطيع أن نقول: إن خسارتنا في ساريقاميش تعود بقدر كبير للأعمال التي قام بها الأرمن، ولهذا قررنا أن نبقيهم بدون قوة حتى تنتهي الحرب»[15].

إن عمليات الترحيل والمذابح بحق الأرمن وقعت في المدة المحصورة

بين شهري أيار/ مايو وأيلول/ سبتمبر من عام 1915[16]، وهناك اختلاف واضح وكبير بين المصادر التاريخية والمؤرخين المختصين بالمذابح الأرمنية، حول عدد الضحايا الأرمن في تلك المحنة؛ فالأرمن يقولون إن حوالي المليون ونصف المليون أرمني قتلوا في تلك المذابح[17]. ولكن هذا الرقم يكاد يرفضه أغلب الباحثين والمؤرخين، وهناك من يقتنع بالرقم (800000)[18]، ولكن الرقم المقبول بين مجموعة أكبر من الباحثين والمؤرخين هو الرقم (600000)[19] وأمّا الأتراك فلا يقبلون حتى بهذا الرقم أيضاً، أمثال المؤرخ التركي (صلاحي سونيل) ويقولون: إن العدد الإجمالي للقتلى الأرمن في الحرب العالمية الأولى كان بين (300000 ـ 400000)[20]، وحسب المؤرخ التركي (يوسف حلاج أوغلو) فإن عدد قتلى الأرمن بلغ (18000) أرمني خلال عمليات هجوم العصابات عليهم، حسب ما دونته الوثائق العثمانية[21].

إن من أبرز الوثائق والمدونات التي استند إليها الحلفاء بعد ذلك، لاتهام الأتراك بعمليات إبادة جماعية للأرمن في عام 1915، هو كتاب (المعاملة الأرمنية في الدولة العثمانية) (The Treatment of Armenians in the Ottoman Empire) للورد البريطاني جيمس برايس، والذي يسمى أيضاً بـ(الكتاب الأزرق)، ولكن الحقيقة إن الذي جمع معلومات هذا الكتاب ووثقها، حقيقةً هو الباحث والسياسي البريطاني ارنولد توينبي[22] (Arnold J. Toynbee)، وقد اعتمد على حوالى (150) شهادة من أشخاص أرمنيين كان أغلبهم ينتمون إلى حزب الطاشناق كما قال بنفسه[23]. أما الكتاب الثاني الذي وثّق هذه المذابح فهو كتاب هنري باربي (Henry Barby) المراسل الفرنسي في الجيش الروسي، الذي يحمل عنوان (في بلاد الرعب: أرمينيا الشهيدة) (Au Pays de l'Epouvante: L'Armenie Martyre)، فضلاً عن مؤلفات الدكتور الألماني لوبوسيس ولاستر (Laster)، وكذلك مذكرات السفير

الأميركي هنري مورغنتاو، التي تحمل عنوان (قتل أمة) (The Murder of a Nation) [24]. ومن المفيد هنا القول إن أغلب المعلومات التي أوردها هنري مورغنتاو في كتابه هذا، كان قد استقاها من تقارير القنصل الأميركي في خربوط ليسلي دافيس (Leslie A. Davis) ومن تقارير بعض رجال الدين الأرمن[25].

بعيداً عن تفاصيل تلك الهجرة الأرمنية وما رافقها من مذابح، والتي لم تبخل المصادر التاريخية في بحثها، بل يمكن أن نعدّها أحد أكثر المواضيع التاريخية المبحوث عنها، فقد قام الأرمن منذ عام 1915 وعلى حدّ قول المؤرخ التركي (أورخان محمد علي) بوضع (26000) كتاب وبمختلف اللغات العالمية حول التطهير العرقي الذي تعرضوا له أيام الحرب العالمية الأولى في عام 1915[26]، ولذلك لا يستطيع الباحث في الوقت الحاضر إضافة شيء جديد فيما يخص هذا الموضوع، ولكن السؤال هنا هو: ما الدور الحقيقي للكُرد في تلك المذابح؟

2ـ دور الكُرد في المذابح الأرمنية عام 1915

يحمل هذا العنوان معنيين مختلفين، الأول: هو الدور الكُردي في قتل الأرمن، والثاني: الدور الكُردي في إنقاذ الأرمن، لأنه عند النظر إلى المصادر الأرمنية والأجنبية التي تدور في فلكها، والمعتمدة أصلاً على شهود عيان من الأرمن أنفسهم، وغالباً ما كانوا ينتمون إلى اللجان الأرمنية وتقارير رجال دينهم، سيُغلّب المعنى الأول وهو الدور الكُردي في قتل الأرمن، أما إذا نُظِرَ إلى واقع الحرب العالمية الأولى في شمال كُردستان، بشقيها الشرقي، الذي وقعت فيه المذابح الكُردية في بداية الحرب على يد الفرق الأرمنية، والغربي الذي أفتت فيه الحكومة العثمانية بإقامة المجازر للأرمن، وترحيلهم من

مناطقهم لحل المسألة الأرمنية من أساسها، والنظر كذلك إلى التقارير الكُردية القليلة التي وردت في هذا المجال آنذاك، فسيُغلب هنا المعنى الثاني، وهو: الدور الكُردي في إنقاذ الأرمن من مذابح عام 1915 وليس العكس؛ وتُبدد هذه النظرة الشاملة لشمال كُردستان الدور الكُردي السلبي، كما صوَّرتها الدعاية الأرمنية المؤثرة بشكل كبير في الرأي العام الأوروبي والأميركي آنذاك، بل وربما يتقدم الدور الكُردي الإيجابي بمراحل طويلة على دورهم السلبي، إذا كان لهم دور سلبي.

قلما تجد كتاباً يبحث في هذه المذابح إلّا ويقوم باتهام الكُرد، وإنهم كانوا مشاركين في تلك المذابح، سواء أكانوا من المؤرخين الأجانب أم من المؤرخين الكُرد أنفسهم، بل حتى أن البرلمان الكُردي نفسه الذي أسسه حزب العمال الكُردستاني(P.K.K) في بروكسل في المنفى في تسعينيات القرن العشرين، اعترف في عام 1997 بدوره بمشاركة الكُرد في تلك المذابح[27]، ويبدو أن هذا الاتهام للكُرد كان مبنياً فقط على ما ورد في المصادر الأرمنية والمتأثرة بها، مثل المصادر التي مرّت الإشارة إليها سابقاً، والتي يرد فيها اسم الكُرد كثيراً، مثل قول أحدهم: «الكُرد المعمدين من قبل [السلطان] عبد الحميد»[28]، ويقول آخر واصفاً الكُرد بأبشع الصفات: «إن الكُرد يصرخون من أجل الدم»[29] وهلُمّ جراً.

في تلك المذابح أيضاً، مثل الأحداث التي وقعت في تسعينيات القرن التاسع عشر، استخدم اسم الكُرد بشكل مبهم وبعبارات عامة، مثل مقولة: العصابة الكُردية هاجمت تلك القافلة الأرمنية، وقامت بسلبهم أولاً؛ ثم قتلتهم جميعاً، وبعد ذلك بقرت بطونهم؛ ثم أحرقوهم وأخيراً فتشوا في رماد جثثهم عن القطع النقدية، التي ربما كان الأرمني قد ابتلعها سابقاً، هنا يتم الحديث بشكل عام ويستخدم مصطلح (العصابات الكُردية)[30].

يدخل في صميم الإجابة عن هذا السؤال، وكذلك في ترجيح الدور الإيجابي للكُرد آنذاك تقسيم الكُرد في تلك المذابح قبل كل شيء، وحسب القريبين منهم إلى قسمين، الأول: هي العشائر الكُردية التي كانت تعيش بأعداد كبيرة في شمال كُردستان، والثاني: هم الكُرد العاملون في أجهزة الدولة العثمانية مثل جهازي الشرطة، والجيش، وذلك لمعرفة هوية هؤلاء الكُرد الذين يرد اسمهم في الوثائق وشهادات الأرمن آنذاك.

بخصوص العشائر الكُردية يكاد يجمع المشاركون في تلك الأحداث، مثل كارو ساسوني، وعبد الرزاق بدرخان، وكامل بدرخان، وشاخوفسكي، وضباط روس آخرين، على أن ما كان يميز دور العشائر الكُردية في مذابح عام 1915 هو عدم مشاركتها في تلك الأحداث، بل والأكثر من ذلك أن معظم الأرمن الذين أُنقذوا من المذابح، كان إنقاذهم على أيدي تلك العشائر الكُردية، فمثلاً يقول كارو ساسوني: «وأنا شخصياً وفيما يتعلق بهذا الموضوع [أي: المذابح] تعرفت وثبَّتُ هذه الحقيقة، فإن كثيراً من رؤساء العشائر الكُردية وفي الأعوام 1915 ـ 1917، وضعوا الأرمن تحت حمايتهم، وألبسوهم ملابس كُردية، وأخفوهم، وبسبب ذلك، تعرض هؤلاء الرؤساء الكُرد فيما بعد إلى عقوبات الحكومة العثمانية»[31].

حتى إن كور حسين باشا والذي أطلق عليه الأرمن والبريطانيون في بداية تسعينيات القرن التاسع عشر لقب (الوحش) ـ كما مرّ ـ ألقت الحكومة العثمانية القبض عليه في منتصف عام 1915، وذلك لعلاقاته بالأرمن وقيامه بإنقاذهم من بطش الأتراك[32].

إن الاسم الوحيد من الإقطاعيين الكُرد الذي ارتبط بالمذابح الأرمنية في عام 1915، هو (موسى بك) فالمؤرخ الضليع في تاريخ الكُرد أثناء الحرب العالمية الأولى (لازاريف)، لم يورد إلّا اسم موسى بك، فقد ذكر: «أنّ

السلاح الرئيسي لإبادة الأرمن ـ في عام 1915 ـ هو قطعات القوات التركية النظامية، وأجهزة الشرطة المحلية الإدارية، غير أنه إلى جانب مطاردة الأرمن المهجرين عبر المناطق الكُردية، فإنّ السلطات هنا وهناك نجحت في تحريض الإقطاعيين الكُرد ضد الأرمن، ففي وادي موش مثلاً هلك أرمن كثيرون على يد موسى بك»[33]، وقد ثبت أن هذا الأخير كان يحارب الفرق الأرمنية المصاحبة للجيش الروسي، وكان يساعد الجيش العثماني في عمليات ترحيل الأرمن، ولكن السبب في ذلك هو عمليات الإبادة الأرمنية للكُرد في بداية الحرب، وعلى حدّ قول شاخوفسكي فإن: «موسى بك من أبرز القادة الكُرد المشهورين في منطقة موش، وقاتل بشراسة ضد قطعاتنا في بتليس، ولهذا طلب آمر قطعاتنا منه أن يتعاون معنا، ولكنه ردّ عليه بأنهم يحترمون الروس، ولكن كيف يسلمون أنفسهم إليهم، وهم لا يأتمنون على حياتهم عندهم؛ كنا نتصور [يقول: موسى بك] إن روسيا هي دولة كبيرة لها دستورها وقوانينها التي تأخذ الجميع في ظلها، ولكن الآن نرى أن الأرمن هم من يعطون الدستور للروس»[34]. وسيأتي الحديث لاحقاً عن بعض الإقطاعيين والآغوات الكُرد، الذين قاموا بعمليات إنقاذ كبيرة للأرمن أيام المذابح الأرمنية في عام 1915. كل هذا لا ينفي أن بعض القبائل الكُردية قد هاجمت عدة قوافل من الأرمن أيضاً، وذلك انتقاماً منهم لذويهم الذين قتلهم الأرمن في: وان، والاشكيرد، وبايزيد، وديادين في بداية الحرب؛ وعلى حد قول ستانفورد شو، ففي كل الأحداث التي كانت تقع بين الكُرد والأرمن، كان الأرمن على الأرجح هم المعتدون أولاً[35]، وقد سوّغ تقرير للكونغرس الأميركي يعود لعام 1996، هجوم بعض القبائل الكُردية على الأرمن في أثناء عمليات الترحيل عندما قال: «... ويجب أنْ نتذكر أنّ هذه القبائل عانت كثيراً من الأرمن والروس...»[36].

هذا فيما يخص دور العشائر الكُردية في المذابح الأرمنية، أما الموظفون

الكُرد في سلك الشرطة والجيش العثماني، فيبدو أنهم هم المقصودون بـ(العصابات الكُردية) وليست العشائر؛ فيذكر كارو ساسوني أن هؤلاء الكُرد قد أدّوا دوراً سيئاً في فاجعة نيسان 1915[37]، ولكن عند النظر بدقة إلى المصادر التي تناولت هذه المذابح وهؤلاء الكُرد يتبين أن الكُرد الذين شاركوا في تلك المذابح بصفة موظفي شرطة وعسكريين عثمانيين، كانوا من السجناء والمجرمين الذين أخلى الأتراك سبيلهم من سجون بتليس وموش ومناطق أخرى بعد الخسارة في ساريقاميش والانتفاضة الأرمنية في وان، وليس كلهم من الكُرد، وحسب بعض المصادر كان عددهم لا يتجاوز (12000) شخصٍ[38]، هم من شاركوا في تلك المذابح بعد أن أخلت الحكومة العثمانية سبيلهم، وقامت بتدريبهم ضمن فرق خاصة، إلى جانب الفرق الشركسية واللازية التي تقع على عاتقها المسؤولية الكبرى في تنفيذ هذه الجرائم. وقد ذكر الباحث ديفيد غانط (David Gaunt) جانباً من ذلك بقوله: «كان اللازيون والشركس الخلفية العرقية المفضلة، من أجل استخدامهم كسفاحين، والذين قاموا بأعمال تخريبية وارتكبوا مذابح في عمليات الترحيل»[39]، ويضيف المؤرخ دونالد كواترت، بأنه كان للاجئين المسلمين الذين أخرجوا من ديارهم في المناطق الأوروبية، خلال الحروب البلقانية دورٌ في المذابح الأرمنية[40].

قال مولانا زادة رفعت بهذا الخصوص: «أما المنفذون ـ أي منفذو الجرائم ضد الأرمن ـ فهم مجرمون متعطشون للدماء، أُخلي سبيلهم من السجون، وأُطلق عليهم اسم الوحدات الخاصة، إضافة إلى عدد من الخارجين على القانون. لقد فعل هؤلاء كل ما يمكنهم من المساوئ والجرائم، التي تبقي وصمة عار في جبين تركيا، زد عليها بحر الدم الذي أغرقوا الأرمن فيه مما لا يمحى مدى التاريخ، لقد حملت مسؤولية كل هذه الجرائم التي ارتكبتها الوحدات الخاصة على كاهل الشعب التركي، هذه الصفحات السوداء

كتبها قادة الاتحاد (الدكتور بهاء الدين شاكر، والدكتور ناظم، ووزير التربية شكري بك)، الذين يعتبر تبرير موقفهم مخالفاً للضمير والحق»[41]. وقد وجد كاموران كوران وثائق تعدد إدانات بحق(1397) شخصاً لجرائم ضد الأرمن جُلهم من المسؤولين الكبار في الحكومة العثمانية آنذاك[42]، وتذكر الطبيبة الأميركية تاسي دبليو. اتكنسون (Tacy W. Atkinson) أنها كانت شاهدةً على عملية هجوم الكُرد على أحد القوافل الأرمنية في خربوط، وقيامهم بقتل الرجال، وخطف النساء وقالت: «بإنهم على الأرجح الكُرد الذين أُطلق سراحهم من السجن...»[43]، ويضيف ارنولد توينبي بهذا الخصوص إن قوافل الأرمن المهجّرة وعند وصولها إلى الجبال كان يقطع طريقها قطّاع الطرق«الذين أطلقت الحكومة سراحهم من السجون، لاعتبارات خاصة يفهمها الطرفان»[44].

كما يظن المرء عند النظر إلى بشاعة هذه الجرائم أن من غير الممكن أن يقوم شخص عادي بمثل هذه الجرائم، إلا إذا كان هذا الشخص فعلاً مُدرباً على تلك الأعمال وله سوابق في ذلك، ولا يتمتع بأي حس إنساني، وقد أيقن زعماء الاتحاديين في اجتماعاتهم السرية بهذا بخصوص هذا الأمر، وخلصوا إلى نتيجة مفادها: أنه فقط إنّ هؤلاء السجناء والمجرمين الذين كانوا يقبعون في السجون لمدة طويلة، ولديهم خبرة في ذلك، هم وحدهم يستطيعون القيام بمثل تلك الأعمال، لذلك فقد أخلت الحكومة العثمانية سبيلهم، وجنَّدتهم في الفرق الخاصة، التي كانت لها اليد العليا في تنفيذ المذابح ضد الأرمن، وكانت تضم هذه الفرق أغلب القوميات المسلمة التي كانت تعيش في الأناضول[45].

3 ـ عمليات الإنقاذ الكُردية للأرمن في مذابح عام 1915

لقد جرت في أثناء ترحيل الأرمن والمذابح التي تعرضوا لها عمليات إنقاذ كبيرة لهم على يد الكُرد، وليس من الكُرد القاطنين في درسيم فقط، بل من جميع الطوائف والقبائل الكُردية الأخرى، وإذا جاز القول فإن الكُرد كانوا الطرف الأبرز في نقل أخبار المأساة الأرمنية إلى العالم أجمع، وذلك بإنقاذهم لهؤلاء الأرمن الذين تحدثوا للساسة والإعلاميين عمّا حل بهم، وفي كل عملية شارك فيها الكُرد بقتل الأرمن ـ حسب المبشرين المسيحيين والقناصل الأجانب ـ نجد منقذاً كُردياً، فأغلب الروايات الأرمنية التي ملأت صفحات كتب مثل (معاملة الأرمن في الدولة العثمانية)، والكتب الأخرى تظهر أن الراوي الأرمني نفسه، وبعد أن يقوم بالهجوم على الكُرد في مرات عديدة، يذكر هو نفسه أنّ إنقاذه كان على يد عائلة كُردية أو شيخ دين كُردي، أو آغا كُردي وهَلُمَّ جرا[46]. يقول حسن هشيار الذي عاصر أحداث تلك المرحلة التاريخية بهذا الصدد: «إن الذين يدعون بأن الكُرد قد قاموا بقتل الأرمن، لماذا لا يقولون كيف نجوا هم من المجازر، وينكرون الجميل! علماً أن أغلب علماء الدين من الكُرد قد حرموا قتلهم، وخصوصاً الشيخ سعيد بيران الذي أفتى بتحريم قتلهم، وقال: إن من يقتل أرمنياً كمن قتل مسلماً، وزاد على ذلك القيام بالتستر عليهم وإيوائهم من شر الترك، وحرم كل عمل يسيء إليهم»[47].

فقد كان الكُرد يقومون بإنقاذ الأرمن على الرغم من عمليات الملاحقة التركية، والأحكام التي كانت تصدر بحقهم، والتي وصلت في بعض الأحيان إلى الحكم بالموت، فأفاد القس الأرمني تيرافيستيان إلى الكاردينال غيفورك الخامس: «إذا دافع أي واحد من الأكراد عن جاره الأرمني فإن الحكومة كانت ترسل رجال الجندرمة؛ ليقتلوه بأيديهم»[48].

بل حتى إن الطالب الأرمني(سوغومون تهليريان) الذي قام باغتيال

طلعت باشا في برلين عام 1921، أنقذته أسرة كُردية أثناء عمليات التهجير والمذابح في عام 1915، وكان قد بقي عندهم أكثر من (20) يوماً بعد أن نجا من إحدى المذابح بأعجوبة، وقامت تلك الأسرة الكُردية بالعناية به؛ ثمَّ ألبسته الملابس الكُردية، لكي لا يتعرف إليه أحد حتى وجد طريقه إلى القوقاز الروسية[49].

ذكر كُرديفسكي أحد المعاصرين لتلك العمليات في شمال كُردستان أنه رأى بعضاً منها، حيث قال: «كان للأرمن في كل مكان أصدقاء بين الأكراد، ينقذونهم عند الملمات من بين أيدي الترك، كان الأمر كذلك أثناء مذابح الأرمن في خواتيم القرن التاسع عشر، والآن ـ يقصد سنوات الحرب العالمية الأولى ـ فإن الأمر كذلك أيضاً، فكثيراً ما أروني أكراداً أنقذوا أرامنة»[50]. كما يذكر هنري ريكس: «أن الكُرد قد قاموا بدور حيوي في إنقاذ الأرمن، أكثر مما فعلته البعثات التبشيرية الأميركية»[51]. ويقول المؤرخ والسياسي الكُردي مصطفى باشا ياملكي: «إذا كان قد نجا في الأناضول... قليل من الأرمن فإن هذا عائد إلى أن ثلاثة أرباعهم قد أنقذوا بفضل اختبائهم لدى الأكراد...»[52].

وفي أثناء البحث والمتابعة عن هذا الموضوع، تظهر حقائق أخرى عديدة، وفيها يظهر مدى الغبن الذي لحق بالكُرد في تلك المرحلة التاريخية، فمثلاً يتهم الباحث (ديفيد غانط) بالاعتماد على تقارير بعض المبشرين المسيحيين، أبناء وأحفاد إبراهيم باشا الملي بأنهم بعد ما كانوا قد ساعدوا الأرمن في مذابح عام 1894 ـ 1896 وحموهم، إلا أنه في العام 1915 رضخوا إلى الضغوط التركية وبعد شرائهم طابوراً من الأرمن قاموا بإبادة الرجال وأَخْذِ النساء والأطفال[53]. إلا أن عبد الإله خليل إبراهيم باشا، وهو من أحفاد إبراهيم باشا الملي، قد أدلى بشهادته للباحثة الأرمنية السورية (نورا أريسيان)، في مدينة راس العين في كُردستان سوريا في عام 1999، وقال عن هذه الواقعة:

«هناك مثل كُردي يقول عند الملية: مرة مذبحة المسيحية ومرة مذبحة الملية... ففي فرمان 1915 استطاعوا [أي: عائلة عبد الإله] إنقاذ قليل من الأرمن، وأتوا بالأطفال وربوهم وحافظوا على دينهم ولم يتزوجوهم، أما أعمامي فساعدوا الأرمن وحموا الآلاف منهم، وكان أبناء العم [من عائلة باشا نفسه] يشترون قوافل الأرمن بالنقود ويطلقون سراحهم، وهذه العوائل موجودة تشهد على هذا، ففي المناطق التي كانت تحت سيطرتهم لم يحصل شيء ونتمنى أن يأخذ الأرمن حقهم»[54].

هنا يجب أخذ الحيطة والحذر خصوصاً فيما يخص تقارير المبشرين ورجال الدين الأرمن، لأن فيها مقداراً كبيراً من المبالغة، وأحياناً الكراهية والحقد؛ وللاستدلال على ذلك فإن كتاب إيف ترنون المعنون (ماردين) والذي مرّت الإشارة إليه سابقاً، مليء بمثل تلك التقارير، ولكن على الرغم من ذلك كان من بين هؤلاء المبشرين المسيحيين مَنْ أنصف الكُرد في تقاريره ولكنهم قلة، وسيأتي الحديث عن بعضهم لاحقاً.

ولكون عمليات إنقاذ الكُرد للأرمن كانت كثيرة وأخذت صوراً وطرقاً شتى لا نستطيع أن نسردها هنا جميعاً لطولها، ولكن سنقتصر على ذكر بعضها لتوضيح الصورة، وتقريب ومعايشة واقع تلك المرحلة التاريخية، وبيان عقوبة من يحفظ أرمنياً ويحميه على يد حكومة الاتحاديين، وفيما يلي نورد بعضاً من تلك المواقف:

في منطقة ساسون لقي ما يصل إلى نحو (12000) أرمني ملاذاً لدى الكُرد، ونقل البك الكُردي حسن تحذيراً إلى الأرمن في ساسون عن نية الأتراك بتهجيرهم في مرحلة هجوم القوات الروسية على موش، مما ساعد بالنتيجة على أن تبدأ غالبية الأرمن المحليين بالتخفّي في الجبال، وعندما سيطرت القوات الروسية على منطقة ناغوريا الأرمنية اكتشفت أن العوائل الأرمنية قد

اختبأت في كثير من البلدات الكُردية، وبحسب إفادات شهود عيان لم يحصل هنا أي تلميح للفوارق القومية أو الدينية، ففي رسالة من الفارين الأرمن من قرية خاتسو ذكروا بأن كُرد قبيلة محمد آغا أخفوا عندهم الأرمن لمدة طويلة، وقاوموا بالسلاح محاولات الجندرمة والجنود الأتراك لتهجيرهم، وأنهم برغم جوعهم تقاسموا مع الأرمن آخر قطعة من الخبز، وباعوا مقتنياتهم[55].

وبالحديث عن كُرد محمد آغا الذين كانوا يسكنون في جبال ساسون، والذي يعد أحسن الأمثلة حول عمليات الإنقاذ تلك، فقد قاموا بإحدى أكبر عمليات إنقاذ للأرمن أثناء المذابح، وهذا يظهر جلياً من نص الرسالة التي كتبها الأرمن ـ الذين أخذهم محمد آغا في حمايته ـ إلى الروس لكي ينقذوهم من الأتراك، ونشر هنري باربي نص تلك الرسالة في كتابه السابق الذكر، وتحمل تاريخ آب/ أغسطس 1916، وعلى الرغم من تهكم الكاتب بالكُرد وقيامه بكتابة مقدمة هي أقرب إلى السخرية من بيان موقف الكُرد الإنساني، لكن هذه الوثيقة هي خير دليل على ما قدمه الكُرد للأرمن في أثناء عمليات الترحيل والمذابح، وأن هنري باربي نفسه لم يكن ليدرك عمق العلاقة بين الكُرد والأرمن، التي أفسدها الأتراك واللجان الأرمنية، بل حتى أن العنوان (دعوة مثيرة) الذي وضعه باربي لتلك الرسالة ينم عن التهكم. وفحواها هو طلب مجموعة كبيرة من الأرمن، كان محمد آغا قد أخذهم في حمايته منذ بدء التهجير والمذابح الأرمنية في ساسون، من الروس الإسراع في احتلال تلك المناطق، لأنه لم يبق لدى الكُرد طعام يتقاسمونه مع الأرمن، فضلاً عن التهديدات المستمرة للجيش العثماني لهم، ولولا دفاع محمد آغا عنهم لهلكوا جميعاً[56]. وهناك من يقول: إن مجموع الأرمن الذين أنقذهم محمد آغا لوحده وصل إلى حوالى (10000) أرمني، كما سهل لهم الطريق بعد ذلك، للوصول إلى بر الأمان خلف الحدود الروسية[57].

وهناك أمثلة أخرى عديدة أوردها الباحث الأرمني الضليع في المسألة الأرمنية (ريتشارد هوفنسيان)، عن عمليات إنقاذ الكُرد والأتراك للأرمن في تلك المدة، ويورد العديد من الأمثلة حول إنقاذ الكُرد لهؤلاء الأرمن، وفي بعض هذه الأمثلة دفع الأرمن بعض النقود للكُرد لكي يأخذوهم إلى المناطق الآمنة، أما بعضها الآخر فكانت ذات دوافع أنسانية بحتة، ومن بين الأمثلة العديدة التي أوردها هوفنسيان نورد فقط مقتطفاً لأحدها: «... استمر هاروتيان في سرد قصته، فتحدث عن وجود عائلة كُردية محترمة آوته، وعندما بدأت المذابح أخذته والدته إلى بيت في منطقة محلية للآغا [الكُردي] وقد قامت بتقديم دعوى مع زوجته التي كان اسمها (قدرت خاتون)، لكي يسمح لهاروتيان أن يبقى هناك، وأن ينام في السرير وعلى كل حال فإن قدرت خاتون قالت إنها لا تحتاج إلى شيء [من أم هاروتيان الأرمنية]، وإن هذا النوع من النساء لا تأخذ شيئاً بالمقابل من الأرمن، فإن الأرمن الثلاثة هم من باغدسار وبنت صغيرة بقوا في بيتها، وعاملتهم قدرت خاتون معاملة جيدة جداً حتى إنني [يقول هاروتيان] لم أشعر بفراق والدتي، وقبل أن تغادر والدتي قالت لها قدرت خاتون: ابنك هو ابني، وإذا رجعتم فإنه سوف يكون لكِ، وإذا لم ترجعوا فإنني سوف أعتني به...»[58].

يقول هوفانسيان بعد كل تلك المواقف الإنسانية في نهاية بحثه بأنه يأمل بدراسات إضافية توضح لنا الظروف التي سادت عام 1915، فهنالك آلاف من الأتراك والكُرد، كانوا يعارضون اضطهاد الأرمن، وأن قسماً من هؤلاء حاول التدخل، كما أن شهادة الضحايا تؤكد على طيب هؤلاء الناس وسط القسوة والمعاناة، وهذا يعني أن الروح الإنسانية لا يمكن أن تنطفئ[59].

كما كان هناك عدد من الإداريين العثمانيين، الذين كانوا يرجعون في أصولهم إلى القومية الكُردية لم يرتَضِ عمليات ترحيل ومذابح الأرمن، ومن

بين هؤلاء: رشيد باشا، وسليمان نظيف، اللذان وقفا ضد تلك العمليات، فيورد لوبوسيس عن شاهد ألماني هذه الرواية عن والي ملاطية رشيد باشا، بعدما يعدد جرائم والي ملاطية السابق نابي بك: «... أما خلفه رشيد باشا الذي جاء من القسطنطينية نهاية حزيران/ يونيو فكان كُردياً واعياً، ويمتاز بطيبة قلبه بصورة مدهشة حقاً، فقد حاول ومنذ أول يوم من وصوله وتحمله المسؤولية، القيام بكل ما يستطيع فعله؛ لمساعدة الأعداد الكبيرة من الأرمن المحتجزين...، فقد أجَّل رحيل الأرمن من ملاطية أسبوعاً بعد أسبوع، وذلك لأنه كان يأمل في أن يستطيع النجاح في الحصول على أمر مناقض، وقد عمل كثيراً بهذا الاتجاه وذلك من أجل تهيئة كل التحضيرات لتنفيذ أمر الإبعاد بطريقة إنسانية، إلا أنه كان في النهاية مجبراً على أن يخضع لضغوطات الحكومة المركزية...»[60]. ولا تختلف قصة سليمان نظيف الذي عارض بدوره تلك العمليات عن قصة رشيد باشا[61].

وأخيراً نكتفي بإيراد المثال التالي عن ارام ديكران (Aram Dikran) الموسيقار الكُردي الشهير من الأصل الأرمني، والذي يعطي الفكرة الآتية: وهي أنه من غير الممكن تصديق ما ورد في تلك المؤلفات التي اتهمت الكُرد، بالاعتماد على هذه المشاعر الإنسانية التي أوردها أرام عندما تحدث لمجلة اوزكور (Özgür)، وفيما يأتي مقتطف من حديثه:

«... أنت بالأصل لست كُردياً، ولكن المعروف هو أنّك موسيقار كُردي، والشعب يعرفك على هذا الوجه، لماذا تغني باللغة الكُردية؟ هل تستطيع أن تشرح هذا؟

ـ كان أبي دائماً يقول لنا (كان أبي من منطقة ساسون، وكانت والدتي سليفانلية، وقد هرب أفراد عائلتي من تركيا في عام 1923 وذهبوا إلى سوريا وفي عام 1966 عدنا إلى أرمنستان) كان أبي يقول: (لا تحسبوا أنفسكم

مختلفين عن الكُرد أبداً، ولا تبتعدوا عنهم، فإنهم ساعدونا كثيراً، وكنا جيران منذ أمد بعيد، ولا يوجد بيننا أي عداوة، حيث لم نر منهم سوى الخير)، وبسبب الأعمال الجيدة والخيرة للكُرد كان أبي يكتب أشعاراً باللغة الكُردية، حيث كان يريد دائماً أن يقدم لهم خدمة، وكما ذكرت فيما مرَّ فإن أيامنا الحلوة والمرة قد قضيناها سوية مع الكُرد، وقد تشاركنا معاً مصائبنا، ولهذا اختلطت حياتنا مع بعض، وعلى هذا الأساس يعرف عني بأنني فنان كُردي، وقد وصلت إلى مرحلة ليس باستطاعتي السيطرة عليها، فإن لساني وأوتار عودي وألحاني، هي التي تبحث عن اللغة الكُردية، بعد ذلك تجدها وتقوم بغنائها»[62].

كما يجب أن لا يغرب عن البال بأنه كان للكُرد في درسيم النصيب الأكبر في إنقاذ الأرمن من تلك المحنة، وهناك من يقول: إن درسيم وحدها أنقذت حوالى (20000) أرمني[63]، وهناك من يرفع الرقم إلى (30000)[64]. وعندما يتحدث القنصل الأميركي في خربوط ليسلي عن دور درسيم في إنقاذ الأرمن يصورها وكأنها كانت بمثابة غرفة عمليات إنقاذ الأرمن، يجمع الكُرد الأرمن فيها، وبعدها يقومون بتهريبهم من بقية المناطق ومن هناك عن طريق أرزنجان يُرسلون إلى القوقاز الروسية[65].

أما عن العدد الكلي للأرمن الذين أنقذهم الكُرد في أيام الحرب العالمية الأولى فليست هناك إحصائيات دقيقة أو دراسات مستقلة بهذا الشأن، إلا أن هناك ما يشير إلى أن الرقم كان كبيراً، فيذكر الكاتب الإنكليزي كيلنك الذي تجول في تركيا وروسيا، في سنوات الحرب والسنوات التي أعقبتها مباشرة في كتابه الموسوم (مغامرات في تركيا وروسيا) الذي طبع في لندن عام 1924: «إن الأكراد أنقذوا الألوف من الأرمن»[66].

ويذكر بلهج شيركو أن عدد الأرمن من الذين أنقذهم الكُرد يصل إلى (50000)[67]، أما حسن هشيار فقد ذكر في مذكراته (165000)[68]، ليرتفع هذا

الرقم عند عالم الكُرديات السوفياتي (ك.أ.تشاتشيان)؛ إذ ذكر أن الكُرد في الحرب العالمية الأولى أنقذوا حياة حوالى (200000) أرمني[69].

ربما أن سرد قصص وحكايات الأرمن الذين أنقذهم الكُرد لا ينتهي حتى ضمن كتاب مستقل، فهناك كثير من الروايات الأخرى، التي أوردتها المصادر التاريخية والمستندة إلى حقائق لا يمكن نكرانها[70]، وفي هذه المرحلة يمكن للمرء العودة إلى بداية هذا الموضوع، والتأكد هنا من الدور الكُردي في إنقاذ الأرمن وليس العكس، وإذا جاز القول هنا فإن عمليات إنقاذ الكُرد للأرمن ـ وبناء على هذه المعطيات ـ هي: «أكبر عملية إنقاذ شعب على يد شعب آخر في العصر الحديث».

ب ـ التهجير الكُردي

لم تمض إلا أشهر قليلة على التهجير الأرمني والمحنة القاسية التي مروا بها، حتى حدث الشيء نفسه للكُرد ولكن بشكل أكثر قساوة، ليس بسبب الهجمات التي لا تشير إليها الوثائق القريبة، ولكن بسبب أن التهجير الكُردي حدث في فصل الشتاء أواخر العام 1916، مما نتج عنه أكبر كارثة للكُرد في العصر الحديث، كارثة لا تتحدث عنها المصادر التاريخية القريبة وخصوصاً الأجنبية (الأوروبية والأميركية) منها، مع العلم أنها كانت حتى الأمس القريب ـ أي: تلك المصادر ـ تنقل تفاصيل المحنة الأرمنية، بل وتضخم الأمر في مرات عديدة في المنطقة نفسها من شمال كُردستان، وذلك لسببين: أولهما لأنهم كُرد، وثانياً لأنهم مسلمون.

هناك نقاش واتهامات متبادلة بين الأتراك ومؤيديهم، والاتجاه المضاد لهم بخصوص من يتحمل مسؤولية التهجير الكُردي، ففي حين تذكر الوثائق العثمانية التي اعتمد عليها المؤرخون الأتراك والمؤيدون لهم، على أن التهجير

الكُردي بدأ لأول مرة على يد الجيش الروسي والفرق الأرمنية المصاحبة له، وذلك لأن الكُرد لم يكونوا يثقون بهؤلاء لما لاقوه في بداية الحرب على أيديهم، لذلك فكلما كان الجيش الروسي يتَقدّم في شمال كُردستان كان الكُرد يهربون منه، وينسحبون غرباً[71]. أما الاتجاه المضاد للأتراك ومن بينهم العديد من المؤرخين الكُرد، فيطرحون الرأي القائل: بأن الأتراك بعد أن انتهوا من المسألة الأرمنية، اتجهوا لحل المسألة الكُردية، خصوصاً بعد تأكدهم من عدم إخلاص الكُرد لهم، لا في الحرب ضد الروس ولا في المساهمة في حل المسألة الأرمنية، لذلك كان لا بد للقادة الأتراك من القيام بالشيء نفسه ضد الكُرد لخلق أرضية مناسبة لتتريك الأناضول الشرقية ـ شمال كُردستان ـ وجعلها أرضاً موالية[72].

بنظرة عامة إلى تلك الفترة يبدو أن طروحات كل اتجاه فيه شيء من الصحة، حيث يظهر أن الجانبين يتحملان المسؤولية، فالجيش الروسي والفرق الأرمنية تتحمل جزءاً مهماً من التهجير الكُردي من جهة أنها كونت الظروف لمثل هذا التهجير، في حين أن الأتراك يتحملون الجزء الأكبر من هذا التهجير.

بالنسبة إلى الروس والفرق الأرمنية فإنهما كانا سبباً رئيساً في هروب الكُرد من مناطقهم، والتوجه نحو الأناضول الغربية في بداية عام 1916 عند الهجوم الروسي الكبير الذي وصل إلى مشارف درسيم ـ وسيأتي الحديث عن هذا الاحتلال الروسي لتلك المناطق لاحقاً ـ فقد أشارت التقارير العثمانية إلى أن الهجوم الروسي في بداية العام 1916، كان السبب المباشر في زحف الكُرد المسلمين وهجرتهم نحو الغرب هرباً من الموت الذي كان سيحل بهم مثلما حل بإخوانهم الكُرد ممن قتلوا في المناطق الأخرى، وكان خوفهم بشكل خاص هو من الفرق الأرمنية، التي كانت بمثابة عامل رئيسي في هروبهم،

وعززت الحجة التركية القائلة بأن القرويين المسلمين تركوا ديارهم بسبب خوفهم من قيام العصابات الأرمنية بإساءة معاملتهم وذبحهم. كتب ضابط الأركان الألماني كوز أن أولئك الذين لم يتمكنوا من الهرب أُسِيئت معاملتهم باستمرار على يد الروس والأرمن ثم قُتلوا. ذكر القنصل الألماني في سيواس كارل ورث (Carl Werth) والعائد من جولة إلى كل من أرضروم و أرزنجان أن«أغلب اللاجئين هربوا من الأرمن الذين قاموا بنهبهم وذبحهم، وماتوا على الطريق بسبب البرد والجوع»[73]، ويعترف كارو ساسوني بأن الهجوم الروسي على المنطقة الكُردية قد تسبب في هجرة كُردية كبيرة، وأن الكُرد الذين بقوا في مناطقهم ظلوا تحت رحمة الفرق الأرمنية وفرسان القوزاق، ولم يكن حالهم بأفضل من حال المهاجرين منهم[74].

ولكن بعد ذلك أصدر الاتحاديون بداية شهر أيار/ مايو 1916 قرارات لتهجير الكُرد إلى عمق الأناضول الغربية[75] وصهرهم بالأتراك وتثقيفهم بالثقافة التركية؛ كتب أحد قادة لجنة الاتحاد والترقي ما يلي: «يجب أن نطهّر بلادنا من العناصر غير التركية»[76]، وأخذ عن ضباط الأتراك في خربوط قولهم: «لن نترك أي كُردي في هذه المنطقة، سوف نرحلهم كما رحلنا الأرمن»[77]، وذكر شاهد عيان وطبيب في أورفا قال في تقريره: «إن الشبان الأتراك لا يضمون فقط الأرمن والكُرد، وإنما العرب لخطتهم بالإبادة الجماعية»[78]، كما نقل عنهم قولهم بأننا ـ أي الأتراك ـ سنقتل الأرمن أولاً؛ ثم اليونانيين؛ ثم الكُرد[79]، وقد ورد في مذكرات مصطفى كمال باشا أنه عندما زار مدينة هازو في الحرب العالمية الأولى أخبره محافظها أنّ عليهم إبادة الكُرد لأنهم لا يثقون بهم[80].

وكثيراً ما سمع الناس في شمال كُردستان من الأتراك ومن ضباطهم المثل الآتي: «لقد انتهينا من الـ(زو) وبقي الـ(لو)»، أي: لقد انتهينا من الأرمن

وبقي الكُرد[81]، ويعقب كارو ساسوني على هذا المثل بأن الحكومة العثمانية لم تستطع كسر شوكة الكُرد، كما فعلت بالأرمن على الرغم من إلحاقها ضرراً اقتصادياً كبيراً بهم[82].

كانت كل هذه إشارات حول قيام الاتحاديين باتباع سياسة التهجير نفسها، ألتي طبقت على الأرمن تجاه الكُرد، وبدأ الأتراك ومنذ منتصف عام 1916 بإصدار القرارات والمراسيم بخصوص ترحيل الكُرد من شمال كُردستان إلى الأناضول الغربية وبلاد ما بين النهرين في ظروف قاسية جداً؛ فلم تعلن لجنة الاتحاد والترقي قطّ عن خطتها، ولكنها باشرت عملياً بتنفيذها جزئياً، وقد استطاعت أن تفعل ذلك من خلال سياسة الأرض المحروقة، التي اتبعتها وتهجير السكان المدنيين، وتدمير كل شيء عند انسحابها حتى تمنع الروس من أي عون[83]، أي أن الجيش الروسي والفرق الأرمنية كانت قد بدأت عمليات تهجير الكُرد، وعاد الأتراك وأكملوا المهمة بشكل قاس جداً بعد ذلك.في 4 أيار/ مايو 1916 أرسل طلعت باشا برقيات سرية إلى أورفا، وماراش، وعينتاب ذكر فيها: «أن اللاجئين الكُرد لن يرجعوا إلى أماكنهم، وستعطيهم أموالهم المتروكة لجنة المهجرين»، وكان الاتحاديون قد سمحوا فقط لعشائر الفرسان الحميدية بالبقاء في شمال كُردستان[84].

وعندما بدأت عمليات الإبعاد انتبه طلعت باشا وأشرف شخصياً على فاعلية مشروع تهجير وتتريك الكُرد، ففي شهر كانون الثاني/ يناير 1916 طلب معلومات خاصة حول الكُرد الذين يعيشون في أكثر من عشر ولايات، وقد كتب طلعت طالباً معرفة ما يلي: «ما عدد القرى الكُردية هناك؟ وأين تقع؟ كم يبلغ عددهم؟ هل يحتفظون بلغتهم الأم وحضارتهم الأصلية؟ كيف هي علاقاتهم مع القرويين الأتراك ومع القرى الأخرى؟» في شهر نيسان/ ابريل 1917 بدأ طلعت باشا يتفحص الأمر ثانية، ومرة أخرى بدأ يسأل عن: «المناطق

التي أُبعد الكُرد إليها؟ وكيف تم ذلك؟ وهل بدأ المبعدون الكُرد يتحدثون اللغة التركية»، إن هذه الأمثلة من المراسلات تعد دليلاً واضحاً على طبيعة عمليات الإبعاد، وتمثل هجوماً واسع النطاق على الثقافة واللغة الكُرديتين، وقد عُرّف الكُرد على أنهم (شعب) ولذلك فإنهم يمثلون تهديداً لهم[85]؛ ثم أصدرت الحكومة العثمانية قرارات أخرى تتعلق بتهجير الكُرد، ومن ضمنها: فصل شيوخ ورؤساء الكُرد عن عشائرهم ونفيهم بعيداً عن أهاليهم وذويهم إلى أنقرة، وعدم السماح للكُرد المهجرين بالعودة إلى مناطقهم بعد انتهاء الحرب، وتفريق الكُرد في المناطق المهجر إليها بحيث لا تزيد نسبة كثافتهم السكانية ما بين (5 إلى 10 %) من مجموع سكان هذه المناطق[86].

يقول كارو ساسوني كان هدف الأتراك من تهجير الكُرد هو تحقيق أمرين:

1 ـ الحيلولة دون الاتحاد مع الجيش الروسي والأرمن؛ لكونهم عنصراً خطراً.

2 ـ خوف الأتراك من كون المنطقة صارت منطقة كُردية خالصة بعد ترحيل الأرمن، وبالتالي صارت نواة لتأسيس دولة كُردية في المستقبل[87].

لقد أُبعد الكُرد إلى مدن قونية، وأنقرة، وأضنة، وأورفا، والموصل، ويصف الطبيب جاكوب كونزلر(Jakob Kunzler) الذي ترأس أحد المستشفيات في أورفا خلال الحرب العالمية الأولى ظروف الكُرد المرحلين بقوله: «لا توجد أي صحيفة أوروبية كتبت تقريراً بيّنت فيه أن الشبان الأتراك، الذين أرادوا إبادة الأرمن أنهم قاموا بإبعاد الكُرد أيضاً... من بيوتهم ووطنهم، وقتلهم مثل الأرمن، فقد أتهموا الكُرد أيضاً بأنهم عنصر غير موثوق وقد انضموا إلى جانب الروس. ففي شتاء عام 1916 أجبروا الكُرد على إخلاء مناطق: جبقاجور، وبالو، وموش، وكذلك ولايتي أرضروم وبتليس وكان

على (300000) كُردي أن ينـزحوا إلى الجنوب..إن المعاملة التي عاملوا بها الكُرد أثناء ترحيلهم تختلف عن المعاملة التي عاملوا بها الأرمن، حيث إنهم لم يعانوا كثيراً في الطريق، ولم يسمح لأحد بأن يؤذيهم، إلا أن الشيء المرعب جداً هو أن عملية الترحيل حدثت في الشتاء، فعندما كان المرحلون الكُرد يصلون إلى قرية تركية في المساء فإن سكانها كانوا يغلقون أبوابهم بسبب الخوف، وكان على هؤلاء الكُرد التعساء أن يقضوا الليل تحت الأمطار والثلوج، وفي صباح اليوم التالي كانوا يحفرون قبوراً جماعية للكُرد المتجمدين، كما أن معاناة أولئك الذين وصلوا أخيراً إلى بلاد الرافدين لم تنتهِ، ففي المدن التي وصلوا إليها، والتي فيها منازل أرمنية مدمرة تقريباً كانت الحكومة تحاول تخفيف معاناتهم، وذلك بتوزيع الخبز وهذا أمر مختلف جداً في القرى، حيث إن السكان المحليين كانوا يخافون من الكُرد وكانوا يحاولون حماية تجهيزاتهم»[88]. ويذكر بعض المراقبين القريبين من تلك الأحداث أن الحكومة التركية لم تجرؤ على التعرض لقوافل المهجرين الكُرد، وذلك لخوفهم من أن يولد ذلك عصياناً كُردياً عاماً أو كبيراً[89].

يمكن أن نرى من توضيح كونزلر أن على الكُرد أن يعانوا أيضاً المصير نفسه الذي عانى منه الأرمن، وإجبارهم على مسيرات الموت في الشتاء تشبه كثيراً مسيرات الأرمن والتي كان لها الصوت نفسه، إذن، فإن هدف سياسة الشبان الأتراك تجاه الكُرد كانت حسب رأي كونزلر تقوم على أساس الإبادة الجماعية، وكان أيضاً في نية الاتحاديين أن لا يدعوا العناصر الكُردية تفكر بالرجوع إلى وطن أجدادهم، وكان عليهم أن تشملهم سياسة التريك شيئاً فشيئاً[90].

يذكر حسن هشيار أنه بتلك الممارسات الوحشية للأرمن البعيدة عن الدين، والحقوق، والإنسانية، بدأت رحلة الموت والمجهول للسكان الكُرد

وخصوصاً في خريف عام 1916، تلك السنة التي كان البرد فيها قارساً وشديداً حتى قبل قدوم الشتاء مما زاد من سوء أوضاع هؤلاء المهاجرين حتى أصبح كل شيء من ظروف الأرض، والسماء، والهواء ضدهم والموت يلاحقهم، وعندما كانوا يصلون إلى القرى في طريق سيرهم، يشاهدون أمثالهم من المهاجرين تعج بهم الساحات، وهم يرزحون تحت المطر والبرد بدون حماية ومأوى، يبحثون عن الحطب هنا وهناك ليشعلوا النار لصغارهم حيث الهواء بارد جداً، والنار التي أمامهم لا تدفئهم، ولم يكن باستطاعة أهل القرى تقديم المساعدة لهم وإيوائهم في البيوت، بل كان يسمح لهم بالمبيت في زرائب الأغنام وإسطبلات الدواب، يبيعون كل شيء من الدواب، والأغطية، والبسط، وحتى الأطفال، والصبايا، للعائلات الميسورة والمتوسطة الحال كخدم لهم أو كزوجات، ولم تقم البلديات والسلطات المحلية بأي واجب تجاههم ولم تقدم لهم أية مساعدة، بل على العكس من ذلك كانت تجبر قوافل المهاجرين أحياناً أن تسير أمام الجيش المنسحب من جبهات القتال لفتح الطرقات بسبب تراكم الثلوج[91].

لقد قابل القرويون الأتراك المبعدين الكُرد بشيءٍ من الرعب؛ لأنهم لم يكونوا يعرفون شيئاً عن رجال القبائل الكُردية، ولذلك كانوا يخشونهم، ويخشون الأمراض التي من الممكن أن يحملوها، ففي هذه المدن استقروا في المناطق الأرمنية، التي هُدمت ولم يكن لديهم أي وسائل للعيش، وكما هو معروف فإن معظم الكُرد هم من الرعاة ولم يكونوا يعلمون شيئاً عن الزراعة، ولهذا السبب كانوا لا يحبون حياة المدينة، لذلك فإن ظروفهم لم تتحسن حتى عندما استقروا في المدن والمناطق الأخرى، كما أنه مات أيضاً المئات من المهاجرين الكُرد نتيجة لجشع الموظفين الأتراك، وعدم صرفهم الأموال التي أرسلت إليهم من استانبول لهذا الغرض[92]. ويذكر سافرستيان أن من الصعب

فهم أن القبائل الكُردية، التي كانت تعيش في شمالي الموصل، وبوتان صو، وأرمينيا، قد عانت بدرجات أقل مما عاناه الأرمن خلال الحرب العالمية الأولى[93].

ويتحدث جاكوب كونزلر عن شتاء 1917 ـ 1918 ويقارن بين الكُرد والأرمن في أورفا، حيث يذكر بأن المهاجرين الكُرد من الذين كانوا لا يزالون يعيشون في المدينة قد أبلت المجاعة بلاءً مرعباً وسطهم؛ فقد مات الكثير منهم من الجوع، وقد دفن أكثر من (70) شخصاً في مدة قصيرة، والحقيقة أن عدداً قليلاً من الأرمن ماتوا في الشتاء بسبب المجاعة في أورفا إذا ما قارنا ذلك مع الكُرد؛ فالأرمن معروفون بأنهم أناس حِرَفيون، ولديهم ممارسة وخبرة في مختلف المهن، أما الكُرد فإن معظمهم لم يكونوا على دراية كافية بالمهن والحرف لكي يستطيعوا العمل والعيش، كما أنهم كانوا مهددين بالموت حتى من دون المجاعة، ولم يكونوا يعرفون إدارة أمورهم مثل الأرمن، ويضيف بأن قاضي أورفا الذي كفل معيشة اثنتين من نساء الكُرد في بيته، كثيراً ما حاول أعطاء المواعظ للأتراك لمساعدة المهاجرين الكُرد ولكن دون نتيجة تذكر[94].

أما عن ظروف المبعدين إلى ولاية الموصل، فيتحدث عنهم الطبيب الأرمني استارجيان في مذكراته بأن هجرة كُردية كبيرة إلى ولاية الموصل حصلت بعد الهجوم الروسي في عام 1916؛ ثم يذكر بهذا الشأن: «.. فالأكراد المهاجرون الجدد كانوا محرومين من أود المعيشة اليومية، فسرت بينهم الأمراض المعدية وكان في انتظارهم شبح الموت الذي كان يحصد منهم زرافات زرافات بسبب نقص الغذاء، فكنت ترى وجوهاً مريضة عليها سحنة الموت الأصفر، وبحالة يرثى لها لا بل تقشعر لها الأبدان، هؤلاء الناس الذين اضطروا إلى أكل موتاهم، الأم كانت تنتظر موت ابنتها حتى تتغذى بلحمها، وابنها ينتظر موتها ليقتات من جثتها، والأخ ينتظر هو الآخر موت أخيه ليأكل

دماغه أو دماغ أخته، وليعيش بضعة أيام أخرى بعمر هذه الحياة، هذه كانت الحياة المأسوية في شمال العراق من سنة 1915 وسنة 1916، وبصفتي طبيب الحكومة المسؤول فعشرات من جثث الأكراد، كنت آخذها من أيدي الجياع وأدفنها في حفر خارج المدينة»[95].

أما عبد العزيز قصاب ـ الذي شغل منصب متصرف لواء الموصل في عشرينيات القرن العشرين ـ فذكر أيضاً في مذكراته أنه لم يسبق له أن رأى مثل ما رآه في شوارع الموصل من المُهجَّرين من وان الذين تجاوز عددهم الثمانين ألف شخص حسبما قيل، وكيف كانوا يقاتلون بعضهم بعضاً على لقمة عيش من الخبز، ويضيف: «كنت أرى كل صباح ومساء مأموري البلدية ومعهم الحمالون يجمعون الجثث الهزيلة اليابسة، التي استحالت إلى هياكل عظمية، يجمع كل واحد منهم خمساً منها ليرميها في سلته، وكأنها قطع خشب صغيرة»[96].

وطبقاً لمراقبي مسرح الأحداث فإن مصير اللاجئين لم يكن سوى مأساة كارثية قصيرة، وقد ذكر القنصل النمساوي في ساسون في 7 نيسان/ ابريل 1917 أن العديد من اللاجئين كانوا يعانون بشكل كبير. أما الطبيب الأميركي هنري ريكس في خربوط، فقد وصف الحالة التعيسة للاجئين الذين وضعوا داخل المنازل التي كانت جاهزة بعد أن هجرها الأرمن المرحلّون: «كان الازدحام يفوق كل ما هو معقول، ومع ذلك كان من المستحيل إيجاد مكان للجميع دون وضعهم في مساكن صغيرة، في بعض المنازل المخصصة لعائلة واحدة كان هناك ما يزيد على خمسين أو ستين شخصاً، أما في الليل فتصبح الأرضية مغطاة بالكامل بالناس المستلقين على الأرض من أجل النوم قليلاً، مستلقين على الأرض بشكل قريب، بعضهم من بعض، بحيث كان كل ستة أشخاص يستخدمون بطانية واحدة كغطاء، وفي بعض الأحيان يفوق الأمر

ذلك بحيث ليس من المستغرب أن يتفشى المرض بشكل مخيف، فالجوع والحرمان أنهكا الناس، فيجتمعون معاً كما كانوا لينال منهم المرض ويقضي على العديد منهم»[97].

بعد هذه الهجرة الكُردية الكبيرة إلى الأراضي الغربية والجنوبية فإن الجميع قد تخوف منهم فسدوا أبوابهم أمام صرخاتهم، ولم يلبِ أحد نداءات الإنقاذ لهؤلاء الكُرد، وذلك لأن الهجرة الكُردية قد سببت تفشي أمراض معدية في المنطقة؛ كما كانت أعدادهم الكبيرة تقض مضاجع الجميع، لذلك وجد الكُرد أن أبواب الجميع مسدودة في وجوههم، الغرب الذي يراهم متوحشين واستحقوا ما نالوه، وأن حكم الله قد نفذ عليهم بسبب ما فعلوه بالأرمن حسب اعتقادهم[98]، أما الأتراك فلم تكن نظرتهم إلى الكُرد بأكثر شفقة من الغرب، تلك كانت ظروف الهجرة الكُردية؛ بل حتى إنه في أمر المساعدات الإنسانية المقدمة من الغرب للاجئين الأرمن والكُرد كان هناك تفريق بين القوميتين، إذ يعطون الطعام والكسوة للأرمني ويتغافلون عن جاره الكُردي الذي يموت من الجوع[99].

كما امتلأت صفحات الجرائد والمجلات الكُردية التي كانت تصدر في استانبول بعد انتهاء الحرب العالمية، وخصوصاً مجلتي (كُردستان) و(زين) بمقالات عديدة تتناول الأحوال السيئة للاجئين الكُرد في الأناضول، وازدياد حالات الوفاة بينهم يوماً بعد يوم، دون تلقي أي اهتمام لا من جانب الحكومة العثمانية، ولا من جانب الإرساليات التبشيرية المسيحية التي كانت تهتم بالمسيحيين فقط[100].

أما عن عدد الكُرد المهجرين من مناطقهم وعدد الذين ماتوا منهم فتكاد المصادر تُجمع على أن عددهم بلغ (700000) مهجر كُردي، استناداً إلى ما ورد في سجلات دائرة المهجرين التابعة لوزارة الداخلية العثمانية آنذاك[101]،

ولكن إحصائية وزارة الاقتصاد العثمانية تذكر في سجلاتها أن عدد المبعدين الكُرد من شمال كُردستان تجاوز المليون شخص[102].

وتذكر المصادر نفسها أن حوالى نصف عدد المبعدين قد ماتوا في الطريق بسبب الجوع والمرض، وهناك أمثلة مادية يمكن أن تلقي الضوء على نسبة الوفيات وسط المبعدين، فقد قابل الأمير جلادت حفيد بدرخان بك مجموعة من المبعدين الكُرد، وقد سألهم عن عدد الناجين من المبعدين أثناء مسيرات الموت، واندهش من الإجابة حين أجابه قائد المجموعة بأنه من مجموع (787) شخصاً أبعدتهم الحكومة العثمانية من قريتهم نجا منهم (23) فقط[103]، ويقول عبد العزيز قصاب إنه في العام 1918 التقى في منطقة زيبار شمال مدينة الموصل، أحد أعيان مدينة وان سابقاً ويدعى الحاج رفعت أفندي، وقد كان في طريقه للرجوع إلى وان بعد أن أصدرت الحكومة العثمانية قراراً بعودة المهجرين إلى أماكنهم الأصلية، وقال له الحاج رفعت أفندي: «إن عدد جماعته عند قدومه إلى الموصل كان ستة الآف شخص، مات أكثرهم جوعاً، ولم يبق منهم إلا هو وزوجته وخادمه فقط»[104]. أما كارو ساسوني فيقول بهذا الصدد: «في الحقيقة حين جرت أعمال التهجير عام 1916 فإن القليل من الكُرد استطاعوا بلوغ مدن قونية، وأنقرة، وأضنة»[105]، وكتبت جريدة (مشاك) الأرمنية أن الأعمال الإرهابية التي امتدت إلى جنوب بحيرة وان وغربها، حيث كان يعيش فيها قبل الحرب حتى (800) ألف كُردي قد أفرغت تماماً من سكانها وسويت مئات البلدات الكُردية بالأرض، وقد انقرضت قبائل كاملة بسبب أوبئة الكوليرا، والطاعون، والتيفوئيد، بل حتى أن بعض مسؤولي السلطات التركية، قالوا إن ما يصل إلى ثلاثة أرباع سكانها الكُرد قد هلك في بعض المناطق[106]. ويكتب حلمي يلدرم شعبان واده الموشي: ما إن بدأت الحرب العالمية الأولى حتى رُحِّلَتْ (3700) أسرة

كُردية إلى روم أيلي والأناضول، وقتل معظم هؤلاء إما في الطريق، وإما على أيدي الجنود الترك أو لقوا حتفهم من أثر ظروف الجو السيئة[107]، أما ايرنست كريستوفل(Ernst Christoffel) المتواجد في ملاطية، فقد قال عنهم «هلك الآلاف منهم على الطريق»، وبناءً على حكمه للوفيات العامة إبّان الحرب في الأقاليم الشرقية العثمانية، يخمن مكارثي أن أكثر من نصف اللاجئين في شرق الأناضول قد لقوا حتفهم[108].

يقول محمد أمين زكي: «... إن الجيش الثاني الذي كان معسكراً بدياربكر في السنة الثالثة من سني الحرب العامة، أقدم في خريف 1917 على إجلاء جميع سكان بلاد دياربكر، وموش، وبتليس، بحجة توفير المؤن وادخارها لنفسه من أقوات الأهالي وأرزاقهم الضرورية، وهكذا أجلى البعض منهم إلى ولاية الموصل، والآخرين سيقوا إلى جهات أخرى كأطنة [أضنه] وحلب في أيام الشتاء والزمهرير، فمات هؤلاء البائسون من شدة البرد ووطأة الجوع والأمراض في الطريق، ولم يبق منهم في قيد الحياة سوى عدد قليل، ويمكن أن يقال: إنه لم ينج من الموت أحد من الأطفال، وقد وصل بهم الأمر إلى أن من كان بالموصل من هؤلاء المهاجرين البائسين، اضطر لأكل جثث الموتى على قارعة الطرق»[109].

للمرء هنا أن يتساءل أين كان كل من: جميس برايس، وارنولد توينبي، ولوبوسيس، ومورغنتاو، وهنري باربي، وفائز الغصين[110]، وغيرهم كثيرون الذين كانوا قد أرخوا لتهجير الأرمن ومذابحهم قبل ذلك ببضعة أشهر، لماذا لم يؤرخ هؤلاء إن كانوا منصفين، ولو بمقدار (1 %) تلك المأساة الكُردية مقارنة بالمأساة الأرمنية؟ هنا تظهر ازدواجية الغرب في هذه المسألة بشكل واضح؛ ينقل روهات الاكوم عن المبشر ارنست لاهمان قوله للغرب إن: «الشعب الكُردي يحتضر هناك مثل الأرمن»[111].

لذلك فإن هناك مشكلة واضحة تظهر في التطبيق التاريخي للمأساتين الأرمنية والكُردية آنذاك، وهي التركيز على ضحية واحدة من بين ضحيتين أو ثلاث ضحايا، فإن الباحث كرستيان جيرلاش(Christian Gerlach) وهو أحد الأصوات المناقشين لهذا الرأي يذكر أن المجتمعات العنيفة مثل المجتمعات في أواخر عهد الدولة العثمانية أو ألمانيا النازية، تتصف بعنف جماعي ضد العديد من التجمعات العرقية، أو الدينية، أو السياسية، بدلاً من مجاميع واحدة، وفي حالة الدولة العثمانية يؤكد جيرلاش أن معظم الباحثين في مجال الإبادة الجماعية يفضلون التركيز على مجموعة ضحية واحدة بمعزل عن الأخرى، وذلك لجعل مصير هذه المجموعة له معنى أكبر[112]. يقول ستانفورد شو في هذا الصدد: «إن هؤلاء اللاجئين المسلمين [الكُرد]... كانوا يكابدون النوع نفسه من المعاناة والموت، اللذين ذاق ويلهما المرحلون الأرمن في الاتجاه المعاكس، ولكن على الرغم من أن العديد من المسلمين، كانوا قد مرّوا في هذه المشكلة، إلا أن الغرب المسيحي لم يكرس آلامه حول أحداث هذه الكارثة الإنسانية الخالدة...»[113]. وباختصار فإن مجاميع اللوبي الأرمني ومنظمات حقوق الإنسان، والباحثين المتعاطفين مع النضال الأرمني من أجل العدالة كانوا ناجحين في المنافسة العالمية من أجل الضحايا، ومن أجل الاعتراف الدولي؛ فإن الإبادة الجماعية للأرمن أصبحت رمزاً عالمياً للشر ولسوء الحظ، بالمقابل هناك ما يماثلها في الفترة نفسها من السوء والشر أو أسوأ منها ولكن دون جدوى[114].

جـ- استيطان الأتراك ومسلمي البلقان في شمال كُردستان

كانت نية الاتحاديين حتى قبل الحرب إسكان اللاجئين المسلمين من ألبانيا والبوسنة والأجزاء الأخرى من البلقان في شمال كُردستان، حيث اختيرت لهم أمكنة في دياربكر وأضنه وسيواس، أما الشركس فكان من المقرر

توزيعهم في أورفا ودياربكر، في حين أرسلوا شعب الشيشان للاستقرار في عينتاب[115].

بدأ تنفيذ هذه العملية في صيف عام 1915 حيث جيىء بـ: البوسنيين، والأتراك البلغار، والألبان للاستقرار في تلك المناطق من شمال كُردستان، وقد اختاروا أفضل الأماكن في دياربكر للأتراك، حتى يقال إن علامة وضعت في أذان كل مواطن من الأتراك لكي يُميزوهم عن السكان الآخرين، وقد استمرت هذه العملية حتى ما بعد الحرب العالمية الأولى[116].

ولكن يبدو أن عملية التتريك تلك لم تحقق النجاح المرجو في تحويل شمال كُردستان وخاصة دياربكر إلى منطقة تركية خالصة، حيث يقول الباحث أوغور او. اونكور(Ügur Ü. Üngör) عن هذا الأمر: «يبدو أن عملية التتريك كانت قد بالغت في تقديرها جمعية الاتحاد والترقي، فعلى العكس من ذلك فقد لاحظنا بعد (90) عاماً من عمليات الإبعاد، أن معظم البوسنيين، والألبان، والترك، المستوطنين في دياربكر، قاموا بتكريد أنفسهم بدلاً من تتريك الكُرد الموجودين في دياربكر، ففضلاً عن الأهمية الديموغرافية للكُرد، فإن العلاقات الاقتصادية، والإثنية، والمصاهرات، ساهمت كثيراً في هذه النتيجة»[117].

ثانياً ـ الاحتلال الروسي لشمال كُردستان 1916 ـ 1917

أ ـ العمليات العسكرية

بالعودة إلى العمليات العسكرية في جبهة القوقاز فقد قاد الجيش الروسي في بداية عام 1916 هجوماً كاسحاً على مدن وبلدات شمال كُردستان، ففي 16 شباط/ فبراير سقطت أرضروم، وسقطت موش في اليوم نفسه، وبتليس في 3 آذار/ مارس، واضطر العثمانيون إلى التخلي عن طرابزون في 16 نيسان/ ابريل، وفي تموز/ يوليو تقدم الروس واستولوا على بايبورت في 17 من الشهر نفسه ثم على أرزنجان في 25 تموز/ يوليو. وانشغل الروس بقية عام 1916 في عمليات تطهير المناطق التي استولوا عليها، وكانت الناحية المضيئة الوحيدة لدى العثمانيين هو استرداد الجيش العثماني الثاني بقيادة مصطفى كمال باشا لموش وبتليس في آب/ أغسطس 1916، لكن العثمانيين خسروا بتليس ثانية في وقت لاحق، وبهذا خسر الأتراك مسرح العمليات الحربية في شمال كُردستان كله[118].

صاحبت هذه العملية بدورها تنكيلاً بالكُرد المسلمين الذين وقعوا في أيـدي الجيش الروسي والفرق الأرمنية، ففي شهر كانون الثاني/ يناير 1916

قـام الروس بمساعدة حراس مـن المتطوعين في موضع متقدم باحتـلال دياربكر، ويذكر المبشر الأميركي غريس كناب (Grace Knapp): «أن المسلمين الذين لم يستطيعوا الهرب تعرضوا للقتل»، كما قضى المراسل الخاص لصحيفة مانشستر غارديان (Manchester Guardian) ام. فيلبس برايس (M. Philips Price) في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر 1916 بضعة أسابيع مع المتطوعين الأرمن الروس في منطقة بحيرة وان، لاحظ خلالها عمليات قتل بحق العديد من القرويين الكُرد، وقد لاحظ أن هذا الأمر حدث لأن المتطوعين الأرمن كانوا لا يميزون على الإطلاق بين الأشخاص المقاتلين والأشخاص غير المقاتلين، ويقال إن أحد أسباب الحل النهائي لوحدات المتطوعين الأرمن هو أنها كانت تقوم بقتل الأشخاص غير المقاتلين في الأراضي المحتلة، وطبقاً لشهادة مجهولة الهوية لأحد السكان المحليين ولشهود عيان كتب الميجر نوئيل قائلاً: «إن الروس الذين كانوا معهم قاموا بقتل وذبح أي مسلم من السكان المدنيين من الذين يقع في أيديهم وبدون أي تمييز»[119].

يذكر اي.تي.الن (E.T. Allen) وهو مبشر أميركي كان في أورمية في سنوات الحرب العالمية الأولى، في تقرير له إلى المفوضية الأميركية في طهران، بتاريخ 12 حزيران/ يونيو 1918 أنه: «شهد عام 1916 تقدماً روسياً إلى الجنوب والغرب نحو كُردستان، كانت القوات الروسية متفوقة بشكل كامل على القوات المشتركة التركية والكُردية، وكان يرافقهم جنود أرمن، وبلا شك ارتكبتْ أعمال وحشية بحق الكُرد، فقد ارتكبت مجازر بحق شعبهم، وهدمت منازلهم عندما هربوا أمام الجيش الروسي، مات العديد بسبب العواصف الثلجية في الجبال، وهلك العديد بسبب الحرارة المفرطة في سهل الموصل خلال فصل الصيف...»[120].

حتى في رواندوز البعيدة الواقعة في كُردستان العراق حالياً، والتي لا يوجد فيها أرمني واحد، قاد الروس هجوماً عليها بقيادة الجنرال جيورنوزوبوف عن طريق إيران في ربيع عام 1916، ولم يكن الكُرد في هذه المنطقة يهتمون كثيراً بمجيء الروس في البداية، بل أن قسماً منهم رحبوا بمقدمهم، لكونه أدى إلى انحسار ظل الاتحاديين، ولكن الأرمن الذين كانوا من عناصر الجيش الروسي ارتكبوا مجزرة فيها، فقتلوا خمسة آلاف كُردي ودمروا مئات البيوت، فمن بين حوالى ألفي منـزل في المدينة لم يسلم سوى (20) منـزلاً من الهدم، وقاموا بشنق رئيس إحدى العشائر الكُردية، وهو رشيد آغا هركي، ولم يستمر الجيش الروسي في احتلاله لمدينة رواندوز أكثر من شهرين فكان على قواته أن تنسحب إلى إيران[121].

ولكن منذ بدء الهجوم على شمال كُردستان في بداية العام 1916، حدثت تطورات هامة على الجبهة والاستراتيجية الروسية بشكل عام تجاه الكُرد والأرمن، فقد عيّنوا نيكولا نيكولاييف قائداً للجبهة في القوقاز، والذي أعطى الضوء الأخضر للأمير شاخوفسكي لإقامة العلاقات مع الكُرد الباقين في المناطق التي احتلوها من جانبهم، وحاول أيضاً التأثير في الكُرد الذين كانوا لا يزالون تحت السيطرة العثمانية، بهدف دفعهم للقيام بانتفاضة في تلك المناطق[122]. وحسب مصدر قريب فإن الكُرد الذين كانوا قد بقوا في المناطق التي احتلها الجيش الروسي في شمال كُردستان احتموا في الجبال. كان عددهم حوالى (100000) كُردي[123]، والذين لم يكن حالهم بأفضل من حال الكُرد الذين هجروا تلك المناطق خوفاً من التنكيل الأرمني[124].

لقد كانت مسألة تطبيع العلاقات مع الكُرد في المناطق المحتلة من شرق الأناضول مسألة صعبة وبشكل خاص للسلطات العسكرية الروسية، فقد كتب الأمير شاخوفسكي في منتصف كانون الأول/ ديسمبر عام 1915 إلى مقر

قيادة جيش القوقاز يعلمهم بأن : «أكراد ولايتي بتليس ووان، الذين لا توجد لنا معهم مشكلة حتى الآن يتعاطفون معنا، ويبدو كما لو أنهم يريدون الآن إقامة علاقة معنا، ولكن تهدئة أكراد المنطقة بالقوة العسكرية تعتبر الآن مهمة صعبة جداً، وذلك لأنهم تعرضوا إلى عمليات انتقامية رهيبة من جانبنا وهم غاضبون أشد الغضب علينا... ولا يزال من الممكن مصالحة هؤلاء الأكراد معنا، إلا أن استخدامهم ضد الأتراك أراه بحسب رأيي مهمة مستحيلة تقريباً». وفي رأي شاخوفسكي أن أحد الأسباب الرئيسة لهذه الصعوبة هو تدهور العلاقات المتبادلة بين الأرمن والكُرد[125]، ويضيف في هذا الصدد قول الكُرد لهم عندما كانوا يحاولون الاتصال بهم: «نحن لا نخاف من الروس ونحن معهم قلباً وروحاً، ولكننا نخاف من الأرمن، لأنهم سيقتلوننا، ويعتدون على شرفنا، وأنتم الروس لا تعترضون طريقهم»[126]، ولذلك رأى شاخوفسكي أنّ روسيا إذا أرادت نجاح علاقاتها مع الكُرد من جديد، فإن من الضروري اتخاذ الإجراءات التالية: معاملتهم معاملة عادلة، وعدم الانتقاص من حقوقهم قياساً بالأرمن[127].

وعلى الرغم من التوجس الكُردي من الروس لعلاقاتهم القوية مع الأرمن، فقد تمكن شاخوفسكي بالتنسيق مع كامل بدرخان من إشعال عدة انتفاضات كُردية ودعمها في ربيع عام 1917، في المناطق التي كانت تحت سيطرة العثمانيين مثل: بوتان، ودرسيم[128].

أما الأمر الثاني الجديد والمهم الذي طرأ على الساحة في شمال كُردستان آنذاك، فهو تدهور العلاقات بين الروس والأرمن، وذلك لاختلاف أهداف كل منهما، فقد رأى الروس أن الأرمن يهدفون في المناطق المحتلة، والتي أصبحت خالية من السكان تماماً بدءاً من ولاية طرابزون، ومروراً ببايزيد، وأرضروم، ووان، وانتهاءً ببتليس، و أرزنجان، إلى تهيئة الأرضية المناسبة لقيام

دولتهم، وفَهِمَ الروس بأن المجازر الأرمنية المستمرة بحق الكُرد والأتراك حتى في المناطق الخاضعة للحكم الروسي كانت تقوض الحكم الروسي في المنطقة؛ فقد كان الروس بدورهم يريدون إقامة مستوطنات روسية قوقازية في تلك المنطقة، لكي تكون جزءاً من الإمبراطورية الروسية ولا تكون نواة لدولة أرمنية. حتى قبل الهجوم الروسي الكبير في شمال كُردستان في أوائل عام 1916[129]، حث الجنرال يودينيش نائب الملك داشكوف، على منع حدوث هذا الأمر عندما قال: «كان الأرمن يبيتون النية من أجل توطين اللاجئين لاستغلال الأراضي، التي هجرها الكُرد والأتراك، هذا أجده أمراً غير مقبول، لأنه بعد الحرب سيصبح من المتعذر استرجاع الأرض التي احتلها الأرمن أو إثبات أن الأرض التي احتلوها لا تعود إليهم، لذلك فإنني أجد من المستحسن جداً أنْ نوطِّن الأراضي الحدودية (بالعناصر) الروسية، فعندما يكون وادي الاشكيرد، وديادين، وبايزيد، ضمن الحدود الإمبراطورية الروسية، يمكنهم الاستيطان مع المهاجرين من كوبان ودون، وهكذا نؤسس قوات قوزاقية حدودية»[130].

لذلك بادر الروس على الفور إلى حلّ الفرق الأرمنية التي كانت مصاحبة للجيش الروسي حتى في هجوم عام 1916، ففي بداية تلك السنة أخرج الجيش الروسي من بين صفوفه ثلاثة آلاف أرمني متطوع بالقوة، وسرّحوا وحدة انترانيك بالقوة أيضاً، وعدّ الجنود الأرمن الباقين غير مهمين في الجيش الروسي القوقازي[131].

ظلت الخلافات على أشدها بين الأرمن والروس وأخذ كل طرف يكيل الاتهامات والتهديد للطرف الآخر، حتى اندلاع ثورة آذار/ مارس 1917، وأقام الأمير جورج لفوف (Georg Lvov) في موسكو حكومة بورجوازية موقتة لتسيير شؤون الحرب، وقد أدى هذا الانقلاب إلى هبوط معنويات

الجيش الروسي كثيراً في شمال كُردستان، وبدأت هذه الجبهة تفقد قيمتها في الحرب[132].

تنازلت الحكومة الروسية الموقتة في نهاية أيار/ مايو 1917 للأرمن عن شمال كُردستان، وكلفت الأرمن بإدارة جميع الأراضي المحتلة في تلك الجبهة، وفضلت الأرمن على غيرهم من العناصر الإسلامية هناك في العلاقات، وفي هذه الوثيقة التي وقع عليها القائم بأعمال القوميسار العام (في الأقاليم التركية المحتلة بموجب قانون الحرب) الجنرال ب.ي.افيريانوف، ومعاونه يا.خ.زافرييف، جاء فيها أن الحكومة الموقتة : «ترى أن ولايات: وان، وبتليس، وأرضروم هي ولايات أرمنية منذ القدم»، وأنه ينبغي اتخاذ إجراءات (لإعادة توطين) هذه المناطق بالأرمن وتهيئة الحياة لهم هناك، وجاء في التعليمات أيضاً: «وما يتعلق بالأتراك، والأكراد، واللاز، فمع أنه لا يوجد هدف لخلق أي نوع من العراقيل بالنسبة إلى الباقين منهم في المناطق المذكورة، أو الذين دخلوا ضمن حدود روسيا، ونقدم لهم المساعدة القانونية بالحماية، فإنه ينبغي بالرغم من ذلك، ولأغراض ضمان أمن الجيش وتلافي التعقيدات القومية الممكنة، عدم السماح في المستقبل وحتى ورود تعليمات خاصة، بإعادة توطين أي من أولئك الذين نزحوا مع القوات التركية»[133].

ورحل الجنود الروس جميعاً من إقليم وان بحلول صيف 1917، واستلم الأرمن في وان الحكم وشكّلوا لمدة قصيرة حكومة أرمنية ثانية هناك، كانت الحكومة كاملة ولها وزارات دولة وعملة خاصة بها (أوراق نقدية روسية تحمل كتابات أرمنية فوق الكتابات الروسية)، كانت الدولة الصغيرة تقع على ضفاف بحيرة وان وامتدت إلى أرجيش شمالاً، كما رجع العديد من الأرمن إلى وان، وقدرت قوات الدولة الأرمنية في وان بـ(200) جندي من الخيالة و(2000) من المشاة ولكن لا يمكن اعتبارها قوة عسكرية مهمة، لعددها

القليل[134]؛ وصار الوضع على هذه الشاكلة حتى اندلاع ثورة أكتوبر/ تشرين الأول 1917 وسيطرة الشيوعيين على الحكم في روسيا.

ب ـ تقرير كامل بدرخان 29 أيلول/ سبتمبر 1917

يظهر من خلال هذا التقرير أن المشكلة الأرمنية مع الكُرد لم تكن مشكلة اجتماعية أو حتى اقتصادية بالأساس، كما أظهرتها التقارير الأرمنية قبل الحرب، بل كان أساس تلك المشكلة هو الصراع على الأرض وعلى هويتها، وبخلاف الكُرد الذين كانوا يتقبلون الأرمن ويتنازلون لهم مرات عديدة بخصوص مسألة تقسيم الأرض بين الشعبين، كما فعل الشيخ محمد صديق، أو إقامة حكم شراكة بينهم على هذه الأرض كما حدث في حركة الملا سليم البتليسي، فإن الأرمن كانوا يريدون أراضي شمال كُردستان (أرمينيا الغربية) من غير أن يكون فيها الكُرد بشكل تام، وخلافاً للمسيحيين الآخرين في الإمبراطورية العثمانية وخصوصاً مسيحيي البلقان الذين كانت لهم الإشكالية نفسها مع مسلميها، ولكنهم كانوا يقومون بإرهاب مسلميها لكي يهاجروا من تلك المناطق. ولكن ما يميز الأرمن عنهم هو أنهم لم يكونوا يريدون طرد الكُرد من شمال كُردستان ليقينهم من عودتهم إليها مرة أخرى نتيجة لعددهم الكبير، بل كانوا يريدون إبادة الكُرد قدر المستطاع، حتى وإن عاد الباقون إلى أماكنهم فإن كثافتهم السكانية سوف تكون غير ذات أثر في معادلتهم السياسية؛ كما يدعم تقرير كامل بدرخان الفكرة القائلة بأن التباعد الأرمني الكُردي في العصر الحديث كان سببه الأرمن لا الكُرد، كما كان يدعي به الساسة الأرمن. مثل هذه الأمور يبرزها كامل بدرخان في تقريره الذي كشف شيئاً كثيراً، وتفصيلات عديدة عن مجمل تطورات العمليات العسكرية في شمال كُردستان من جهة، والعلاقات الكُردية الأرمنية الروسية من جهة أخرى.

يعود تاريخ التقرير الذي كتبه كامل بدرخان في بتليس وعليه توقيع الأمير شاخوفسكي إلى 29 أيلول/ سبتمبر 1917[135]، والتقرير موجه إلى آمر إحدى القطعات العسكرية الروسية المقدم (شاردي لي)، وكان هدف كامل بدرخان من هذا التقرير هو بيان أسباب تباعد الكُرد من الروس أثناء الحرب العالمية الأولى، وعدم تمكن الروس من كسب الكُرد إلى جانبهم، وإذا ما أزالت روسيا هذه الأسباب ستنجح في تحقيق نتائج جيدة بين الكُرد في صراعها مع الأتراك العثمانيين، والسبب الأساسي كما بينه كامل بدرخان هو الأرمن وانحياز الروس إليهم بشكل تام في الحرب[136].

في بداية التقرير وبعد أن ألقى كامل بدرخان بعض الضوء على تقسيمات المجتمع الكُردي وعلاقات الكُرد مع الأرمن، وخيانة الأرمن لهم في حركة ملا سليم البتليسي، يقول: «إن المقولة القائلة إن الكُرد قد توارثوا معاداة الأرمن ـ من أجدادهم ـ هي غير صحيحة، وإن العداوة مع الأرمن قد بدأت بعد معاهدة برلين»، وذلك لأن الأرمن طالبوا بالحكم الذاتي في شمال كُردستان؛ ثم يضيف: إن الكُرد والأرمن قد عاشوا جنباً إلى جنب في كُردستان بسلام، وكان الأذى الوحيد الذي يلحق بهم هو عندما كان بكوات الكُرد يدخلون في صراعات نظراً لارتباط الفلاح الأرمني بالبك الكُردي، فكانوا يتعرضون إلى الأذى مثل الجميع، ولكن من جهة أخرى، كان هذا البك الكُردي يقدم الحماية الكاملة للأرمني، أما السبب الرئيسي في تدهور العلاقات الكُردية الأرمنية فيقف وراءه الأتراك واللجان الأرمنية[137].

يذكر كامل بدرخان أن الكُرد لم يكن لهم عند بدء الحرب أي تحركات ضد الأرمن، فكيف يقومون بشيء ضد نسائهم وأطفالهم، ولكن ما إن بدأت الحرب حتى تغير كل شيء، وذلك بعد هجوم الفرق الأرمنية على الكُرد وقيامهم بإبادتهم، ولم يكونوا يفرقون بين الرجال، والنساء، والأطفال،

لذلك اضطر الكُرد إلى الدفاع عن أنفسهم والوقوف بوجههم، كما تدخلت الدولة التركية في الأمر بعد انتفاضة الأرمن في وان وقررت على إثرها إبادة الأرمن(138).

ثم تطرق كامل بدرخان بعد ذلك إلى موقف الكُرد من الروس في بداية الحرب، والذي كان جيداً حسب ما ذهب إليه، فقد تصور الكُرد أن الروس سيتعاملون معهم بودّ وإيجابية كما تعاملوا معهم في حروبهم السابقة في المنطقة؛ لذلك فما أن بدأت الحرب حتى التحق بصفوف الكُرد المؤيدين لروسيا عدد كبير من الفرسان الحميدية برئاسة رسول بك، وأيوب بك، ولكن الروس أهانوا هؤلاء الرؤساء ونهبت أموالهم وممتلكاتهم، لذلك صدّ هذا الموقف الروسي من رؤساء الحميدية كثيراً من الكُرد ومنعهم من الالتحاق بالروس؛ فقد بدأوا يتخوفون من الالتحاق بالجانب الروسي، بل حتى إن الزعيم الكُردي لعشيرة هرتوش القوية المدعو حسن بك الذي كان قد سلم نفسه في وقت سابق إلى الروس، تعرض لإهانة كبيرة على أيديهم، وعندما سنحت لحسن بك فرصة الهرب من الروس، تحول بعدها إلى عدو ضروس للجيش الروسي؛ أما عن سبب هذا السلوك الروسي تجاه الكُرد في بداية الحرب فيعزوه كامل بدرخان إلى التحريض الأرمني، حيث تعرض الكُرد إلى الظلم والإهانة تحت تحريض الأرمن للروس، وبسببهم لم تقم القيادة الروسية في بداية الحرب بإقامة العلاقات مع الكُرد، ومن الضروري حسب اعتقادهم إبادة الكُرد في المناطق المحتلة، بل الأكثر من ذلك فقد زرع الأرمن بذرة معاداة الكُرد، أينما وجدوا وحلوا بين ضباط الروس وجنودهم، عند ذاك لم يكن من الكُرد على الرغم من أوضاعهم الحرجة إلا القتال وبكل جرأة حتى الموت ضد الروس(139)؛ ثم يختصر كامل بدرخان الموقف الكُردي في الحرب من الروس بقوله:

«إن الكُرد الذين كانوا يخافون أن يقتلوا وتنهب أموالهم، وتتعرض أعراضهم إلى الهتك على أيدي الأرمن والجنود والروس وبتحريض الأرمن، لذلك لم يكونوا (هؤلاء الكُرد) يريدون تسليم أنفسهم ـ والانضمام إلى الجانب الروسي ـ وكانوا ينسحبون أمام زحف الجيش الروسي ـ في مناطقهم ـ لأنهم إن لم يفعلوا فسيتعرضون إلى الإبادة الجماعية على يد الأرمن»[140].

رغم ذلك يقول كامل بدرخان: وجد الكثير من الأرمن ملجأً لهم بين الكُرد ـ يقصد في أثناء عمليات التهجير والمذابح التي تعرض لها الأرمن ـ في حين لا يظن أحد أن كُردياً واحداً تمكن من الخلاص على يد الأرمن؛ ثم يعقب على المذابح الأرمنية مرة أخرى بالقول: إن هناك أمراً مهماً يجب التنويه به، وهو أنه في المناطق التركية الخالصة التي لا يوجد فيها الكُرد أُبيْدَ الأرمن فيها بشكل تام أو شبه تام، أما في المناطق التي يوجد فيها الكُرد، فقد احتمى عدد كبير منهم في المناطق الكُردية، حتى إن أخا حسين بك[141] دافع عن المسيحيين القاطنين بين الجزيرة وميديات، ووقف بوجه تركيا ومنع القوات التركية المرابطة هناك من تحقيق هدفها وهي (إبادة الأرمن)[142].

حتى بعد تغيير السياسة الروسية تجاه الكُرد عندما تولى الأمير (نيكولا نيكولافيتش) المنصب العسكري الأعلى في القوقاز، لم يثمر هذا التغيير عن نتائج ملموسة في هذا الجانب، نتيجة للكره الذي تأصل لدى الكُرد ضد الروس بعد تلك الأعمال الوحشية والمميتة، التي ارتكبها الروس ضدهم في بداية الحرب حتى انقلاب آذار/ مارس 1917.

يأتي بعد ذلك كامل بدرخان ليتحدث عن دوره في الحرب وما لاقاه من الأرمن، الذين كانوا العقبة الرئيسة بوجه نجاح السياسة الروسية تجاه الكُرد في الحرب العالمية الأولى، ويذكر أنه في بداية الحرب: «أمرني الجنرال

ميشلوفسكي أن أتوجه بأمر من حاكم القوقاز (فارنتسوف داشكوف) إلى مقر اباتسيف حتى أكتسب تأييد الكُرد إلى جانب روسيا، وتحريضهم على القيام بثورة ضد تركيا، ولما وصلت إلى (قره كليس) بدأت بأعمالي وكان نجاحي ملموساً، لكن الأرمن الذين كان همهم الوحيد إبادة الكُرد واحتلال المنطقة، لكي يهيئوا الأرضية لتأسيس أرمينيا، أغاروا على السكان الآمنين والأبرياء وقاموا بنهبهم، فقاموا بالتجاوز عليهم، حتى أنهم قتلوا الأطفال أيضاً؛ هذا النهب والقتل الجماعي الذي قام به الأرمن من جهة، والجنود الروس من الذين حرضهم الأرمن من جهة أخرى، لايزال مستمراً. إن هؤلاء الكُرد الذين سلموا أنفسهم حرموا من جميع الحقوق والعدالة وتعرضوا للإبادة، فبدلاً من الدعم الذي كانوا يتوقعونه من روسيا، تعرضوا إلى أكبر عملية تهجير، وظلم، وبلا رحمة...»[143].

وبعد صعوبات جمة وضعها الأرمن في طريقه وطريق الأمير شاخوفسكي في محاولة منهما لكسب الكُرد إلى جانب الروس كان الأرمن قد سدوا آذانهم عن كل اقتراح لتقريب وجهات النظر ومحاولة كسب الكُرد، كما حصل في وان عندما كانت تحت السيطرة الأرمنية. ويذكر كامل بدرخان أن مهمتهما في كسب الكُرد عند سيطرة الجيش الروسي على بتليس وموش في عام 1916 أصبحت أشبه بالمستحيلة نتيجة لقتل المسلحين الأرمن عدداً كبيراً من الكُرد، الذين لم يسعفهم الوقت أو يحالفهم الحظ للهروب مع الأتراك عند انسحابهم من المنطقة، مع العلم أنه في أثناء عمليات تهجير الأرمن في بتليس وإقامة المذابح ضدهم، لم يشترك كُرد بتليس فيها فحسب، بل ساعدوهم كثيراً وفعلوا ما باستطاعتهم لتخليصهم من الأتراك. ويضيف: «إن سكان هذه المنطقة رحبوا بي بحرارة وتلقوا خطاباتي حول مستقبل كُردستان بإحساس

كبير. أبلغني الكُرد هناك أنه في حال حماية أسرهم وأموالهم من الغارات الأرمنية، وعدم تعرضهم إلى عمليات القتل الجماعي التي لا تعرف الرحمة على يد الأرمن، كما حصل في موش وأماكن أخرى، فإنهم مستعدون أن يقفوا إلى جانبنا، لكننا لم نستطع أن نقدم لهم هذا الوعد. على أية حال، تمكن الأمير شاخوفسكي من أن يتقدم بضع خطوات مهمة، فقد قرر عدد من كُرد بتليس تسليم أنفسهم كاختبار للوعد، وتوجهوا إلى قراهم وسلموا أسلحتهم، وفي الوقت نفسه حصلت أغلب تلك القرى على وعد بتأمين الحماية، هؤلاء الكُرد كانوا يحافظون على وعدهم لغرض تأمين حمايتهم... ولكن مرة أخرى كانت العاقبة وخيمة، فقبل أن يتمكن الكُرد من رص صفوفهم تعرضوا إلى حملات من الأرمن، الذين نهبوهم ولم يجد هؤلاء مكاناً يلجأون إليه. إن الأرمن الذين لم يعاقبوا بسبب أفعالهم كانوا يتجولون بحرية، لذلك بعد خروجنا من بتليس مباشرة اضطر قسم كبير من الكُرد إلى الاحتماء بالجبال للحفاظ على أرواحهم، ولم نستطع فعل شيء في بتليس، ولم نتمكن من الاتصال بالجنوب»[144].

ويذكر كامل بدرخان أنهم وصلوا إلى وان في أول تموز/ يوليو 1916، ومن هناك اتجه شاخوفسكي إلى بتليس، وهناك رأى أن أغلب كُرد منطقة (جوفري وبورشين) قد التجأوا إلى الجبال للاحتماء بها من الهجمات الأرمنية[145].

يتهم كامل بدرخان الأرمن بأنهم كانوا السبب في احتلال الأتراك لبتليس مرة أخرى، فيذكر أنه عندما سيطر الروس على بتليس وكان معهم جاء الكُرد لمقابلته، وقد أرسل كُرد خيزان وشيروان وفوداً يمثلونهم لكي يتحدثوا معه، هذه الوفود كانت مؤلفة من وجهاء تلك العشائر، لكن مسلحين تابعين لـ

(انترانيك وثاماناسك) ألقوا القبض عليهم وقتلوهم، لذلك التجأ كُرد خيزان وشيروان إلى الأتراك: «وقالوا لهم إننا مستعدون أن نقاتل الجانب الأيسر من الجيش الروسي، لأن الأرمن يقاتلون ضمن هذه الجبهة لكي يأخذوا بثأرهم، وهكذا تمكنوا من أن يجبروا جبهة اليسار على التراجع، وانتقموا من الأرمن بلا شفقة وكبدوهم خسائر كبيرة جداً». على الرغم من ذلك يقول كامل بدرخان: إن جهوده لم تذهب سدى، فإن جميع كُرد بوتان وحتى هرتوش قد أبدوا استعدادهم للوقوف بجانبه واستقبال الجيش الروسي ولكن بشرط أن لا يأتي الأرمن معهم، وعليه فإن الروس يلقون الدعم من كل مكان في كُردستان، ولكن بدون الأرمن[146].

أدّى قيام ثورة آذار / مارس1917 إلى فشل خطة شاخوفسكي لكسب الكُرد بشكل تام، وبدأ الأرمن يهاجمون الكُرد بحجة أن تلك الأراضي هي للأرمن وحدهم، وأن الكُرد قبل ذلك كانوا قد هاجموا الجيش الروسي، ومن بين أعمالهم أنهم أغاروا على كُرد خورشيد بك صاحب بدري قهلا وسوري في 20 أيار/ مايو 1917، وقد شاركت مجموعتان من الأرمن في هذه الغارة التي راح ضحيتها نحو (500) من الكُرد وكانوا جميعهم من الشيوخ، والنساء، والأطفال[147].

وأخيراً، يذكر كامل بدرخان أن الكُرد لم ينقرضوا في المناطق المحتلة، وأن هناك العديد منهم باقون، رغم أن الكثير من سكانها قد غادروها خوفاً من الأرمن، ولكن الكُرد الباقين يعيشون في ظروف صعبة، ففضلاً عن فقرهم يتعرضون إلى هجمات الأرمن باستمرار ويعيشون في حالة مليئة بالرعب والفقر ولا تقدّم أي جهة المساعدة إليهم،، لذلك وتحت ظل هذه الظروف لا يمكن أن نتوقع مساعدة من الكُرد للروس في تلك الجهات، وأنّ الكُرد

يتهمون القوات الروسية بأنهم يكرهونهم وينتقمون منهم بتحريض من الأرمن الذين أطلق لهم الروس العنان في كُردستان يفعلون ما يشاؤون، ولكن رغم ذلك لو اتبع الروس سياسة حكيمة تجاه الكُرد وعقدوا معاهدة سلام بين الأرمن والكُرد، وأوقفت اللجان الأرمنية عمليات قتل الكُرد وشعر هؤلاء في مناطق الاحتلال الروسي بالحماية والأمان، ففي ظل توافر مثل هذه الشروط يمكن كسب الكُرد في معركتهم ضد الأتراك[148].

ثالثاً ـ الكُرد والأرمن في العام الأخير من الحرب

لم تؤدِ ثورة أكتوبر/ تشرين الأول 1917[149] التي حدثت في الدولة الروسية إلى تغيير الأوضاع فيها رأساً على عقب فحسب، بل شملت مجمل جبهاتها العسكرية في أوروبا وفي القوقاز أيضاً، فقد وضع الثوار الروس البلاشفة[150] نصب أعينهم الانسحاب من جميع المشاريع الاستعمارية التي ربطت روسيا القيصرية بالدول الأوروبية الكبرى، فقامت بوقف الحرب من جانبها وعقدت معاهدات سلام مع كل من ألمانيا، والنمسا، والدولة العثمانية، لتنهي دورها بشكل تام في الحرب، ولتعود إلى حدودها الطبيعية التي كانت عليها قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، عملت روسيا البلشفية على كشف جميع المعاهدات السرية، التي عقدتها دول الحلفاء سابقاً بينها مثل: معاهدة سايكس ـ بكو ـ سازانوف والتي عقدت في عام 1916[151].

أما بخصوص تأثير الثورة البلشفية على جبهة روسيا في القوقاز وشمال كُردستان فقد كانت بداية النهاية للمسألة الأرمنية كما صرح به كارو ساسوني نفسه[152]، وبالمقابل فإن نجاح تلك الثورة أنقذ الدولة العثمانية في الشرق كما ذهب إلى ذلك مكارثي[153].

بادرت روسيا البلشفية إلى عقد هدنة مع الدولة العثمانية في جبهة شمال كُردستان بتاريخ 5 كانون الأول/ ديسمبر 1917، سميت بهدنة (أرزنجان)؛

لأنها عقدت في هذه المدينة التي كانت تقع على نقطة التماس بين الجيش الروسي والجيش العثماني، وبموجبها انتهت الحرب بين الطرفين؛ وكانت أهم فقرة في هذه الهدنة هي المادة (11) منها، التي جاء فيها: إن الدولة العثمانية مسؤولة عن تصرفات الكُرد بشكل كامل. وكان سبب إدراج الروس لهذه المادة يعود إلى تصريحات الأتراك العثمانيين بعد كل حادثة تقع في شمال كُردستان، إلى اتهام الكُرد وإلقاء اللوم عليهم، ففي كل مجزرة جماعية أو هجرة تحدث في الدولة العثمانية كانت السلطة الرسمية تلقي باللائمة على العصابات، والتجمعات، والإقطاعيين الكُرد[154]، حتى إن طلعت باشا نفسه كان قد ألقى جزءاً كبيراً من المذابح الأرمنية على عاتق (العصابات الكُردية) في تصريحات له لبعض الصحافيين الألمان[155] - وسار على خطاه بعض المؤرخين الأتراك مثل صلاحي سونيل الذي ألقى بجزء كبير من تلك المذابح على كاهل الكُرد، بل إنه برأ الأتراك من أية مسؤولية عن ما جرى للأرمن في تلك المذابح-[156]؛ وتلافياً لمثل هذه التصريحات ألزمت روسيا البلشفية الدولة العثمانية في نطاق هذه الهدنة، بتحملها المسؤوليات والتبعات كافة عن أي اعتداء يتعرض له الأرمن على الأراضي العثمانية، ولكن الأرمن من جانبهم وبإجماع شبه كامل بين أحزابهم ولجانهم رفضوا بنود تلك الهدنة، وبادروا إلى تشكيل حكومة أرمنية في المناطق التي كانت تحت الاحتلال الروسي في شمال كُردستان[157].

قبل انسحاب الجيش الروسي بمدة قصيرة من شمال كُردستان أُقيمت حكومة موقتة في تفليس، أطلقت على نفسها المفوضية السياسية عبر القوقاز، وأعلنت هذه الحكومة الموقتة أنها ليست دولة مستقلة وإنما هي جزء لا يتجزأ من روسيا، فهي تمثل الحكومة المركزية في موسكو إلى أن تنتهي الحرب الأهلية. وقد أطلقت هذه الحكومة على نفسها مصطلح (المفوضية) وأعلنت

عنها في 31/ 12/ 1917، وألقت على عاتقها تشكيل الجيش الأرمني في شمال كُردستان، كما عيّنت العقيد يودينيش، من ذوي الأصول الجورجية في منصب قائد أركان الحرب في هذه المفوضية[158].

انسحب الجيش الروسي من جميع جبهات القتال والأراضي، التي احتلها في الحرب ومنها جبهة شمال كُردستان، وسلم الضباط الروس القيادة في المناطق التي انسحبوا منها إلى الجنود الأرمن الذين أخذوا مكانهم[59]، وقد اتفق الحلفاء بعد ذلك على ملء الفراغ الذي سببه الانسحاب الروسي من خلال منح«مناطق القوقاز، وأرمينيا، وجورجيا، وكُردستان إلى بريطانيا كمناطق نفوذ»[160].

اتفقت دول الحلفاء على تعيين انترانيك باشا قائداً على رأس الجيش الأرمني في شمال كُردستان، الذي سيرتفع عدده حسب اعتقادهم إلى حوالى (30000) أرمني، بعدما يُجند الأرمن في الدول الأوروبية وأميركا في هذا الجيش الذي سيعملون على بنائه من جديد. لقد استلم انترانيك برقية من رئيس الهيئة الشعبية (بوغوص باشا) وكانت باسم الجنرال شور (Shor) أرسلت إليه من لندن وكان مضمونها كالتالي: «إلى الجنرال انترانيك: إنني أدعوك أنت وجميع جنودك بتجميع قواكم، والاتجاه إلى مناطق أرضروم، ووان، وبتليس لحمايتها وإن معداتكم ومستلزماتكم سنوفرها لكم. بوغوص نوبار»[161].

وبمجرد اختيار الحلفاء لانترانيك باشا وقعت خلافات شديدة بين زعماء الطاشناق، الذين لم يكن دورهم بأقل من دور انترانيك في الحرب، وأبرزهم كان: (افديس اهارونيان، وارام مانوكيان، وروبن در ـ ميناسان)، إلا أن الأمر كان قد حسم بنظرهم؛ وفعلاً سافر انترانيك إلى جبهة شمال كُردستان لكي يقود الجيش الأرمني هناك، ويعمل على تأسيس دولة أرمنية فيها[162].

وهكذا أصبحت بريطانيا المساند الرئيسي ـ مرة أخرى ـ للحركة الأرمنية بعد الانسحاب الروسي، وطلبت من الأرمن الروس إرسال جنود ومتطوعين منهم إلى جبهة القوقاز، كما طلبت من الولايات المتحدة إرسال متطوعين أرمن إلى المنطقة نفسها، وكانت هي بدورها تقوم بتسليح الأرمن للقتال في تلك الجبهة[163].

بادر الأرمن من جانبهم إلى إعطاء معلومات مكثفة عن الأوضاع في شمال كُردستان ـ أرمينيا الغربية ـ وأنها مهيأة تماماً لقيام الدولة الأرمنية. ففي تقرير تقدّم به م.ك. هوفاغيان (M.K. Hovaghian) بتاريخ 31/ 12/ 1917 إلى دول الحلفاء تضمن المعلومات التالية:

1 ـ طرابزون: تتضمن (60000) نسمة، بقي منهم (19000)، (15000) منهم يونانيون، و(4000) أرمن.

2 ـ أرضروم: تتضمن (80000) نسمة، ولم يبق سوى (26000)، منهم (20000) تركي، و (6000) أرمني.

3 ـ وان: كان يبلغ عدد سكانها (60000) نسمة، بقي (20000) وكلهم من الأرمن.

4 ـ بتليس: كان يبلغ عدد سكانها (40000) نسمة، بقي منهم (15000) كلهم من الأرمن.

5 ـ موش: كان يبلغ عدد سكانها (35000) نسمة، بقي منهم (15000) كلهم من الأرمن.

6 ـ أرزنجان: كان يبلغ عدد سكانها (35000) نسمة، بقي منهم (12000)، (2000) منهم أتراك، و(10000) أرمني[164].

ويتابع هوفاغيان تقريره فيذكر أنه لم يبق سوى الأرمن وبعض الكُرد

الرحل في القرى، والمدن الصغيرة، أما العدد الكلي للسكان فقد ارتفع إلى حدود مليون نسمة[165].

وعن الوضع السياسي في تلك المناطق يجيب هوفاغيان بنفسه قائلاً: «في كل الأقسام التي احتلها الروس أعطوا كل المسؤوليات الإدارية إلى الأرمن، وقد عيّنوا حاكماً أرمنياً في أرضروم، وحاكماً آخر في وان. الطموحات الحالية تميل إلى إعلان استقلال أرمينيا التركية، التي سوف تقوم على أساسها جمهورية من دون أن يكون هناك إرباك مع أرمينيا الروسية، ويجب أن نذكر بأن هنالك مليونين من الأرمن»[166].

من الجدير بالذكر أنه في هذه الوثيقة والوثائق العثمانية كذلك التي تناولت الأوضاع في شمال كُردستان، كان يُعرف العثمانيون تحت مصطلحي (الأتراك، والمسلمين)، وفي الحقيقة كانوا من الكُرد، لأنه من المعروف أن كل المناطق التي احتلها الجيش الروسي ما عدا طرابزون لم يكن يتواجد فيها الأتراك، فقد انسحبوا منذ بداية الحرب إلى استانبول أو إلى عمق الأناضول الغربية. وكما مرّ بنا فإن عدد الكُرد الذين بقوا في تلك المنطقة التي احتلها الروس في شمال كُردستان كان يبلغ حوالى (100000) أغلبهم كانوا يحتمون في الجبال. فضلاً عن هذا كله فإن الذي قام بإخراج الأرمن من شمال كُردستان ومهد الطريق للجيش العثماني للسيطرة عليه من جديد، كانت القبائل الكُردية وخصوصاً قبائل درسيم الكُردية، كما سيأتي الحديث عنها لاحقاً. ويشير الميجر نوئيل إلى هذه الحقيقة بالقول: «إن الأتراك لشغفهم بالإدارة المركزية، رفضوا دائماً الاعتراف بوجود الملة الكُردية، وفي جميع التقارير الرسمية يحاد عن كلمة (كردي) ويستعاض عنها بكلمة مسلم...»[167].

أما بخصوص العلاقات الكُردية الأرمنية في تلك الفترة، وعند انسحاب الجيش الروسي من شمال كُردستان وتسليم الإدارة والجيش فيها إلى الأرمن،

فربما لم يحدث تقارب بين الكُرد والأتراك على مر تاريخهما الطويل، كما شهدته أواخر العام 1917 حتى منتصف العام 1918؛ وذلك لأنهما شعرا أن لديهما عدواً مشتركاً وأن كل طرف يحتاج إلى الآخر[168]، فقد شهدت تلك الفترة تعاوناً وثيقاً بين الكُرد والأتراك لطرد الأرمن من شمال كُردستان، وكان الكُرد سباقين في ذلك؛ إذ كانت قبائلهم وفرسانهم أول الداخلين مثلاً إلى أرزنجان وأرضروم وطردوا الأرمن منها؛ ثم كان يتبعهم الجيش العثماني الذي كان يُبنى من جديد في تلك المنطقة[169]. وحسب ما ذكره كارو ساسوني، الموجود في أرزنجان مع الفرق الأرمنية فإن الكُرد الجياع في الجبال كانوا ينتظرون بفارغ الصبر وصول الجيش العثماني بعد أن تسلم الأرمن إدارة شمال كُردستان[170].

كانت أولى المصادمات بين الطرفين في أرزنجان، وكان آمر الإدارة والجيش فيها الضابط الروسي ذو الأصول الأرمنية موريل (Morel) ـ كان بالأصل من أرمن فرنسا ـ وقائد إحدى اللجان الأرمنية المدعو (مراد السيواسي)[171]. لقد أدرك الأرمن بأنه لا مجال للحفاظ على جبهة طويلة، تبدأ حدودها من طرابزون لتمر بأرضروم وأرزنجان ولتنتهي في وان، بمجموعة من الجنود الأرمن بلغ عددهم حسب بعض المصادر(4000) مقاتل أرمني فقط[172]؛ لذلك بادر الأرمن إلى الدخول في مفاوضات مع الكُرد في محاولة لكسبهم وتكوين جبهة قوية في المنطقة ضد أي اعتداء يأتي من جانب الجيش العثماني، مع وجود طرف آخر وصوت ثان داخل الأرمن يدعو إلى الثأر من الكُرد، ولكن ساسوني الحاضر في تلك الاجتماعات يقول: إن الرأي الداعي إلى إقامة المفاوضات مع الكُرد كان هو الصوت الغالب. لكن هذه المفاوضات التي حضرها حوالى (40) شخصية كُردية، والتي عقدت في بلدة خينيس في بداية كانون الثاني/ يناير 1918 لم تأتِ بأي نتيجة ولم تؤدِ إلى

تعاون الكُرد مع الأرمن؛ وحسب رأي ساسوني نفسه فإن السبب يعود إلى عدم اكتمال النضج السياسي لدى الكُرد![173]

أما نوري درسيمي الذي كان موجوداً في درسيم آنذاك، فيذكر رأياً مخالفاً لرأي كارو ساسوني ويقول: بأنّ خلافات عميقة حدثت بين مراد السيواسي والزعيم الكُردي علي شير الذي كان مع سيد رضا أبرز الزعماء الكُرد في درسيم؛ فقد كان علي شير يريد حكومة كُردية في درسيم إلا أن مراد لم يكن يقبل بهذا الأمر[174]، ولا يعرف بالتحديد هل أن علي شير كان حاضراً في مؤتمر خينيس أم لا، وهناك احتمال كبير في أنْ يكون علي شير من ضمن الرؤساء الكُرد المشاركين في المؤتمر.

على العموم وصلت مفاوضات مراد السيواسي مع علي شير إلى طريق مسدود، وحسب البيان الذي أصدره هذا الأخير بشأن أسباب عدم الاتفاق مع الأرمن، والذي جاء فيه: «كان مراد باشا قد خطط لحدود أرمنستان الكبرى فقط، وأنه ليس من المُحبَّذ عنده التحدث عن حرية كُردستان واستقلالها»[175].

بعد عدم تمكن مراد السيواسي من تقوية جبهته عن طريق كسب الكُرد إلى جانبه، وتيقنه من سقوط أرزنجان بيد العثمانيين عاجلاً أم آجلاً، أراد أن ينتقم من الكُرد في أرزنجان؛ فقد أشارت تقارير عثمانية عديدة في تلك المدة إلى الأعمال التي قام بها مراد ضد المسلمين في أرزنجان وإقامة المذابح بحقهم؛ وفي هذا الصدد أشار تقرير عثماني إلى أن مراد السيواسي قد جمع (650) رجلاً لغرض أعمال الصيانة في إحدى الطرق إلا أنه قادهم إلى مصير مجهول. وبحسب تقارير عثمانية معتمدة على شهود عيان قامت دوريات أرمنية في 18/ 1/ 1918 بأمر من مراد السيواسي، بدعوة السكان المسلمين في أرزنجان إلى الاجتماع في ساحة الكنيسة، ثم أمر بقتلهم جميعاً. وأجبرت عصابات أرمنية أخرى السكان فيها على الخروج من منازلهم وقادتهم إلى

بيت وحيد بك، وما أن حل الليل حتى قام الأرمن بإضرام النار في ذلك البيت والذي كان يحوي حوالى (1500) شخص فمات أغلبهم، أما الذي قفز بنفسه من نوافذ البيت فقتله بالرصاص الجنود الأرمن الذين كانوا يطوقون المنـزل، وقد وصلت مجموع المنازل التي دمرها الأرمن في أرزنجان حسب تلك التقارير إلى (1000) منـزل[176].

خاطب وهيب باشا قائد الجيش الثالث العثماني الجنرال يودينيش، عن مذبحة أرزنجان في تقرير يعود تاريخه إلى منتصف شهر كانون الثاني/ يناير 1918 بقوله:

«إن الأعمال الوحشية التي تأكدنا منها هنا وهناك، في المناطق التي يحتلها الجيش الروسي، تواصلت على نطاق واسع في ضواحي أرزنجان، منذ أن غادر المقر العام للجيش الروسي في القوقاز المدن المذكورة؛ فالأعمال الوحشية التي ارتكبها الأرمن ضد المسلمين تعدت حدود قتل المسلمين الذين يواجهونهم في المناطق المهجورة، ولكن في الوقت الحاضر تفاقم ذلك كثيراً، حيث نجد في بعض القرى حالات النهب للممتلكات وكذلك أعمال الحرق، ففي 12/ 1/ 1334(1918) حُرِقَتْ قرية زكي بالكامل، وهي قرية تبعد مسافة (18) كم جنوب شرق أرزنجان؛ ويذكر أن القرية أحْرقت بالكامل بعد أن تعرض سكانها إلى أبشع الجرائم ومن كل الأنواع، كما أن قرية كوسكا التي تبعد مسافة (3)كم جنوب غرب اراسا هاجمتها قبل أسبوع عصابة أرمنية تضم (20) شخصاً، وقد اغتصبوا النساء المسلمات في أثناء ذلك فضلاً عن حرق القرية...أرجو من سيادتكم التفضل بمنع هذه الأعمال بصورة نهائية، وأحيط سيادتكم علماً أنني سوف أكون ملزماً بكل الجهود التي تبذل من أجل الحفاظ على اسم الإنسانية والمدنية لإنقاذ حياة المسلمين وممتلكاتهم. إن مغادرة

المقر العام للجيش في أرزنجان وإخلاء الجنود الروس هذه المنطقة يعني وضع هذه المنطقة تحت هيمنة العصابات الأرمنية...»[177].

وفي تقرير آخر يعود إلى 8/ 2/ 1918 ذكر وهيب باشا للجنرال برجيفالسكي (Prjevalski)، قائد أركان الجيش الروسي في القوقاز أربع عشرة حادثة قام بها الأرمن في أرزنجان، والبلدات والقرى التابعة لها، وفيما يأتي مقتطفاً من هذا التقرير: «... يؤلمني أنْ أحيطَ سيادتكم علماً ببعض الأحداث التي وصلتني، والتي تبرهن أيضاً، عن الأعمال الشنيعة، والمروعة، والمؤلمة التي يرتكبها الأرمن بصورة مستمرة على الأراضي الإسلامية ضد السكان المسلمين ضمن رقعة الأراضي العثمانية التي احتلتها الجيوش الروسية، ومن دون شك فإن سيادتكم مقتنع تماماً بأن هنالك ضرورة مطلقة تفرضها المشاعر الإنسانية والمدنية على وضع حد لهذه الحالة، وإنني متأكد من ذلك:

1 ـ إن ابن كارا محمد، وهو من الزازا [فالكُرد في درسيم يعرفون بكُرد الزازا] المقيم في أرزنجان مع أربعة من أصدقائه، قد قطع الأرمن أوصالهم بواسطة طاحونة وذلك في بداية الشهر الجاري.

2 ـ كان الكُردي محمد آغا ضحية لعدوان الأرمن في أرزنجان، وذلك في منطقة تسمى ديميرجلر، كما اختطفوا امرأة مسلمة تسكن المنطقة نفسها...».
بعد ذلك يعدد وهيب باشا مجموعة كبيرة من الجرائم، التي قام بها الأرمن في أرزنجان، وذكر في هذا التقرير وتقارير أخرى للروس، أنه إذا لم توقف مفوضية القوقاز هذه الأعمال التي تقوم بها اللجان الأرمنية فإنها ستحتل تلك المناطق حفاظاً على أرواح المسلمين فيها[178].

أراد وهيب باشا اغتنام فرصة الخلاف بين الكُرد والأرمن لاستمالة الكُرد، فأعلن مجدداً موافقة الدولة العثمانية على مطالب الكُرد القومية بعد

انتهاء الحرب العالمية الأولى، كما أعلن عفوه عن التحاق علي شير مع قواته بالجيش الروسي، وإطلاق سراح القائدين الكُرديين علي شان وحيدري اللذين كانا محجوزين لديه؛ بل قام بدعوة زعماء الكُرد كافة ومن ضمنهم علي شير والمحجوزون إلى وليمة كبرى في مقر قيادته، وبدلاً من أن يقوم مراد باشا بتعديل شروط تفاوضه مع الكُرد قام بتحريض الأرمن ضد الكُرد، لنهب قراهم وقتل سكانها، وهذا ما دفع الكُرد للتعاون مع القوات العثمانية أثناء هجومها على أرزنجان[179].

كانت نية وهيب باشا كسب كُرد درسيم، وذلك لأنهم كانوا أقل سكان شمال كُردستان ضرراً من آثار الحرب العالمية الأولى، وذلك راجع وبنسبة كبيرة إلى منطقتهم الحصينة جداً، التي تمتاز بجبالها الشاهقة والوعرة، ولكن كل محاولات وهيب باشا لكسب سيد رضا إلى جانبه الذي يعد الزعيم الأقوى في درسيم باءت بالفشل، لكن الأتراك تمكنوا من إقناعه بعد ذلك بالمشاركة في تلك العملية العسكرية عن طريق مجموعة من الزعماء الدرسيميين، الذين أكدوا لسيد رضا أنه إذا لم يتحرك في غضون أسبوع فسيقوم الأرمن بإبادة الكُرد فيها، خصوصاً بعد انتشار أخبار بعض عملياتهم في المنطقة. ولهذا قاد سيد رضا القبائل الكُردية في درسيم والمعروفة بقبائل (ثوفجك) وعبروا جبال مونزودا في 26 شباط/ فبراير 1918، وتمكنوا بعد معركة ضد الأرمن من دخول أرزنجان والسيطرة عليها مما مهد الطريق للجيش العثماني للدخول من جانبه إلى المدينة[180]. ويجب التنويه هنا إلى أن الجيش العثماني كان قد عبر الخط الدولي الفاصل الذي حددته معاهدة أرزنجان منذ 13 شباط/ فبراير 1918 ولكن دون أن يحقق نتائج ملموسة[181].

وأثناء انسحابهم من أرزنجان باتجاه أرضروم دمر الأرمن في طريقهم الريف الكُردي، وأبادوا سكانه، وقد سوَّغ موريل هذا الهجوم على الريف

الكُردي بأنهم تعرضوا إلى هجمات من تلك القرى في الطريق إلى أرضروم، ولكن لم يتم التأكد من صحة ما ذكره موريل[182].

يتحدث نوري درسيمي عن تلك المدة بالقول: «في خضم ذلك أرسل الثوار الكُرد قوة مهمة، وذلك لحماية الكُرد في أرزنجان ونصبوا أنفسهم في مقدمة الحرب [أي الجيش] فرح الأتراك بهذا التحرك الكُردي دون شك، ومع انضمام بعض القبائل الكُردية الأخرى تمكنوا من إبعاد الأرمن من بعض الأماكن القريبة منهم، ولكن لما علم الأرمن بالتحضيرات التركية وتقدمهم نحو أرزنجان، قاموا بإخلائها ونهبوا القرى الكُردية التي كانت تقع على الطريق وأبادوا سكانها؛ أدى هذا العمل الأرمني إلى تقريب الكُرد كثيراً من الأعداء [يقصد بهم هنا: الأتراك]»[183].

أما فيما يخص أرضروم فكان انترانيك قد وصل إليها مع الدكتور زافريف في 17 شباط/ فبراير 1918، لتشكيل الجيش الأرمني الجديد من المتطوعين الجدد، الذين كان من المقرر أن يأتوا من البلدان الأوروبية وأميركا[184]، ولكنه لم يتمكن من الصمود فيها، فلم تبادر دول الحلفاء إلى مساعدته من جهة، كما أن المتطوعين الأرمن لم يصلوا إلى تبليس من جهة أخرى لكي يُجندوا للحرب، بل حتى أن العديد من المتطوعين الأرمن في أرزنجان وأرضروم كانوا قد يئسوا من القتال وبدأوا بالهروب من الجبهة. وفي 22/ 3/ 1918 تمكنت القوات العثمانية من الدخول إلى أرضروم واستردادها من الأرمن، ومما يؤخذ على انترانيك قوله عند الانسحاب: «لقد أرسلنا عشرة إلى خمسة عشر ألف شخص، الله يلعن أولئك الرؤساء الأرمن، الذين فضلوا الجلوس في الخلف بدلاً من حماية الشعب الأرمني والدولة الأرمنية»[185]. وكذلك قوله: «إنني وحيداً بقيت، وحيداً تحت أسوار مدينة أرضروم، انقلوا هذا الشيء إلى الأجيال القادمة بهذه الطريقة»[186].

يذكر نوري درسيمي أن القوات الكُردية بقيادة سيد رضا كانت أول قوة تدخل أرضروم، وتطرد انترانيك باشا منها، إلا أن سيد رضا انسحب بعد ذلك إلى درسيم، وتابع فتح المناطق الأخرى القائد التركي كاظم قره بكر تصاحبه مجموعة كبيرة من القوات الكُردية غير النظامية. ويعقب درسيمي على مساعدة الكُرد وخصوصاً كُرد درسيم في استعادة الدولة العثمانية لسيطرتها على معظم مناطق شمال كُردستان بل حتى قارص، واردهان، وباطوم، بقوله: «بهذه الطريقة استفاد الأتراك من الصراع [الخلاف] الكُردي الأرمني، وعندما أكتب هذه الحادثة أشعر بأسف كبير، وآمل من المثقفين الكُرد والأرمن أن يحفظوا أنفسهم من مثل هذه الأمور»(187).

بعد ذلك استعاد الجيش العثماني ساريقاميش في 5 نيسان، ووان في 7 نيسان/ ابريل، وباطوم في 15 نيسان، وقارص في 25 نيسان، وهكذا استرجع العثمانيون جميع الأراضي التي كانوا قد خسروها أمام الروس في عام 1877(188).

تشير التقارير العثمانية والروسية كذلك إلى أن القوات الأرمنية في شمال كُردستان كانت تقوم بعمليات وحشية ضد السكان المسلمين فيها قبل انسحابها منها وفي أثنائه وعلى طريقها. ويذكر الضابط الروسي تيوردو خليبوف (Twerdo Khlebof) أنه لم يسلم من الأرمن حتى سواق العربات الكُردية الذين كانوا قد نقلوا أغراض الأرمن المنسحبين من أرزنجان إلى أرضروم(189). وجاء في تقرير لكاظم قره بكر قائد الجيش الثالث العثماني يعود تاريخه إلى 14 كانون الأول/ ديسمبر 1918، يتحدث فيه عن الأعمال الأرمنية في الأراضي التي سيطر عليها، وطرد الأرمن منها: «عند استرداد الأراضي التي كان الأرمن قد استولوا عليها... شاهدنا البشاعة الأرمنية التي لم تترك حتى الأطفال الرضع، والمرضى، والشيوخ في فراش الموت، ناهيك عن

الشباب الذين قبضوا عليهم وقطعوهم بحرابهم وقلعت عيونهم...إن الجرائم الأرمنية في أرزنجان، وماماخاتون، وأرضروم، وقارص والقرى المحيطة بها كانت فواجع وحشية كبيرة جداً، بحيث إن أصحاب أقسى القلوب سيبكون حينما يرون تلك المشاهد الظالمة، التي ارتكبت بحق المسلمين والأتراك آنذاك...»[190]، أما قائد الجيش التاسع في قارص شوقي باشا فقد كتب بتاريخ 8 كانون الأول/ ديسمبر 1918، تقريراً عن تلك المذابح قال فيه: «منذ بداية السنة [أي سنة: 1918] واعتباراً من بدء الجيش بالتقدم إلى الإمام وحتى اتفاقية باطوم [التي عقدت في 3 حزيران/ يونيو 1918] كان الأرمن لا يفرقون بين طفل وامرأة، وكل من يستطيعون القبض عليهم من المسلمين كانوا يقومون بقتلهم بصورة جماعية، وبشكل لا يتحمله ولا يتصوره عقل بشر...حتى انسحابهم إلى حدودهم الحالية...»[191]. ويذكر ديفيد مكدول بهذا الخصوص: «عندما تقهقرت القوات الأرمنية والروسية فإنها ذبحت كل مسلم وقع بين أيديها»[192].

وفقاً لأحد المراقبين الأجانب الذي تابع تلك المذابح قائلاً: «تعد المذابح التي ارتكبها المسلمون بحق المسيحيين اعتداءً شنيعاً لا يمكن غفرانه؛ في حين تعد المذابح التي يرتكبها المسيحيون بحق المسلمين عملاً يمكن التعاطف معه والصفح عنه!»، وفي عام 1922 وصف ارنولد توينبي الجرائم التركية العثمانية بـ «إنها بلا شك مبالغ فيها في أعمال الشجب الغربية الشعبية، وإن الجرائم نفسها التي يرتكبها المسيحيون الشرقيون القريبون منهم غالباً ما تمر بصمت تقريباً»[193].

لا بد هنا من الوقوف عند موقف كُرد درسيم من الأرمن عند انسحاب الجيش الروسي من المنطقة، فربما تشكل هذه الحادثة المفارقة الأولى والفريدة من نوعها في تاريخ علاقات كُرد درسيم والأرمن والأتراك. فطوال

القرون العديدة من حكم الأتراك لم يحدث أي تقارب بين كُرد درسيم والأتراك، بل أن هناك من يقول: إن أمل الدرسيميين الوحيد في المنطقة هو أن لا يشاهدوا تركياً واحداً فيها. إذن، من الذي قرب بينهم وبين الأتراك؟ وهو السبب نفسه الذي قرب بين الكُرد الآخرين (السنّة) والأتراك وهم الأرمن، وقد أثبتت أحداث الحرب العالمية الأولى صواب هذا الرأي، ولأول وآخر مرة في تاريخ كُرد درسيم يقاتلون إلى جانب الأتراك، وكان السبب نفسه هو خلافات الأرمن مع كُرد درسيم حول أرمنستان وكُردستان. ويجب هنا أن لا يغرب عن الذهن أن درسيم ـ وطوال حقبة المسألة الأرمنية ـ كانت هي العون والملاذ الأول والأساسي للأرمن في شمال كُردستان، وهي التي قامت بإنقاذ ما بين (20000) إلى (30000) أرمني بين عامي 1915 ـ 1916، وهذا يثبت أيضاً أن الأرمن في المنطقة لم يكونوا يريدون لأحد أن يشاركهم في تلك الأراضي، حتى ولو كان الدرسيميون أنفسهم الذين أنقذوا حياة الآلاف منهم.

ويفتخر المؤرخ (فيرات) الذي ينتمي إلى عشيرة خورمك العلوية الكُردية في درسيم، من بين أقرانه من المؤرخين في تركيا بأن عشيرته هي من قامت بتحرير الأناضول الشرقية ـ شمال كُردستان ـ من الأرمن أواخر الحرب العالمية الأولى[194].

في هذه الأثناء وعندما كان الجيش العثماني يتقدم ويسترجع ولاياته المحتلة سابقاً من روسيا، أُعلن عن توقيع معاهدة بريست ليتوفيسك في 3/ 3/ 1918؛ واستناداً إلى بنودها كان على الجيش الروسي إخلاء المناطق الشرقية المحتلة من قبله ـ شمال كُردستان ـ وعلى روسيا التعهد بإعادة الألوية الثلاثة كذلك: اردهان، وقارص، وباطوم إلى الأتراك، وقد جاء ذلك في مادتها الرابعة والتي نصت على أن:

1 ـ تقوم الدولة الروسية بإخلاء المدن الشرقية من الأناضول، وتعمل ما بوسعها لأجل تحقيق ذلك.

2 ـ الإخلاء المباشر للألوية الثلاثة: اردهان، وقارص، وباطوم.

3 ـ لن تتدخل روسيا في شؤون هذه الألوية الثلاثة، من ناحية الحقوق العامة والحقوق الدولية، ولها الحق في الدخول تحت الحكم العثماني[195].

قطع مجلس مفوضية القوقاز جميع علاقاته مع روسيا البلشفية بعد ذلك، وأعلن في 22 نيسان/ ابريل 1918 (الجمهورية الديموقراطية في القوقاز) وعين تشانكالي الجيورجي الأصل أول رئيس لها، وكانت تضم الكيانات الثلاثة (أذربيجان، وجورجيا، وأرمينيا)[196].

تمكن الجيش العثماني من القضاء على هذه الجمهورية خلال مدة قصيرة نتيجة لغياب أي دعم خارجي لها، وظهور خلافات شديدة بين أعضائها؛ فقد أراد الجورجيون التخلص من النفوذ الأرمني الاقتصادي وسرعان ما تدهورت العلاقات بينهما، كما برزت خلافات بين أرمينيا وأذربيجان حول حدود كل منهما داخل الجمهورية الفدرالية، وعندما وجه العثمانيون قواتهم إلى دول ما وراء القوقاز أصيبت الفيدرالية بالتمزق في 22 أيار/ مايو 1918، ورحب الأذريون بالعثمانيين كإخوان لهم في الإسلام وفي اللغة، وحصل الجورجيون على غطاء بتحالفهم مع ألمانيا، وترك الأرمن في مواجهة العثمانيين لوحدهم[197]. ظلت أرمينيا جمهورية مستقلة وأعلنت عن استقلالها بشكل تام في 28 أيار/ مايو 1918، وكانت تأمل بتدخل الحلفاء خصوصاً بريطانيا وأميركا وسيلة لخلاصها، لكن ذلك لم يحصل فلم تقدم بريطانيا أو أميركا مساعدة عسكرية لها[198]، وقد فرضت الدولة العثمانية بعد ذلك اتفاقية (باطوم) على جمهورية أرمينيا في 3 حزيران/ يونيو 1918، وتقضي بالاعتراف المتبادل بين الطرفين على أن أراضي جمهورية أرمينيا لم تكن لتتعدى أراضي ولاية يريفان السابقة وما حولها حسب تلك الاتفاقية[199]،

وبحلول أيلول/ سبتمبر 1918 كانت معظم أرجاء ما وراء القوقاز قد سقطت في يد العثمانيين[200].

إلا أن انتصارات الأتراك العثمانيين في القوقاز كانت وهمية[201]، فالحرب كانت قد وصلت إلى نهايتها بانتصار الحلفاء؛ لذلك في 8 تشرين الأول/ أوكتوبر 1918 استقالت حكومة الاتحاد والترقي التي قادت الدولة العثمانية في الحرب[202]، وشكل احمد عزت باشا حكومة جديدة في 14 تشرين الأول، ووافقت هذه الحكومة على قبول شروط هدنة مودروس وذلك في 30 تشرين الأول 1918[203]، التي وقعها الأدميرال أو قائد الأسطول الإنكليزي (س.كالثروب)، مع ممثل الحكومة العثمانية وناظر البحرية (السيد رؤوف)، في مدرعة (اكامنون)، وبموجبها استسلمت الدولة العثمانية للحلفاء، ففرض عليها الحلفاء انسحاب جيوشها من المناطق التي احتلتها في القوقاز أخيراً، كما قام الحلفاء باحتلال المضايق التركية واستانبول العاصمة بعد ذلك[204].

وأخيراً، لا بد هنا من التطرق إلى عدد قتلى الكُرد خلال سنوات الحرب العالمية الأولى، وتشير بعض الدلائل إلى أن العدد لا يقل عن عدد قتلى الأرمن بل ربما يفوقه؛ فطبقاً لجستن مكارثي فإن معدل وفيات المسلمين في شرق الأناضول وحده: «يفوق كل تلك الكوارث الكبيرة في تاريخ العالم، مثل: حرب الثلاثين سنة والموت الأسود»[205]. وذكر المؤرخ جرجيس فتح الله أن معاناة الكُرد في الحرب العالمية الأولى تفوق الوصف[206].

لقد دعا عضو مجلس المبعوثان العثماني احمد رضا في مذكرة مؤرخة في 17 آذار/ مارس 1919 إلى تحقيق دولي بالجرائم التي ارتكبتها العصابات الأرمنية ضد السكان المسلمين، (قبل) عملية ترحيل المجتمع الأرمني[207].

هذه الإشارات تدل على أن هناك عدداً كبيراً من الكُرد قد قتلوا في الحرب العالمية الأولى، سواء الذين قتلوا على يد الفرق الأرمنية المصاحبة للجيش

الروسي، أم من الكُرد الذين كانوا ضمن الفرق العسكرية للجيش العثماني، أم من الكُرد الذين ماتوا في أثناء هروبهم من الجيش الروسي والفرق الأرمنية، وقيام الحكومة العثمانية بعد ذلك بترحيلهم إلى عمق الأناضول الغربية وبلاد الرافدين.

أما بخصوص الأرقام فلا تشير الوثائق القريبة إلى إحصائيات دقيقة لعدد قتلى الكُرد في الحرب، ويتم تعريفهم في بعض المصادر تحت خانة الأتراك والمسلمين، لذلك فإن إخراج مجموع قتلى الكُرد من بين تلك الأعداد هي مسألة معقدة، إلا أن الغالبية من المسلمين الذين قتلوا في الولايات الست ـ كما مرّ سابقاً ـ كانوا من الكُرد، لكون الأتراك كانوا قليلين جداً، وأن غالبيتهم هاجروا من المنطقة بعد بدء الحرب العالمية مباشرة.

ورد في المذكرة التي رفعها الباب العالي إلى الدول الكبرى بتاريخ 12/ 2/ 1919: «أن العصابات الأرمنية قامت بمجزرة وقتلت ما لا يقل عن مليون من المسلمين، قبل اتخاذ إجراءات الإبعاد وخصوصاً بعد غزو جيوش القيصر المناطق الشرقية»[208]. وذكر الضابط البريطاني وولي في تقرير له بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، معتمداً على مقالة نشرت في مجلة (كُردستان) أن عدد الكُرد الذين قتلوا في ولايتي وان وبتليس بلغ (400000) كُردي[209]، ولكن المطالعة الدقيقة لصفحات مجلة (كردستان)، لا تشير في مقالاتها إلى العدد (400000)، بل جاء الرقم (500000) في مقالة لـ(محمد عثمان بدرخانى) كانت تحت عنوان (تشبثات) نشرت في العدد الخامس الصادر بتاريخ 16 نيسان/ ابريل 1919، وربما توهم الضابط وولي بين الرقمين[210]. ومادام الحديث عن مجلة (كُردستان) من المهم الإشارة إلى مقالة (ابن الرشيد) التي كانت بعنوان (نظرة للوضعية العامة للكُرد) ونشرت في العدد الثامن منها الصادر بتاريخ 3 حزيران/ يونيو 1919، حيث ذكر ابن الرشيد في موضعين

من مقاله هذا عدد الكُرد الذين قتلوا أو ماتوا في الحرب العالمية الأولى. ففي بداية مقاله يقول: إن الكُرد أعطوا (مليون) شهيد، ولكن مع استمرار الحرب في بلادهم وسوء أوضاع بلادهم التي وصفها بأنها بلاد (خربة)، وصل عدد الذين ماتوا من الكُرد إلى (مليون ونصف المليون) كُردي[211].

ويذكر الضابط الإيراني حسن أرفع الذي كان ضابطاً في الجيش الإيراني آنذاك، وصار رئيساً لأركانه في الحرب العالمية الثانية: «إن هؤلاء المتطوعين الأرمن، من أجل الثأر لمواطنيهم الذين قتلوا بيد الكُرد قد ارتكبوا أبشع أنواع الجرائم؛ فقد قتلوا في أعوام 1915 ـ 1918 أكثر من ستمئة ألف كُردي في الولايات الشرقية من تركيا»[212]، وقد أخذ بهذا الرقم كل من الباحث المختص بالمسألة الأرمنية كاموران كوران معتمداًعلى حسن أرفع[213]، وكذلك الباحث جودت اركول (Cevdet Ergul)[214]. ويقدر روبرت اولسن عدد القتلى الكُرد في الحرب بأكثر من (500000) قتيل[215]. واستناداً إلى إحدى النشرات الأميركية ـ التركية الصادرة في عام 1997 تذكر أن أكثر من (1000000) مسلم فقدوا حياتهم في القتال الداخلي في شمال كُردستان[216]. أما المؤرخ الكُردي محمد أمين زكي فيذكر أن عدد قتلى الكُرد في الجيش العثماني بلغ حوالى (300000)[217] ويذكر عدد قتلى الكُرد من المدنيين فيقول إنه لا يقل عن نصف مليون شخص[218].

ويذكر جمال باشا بخصوص عدد قتلى الكُرد في الحرب العالمية الأولى قوله: «حقاً لقد أثارت الآثام التي ارتكبت ـ ضد الأرمن ـ خلال النفي في سنة 1915 السخط الشديد، ولكن ما ارتكبه الأرمن في غضون ثورتهم ضد الأتراك والأكراد، لا يقل عنها قسوة، بل يفوقها فظاعةً وغدراً... فلنفرض جدلاً أن الحكومة العثمانية نفت مليوناً ونصف مليون من الأرمن من ولايات الأناضول الشرقية [شمال كُردستان] وأن زهاء (600) ألف منهم قد مات، أو

قتل في الطريق، أو سقط ضحية الجوع والتعب، فهل يدري أحد كم قتل من الأكراد والأتراك في ولايات طرابزون، وأرضروم، ووان، وبتليس، بصورة تقشعر منها الأبدان بأيدي الأرمن عندما زحف الجيش الروسي على تلك الولايات؟! إني لأقر بأن عدد من قتل من الأكراد والأتراك ليربو كثيراً على مليون ونصف مليون...»[219]. ويعقب المؤرخ التركي ميم كمال اوكه، على هذا الرقم بأنه مؤكد عن طريق معلومات إحصائية جمعت من الوثائق التي تم كشفها منذ أن أجرى جمال باشا تقديره للرقم[220].

بالاستناد إلى تلك الإشارات فإن عدد القتلى من الكُرد المدنيين كان يفوق النصف مليون شخص، بل وربما يقترب من المليون قتيل في مجموع سنوات الحرب العالمية الأولى، إذا ما أُخذ في الاعتبار عدد قتلى الكُرد في المذابح التي أقامها الأرمن للكُرد في بداية الحرب وفي نهايتها، وأيضاً إذا أخذ مجموع قتلى الكُرد الذين ماتوا أثناء عمليات التهجير، حيث ذكرت أغلبية المصادر ـ كما مرّ بنا ـ أن عدد المهجرين الكُرد كان (700000) كُردي، مات نصفهم في الطريق؛ فبالاستناد إلى هذه الأدلة فإن الرقم المارّ ذكره ربما يكون قريباً إلى الصحة، كما أن الأرمن يحملون مسؤولية كبيرة في ارتفاع عدد القتلى الكُرد؛ فقد قاموا بمذبحتين للكُرد في بداية الحرب ونهايتها، وكانوا كذلك السبب الرئيسي في هجرة الكُرد من: وان، وبتليس، وأرضروم، وموش، مما أدى إلى هذه الكارثة الكبيرة التي حلّت بالكُرد.

رابعاً ـ الكُرد والأرمن في مؤتمر السلام في باريس

دخل الكُرد والأرمن في معركة دعائية أحدهما ضد الآخر بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وقد بدأها الأرمن أولاً بمطالبتهم بالولايات الستّ، لأنها تعد ـ حسب نظرهم ـ من صميم الوطن الأرمني، والتي سيبحث في شأنها مؤتمر السلام في باريس، وأن عاصمتهم ستكون مدينة أرضروم التاريخية، وبالتالي فإن من حق الأرمن الحصول على هذه الأرض، ليس لكونها أرضهم التاريخية فحسب ـ كما كانوا يقولون ـ بل مكافأة لهم لما حل بشعبهم من مذابح وتهجير في الحرب العالمية الأولى، وإن العالم المتمدن مطالب بهذا الأمر دفاعاً عن الإنسان الأرمني، وتضحياته، وكرامته.

كان الرد الكُردي قوياً وعنيفاً جداً ضد تلك المطالب الأرمنية، ولأول مرة في تاريخ المسألة الأرمنية يرد الكُرد على الأرمن بخصوص أحقية عودة تلك الولايات الست، هل هي للكُرد أم للأرمن؟ فقد اختلف مؤتمر السلام في باريس عن المؤتمرات التي سبقته مثل: مؤتمري برلين عام 1878 ولندن 1913، وذلك لأن الكُرد ولأول مرة كان لديهم صوت في هذا المؤتمر، وإنْ لم يكن مسموعاً ومؤثراً في الدول الكبرى، ولكن التاريخ حفظ على أقل تقدير هذا الموقف للكُرد.

أ ـ النشاط السياسي الأرمني

دأبت الأحزاب والجمعيات الأرمنية حتى قبل انتهاء الحرب العالمية

الأولى بأشهر على القيام بحملة دعائية كبيرة في أوروبا وأميركا، بهدف كسب الرأي العام العالمي إلى قضيتهم، وقاموا بإصدار الصحف، ونشر المقالات في الصحافة العالمية المشهورة وعقد الندوات، وإرسال التقارير إلى المسؤولين السياسيين الكبار في أوروبا وأميركا؛ لتهيئة الأرضية المناسبة لتأسيس دولتهم في شمال كُردستان وكليكيا (قلقليا)، التي كان على مؤتمر السلام البت بها، وفي كل ذلك حاولوا أن يبرهنوا للعالم الأمور التالية:

1 ـ إن الأرمن هم أرقى أمة في آسيا الصغرى، بل ربما في جميع أنحاء الدولة العثمانية.

2 ـ لهم تاريخ قديم على تلك الأرض يمتد إلى مئات السنين قبل ظهور عيسى عليه السلام.

3 ـ يعود الفضل إليهم في أي رقي شهدته تلك المنطقة، بحيث لا مجال هناك للمقارنة بين الأرمن وبين أي من القوميات الأخرى التي تعيش في تلك المنطقة وخصوصاً الكُرد والأتراك.

4 ـ لقد عانى الأرمن بما فيه الكفاية على يد الأتراك والكُرد منذ ظهور الدولة العثمانية، وآخرها كانت مذابحهم في عام 1915.

5 ـ على الرغم من ذلك فلا يزال الأرمن هم أصحاب النسبة السكانية العالية في الولايات الست.

6 ـ لذلك فعلى الدول الكبرى (رؤساءً وشعوباً) دعم قيام دولة أرمنية في الأناضول.

وبعيداً عن ما تناوله الأرمن بشأن الأتراك في صحفهم وتقاريرهم وندواتهم فقد رأوا في الكُرد العقبة الرئيسة في الظفر بالولايات الست، لأنهم القوة البشرية الوحيدة، على الرغم من ويلات الحرب، التي بقيت في تلك الولايات، ولذلك حاولت الأحزاب الأرمنية الاستخفاف بشأن الكُرد كثيراً

في تلك التقارير والندوات، وإنهم ـ أي: الكُرد ـ غير مؤهلين للحكم نتيجة لجهلهم بتلك الأمور، وارتفاع نسبة الأمية بينهم، التي أدت إلى جهلهم بكل ما يربط الإنسان بالحضارة المتمدنة في أوروبا وأميركا، بل حتى وصل الأمر بهم إلى التشكيك بالقدرة العقلية للكُرد عند الأوروبيين وفي محافلهم، وكأن الإنسان والفرد الكُردي غير قابل البتة للتمدن، وتشكيل دولة، والمشاركة في الحضارة.

ومن بين العديد من الصحف الأرمنية، ربما برزت مجلتهم المعنونة (صوت أرمينيا) (La Voix de L'Armenie) التي أصدرها الأرمن في باريس في الأشهر الأخيرة من عام 1918، لكي تكون قريبةً من مصدر القرار في مؤتمر السلام، وكثيراً ما رددت وأكدت تلك المجلة في مقالاتها على أنها تمثل صوت الأموات (أموات الأرمن الذين قُتلوا أيام المذابح)، وأن هذا الصوت لا بد له من أن يُسمع لدى الدول المنتصرة، حتى لتساند تشكيل دولة أرمنية في الأناضول، ولكي تنـزل السكينة على الموتى الأرمن في قبورهم وليعرفوا أن دمهم لم يذهب سدى[221].

كثيراً ما تناولت تلك المجلة الكُرد في مقالاتها وعلى صفحاتها السياسية، ومن بين أكثر مقالاتها حديثاً عن الكُرد وموقعهم في الدولة الأرمنية المستقبلية، يبرز مقال (استقلال أرمينيا) (Indépendance de L'Arménie)، لكاتبه الفرنسي ريني بينون (René Pinon) الذي نُشر في العدد(24) الصادر بتاريخ 15 كانون الأول/ ديسمبر 1918، حيث يقارن فيها كاتب المقال بين الكُرد والأرمن، ولأي منهما الحق في حكم الولايات الست، حتى وإن كان صاحب النسبة السكانية الأقل في المنطقة[222].

يتحدث كاتب المقال عن ظهور دول جديدة في أوروبا وآسيا بعد الحرب العالمية الأولى، ومطالبة أكثر من قومية بتأسيس دول خاصة بها، ومنهم

الأرمن الذين ينادون بوجودهم القومي وعليهم أن يعيدوا تاريخهم المجيد، لذلك على الدول الكبرى أولاً، أن تلتزم بمسؤوليتها تجاه هذه الأمة وأن تدعم استقلالها، وما عانته من ويلات، وما قدمته هذه الأمة لدول التحالف في جبهات القتال في فرنسا، وفلسطين، والقوقاز، فإنهم حاربوا معهم من أجل الشعوب المضطهدة. وبعد أن تطرق كاتب المقال إلى التاريخ القديم والعريق للأرمن في المنطقة وصمودهم أمام الأقوام الإسلامية الأخرى وعلى رأسهم الكُرد، قال: إن المشكلة التي على الدولة الأرمنية المستقبلية مواجهتها هي: المشكلة الكُردية ـ الأرمنية التي هي بحاجة إلى حل[223].

وبعد إيراده بعضاً من الإحصائيات السكانية في ولاية وان وبتليس وبيان صعوبة تشكيل وإدامة الدولة الأرمنية في تلك المنطقة ما لم تكن مدعومة من دول الحلفاء، بسبب موقعها الجغرافي بين الأتراك والكُرد، قال كاتب المقال: «في أرمينيا المستقلة [شمال كُردستان] لا يمكن أن تكون الدولة إلا أرمنية، وذلك لأن الأرمن مع النساطرة، ومع المجموعات المسيحية الأخرى، قد اضطُهِدوا وارتكبت بحقهم مجازر عديدة، ويجب عدم السماح للقتلة (الذين هم الأتراك والكُرد) الاستفادة من جرائمهم، وليس من الممكن نسيان الأرامل، والإخوة، والأطفال، الذين كانوا ضحاياهم، فضلاً عن ذلك فإن الأرمن هم العنصر الوحيد القادر بكل حيوية أن ينظم، ويحقق حكومة حرة، ومتمدنة...»[224].

يأتي بعد ذلك صاحب المقال، ليفرد حيزاً كبيراً من مقالته تلك عن الكُرد وعلاقة الأرمن بهم، حيث ذكر أن الكُرد يعدون أكثر تخلفاً من الأرمن، لأن معظمهم من الرعاة، وأن عاداتهم وتقاليدهم لم تتغير منذ أزمنة بعيدة، فهم جبليون ويتسمون عادة بكونهم عصابات، ومعروفين بالنهب، وكانوا دائماً الأدوات الطيعة للسلطان عبد الحميد الثاني وطلعت باشا ضد الأرمن، وقد

استغلوا هذا الدور بدرجة كبيرة للإثراء، وهم على هذا الأساس موجودون حقاً بأعداد كبيرة في تلك المنطقة، وإن بعضاً من هؤلاء الكُرد وخصوصاً بعد انقلاب 1908 بدأوا بالانفتاح على الأفكار التقدمية، أما البقية منهم فلا يزالون بدائيين، وليست لديهم أية ثقافة[225].

ثم يستمر صاحب المقال ليتحدث عن اللغة الكُردية بالقول: «يتكلم الكُرد لهجات عديدة قريبة للغة الأرمنية، وهي خشنة جداً وفقيرة جداً، ولا يمكن أن تترجم إلا عدداً محدداً من الأفكار البسيطة، وعلى الرغم من اقتراضها للعديد من المفردات من اللغات الفارسية، والعربية، والتركية، والأرمنية، تبقى فقط لغة للرعاة وللعصابات، ولكن ليس للشعب المتمدن وليست لديهم حروف خاصة للكتابة، فإنهم... يستخدمون الألفباء العربية عندما يكتبون، وهذا يحصل نادراً بسبب تفشي الأمية بينهم، أما شيوخهم فكانوا يتحدثون ويكتبون بالتركية على الأكثر والعربية أو الفارسية. إذن، ما هو وجه المقارنة بينهم وبين الأرمن، الذين هم أناس مرنون وغير خشنين، ويتكيفون للحياة المدنية، ويثبتون نجاحهم بذلك؛ فالأرمن شعب، أما بالنسبة إلى الكرد فلا يمكن أن نعدهم شعباً؛ لأن تطورهم السياسي لم يتجاوز نطاق القبائل أو العشائر... ولا توجد على الإطلاق دولة كُردية مستقلة، تحتضن كل الكُرد...وقد كانوا دائماً رعية ويخضعون بصورة سيئة لأسيادهم المتعاقبين، وكانوا مطيعين لشيوخهم...ويجب أن لا يغيب عن عيوننا أن هؤلاء الكُرد لا يمكن أن يعرفوا النظام السياسي كالأرمن»[226]. أما ما هو موقع الكُرد في الدولة الأرمنية الجديدة؟ فيرجح كاتب المقال أن أفضل نظام يضمن حقوقهم في تلك الدولة، هو تطبيق نظام (الملل) العثماني عليهم، ذلك النظام الذي طبقه العثمانيون على الشعوب غير المسلمة في الدولة العثمانية. ويعترف كاتب

المقال المذكور في نهايته أن الكُرد والأرمن قادرون على العيش معاً ضمن دولة أرمنية، وأن الأتراك هم السبب المباشر في تدهور علاقات الشعبين[227].

لم تكن فكرة التقارير والندوات الأرمنية الأخرى لتخرج عن هذا الإطار، وهو تأكيد تفوق العرق الأرمني وسُمُوّه على جميع الأعراق في المنطقة وخصوصاً الكُرد[228]، لأنهم أصبحوا العقبة الوحيدة أمامهم للظفر بالولايات الست، بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب؛ وهنا يتساءل المرء: ماذا بقي ولم تفعله الأحزاب الأرمنية بالكُرد في المحافل الدولية؟ بل حتى وصل بهم الأمر إلى التشكيك بقدرتهم العقلية، وبعدم قبولهم للتمدن أو قدرتهم عليه، وبلغتهم التي ذكروا أنها لا تتعدى لغة العصابات وإنها ليست لغة المدنية؟ مَنْ الذي يقوم هنا بتحديد اللغة المدنية واللغة غير المدنية؟ وهل أن هناك لغة في العالم يمكن القول بأنها لا تتقبل المدنية أو لا تتطور؟ وخصوصاً لغة مثل اللغة الكُردية، التي أحبها المستشرقون الروس أمثال مار، وفلجيفسكي، وباسيلي نيكيتين، لغزارة مفرداتها، ولتطور فلكلورها بشكل وصفه فلجيفسكي بأنه الفلكلور الزائد عن الحد، في إشارة منه إلى ضخامته، وأنه لم يدرس ولم يبحث فيه بعد بالشكل المطلوب[229]. لذلك لم تكن السياسة الأرمنية آنذاك تختلف عما اتبعه القوميون الأتراك بعد ذلك بشأن الكُرد؛ فقد صرح الباحث التركي إسماعيل بيشكجي في مؤلفه الشهير (كُردستان مستعمرة دولية)، بأن أبرز سياسات الدولة التركية الحديثة هي سرقة الثقافة الكُردية وتحويلها لمصلحة الثقافة التركية، ففي مجال الموسيقى الشعبية والفلكلور، يذكر أن الأتراك يسرقون أولاً ثمار الفن الشعبي الكُردي والموسيقى الكُردية؛ ثم يعرضون المسروقات على أنها من الفلكلور والموسيقى التركية، وبعدها يحرمون الفلكلور والموسيقى الكُردية ويعلنون دونما ذكر لاسمها إنها: «لغة بدائية ينبغي أن تختفي كلياً»[230].

لقد هيأت الأحزاب واللجان الأرمنية الأرضية المناسبة في مؤتمر السلام بباريس لقبول الدول الكبرى اقتراحاتهم بهذا الخصوص، وكان من الطبيعي أن يكون الوفد الأرمني السباق للحضور والدعاية والإعلان لمسألته، مقارنة بجميع وفود الشعوب الأخرى، وقد قدم الأرمن إلى هذا المؤتمر مذكرتين عن طريق بوغوص نوبار باشا وممثل الجمهورية الأرمنية في القوقاز اهارونيان (A. Aharonian) في 12 شباط/ فبراير1919، وقد سلمت المذكرتان إلى رئيس المؤتمر جورج كليمنصو (Georges B. Clemenceau) وأدرجتا تحت اسم «المسألة الأرمنية قبل مؤتمر السلام» (The Armenian Question Before The Peace Conference).[231] كما أن اهارونيان نفسه سُمح له بأن يتحدث كي يشرح مضامين تقريره أمام مندوبي الدول الكبرى في مؤتمر السلام[232].

تطرقت المذكرة الأولى إلى التاريخ الطويل والعريق للأرمن في المنطقة، والمعاناة والاضطهاد الذين لاقاهما الأرمن طوال العهد العثماني، كما أن سياسة الدول الكبرى بخصوص الإصلاحات لم تضع حداً لمأساة هذا الشعب[233]، وأن خسائرهم خلال الحرب العالمية الأولى زادت عن المليون شخص. وتحت عنوان (أرمينيا الكاملة) تتناول المذكرة الأرمنية إحصائيات عدد قتلى الأرمن، والذين يعيشون الآن في أرمينيا وخارجها، وأنه في عام 1914 كان هنالك في الولايات الست (1400300) أرمني، مقابل (943000) تركي، و(482000) كُردي[234]، ولم يقل عدد الأرمن وحدهم في المنطقة، بل قل عدد المسلمين أيضاً نتيجة لتلك المعارك التي اجتاحت المنطقة في الحرب العالمية؛ وكان مغزى ذلك هو أن المُعِدَّيْنِ للمذكرة الأرمنية أرادا أن لا يدعا المجال أمام الدول الكبرى للقول: إن الأرمن قد انقرضوا في الولايات الست، فكيف ستُشكل دولة أرمنية في تلك المناطق دون وجود

شعب؟! وتعترف المذكرة بقلة عدد الأرمن بعد الحرب في المنطقة ولكن المُعِدَّيْنِ دافعا عن ذلك بقولهما: «إن العدد لوحده لا يُعد العامل المحدد في تثبيت حدود دولتنا المستقبلية، ليس فقط حقوق الموتى ودرجة الحضارة للشعوب التي تؤخذ في الاعتبار، وإنما الحقيقة الحيوية يجب أن لا تغيب عن مخيلة الأرمن، باعتبارها العنصر الوحيد في أرمينيا القادر على إقامة دولة حرة ومتمدنة؛ إن المسلمين والسكان غير الأرمن، الموجودين ضمن حدود أرمينيا سوف يتمتعون بالحريات، كما ستضمنها المبادئ التي سيتبناها مؤتمر السلام»[235].

تتحدث المذكرة الأرمنية بعد ذلك عن الكُرد بالقول: إن أكثر الشعوب أهمية بالنسبة إلى الدولة الأرمنية المستقبلية هم الكُرد ـ لكونهم القوم الأكثر كثافة من الباقين في المنطقة ـ فإن الكُرد ينقسمون إلى قسمين، الأول: هم الكُرد الحضريون والثاني: هم الكُرد البدو أو الرحل، وأن معظمهم من الجبليين أي: الذين يسكنون الجبال، وكان الأتراك يستخدمونهم للنهب والتدمير كوكلاء رئيسيين لتنفيذ المذابح ضد السكان المسيحيين. إن مستوى تطورهم السياسي لا يزال في المرحلة العشائرية، وهنالك جزء مهم من هؤلاء الكُرد يعيشون في البلاد، التي تعرف بتعبير أدق بكُردستان في الأجزاء الجنوبية في محافظات دياربكر ووان وهكاري، ومن الممكن فصل تلك المناطق عن الدولة الأرمنية، وبقاء الكُرد الحضريين في أرمينيا وذلك تحت حماية القوانين والمساواة؛ ثم يضيف المُعِدان أن الأهم من ذلك كله هو ملاحظة أن عدداً كبيراً جداً من هؤلاء الكُرد يرجعون بأصولهم إلى العنصر الأرمني، الذين من السهولة تهذيبهم والإبقاء على النظام بينهم وبين الأرمن بعد إزالة التأثير التركي عليهم، ومن ثُمَّ سيتعرف الكُرد من خلال الأرمن إلى المدنية الحديثة.

وفيما يخص الكُرد الرحل فيجب وضع قوانين خاصة لهم، للسيطرة على تجاوزاتهم، ولتنظيم ظروف ترحالهم من مكان إلى آخر[236].

أما ما هي حدود الدولة الأرمنية المستقلة التي اقترحها الوفد الأرمني؟ فقد أدرجها معدّا المذكرة في النقاط الثلاث التالية:

1 ـ الولايات السبع: وان، وبتليس، ودياربكر، وخربوط، وسيواس، وأرضـروم، وطرابزون، (طبقاً لنصوص إجراءات الإصلاح في شباط/ فبراير 1914). باستثناء المناطق التي تقع إلى جنوب نهر دجلة، والى غرب خط اوردو(Ordu) ـ سيواس.

2 ـ سناجق كليكيا الأربعة: ماراش، وخوزان (سيس)، وجبل بيركت، وأضنة، بما فيها الاسكندرونة.

3 ـ جميع أراضي جمهورية أرمينيا في القوقاز، بما فيها محافظة يريفان، والجزء الجنوبي من الحكومة السابقة في تفليس، والجزء الجنوبي من الحكومة السابقة لاليزابيتول، ومحافظة قارص، ما عدا المنطقة الواقعة شمال اردهان[237].

بعد ذلك يخوض المُعِدَّان في تفاصيل لا حصرَ لها من الإحصاءات، حسب وجهة نظرهم للأرمن وللمسلمين، ولحدود الولايات في العهد العثماني، وتلاعب الإدارة العثمانية بها. وهاجمت المذكرة أيضاً العرب السوريين الذين طالبوا بضم كليكيا إلى الدولة السورية المستقبلية، وذلك لقلة العنصر العربي في كليكيا، وأن تلك المنطقة تاريخياً مرتبطة بأرمينيا. وضمن ملحق تحت عنوان ملاحظات تكميلية (كليكيا) ذكر المعدان بخصوص هذا الأمر أن مصطلح سوريا لم يكن مصطلحاً سياسياً في أي وقت تاريخي، ولا توجد هنالك مملكة اسمها مملكة سوريا في التاريخ وأن اسم سوريا جاء من اسم أحد قواد الاسكندر المقدوني سلوقس الذي أسس مملكة امتد حكمها

بين (312 ق.م ـ 64 ق.م). وتحت عنوان (المطالب الأرمنية) أدرج الوفد الأرمني خمسة مطالب لإقامة الدولة الأرمنية هناك منها: اعتراف الدول الكبرى بها، ودعمها مادياً ومعنوياً، والمطالبة بالتعويض، وطرد ومعاقبة الذين اشتركوا في المذابح. وقد أرفق مُعِدّا التقرير إحصائيات عن سكان الولايات الست، وسكان أرمينيا في القوقاز وكليكيا، كما أرفقا بالمذكرة خريطة بيَّنا فيها الحدود الدقيقة للدولة الأرمنية المستقبلية[238].

أما المذكرة الثانية التي قدمها الأرمن إلى مؤتمر السلام في باريس فكان فحواها مثل فحوى المذكرة الأولى، وقد ركزت بشكل أعمق على الدور الأرمني في الحرب العالمية الأولى، وبيان الظروف التي مرت بها المنطقة بعد انتهاء الحرب مع انسحاب روسيا من الولايات الست، وضرورة إسراع دول الحلفاء في تقديم الدعم للدولة الأرمنية في القوقاز لمواجهة الصعاب وتشكيل أرمينيا الكبرى[239].

يظهر من خلال الاطلاع على مضامين المذكرة الأرمنية المرفوعة إلى مؤتمر السلام أن الأرمن لم يستفيدوا من التاريخ؛ فقد عرضوا حدوداً واسعة لدولتهم، لها موانئ على البحرين الأسود والأبيض، متعدين بذلك على جميع القوميات الأخرى في المنطقة، والتي لها أيضاً تاريخ طويل هناك وفي مقدمتهم الكُرد، كما أن الدول الكبرى من جانبها ـ التي لها مصالح في المنطقة ـ رأت أنه من غير الممكن تأسيس أرمينيا على تلك الشاكلة التي يطالب بها الأرمن، كما أظهرت التقارير الإنكليزية والأميركية بعد ذلك ـ والتي سيأتي الحديث عن بعضها لاحقاً ـ زيف جميع الإحصائيات السكانية التي قدمها الأرمن في مذكرتهم تلك، وربما كان من الأسلم للأرمن في المنطقة الإسراع بتشكيل تحالف مع الكُرد لضرورة الحفاظ على تلك المنطقة، وتشكيل دولتين كُردية وأرمنية، التي أخذها منهما الأتراك لأنفسهم بعد ذلك، وهي لا تزال تابعة لهم.

ب ـ النشاط السياسي الكُردي

اختلفت الأوضاع عما كانت عليها في عام 1878 عندما عُقد مؤتمر برلين، حيث كان الوجود الأرمني حاضراً بقوة فيه، ولم يكن هناك أي أثر للوجود أو النشاط الكُردي، فبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أسَّسَ الكُرد جمعيات سياسية قومية بحثت لأول مرة عن نوع من الاستقلال للشعب الكُردي، سواء أكان تحت مظلة الخلافة الإسلامية في استانبول، أم الاستقلال التام مثلما فعلت جميع شعوب العالم.

لقد برز دور جمعيتين كُرديتين في مجال الوقوف ضد المطالبات الأرمنية بالولايات الست، الأولى هي جمعية (تعالي كُردستان) برئاسة الشيخ عبد القادر النهري، وكان للعائلة البدرخانية برئاسة أمين عالي بدرخان دورٌ متميز فيها، وكان مقرها العام في استانبول، ولسان حالها هي مجلة (كُردستان). أما الجمعية الثانية فهي جمعية (استقلال كُردستان) وتسمى كذلك بـ(العصبة الكُردية) برئاسة عارف باشا المارديني، وقد قام أحمد ثريا بدرخان بدور فعّال في تلك الجمعية التي كانت مقرها في مدينة القاهرة بمصر[240].

قام رئيس جمعية تعالي كُردستان وأعضاؤها منذ الوهلة الأولى بعد انتهاء الحرب بزيارة المسؤولين البريطانيين في استانبول، وتقديم تقارير حول أحقية الكُرد بالولايات الست ـ شمال كُردستان ـ من النواحي التاريخية، والسياسية، والسكانية[241]، ولكن برز من بين جميع أنشطتهم لسان حال الجمعية (مجلة كُردستان)[242]، التي يخال عند الاطلاع عليها أنها مجلة تُعنى فقط بالمسألة الأرمنية ودور الكُرد فيها، فلا يكاد عدد منها يمر، إلا ويُشار فيها إلى تلك المسألة، سواء للرد على الأرمن بخصوص عائدية الولايات الست وتاريخ الكُرد فيها، أم الدفاع عن موقف الكُرد في الحرب العالمية الأولى، وتفنيد

الاتهامات الموجهة إليهم بخصوص اشتراكهم في المذابح الأرمنية؛ أم الرد على الأرمن الذين كانوا يتهمون الكُرد بالجهل وأنهم لا يفقهون من المدنية الحديثة شيئاً.

انتقد (محمد) وهو أحد المدرسين في دار الخلافة العليا الادعاءات الأرمنية التي كانت تطالب بالولايات الست، التي خلت من الأرمن تماماً في الحرب العالمية الأولى[243]، وطبقاً لـ(محمد عثمان بدرخاني) فإن الأرمن: «يقومون بحيل وألاعيب شتى من أجل إسقاط حقوق الكُرد فيها، وبهذا يؤثرون على أحاسيس ومشاعر الملايين من المسلمين هناك». ويضيف بأنه تظهر في كل يوم على صفحات الجرائد الأرمنية مقالات مدعومة بالخرائط، والإحصائيات، والبيانات، بخصوص كون تلك الولايات أرمنية، ولكن الأرمن هم أنفسهم على يقين ـ كما يقول ـ بأن تلك المعلومات غير صحيحة، وعليهم الكف عن تلك الدعاءت، لأنها ستجر البلاد إلى حرب لا تحمد عقباها[244]. وحسب (جانو الأرضروملي)، ورداً على بطريرك الأرمن (زوان)، الذي ذكر في أحاديثه للصحافة الأرمنية أن أرضروم ستكون عاصمة للدولة الأرمنية، فكان ردّ (جانو) عليه بأن: «أرضروم ستكون مقبرة لأرمنستان، وليست مقراً لسلطنتها»[245].

ونشرت المجلة ثلاث مقالات بقلم كاتب يدعى(كاكه حمه) وكان من أشد المنتقدين للأرمن وحلفائهم الأوروبيين، إذ يقول: إن الأرمن لا يكفون عن ترديد مقولة إن الولايات الست هي أرمنية، مع علمهم أن غالبية سكانها من الكُرد الذين كانت مكافأتهم إنقاذ الأرمن خلال الحرب العالمية الأولى نعتهم بأبشع الصفات والأسماء، وعلى حد وصفهم ـ أي: الأرمن وحلفاؤهم الأوروبيون ـ : «أن الكُرد شعب ظالم، وغدار، ووحشي»[246]. وردّ الكاتب (ابن الرشيد) على اتهامات الأرمن للكُرد بأنهم لا يعرفون إلا مهنة الرعي،

بالقول: إن الكُرد بينهم تجار كثيرون يتاجرون بين كُردستان وطرابزون وحلب، كما أن الشعير الذي يزرع في حقول ملازكُرد وارجيش خير دليل على روعة الزراعة الكُردية، وكان السجاد الكُردي من أبرز مميزات الاقتصاد الكُردي الحديث[247]. أما الكاتب (أمين فيضي) فذكر أن عدد الأرمن لم يقل في الولايات الست بل ازداد، خلافاً للدعاية الأرمنية التي تُردّد دائماً هذا الأمر، فحينما كان المسلمون والكُرد يقاتلون في جميع أنحاء الدولة العثمانية وعلى حدودها المترامية، كان الأرمن يسكنون وينعمون في بيوتهم ويمتهنون المهن التي أغنتهم كثيراً[248].

فضلاً عن هذا كله اشتكت جمعية تعالي كُردستان، على صفحات مجلتها مرات عديدة للحكومة العثمانية بضرورة التصدي والوقوف بحزم بوجه الدعاية الأرمنية، التي لم تكف عن ترديد المقولة: إن الولايات الست هي ولايات أرمنية، لأن ذلك من شأنه أن يُوَتِّرَ كثيراً العلاقات بين الكُرد والأرمن في تلك المناطق وفي العاصمة استانبول نفسها[249]، كما قامت مجلة (كُردستان) بنشر بعض البرقيات، التي أتتها من شمال كُردستان تستنكر الادعاءات الأرمنية- حسب ما جاء فيها- بالولايات الست التي ذكر أصحابها أنها تمثل كُردستان، وكان قد وقع على هذه البرقيات وجهاء ورؤساء العشائر الكُردية؛ وعقبت مجلة (كُردستان) على تلك البرقيات بأنها ستعمل جاهدة من أجل الوقوف ضد تلك الادعاءات. فمثلاً نشرت مجلة (كُردستان) في عددها الخامس الصادر بتاريخ 16 نيسان/ ابريل 1919، برقيتين جاءتا من كُردستان، الأولى من ملازكُرد، والثانية من معمورة العزيز، وفيما يلي نص البرقية الواردة من ملازكُرد:

(تلغراف) المصدر : «ملازكُرد الرقم 57»

«يطلق على مناطق معمورة العزيز، دياربكر، بيتليس، وان، وأرضروم، والأراضي المجاورة لها اسم كُردستان، وهذا ليس ادعاءً من قبلنا نحن، بل

هي حقيقة بديهية أكدها المؤرخون والعلماء الأوروبيون، إذ إن العرق الكُردي سكن هذه المناطق منذ ثلاثة آلاف سنة، وإنّ الجمعيات التي تشكلت، ودساتير حقوق القوميات كلها تعمل على وقف الدماء التي أزهقت منذ أربع سنوات، وإن جميع المساعي في المؤتمرات الأوروبية نصت على ضمان وكفالة المحافظة على حقوق القوميات، ومع ذلك فإننا نستنبط من العديد من المنشورات والكتابات بأنه سيُغير اسم وطننا الأم التاريخي إلى اسم أرمنستان، متجاهلين أعدادنا المليونية تلبيةً لرغبات أعداد قليلة من الأرمن، الذين جاؤوا إلى هذا الوطن عن طريق اللجوء [الهجرة]... لذلك نطلب ممن يدافع عن حقوق الإنسان ومن المطبوعات العثمانية أيضاً بذل المساعي وإظهار الحقيقة، والدفاع عن كُردستان، والحفاظ على القوميات ذات النسب القليلة من التلاشي. (حسن رئيس عشيرة شاديلي، حسني رئيس عشيرة آلان، يوسف رئيس عشيرة ابزولي، عمر رئيس عشيرة بوستان، محمد علي رئيس عشيرة خسران)»[250].

كما أشارت الوثائق البريطانية إلى أن مثل تلك الاحتجاجات الكُردية قد وصلت أيضاً إلى ساستها في استانبول من شمال كُردستان، حيث وصلت إليهم برقية من أرضروم بتاريخ 18 نيسان، ومن دياربكر في 25 نيسان/ ابريل 1919[251]. وعلى هذا الأساس لم يكن الكُرد غافلين عن الممارسات السياسية الأرمنية بخصوص الولايات الست، عكس ما كانت عليه أثناء عقد معاهدة سان ستيفانو وبرلين عام 1878.

لم تكن نشاطات جمعية (استقلال كُردستان) في القاهرة بأقل من دور جمعية (تعالي كُردستان) في استانبول في الدفاع عن الهوية الكُردية للولايات الست أمام المطالبات الأرمنية بها، وقد امتازت تقارير تلك الجمعية إلى السلطات البريطانية، ومؤتمر السلام في باريس، وشريف باشا المندوب

الكُردي في المؤتمر[252]، بطابعها العنيف واستخدمت في تقاريرها أسلوب التهديد المباشر للأرمن، ولعل من أبرز تقارير جمعية استقلال كُردستان في هذا المجال ذلك التقرير الذي ورد تحت عنوان (كُردستان أو أرمنستان: شهداء أم طغاة) والذي أرسلته مباشرة إلى مؤتمر السلام في باريس عن طريق شريف باشا، وقد طبعت آلاف النسخ من هذا التقرير، الذي كتب باللغة الفرنسية، وقامت الجمعية بتوزيعها في أوروبا وفي الدولة العثمانية. وفي هذا المجال نورد نص الرسالة التي أرفقها رئيس الجمعية عارف باشا المارديني بهذا التقرير إلى شريف باشا، وجاء فيها: «... دحضاً للمطاليب الباطلة، الواردة في ادعاءات الأرمن المضحكة، بعثنا بالآلاف من صور ما أعلناه من الكراسات والبيانات... وإننا لن نتنازل عن شبر واحد من أراضي الولايات السبع[253]: (أرضروم، ودياربكر، ووان، وبتليس، وخربوط، والموصل) التي تشكل كُردستان للأرمن مطلقاً... وفي الوقت الذي لا يشكل الأرمن من سكان هذه الولايات سوى خمسة بالمئة، فان سيادة خمس وتسعين بالمئة من المسلمين على هذه الولايات حقيقة لا تحتاج إلى برهان، ومن أجل الدفاع عن حمى وطننا المقدس فإننا مستعدون للموت بصورة جماعية، وليفكروا بكل بساطة هم [يقصد: الأوروبيون] وأحباؤهم الأرمن في هذا الأمر إذا كانوا يريدون البقاء أحياءً...»[254].

مرّت الإشارة فيما سبق إلى تقرير (كُردستان أو أرمنستان) الذي يتكون من (23) صفحة، تناولت فيه جمعية استقلال كُردستان تاريخ العلاقات الكُردية الأرمنية، وفندت فيه جميع المطالبات الأرمنية بخصوص الولايات الست، التي تعد إرثاً كُردياً، وكذلك الإحصائيات السكانية التي كان الأرمن يعتمدون عليها ويقدمونها للمحافل الدولية. وقد اعتمدت جمعية استقلال كُردستان بدورها على الإحصائيات الواردة في دائرة المعارف الفرنسية، والبريطانية،

وكذلك الإحصاء الفرنسي في عامي 1892 و1899، فضلاً عن إحصائيات أخرى عديدة، وفيها تذكر جمعية استقلال كُردستان أن عدد نفوس المسلمين في الولايات الست، التي يشكل الكُرد فيها الغالبية العظمى، كانت تفوق نسبة نفوس الأرمن بأضعاف، وتفند كذلك كل ما ورد في المذكرة الأرمنية المقدمة إلى مؤتمر السلام المار ذكره، كما أن التقرير المذكور هاجم روسيا في مرات عديدة؛ لكونها كانت السبب الرئيسي في تطور العلاقات الكُردية الأرمنية سلبياً نحو الأسوأ؛ وأخيراً، أملت الجمعية الكُردية من مؤتمر باريس للسلام في أن يأخذ تلك الملاحظات على محمل الجد، لأنهم يثقون بعدالته[255].

الأرمن في مذكرة شريف باشا المقدمة إلى مؤتمر السلام

عند مقارنة تقرير جمعية استقلال كُردستان بما ورد من معلومات في مذكرة شريف باشا التي قدّمها إلى مؤتمر السلام في باريس يظهر أن شريف باشا نفسه قد استقى العديد من معلوماته من هذا التقرير، وخصوصاً فيما يتعلق بالإحصاءات السكانية في الولايات الست.

قدم شريف باشا مذكرة إلى مؤتمر السلام في باريس بتاريخ 12 آذار/ مارس 1919[256]، تحمل عنوان (مطالب الشعب الكُردي) وقد قامت مجلة (كُردستان) بنشر نص تلك المذكرة باللغة التركية العثمانية[257]، وكان نص التقرير الأصلي باللغتين الفرنسية والإنكليزية[258]. في بداية المذكرة تصدى شريف باشا ـ وهو يتطرق إلى العلاقات الكُردية الأرمنية ـ إلى مطالبة بعض الأوساط الأرمنية بالولايات الست، وعدّها أمراً لا يستند إلى أي حقيقة. وتظهر آثار معارضته الشديدة وموقفه المتشدد في هذا الموضوع في العبارات «مطاليب الامبريالية ـ الأرمنية من دون حدود» في مدخل المذكرة[259]، ثم يتناول شريف باشا عراقة الشعب الكُردي في المنطقة منذ التاريخ القديم

على أن الكُرد هم من رسموا الملامح التاريخية لتلك الولايات الست التي يطالب بها الأرمن. وحدد شريف باشا حدود كُردستان في مذكرته على النحو الآتي: «إن حدود كُردستان تركيا [يقصد: الدولة العثمانية] من وجهة النظر الانثروبولوجية، تبدأ في الشمال من: زيفن، عند الحدود القوقازية وتستمر باتجاه الغرب إلى أرضروم، أرزنجان، كه مه، عرب كير، بهسمي وفك، وتتبع في جهة الجنوب: خط حران، تلال سندزهار، تل أصفر، أربيل، كركوك، سليمانية، كلمان، سنه، وفي الشرق تبدأ من رواندوز، باش قلا، وزير قلا، أي امتداد حدود فارس حتى جبل أرارات»[260].

هنا تكمن المعضلة في تاريخ العلاقات الكُردية الأرمنية، إذ إن الشعبين في مذكرتيهما إلى مؤتمر السلام، طالبا بالأراضي نفسها، أي: الولايات الست، لكنّ الجانب الأرمني لم يتنازل عن شبر من تلك الأراضي، وكذا الجانب الكُردي ولا يزال كلٌّ منهما يضعها ضمن خريطته الكبيرة.

لقد دافع شريف باشا من جانبه، وبالاعتماد على مصادر التاريخ القديم، عن الأصل الكُردي في كُردستان وانتقد الأرمن في مطالبتهم بالولايات الست، وقد أشار إلى بعض الإحصائيات الأجنبية التي تؤيد وجهة النظر الكُردية في أن الكُرد منذ القدم وحتى الآن يشكلون النسبة السكانية العالية من بين جميع العناصر الأخرى في الولايات الست، وخصوصاً عند مقارنتهم بالأرمن. ومن بين الملاحظات المثيرة في تقرير شريف باشا، عند احتساب النسب السكانية، هو استناده إلى العدد الكبير من الفرسان الحميدية، ويعدد قبائلهم في شمال كُردستان، ويعطي شريف باشا الفكرة القائلة : إن مجرد كثرة القبائل الكُردية وكثرة عدد أفرادها التي انضوت تحت لواء الفرسان الحميدية تعطي الجواب المقنع بأن الكُرد لم يكونوا إلا أصحاب النفوس الأكثر عدداً في شمال كُردستان[261].

إن أبرز ما يمكن ملاحظته في مذكرة شريف باشا، لا يكمن في المعلومات التي أوردها سواء تلك التي تثبت عراقة الشعب الكُردي في المنطقة، أو في الإحصائيات التي تثبت أن الكُرد كانوا يفوقون جميع العناصر الأخرى من حيث عدد النفوس، ولكن لا ترد في تلك المذكرة جملة واحدة عن الأتراك، من حيث واقع الظلم الذي فرضوه على الكُرد في المنطقة عبر تاريخهما الطويل، وإن تطرق إلى التاريخ الكُردي التركي في بعض المرات، لأن القضية آنذاك بالنسبة إلى الكُرد كانت هي الخروج من كنف الأتراك، وليس الانشغال بالأرمن حسبما تطرقت إليه أغلب المصادر التاريخية، ويظهر من خلال الاطلاع على نص مذكرة شريف باشا أنها موجهة من أولها إلى آخرها ضد مطالبات الأرمن بشمال كُردستان، ويظهر وكأن الكُرد كانوا قد انتهوا فعلياً من الأتراك. وهنا توحي مضامين المذكرة أن المشكلة الكبيرة والمعقدة التي واجهت الكُرد بعد الحرب العالمية الأولى ليس الأتراك، على حد علم الكُرد آنذاك، وإنما الأرمن الذين طالبوا بالولايات الست، وكانوا يلقون دعماً كبيراً من حلفائهم الأوروبيين.

وتعطي تلك التقارير الكُردية كلها، المرفوعة إلى الساسة الأجانب وخصوصاً البريطانيين منهم، وأيضاً مقالاتهم المنشورة في صحافتهم آنذاك، فضلاً عن مذكرة شريف باشا الفكرة الآتية: «إن الكُرد كانوا قد خلصوا إلى واقع انتهاء الحكم التركي للكُرد وكُردستان، وإنهم كانوا قد حازوا الاستقلال فعلياً أو اقتربوا منه وكان قاب قوسين منهم، وإن المشكلة الأساسية التي واجهت الكُرد بعد الحرب كانت المسألة الأرمنية التي كانت العقبة الأكبر أمام تحقيقهم استقلال دولة كُردستان».

خامساً ـ موقف الدول الكبرى من المسألتين الأرمنية والكُردية

مع توصل الحلفاء بعد انتهاء الحرب إلى إصدار القرار التالي: «إن الحلفاء والدول المنضمة إليهم قد اتفقوا على أن أرمينيا، وسوريا، وميسوبوتاميا، وكُردستان، وفلسطين، وشبه الجزيرة العربية يجب فصلها تماماً عن الإمبراطورية التركية»[262]، إلا أنه لم يكن هناك مجال للمقارنة بين حظوظ كل من أرمينيا وكُردستان بشأن استقلالهما عند الدول الكبرى؛ ويلاحظ في نص القرار المار ذكره ورود اسم أرمينيا قبل أسماء جميع الكيانات الأخرى، فإن الدول المنتصرة في الحرب إلى جانب روسيا البلشفية كلها كانت متفقة على إعطاء الولايات الست للأرمن في البداية، ولكن واقع ما بعد الحرب في تلك الولايات أوجد فيها أكثرية كُردية مطلقة اصطدمت بآمال تلك الدول، وبتعهداتها للأرمن، وتنازلت إلى تقسيم الولايات الست بين الأرمن الذين حصلوا حسب معاهدة سيفر والتحكيم الأميركي على الجزء الأكبر منها وهي ولايات: أرضروم، ووان، وبتليس وجزء من سيواس، والكُرد الذين تركت لهم خربوط ودياربكر، رغم أن أغلب الإحصائيات دلت على أن عدد الأرمن لم يكن يتجاوز في تلك الولايات ما نسبته (5 %) من مجموع السكان فيها.

وفيما يأتي باختصار مواقف تلك الدول من المسألتين الأرمنية والكُردية:

أ ـ روسيا (السوفياتية)[263]

اتخذت روسيا السوفياتية بعد ثورة أكتوبر/ تشرين الأول عام 1917، موقفاً مضاداً للطموحات الكُردية في الاستقلال، مقارنة بالطموحات الأرمنية في المنطقة، فنشرت بتاريخ 3 كانون الأول/ ديسمبر 1917 مرسوماً بعنوان (نداء إلى العمال المسلمين في الشرق)، يدعوهم فيه إلى النضال في سبيل حريتهم ضد الامبريالية، وخاطبت في هذا النداء عدداً من الشعوب الإسلامية في الشرق، كما أنها ذكرت الأرمن في مقطع خاص رغم أنهم ليسوا بمسلمين، أما الكُرد فلم يأت النداء على ذكرهم، كما صرح هذا النداء برفض روسيا السوفياتية أي نوع من السياسات التي تؤدي إلى تقسيم تركيا، التي سيظل قسم من الأرمن فيها تحت السيادة التركية، ولكن الأرمن يجب أن يمنحوا حق تقرير المصير، هذا المطلب الذي سيؤدي في حال توافر الظروف الملائمة إلى قيام دولة أرمنية مستقلة[264]، كما أصدرت روسيا السوفياتية في 11 كانون الثاني/ يناير 1918 مرسوماً سمي بـ(أرمينيا التركية)، التي ألحقت أغلب فقراتها بمعاهدة بريست ليتوفيسك، وأعلنت هذه الوثيقة عن تأييد الحكومة الروسية لحق الأرمن في أرمينيا التركية، وفي حق تقرير مصيرهم بما في ذلك الاستقلال التام، وتضمنت عدداً من الإجراءات الملموسة التي من شأنها تجسيد مثل هذا الحق، منها: انسحاب جميع الجيوش من هذه الأراضي، وتشكيل الميليشيا الأرمنية، وعودة المهاجرين واللاجئين الأرمن، وإنشاء أجهزة السلطة المنتخبة بصورة ديموقراطية[265]. ولم تبدِ روسيا السوفياتية أي ميل تجاه الكُرد. ومما يجب ذكره في هذا المجال أن روسيا كانت أول دولة تدخل في علاقات مع الحركة الكمالية، التي تخوفت منها دول الحلفاء كثيراً[266]، فضلاً عن أنها وقفت ضد أي نوع من الاستقلال الكُردي في شمال كُردستان، لمعرفتها المسبقة بأن هذا الكيان ستخضع إدارته لبريطانيا[267].

ب ـ فرنسا

أرادت فرنسا أن تنأى بنفسها عن المسألة الأرمنية منذ بداية الحرب العالمية الأولى، وتترك تفاصيلها للدول الأوروبية الأخرى المتحالفة معها، أولاً لروسيا، ثم لبريطانيا. فرغم الدعم المعنوي الكبير من الفرنسيين للمسألة الأرمنية في أغلب اجتماعاتهم السياسية، التي كان الفرنسيون يتناولون فيها المسألة الأرمنية، منها مثلاً قول أحد ساستهم ويدعى لويس مارتن (Louis Martin) في اجتماع يعود تاريخه إلى 12/ 11/ 1916، مع بعض الأرمن إنه: «عندما تدق ساعة الإصلاح الشرعي فإن فرنسا لن تنسى المحاكم المروعة للأرمن»[268]. ولكن يبدو عند النظر إلى السياسة الفرنسية تجاه المسألة الأرمنية بعد ذلك أن فرنسا أرادت الابتعاد عنها قدر الإمكان، وخصوصاً الابتعاد عن الأرمن الغريغوريين، الذين كانوا يشكلون الأغلبية المطلقة من الأرمن في شمال كُردستان، وهذا ما ظهر جلياً في اتفاقية سايكس ـ بيكو ـ سازانوف عام 1916. فبعد محاورات مطولة بين الأطراف الثلاثة وافقت فرنسا على ضم الأرمن الكاثوليك فقط، المتدينين والبعيدين عن المشاكل إلى نفوذها عكس الأرمن الغريغوريين[269]، حيث منحت مناطق(الموصل، وعينتاب، وأورفا، وماردين، وهكاري، وكليكيا) إلى فرنسا، ومنحت المناطق الباقية من شمال كُردستان إلى روسيا[270].

وبعد انتهاء الحرب العالمية انشغلت الأوساط السياسية الفرنسية في شمال كُردستان، بمحاولات تشكيل كيان سياسي للأشوريين بعيداً عن المناطق الأرمنية، وصبت أغلب مساعي السياسة الفرنسية في هذا المجال[271]، وهذا لا ينفي دخولها في مناقشات مع الجانب البريطاني، في مرات عديدة، حول المسألتين الأرمنية والكُردية، وإعطاءها بعض الحلول المحايدة إلى حد ما، نتيجة للكثرة العددية الكُردية، التي ظهرت للعيان بشكل واضح في شمال

كُردستان، ومن بين تلك المواقف التي تجدر الإشارة إليها، تلك المناقشات التي دارت بين وزارتي الخارجية البريطانية والفرنسية في كانون الأول/ ديسمبر 1919، وكان الممثل الفرنسي فيها هو بيرتليو، حيث قدم مذكرة إلى اللورد كيرزن الممثل البريطاني في 23 كانون الأول 1919 تحدث فيها عن هاتين المسألتين بقوله: إن مسألة تنظيم مستقبل كُردستان تشكل معضلة معقدة مثل المسألة الأرمنية، وإن من المستحيل إلحاق كُردستان بأرمينيا، وليس هذا لكون أن الأرمن يشكلون أقلية عددية فقط، وإنما يعود ذلك أيضاً إلى أنه ليس من العدل أولاً فعل ذلك، ولأنه من المستحيل عملياً إخضاع الكُرد لجيرانهم الأرمن الأقل عدداً منهم دائماً. إن الكُرد يمكن أن يتقبلوا المدنية- حسب بيرتليو- وكان صلاح الدين الشهير المغوار واحداً منهم. إن موقع كُردستان الجغرافي وطبيعة أرضها وخصائص سكانها تجعل منها بلداً قائماً بذاته[272]، إلا أن بيرتليو نفسه عارض تقسيم تركيا في مؤتمر القاهرة الذي عقد في شباط/ فبراير 1920 عندما كان ممثلاً عن الجانب الفرنسي فيه، وكانت له آراء متضاربة بخصوص مستقبل كُردستان[273].

لقد كانت فرنسا، وخصوصاً الرأي العام الشعبي فيها، من المؤيدين بشدة لقيام الدولة الأرمنية في الأناضول، ولم تدخل المسألة الكُردية في حساباتها، إلا بعد اصطدامها بالواقع السكاني في الولايات الست، التي طغى عليها العنصر الكُردي بعد انتهاء الحرب. ولكن يبدو أن فرنسا حتى قبل ذلك، ومن خلال الاطلاع على مواقفها السياسية، أرادت الابتعاد قدر الإمكان عن المسألة الأرمنية، ربما لصعوبة حلها مقارنة بالمسائل الأخرى في المنطقة، التي ستتطلب جهداً عسكرياً ومادياً، وكذلك لأن فرنسا نفسها كانت لها أطماع في الأناضول، بأن ضمت إليها أغلب المناطق التي يسكنها الأرمن الكاثوليك.

جـ ـ الولايات المتحدة الأميركية

ربما أن هناك قلة من الشعوب استبشرت بالبنود الأربعة عشر للرئيس الأميركي ودرو ولسن (Woodrow Wilson 1921 - 1913) مثل الكُرد[274]، التي أعلنها بعد الحرب العالمية الأولى، ومضمونها حق تقرير المصير لجميع الشعوب[275]، ولكن الولايات المتحدة الأميركية هي أيضاً بدورها كانت تفرق في حساباتها بين المسألتين الأرمنية والكُردية، وأنه ليس هناك حتى مجال للمقارنة بين المسألة الكُردية ونظيرتها الأرمنية، وحقوق كلا الشعبين في الولايات الست، رغم اعتراف ساستها وضباطها، الذين زاروا المنطقة بعد انتهاء الحرب العالمية أن الولايات الست هي ذات أغلبية كُردية واضحة. وفي هذا المجال يجب التنويه إلى أن الولايات المتحدة الأميركية كانت إحدى أكبر الدول الداعمة للمسألة الأرمنية منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وكانت هي إلى جانب الألمان قد نقلت المأساة الأرمنية في الحرب العالمية الأولى إلى العالم أجمع، عن طريق تقارير قناصلها ومبشريها في شمال كُردستان. فمن أحد أهم المصادر التي اعتمد عليها الحلفاء، ومن بعدهم الباحثون والمؤرخون لتجريم الأتراك والكُرد، في المذابح الأرمنية في عام 1915، كانت مذكرات سفيرها في استانبول هنري مورغنتاو السابق الذكر.

يبدو أن تقارير المبشرين الأميركان وكذلك تقارير القنصل الأميركي في خربوط ليسلي كانت قد أثرت كثيراً في موقف السياسة الأميركية تجاه الكُرد سلباً، حتى بعد ورود تقارير تنصف الكُرد من جانب ساستها، أمثال وليم كريسون (William P. Cresson) سكرتير السفارة الأميركية في بيتروغراد، حيث وجه كريسون تقريراً إلى وزير الخارجية في 15/ 4/ 1917، تحدث فيه عن العلاقات بين الكُرد والأرمن، بهذا الوصف: «يجب أن نضع في ذهننا أن

السكان الأرمن حتى السنوات الأخيرة كانوا يعيشون في المناطق الحدودية التركية بصورة ودية مع جيرانهم المسلمين، وطبقاً للمصادر الموثوقة (وبصورة خاصة لينج وسايكس)، فإن الوضع المزري الحالي جاء منذ انعقاد مؤتمر برلين عام 1878». وقد تضمن التقرير أيضا رأياً مختلفاً حول الاشتراك الفعلي بالحرب بين الأرمن والكُرد، الذين يسكنون في المناطق الشرقية من بلاد الأناضول، فقد ذكر في التقرير ما يأتي: «فيما يتعلق بقرار الدول الذي وجّهته إلى الباب العالي بلغة أشعلت دم القبائل الكُردية الصابرة، وذلك لأنه تجاهل معظم حقوقهم الأساسية، وقد أدى هذا القرار إلى توحيد مصالح رعايا الباب العالي، لأول مرة في التاريخ مع حكومة القسطنطينية، وإن تجاهل حقوق الكُرد جعلهم في موقف معارض لجيرانهم المسيحيين...»[276].

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى حصل إجماع بين الدول المنتصرة على أن تتولى الولايات المتحدة الانتداب على الدولة الأرمنية، التي ستتشكل في الأناضول إن رغبت بذلك. كانت الولايات المتحدة الأميركية من جانبها تبحث في أمر الانتداب هذا، ونتيجة لظهور خلافات بينها وبين كل من بريطانيا وفرنسا حول مصير المناطق التي انتزعت من الدولة العثمانية قامت الولايات المتحدة الأميركية بإرسال لجنتين إلى الدولة العثمانية لمعرفة رأي سكانها من الانتداب والاستقلال، اللجنة الأولى هي التي عرفت في التاريخ الحديث بـ(لجنة كينغ كراين ـ King Crane)، التي أرسلت إلى سوريا والبلاد العربية في آب/ أغسطس 1919، وعندما كانت تلك اللجنة في استانبول اتصلت بها بعض الأطراف الكُردية وبعض الصحفيين بشأن الولايات الست، فمن بين وثائق تلك اللجنة يظهر العنوان التالي (بعض المندوبين من الألوية الشرقية)، وقد جاء فيه ما يلي: «من بين آخر الذين ظهروا أمامنا كان ممثلوالحزب الديموقراطي الكُردي[277]، الذين دعوا إلى تأسيس حكومة كُردية في تلك

المناطق، التي يشكل فيها الأكراد الأكثرية العظمى من السكان، فقد طالب ممثلو الأكراد هؤلاء بـ: ولايات خربوط، ودياربكر، ووان، وبتليس، وبايزيد، وكل الموصل، ومن جهة أخرى، فإن الأكراد (رغبوا في الحكم الذاتي - الاوتونومي - تحت الانتداب البريطاني كجزء من العراق).. كانت كُردستان وطنهم الخاص بهم، وكانوا على استعداد للاعتراف بأرمينيا خارج نطاق منطقتهم»[278]. ومن جهته فقد طلب الصحفي المعروف ومحرر صحيفة (الوقت) أحمد أمين (يالمان)، من أعضاء تلك اللجنة عدم إعطاء تلك الأراضي للأرمن، التي يؤلف الأتراك والكُرد أكثرية السكان فيها، وحسب رأيه يجب على الكُرد الإعداد فيها للإدارة الذاتية[279].

أما اللجنة أو البعثة الثانية التي أرسلتها الولايات المتحدة الأميركية إلى الدولة العثمانية فهي بعثة الجنرال جيمس هاربورد (James G. Harbord)، هذه البعثة كانت قد أرسلت خصيصاً إلى الولايات الست، فقد قامت بزيارة أغلب المدن فيها، بدءاً من دياربكر وحتى أرضروم في صيف 1919، وانتهت البعثة من كتابة تقريرها في تشرين الأول/ أوكتوبر 1919، وأوصى هاربورد في تقريره بأن الولايات المتحدة الأميركية إذا أرادت الحصول على الانتداب على أرمينيا فإنه لا بد من انتدابها على جميع بلاد الأناضول بما فيها العاصمة استانبول والمضايق، لأنه من الصعب جداً، حسب هاربورد، أن ينجح أي انتداب في المنطقة إذا لم توضع ضمن انتداب واحد فقط. وقد أبدى الكُرد والأتراك رغبتهم بانتداب أميركا للأناضول كما أشار في تقريره، كما ذكر أن الكُرد هم أصحاب النسبة السكانية العالية في الولايات الست مقارنة بأي عنصر آخر[280]. ومن الملاحظات التي أبدتها بعثة هاربورد أيضاً، ضرورة عدم إعطاء الحكم في أرمينيا للأرمن، بعد أن تُخطّط حدودها، وذلك خوفاً من

عمليات الانتقام، التي لا تزال تجري في يريفان بحق المسلمين والكُرد هناك، حيث يقول في هذا الصدد:

«... إن المشاعر بخصوص الأرمني هنا، عُبّر عنها وفق القول الوارد في الشرق الأدنى (إن الأرمني من الناحية القانونية لا يمكن أن يكون على خطأ، ولا يمكن أن يكون من الناحية الأخلاقية على صواب)، حتى أن البعثة الأميركية لا تحب الأرمني، عندما يقوم بأعماله بذكاء، كما أن الأرمني لا يمكن أن يكون بريئاً من الدم، كما إن ذاكرته هي طويلة وانتقامه مستحق، وإنه قادر على ذلك إذا ما توافرت له الفرصة...»[281]. كما التقى المستر هوهلر، سكرتير في دائرة المندوب السامي البريطاني في استانبول، الجنرال ماكوي مساعد الجنرال هاربورد، في منتصف تشرين الأول/ أوكتوبر 1919، وتطرق ماكوي مع هوهلر في نقاشه حول الأوضاع في شمال كُردستان إلى أنه «بقي عدد قليل جداً من الأرمن في الولايات التي تزمع، بحسب الصحافة، إقامة أرمينيا الجديدة فيها، وأن الأكراد وحدهم بقوا هناك»[282].

هنا يبدو أن التقارير الأميركية ذكرت بشكل واضح أن الكُرد هم أصحاب النسبة السكانية الأكبر في الولايات الست بعد الحرب العالمية الأولى، ولكن الساسة الأميركان لم يتخلوا عن الأرمن في هذا المجال قطّ، وإن لم يكن الدعم الأميركي لهم دعماً عسكرياً أو مادياً، إلا أن الأرمن تلقوا دعماً معنوياً كبيراً من الولايات المتحدة الأميركية، التي حكم رئيسها، عندما اختير لكي يكون حكماً في حقوق الولايات الست إلى تركيا أو إلى أرمينيا، هنا حكم على عائديتها إلى أرمينيا ما عدا خربوط، ودياربكر، وجزء من سيواس، ولم يرد ذكر الكُرد في قرار التحكيم للرئيس ودرو ولسن، كما سيأتي الحديث عن هذا الموضوع لاحقاً.

د ـ بريطانيا

كانت الأحزاب والمنظمات الأرمنية منذ بداية تسعينيات القرن التاسع عشر قد أسست مراكز لها في بريطانيا، وحاولت التأثير في قرارات وتوجهات الحكومات البريطانية المتعاقبة بهدف تبني مسألتهم في الدولة العثمانية، لذلك أولت سياسة بريطانيا الخارجية اهتماماً كبيراً بها. فكانت المسألة الأرمنية موجودة على الدوام على صفحات أبرز الصحف البريطانية، كما أفرد البرلمان البريطاني مرات عديدة جلسات خاصة لبحث تلك المسألة فقط. وقد وجد الأرمن على الدوام أصدقاء لهم في معظم الحكومات البريطانية، وكذلك في مجلس العموم واللوردات البريطانيين، ولعل أبرز أصدقاء الأرمن من البريطانيين الذين ترد أسماؤهم في هذا المجال هم: جيمس برايس، وغلادستون، وارنولد توينبي. وعلى هذا الأساس كانت بريطانيا شعباً وحكومة مساندة وداعمة بقوة لتأسيس كيان أرمني في الولايات الست، ولكن الساسة البريطانيين اصطدموا بواقع مرير لم يتوقعوه بهذا الشكل بعد انتهاء الحرب العالمية، وهو أنه لم يبق في الولايات الست إلا العنصر الكُردي، الذي أصبح من أكبر العوائق أمام تأسيس دولة أرمنية فيها.

وظهر واضحاً مدى حظوظ كل من أرمنستان وكُردستان لدى بريطانيا، والفرق بينهما في الجلسة الأولى، المخصصة للدولة العثمانية في مؤتمر باريس للسلام التي عقدت في 30 كانون الثاني/ يناير 1919، حيث جرت مناقشة واسعة للمشروع الذي تقدم به الجانب البريطاني في المؤتمر، واتضح في تلك الأثناء جانباً مثيراً للفضول؛ فقد تبيّن أن عبارة (كُردستان) لم تكن موجودة في المشروع الأول الذي تقدمت به بريطانيا، وقال لويد جورج (Lloyd George) رئيس وزراء بريطانيا حرفياً بعد إدخاله تعديلاً على مشروع الوفد البريطاني: «إن مما يؤسف له أنه أغفل بلداً واحداً داخلاً في عداد تركيا،

لأنه ظن أن ميسوبوتاميا وأرمينيا تغطيان عليه، لكنه أبلغ بأن الأمر ليس كذلك، وهذا ما يتعلق بكُردستان، التي تقع بين ميسوبوتاميا وأرمينيا، ولهذا فإنه يقترح أن لم تكن ثمة اعتراضات بضم (كُردستان) أيضاً إلى المشروع»، ولم يلقَ ذلك أي اعتراضات[283].

بمجرد معرفة هذه القضية يتضح جانب مهم عن السياسة البريطانية تجاه المسألتين الأرمنية والكُردية، ففي المشروع الذي قدمته إلى مؤتمر السلام في باريس، كما هو معروف كان اسم أرمينيا يأتي في المقدمة، كما مر سابقاً، واسم كُردستان لم يكن مكتوباً وموجوداً في المشروع البريطاني أصلاً، فأين تكمن حظوظ كُردستان بعد ذلك، أمام حظوظ أرمنستان المدعومة من كل الأطراف الدولية؟!

في اجتماع عقده بعض الساسة البريطانيين برئاسة غلادستون في مدينة وستمنستر في 19/ 6/ 1919، لبحث المسألة الأرمنية وحدود أرمنستان، وكان حاضراً في الاجتماع جيمس برايس، وانترانيك باشا، و(18) مندوباً من الولايات المتحدة الأميركية، وقد عقد هذا الاجتماع تحت اسم (أرمينيا والحل)[284]، تحدث في البداية جيمس برايس عن حدود أرمينيا الكبرى، وذكر تفوق العنصر الأرمني مدنياً على جميع العناصر في الدولة الأرمنية التي ستؤسس في الأناضول، وأن المشكلة الوحيدة التي يخشى منها تأتي من الكُرد؛ إنهم شعب لا يعرف الهدوء، ولكن بعد ذلك كله فإن الاضطرابات التي تسبّبوا بها خلال (60) أو (70) سنة الماضية، كان بتحريض من الأتراك، ومتى زال النفوذ التركي سوف لا يوجد هنالك أي سبب لحدوث أي اضطرابات، كما أن الكُرد سوف يستقرون. وأعتقد، يقول برايس: «إن قوة عسكرية صغيرة سوف تمنع أي اضطراب بين الكُرد وجيرانهم المسيحيين، وفي بعض المناطق التي يشكل فيها الكُرد الأغلبية فإنهم بطريقة أو بأخرى يتمتعون باستقلاليتهم، وإن هذه

المسائل كلها سوف تُسوّى إذا ما قامت كل الدول بتكريس جهودها على اتباع طرق معينة لحسم المسائل»[285]. ثم تحدّث في الاجتماع عدد من الشخصيات الأخرى وكان من بينهم اثيلستان ريلي (Athelstan Riley)، الذي تطرق إلى الكُرد على النحو الآتي: «... في المقام الأول ليس للكُردي أي شيء يبيعه، وفي المقام الثاني يعد الكُردي سارقاً محترفاً، وهكذا كان على مر القرون، فقد عرفنا ذلك وعرفنا ذلك أكثر مع الانسحاب المشهور لعشرة آلاف إغريقي[286]، فإنه سارق وفرد من أفراد العصابة، ولا يمكن في أي حال من الأحوال أن يعم النظام والسلام في أرمينيا والدول المجاورة لها، إلا إذا أصبحت هذه الأرض تحت حكومة قادرة على أن تفرض النظام على الكُرد...»[287].

وفي ختام الاجتماع قُرِئ القرار الآتي والذي حظي بموافقة الجميع: في الوقت الذي أعرب المجتمعون عن قناعتهم بأن تركيا تدرك أن دولة أرمنية حديثة سوف تقام بعد قرون من المعاناة، وسوف تقوم هذه الدولة بفضل المساعدة الودية لعصبة الأمم، وإنها ستحتضن كل الأرمن المتواجدين في حدود المملكة الأرمنية القديمة، بمن فيهم الأرمن الذين يسكنون كليكيا في الجنوب وعبر القوقاز في الشمال (حيث توجد حالياً جمهورية أرمنية مستقلة)؛ لذلك اتفق المجتمعون على أن حدود الدولة الأرمنية ستكون هي الحدود نفسها التي حددتها المذكرة الأرمنية إلى مؤتمر السلام في باريس[288].

ولكن الواقع الذي نشأ في الولايات الست نتيجة ظروف الحرب العالمية قد أقنع بريطانيا بتقسيمها بين كل من الكُرد والأرمن، أما أبرز الأسباب التي كانت وراء هذا التغيير في السياسة البريطانية فيكمن في:

1 ـ نشوء الحركة الكمالية وظهورها في تلك المنطقة، والتخوف من تحالف الكُرد معها بسبب المسألة الأرمنية، ففي هذا الصدد مثلاً كتب كالثروب (Calthorpe) المندوب السامي البريطاني في تركيا في نهاية تموز/

يوليو 1919 إلى وزير خارجية بريطانيا اللورد كيرزون(Curzon) يقول: إن الشائعات حول تشكيل (أرمينيا الكبرى) قد تدفع بعشرة آلاف كُردي، يقطنون بين بايزيد وقره كليس للانضمام إلى الأتراك، ومحاربة الأرمن تحت راية الإسلام[289].

2ـ غلبة العنصر الكُردي في تلك الولايات بشكل واضح، حسب بعض التقارير البريطانية، التي تناولت المسألتين الأرمنية والكُردية بطريقة محايدة، عكست الواقع الحقيقي في شمال كُردستان للساسة البريطانيين.

ومن بين تلك التقارير البريطانية التي أنصفت الكُرد في هذا المجال تبرز تقارير السير ارثر هيزرل وهو من كبار المسؤولين في وزارة الهند البريطانية، وكذلك تقارير كل من الضابطين البريطانيين وولي ونوئيل.

ففي تقرير للكابتن سي.ال. وولي، الذي زار جنوب غرب كُردستان، يعود تاريخه إلى 7 تموز/ يوليو 1919، يذكر أن الكُرد في الولايات الست يشكلون الأغلبية المطلقة من السكان فيها[290]. وقد أشار هيرزل في تقرير له بتاريخ 17/ 8/ 1919، معتمداً على تقرير الكابتن وولي أيضاً، إلى المسألتين الأرمنية والكُردية بهذا الشكل:

«إن المسألة الأرمنية هي المسألة الكُردية، وهي تتطلب بإلحاح صياغة سياسية محددة... لكن المسألتين لا يمكن فصلهما. إن الصعوبة العملية تكمن في أن الرأي العام في العالم المتمدن، المشرب حقاً بأنباء المذابح مدة نصف قرن يطالب بخلق دولة أرمنية مستقلة، ولكن هذا على ضوء الظروف السائدة يتناقض مع واقع الحال، ومع مبادئ حق تقرير المصير المقبولة. وواقع الحال هو أن عدد الأرمن قليل جداً في أي مكان فيما عدا كليكيا وإن يكن هذا نتيجة للمذابح؛ وهكذا يتعين لوجه العدالة إغضاء الطرف عن هذه القلة على ضوء

ذلك. ويظل الواقع واقعاً ويذهب الأكراد إلى هذا القول، ولا يستطيع أحد أن يلومهم عليه، وذلك من عدم إمكان خضوع أكثرية كبيرة لأقلية صغيرة...»[291].

ربما كانت تقارير الميجر (نوئيل)، الذي كان من أبرز المساندين لتشكيل دولة كُردية على جميع أراضي الكُرد، هي التي أجبرت الساسة البريطانيين، ليس على تغيير سياستهم تجاه الكُرد بشكل عام، وإنما على إعادة التوازن بين المسألتين الأرمنية والكُردية، ولعل من أبرز تقاريره في هذا المجال هو التقرير المعنون (ملاحظة في الوضعية الكُردية ـ Note on the Kurdish Situation)، الذي كتبه في تموز/ يوليو 1919، وأفرد في تقريره هذا، الكثير من المعلومات والأفكار حول العلاقات الكُردية الأرمنية، وما هو الدور الكُردي في المذابح الأرمنية؟ وبالمقابل ما هو الدور الأرمني في المذابح الكُردية خلال الحرب العالمية الأولى؟

فتحت عنوان (المميزات الملية ـ القومية) يقول نوئيل: «لسوء الحظ إن الكُردية (الكُردي) في أوروبا، يلاحظ كرجل وحشي، وبربري، والذي جل عمله في الحياة هو ذبح الأرمن، ويشكل فهم كيف أن هذه الفكرة الكاذبة تماماً أصبحت شائعة من أن جميع السياح الأوروبيين لأجل الملاحظة في كُردستان، قد رجعوا وهم في فكر مساعد جداً للأكراد مع هذا، بسبب فعالية الصحف التبشيرية والجمعية الأرمنية القوية جداً في انكلترا، فإن فكرة عامة مضادة للأكراد رائجة في أوروبا...»[292].

وعن صلة الكُرد بالأرمن يذكر نوئيل أن الكُرد والأرمن إلى عام 1860، كانوا قد رتبوا أن يعيشوا معاً تحت شروط ودية، كما يشهد بذلك الأرمن أنفسهم، ولكن سياسة السلطان عبد الحميد الثاني ومن بعده الاتحاديون هي التي أوجدت أسباب البغض والحقد بينهم، أما المذابح الأرمنية في عام 1895 وعام 1915، فقد قامت بها تماماً السلطة العثمانية، ولما كنت في دياربكر،

يذكر نوئيل: سألت بصورة خاصة الرؤساء المسؤولين للطوائف المسيحية المتعددة عن علاقاتهم مع الكُرد أنفسهم، فأجابوني بتأكيد أنه إذا انتفى التأثير التركي المخرب في المنطقة، فإنه لا يوجد سبب لعدم تعايش الشعبين بسلام معاً، كما أن أحداث الحرب العالمية الأولى أثبتت أن الكُرد لم يرضخوا للأوامر التركية بشأن المذابح، لذا فقد أنقذوا العديد من الأرمن وخصوصاً في درسيم؛ ثم يقول نوئيل: «إن الحقيقة التي لم تعرف كفاية في أوروبا، هي أن الأرمن والملل النصرانية الأخرى، تحت ستار القطعات الروسية في سني الحرب الثلاثة الأولى، عند إشغال الروس للولايات الشرقية، قد اقترفت سلسلة من المذابح بالأمة (المحمدية)، التي إن لم تكن في كل حادثة باتساع ما قاساه الأرمن في 1915، ولكنها تعادلها وحشية وقساوة؛ في منطقة راوندوز التي زرتها هذا الشتاء وجدت إن بلدة راوندوز نفسها قد محيت تماماً ليس من قبل الروسيين بل من قبل الجيش النصراني المنتقم الذي رافقهم... إن كل من له اختبار عام عن هذه البلاد، يدرك بكمال الوضوح، أنه لو أطلقت يد الأرمن لأظهروا أنفسهم وحشيين وسفاكين للدماء، إن لم يكن أكثر فمثل الأكراد»[293].

وتحت عنوان (الخطأ العام في فهم الأكراد) يقول: إن الكُردي بعيد عن أن يكون ذابحاً للنصارى، كما أراد الأرمني أن يعرفه للعالم بهذه الصورة، بل إن الكُرد هم من حافظوا على الأرمن من الأتراك، وأنه ثبت خطأ مقولة أن الكُردي لا يمكن أن يعيش بدون الأرمن لجهله بأمور الاقتصاد؛ فإن من الكُرد الآن من هم تجار وصناع وأصحاب دكاكين[294]، ويبيّن في موضع آخر خوف الكُرد من الأرمن بقوله: «... إن الكُردي يعرف جيداً بأن الأرمني سيذبحه إذا ساعدته الفرصة، إن الخوف بالاتحاد مع الغرور الجنسي والبغض الشديد للأرمن، يعطي الكُردي ميلاً شديداً للمحاربة، عوض التسليم للسيطرة الأرمنية. إن

الكُردي بصورة عامة مع وجود المستثنيات، ليس بالمسلم المتعصب كثيراً، ومن جهة أخرى إن للإسلامية عليه بعض القوة...». كما أن الاعتراف بمطالب الأرمن في الولايات الست سيخضع كل عشرة من الكُرد لواحد من الأرمن[295]. بعدها يهاجم نوئيل تقارير وإحصائيات الأرمن، التي قدموها إلى مؤتمر السلام، ويؤكد أنها بعيدة عن الحقيقة، كما يذكر أن الإحصائيات التركية التي أجريت قبل الحرب العالمية الأولى هي أكثر حيادية وبفارق كبير عن الإحصائيات التي قدمها الأرمن إلى مؤتمر السلام، وإن الإحصاء التركي لم يقلل عدد المسيحيين، لأنه كان يشكل أساساً لوضع الضرائب التي كانت من أهم منابع الواردات من المسيحيين، وإن ولايات وان، وبتليس، ودياربكر، ومعمورة العزيز، يشكل الكُرد فيها ما نسبته (80 %) تقريباً[296].

وأخيراً يقترح نوئيل تطبيق المقترح الذي تقدم به في وقت سابق، نائب الحاكم المدني البريطاني في العراق الكولونيل ولسن، وهو تقسيم تلك المنطقة بين الكُرد والأرمن، على أن تُعطى للأرمن ولايتا طرابزون وأرضروم، وتوضع تحت الحماية الأميركية، في حين تعطى للكُرد الولايات الأربع الباقية، وان، وبتليس، ومعمورة العزيز، ودياربكر، وتديرها بريطانيا، وإذا استحال تطبيق هذا الحل فالخيار الوحيد المتبقّي هو إرجاع السلطة التركية عليها من جديد، على أن تكون تحت مراقبة أوروبية[297].

مع ورود مثل تلك التقارير إلى الساسة البريطانيين، وكذلك الخوف من تعاظم الحركة الكمالية في الولايات الست، وتحالف الكُرد معهم، ضغطت بريطانيا على الأرمن لكي يتفقوا مع الكُرد في مؤتمر السلام بباريس ويقدموا مشروعاً مشتركاً[298]، للوقوف بوجه الحركة الكمالية، وفعلاً نالت بريطانيا ما أرادت عندما قدم الوفدان الكُردي والأرمني في مؤتمر السلام مذكرة إلى رئيسه بتاريخ 20 تشرين الثاني/ نوفمبر1919، وأدناه نص تلك الاتفاقية:

«سيادة الرئيس، نحن الموقعين أدناه الممثلين للشعبين الأرمني والكُردي، لنا الشرف أن نبلغ مؤتمر السلام أن شعبينا لهما المصالح نفسها، ويرميان إلى الأهداف ذاتها، ويدركان حريتهما واستقلالهما، وخصوصاً للأرمن وانعتاقهم من السيطرة القاسية للحكومة العثمانية أي تحررهم من نير الاتحاد والترقي..ونحن موحدون جمعياً في الطلب من مؤتمر السلام، أن يقرر استناداً على قاعدة مبادئ خلق أرمينيا موحدة مستقلة وكُردستان مستقلة، مع المساعدة من إحدى الدول العظمى...»[299].

استبشرت بريطانيا كثيراً بهذا الاتفاق، الذي ربما لم يكن أحد يتوقعه، حيث علق المندوب السامي البريطاني في استانبول دي روبك (De Robeck)، على هذا الاتفاق بأنه: «من أسعد البشائر... وليس بوسعي تخيل شيء أفضل من هذا لأجل سلامة وسعادة جميع الأطراف الداخلة في إطار هذه المسائل، وإنني افترض أن هذا الاتجاه يلاقي التشجيع وكل عناية متوجبة»، كما أرسل اللورد كيرزن من جانبه توجيهات إلى دي روبك، طالباً منه تقديم كل تشجيع ممكن في تقوية الصداقة الأرمنية ـ الكُردية[300].

لقد كان الهدف الأساسي لتلك السياسة البريطانية هي فقط الوقوف في وجه الحركة الكمالية، ولأول مرة في تاريخ السياسة البريطانية تجاه الكُرد، يقوم الساسة البريطانيون بالضرب على وتر الشعور القومي الكُردي، وذلك لأنه إلى جانب الصداقة الأرمنية الكُردية، رأت بريطانيا أنها السبيل الأفضل للوقوف في وجه الدعاية الكمالية في الولايات الست، والتي اعتمدت في كسب الكُرد إلى جانبها على شعارين هما الوحدة الإسلامية، والإخوة الكُردية ـ التركية، ولكن في نهاية المطاف صبت السياسة البريطانية في مصلحة الأرمن بدرجة كبيرة، كما سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

أما بخصوص الكُرد والأرمن فقد أثبتت الأحداث بعد ذلك عدم إيمان

كلا الطرفين بهذا الاتفاق، رغم استبشار الكُرد والأرمن به في بداية إعلانه، فلم تمض إلا أيام قلائل حتى اختلفت الأحزاب الأرمنية نفسها فيما بينها، وتبرأ العديد من الأرمن من هذا الاتفاق بعد ذلك[301]. من جانبهم كان إعلان هذا الاتفاق والنقاشات التي جرت بعده سواء بين الكُرد والأتراك في استانبول، أو بين أعضاء جمعية تعالي كُردستان، السبب الرئيسي في انشقاق الجمعية الكُردية، وقيام البدرخانيين مع مجموعة من الشخصيات الكُردية الأخرى بتشكيل جمعية أخرى عرفت في تاريخ الكُرد الحديث بـ(جمعية التشكيلات الاجتماعية) ترأسها أمين عالي بدرخان، وأدت تلك التطورات بشريف باشا إلى أن يعلن استقالته في نيسان ابريل 1920، من رئاسة الوفد الكُردي في مؤتمر السلام بباريس[302].

سادساً ـ نشوء الحركة الكمالية وتطورها في شمال كُردستان ونهاية المسألة الأرمنية

كثيراً ما حير نجاح الحركة الكمالية في شمال كُردستان أغلب الساسة والمراقبين آنذاك، وحتى الباحثين والمؤرخين بعد ذلك، فدارت أسئلة في خلد هؤلاء، مفادها: ما هي الظروف التي نشأت فيها الحركة الكمالية؟ ثم كيف تطورت وانتشرت بسرعة كبيرة، حتى سيطرت على جميع الأناضول في غضون سنتين أو أكثر بقليل؟ وكيف أثرت شعارات تلك الحركة في الكُرد في شمال كُردستان، القاعدة الأولى للحركة الكمالية؟ ثم لماذا تحالف الكُرد معها؟ هل كان في نية الكُرد التخلص من الأرمن بمساعدة الأتراك، ثم الالتفاف عليهم وإعلان استقلال كُردستان أم العكس هو الصحيح؟ ربما إن طرح مثل هذه الأسئلة لا ينتهي، وكل سياسي، وباحث، ومؤرخ، يعزو نجاح الحركة الكمالية إلى سبب مختلف. ولكن في خضم كل من طرح الحركة الكمالية على بساط البحث في محاولة لكشف أسباب نجاحها يظهر أن المسألة الأرمنية كانت من أهم أسباب نجاحها بين الكُرد، إن لم تكن هي السبب الوحيد الذي دفع بالكُرد إلى التحالف معها، في زمن لم يجد هؤلاء صديقاً لهم غير الجبال والأتراك.

تعود سمعة مصطفى كمال باشا بين الكُرد إلى الحرب العالمية الأولى، عندما تمكن من استرجاع بتليس من الروس لبعض الوقت في عام 1916،

كما مر سابقاً، وقد اطلع عن قرب على مشاعر العداوة بين الكُرد والأرمن، وكان شمال كُردستان هو المنطقة الآمنة لكي يبدأ حركته منها، فبعد انسحاب الجيش الروسي منها، وإعطائها كمناطق نفوذ لبريطانيا، التي لم تقم باحتلالها مثل بقية المناطق التي حددتها لها اتفاقية سايكس ـ بكو ـ سازانوف عام 1916، كان الكُرد في شمال كُردستان أشبه ما يكونون مستقلين فيها، والتهديد الوحيد الذي تخوف منه الكُرد هو الجمهورية الأرمنية في يريفان التي تدعمها بريطانيا.

يكمن سبب نجاح مصطفى كمال باشا في الظفر بتحالف الكُرد معه إلى أعمال جمهورية يريفان والسياسة البريطانية في المنطقة، فما أن أعلنت الدولة العثمانية استسلامها في الحرب حسب بنود معاهدة مودروس، حتى قام الجيش العثماني بالانسحاب من القوقاز، والتحصن في حدوده التي كان عليها قبل اندلاع الحرب العالمية في عام 1914، وعلى أثرها قامت القوات التابعة لجمهورية يريفان باحتلال المناطق، التي انسحب منها الجيش العثماني مثل باطوم، وقارص، ولكنها لم تتمكن من الدخول إلى مراكز تلك المدن نتيجة للمقاومة، التي أبدتها مجالس الشورى الوطنية والإسلامية، التي كانت قد تأسست بعد انسحاب الجيش العثماني منها[303]. وواكبت عملية احتلال جيش جمهورية يريفان لتلك المناطق مذابح بحق السكان المسلمين والكُرد فيها، مما أدّى إلى هجرة واسعة لسكانها إلى أرضروم والمناطق القريبة من الحدود[304].

في 13 نيسان/ ابريل 1919، قام البريطانيون باحتلال مركز ولاية قارص[305]، ذي الأغلبية الكُردية، وحل البريطانيون مجلسها الإسلامي (الوطني)، وألقوا القبض على (12) من أعضائها، وتمكن علي رضا وهو كُردي كان عضواً في مجلس قارص، من الهرب إلى الدولة العثمانية، ومن

هناك على الحدود قاد عمليات (كرّ وفر) ضد القوات الأرمنية والبريطانية فيها[306].

سلم البريطانيون السلطتين المدنية والعسكرية في قارص إلى الأرمن، إذ كان من المتوقع أن يصبح الإقليم جزءاً من الجمهورية الأرمنية الجديدة[307]، وقد عُيِّنَ الجنرال الأرمني الطاشناقي كاركانوف (Karganof) والياً على حكومة قارص، وبعد انتهاء حكومة الشورى في قارص دخلت منطقة ساريقاميش تحت النفوذ الأرمني أيضاً[308]، ولتبدأ في تلك المناطق من جديد معاناة المسلمين والكُرد على يد الأرمن، الذين قاموا بعمليات قتل ونهب، والاستيلاء على الأراضي في تلك المناطق، مما دفع العديد منهم للهرب إلى شمال كُردستان والتمركز في مدن أرضروم وبايزيد واولتو وغيرها[309].

قام الأرمن حسب رئيس مركز الجمعية الإسلامية الوطنية في جنوب غرب القوقاز الدكتور عزت اوكتاي (Esad Oktay)، بالهجوم على قارص وباطوم، بعد انسحاب الجيش العثماني منها في 1/ 1/ 1919، وقامت الحكومة الأرمنية وبصورة متعمدة بإرسال وحدات عسكرية لإبادة الكُرد في اكَري وكاراكورت، أما الكُرد الذين هاجروا من ضواحي يريفان واستقروا في قرى ساريقاميش، واولتو، وبني سليم، وقرى أخرى أخلاها الأرمن سابقاً، فقد طلبت الحكومة الأرمنية منهم مغادرة تلك القرى أيضاً، ولكن الكُرد الذين لم يتمكنوا من إيجاد ملجأ آخر لهم لم يخلوا تلك القرى ضمن المدة الزمنية التي أعطيت لهم، وعلى إثرها قام أحد القادة الأرمن بذبح جميع هؤلاء الكُرد، وإن الأعمال الوحشية الأرمنية، حسب قوله، استمرت في شهر حزيران/ يونيو وتموز/ يوليو ضد الكُرد والأتراك، وتركت هذه العملية أكثر من (40000) متشرد. إن المُسوِّغ الوحيد لهذه الأعمال الوحشية حسب الأرمن هو أن الكُرد الذين كانوا يدينون بالولاء إلى حكومة قارص امتنعوا عن انتخابات النواب

الأرمن، وهي الانتخابات التي جرت من أجل الجمعية في يريفان، وإن هذا الامتناع تم التأكيد عليه بوكالات الأنباء الأرمنية في 6/ 6 و4/ 7، وقد وصل عدد القتلى إلى عشرات الآلاف وأكثر من (15000) ألف ظلوا مشردين، وبدأت الهجرة بعد ذلك إلى أرضروم[310]. ومن جانبه ذكر كاظم قره بكر في عدد من تقاريره أن المسلمين في المناطق التي انسحب منها الجيش العثماني بعد هدنة مودروس كانوا دون حماية تقريباً، وعملت الفرق الأرمنية التابعة ليريفان، حسب قوله، على إبادتهم وارتكبت بحقهم جرائم وحشية وبشعة لا يمكن وصفها[311].

اشتدت العمليات العسكرية الأرمنية، في القوقاز أثناء شهر حزيران/ يونيو 1919 والتي فر بسببها الآلاف من المسلمين إلى الحدود العثمانية؛ فقد وقع قتال بين الأرمن والكُرد نتيجة لذلك في المنحدرات الشمالية ـ الشرقية لجبل أرارات، وفي أيلول/ سبتمبر دمرت القوات الأرمنية القرى الكُردية الواقعة بين أرارات وبايزيد[312].

تحدث الجنرال هاربورد في تقريره عن هؤلاء الكُرد، الذين كانوا قد هربوا من الأرمن في قارص، بقوله: «...فقد دعا الكُرد هذه البعثة والدموع تملأ عيونهم لحمايتهم من الأرمن، الذين طردوهم من قراهم، وقد طلبوا من البعثة السماح لهم بالعودة إلى منازلهم، بسبب موسم الشتاء القاسي، الذي يقترب منهم، وقد ذكر أحد الكُرد أن العديد من أبناء شعبهم ذبحهم الأرمن غير النظاميين، الذين كانوا بمصاحبة الروس البلشفية تحت أقصى الظروف عندما تقطعت أوصال الجيش الروسي بعد انهيار الإمبراطورية، وهنالك دعوات مماثلة من السكان في أرضروم، الذين أشاروا إلى الأبنية المحروقة، التي مات فيها المئات من الأتراك...»[313].

ويلقي المؤرخ لازاريف على عاتق حزب الطاشناق الذي تسلم الحكومة

في يريفان مسؤولية كبيرة عن تدهور العلاقات بين الكُرد والأرمن بعد انتهاء الحرب، فيذكر أنهم قاموا بملاحقة السكان الكُرد والأتراك في الأراضي التي كانت تحت إشرافهم، وسلموا الأراضي التي أخذوها منهم إلى المتنفذين من أعضاء الحكومة والبرلمان؛ فأعمال النهب والمجازر الدموية ضد السكان المسلمين، التي جرى التسويغ لها بالثأر عن الماضي قد أثارت شكاوى كثيرة انتشرت على نطاق واسع[314].

لقد كان للاحتلال البريطاني لولاية قارص، ذي الأغلبية الكُردية، وتسليمها للأرمن أكبر الأثر في فشل السياسة البريطانية في شمال كُردستان، ويبدو أن الكُرد منذ تلك اللحظة وخصوصاً في الولايات الحدودية مثل وان، وأرضروم، وبايزيد، وحتى بتليس قد فقدوا أي أمل في البريطانيين الذين كانوا وعلى الدوام منذ ظهور المسألة الأرمنية يحاولون إقامة دولة أرمنية على أراضٍ عدّها الكُرد تدخل في صميم بلادهم كُردستان.

كما كان لاحتلال اليونان لأزمير في أيار/ مايو 1919، وهجرة عدد كبير من المسلمين منها تأثير كبير في تحالف الكُرد مع الحركة الكمالية[315]. لقد كان من المتعذر تجنب رد الفعل الكُردي على حد وصف المؤرخ الإنكليزي ديفيد مكدول، كما تفرق بسرعة الآلاف ممن كانوا يعيشون في وهم الأفكار القومية نتيجة التهديد المسيحي المتزايد، ولم تجد الحكومة العثمانية صعوبة في إثارة التضامن الإسلامي بمفهومه الشامل: «لقد انتشرت أخبار عن مجزرة للمسلمين على يد اليونان، وطلب من الأكراد أن يجروا مقارنة بين أزمير ودياربكر، فالانكليز سوف يأتون أولاً ويحتلون المدينة، والتي سوف تكون مقدمة لوصول القوات الأرمنية، كل هذه الإجراءات أعطت تأثيرها الطبيعي»[316].

استغل مصطفى كمال باشا تلك الظروف السلبية والمتوترة الناشئة بين

الكُرد والأرمن أحسن استغلال، فعند وصوله إلى سيواس في أيار/ مايو 1919، استقبله الكُرد بحفاوة هناك[317] ثم ما لبث أن قام بتوحيد (لجان الاستقلال التركية ـ الكُردية) وتعرف أيضاً باسم(لجان الدفاع عن حقوق الولايات) التي كانت قد أُنشئت في بداية العام 1919 في خربوط، وأروفا، وماردين، ودياربكر، وأرضروم، وجزيرة بوتان، وكان للكُرد الدور الأكبر في تلك اللجان[318]. وذكر مصطفى كمال في مذكراته: «يبدو أن التخوف من إلحاق الولايات الشرقية بأرمينيا هو الدافع لتشكيل لجان الدفاع»[319]. كانت الدعاية الأساسية التي اعتمدت عليها تلك اللجان هو الادعاء بتحويل كُردستان إلى أرمنستان، وكان وراء هذه الدعاية كاظم قره بكر، والهدف منها على ما يبدو كسب ود الكُرد واستخدامهم ضد الأرمن[320]. وفي هذا الصدد ذكر قره بكر أنه كان بالإمكان حل المسألة القومية الكُردية في شمال كُردستان بسهولة، وذلك من خلال إفهام الكُرد، عن طريق باشاواتهم أن كُردستان ستصبح أرمنستان. وقال في كتابه (حربنا الاستقلالية) إنه: «كان واضحاً أن الدعايات الجارية بشأن استقلال كُردستان لن تتوقف بسهولة، لذا بدأت بتغيير رأي جميع الكُرد من خلال إعلاني بأننا لن نقوم بإلحاق الأذى بشعبنا الكُردي، واستخدمت عبارة (يراد جعل كُردستان أرمنستان) كسُمٍ مضاد»[321].

أما الزعيم الحميدي الكُردي خالد بك جبراني، الذي كان من أقوى الزعماء الكُرد آنذاك المتحالفين مع مصطفى كمال باشا، وهو الذي أسس التنظيم الكُردي المشهور (ازادي) في أرضروم في عام 1923، فقد ذكر: أنه بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى خُوّف الكُرد من ذوي النفوذ رفيعي المستوى بأرمنستان، وأنه يتوجب عدم الانخداع بعهود الإنكليز بشأن تشكيل كُردستان، كما أن الكُرد ليس بإمكانهم تأسيس دولة وحماية وجودها بمفردهم حسب

قولهم، وما أن تُؤسس دولة كُردية ستُعطى لأرمنستان، لذلك يجب إفهام الكُرد أن سلامتهم تكمن في عيشهم كإخوة مع الأتراك، وتحريك عواطفهم الدينية والوطنية بهذا الشأن والاتجاه[322].

ومنذ وصول مصطفى كمال باشا إلى شمال كُردستان لم يتردد بمراسلة الزعماء والآغوات الكُرد، يدعوهم إلى توحيد الجهود للدفاع عن وطنهم وإخراج المحتل منه. وإن الشيء المشترك في جميع تلك الرسائل هو تخويف الكُرد من الأرمن، وإنهم وبمساعدة الانكليز سيحولون بلادهم إلى أرمنستان، فوجه رسائل إلى كل من (الحاج مصطفى بك رئيس العشيرة في موتكي)، و(حضرة الشيخ عبد الباقي الكفروي زاده في بتليس)، و(حضرة عبد الرحمن آغا السيوركي) و(حضرة درويش عمر آغا) و(حضرة رسول آغا الموساشلي) و(حضرة جميل جتو بك من رؤساء كارزان)، يقول فيها: «إني مطلع عن كثب على وفائكم، ببذل المحامد الممتازة التي أظهرتها ذواتكم الفاضلة في خدمة الجيش العثماني، والروابط القبلية التي أبدتها تجاه مقام الخلافة المعلى والسلطنة طوال الحرب العالمية، إنه لمعلوم لذواتكم العارفة كيف أن الخلافة والسلطنة العثمانية، ووطننا المقدس، يتعرض إلى الأذى [الإهانة] ويجري الإصرار ـ من جانب الأجانب ـ على إعطاء ولاياتنا الشرقية هدية للأرمن»[323].

من المعروف أن مصطفى كمال عقد أول مؤتمر لأنصاره في أرضروم[324]، بتاريخ 23 تموز/ يوليو 1919، يقول حسن هشيار: المؤتمر الأول للكماليين عُقد في أرضروم، فقط لكي يكسب مصطفى كمال باشا الزعيم الحميدي الكُردي خالد بك جبراني لقوته ومكانته في المنطقة[325]، وكان يرأس جمعية (الدفاع عن الأناضول) فرع أرضروم رائف بك، وقد كان كُردياً، وهو الذي أفسح المجال لمصطفى كمال لكي يأخذ مكانه في مؤتمر الجمعية ويلقي

خطبته، التي أجج فيها بشكل واضح مخاوف الكُرد من الأرمن بقوله: «... لقد أبدت حكومة استانبول من العجز والمذلة، بحيث تجرأ الأرمن لإقامة دولة لهم في ولاياتنا الشرقية العزيزة، بينما احتل اليونانيون مناطق تراقيا كافة، واحتلت الدول المؤتلفة بقية مناطق الأناضول، من أجل قتل كل أمل لهذا الشعب في الحياة والكرامة والاستقلال»[326].

إن السلطات التركية في الأناضول بقيادة مصطفى كمال باشا لم تستطع القيام بحرب علنية واسعة ضد الكُرد، في ظروف التدخل الأجنبي، ولهذا انحصرت مهمتها في تلك المرحلة لا في قمع الحركة الكُردية، وإنما في الحفاظ على حكمها في كُردستان، واستخدام الإقطاعيين الكُرد في مقاومة الحركة الأرمنية[327].

في نهاية سنة 1919 أبدت نحو (70) قبيلة كُردية، ناهيك عن الأعيان المدنيين تأييدها لمصطفى كمال، تلك القبائل التي كانت تعيش في المناطق التي بدا فيها التهديد أكبر، أي في الحدود الشرقية والجنوبية للأناضول، وفي طليعتها كانت قبائل الملان، والجلالي، والحيدراني في الشرق[328]، ومن أبرز الزعماء الكُرد الذين ساندوا الحركة الكمالية واشتركوا في حروبها، ضد أعدائها في الشرق وفي الغرب هم: خالد بك جبراني، وبرو حسكي تيلي، وموسى بك، وكور حسين باشا، وجلهم كانوا من الحميدية[329].

لم تتمكن قوات جمهورية يريفان من الوصول إلى أبعد من قارص، رغم وصول نفوذها إلى بعض المناطق القريبة من ساريقاميش وبايزيد، لذلك بادرت إلى اتباع سياسة الكماليين نفسها تجاه الكُرد، وهي إرسال رسائل اطمئنان وودّ إلى زعماء العشائر الكُردية، وبدأت تلك السياسة منذ أواخر العام 1919 واستمرت حتى نهاية شهر أيار/ مايو1920[330]. وكانت بعض

تلك الرسائل تشدد على الأخوة الكُردية الأرمنية وضرورة اتحاد الشعبين في مواجهة الأتراك، وبعضها تحمل في طياتها تهديداً مُبطّناً للكُرد إذا لم ينحازوا للأرمن، في معركتهم ضد الكماليين.

أرسل أحد وجهاء الأرمن والمدعو حاجادور آغا (Haçador Aga) منذ شهر تشرين الأول/ أوكتوبر 1919[331]، رسائل إلى الشخصيات العشائرية الكُردية المعروفة أمثال: السيد حميد، والسيد علي ميرزا، واحمد حاسو آغا، ويوسف آغا، يدعوهم فيها إلى الوحدة، وقد جاء فيها: «إن خلق العلاقات الحسنة مع صاحب الدولة، وأن نصبح في حال من الحميمية والأخوة مع الكُرد جميعاً لمن أكبر آمالنا وأهدافنا. إن الصداقة إنْ لم تكن اليوم فغداً، ستحقق بيننا وبين الكُرد حتماً، لماذا لم ترجح الأمة الكُردية، التي نعرفها في غاية من علو الجناب والأصالة طريق الاتفاق معنا؟ إن الضباط والأمراء المنخرطين جميعاً في صفوف جبهتنا هذه سنشكلها مع أمراء الكُرد والعشائر الكُردية والأمة الكُردية، لفي أهبة الاستعداد والرغبة في التلاحم والتضامن»[332]. ولكن حاجادور آغا المارّ ذكره تلقى الرسالة الصريحة الآتية من جانب الزعماء الكُرد: «تسلمت رسالتكم، وما يجب أن يعلم أنه فيما كان الأرمن يواصلون حياتهم بمنتهى السعادة في حضن الإسلام لم يتورعوا عن ارتكاب أي نوع من جلي أو خفي، من السيئات في سبيل مقاصدهم الأصلية، ومنها فرارهم من الجبهة مسلحين في هذه الحرب، والالتحاق بصفوف الجيش الروسي، ولا شك أنكم لن تنكروا ذلك، إذن، لم يبق أي مكان للاتفاق بين الكُردية المسلمة والأرمن، الذين يظهرون خلاف ما يبطنون، لن تقف الأمة الكُردية أبداً إلى جانب الأرمن، الذين يرون من المباح، كلما سنحت لهم فرصة، محو الإسلام، وطعن نفوس المسلمين بالمعاول والحراب والعدوان

على المقدسات العثمانية، بصورة مغايرة تماماً للشعار الإنساني، وإن الأمة الكُردية التي يربو عدد نفوسها على عشرة أضعاف الأرمن لن تخضع إلى حماية الأرمن، ومن المحال أن تخضع»[333].

كان لفشل الدعاية الأرمنية بين الكُرد تأثير سيئ في الأرمن، الذين وجهوا بعد ذلك رسائل تهدد وتتوعّد الكُرد، إذا لم ينسقوا مع القوات الأرمنية التابعة ليريفان، وهذا ما ظهر جلياً في البيان المؤرخ في 15/ 3/ 1920، الذي أصدره القائد العسكري الأرمني في اغدير، حيث خاطب الكُرد بالشكل الآتي: «أيها الكُرد نحن الأرمن والكُرد، الذين نعيش معاً كإخوة وجيران لآلاف السنين، قبل أن يأتي الأتراك بيننا، كان أجدادنا (كريفاً)، وهذه هي حقيقة لا ينكرها أحد كما لا ينكرها التاريخ، إلا أن الأتراك جاؤوا من الخارج وزرعوا بذور الشغب والفتنة بيننا، وجعلوا الواحد منا يقف ضد الآخر، وإنهم كانوا السبب في اضطراب أمننا نحن الاثنين، وكانوا السبب في إراقة دماء العديد من الأبرياء من بيننا، وذلك فقط من أجل مصالحهم، ولهذا السبب أدعوكم وأقترح أن لا يراق أي دم بصورة عبثية، وإن كلمتي الأخيرة هي الخضوع للحكومة ـ في يريفان ـ وإطاعتها ولا تضيعوا مصالحكم، كما لا يريد الخالق أن تراق دماء الأرمن والكُرد، وأقترح عليكم قبل أن يبدأ جيشي بعملياته إرسال مبعوثين من جانبكم من أجل التفاوض والوصول إلى اتفاقية، وإلا فإنني وعلى الرغم من كوني لا أريد ذلك، فإنني سوف أتصرف بكل قسوة في الحرب القادمة...، ثقوا بي بأن رفضكم لن تكون نتائجه جيدة لكم»[334].

لم تكن السياسة الأرمنية مخفية على الكماليين في شمال كُردستان، ففي 21/ 5/ 1920 أرسل كاظم قره بكر رسالة إلى دائرة القائد العسكري في يريفان، ذاكراً له المذابح التي ارتكبها الأرمن بحق المسلمين في جمهورية يريفان وفي قارص، بعد أن وثقوا هم العديد منها فضلاً عن الأجانب أيضاً، كما استنكر

تلك الدعاية الأرمنية على الحدود بين الجانبين خصوصاً بعد وصول شريف باشا، الذي نعته قره بكر بـ(الخائن) والأرمن في باريس إلى نوع من الاتفاقية، وفي الأخير ذكر قره بكر بأن محاولات مثل تلك مصيرها الفشل، وذلك لأن الكُرد لن ينفكوا أبداً عن الاتحاد العثماني[335].

معاهدة سيفر ونهاية المسألة الأرمنية

لا يزال الكُرد حتى الآن يستشهدون ببنود معاهدة سيفر، التي وقعت بين الدولة العثمانية والحلفاء في 10 آب/ أغسطس 1920، على أنها الوثيقة الدولية الوحيدة التي اعترفت بحقهم في تأسيس دولة كُردستان، ولكن يظهر أن دولة كُردستان التي أقرتها سيفر، هي تطبيق للنظرة البريطانية المتأثرة بالدعاية الأرمنية بخصوص الواقع في شمال كُردستان ليس أكثر[336].

أفرد القسم الثالث من معاهدة سيفر تحت عنوان (كُردستان)، والتي كانت تشمل البنود الثلاثة الآتية (62، 63، 64)؛ فقد حُدّدت حدود كُردستان وفق تلك البنود في ولايتي معمورة العزيز (خربوط)، ودياربكر فقط، وإذا ما أراد السكان الكُرد في ولاية الموصل ضمن مدة زمنية محددة، ووفق آليات تحددها بعد ذلك بعض اللجان المختصة الانضمام إلى دولة كُردستان فعلى تركيا عدم الاعتراض على ذلك. وطبقاً لبنود سيفر أيضاً، ألحقت ملاطية وسيواس بالدولة التركية، أما مناطق ومدن ماردين، وجزيرة بوتان، وأورفا، وعينتاب، فلم تضم إلى دولة كُردستان، وبقيت تحت الاحتلال الفرنسي[337].

أما فيما يخص الأرمن فقد اعترفت الدول الكبرى بالدولة الأرمنية على رقعة واسعة، وخصصت لها خمس مواد وهي من (88 ـ 92)، وكانت الدولة الأرمنية، حسب سيفر تضم فضلاً عن أراضي جمهورية يريفان في القوقاز، الولايات الأربع التالية: (طرابزون، أرضروم، وان، بتليس)، وأحالت سيفر

إلى رئيس الولايات المتحدة الأميركية حسب المادة (89)، لترسيم الحدود بين تركيا وأرمينيا، ضمن أراضي الولايات الأربع السابقة الذكر[338]. وقد قام الرئيس ولسن فعلاً بتعيين الحدود المذكورة في قرار تحكيمه الذي حمل تاريخ 22 تشرين الثاني/ نوفمبر من العام 1920، حيث بدأت من نقطة على البحر الأسود وامتدت إلى أرزنجان، وموش، وبتليس، وبحيرة وان، التي أدخلت جميعها ضمن الدولة الأرمنية، وهي بذلك تكون مطابقة لخطوط النار بين القوات الروسية والتركية خلال سنوات الحرب[339]، كما تجاهل الرئيس الأميركي ولسن في قرار تحكيمه أي إشارة إلى الكُرد والى حقوقهم في تلك الولايات[340]، حيث كان قراره متناقضاً مع مبادئه المنادية بحق تقرير الشعوب مصيرها؛ فمن غير أن يستشير السكان المعنيين بالمنطقة، ومن غير أن يحدد تشكيلهم العرقي خصّ الدولة الأرمنية التي كان ينبغي لها أن توضع تحت الانتداب الأميركي فعلاً بأقاليم ذات أكثرية كُردية ساحقة: موش أرزنجان، بنغول، بتليس، وان، قاقيزمان (اكري)، اغدير، أرضروم، التي تشكل على نحو ظاهر أكثر من نصف شمال كُردستان[341].

من الجدير التنويه به هنا هو أن الكُرد حتى قبل إعلان معاهدة سيفر في آب/ أغسطس 1920، كانوا قد استبشروا باسم الرئيس الأميركي، ليكون حكماً في مسألة الحدود، عندما تداولت الصحف اسمه في أعقاب اتفاقية سان ريمو في نيسان/ ابريل من العام نفسه. وفي هذا الصدد أرسلت جمعية التشكيلات الاجتماعية في 17 حزيران/ يونيو1920، بتوقيع رئيسها أمين عالي بدرخان، وسكرتيرها ممدوح سليم، إلى الرئيس ودرو ولسن، تعبر عن استحسان الجمعية لتعيينه حكماً لغرض حسم موضوع الحدود الكُردية ـ الأرمنية، وهي كما يأتي: «صاحب السيادة: استقبل الشعب الكُردي بفرح النبأ السار، بأن سيادتكم تكرمون بالاضطلاع بدور الحكم المقرر في رسم الحدود الكُردية

ـ الأرمنية، ويثق بإعلانكم المبادئ الأربعة عشر بشأن مستقبل القوميات، ويتوقع الشعب الكُردي قرار حكمكم، الذي يخلصه من النفوذ الغريب من أية جهة كانت، وفي يدك الآن التي ألقاها عليك التاريخ»[342]. ولكن يظهر أن كل شيء كان قد حسم للأرمن في شمال كُردستان.

أظهرت معاهدة سيفر ماذا تعني كُردستان أمام أرمنستان لدى الدول الكبرى، فإن الكُرد وعلى حد وصف مارتن فان بروينسن قد أُعطيت لهم (غرفة) لإنشاء دولتهم عليها[343]، ويظهر أن الزعماء العشائريين الكُرد في شمال كُردستان كانوا أكثر حنكة من السياسيين الكُرد في استانبول، الذين وثقوا بوعود الحلفاء لهم حول تأسيس دولة كُردستان، وأدرك هؤلاء الزعماء العشائريين بصورة لا تقبل الشك أن الحلفاء كانوا بالدرجة الأساس أصدقاء الأرمن، لا الكُرد، وكان الاحتمال الأكبر أن يكون مصطفى كمال الشخص القادر على حماية الأراضي الكُردية من المطالبات الأرمنية[344].

لم تكن (كُردستان المستقلة)، المنصوص عليها في معاهدة سيفر سوى بلاد بتر منها ثلثا إقليمها، في كُردستان الدولة العثمانية فقط، ثلثا أراضيها الخصبة، ومناطقها المخصصة للتربية التقليدية للماشية، مشتملة – أي: كُردستان المستقلة ـ على المناطق الفقيرة في خربوط، ودرسيم، وسيرت، وهكاري مع دياربكر كعاصمة، وولاية الموصل كمركز اقتصادي، وستعنى بريطانيا بالنفط[345]. وقد علق السياسي والمؤرخ الكُردي كندال على معاهدة سيفر بقوله: «أفلا يحق للمرء ضمن هذه الشروط أن يندهش من أن أجيالاً كاملة من القوميين الكُرد استطاعت أن تستند إلى هذه المعاهدة الجائرة، بحجة أنها تكرس الاعتراف بالحق القومي للقضية الكُردية؟... فقد كانت مذلة للشعب الكُردي بقدر ما هي للشعب التركي»[346]. أما المؤرخ الكُردي محمد أمين زكي فقد انتقد الساسة الكُرد، الذين قاموا بالتنسيق مع الأرمن بعد

سيفر في النضال ضد الدولة التركية، لأن الأرمن وحلفاءَهم الأوروبيين كانوا هم وحدهم الذين استفادوا من سيفر وليس الكُرد حسب اعتقاده، وهم الذين قادوا الكُرد إلى هذا المأزق[347].

بدأت قوات أرمنية مسلحة، تابعة لجمهورية يريفان، بشن الغارات من هذه القاعدة على شمال كُردستان، في محاولة للاستيلاء بالقوة عل الأقاليم الموعودة بها في سيفر، حينما اتضح آنذاك أن الأتراك ما كانوا ليتخلوا عنها طواعية على الإطلاق. في تشرين الأول/ أوكتوبر 1920 زحف كاظم قره بكر قائد الجبهة الشرقية ضد الأرمن وردهم إلى ما وراء حدودهم، كما سيطرت القوات الكمالية على الأقاليم التي خسرتها الدولة العثمانية في حربها مع روسيا في عام 1877، وأجبرت حكومة يريفان على قبول معاهدة سلام وقعت في الكسندربول في ليلة 2 ـ 3 تشرين الثاني/ نوفمبر 1920، تخلت فيها عن جميع مطالباتها بأراضي الأناضول، ولكن لم يتم تصديق تلك المعاهدة، لأنه سرعان ما ضمت روسيا السوفياتية جمهورية يريفان نفسها، التي قامت بدورها بعقد معاهدة مع الكماليين في موسكو في آذار/ مارس 1921، التي ثبتت الحدود بين الطرفين إلى يومنا هذا[348].

كان للكُرد دورٌ كبير في رد الهجمات الأرمنية، وضم الولايات الأخرى إلى تركيا الكمالية، ويذكر في هذا الجانب الدور الكبير للكُرد في جيش قره بكر، سواء أكانوا جنوداً نظاميين أم كانوا من قوات العشائر هناك[349].

ذكر نورالدين زازا أن قوات مصطفى كمال المتطوعة كانت أصلاً من كُرد قارص، وأرضروم، وبتليس[350]، وأشار حسن هشيار إلى اجتماع موسع عقده الجنرال الكُردي الحميدي خالد بك جبراني في عام 1920، مع قادة ألوية الميليشيات الكُردية، لطرد الأرمن من تلك الولايات وإرجاع الأهالي إليها، وخطب فيهم قائلاً: «أنتم ترون الآن بعد انسحاب الجيوش الروسية من

ولاياتنا، فقد أهدوها إلى عدد من قطاع الطرق من الأرمن، ونحن قد ورثناها عن أجدادنا، فنحن أولى بها وعلينا استعادتها، وأن ولاية قارص وآرتفين قد ألحقها الروس إلى أراضيهم في حرب عام 1878، وعليكم أن تعرفوا أن إعادة تلك الولايات تقع مسؤوليتها على عاتقكم أولاً وأخيراً، وليس على الأتراك».

وأضاف حسن هشيار: إن المقاتلين الكُرد بدءاً من أواخر آب/ أغسطس 1920 قاموا باستعادة تلك الأراضي من الأرمن، وإن هذا العمل البطولي، حسب قوله، في إعادة أراضي الكُرد إليهم، يعود بالدرجة الأساس إلى الجنرال خالد بك جبراني[351].

هوامش الفصل الخامس

1. الحرب البويرية (1899-1902): وهي الحرب التي وقعت بين بريطانيا وجمهوريتي البوير (الترانسفال والأورانج) اللتين ترجع أصولهما إلى المستعمرين الهولنديين، حيث كانت بريطانيا قد سيطرت على معظم أجزاء جنوب إفريقيا ما عدا أراضي هاتين الجمهوريتين خلال القرن التاسع عشر، وانتهت هذه الحرب بانتصار بريطانيا وبزوال جمهوريتي البوير. ينظر:عبد الوهاب الكيالي وآخرون، المصدر السابق، ج2، ص103-104.
2. الهيريرو: في عام 1904 انتهزت قبائل (شعب) الهيريرو في جنوب غرب إفريقيا، الذين كانوا يعانون من الحكم الاستعماري الألماني السيئ الصيت، فرصة انشغال الجيش الألماني بتمرد آخر في المنطقة، فأعلنوا تمردهم وقتلوا حوالى (100) جندي ألماني، رداً الألمان عليهم بقسوة بالغة، فقد قتلوا ما يتراوح بين 75 و80% من السكان الهيريرو، الذين قدر عددهم بين (60000) إلى (80000) حسب المصادر القريبة. ينظر: آ. ادو بواهن، تاريخ إفريقيا العام، المجلد السابع (إفريقيا في ظل السيطرة الاستعمارية 1880-1935)، بيروت، 1990، ص225-226؛ هـ. أ. ل. فيشر، المصدر السابق، ص404-412.

3 .David Gaunt, Op. Cit., P. 64-65.

4. أنور باشا (1881-1922): ضابط وسياسي تركي بارز، أدى دوراً متميزاً في انقلاب تموز 1908، شكّل مع طلعت باشا وجمال باشا قيادة ثلاثية ذات نزعة قومية طورانية حكمت تركيا ما بين (1913-1918)، أُتهم بالتخطيط للمذابح الأرمنية في عام 1915، حاول أن ينظم حركة إسلامية ضد حكم مصطفى كمال باشا، إلا أنه فشل، وقتل على إثرها. ينظر: عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ج1، ص375.
5. طلعت باشا (1874-1921): هو محمد طلعت احمد، احد الزعماء الثلاثة في جمعية الاتحاد والترقي العثمانية، عمل وزيراً وصدراً أعظم، استقال من منصب الصدارة عام 1917، من المتهمين بالتخطيط للمذابح الأرمنية، هرب إلى أوروبا بعد الحرب العالمية الأولى، اغتاله الأرمن في برلين عام 1921. ينظر: مسألة إبادة الأرمن أمام المحكمة، ترجمة: غسان نعسان، مراجعة: ماموستا جعفر، ط2، السليمانية، 2008، ص9-37؛

- Hasan Babacan, Mehmed Talt Paşa, Ankara, 2005, S.10-36.

6. Report From the Administrator in Erzurum (Scheubner-Richter) to the Reichskanzler (Bethmann Hollweg), Presently in Munich, 4 December 1916, Via at: http://www.armenocide.net.
7. Viscount Bryce, op. cit., P. 39; Secil KARAL AKGUN, Ottoman Armenian Intricate Relations with Western Powers before and during the Peace Settlements of the First World War, Review Of Armenians Studies, No:18, 2008, P. 48-49;

- نعيم اليافي وخليل الموسى، نضال العرب والأرمن ضد الاستعمار الأرمني، اللاذقية، 1995، ص50-52.

8. الوثيقة رقم (**2001**)، شيفرة إلى وكالة القيادة العامة في دار السعادة (استانبول) 29 شباط 1915، في: الوثائق، المصدر السابق، ص33-34؛ الوثيقة رقم (2012)، إلى وكالة القيادة العامة، 22 تموز 1915، في: المصدر نفسه، ص79؛ الوثيقة رقم (**2013**)، إلى قيادة الجيش الثالث، 4 اب 1915، في: المصدر نفسه، ص83؛ ارمنى قوميتةلرينك امال وحركات اختلاليةسى، المصدر السابق، ص161-162.

-Mim Kemal Öke, op. cit., P. 110

9. David Gaunt, op. cit., P. 67.
10. M. Kalman, Bati-Ermenistan..., S.99; Halil Metin, A.G.E., S.147.
11. مولانا زادة رفعت: من أبرز الأعضاء الكُرد في جمعية الاتحاد والترقي، انشق عنهم في عام 1909، انتمى إلى جمعية الحرية والائتلاف عام 1911، وكاد يشارك مع الجنرال شريف باشا كمندوب عن الكُرد في مؤتمر السلام 1919، هرب من تركيا بعد سيطرة الكماليين على الحكم فيها واستقر في مدينة حلب، ومن هناك هاجم النظام الكمالي بمقالاته ومؤلفاته. ينظر: مالميسانز، القومية الكوردية ود.عبد الله جودت...، ص50-51.
12. نقلاً عن: هايكازن غازاريان، المصدر السابق، ص37. للتفاصيل عن دور هؤلاء الأطباء الأتراك في المذابح الأرمنية، ينظر: واهاكن ن. دادريان، دور الأطباء الأتراك في المذابح الأرمنية أثناء الحرب العالمية الأولى، ترجمة: الكسندر كشيشيان، اللاذقية، 1995.
13. Réponse Au Mémoire De La Sublime-Porte En Date Du 12 Fevrier 1919, Constantinople, 1919, P. 4-5.

14 . David Gaunt, op. cit., P.68; V.Yeghiayan ve L. Fermanian, A.G.E., S.33-34.

15 . Recep Maraşli, A.G.E., S. 214.

16. David Gaunt, op. cit., P. 305.

17. يقول المؤرخ الأرمني دادريان إن ما بين (1200000-1500000) أرمني قد ماتوا، أما المؤرخ والقانوني كازاريان فيقتنع بالرقم (1500000) أرمني، في حين أن هناك من المؤرخين الأرمن من تطرف أكثر في ذلك، وذكر أن (2070037) أرمنياً ماتوا في عمليات التهجير في عامي 1915-1916، للمزيد ينظر:

-Guenter Lewy, op. cit., P.240.

18 . Maj. Gen. James G. Harbord, Conditions In The Near East: Report Of The American Military Mission To Armenia, Washington, 1920, P. 7.

19. مثل توينبي، وجستن مكارثي، ودونالد كواترت، وكيفوركيان، وكورباجي، وفاركيوس، تبنى بعض المؤرخين الأرمن كذلك هذا الرقم بعد قيامهم بدراسات وأبحاث بهذا الخصوص ينظر:

-Guenter Lewy, op. cit., P.240;

- دونالد كواترت، الدولة العثمانية، تعريب: أيمن أرمنازي، الرياض-المملكة العربية السعودية، ص325.

20 . Salahi Sonyel, The Great War..., P. 122.

21. Yusuf Halaçoglu, op. cit., P. 84.

- من المهم هنا الإشارة إلى أن الباحث التركي (كمال جيجك) يناقش في كتابه (التهجير الإجباري الأرمني ١٩١٥-١٩١٦م) أغلب الروايات المشهورة، التي نشرها القناصلة الأجانب والمبشرون وكذلك الأرمن، عن أحوال المهجرين الأرمن، وعدد القتلى، ويقارن بين تلك الروايات، وينتقد بعضاً منها، ليبني بعد ذلك نظريته وهي: أنه شابت تلك الروايات مبالغة واضحة، من حيث ظروف المهجرين، وعدد القتلى من الأرمن. ينظر:

-Kemal Çiçek, Ermenilerin Zorunlu Göcü 1915-1917, Ankara, 2005, S.88-247.

22. من المهم القول هنا إن ارنولد توينبي كان قد صدر له كتاب بخصوص المذابح

الأرمنية قبل ذلك في عام 1915، ويعتمد في توثيقه على شهادات الأرمن، العنوان الكامل للكتاب هو:

-Arnold J. Toynbee, Armenian Atrocities: The Murder Of A Nation, With A Speech Delivered By: Lord Bryce, London-New York, 1915.

23. Taha Niyazi Karaca, A.G.E., S.197; Serhat Kunar, Pour La Sécurité - Le Calme - La Paix De L'humanité» Les Réalités Historiques et Le Problème Armenien» Les Turcs, Kurdes Et Caucasiens Musulmans Massacres Par Les Arméniens, Via at: (www.imprescriptible.fr/proces/proces-du-genocide/.../Ermeni-Sorunu.pdf).
24. Réponse Au Memoire De La Sublime-Porte En Date Du 12 Fevrier 1919, Op. Cit., P. 5-8.
25. للتفاصيل عن تقارير القنصل الأميركي في خربوط ليسلي، ينظر:

-Ara Sarafian, United States Official Records On The Armenian Genocide 1915-1917, U.S.A, 2004.

26. ينظر بحثه: القضية الأرمنية، مجلة الإيمان (مجلة العلم والإيمان)، العدد (٩١)، هولير، مايس-حزيران/ يونيو- تموز/ يوليو 2010، ص83.
27. Recognition of Armenian Genocide by Kurds, Via at: (http://www.armeniapedia.org/index.php?title=Recognitionof_Armenian_Genocide_by_Kurds).
28. Dans L'horreur Des Massacres D'armenie, Revue Lectures Pour Tous, 1 Septembre 1916, P. 1743.
29. Jacques de Morgan, The History Of The Armenian People From the Remotest Times to the Present Day, Translated by: Ernest F. Barry, N.P, 1918, P. 311.
30. J. Naayem, Les Assyro-Chaldeens Et Les Armeniens: Massacres Par Les Turcs, Paris, 1920, P.97-99; Dans Lhorreur Des Massacres D'armenie, Op. Cit., P. 1744-1747; Une «première» en 1915 Le genocide armenien, Revue HISTORIA, No. 405, 1980, P.94-98.

31. Garo Sasuni, A.G.E., S.153.
32. Ugur Ü. Ungor, op. cit., P.84; G. Sbordonne, Document italien, Les événements qui précédèrent le decret du 20 Mai (2 Juin) 1915, Notes communiquées à Henry Barby: par M. Sbordone, agent consulaire d'Italie, a Van, L'Incident D'Ételen, Via at :http://www. imprescriptible.fr.
33. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص440.
34. ئەفراسياو هەورامی، سەرچاوەی پێشوو، ل86.
35. Stanford J. Shaw, Op. Cit., Vol: Ii, P. 906.
36. The History Of The Armenian Genocide: Hearing Before The Committee On International Relations House Of Representatives One Hundred Fourth Congress Second Session, U.S. Government Printing Office, Washington, 1996, P. 20.
37. Garo Sasuni, A.G.E., S.154.
38. محمد خليل أمير، المصدر السابق، ص196؛ حول هذه الفرق ينظر كذلك: واهاكن ن. دادريان، المصدر السابق، ص18-19.
39. David Gaunt, op. cit., P.58
40. ينظر، مؤلفه: المصدر السابق، ص325.
41. نقلاً عن: هايكازن غازاريان، المصدر السابق، ص37-38. بخصوص مخططات قادة الاتحاد في تهجير الأرمن، وإقامة المذابح بحقّهم ينظر كذلك:
-Vahakn N. Dadrian, The Naim-Andonian Documents on the World War I Destruction of Ottoman Armenians: The Anatomy of a Genocide, International Journal of Middle East Studies, Vol. 18.No. 3.Aug., 1986, P. 311-360.
42. جستن مكارثي، المصدر السابق، ص212.
43. Tacy Atkinson, The German-The Turk and the Devil Made a Triple Alliance: Harpoot Diaries 1908-1917, Foreword by: J. Michael Hagopian, Princeton-New Jersey, 2000, P. 83; James L. Barton, TURKISH ATROCITIES: Statements of American Missionaries

on the Destruction of Christian Communities in Ottoman Turkey 1915-1917, Michigan, 1998, P. 41-42.

44. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص60.

45. للتفاصيل عن مناقشات زعماء الاتحاديين بشأن من يجب تجنيدهم لتلك العمليات ينظر: هايكازن غازاريان، المصدر السابق، ص41-51.

46. ينظر مثلاً:

-Krikor Cayjikan, Martyred Armenia and the Story of my life, U. S. A., 1920, P. 151.

- سيأتي الحديث عن بعضهم الآخر لاحقاً ضمن محاور هذا المبحث.

47. Hesen Hişyar, Ditin Ü Birhatinen Min 1907-1985, Beyrut, 2000, L.156-157.

- من المفيد هنا التنويه إلى أن (خليل كالو) قام بترجمة أغلب صفحات مذكرات حسن هشيار إلى اللغة العربية تحت عنوان (من مذكرات مقاتل...مذكرات ومشاهدات للمناضل حسن هشيار)، ونشرها في الموقع الالكتروني (گەميا كوردا):

http://www.gemyakurda.net/modules.php?name=News&file=article&sid=26376.

48. نقلاً عن: م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص444.

49. ينظر: مسألة إبادة الأرمن أمام المحكمة، المصدر السابق، ص61-63 وص99-100.

50. كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص295.

51. Henry H. Riggs, op. cit., P. vii-viii.

52. كمال مظهر أحمد، المصدر السابق ص296. من المهم الإشارة هنا إلى أن مصطفى باشا ياملكي، هو من كُرد مدينة السليمانية التي تقع في كردستان العراق الحالية، وكان قد ترأس المحكمة العرفية الخاصة للتحقيق في المذابح الأرمنية في استانبول، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، ويذكر أنه عندما كان رئيساً للمحكمة العليا أصدر الحكم بالإعدام غيابياً على مصطفى كمال باشا، وكان الأتراك يطلقون عليه (نمرود مصطفى). ينظر: المشانق العربية والمجازر الأرمنية من خلال جلسات محاكمات زعماء حزب الاتحاد والترقي أمام المحاكم العسكرية التركية الاستثنائية بين عامي ١٩١٩-١٩٢٠، ترجمة: الكسندر كشيشيان، حلب، 1992، ص29 وما بعدها؛ احمد

عثمان أبوبكر، كردستان في عهد السلام (بعد الحرب العالمية الأولى)، أربيل، 2002، ص258.

53 . David Gaunt, op. cit., P.306-307.

54. ينظر مؤلفها: غوائل الأرمن في الفكر السوري: موقف المفكرين السوريين من الإبادة الأرمنية، قدم له: جورج جبور، دمشق، 2002، ص114-115.

55. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص443-444.

56 . Henry Barby, Au Pays De l'Épouvante: L,Arménie Martyre, Paris, 1917, P.103-107.

- ينظر نص هذه الرسالة في الملحق رقم (9).

57 . Henry H. Riggs, op. cit., P.viii.

58. Richard G. Hovannisian, Intervention and Shades of Altruism During the Armenian Genocide, Via at: www.teachgenocide.org.

59. Ibid.

60 . Johannes Lepsius, Rapport Secret Du Dr Johannes Lepsius Sur Les Massacres D'Arménie, Via At: http://www.imprescriptible.fr/documents/lepsius/p1c2sp4.htm.

61 . David Gaunt, op. cit., P. 306.

62 . Recep Maraşli, A.G.E., S. 275.

63 . Garo Sasuni, A.G.E., S.153.

64 . M. Kalman, Belge Ve Taniklariyla..., S. 112.

65 . Report Of Leslie A. Davis, American Consul, Formerly At H Turkey, On The Work Of The American Consulate At Harput Since The Beginning Of The Present War. This Report Is Prepared The Request Of Mr. Wilbur J. Carr, Director Of The Consular Service, In: Ara Sarafian, Op. Cit., P. 664-666.

66. محمد خليل أمير، المصدر السابق، ص262.

67. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص65.

68 . Hesen Hişyar, jedere bere, L. 162.

69. م.س. لازاريف، المصدر السابق، ص444.

70. للمزيد ينظر: كمال مظهر أحمد، المصدر السابق، ص299؛ باسيلي نيكيتن، المصدر السابق، ص157-158؛ عبد الرقيب يوسف، ئايينى مەسيحى ل كوردستانى، گوڤارا دهوك، ژمارا (4)، تەباخا 1998، ص4-9؛

   -Garo Sasuni, A.G.E., S.153; Vahan Janjigian, Bedros Der Bedrossian- Oufatzi, Translated by: Tamar Der-Ohannessian, New York, 2005, P. 63-68 and 236.

   - فضلاً عن ذلك فإنه يوجد في الكتب والتقارير التي مرّت الإشارة إليها سابقاً، مثل: كتاب المعاملة الأرمنية لجيمس برايس، والوثائق الأميركية لارا سارفيان، وكتاب جوهان لوبوسيس، والبحث الذي أجراه هوفانسيان لعشرات الحالات الأخرى، التي أنقذ فيها الكُرد الأرمن سواء أكان ذلك في مناطق دياربكر وخربوط، أم على الحدود الروسية العثمانية.

71. ينظر مثلاً:

   -Réponse Au Mémoire De La Sublime-Porte En Date Du 12 Février 1919, Op. Cit., P. 11; Turkkaya Ataov, The Armenians in the Late Ottoman Period, Ankara, 2001, P. 102-108; Guenter Lewy, op. cit., P. 120-122; Stanford J. Shaw, op. cit., Vol: II, P. 809.

72. ينظر مثلاً: بله ج شيركو، المصدر السابق، ص 59-61؛ جليلي جليل وآخرون، المصدر السابق، ص92.

73. Guenter Lewy, op. cit., P. 121.

74. Garo Sasuni, A.G.E., S. 156-158.

75. Ugur U. Ungor, op. cit., P. 84-85.

76. نقلاً عن: جليلي جليل وآخرون، المصدر السابق، ص92.

77. Henry H. Riggs, op. cit., P. 183.

78. Dominik J. Schaller And Jurgen Zimmerer, Lat Ottoman genocides: the dissolution of the Ottoman Empire and Young Turkish population and extermination policies-introduction, Journal of Genocide Research, 10(1), 2008, March 7-14, P. 7.

79. Arnold Joseph Toynbee, Turkey: A Past and a Future, Via at :http://www.gutenberg.org.

80 . Ugur U. Ungor, op. cit., P. 82.

81. صبري سلمان، تاريخدن بر صحيفه: مشاهده ايتديكم وقايع، مجلة كردستان، العدد (5)، 16 نيسان 1919، ص51.

82 . Garo Sasuni, A.G.E., S.156.

83. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص182؛

-Hilmar Kaiser, The Ottoman Government and the End of the Ottoman Social Formation ,1917-1915 ,Via at: http://www.hist.net/kieser/aghet/Essays/EssayKaiser.html.

84 . Recep MaraŞli, A.G.E., S. 237-238.

85 . Ugur Ü. Üngör, op. cit., P. 86-87.

86. بدرخاني محمد عثمان، خوليا بروارنة تشبثات، جريدة كُردستان، العدد(5)، 16 نيسان/ ابريل 1919، ص55-56. من المفيد هنا القول إنّ كلاًّ من السيدين (رفيق صالح وصديق صالح)، أصحاب مؤسسة زين للطباعة والنشر في السليمانية، قد زوداني بـ(19) عدداً من هذه الجريدة مشكورين.

87 . Garo Sasuni, A.G.E., S.155.

88 . Jakob Kunzler, In The Land Of Blood And Tears: Experiences In Mesopotamia During The World War 1914-1918, Edited with sPreface by: Ara Ghazarian, Foreword by:Vahakn Dadrian, Introduction by: Hans-Lukas Kieser, Massachusetts, 2007, P. 67-68; DOMINIK J. SCHALLER and JURGEN ZIMMERER, op. cit., P. 8.

- عن ظروف المهجرين الكُرد ينظر كذلك: زنار سلوبي، المصدر السابق، ص55.

89. Henry H. Riggs, op. cit., P. 183-185.

90 . Dominik J. Schaller And Jurgen Zimmerer, Op. Cit., P. 8.

91 . Hesen Hişyar, Jedere Bere, L.169-171.

92 . Ugur U. Ungor, op. cit., P. 86-89.

93. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص105.

94 . Jakob Kunzler, op. cit., P. 76-77.

95. مذكرات الدكتور استرجيان، ترجمة: كاريكين وارتانيان، طرابلس-لبنان، 2004، ص56.

96. مذكرات عبد العزيز القصاب، إعداد وتحقيق: خالد عبد العزيز القصاب، بيروت، 2007، ص152.

97 . Guenter Lewy, op. cit., P. 120-121.

98 . Henry H. Riggs, op. cit., P. 177-178.

99 . Maj. Gen. James G. Harbord, Op. Cit., P. 9-10.

100. ينظر مثلاً: محمد، داخلية ناظري جمال بك أفندي حضرتلرينه اجيق مكتوب، مجلة كُردستان، العدد (5)، 16 نيسان/ ابريل 1919، ص45-47؛ محمد عثمان بدرخانى، كورد مهاجرلرى نةاولةجق، مجلة كُردستان، العدد (6)، 1 ايار/ مايو 1919، ص62-63؛ عبدالرحيم رحمى حكاريلى، كُرد مهاجرلرى نةحالدة؟، مجلة زين، العدد (8)، 22 كانون الثاني/ يناير 1919، ص4-7؛ ممدوح سليم بكى، هاوار!-امداد!، مجلة زين، العدد (19)، 5 حزيران/ يونيو 1919، ص1-4. في:

-M. emin bozarslan, jin: govara kurdi-turki , kürdce-türkçe dergi 1918-1919, cild: ii, uppsala-sweden, 1985.

101. الأمير جلادت بدرخان، حول المسألة الكوردية: قانون إبعاد وتشتيت الأكراد، ترجمة: دلاور الزنكي، أربيل، 1999، ص13؛ بلهج شيركو، المصدر السابق، ص60-61؛ وليد حمدي، الكُرد وكُردستان في الوثائق البريطانية: دراسة تاريخية تحليلية، لندن، 1991، ص22؛ ارشاك سافراستيان، المصدر السابق، ص108؛ جليلي جليل وآخرون، المصدر السابق، ص92؛

-Naci Kutlay, A.G.E., S.237.

- يذكر ناجي قوتلاي أن (700000) شخص من الكُرد ماتوا خلال عمليات التهجير.

102 .Ugur Ü. Üngör, op. cit., P. 91.

103 .Ibid, P.91-92.

104. ينظر مذكراته: المصدر السابق، ص161.

105 .Garo Sasuni, A.G.E., S.155.

106. م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص441.

107. مالميسانز، القومية الكُردية ود.عبد الله جودت...، ص63.

108 .Guenter Lewy, op. cit., P. 121.

109. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص255-256.

110. ينظر مؤلفه: المذابح في أرمينيا، بومباي، 1917. من المفيد هنا القول: إن فائز

الغصين كان في تلك المدة متواجداً في دياربكر، ونقل أحداثاً كثيرة عن المذابح الأرمنية التي جرت هناك، يقول إن معظمها سمع بها، وإن قليلاً منها فقط رآها بأم عينيه. وقد استند الباحثون والمؤرخون بعد ذلك إلى هذا المؤلف، لإدانة الكُرد بتهمة اشتراكهم في المذابح الأرمنية!

111. نقلاً عن: احمد محمد احمد، أكراد الدولة العثمانية، دهوك، 2009، ص390.

112 .Dominik J. Schaller and Jürgen Zimmerer, op. cit., P.9-10.

113. Stanford J. Shaw, op. cit., Vol: II., P. 1004.

114 .Dominik J. Schaller And Jurgen Zimmerer, op. cit., P. 10.

115 .David Gaunt, op. cit., P. 65-66;

- زنار سلوبي، المصدر السابق، ص54-55.

116 .Ugur Ü. Üngör op. cit., P.90-93.

117 .Ibid, P.94.

118 .No.252, Confidentiel, Le Caire Le 4 Juillet 1916, Le: Hasan Dilan, Op. Cit., Vol: I, P. 141-144;

- جستن مكارثي، المصدر السابق، ص195؛ ابراهيم الداقوقي، أكراد تركيا، بيروت، 2003، ص149.

119 .Guenter Lewy, op. cit., P. 118.

120 .No. 402, Teheran Persia, June 12, 1918: Outline Of Events In The District Of Urumia And The Syrian Connection Therewith Since The Beginning Of The War, In: Ara Sarafian, op. cit., P. 605.

- للتفاصيل عن أعمال الأرمن والروس في بتليس أثناء الحرب العالمية الأولى، حسب ما دونتها الوثائق العثمانية ينظر:

-Rahmetli Babamin, A.G.E., S. 294-333.

121. كمال مظهر أحمد، المصدر السابق، ص170 وص291؛ جرجيس فتح الله، المصدر السابق، ص86؛ فاضل رسول، كُردستان والسياسة السوفياتية في الشرق الأوسط، ترجمة: غسان نعسان، مراجعة: ماموستا جعفر، السليمانية، 2008، ص146.

122. ئەفراسیاو هەورامی، سەرچاوەی پێشوو، ل14-15.

123 .Réponse Au Mémoire De La Sublime-Porte En Date Du 12 Février 1919, Op. Cit., P.11-12.

124 .Garo Sasuni, A.G.E., S.156-157.

125. م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص461.

126. ئەفراسیاو هەورامی، سەرچاوەی پێشوو، ل86.

127. م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص479-470.

128. ئەفراسیاو هەورامی، سەرچاوەی پێشوو، ل39.

129 .Stanford J. Shaw, op. cit., Vol: II, P. 911-912.

130 .Ibid, P. 912.

131 .Mim Kemal Öke, op. cit., P. 111.

132 .Salahi Sonyel, The Great War..., P.157.

133.م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص492-493؛ ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص184.

134 .Justin McCarthy and others, op. cit., P. 243-244.

135. يذكر لازاريف أن تاريخ التقرير يعود إلى 12 تشرين الأول/ اكتوبر 1917، ينظر مؤلفه المصدر السابق، ص492. ولكن نص التقرير الذي أورده الباحث افرسياو هورامي عليه تاريخ 29 أيلول/ سبتمبر 1917. ينظر مؤلفه: هەمان سەرچاو، ل23.

136. لهذا التقرير أهمية كبيرة لكونه واحداً من تقريرين فقط، فضلاً عن تقرير عبد الرزاق بدرخان، يبيّن الدور الكُردي في الحرب العالمية الأولى كما شاهدها الكُرد بأنفسهم، وتكاد المصادر التاريخية تغفل أمر هذا التقرير، ولا تتطرق إليه إلا نادراً جداً، ولكن هذا التقرير لوحده يلقي الضوء على مجمل الدور الكُردي في الحرب العالمية الأولى، ويبين سبب تبدل التحالفات الكُردية، وعلاقة الكُرد بالأرمن أثناء الحرب، وقد ترجم افرسياو هورامي نص هذا التقرير إلى اللغة الكُردية ونشره في كتابه السابق الذكر.

137. ئەفراسیاو هەورامی، سەرچاوەی پێشوو، ل12-13.

138. هەمان سەرچاوە، ل13.

139. هەمان سەرچاوە، ل13-14.

140. هەمان سەرچاوە، ل14.

141. هنا يورد اسم أخيه حسين بك ولا يعرف بالتحديد هل هذه الحادثة كانت قبل الحرب أم بعدها، لأنه من المعروف -وكما مرّ- أن سلطات الاتحاديين اغتالت حسين بك في عام 1913.

142. هەمان سەرچاوە، ل14-15.
143. هەمان سەرچاوە، ل15-16.
144. هەمان سەرچاوە، ل18-19.
145. هەمان سەرچاوە، ل19. هنا صح المثل الكُردي الشهير القائل :«انه ليس للكُرد من أصدقاء سوى الجبال».
146. هەمان سەرچاوە، ل20.
147. هەمان سەرچاوە، ل22.
148. هەمان سەرچاوە، ل22-23.
149. قامت الثورة البلشفية بالتحديد في 2 تشرين الثاني/ نوفمبر، ويقابل هذا اليوم حسب التقويم الروسي القديم يوم 25 تشرين الأول/ أكتوبر، ولهذا السبب تسمى هذه الثورة بـ(ثورة أكتوبر). ينظر: هـ.أ.ل.فيشر، المصدر السابق، ص527.
150. البلاشفة (Bolsheviks): وتعني (الأكثرية) وهم أعضاء في حزب سياسي ثوري روسي قاده لينين وكانوا يتبعون أفكار كارل ماركس الشيوعية. قاد هذا الحزب انقلاب اكتوبر 1917، وغير اسمه سنة 1918 إلى الحزب الشيوعي الروسي. ينظر: الان تد، ديموقراطيات ودكتاتوريات سادت اوروبا والعالم بين ١٩١٩ و1989، ترجمة: مروان ابو جيب، بيروت، 2004، ص20.
151. للتفاصيل عن تلك الثورة، ينظر: جون ريد، عشرة أيام هزت العالم: وصف شاهد عيان لثورة أكتوبر الروسية ١٩١٦، ترجمة: فواز طرابلسي، ط2، بيروت، 1966؛ إيريك هوبزباوم، عصر النهايات القصوى: وجيز القرن العشرين ١٩١٤-١٩٩١، الجزء الأول: عصر الكارثة، ترجمة: هشام الدجاني، دمشق، 1997.
152 .Garo Sasuni, A.G.E., S.184.
153. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص195.
154 .M. Kalman, Bati-Ermenistan..., S. 160.
155. م.س.لازاريف، المصدر السابق، ص442.
156 .Salahi Sonyel, The Great War..., P. 122.
157 .M. Kalman, Bati-Ermenistan..., S. 160.
158 .Kirzioglu M. Fahrettin, op. cit., P. 1-3.
159 .Mim Kemal Öke, op. cit., P.114;
- جمال باشا السفاح، المصدر السابق، ص349-358.

160. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص193.

161 .Antranik Celebyan, A.G.E., S.211-212.

162 .A.E.

163 .Mim Kemal Öke, op. cit., P.115.

164 .No. 143, Annexe À La Dépêche Politique, No. 204 Du 31 Décember 1917, En: Hasan Dilan, Op. Cit., Vol: V, P. 148.

165 .Ibid.

166 .Ibid, P. 149.

167. ينظر تقريره: المصدر السابق، ص28.

168 .Garo Sasuni, A.G.E., S.160;

- م.س. لازاريف، المسألة الكُردية ١٩١٦-١٩٢٣، ترجمة: عبدي حاجي، بيروت، 1991، ص122.

169 .Kirzioglu M. Fahrettin, op. cit., P.20-22.

170 .Garo Sasuni, A.G.E., S.157.

171 .Recep Maraşli, A.G.E., S.314; Kirzioglu M. Fahrettin, op. cit., P.8-9.

172. ينظر: ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص184.

173 .Garo Sasuni, A.G.E., S.157.

174. نوری دەرسیمی، دەرسیم لە مێژووی کوردستاندا، وەرگێرانی: ئەحمەد فەتاح دزەیی، هەولێر، 2001، ل140-141.

175. هەمان سەرچاوە، ل141.

176 .Au Général Odishe Lidze: Commandant de L'armée russe du Caucase, Sou-Chehir, le 11 Février 1334 (1918), en: Documents Relatifs Aux Atrocités Commises Par Les Armeniens Sur La Population Musulmane, Constantinople, 1919, P. 14-15;

- الوثيقة رقم (**2026**)، برقية لاسلكية روسية: نسخة إلى حضرة الجنرال ليونتان اوزداشيليدزه قائد مجموعة الجيوش الروسية في القفقاس، في: الوثائق، المصدر السابق، ص139-141.

177 .Lettre addressée par Le commandant ottoman au Général Odishe Lidze, en: Documents Relatifs Aux Atrocités..., P.4.

178 .Au Général Prjevalski: Commandant de L'armée russe du Caucase, en: DOCUMENTS RELATIFS AUX Atrocités., P. 6-7; No. 47, Au Général Prjevalski: Commandant en chef des Armée Russe du Caucase, 29.1.1918, Le: Documents, op. cit., P. 162-163.

179. ابراهيم الداقوقي، المصدر السابق، ص151.

180. نووری دەرسیمی، سەرچاوەی پێشوو، ل143-144.

181 .No.57, Au Commandement de la 3ème Armée, 13. 2. 1918, Le: Documents, op. cit., P. 197-198.

182 .HAlil Kemal Turkozu, Armenian Atrocity According to Ottoman and Russian Documents, Ankara, 1986, P. 44-45; Samiha Ayverdi, Turkiye'nin Ermeni Meselesi, Istambul, 2005 S. 102

183. نووری دەرسیمی، سەرچاوەی پێشوو، ل142-143.

184.انتشرت أفراح عارمة بين الأرمن وحلفائهم في أوروبا وأميركا عند وصول انترانيك إلى أرضروم، وكتبت مقالات عديدة في جرائد ومجلات مشهورة تبارك هذا النصر للأرمن. ينظر:

-Commentaires de la presse sur la nouvelle la reprise d'Erzeroun, La Voix de L'Armenie, Revue BI-Mensuelle, No. 8, 15 Avril 1918, Paris, P. 278.

185.Kirzioglu M. Fahrettin, op. cit., P.10-11 and P.16-24.

186 .Recep Maraşli, A.G.E., S.316.

187. نووری دەرسیمی، سەرچاوەی پێشوو، ل144.

188. جستن مكارثي، المصدر السابق، ص195؛ سروه اسعد صابر، كوردستان من بداية الحرب العالمية الأولى إلى نهاية مشكلة الموصل ١٩١٤-١٩٢٦: دراسة تاريخية سياسية وثائقية، اربيل، 2001، ص59.

189 .Kirzioglu M. Fahrettin, op. cit., P.33; Sâmiha Ayverdi, A.G.E., S. 102.

190 .Mūlgâ Birinci Ksfkas Kolordusu Kumandani Mirlivâ Kâzim

Paşanin' 1 Kânûn-i Evvel [1] 334 tarihli raporundan, Içinde: Osmanli Belgelrindc Ermenilerin Sevk Ve Iskni, T.C., Ankara, 2007, S. 438.

191 .Vesâik: Kars, da Dokuzuncu Ordu Kumandani Şevki PaŞa,dan mevrûd 25 Teşrin-i Şanî [1] 334 tarihli telgrafnâmeden, Içinde: Osmanli Belgelrinde..., S.437-438.

192. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص184.

193 .Guenter Lewy, op. cit., P. 116.

194. مارتن فان برويننسن، الآغا...، ج2، ص585-586. يقول برويننسن بهذا الخصوص «قال معظم مصادري الشفوية أن جميع وحدات الميليشيات القبلية قد شاركت. إلا أن فيرات يقول بأن وحدات الحميدية السابقة-التي كانت كلها سنية- لم تشارك مطلقاً وتركت (الواجب المقدس في الدفاع عن أرض الآباء التركية) للوحدات العلوية، وبوجه خاص لقبيلته هو، قبيلة خورمك». ينظر: المصدر نفسه.

195 .Recep MaraŞli, A.G.E., S. 317-318.

196. بول اميل، المصدر السابق، ص57.

197. مالكولم ياب، المصدر السابق، ص322.

198. فريديوف نانسن، المصدر السابق ص106-108.

199 .M. Kalman, Bati-Ermenistan..., S. 164;

- م.س.لازاريف، المسألة الكُردية ١٩١٦-١٩٢٣...، ص21.

200. مالكولم ياب، المصدر السابق، ص322.

201. م.س.لازاريف، المسألة الكُردية ١٩١٦-١٩٢٣...، ص24.

202 .M. Kalman, Bati-Ermenistan..., S. 165.

203. بيار مصطفى سيف الدين، السياسة البريطانية تجاه تركيا وآثرها في كوردستان، عمان، 2007، ص19.

204 .Hikmet Özdem_r, Ermenilerin Uyrukluk Sorunu..., S. 104-105.

205 .Guenter Lewy, op. cit., P. 241.

206. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص81.

207 .Guenter Lewy, op. cit., P.17.

208 .Réponse Au Mémoire De La Sublime-Porte En Date Du 12 Février 1919, Op. Cit., P. 10.

209 .Samuel A. Weems, Armenia Secrets Of A «Christian» Terrorist State: The Armenian Great Deception Series, Vol: 1, United States Of America, 2002, P.29; Salahi Sonyel, The Great War..., P.160;

- احمد عثمان أبوبكر، المصدر السابق، ص201. من الجدير بالذكر هنا الإشارة إلى أن هذا المصدر (كردستان في عهد السلام)، هو كتاب وثائقي مهم، فقد قام مؤلفه بترجمة أغلب الوثائق البريطانية التي تعود للمدة ما بين (1918-1920)إلى اللغة العربية ونشرها بين دفتي هذا الكتاب، ولكن احمد عثمان لم يقم بترتيبها مثل أغلب الكتب الوثائقية الأخرى، من حيث ترقيم الوثائق ووضعها حسب التسلسل التاريخي، لذلك سنتعامل مع هذا المصدر الوثائقي بعد ذلك مثلما تعاملنا مع المصادر غير الوثائقية الأخرى.

210.ينظر مقاله: خوليا بروانة تشبثات، العدد (5)، 16 نيسان/ ابريل 1919، ص55-56.

211. ينظر مقاله: وضعيت عموميهء اكرادة برنظر، العدد (8)، 3 حزيران/ يونيو 1919، ص92-97.

212 .Hassan Arfa, The Kurds: An Historical And Political Study, London, 1966, P. 26.

213 .Kamuran Gürün, Op. Cit., P. 276.

214 .Cevdet Ergül, Ii. Abdülhamid, In Dogu Politikasi Ve Hamidiye Alayari, Izmir, 1997, S. 86.

215. ينظر مؤلفه: سەرچاوەی پێشوو، ل41.

216 .Guenter Lewy, op. cit., P. 115.

217. للمزيد عن ظروف الجنود الكُرد وعدد قتلاهم في الجيش العثماني خلال سنوات الحرب العالمية الأولى، ينظر: ئیسماعیل گویلداش، جەمعییەتی تەعالیی کوردستان، وەرگێڕانی: زریان ڕۆژهەلاتی، سلیمانی، 2011، ل205-233.

218. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص254 وص258. يقتنع الباحثان (ديفيد مكدول وماركريت ماكميلان) بالرقم الذي أورده المؤرخ الكُردي محمد أمين زكي، عن عدد قتلى الكُرد في الحرب العالمية الأولى وهو الرقم (800000). ينظر: ديفيد مكدول المصدر السابق، ص188؛

- Margaret MacMillan, Paris: Six Months That Changed The World, Foreword by: Richard Holbrooke, New York, 2003, P. 445.

219. ينظر مؤلفه: المصدر السابق، ص346-347.

220 .Guenter Lewy, op. cit., P. 115.

221 .RENE PINON, op. cit., P. 866.

222 .Ibid, P. 863.

223 .Ibid, P. 864-865.

224 .Ibid, P. 866-867.

225 .Ibid, P.867.

226 .Ibid, P. 867-868.

227 .Ibid, P. 869-870.

228. الأعداد الأخرى من مجلة (صوت أرمينيا)التي تطرقت إلى الكُرد في بعض مقالاتها هي الأعداد التالية:

-No. 8, 15 Avril 1918; No. 9,1 Mai 1918; No. 23,1 Decembre 1918; No. 25-26,1-15 Janvier 1919.

229. ينظر: باسيلي نيكيتين، المصدر السابق، ص363-433؛ هوكَر طاهر توفيق، الألقاب الكوردية...، ص19-20.

230. ينظر مؤلفه: كُردستان مستعمرة دولية، ترجمة: زهير عبد الملك، السويد، 1998، ص260.

231 .The Armenian Question Before The Peace Conference: A Memorandum Presented Officially by the Representatives of Armenia to the Peace Conference at Versailles, on February 26th, 1919.

- من الجدير بالذكر هنا أن هذا التقرير كتب باللغتين الفرنسية والإنكليزية، وقد اعتمدنا على النسخة الإنكليزية.

232. ينظر: م.س. لازاريف، المسألة الكُردية ١٩١٦-١٩٢3...، ص150.

233 .The Armenian Question Before The Peace Conference...,OP.cit, P.3-4.

234 .Ibid, P.7.

235 .Ibid. P.7-8.

236 .Ibid, P.8.

- من المهم الإشارة هنا إلى أن نائب القنصل البريطاني في وان (جي. مولينيوكس سيل)، ذكر في عام 1911 وأثناء زيارة له إلى درسيم، أنّ الأسقف الأرمني فيها كان قد قام بدراسة مطولة ومفصلة عن كُرد درسيم، وأكد في دراسته أن أصولهم هي أرمنية، ولكن نائب القنصل البريطاني يشكك في ذلك، ويسأل عن الدليل والأرضية التي استند إليها الأسقف الأرمني عن كون أصل هؤلاء الكُرد في درسيم هو أرمني وليس كُردياً؟ ينظر:

-L. Molyneux-Seel, A Journey in Dersim, The Geographical Journal, Vol. 44, No. 1, Jul., 1914, P. 49.

237.The Armenian Question Before The Peace Conference...,Op.cit., P. 8-9.

238.Ibid, P. 17-20.

239 .Ibid, P. 65-69.

240. للتفاصيل عن دور الجمعيتين الكُرديتين في الحياة الحزبية السياسية ينظر: عبد الستار طاهر شريف، الجمعيات والمنظمات والأحزاب الكوردية في نصف قرن 1908-1958، ط2، السليمانية، 2007، ص44-78؛ علي تتر توفيق، المصدر السابق، ص156-177.

241. ينظر: احمد عثمان ابوبكر، المصدر السابق، ص170-173.

242. كان رئيس تحرير مجلة كُردستان هو اوراسي زاده محمد شفيق، وصاحب امتيازها محمد ميهري.

243. ينظر مقاله: داخلية ناظري جمال بك أفندي حضرتلرينه اجيق مكتوب، المصدر السابق، ص45-47. من المفيد هنا القول إن حياة أغلب هؤلاء الكتاب الذين كتبوا في مجلة كُردستان غير معروفة حتى الآن.

244. ينظر مقاله: خوليا بروانة تشبثات، العدد نفسه، ص55-56.

245. ينظر مقاله:ارمنستانك بايتخت وقوةء عسكريةسي، العدد (6)، 1 أيار 1919، ص65-66.

246. ينظر مقالاته على التوالي: عقدةء حيات-فديةء نجات اولةماز، العدد(7)، 21 ايار/

مايو 1919، ص75-76؛ امريقا هيتتك وظيفه سى، العدد(12)، 26 آب/ أغسطس 1919، ص141-142؛ اوريةنت نيوز غزتةسنة، العدد (13)، 13 ايلول/ سبتمبر 1919، ص150-153.

247. ينظر مقاله: وضعيت عموميةء اكراد برنظر...، ص92-97.

248. ينظر مقاله: ارمنى ازالمامش جوغالمشدر، مجلة كُردستان، العدد (15)، 12 تشرين الثاني/ نوفمبر 1919، ص179-180.

249. ينظر مثلاً: تبليغ رسمى، مجلة كُردستان، العدد (5)، 16 نيسان/ ابريل 1919، ص53؛ بروتستو، العدد (6)، 1 ايار/ مايو 1919، ص58.

250. ينظر: تلغراف، مخرج: ملازكُرد نومر 57، العدد (5)، 16 نيسان/ ابريل 1919، ص47-48.

251. ينظر نص التلغرافين في : احمد عثمان أبوبكر، المصدر السابق، ص191-192.

252. للتفاصيل عن حياة شريف باشا ودوره في مؤتمر السلام في باريس، ينظر: روهات الاكوم، شريف باشا: سنوات عاصفة لديبلوماسي كوردي، ترجمة: شكور مصطفى، دهوك، 2004؛ صالح محمد حسن (عزت بادي)، شريف باشا: حياته ودوره السياسي 1865-1951، دهوك، 2005.

253. في نص الرسالة جاءت الإشارة إلى الولايات السبع، إلا أن كاتب التقرير بعد ذلك عدَّد ستَّ ولايات وليس سبعاً، وربما سقط اسم ولاية سيواس سهواً أثناء الطبع.

254. ينظر: مالميسانز، بدرخانيو...، ص92-93؛

-Şaban Iba, Sevd'en Lozan›a Kürt Sorunu ve Kemalist Hareket, Istambul, 2008, S. 198-199.

255 .Kurdistan ou Armenie, op. cit.

256. ذكرت أغلب المصادر أن شريف باشا كان قد قدم مذكرته، إلى مؤتمر السلام في باريس بتاريخ 22 آذار/ مارس 1919، ولكن نص المذكرة التي نشرتها مجلة كُردستان في أربع حلقات حملت التاريخ 12 آذار 1919.

257. ينظر نص مذكرة شريف باشا في الأعداد الأربعة التالية من مجلة كُردستان: العدد (9)، 24 حزيران/ يونيو 1919، ص109-112؛ والعدد (10)، 13 تموز/ يوليو 1919، ص122-123؛ والعدد (11)، 2 آب/ أغسطس 1919، ص133-134؛ والعدد (12)، 26 آب 1919، ص144-144.

258. لقد ذكر الباحث فؤاد حمه خورشيد مصطفى أنه حصل على النص الأصلي من تقرير شريف باشا، الذي كان مكتوباً باللغة الإنكليزية وترجمه الباحث المار ذكره إلى اللغة العربية، ينظر مؤلفه: القضية الكُردية في المؤتمرات الدولية، أربيل، 2001، ص115. وهناك اختلاف يسير في بداية التقرير الذي أورده فؤاد حمه خورشيد مع التقرير الذي نشرته مجلة كُردستان.
259. نقلاً عن: روهات الاكوم، المصدر السابق، ص128.
260. نقلاً عن: فؤاد حمه خورشيد، المصدر السابق، ص115.
261. ما بعد (2)، مجلة كُردستان، العدد (10)، 13 تموز/ يوليو 1919، ص122-123.
262. احمد عثمان ابو بكر، المصدر السابق، ص12.
263. من المهم الإشارة إلى أن مصطلح السوفيات وتعني (مجلس محلي)، أطلق رسمياً على الدولة الروسية في عام 1922 بعد انتهاء الحرب الأهلية فيها، وباتت تعرف تلك الدولة الحديثة التي بنيت على أنقاض ممتلكات روسيا القيصرية السابقة اسم (اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية)، وبات يعرف بعد ذلك بالاسم المختصر (الاتحاد السوفياتي)، ولكن مصطلح السوفيات كان متداولاً في روسيا منذ عام 1905. ينظر: الان تد، المصدر السابق، ص103-111؛ عبد الوهاب الكيالي وآخرون، المصدر السابق، ج1، ص31.
264. ينظر: فاضل رسول، المصدر السابق، ص153-155؛ ميهفان محمد حسين رشيد البامرني، سياسة الاتحاد السوفياتي تجاه الحركة القومية الكوردية التحررية في كوردستان الجنوبية 1945-1968: دراسة تاريخية تحليلية، اربيل، 2008، ص29-30.
265. م.س. لازاريف، المسألة الكُردية 1917-1923...، ص32.
266. بيار مصطفى سيف الدين، المصدر السابق، ص33-34؛ قادر سليم شمو، موقف الكورد من حرب الاستقلال التركية 1919-1922، دهوك، 2008، ص218-223.
267. فاضل رسول، المصدر السابق، ص156-157.
268. A. P. Hacobian, Armenia And The War, London-New York, 1917, P. 50-51.
269. Richard G. Hovannisian, The Allies and Armenia 1915-1918, Journal of Contemporary History, Vol. 3, No. 1, Jan., 1968, P. 160-161.

270. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص195-196؛ فارس عثمان، الكُرد والأرمن: العلاقات التاريخية، دمشق، 2008، ص70.

271. ينظر: احمد عثمان أبو بكر، المصدر السابق، ص23-25 وص81-82.

272. احمد عثمان أبو بكر، المصدر السابق، ص79.

273. المصدر نفسه، ص90-91.

274. ربما لا تخلو مقالة في مجلة كُردستان، إلا وتحدثت عن تلك البنود الأربعة عشر للرئيس الأميركي وإن كان عابراً، ينظر مثلاً نص التلغراف من معمورة العزيز الذي يستبشر بتلك البنود: مخرج: معمورة العزيز- نومرو 2163: كُردستان تعالى جمعيتى رياستنة، مجلة كُردستان، العدد (5)، 16 نيسان/ ابريل 1919، ص48-49. حول هذا الأمر ينظر كذلك: ئيسماعيل كويلداش، سەرچاوەى پێشوو، ل233-27.

- من المهم في هذا الصدد الإشارة إلى حادثة الشيخ محمود الحفيد، عندما قبض عليه البريطانيون إثر حركة قام بها ضد الاحتلال البريطاني لمدينة السليمانية في النصف الأول من عام 1919، فعندما زاره الحاكم المدني في العراق ولسن، يذكر هذا الأخير بنفسه، أنه كان هناك طلسم مربوطٌ بذراع الشيخ محمود، وفيه نسخة من القرآن الكريم وعلى الورقة الأولى البيضاء منها، مكتوب بالكُردية بعض من بنود مبادئ الرئيس الأميركي ولسن الأربعة عشر، التي تؤكد حق تقرير المصير للشعوب كافة، وكان الشيخ قد قرأها على ولسن الذي يقول إنها تركت في نفسه أثراً كبيراً. ينظر: ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص253؛ بيار مصطفى سيف الدين، المصدر السابق، ص60.

275. ينظر نص تلك البنود في: هـ. أ. ل. فيشر، المصدر السابق، ص747-749.

276 .Seçil Karal Akgün, op. cit., P. 48.

277. للتفاصيل عن هذا الحزب، ينظر: علي تتر توفيق، المصدر السابق، ص178-184.

278. احمد عثمان ابو بكر، المصدر السابق، ص13.

279. م.س. لازاريف، المسألة الكُردية 1917-1923...، ص156.

280 .Maj. Gen. James G. Harbord, op. cit., P. 4-17.

281 .Ibid, P. 18.

282. احمد عثمان ابو بكر، المصدر السابق، ص40-41.

283 .Margaret MacMillan, op. cit., P.444;

- م.س. لازاريف، المسألة الكُردية ١٩١٦-١٩٢٣...، ص145-146؛ مالكولم ياب، المصدر السابق، ص330.

284. Armenia The Settlement, Report Of Public Meeting To Express Sympathy With The Armenian Cause, Held At The Central Hall, Westminster, On Thursday, June 19Th, 1919, London, 1919, P. 16.

285. Armenia The Settlement, Op. Cit., P.19-21.

286. ربما لا يخلو تقرير بريطاني أو فرنسي أو أي تقرير آخر صادر من إحدى الدول الكبرى آنذاك عن تاريخ الكُرد، إلا وكان يستشهد قبل كل شيء، ليدل على أن الكُرد سُراق وقتلة، على كلام القائد العسكري والمؤرخ اليوناني زينفون، الذي تحدث في كتابه (رحلة العشرة آلاف)، عن تعرضه إلى هجمات من قوم دعاهم زينفون بالكاردوخيين في القرن الخامس قبل الميلاد عندما انسحب من كُردستان بعد هزيمته أمام الفرس آنذاك. للتفاصيل عن الكُرد في كتاب زينفون، ينظر: فەرهاد پیربال، كورد لەدیدی...، ل75-94.

287. Armenia The Settlement, op. cit., P. 36.

288. Ibid, P. 26.

289. م.س. لازاريف، المسألة الكُردية ١٩١٦-١٩٢٣...، ص182.

290. أحمد عثمان ابو بكر، المصدر السابق، ص200-201.

291. المصدر نفسه، ص342-343.

292. الميجر نوئيل، المصدر السابق، ص16.

293. المصدر نفسه، ص18-21.

294. المصدر نفسه، ص23.

295. المصدر نفسه، ص32-34.

296. المصدر نفسه، ص36.

297. المصدر نفسه، ص54.

298. ينظر: ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص217.

299. احمد عثمان ابو بكر، المصدر السابق، ص187-188.

300. المصدر نفسه، ص66-67.

301. ينظر:

-Garo Sasuni, A.G.E., S.165.

302. للتفاصيل عن هذا الانشقاق الكُردي ينظر:

-Şaban Iba, A.G.E., S. 201-205;

- صالح محمد حسن، المصدر السابق، ص182-189؛ كريس كۆچيرا، كورد له سەدەی نۆزدەو بيستدا، وەگێرانی: حەمە كەريم عارف، چاپی دووەم، سلێمانی، 2004، ل34-37.

303 .Mecbure Eroglu, Armenian Issue: According to the Russian Documents In the Archive of the Institute of Turkish Revolution History, Ankara, 1999, P. 24-27.

304.للتفاصيل عن الأعمال الأرمنية في تلك المناطق التي احتلوها بعد هدنة موردوس، ينظر:

-Ermeniler Tarafindan Yapilan Katliam Belgeleri, Ii, T.C. Basbakanlik Devlet Arssvleri Genel Mudurlugu Osmanli Arsivi Daire Baskanligi Yaygn Nu: 50, Ankara, 2001, S.747-794.

305 .Recep MaraŞli, A.G.E., S.344.

306 .Mecbure Eroglu, op. cit., P. 26 and 32-33.

307. جستن مكارثي، المصدر السابق، ص233. ومن المفيد ذكره هنا أنّ مكارثي يقول في الصفحة نفسها إن البريطانيين كانوا قد احتلوا قارص في 19 نيسان 1919.

308 .Recep MaraŞli, A.G.E., S. 344.

309. ينظر الوثائق المرقمة الآتية: (2038)، (2039)، (2040)، (2041)، (2042)، (2043)، (2044)، (2045)، في: الوثائق، المجلد الثالث، المصدر السابق، ص203-234.

310 .Kirzioglu M. Fahrettin, op. cit., P. 70-71.

311 .Ibid, P. 89-92.

312. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص214.

313 .Maj. Gen. James G. Harbord, op. cit., P. 18.

314. ينظر، مؤلفه: المسألة الكُردية ١٩١٦-١٩٢٣...، ص127. تذكر جويس بلو في بحثها (اللغة والثقافة في تكوين الهوية الكُردية)، أن مجيء نظام حكم قومي بقيادة حزب طاشناق في أرمينيا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي في بداية تسعينيات القرن العشرين أحدث تحولاً جذرياً في حياة الكُرد، بتهجير أكثر من (20000) منهم، كانوا حتى ذلك الحين يتعايشون سلمياً مع جيرانهم الأرمن الذين أجبروهم على النزوح إلى مدن روسية. ينظر: فالح عبد الجبار وآخرون، المصدر السابق، ص167.

315. للتفاصيل عن الاحتلال اليوناني لأزمير والأعمال التي رافقتها، ينظر:
- Salahi R. Sonyel, Minorities And The Destruction..., P. 366-369;
M. Kalman, Bati-Ermenistan..., S.174-179.

316. نقلاً عن: ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص209.

317. إبراهيم الداقوقي، المصدر السابق، ص155-156.

318. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص207.

319. احمد عثمان ابو بكر، المصدر السابق، ص218.

320. قادر سليم شمو، المصدر السابق، ص53.

321. ينظر: ماليسانج، عائلة جميل باشا...، ص88.

322. المصدر نفسه.

323. نقلاً عن: اسماعيل بيشكجي، النظام في الأناضول الشرقية...، ج2، ص68-69؛ ينظر كذلك: كونتر دشنر، أحفاد صلاح الدين الأيوبي: الكُرد الشعب الذي يتعرض للخيانة والغدر، ترجمة: عبد السلام برواري، ط2، دهوك، 2000 ص96؛ م.أ. هسرتيان، كُردستان تركيابين الحربين، ترجمة: سعد الدين ملا وبافي نازي، بيروت، 1987، ص20-21.

324. من المفيد هنا القول إن مصطفى كمال باشا كان قد عقد مؤتمرين لتشكيل جبهة موحدة ضد الإنكليز وحلفائهم، الأول هو مؤتمر أرضروم عقده في تموز/ يوليو 1919، والثاني عقده في سيواس في بداية أيلول/ سبتمبر من السنة نفسها.

325 .Hesen Hişyar, jédeŕé beré, L. 215.

326. إبراهيم الداقوقي، المصدر السابق، ص158-159.

327. م.أ. هسرتيان، المصدر السابق، ص18.

328. ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص216.

329 .Recep Maraşli, A.G.E., S. 278-280 Ve 289-291.

330 .Garo Sasuni, A.G.E., S.161.

331. كثيراً ما يرد اسم حاجادور آغا في العديد من الوثائق العائدة إلى تلك المدة، على أنه أدّى دوراً كبيراً في محاولة لاستمالة زعماء العشائر الكُردية إلى جانب قوات جمهورية يريفان، للوقوف ضد الحركة الكمالية في شمال كُردستان، ينظر:
–Mecbure Eroglu, P.24-31.

332. ينظر: إسماعيل بيشكجي، النظام في الأناضول الشرقية...، ج2، ص76؛
–Recep MaraŞli, A.G.E., S. 346.

333. نقلاً عن: إسماعيل بيشكجي، النظام في الأناضول الشرقية...، ج2، ص76.
334 .Kirzioglu M. Fahrettin, op. cit., P. 104-105.
335 .Ibid, P.105-107.
336. ينظر: كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص345؛ بيار مصطفى سيف الدين، المصدر السابق، ص37-38.
337. ينظر نص البنود المتعلقة بالكُرد في: بله ج شيركوه، المصدر السابق، ص68-69.
338. ينظر نص البنود المتعلقة بالأرمن في: مروان المدور، المصدر السابق، ص460-464؛ شاوارش طوريكيان، القضية الأرمنية والقانون الدولي، ترجمة: خالد الجبيلي، ط2، اللاذقية، 2000، ص215-216.
339. كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص347-348.
340. ينظر نص قرار الرئيس الأميركي الذي يتكون من (23) صفحة:
The Frontier Between Armenia And Turkey As Decided By President Woodrow Wilson, November 22, 1920.
341 .Kendal, op. cit., P. 43.
342. احمد عثمان ابو بكر، المصدر السابق، ص290-291.
343. فؤاد حمه خورشيد، المصدر السابق، ص59.
344. مارتن فان بروينسن، الآغا...، ج2، ص592-593.
345 .Kendal, op. cit., P. 43-44.
346 .Ibid P. 44.
347. ينظر، مؤلفه: المصدر السابق، ص261-262.
348 .Stanford J. Shaw And Ezel Kural Shaw, op. cit., P. 356-357;
- كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص299؛ ديفيد مكدول، المصدر السابق، ص228؛ مارتن فان بروينسن، الآغا...، ج2، ص577.
349.Garo Sasuni, A.G.E., S.161-163;
- إبراهيم الداقوقي، المصدر السابق، ص164. يذكر الداقوقي هنا أن جيش كاظم قره بكر كان معظمه من الكُرد.
350. ينظر، مذكراته: حياتي الكوردية أو صرخة الشعب الكوردي، ترجمة: روني محمد دملي، اربيل، 2001، ص5.
351.Hesen Hişyar, jédeŕé beré, L.217-218

الخاتمة

من خلال الاطلاع على فصول علاقة الكُرد بالمسألة الأرمنية، بدءاً من ظهورها في عام 1877 حتى انتهائها في عام 1920، يمكن الخروج ببعض الاستنتاجات المهمة، وهي:

أظهرت الوثائق الأجنبية للدول الثلاث (البريطانية، والروسية، والفرنسية)، أنه لغاية ظهور المسألة الأرمنية في عام 1877، لم يكن بين الكُرد والأرمن صراع أو خلاف مستديم موغل في القدم بين الشعبين، بل إن العلاقات الجيدة بينهما في العديد من مدن وقرى شمال كُردستان كثيراً ما حيرت القناصل والساسة الأجانب في الدولة العثمانية، وغالباً ما كان يرد في تقاريرهم عن تلك العلاقة: «إن العلاقة كانت جيدة بين الشعبين حتى ظهور المسألة الأرمنية». هذه الحيرة تولدت عندهم، لأن أصل المسألة الأرمنية كان يتلخص ظاهراً بـ«حماية الأرمن من الكُرد والشركس»؛ ثم تبين أن هذا الادعاء حول الخطر الكُردي، (الشعب الجاهل، والأُمي، والمتعطش للدماء، وللسلب والنهب، والمعروف عنه تاريخياً اضطهاده للمسيحيين في المنطقة)، على الأمة الأرمنية (المثقفة، والمتمدنة، والمتحضرة) لم يكن إلا هالة دعائية كان القصد منها أرمنياً: تأسيس دولة أرمنستان على تلك الأراضي وإخراج الكُرد منها، ودولياً: لم يكن ظهور المسألة الأرمنية إلا مجرد ساحة معركة أخرى بين الدول الكبرى، لتأكيد الهيمنة والسطوة على العالم.

تعاملت الدول الكُبرى، بناءً على تقارير أرمنية في بداية حقبة المسألة الأرمنية، مع الكُرد على أنهم ليسوا من سكان البلاد الأصليين، ولا يوجد هناك فرق بينهم وبين الشركس أو اللاز في المنطقة، وقد أثرت طبيعة حياتهم العشائرية المبنية على الترحال كثيراً في هذا الجانب، وعدت هذه الملاحظة من الأسباب المهمة التي تجاهل الآخرون بسببها الكُرد في مشاريع الإصلاحات الأرمنية الأولى. وفي الجهة المقابلة يبدو أن السلطان عبد الحميد الثاني قد فطن إلى تلك السياسة، فقد كانت إحدى أهم نتائج تشكيله للفرسان الحميدية هو استقرار تلك القبائل، وإن لم تكن بصورة كاملة، في المدن والأرياف التي كانوا يعدونها ملكاً وراثياً لهم ولأجدادهم منذ مئات بل آلاف السنين.

في علاقة الأتراك بكل من الأرمن والكُرد ظهر أن الكُرد لم يكونوا يتحالفون مع الأتراك ضد المسألة الأرمنية إلا من باب التقاء المصالح، فقد بينت وقائع المسألة الأرمنية أن الكُرد كانوا أكثر معرفة بالأتراك من الأرمن بأشواط كثيرة، وذلك لأن الكُرد وطوال أربعة قرون كانوا يدافعون عن استقلال إماراتهم، ذات الحكم الذاتي ضد التدخلات التركية فيها، ونلمس هذا الشيء بكل وضوح في أفكار الشاعر الكُردي أحمدى خاني (1650 ـ 1707) عندما قال: «إن الطرفين [العثماني والصفوي] قد جعلا الأكراد هدفاً لسهام القضاء، وكأن الأكراد أقفال على الثغور وكل طائفة منهم سد راسخ. ومن كثرة ما تتلاطم أمواج بحر الروم [العثمانيين] وبحر التاجيك [الفرس] وتصطخب يتلطخ الأكراد بالدماء، لأنهم كالبرزخ يفصلون بين الفريقين»[1].

أما الأرمن فلم يحاربوا الأتراك قط في العصر الحديث حتى ظهور المسألة الأرمنية، وكثيراً ما نبه الكُرد الأرمن إلى أن عدوهم الأول هم الأتراك، كما حدث في حركة ملا سليم البتليسي، ولكن الأحزاب الأرمنية كانت ترى الكُرد عدوها الأول دائماً عدواً للأرمن، ولم يكونوا يلتفتون إلى المواقف الكُردية

الإيجابية إطلاقاً، وإن التقارب بين الكُرد والأتراك لم يحدث في أي عهد من العهود، كما حدث بعد أن ظهرت المسألة الأرمنية؛ فالأرمن هم من كانوا نقطة التجاذب الكُردي ـ التركي ليس إلا.

هنا يكمن الفرق الجوهري بين نظرة الكُرد والأرمن في ملاحظة مثيرة، وهي أن الكُرد دائماً وأبداً كانوا يريدون من الأرمن أن يكونوا إخوة لهم في الدولة الكُردية المستقبلية (كُردستان)، بل حتى في التنازل لهم عن عدد من المناطق ذات الأكثرية الأرمنية، ولكن الأرمن لم يكونوا يقبلون أن يكون في الدولة الأرمنية (أرمنستان) إلا الأرمن وحدهم. وقد أثبتت أفعال الأرمن في الحرب العالمية الأولى صواب هذا الرأي.إن الفرق بين السلوك الأرمني والسلوك الكُردي خلال حقبة المسألة الأرمنية، يكمن في أن الحجة الكُردية هي أقوى من الحجة الأرمنية، فقد أكدت أغلب المصادر أنه إذا كان هناك اعتداء من أحد الكُرد على الأرمن تكون وراءه السياسة التحريضية التركية أو أية مسألة أخرى لا تتعدى كونها مشكلة اجتماعية مثل مسألة الثأر. ولكن بالمقابل لم يدفع أو يحرض أحد الأرمن إلى قتل الكُرد إلا الأحزاب الأرمنية نفسها، بل إن أعمالها العنيفة جداً ضد الكُرد جعلت روسيا تتخذ موقفاً متشدداً منها في الحرب العالمية الأولى.

من الخطأ حقاً الظن أن الأرمن كانوا فقط الضحية في المسألة الأرمنية، فربما كانت الخسائر الكُردية أكثر من مثيلتها لدى الأرمن. صحيح أن الإنسان يتأسف أشد الأسف من أن لا يرى الآن في شمال كُردستان إلا بضعة آلاف من الأرمن، الذين وجدوا في المنطقة إلى جانب الكُرد منذ آلاف السنين، ولكن في الجانب الآخر لم يكن عدد القتلى الكُرد في الحرب العالمية الأولى أقل من عدد قتلى الأرمن، بل ربما يفوقهم عدداً. وكانت المسألة الكُردية بدورها ضحية للمسألة الأرمنية؛ فإن من أبرز نتائجها كانت سيطرة الكماليين على

تلك المنطقة، الذين حاولوا تسويف المسألة الكُردية ومحو الهوية الكردية من أرض كردستان، من خلال عشرات الحملات العسكرية المعروفة والتي لاتزال مستمرة لغاية اليوم.

«التغلب على الأحقاد»، هذا النداء الذي أطلقه كل من الباحث الكُردي سيامند زيد عثمان، والمخرج السينمائي الكُردي الراحل يلماز كوناي، والسياسي والمثقف الأرمني جيرارد ليبارديان[2] هو الذي يجب أن يأخذ مكانه في علاقة الكُرد بالأرمن وبالعكس، بدلاً من الاتهامات المتبادلة بالمسؤولية عن هذا الحدث أو ذاك. من المهم بل من الواجب أخذ الدروس والعبر مما حدث، ولكن لكثرة تبادل الاتهامات، خصوصاً من جانب الأرمن، وتعليق ذنب المذابح الأرمنية برقبة كُل كُردي يولد حديثاً، مثلما هي في الديانة المسيحية، التي تذكر بأن (الإنسان يولد وهو يحمل خطايا أبيه آدم عليه السلام)، لا تصب في مصلحة الطرفين، خصوصاً وقد تبيّن أن فصول المسألة الأرمنية لم تكن سوى بؤرة من بؤر صراع القوى العظمى في العالم، وظهر جلياً أن الاتهام الموجه للأرمن ليس بأقل من ذاك الاتهام الموجه للكُرد.

هوامش الخاتمة

1. نقلاً عن: جان دوست، الدرُّ الثمين في شرح مم وزين، دهوك، 2006، ص23.
2. ينظر: جيرارد ليبارديان، المصدر السابق، ص17.

الملاحق

1 ـ ملحق رقم (1): رسالة بطريرك الأرمن بدرماتوس(Peder Matteos) في استانبول إلى الأرمن في الدولة العثمانية بمناسبة سقوط بدرخان بك أمير بوتان بتاريخ 9 كانون الأول/ ديسمبر 1847.

2 ـ ملحق رقم (2): الجلسة التي عقدها مجلس العموم البريطاني لبحث قضية موسى بك في 25 تموز/ يوليو 1889.

3 ـ ملحق رقم (3): الأغنية التي ألفها الكُرد في موش عن موسى بك وگولي.

4 ـ ملحق رقم (4): مذكرة العقيد البريطاني نورتون المعنونة بـ(الإصلاحات لأرمينيا الكُردية) في آذار / مارس1895.

5 ـ ملحق رقم (5): مقابلة سعد الدين باشا مع الأرمن في وان بتاريخ 19 آذار/ مارس 1896.

6 ـ ملحق رقم (6): كلمة المشير عثمان باشا في موش بتاريخ 11 آب/ أغسطس 1911.

7 ـ ملحق رقم (7): برقية من الأحزاب الأرمنية (الطاشناق، والهنشاق، والرامغافار) إلى الحكومة العثمانية بتاريخ25/ 4/ 1913.

8 ـ ملحق رقم (8): النص الكامل لمنشور عبد الرزاق بدرخان إلى الكُرد في تشرين الأول/ أوكتوبر 1913.

9 ـ ملحق رقم (9): الرسالة التي أرسلها الأرمن، الذين أنقذهم محمد آغا إلى الروس مع مقدمة لهنري باربي.

10 ـ ملحق رقم (10): الخرائط.

ملحق رقم (1)

رسالة بطريرك الأرمن بدرماتوس(Peder Matteos) في استانبول إلى الأرمن في الدولة العثمانية بمناسبة سقوط بدرخان بك أمير بوتان بتاريخ 9 كانون الأول/ ديسمبر 1847[1]

تبليغ لكل الكنائس المقدسة من بطريرك الأرمن في استانبول، من مكان إقامة السلطان العثماني:

منذ مئات السنين يتعرض شعبنا الأرمن لظلم الكُرد واستبدادهم، وهذا هو اليوم الذي قضى فيه على وحشية واستبداد الكُرد السلطان العثماني العظيم، صاحب المثل الأعلى في الحفاظ على شعبه، من مختلف مشاربهم وأعراقهم ودياناتهم، والذي لا يقايض شعبه بأي ثمن والذي جعل في يومنا هذا من الكُرد وجبروتهم وطغيانهم خراباً، وهزمهم شر هزيمة؛ فقد كان الأرمن تحت سيطرتهم يبكون، ويئنون، ويتألمون، دون أن يستطيعوا أن يخرجوا صوتاً، وكان أولادنا فرائس لرغباتهم الشريرة، وصرنا كإسرائيل عندما كانت تحت سيطرة أهل مصر إلى أن جاء لطف الله علينا، وأنقذنا، وخلصنا هذا السلطان العظيم، من الأسر والبؤس، التي لم تكن لنا طاقة لتحمله، وأرض أرمنستان التي حباها الله، بوافر نعمته وخصوبة تربتها وأراضيها، جعلها الكُرد مرتعاً لحيواناتهم ووكراً لقذارتهم وجرائمهم، ولكن الله لم ينسنا وقد عمل بهم كما عمل بالطاغية البابلي، خالق العبودية والوثنية عندما ضربه بسهمه من

السماء وأرداه في (هايق ناهابت)، وبإيماننا به جعل لنا سبيلاً للخلاص من الكُرد. وعندما رأى الله ما حل بأرضنا، التي لا مثيل لها بأيدي الطواغيت رحم بحالنا، وأرسل إلينا برغبته ومشيئته الإلهية ملكاً عظيماً مميزاً وهو السلطان عبدالمجيد الشهم، والذي شملنا بعطفه ورحمته، وخلّصنا من الطغاة، وقرر أن يصنع لنا حريتنا بيديه، إن الرب عظيم ومقدس ويده اليمنى القوية لا يمكن التصدي لها، وبعد سماعه لدعوات الأطفال في جوقة المُرتّلِين في الكنيسة، وتضرع الراهبات اللائي نذرْنَ أنفسهن للعبادة، وبكائهن الخالص لله أسقط الله رعباً وخوفاً في قلوب أعدائهم، وجعلهم يتأوهون من شدة الرعب، الذي يدخلهم فيه، وجعل قادتهم أمثال خان محمود وبدرخان ينهزمون أمام جيوش السلطان العظيم، ويستسلمون صاغرين منكسرين لقادة السلطان الشجعان الناصرين، وهذا كله مِنَّة من الله على السلطان العظيم.

وهكذا تحرر الأرمن من هذا البؤس والأسر والشقاء، ونأمل فيما يأتي من الأيام أنْ نُسعد، ونحيا حياتنا الجميلة، في ظل حماية ملكنا الرؤوف والرحيم صاحب الفضائل الإنسانية، وإن ما فعله السلطان من أجلنا أمر لا يصدق، فقد عاملنا بكل عطف واحترام، وأظهر لنا وللشعب الأرمني محبة لا مثيل لها، وقد شاركنا فرحتنا، ونحن بدورنا كنا دائمي الدعاء والتضرع له، في سبيل النصر والغلبة للمستضعفين أمثالنا وقد قام أيضاً بأفراحنا وإسعادنا أكثر، في يوم الجمعة المصادف (27) تشرين الثاني/ نوفمبر، عندما شاركنا الفرحة وأمرنا، ونحن في حضرته، إلى إرسال الأمر الآتي إلى بطريركيتنا : (قد خصَّ اللهُ مملكتي بهذا النصر المؤزر، نتيجة لدعواتكم وصلواتكم المستمرة من أجل انتصارنا في المعركة، وقد سمع الله منكم دعاءَكم وأعزنا بالنصر المبين، وهذا النصر المظفر كان أمانة الله عليَّ، كي أستمر في حماية أتباعي وشعبي والمحافظة على سلامتهم وراحتهم، التي كنت أرجوها دائماً من الله، وأقول

للبطريرك بلغ شعبك إنني سعيد لكوني بينكم، ونحن متحدون ومتعاونون معاً، وأنا أكاد أحس بمشاعركم تجاهي، ومحبتكم لي وسعادتكم لكونكم تابعين لي،وأرجو من الله العلي القدير أن يحفظكم).

أنظروا إلى الحمية التي أظهرها فخامة السلطان لرعيته، من كل الشعوب والديانات، وجاعلاً هذا اليوم يوم حرية، أريد منكم أن تدعو من الله أنْ يحفظ لنا السلطان، وأريدكم أنْ تحيوه قائلين: فَلْيَعِش المنتصر ومحب الخير والإنسانية، والملك المعظم القوي، الإمبراطور عبدالمجيد خان، وَلْتَعِش الأم القوية العادلة والدة السلطان، وَلْيَعِش أبناء السلطان وكل أفراد عائلته، وليكن السلطان القوي يد الله اليمنى، وليحفظ الله السلطان ومعاونيه المحترمين، وقادة جيشه ووزراءه المحترمين، وليكن السلطان لائقاً في إنسانيته لإنسانية وسلام صاحبنا ومخلصنا عيسى الرب. وليكن سلطاننا مقدساً للأبد، آمين، (9) كانون الأول/ ديسمبر 1847 استانبول.

ملحق رقم (2)

الجلسة التي عقدها مجلس العموم البريطاني لبحث قضية موسى بك بتاريخ 25 تموز/ يوليو 1889[2]

-سأل المستر سمرز: فيما إذا كان من الصحيح أن رجل العصابة الكُردي موسى بك، عندما كان في طريقه إلى استانبول استقبله بمظاهر الشرف والتعاطف الموظفون المسلمون القادة في بتليس وموش وأرضروم وطرابزون؟ وفيما إذا وصلت الباخرة التي نقلت موسى من طرابزون إلى استانبول، وفيما إذا كان كل من الجنرالات حسن وبحري باشا على متنها، أرسلهم السلطان؛ لكي يبلغوا موسى بك التحيات السلطانية؟ وفيما إذا قرر أخذ موسى بك إلى قصر يلدز كيوكز؟ وفيما إذا أصدر السلطان إرادة تدعو إلى كل من يهمه الأمر للمجيء؟ وفيما إذا كان هنالك مرسوم يقضي بأن يقدم (12) أرمنياً مهاجراً عريضة إلى السلطان يعبرون فيها عن استعدادهم لإثبات أن الجرائم التي حدثت كان قد ارتكبها موسى بك؟ وفيما إذا أُلقي القبض على مقدمي العريضة هؤلاء، وأودعوا السجن لما قاموا به؟

-السير فيركسن (منسق الشؤون الخارجية): لم تكن لحكومة صاحبة الجلالة أي معلومات بالطريقة التي تم فيها استقبال موسى بك في القصور المذكورة، حيث إن هذا الأخير قام بتوجيه عريضة إلى السلطان، ذكر فيها أن الاضطهاد وأعمال العصابات، التي تُعزى إليه ليست لها أي أساس من

الصحة، وأنه جاء إلى هنا لإثبات براءته من هذه التهم، وأنه على استعداد للوقوف مع المشتكين أمام المحكمة ويتحمل الحكم. وقد صدرت إرادة ملكية تتضمن تعليمات إلى وزير العدل بإبلاغ المعنيين بالأمر من المشتكين بأن يقدموا كل التهم أمام المحكمة وبطريقة أصولية، وإذا كانت هناك أية قضية تقدم ضد موسى بك فيجب النظر فيها بأقصى درجات العدالة والإنصاف، وقد نصت الإرادة على أن تُصدر تعليمات إلى حاكم بتليس، بأنه إذا كان هنالك أي أشخاص موجودين، يريدون تقديم شكواهم ضد موسى بك، وأن يأتوا إلى استانبول. لقد تم إنكار إلقاء القبض على الوفد الأرمني، ولم يتلقّ سفير صاحبة الجلالة أي تقرير بهذا الخصوص.

-أما المستر مور فقد سأل: فيما إذا كان يستطيع أن يقدم أية معلومات للتحقيق المقترح، بخصوص التهم الموجهة ضد موسى بك، وفيما إذا كان هنالك أي شرط، يتعلق بحضور أولئك الذين قدموا التقارير من الذين يعرفون اللغة التركية واللغات الأخرى؟

-السير فيركسن: طبقاً للمعلومات المتوافرة عند حكومة صاحبة الجلالة لم يتم اتخاذ أي قرار لحد الآن حول ما إذا كانت المحكمة ستستمع إلى هذا الموضوع، ولكن يعتقد أن المحكمة ستكون علنية، كما أن حكومة صاحبة الجلالة لم تعلنها بعد، أمّا بخصوص هذا الشرط المتعلق بحضور الذين قدموا التقرير، والذين يعرفون اللغة التركية واللغات الأخرى فإن هذه المسائل تتعلق بالإدارة الداخلية للإمبراطورية العثمانية.

ملحق رقم (3)

الأغنية التي ألفها الكُرد في موش عن موسى بك وگولي[3]

گولێ و حەجی مووسا بەگ GULE U HECÎ MUSA BEG

گولێ دگۆ حەجی مووسا بەگۆ قوربان

Gulê digo Hecî Musa Bego qurban

ئەز گونەمە، ئەز گونەمە Ez gune me, Ez gune me

ئەز ئاخچیکم، ئەز فلەمە Ez axçîk im, ez File me

ئەز پوولکم، بێ فایدەمە Ez Pûlik im, bêfayde me

ئەز نەلایقێ حەجی مووسا بەگێ خوەمە

Ez ne Liygê Hecî Musa Begê xwe me

گولێ دگۆ حەجی مووسا بەگێ قوربان

Gulê digo Hecî Musa Begê qurban

تو من سەرژێکی ب دووزانان

Tu min serjê kî bi dûzanan

تو گوشتێ من ڕاکی ب کەلپەتانان

Tu goşxtê min rakî bi kelpetanan

ئەز تو جار نایێم سەر دینێ موسولمانان

Ez tu car nayêm ser dînê Musulmanan

گولێ دگۆ حەجی مووسا بەگێ قوربان

Gulê digo Hecî Mûsa Begê qurban

ئەز گولێ مە، گولا دینم

Ez Gulê me, Gula dîn im

ئەزێ رابم داوا خوە ل ناڤ خوە بلەفینم

Ez’ê rabim dawa xwe li nav xwe bilefinim

رێکا ئستانبولا شەوتی بگرم، بکودینم

Rêka Istambula şewîtî bigirim, bikudînim

ئەزێ تەختێ سولتان ڕەشاد[4] بگرم، بهژینم

Ez,ê textê Sultan Reşad bigirim, bihejînim

ئەزێ حەفت دوێلێ ئەجنەبی ب خوە وحەجی مووسا بەگێ بهسینم

Ez,e heft duwêlê ecnebî bi xwe û Hecî Mûsa Begê bihîsinim

حەجی مووسا تو کورمانجی ئەز فلەمە

Hacî Musa tu Kurmancî ez File me

ئەز ئاشقێ دینێ خوەمە

Ez aşiqê dînê xwe me

من نەکوژە ئەز گونەمە

Min nekuje ez gune me

تو سەرێ من کوڕکی ب گزانا

Tu serê min kurkî bi gžzana

کۆشتێ من بدی بەر کەربەتانا

Goştê min bidî ber kerpetana

ئەز سەرێ خوە نادم سەر بالگیێ مێری موسولمانا

Ez serê xwe nadim ser balgyê mêrê Musulmana

ملحق رقم (4)

مذكرة العقيد البريطاني نورتون (Norton) المعنونة بـ(الإصلاحات لأرمينيا الكُردية) بتاريخ آذار/ مارس 1895[5]

1- إنشاء إقليم تحت اسم أرمينيا الكُردية: إن تلك المناطق التي يسكنها الكُرد والمسيحيون من رعايا جلالة السلطان الإمبراطورية صعبة الفصل لأن السكان متداخلون فيما بينهم، من أمثال: وان، وهكاري، وديرسم، وبتليس، وبعض الأجزاء الأخرى من الأقاليم، إذ يقوم الكُرد والشركس بمنع السكان الدافعين للضرائب من التمتع بثمار أعمالهم غير المؤذية، ويجب تشكيلها ضمن ولاية كبيرة واحدة، تحت سيطرة حكومة يُختار لها موظف متمكن لها، يطلق عليه اسم نائب الملك، أو حاكم عام لأرمينيا الكُردية.

2- مجالس إدارية: (مجالس) تتمتع بسيطرة أقل، وتتطلب ضباطاً قانونيين أقل، ومحكمة بجلسات دورية من أجل تحييد النفوذ المحلي، يكون عدد الحكام الفرعيين أقل تحت سيطرة مجالس الإدارة، فمثل هذه المجالس سيكون لها عدد أعضاء أقل، ويكون عدد الضباط القانونيين أقل، وبرواتب أفضل، وتسليم السجن بقرار من محكمة متنقلة، بجلسات دورية من أجل تحييد النفوذ المحلي.

3- ضمان نفقات الحكومة المحلية: إن جميع العائدات (عدا الضرائب الست غير المباشرة)، تدفع إلى الخزينة في مقعد الحكومة الذي سُيختار من

أجل أرمينيا الكُردية، إذ سيساهم هذا المصدر بنفقات الحكومة المحلية، قبل إجراء المدفوعات إلى بيت المال الإمبراطوري.

4- ضريبة شرطة خاصة: تجبى ضريبة شرطة خاصة، من كل وحدة إدارية وفرض مقدار قليل من المال وضريبة على الأغنام.

5- منع إطلاق سراح السجناء عن طريق الرشوة: ستكون السجون تحت سيطرة سلطات الشرطة، وكذلك بالنسبة إلى جميع السجناء، ولا يسمح لأي من مفتشي القضاء إصدار أمر إطلاق سراح أي مدان حتى يكمل فترة حكمه؛ يجب تنفيذ عقوبة الإعدام دون أي تأخير لا ضرورة له، وإجراء الترتيبات لتنفيذ أحكام الأشغال الشاقة، والتي يتوجب تطبيقها في بناء الطرق الضرورية جداً في البلد.

6- يقوم مُفوّض الإصلاحات بالإشراف على تنفيذ الفقرة (59) من معاهدة برلين، ويخول مفوض أوروبي للإصلاحات في حينه وكيلاً سياسياً ويقيم في (شيف ليو) (chef-lieu) من إقليم أرمينيا الكُردية، ويكون مسؤولاً عن الحفاظ على كفاءة قوة الجندرمة، وأن يطلع الدول الموقعة على معاهدة برلين، وبشكل مستمر على أن الرعايا المسيحيين للسلطان هم محميون من اعتداءات الكُرد والشركس.

7- قيام اثنين من الضباط الفرعيين بمساعدة المفوض: سيكون لهذا المفوض رتبة رئيس مفوضي الإصلاحات، ويساعده في أداء واجباته كمفتش شرطة اثنان من الضباط الأوروبيين، يلقبون بمفوضين مساعدين للشرطة والإصلاحات في أرمينيا الكُردية.

8- تقسيم أرمينيا الكُردية إلى سناجق أو حكومات فرعية: يقسم الإقليم بأكمله إلى نحو اثني عشر سنجقاً، وكل سنجق يقع تحت إدارة متصرف، ويمثل أيضاً منطقة شرطة أو دائرة ولكل منها نسبة صحيحة من الشرطة المسلحة.

9- يخضع الإقليم بأكمله إلى مراقبة الشرطة، واثني عشر ضابطاً أوروبياً، يعملون كمفتشين شرطة في السناجق: إن المفتش الأوروبي لقوة الشرطة هذه سوف يقيم في مركز الحكومة لكل سنجق، ويتأكد من أن رواتب الشرطة تدفع بشكل جيد، وتخفض ضريبة الشرطة بشكل عادل، وأن جميع رعايا جلالته الإمبراطورية سوف ينعمون بالحماية من قاطعي الطرق، والمجرمين عن طريق القيام بدوريات منتظمة، ومواقع عسكرية مرابطة في جميع أنحاء البلد، وسيكون هناك أيضاً مسؤول عن كفاءة قوته العسكرية، وأن يتأكد بأن الضباط والجنود يعرفون واجباتهم جيداً، وبأنهم يتلقون الأرزاق والأعلاف لحيواناتهم، والملابس، والأسلحة، وبأنهم منضبطون بطريقة ملائمة، وكذلك على الجندرمة الخيالة أن يهتموا بشكل صحيح بخيولهم.

ملحق رقم (5)

مقابلة سعد الدين باشا مع الأرمن في وان بتاريخ 19 آذار/ مارس 1896[6]

يقول سعد الدين باشا: كنت قد ذهبت البارحة لرد زيارة القنصل الإيراني، واليوم ذهبت أيضاً إلى القنصل الانكليزي، وكان في أطراف القنصلية ما يقارب (400) من القرويين الأرمن، وكنت قد أوصيتهم في وقت سابق بالعودة إلى بيوتهم، لكنهم طلبوا مقابلتي أولاً، وقد وافقت على ذلك، وبداية كانوا كلهم في حال يرثى لها،...ووجهت عدة أسئلة إلى مختاريهم، فأجابوا على أسئلتي بالشكل الآتي:

-هل لديكم أراضٍ؟

-نعم لدينا أراضي مزروعة...

-وماذا تفعلون هنا؟

- نجلس فقط.

-إذا لم تعملوا في أراضيكم فأنكم ستموتون جوعاً السنة القادمة...

- نموت من الجوع، ولكننا لن نتحرك من هنا!

-ولماذا لا تغادرون؟

-لأننا نخاف من الكُرد، وحري بالدولة بأن تلقي بنا في البحر، ولا تعيدنا إلى هناك.

-وهل يعقل هذا؟ فإن الدولة قد أرسلتني إلى هنا، وإنني حذرت الكُرد، فلا تخافوا، وعودوا إلى قراكم.

-إذا لم يؤدب الكُرد فلم يتخلوا عن مهاجمتنا.

-وكيف تريدون أن يؤدبوا؟

-وكيف لنا أن نعلم؟ فإن الدولة أدرى بشؤونها.

-نحن قمنا بتأديبهم، وأنتم بحاجة للتأديب أيضاً.

-نحن ماذا فعلنا؟

-من الذي قام بقتل (14) شخصاً من الكُرد؟.

-نحن لا نعلم.

-أنتم لا تعلمون ولكننا نعلم، كم عمرك؟-سأل سعد الدين باشا أحد الأرمن الحاضرين:

-بين الخمسة والخمسين والستة والخمسين عاماً.

-هل والدك حي؟

-كلا.

-ماذا حدث له؟

-لقد توفي.

-ومن الذي قتله؟

-لقد مات بأمر الله تعالى.

-هل قتله أحد؟

-كلا.

-وهل يوجد من أجدادك من مات مقتولاً؟

-كلا.

-وما دام الكُرد إلى هذا اليوم لم يقتلوا أحداً من قبل، فماذا حصل: هل جنَّ جنونهم لكي يقوموا بقتلكم؟

-لا نعلم.

-إذا أنت كنت لا تعلم فأنا أقول: أنت تعلم أن قريتكم قد أصبحت مرتعاً للأشقياء، وكنتم تخبئون الأشقياء فيها مع أسلحتهم، وإذا ما رأيتم الكُرد في أي مكان كنتم تقومون بقتلهم، حتى أنكم قتلتم أربعاً من الشخصيات المهمة لديهم ـ من أغواتهم، وقد ضربتم عشرة من صغارهم، هم أيضاً قاموا بضرب اثني عشر شخصاً منكم، ماذا كان بوسعهم أن يفعلوا (نرجوكم لا تتسببوا بأذيتنا)، أن يقولوا لكم ذلك، وهل هذا ما كنتم ترغبونه؟

ـ نحن لا علم عندنا بما تقول.

ـ إذن، فلماذا تقولون إذا ما بقي الكُرد هناك فإننا لن نذهب إلى قرانا، وهل تريدون منا أن نخرج الكُرد من تلك المنطقة؟ ولا تتعدى قراكم الأربع قرى، أما الكُرد فيسكنون (400) قرية، وهل علينا ولأجل أربع قرى تهجير (400) قرية؟!

-نحن لا نعرف، اقتلونا، ولكن لا ترسلونا إلى هناك.

ملحق رقم (6)

كلمة المشير عثمان باشا في موش بتاريخ 11 آب/ أغسطس 1911[7]

أيها الأرمن: إنكم خائنون للدولة وكذبة أشرار، ولستم على حق في شكواكم ضد الأكراد؛ فإن هؤلاء لم يضبطوا أراضيكم، ولم يعتدوا عليكم، وكل ما تقولونه دعاوى فارغة، وتهم كاذبة باطلة، لقد كانت هذه الأراضي لكم، ولكننا نحن العثمانيين قد أتينا ببضع مئات من الرجال إلى هنا، وحاربناكم وضبطنا منكم هذه الديار بالسيف، وحملنا الأهالي على الإسلام، فإذا كنتم رجالاً فحاربوا، واستردوا دياركم، إنكم أيها الأرمن شعب أصاب قسطاً وافراً من العلم والمدنية والرقي، ويمكنكم أن تحافظوا على حقوقكم بقوة ألسنتكم وأقلامكم، وبما لديكم من الدهاء والذكاء، أما العنصر الكُردي فجاهل وغير متمدن، لذلك ليس له قوة بغير السلاح، فبسلاحه يمكنه أن ينال حقوقه، أنتم تتركون بلادكم وتفرون إلى الدول الأجنبية، مدعين أن الأكراد يؤذنوكم ويظلمونكم. إنكم تكذبون؛ فأنتم المذنبون، وإنكم عنصر ضار، والأكراد لا يمسونكم بضرر إذا لبثتم ساكتين، إنكم تطلبون إلغاء (العساكر الحميدية) لكي يخلو لكم الجو فتمرحون ما تشاؤون، فاعلموا أن العساكر الحميدية ستبقى دائماً لسحق رؤوسكم. تأتون دائماً إلى مدارسكم بمعلمين من لابسي القبعات، وتوكلون إلى الأجانب إدارة مدارسكم، فأنتم آفة الوطنية

وخائنو الأمة، والحكومة ستربيكم التربية اللازمة. إن بعض الذين يأتون إلى هنا من الولاة ومأموري الحكومة، يخافون منكم، حتى إن بعضهم يسارعون إلى تقبيل أيدي قساوستكم، أما فأعلموا يقينا إنني لا أخاف.

ملحق رقم (7)

برقية من الأحزاب الأرمنية (الطاشناق، والهنشاق، والرامغافار) إلى الحكومة العثمانية بتاريخ 25/4/ 1913[8]

نتيجة للسياسة الحمقاء والتحريضية والإجرامية المتبعة إزاء السكان الأرمن فإن ولايتنا مثلها مثل بقية الأقاليم التي يسكنها الأرمن في طريقها السريع نحو الدمار، فإذا كنا قد لزمنا الصمت حتى الوقت الراهن، فذلك بسبب الحرب التي كانت تعني سلامة الإمبراطورية، إلا أن التزامنا الصمت لمدة أطول سيكون عملاً مضراً بالمصالح العامة للسكان الأرمن في الإمبراطورية. وفيما يخص إقليمنا والسلطات المحلية والجندرمة والشرطة والمحاكم، ففي حقيقة الأمر إنها جميعاً تعمل بكل وسيلة قانونية وغير قانونية، من أجل هدف واحد هو سحق وإضعاف وإبادة القوة الكلية للشعب الأرمني. فالقوانين تطبق فقط من أجل كسب ود المجرمين الكُرد وضرب السكان الأرمن. تتظاهر قوات الجندرمة والشرطة بأنها لا ترى عصابات الكُرد المسلحين الغازية للطرق؛ لقد قاموا بمصادرة مسدس وجد مع أحد الأشخاص من الأرمن. فالمسؤولون في حكومتنا غير مكترثين للمحرضين من الأتراك والكُرد، الذين سلحوا القرويين الكُرد بالقوة والتهديد، وحرضوهم ضد الأرمن بالأكاذيب الكبيرة، ولكن هؤلاء هم المسؤولين أنفسهم الذين ملأوا السجون بالأرمن الذين شوهدوا في القرى. فالمحاكم لم تصدر مذكرات اعتقال ضد الفاعلين

الحقيقيين للجرائم المرتكبة ضد الرجال المحترمين من أمثال (رافائيل-Raphael)، و(يريزيان-Yerezian) والقس (ماردروس-Marderos)، ولكن منذ أشهر وهم يعذبون القرويين الأبرياء داخل السجون، من الذين ليس لهم أي علاقة بعملية اغتيال قاطع الطريق حجي يعقوب-هو كُردي- وقاموا باحتلال قراهم عن طريق مجموعة من الجنود فأرهبوا المنطقة بأسرها. ونتيجة لهذه الملاحقات السياسية فقد بلغ عدد الهاربين الأرمن مئة شخص، وهذا العدد يزداد بشكل يومي، وهكذا خلقوا وضعاً غير طبيعي في هذه الولاية. إن كابوس الهجوم المسلح والمصائب المستقبلية تمنع عدداً كبيراً من القرويين من حرث الأرض وزراعتها، الأمر الذي سيقود إلى كارثة مجاعة جديدة. وبسبب حصول كل هذا الأمر تحت نظر الوزارة وتحت نظر سعادتكم، فإننا نؤدي الواجب ونعده حقنا في المطالبة بضمانات لإصلاحات فورية، من أجل الأرواح والممتلكات للسكان الأرمن ضد عدد صغير من الكُرد (دەرەبەگی)، الذين يعدون مصاصي دماء للسكان الكُرد أيضاً، وضد المسؤولين العاجزين والفاسدين الذين يحمونهم ويشجعونهم. فإذا لم تقم سعادتكم بوضع حد لهذا النظام المدمر عن طريق الوسائل الحاسمة فإن الأناضول لن تتمكن من التخلص من الكوارث التي حلت برومليا.

ملحق رقم (8)

النص الكامل لمنشور عبد الرزاق بدرخان إلى الكُرد في تشرين الأول/ أوكتوبر 1913[9]

السلام على النبي (ص) رسول الله...

بعد أن أجبرت الحكومة العثمانية على التنازل عن طرابلس الغرب لمصلحة إيطاليا، وهزمت أمام قوى البلقان الأربع[10]، وخسرت سبعة ملايين مواطن والولايات الأوروبية، نزولاً إلى جوار القسطنطينية، وجزر ايجة، وكريت، كلها وهي مناطق تفوق بمواردها الأناضول بأشواط. إلى جانب ذلك أعطت الحكومة المذكورة أفضلية لـ(لبنان) ولمرفأين في سوريا، وفي ولاية دمشق، وعُين (حسين حلمي باشا) لإنفاذ هذه الإصلاحات.

أما بالنسبة إلى الكويت، وشط العرب، والسكك الحديدية المتاخمة لبغداد، فقد أوكلت إلى بريطانيا...؛ ثم ناقشت القوى العظمى مسألة تقاسم الأراضي التركية في آسيا، وبما أن الجيش والخزينة العثمانيين قد دمرا بالكامل، قبلت الحكومة حماية من انكلترا بالشروط التالية، بهدف ضمان استقلال ما تبقى من أراضيها:

1-ستدير انكلترا والقوى الأخرى الشؤون الداخلية كافة.

2-سيخضع الجيش العثماني لأوامر الضباط الألمان.

3-سيدير مسؤولون أوروبيون جميع التنظيمات، من: محاكم، وميزانية الدولة، والشرطة، والدرك وغيرها.

4-ستنعم الولايات الست التي تشكل (أرمينيا) وهي: (وان، وبتليس، وأرضروم، وسيواس، وخربوط، ودياربكر) بميزات خاصة للأرمن.

5-سينتقل مجلس السفراء في لندن وباريس، الذي تفحص وضع قوى البلقان الأربع المنتصرة، واتخذ القرارات بشأنها، إلى دراسة قضية إعادة هيكلة أرمينيا، والميزات الأرمنية، ومعاملة الأرمن كقوة خامسة-أي بجانب الدول الأربع البلقانية المنتصرة على الدولة العثمانية-، وبالتالي اتخاذ القرارات المناسبة.

لقد وافقت الحكومة التركية على البنود المذكورة آنفاً، كما درست أوروبا إمكانية إحالة (يافا) ومرفأ القدس إلى فرنسا، مع إعطاء تعويضات مماثلة لكل من القوى الأخرى، وبالتالي أصبح جلياً أن أوروبا هي وحدها، التي تقرر مصير أقسام العالم الأخرى إلى جانب أميركا. وإنْ صادق المجلس في (لندن) على امتيازات الأرمن لكونهم القوى المنتصرة الخامسة فستكون الخيبة من نصيب الكُرد.

لا بد من الإشارة إلى أن الحكومة العثمانية، التي ألفت جيشاً من سبعمئة ألف إلى ثمانمائة ألف جندي، خسرت (350000) شخص بين قتيل وجريح، فيما سجن (300000) آخرون، وفقدت ثمانين في المائة تقريباً من الأسلحة والذخائر، ونضبت محتويات خزينة الدولة، وجردت السلطنة من جميع وسائل الدفاع عن النفس. وبما أن ما تبقى من الأراضي سوف يقسّم على الأرجح، باتت تركيا مثل المغرب وبلاد فارس، واضطرت للقبول بالحماية البريطانية، وبوجود دولة أرمنية تتمتع بالامتيازات عوضاً عن دمارها الكامل. إن امتنعت الحكومة عن التفريط بالكُرد، ستفقد القسطنطينية وآسيا الصغرى، فكما يقال (هل يجوز تصحيح خطأ ما باللجوء إلى آخر؟!). لذلك رفعت تركيا يدها عن كُردستان وخضعت لأهواء أوروبا.

نحن الكُرد المعروفين من أغلبية الأوروبيين، وفي جميع أوساط المثقفين، نحن من تصفهم المعاجم كعشائر شبه متوحشة نعيش على السرقة، وكرعاة لا يعترف بنا كأمة لها الحق في الحضارة على غرار الأرمن. بالطبع لن يصغي أحد إلى برقياتنا، وخطاباتنا، وممثلينا، وفي ظل الظروف الراهنة نستذكر المثل الفارسي التالي(بسلاحنا المرفوع ستبقى الأمة محمية). مع ذلك لا نقول إننا سنرفض قرارات القوى الست، لكن سكان الولايات المجموعة تحت اسم (أرمينيا)، وسكان المناطق الأخرى هم من الكُرد الذين يشكلون نسبة ثمانين في المئة، وهم يمتلكون معظم الأراضي، وبالتالي لا بد من أن تكون لحقوقهم ومصالحهم الصدارة. والآن بما أن الحكومة تخلت عنا فإن كان ثمة من أمة تستحق امتيازات فهي الأمة الكُردية. وإضافة إلى ذلك تجدر الإشارة إلى أن المسيحيين الأشوريين الذين يشاطرون الكُرد تقاليدهم، وعاداتهم، وشيم عشائرهم، والذين انضموا إلينا وباتوا حلفاءنا لن يقبلوا يوماً أن تعطى الامتيازات للأرمن مع تجاهل الكُرد والأشوريين.

هذه المرة، وبهدف تحقيق هدفنا والحصول على حقوقنا المشروعة لن نقوم بأعمال النهب والثأر (كما في السابق)، ولن نؤذي مسلماً أو أرمنياً أو يهودياً، بل سنتسلح إلى جانب شركائنا في الوطن، وهم الأشوريون، وسنقول للقوى العظمى:(لن نقول: إننا لن نقبل بقراراتك، بما أن الحكومة العثمانية التي كانت حتى الآن من القوى العظمى، وباتت كالمغرب وبلاد فارس؛ سنقبل بعون الله بحكم الأوروبيين، ولكن بما أن الكُرد والأشوريين هما أمتان منفصلتان فلا بد من أخذ مصالحهما في الحسبان، وما أن نتوصل إلى اتفاق بهذا الشأن سنساعد نحن أنفسنا أوروبا على إنفاذ قراراتها).

إن فشل الكُرد في الحصول على حقوقهم وامتيازاتهم سببه -كما أؤكد لكم من الآن إن الخطوة الأولى التي ستتخذ- هي: جمع الأسلحة، وتجريد

الكُرد من السلاح، وزوال الشيوخ، والعلماء، والبكوات، والآغاوات، وبعد ذلك كيف سيتمكن الكُرد الأميون (الجهلة) من حماية حقوقهم لا من الأرمن الأثرياء ولكن السفلة.

يا أيها الكُرد! أترغبون في إثارة مشاعر الحقد تجاه أنفسكم، وأن تروا دينكم، وأمتكم، وأرض أجدادكم، مجرد ركام؟ فاعرفوا أن الكُرد، والأسياد، والعلماء، والشيوخ، والنبلاء، والمثقفين، ورجال الدولة، والبكوات، والآغاوات، والفقراء، والأثرياء قد أنشأوا لجنة وأقسموا على حماية الدين والأمة وأرض الأجداد بالدماء. وكي لا نخضع للأرمن يجدر القيام بما يلي: من يحب دينه وأرض أجداده ملزم بالتسلح ومساعدة المقاتلين. وإلى جانب ذلك فإن الكُرد والمسلمين والمسيحيين، وكل من يشاطرنا الرأي من إخوتنا المواطنين، وخصوصاً المسؤولين، والضباط العسكريين، مدعوون للانتساب إلى لجنتنا. كما لا بد من أن نلحظ أن (65000) ضابط ومسؤول هم عاطلون عن العمل في (روميليا)، وإن أعطينا الولايات الست للأرمن ستبقوا أيها الضباط والمسؤولون جائعين مشردين مع عائلاتكم في الشوارع، وستستنزف الهجرة قدرات الأمة، وعلى غرار ما سيحصل في روميليا، وكريت، وأقاليم مسلمة أخرى فقدت، ستدمر مساكننا وأماكن عبادتنا وسوف تدنس.

ملحق رقم (9)

الرسالة التي أرسلها الأرمن الذين أنقذهم محمد آغا إلى الروس مع مقدمة لهنري باربي[11]

دعوة مثيرة، آب/ أغسطس 1916[12]

في مناطق عديدة هنالك عدد من العوائل الأرمنية استطاعت أن تفلت من الإبادة الجماعية، وذلك بفضل الحماية غير المتوقعة من أفراد عدة عشائر كُردية، يمثلون استثناءً للقسوة المعتادة لهذا العرق؛ فإن هؤلاء الكُرد أظهروا لهم مشاعر الإنسانية، إلا أن وجود هؤلاء اللاجئين هو أيضاً أمر موقت، لأن المجاعة تعذبهم، كما أن الحكومة التركية تطارد الناس الذين ينقذونهم ويقومون بذبحهم أو تسليمهم، وهكذا وجدت دليلاً في رسالة حيث أن مجموعة من هؤلاء البؤساء، الذين لجأوا إلى الجبال منذ أشهر رثوا حال قيادة الجيوش الروسية، الذين كانوا يحتلون بتليس، وهذه الرسالة جلبها أحد الكُرد من الذين كانوا يحمونهم، وفيما يلي ترجمة لهذه الرسالة:

«نحن الموقعين أدناه بعد هروبنا من المذابح والنار لجأنا إلى الجبال، ومنذ (11) شهراً نحن وسط العشائر الكُردية حيث نعيش، ولكننا نشكو من الجوع وعدم توافر الملبس، وأحوالنا مزرية للغاية، وهؤلاء الكُرد هُمْ الذين تحملوا المخاطر من أجل إنقاذنا وبقائنا أحياء، وفي الحقيقة عندما تعلم الحكومة التركية بلجوئنا كانت ترسل موظفيها...إلى الأغوات الكُرد

لإعطائهم المال، أو لقتلنا، أو لتسليمنا، إلا أن الكُرد رفضوا ذلك، وبعد ذلك أرسلوا -أي الأتراك- الملالي؛ ثم أرسلوا الشيوخ، وباسم القرآن بدأوا يقدمون النصح إلى الذين يحموننا لكي يقتلونا، إلا أنهم لم ينجحوا في ذلك، وعندما رأوا أن نصائحهم وأوامرهم غير مجدية قامت السلطات التركية بجمع ألف من الكُرد من عشائر أخرى، ووضعوهم على رأس الجندرمة وأرسلوهم ضدنا، وفي هذه المرة دافع آغوات العشائر عنا، كما أن أحد الشيوخ هو حامل هذه الرسالة (محمد آغا) لم يخضع للتهديد، وقد جرى هنالك قتال انتصر فيه رجال العشائر، ونجحوا في دفع المعتدين.

إن الأنظار تتجه نحو الأفق، وننتظر جميعاً بكل قلق وصولكم -وصول القطعات الروسية- ومنذ شهرين استوليتم على بتليس، ونحن هنا نتضور جوعاً ولا يمكننا أن نأتي إليكم، وينبغي عليكم التقدم بحدود (10) إلى (12) ساعة سيراً، لكي نتمكن من الالتحاق بكم، إن المجاعة قاسيةً جداً، كما أن الكُرد لم يبقَ لهم شيء من الخبز، ولم يبقَ لديهم ما يمكن أن يعطونا إياه، وقد قمنا ببعض الأعمال بهذا الخصوص، وهو أن يقوم المتمكن منا -أي القوي- بحمل الضعفاء من بيننا ونقلهم إلى القرى الأخرى، وذلك للبحث عن قطعة خبز... ولكن حتى هذا البحث كان عبثاً، أما الصدقة فقد استوفيت، ولا أحد لديه شيء يعطينا، وإنه أمر مرعب أن نرى الأطفال، وهم يعانون ويموتون من الجوع، والآن فإن الأب، والابن، والطفل، والأخ، والأخت، يترك الواحد الآخر، ولا يفكر الواحد منا بالآخر، وإنما يفكر فقط بأن ينجو بنفسه، ويبحث لوحده عن قطعة من الخبز، الذي لا يمكن العثور عليه. وأمام مثل هذا الوضع الخطير قررنا إرسال مندوبين اثنين إلى سعادتكم، الأول هو: محمد آغا الذي ساعدنا كثيراً في الهروب من يد الحكومة التركية، أما الشخص الثاني فهو أرمني ويدعى (اراكل افي ديسيان)، ليطلب منكم باسم هؤلاء الأطفال الصغار

أن تخلصونا من مجاعتنا، وأن ننظم إليكم مع عوائلنا، ومنذ (11) شهراً نعيش في هذه الحالة المستميتة، ويعزونا الأمل بوصول جيشكم المنتصر، ونتوسل إليكم باستقبال محمد آغا بشرف وبحفاوة، وإلا سوف نتعرض إلى مذبحة- على يد المتربصين- وإن الآغوات-الكُرد- يأملون بمكافأة نتيجة تصرفهم معنا، ونعلمكم أن محمد آغا أوى في عائلته، عائلة مرافقه (افي ديسيان)، والتي تضم (12) شخصاً، وكان يطعمهم على نفقته، وكان عليه أن يبيع كل ممتلكاته من أجل ذلك، وأخيراً وجد نفسه في الظرف الذي نعيش نحن فيه الآن.

ونقدم لكم قائمة بأسماء عوائلنا الذين أنقذهم الكُرد، مع وجهة سفرهم إلى القرى: (60) عائلة من كارخو، (50) عائلة من سيلز، (55) زيردوا، و(30) اردوا، و(100) هرورك وزود وزومان، و(45) عائلة من كودزكك، ومن ناحية أخرى فإن (400) عائلة من قرية هازو تم أنقاذها أيضاً، ووجدوا لهم ملجأ في قرية آسي الكُردية، الذين أكرموهم وعاملوهم بمنتهى الإنسانية، مثلما تمت معاملتنا من محمد آغا وقراه، وهنا أيضاً هنالك عدد من الأرمن من قرى بعيدة تبعد مسافة يومين أو ثلاثة سيراً على الأقدام.

وأخيراً نختم رسالتنا هذه متمنين لكم من أعماق قلوبنا النصر، وباسم أرمن قرية هازو، وباسم أرمن القرى المذكورة آنفاً نوقع. (بوغوص ساركسيان- بطرس ازاديان- ايبوا كيكوان- اوان نونيان- الأب المبجل مانوا افاكيان). كارخو في 11-24 نيسان/ ابريل 1916».

هوامش الملاحق

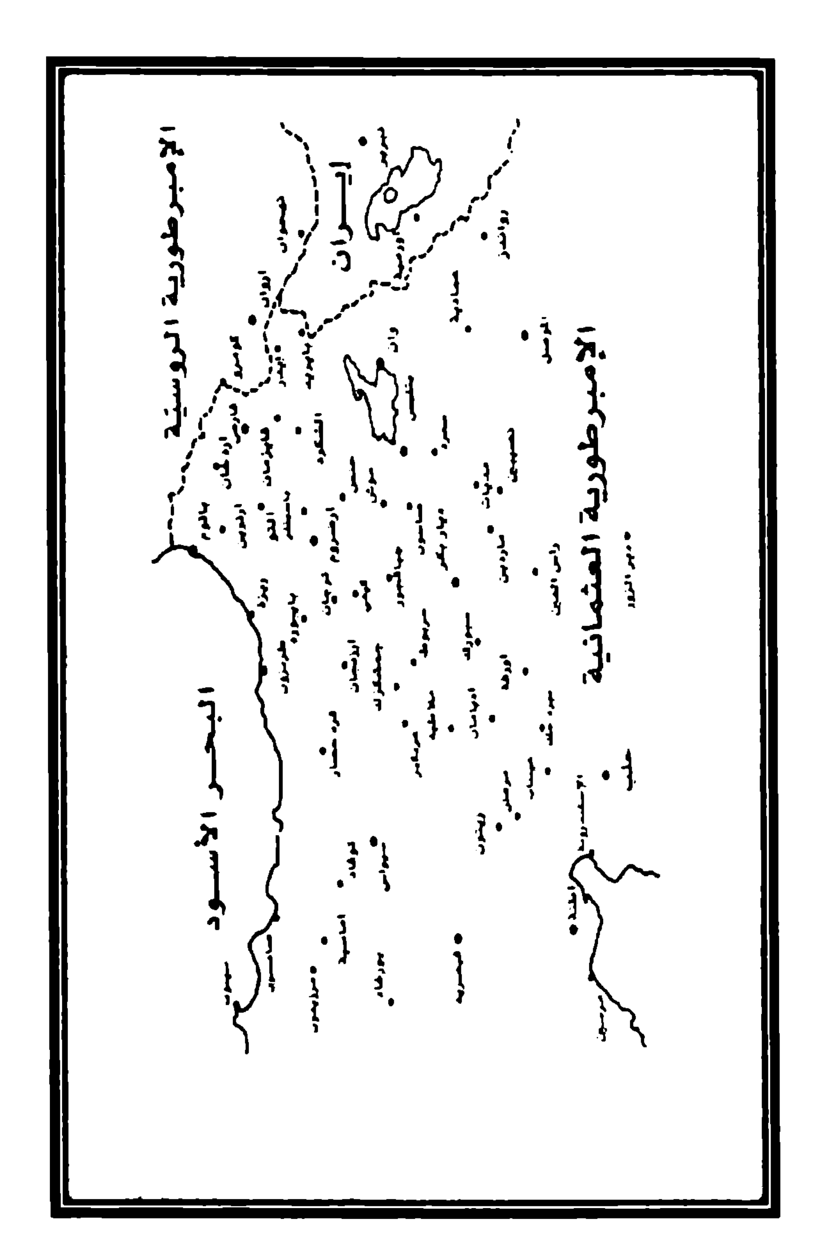
1. M. Kalman, Bati-Ermenistan...,S.26-27.
2. Annexe au No:44, Seance de la Ghambre des Gommunes du 25 -7- 1889, The Gase Of Moussa Bey, In: (B.Ş.D.D.O.A, Vol: I, P. 53-54
3. Recep Maraşli, A.G.E.,S.283-284

- من الجدير بالذكر أن الفقرات الثلاث الأولى جمعها الباحث محمد أمين بوز أرسلان، والفقرة الأخيرة جمعها المؤرخ (ناجي قوتلاي). كما حولها السيد إسماعيل طه شاهين إلى الحرف العربي مشكوراً.

4. ورد في هذا البيت اسم السلطان رشاد (1909-1918)، مع العلم أن الحادثة وقعت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني(1876-1909)، ويبدو أن هذا البيت قد ضم إلى الشعر لاحقاً في عهد السلطان رشاد.
5. No. 440, Colonel Norton to Foreign Office, Grosvenor Club, Bond Street March 27, 1895, (Inclosure in No. 440: Memorandum on Reforms for Kurdish Armenia), IN: (B.Ş.B.D.O.A), Vol: III, P.591-594.
6. Sami Önal, A.G.E., S. 79-81.
7. المشير عثمان باشا والأرمن، جريدة التقدم (الحلبية)، العدد (231)، 11 آب/ أغسطس 1911، في: الكسندر كشيشيان، المصدر السابق، ص69-70 وص379.
8. No. 378, British Vice-Consulate His Excellency Sir Grard A. Lowther, Van, May 10th, 1913, IN:(M.D.B.D.A), P. 611-612.
9. No. 384, Inclosure in Mr. Consul Monahans No. 69 of, 31st, October 1913: A summary translation from the Armenian newspaper Haratch, IN:(M.D.B.D.A), P. 623-625; Justin McCarthy and others, op. cit., P. 282-285.
10. يقصد بالدول الأربع هنا دول العصبة البلقانية التي تأسست في العام 1912، وهي: (صربيا، وبلغاريا، واليونان، والجبل الأسود).
11. Henry Barby, Op. Cit.,, P. 103-107.
12. هذا العنوان مع المقدمة القصيرة تعود لهنري باربي.

ملحق رقم (10-أ)

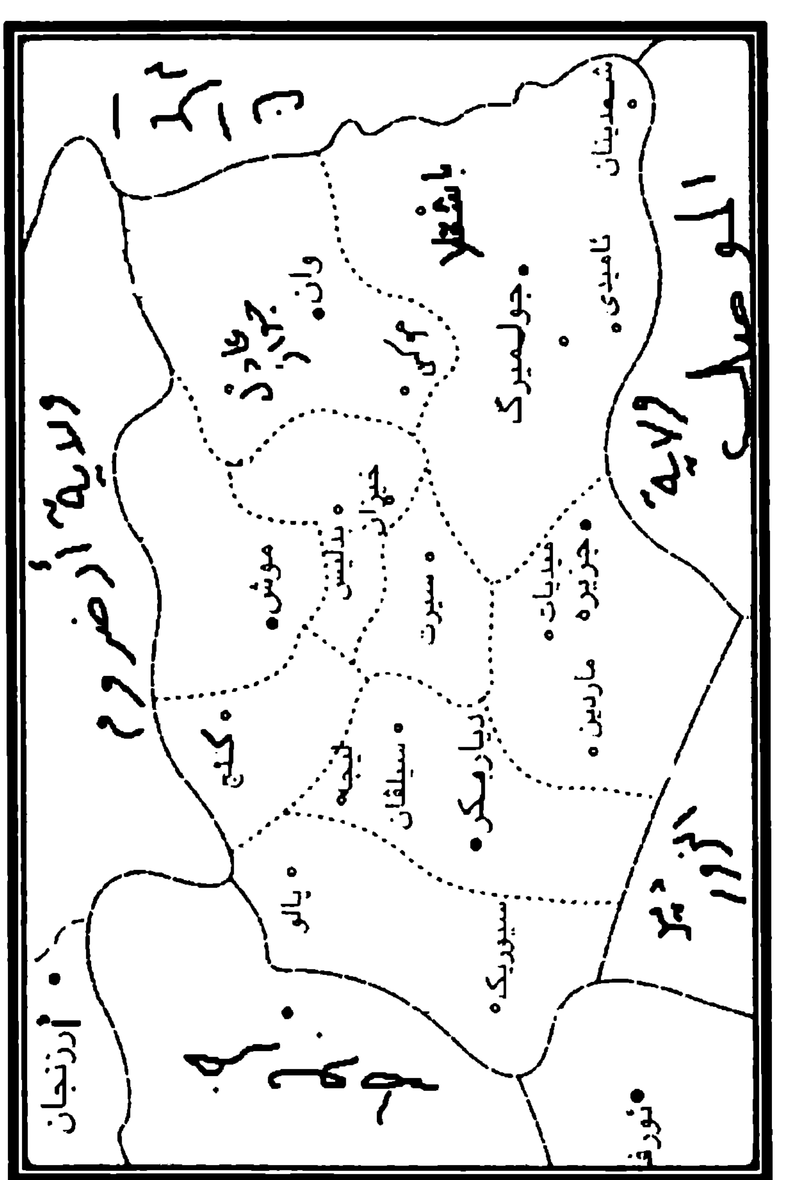
شمال كُردستان (الأناضول الشرقية) في القرن التاسع عشر



المصدر: جستن مكارثي المصدر السابق، ص48؛ س. موستراس، المصدر السابق، ص553.

ملحق رقم (10-ب)

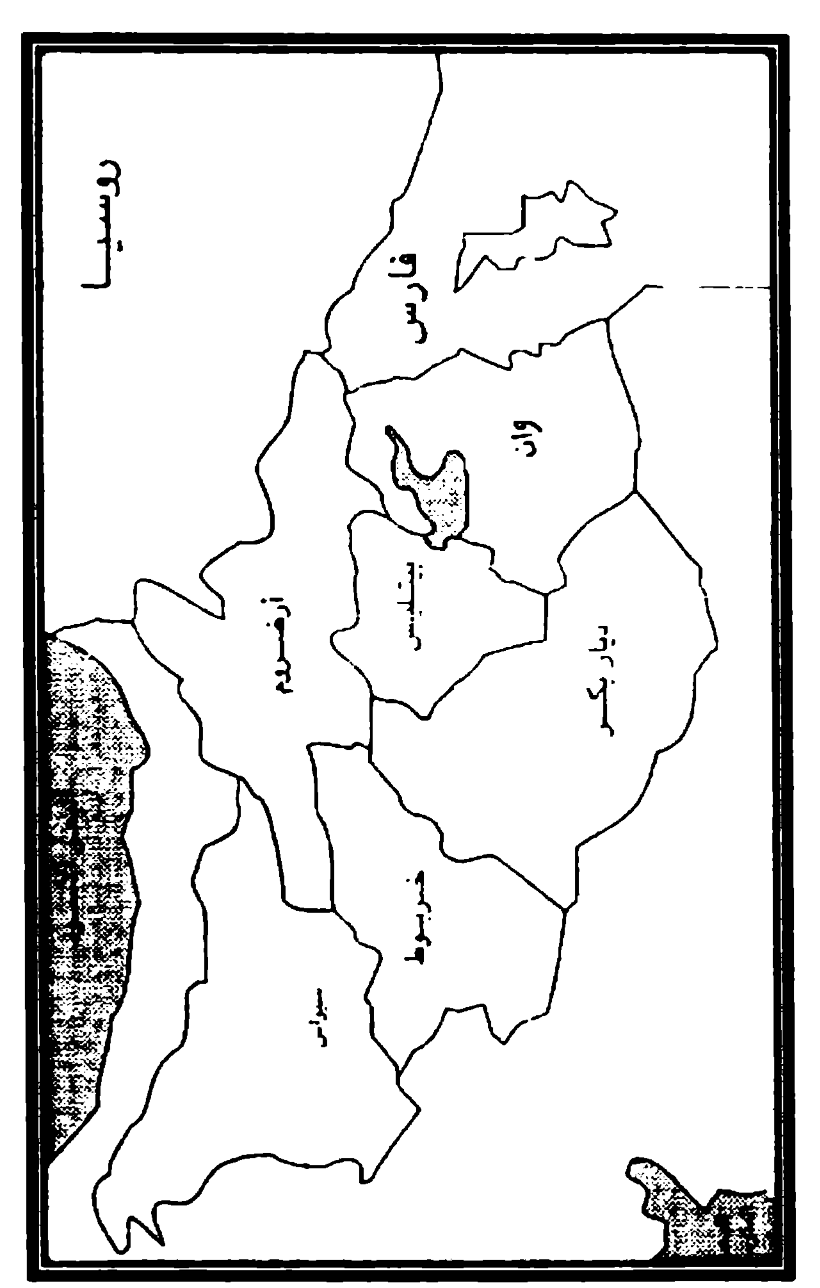
ولاية كُردستان العثمانية في القرن التاسع عشر



المصدر: عەبدوللا غەفور، سەرچاوەی پێشوو، ل 54.

ملحق رقم (10-جـ)

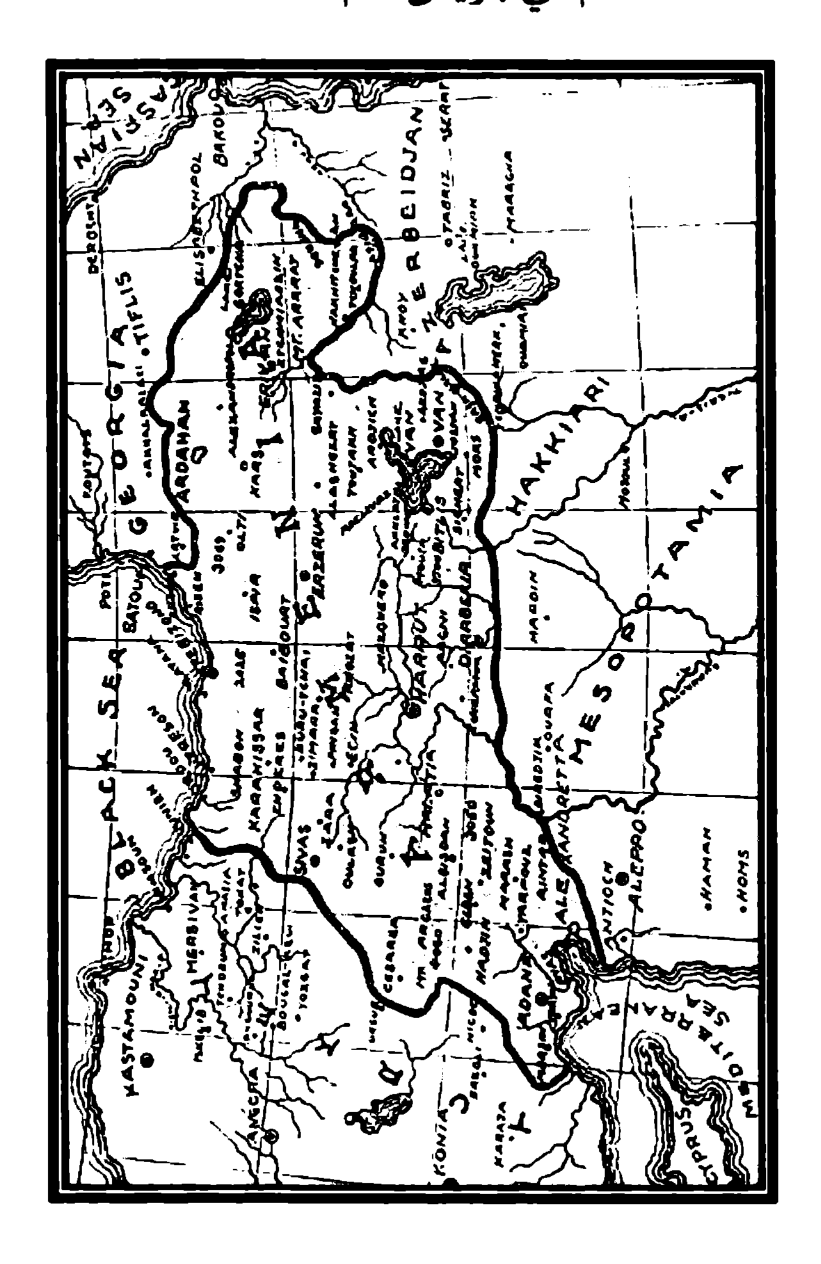
الحدود الإدارية للولايات الست



المصدر: غسان وليد مصطفى الجوادي، المصدر السابق، ص215؛ يوسف إبراهيم الجهماني، المصدر السابق.

ملحق رقم (10-د)

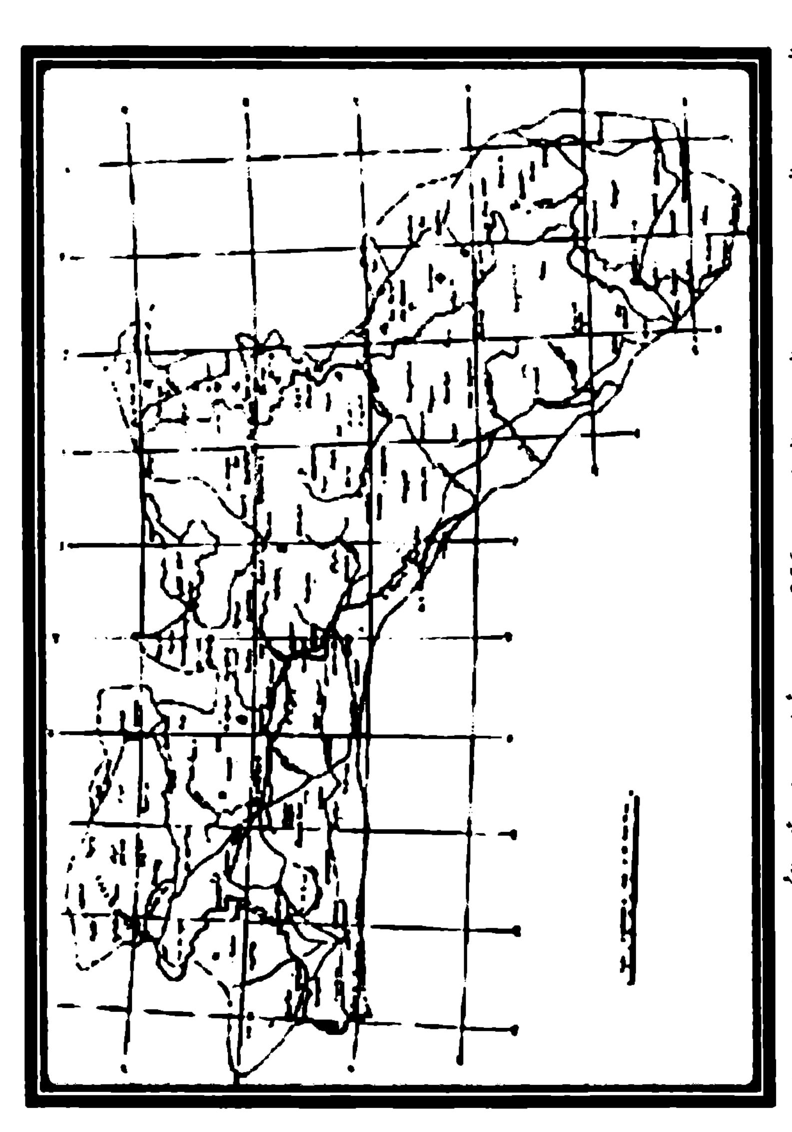
خارطة أرمينيا التي قدمها الوفد الأرمني إلى مؤتمر السلام في باريس عام 1919



المصدر: THE ARMENIAN QUESTION Before The Peace Conference, Op.Cit.

ملحق رقم (10-هـ)

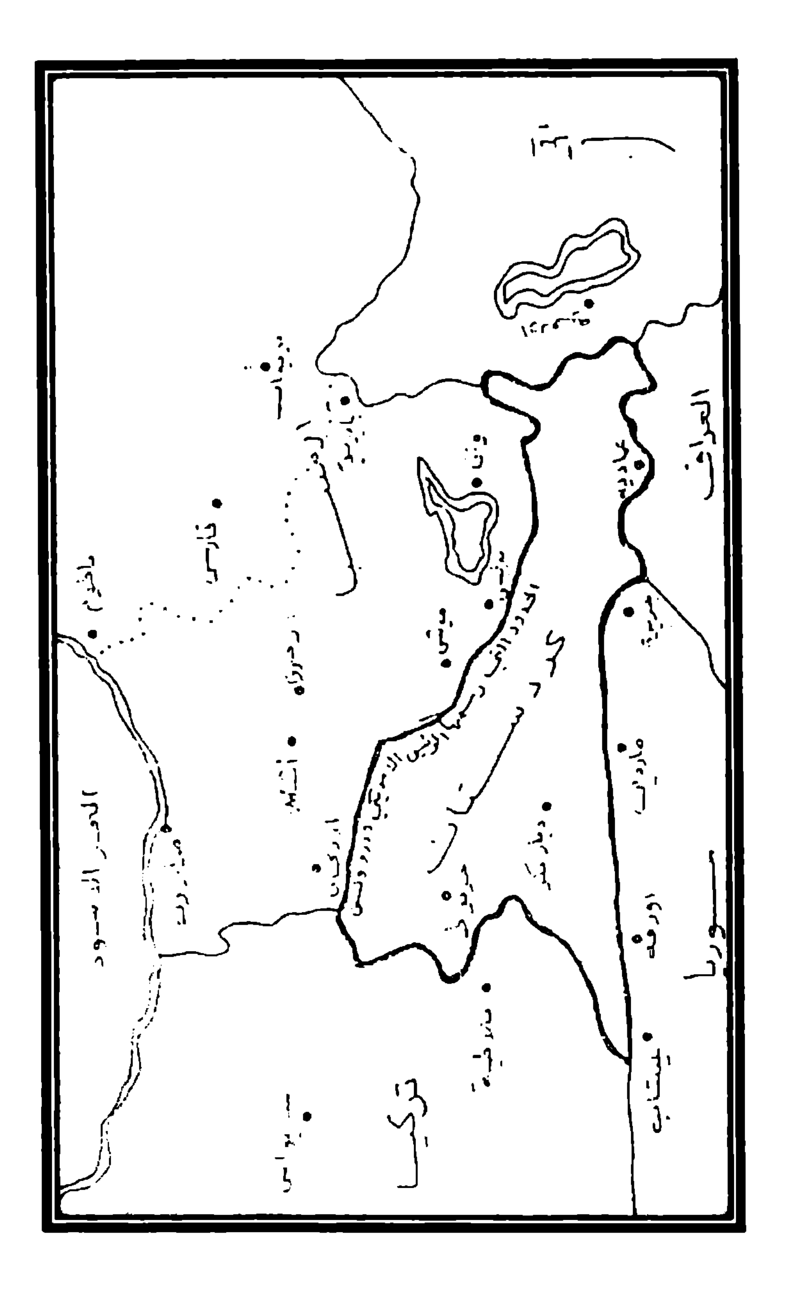
خارطة كُردستان التي قدمها شريف باشا إلى مؤتمر السلام في باريس عام 1919



المصدر: صالح محمد حسن، المصدر السابق، ص256؛ روبرت أولسن، المسألة الكُردية في العلاقات التركية الإيرانية، ترجمة وتقديم: محمد إحسان رمضان، اربيل، 2001، ص123.

ملحق رقم (10-و)

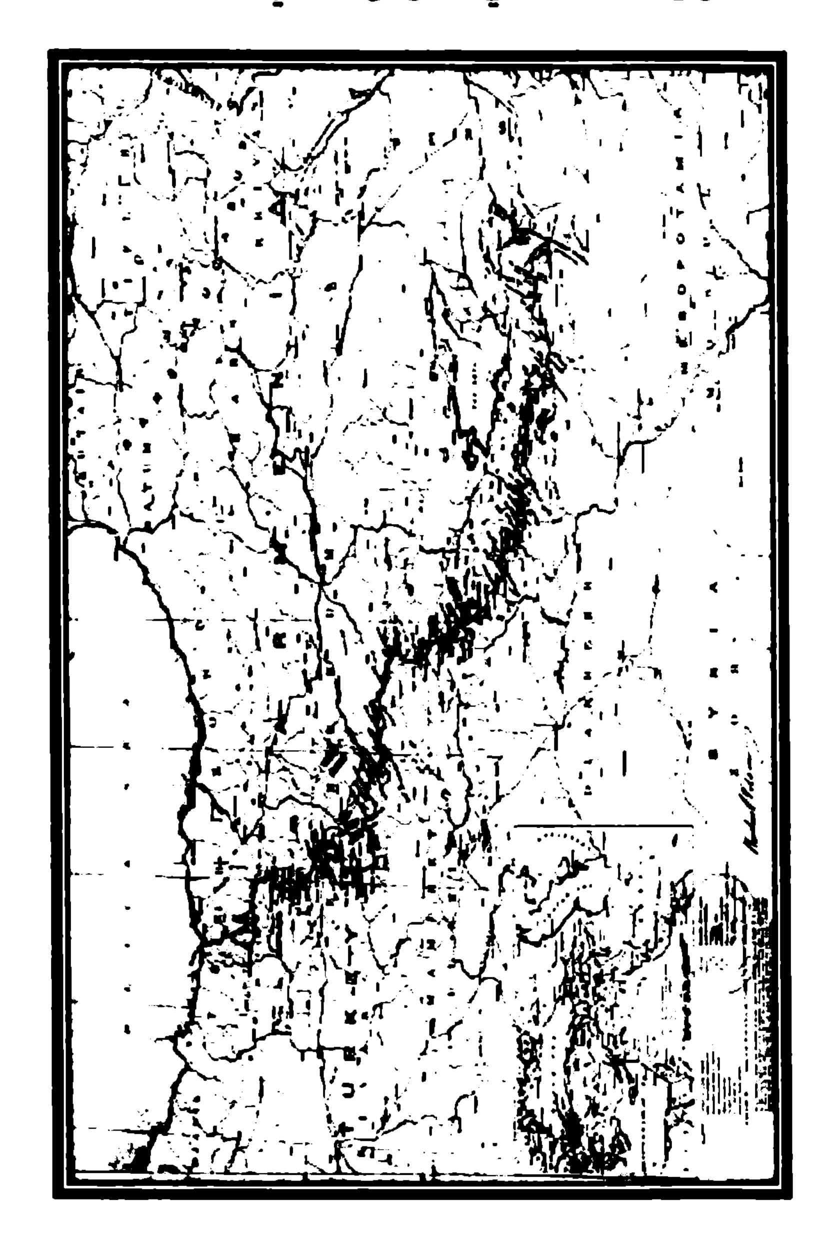
خارطة (كُردستان) في معاهدة سيفر 10 آب 1920



المصدر: فؤاد حمه خورشيد مصطفى، ص61.

ملحق رقم (10-ز)

الخارطة التي أرفقها الرئيس الامريكي ودرو ولسن بقرار تحكيمه في تشرين الثاني 1920



المصدر: -THE FRONTIER BETWEEN ARMENIA AND TURKEY, Op.Cit.

فهرس المصادر والمراجع

اولاً- الوثائق المنشورة

أ-البريطانية:

1- باللغة الانكليزية.

2- باللغة العربية.

3- باللغة الكُردية.

ب-العثمانية (التركية):

1- باللغة الانكليزية.

2- باللغة الفرنسية.

3- باللغة التركية الحديثة.

4- باللغة التركية القديمة.

5- باللغة العربية.

جـ-الفرنسية.

د- الروسية

1- باللغة الانكليزية.

2- باللغة الفرنسية.

3- باللغة الكُردية.

هـ-الامريكية.

ثانياً-التقارير:

أ- الانكليزية.

ب- الفرنسية.

جـ- العربية.

د- الكردية.

ثالثاً-الصحف الكُردية القديمة:

أ-بالحروف اللاتينية

(المنشورة على شكل كتاب). ب-بالحروف العربية

(المنشورة على شكل كتاب). جـ-كوفارا هتاوى كُرد، استانبول، 1913-1914.

د-كوفارا كوردستان، استانبول، 1919-1920.

رابعاً-المذكرات والرحلات:

أ- الانكليزية.

ب- التركية.

جـ- الفرنسية.

د- العربية.

هـ- الكردية.

1-بالحروف اللاتينية.

2-بالحروف العربية.

خامساً-الرسائل الجامعية:

أ-الانكليزية.

ب-العربية.

سادساً-الكتب:

أ- العربية.

ب-الانكليزية

جـ- التركية.

د- الفرنسية.

هـ- الكُردية.

سابعاً-الابحاث والمقالات:

أ-الانكليزية.

ب-الفرنسية.

جـ-العربية.

د-الكُردية.

هـ-المنشورة على الانترنت:

ثامناً- الموسوعات والمعاجم.

قائمة المصادر والمراجع

اولاً- الوثائق المنشورة:

أ-البريطانية:

1- باللغة الانكليزية:

1- BİLÂL N. ŞIMŞIR, BRITISH DOCUMENTS ON OTTOMAN ARMENIANS, VOLUME: I (1856-1880), TÜRK TARIH KURUMU PRINTING, ANKARA, 1989.
2- ...., BRITISH DOCUMENTS ON OTTOMAN ARMENIANS, VOLUME: II (1880-1890), TÜRK TARIH KURUMU PRINTING, ANKARA, 1989.
3- ...., BRITISH DOCUMENTS ON OTTOMAN ARMENIANS, VOLUME: III (1891-1895), TÜRK TARIH KURUMU PRINTING, ANKARA, 2008.
4- ...., BRITISH DOCUMENTS ON OTTOMAN ARMENIANS, VOLUME: IV (1895), TÜRK TARIH KURUMU PRINTING, ANKARA, 2008.
5- MUAMMER DEMIREL, ERMENILER HAKKINDA INGILIIZ BELGELERI(1896-1918): BRITISH DOCUMENTS ON ARMENIANS, YENI TÜRKIYE YAYLARI, Ankara, 2002.

2- باللغة العربية:

1- د.احمد عثمان أبوبكر، كردستان في عهد السلام (بعد الحرب العالمية الأولى)، رابطة كاوا للثقافة والنشر، أربيل، 2002.

2- د.عثمان علي، الكُرد في الوثائق البريطانية، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، اربيل، 2008.

3- د.وليد حمدي، الكُرد وكُردستان في الوثائق البريطانية: دراسة تاريخية تحليلية، لندن، 1991.

3- باللغة الكُردية:

1- د. نەجاتی عەبدوللا، كۆمەڵە و ڕێكخراوە كوردییەكان 1918-1933 لە بەڵگەنامەكانی هەردوو وەزارەتی دەرەوەی بریتانیا وفرانسادا، بەرگی یەكەم، پێشەكیی: د.كەمال مەزهەر ئەحمەد، بنكەی ژین، سلێمانی، 2008.

ب-العثمانية (التركية):

1- باللغة الانكليزية:

1-BILAL N. ŞIMŞIR, DOCUMENTS DIPLOMATIQUES OTTOMANS: AFFAIRES ARMENIENNES, VOL :I (1886-1893), TÜRK TARIH KURUMU, ANKARA, 1993.

2-…………………., DOCUMENTS DIPLOMATIQUES OTTOMANS: AFFAIRES ARMENIENNES, VOL :II (1894-1895), TÜRK TARIH KURUMU, ANKARA, 1989.

3-…………………., DOCUMENTS DIPLOMATIQUES OTTOMANS: AFFAIRES ARMENIENNES, VOL :III (1895-1896), TÜRK TARIH KURUMU, ANKARA, 1999.

4-......................, DOCUMENTS DIPLOMATIQUES OTTOMANS: AFFAIRES ARMENIENNES, VOL :IV (1896-1900), TÜRK TARIH KURUMU, ANKARA, 1999.

5-HALIL KEMAL TURKOZU, ARMENIAN ATROCITY According to Ottoman and Russian Documents, INSTITUTE FOR THE STUDY OF TURKISH CULTURE, ANKARA, 1986.

6-Kirzioglu M. Fahrettin, ATROCITIES COMMITTED BY THE ARMENIANS IN KARS AND ITS VICINITY 1918-1920: Originals of (7) Booklets published in Turkish and French on the Armenian Atrocities and Outrages in Erzincan-Kars-Revan-NahÇivan-Ahikelek and BorÇali, KÖKSAV, Ankara, 1999.

2- باللغة الفرنسية:

1-DOCUMENTS, ANKARA, 1982.

2-DOCUMENTS RELATIFS AUX Atrocités commises par les Arméniens SUR LA POPULATION MUSULMANE, PUBLICATION DU CONGRÉS NATIONL, CONSTANTINOPLE, 1919.

3- باللغة التركية الحديثة:

1-ERMENILER TARAFINDAN YAPILAN KATLIAM BELGELERI, II, T.C. BASBAKANLIK DEVLET ARSIVLERI GENEL MUDURLUĞU Osmanlı Arsivi Daire Baskanlığı Yayın Nu: 50, ANKARA, 2001.

2-ERMENI KOMITELERI (1891-1895), T.C. BAŞBAKANLIK DEVLET ARŞĐVLERĐ GENEL MÜDÜRLÜĞÜ Osmanlı Arsivi Daire Baskanlığı Yayın Nu: 48, ANKARA, 2001.

3-OSMANLI BELGELERINDE ERMENI-FRANSIZ ILIŞKILERI 1879-1918, Cild: I, T.C. BAŞBAKANLIK DEVLET ARŞIVLERI GENEL MÜDÜRLÜĞÜ Osmanlı Arsivi Daire Baskanlığı Yayın Nu: 58, ANKARA, 2002.

4-OSMANLI BELGELRINDE ERMENILERIN SEVK ve ISKÂNI, T.C BAŞBAKANLIK Devlet Arşivleri Genel Müdürlüğü, ANKARA, 2007.

4- باللغة التركية القديمة:

1-ارمنى قوميتةلرينك امال وحركات اختلاليةسى:اعلان مشروطيتدن اول وصوكره، استانبول، 1332(1916).

5- باللغة العربية:

1-الوثائق، المجلد الثالث، انقرة، 1986.

2-د.عثمان علي، الكُرد في الوثائق العثمانية، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، اربيل، 2010.

جـ-الفرنسية:

1- HASAN DILAN, FRANSIZ DIPLOMATIK BELGELERINDE ERMENI OLAYLARI 1914-1918- LES EVENEMENTS ARMENIENS DANS LES DOCUMENTS DIPLOMATIQUES FRANÇAIS 1914-1918, VOL: I, TÜRK TARIH KURUMU, ANKARA, 2005.

2-....................., FRANSIZ DIPLOMATIK BELGELERINDE ERMENI OLAYLARI 1914-1918- LES EVENEMENTS ARMENIENS DANS LES DOCUMENTS DIPLOMATIQUES FRANÇAIS 1914-1918, VOL: II, TÜRK TARIH KURUMU, ANKARA, 2005.

3- ………………., FRANSIZ DIPLOMATIK BELGELERINDE ERMENI OLAYLARI 1914-1918- LES EVENEMENTS ARMENIENS DANS LES DOCUMENTS DIPLOMATIQUES FRANÇAIS 1914-1918, VOL: V, TÜRK TARIH KURUMU, ANKARA, 2005.

د- الروسية:

1- باللغة الانكليزية:

1- Mecbure Eroğlu, ARMENIAN ISSUE: According to the Russian Documents In the Archive of the Institute of Turkish Revolution History, KÖKSAV, Ankara, 1999.

2- باللغة الفرنسية:

1-ASPIRATIONS ET AGISSEMENT RÉVOLUTIONNAIRES DES Comités Arméniens,avant et après la proclamation DELA CONSTITUTION OTTOMANE, ISTANBUL,1917.

2-Général Russe MAYEWSKI: Consul Général de Russie à Vanpuis à Erzeroum, LES MASSACRES D'ARMËRIE, n.p 1916.

3- باللغة الكُردية:

1- ئەفراسیاو هەورامی، کورد لە ئەرشیفی رووسیا وسۆڤیەت دا، پێداچوونەوەی کوردییەکەی:مستەفا غەفور، دەزگای توێژینەوە وبلاوکردنەوەی موکریانی، هەولێر،2006.

هـ-الامريكية:

1- Ara Sarafian, UNITED STATES OFFICIAL RECORDS ON THE ARMENIAN GENOCIDE 1915-1917, Gomidas Institute, U.S.A, 2004.

ثانياً-التقارير:

أ- الانكليزية:

1-ARMENIA THE SETTLEMENT, REPORT OF PUBLIC MEETING TO EXPRESS SYMPATHY WITH THE ARMENIAN CAUSE, HELD AT THE CENTRAL HALL, WESTMINSTER, ON THURSDAY, JUNE 19TH, 1919, LONDON, 1919.

2-C.F.DIXON JOHNSON, THE ARMENIAN QUESTION: ITS MEANING TO GREAT BRITAIN, n.p, n.d.

3-........................., THE ARMENIANS, NORTHGATE-BLACKBURN, 1916.

4-MAJ. GEN. JAMES G. HARBORD, CONDITIONS IN THE NEAR EAST: REPORT OF THE AMERICAN MILITARY MISSION TO ARMENIA, WASHINGTON, 1920.

5-THE ARMENIAN MASSACRES 1894-1896 British Media Testimony, Edited and with an Introduction by: ARMAN J. KIRAKOSSIAN, Foreword by: LORD SHANNON, University of Michigan-Dearborn, 2008.

6-THE ARMENIAN QUESTION Before The Peace Conference: A Memorandum Presented Officially by the Representatives of Armenia to the Peace Conference at Versailles, on February 26th, 1919.

7-THE FRONTIER BETWEEN ARMENIA AND TURKEY AS DECIDED BY PRESIDENT WOODROW WILSON, NOVEMBER 22, 1920.

8-THE HISTORY OF THE ARMENIAN GENOCIDE: HEARING BEFORE THE COMMITTEE ON INTERNATIONAL RELATIONS HOUSE OF REPRESENTATIVES ONE HUNDRED FOURTH CONGRESS SECOND SESSION, U.S. GOVERNMENT PRINTING OFFICE, WASHINGTON, 1996.

ب- الفرنسية:

1-LES ARMÉNIENS ET LA QUESTION ARMÉNIENNE, CONFÉRENCE FAIT PAR M. ANATOLE LEROY-BEAULIEU, PARIS, 1886.

2-RÉPONSE AU MÉMOIRE DE LA SUBLIME-PORTE EN DATE DU 12 FÉVRIER 1919, CONSTANTINOPLE, 1919.

جـ- العربية:

1- الميجور نوئيل، ملاحظة في الوضعية الكوردية، تقديم: عبد الفتاح علي البوتاني، جامعة دهوك، مركز الدراسات الكوردية وحفظ الوثائق، 2009.

د- الكردية:

1- كوردستان يا ئەرمەنستان: شەهیدەکان یا ملهوڕەکان، لەفرانسییەوە وەرگێرانی وپێشەکی وپەراوێزنووسیی: دەنەجاتی عەبدوڵڵا، بنگەی ژین، سلیمانی، 2009.

ثالثاً-الصحف الكُردية القديمة:

أ-بالحروف اللاتينية (المنشورة على شكل كتاب)[1]:

1-M. EMÎN BOZARSLAN, KÜRD TEAVÜN VE TERAKKÎ GAZETESİ, GOVARA KURDÎ-TİRKÎ , KÜRDÇE-TÜRKÇE DERGİ 1908-1909, WEŞANXANA DENG, UPPSALA-SWEDEN, 1998.

2-..........................,JÎN: GOVARA KURDÎ-TİRKÎ , KÜRDÇE-TÜRKÇE DERGİ 1918-1919, Cild: II, WEŞANXANA DENG, UPPSALA-SWEDEN, 1985.

ب-بالحروف العربية (المنشورة على شكل كتاب):

1- ڕۆژی کورد 1913: گۆڤاری جڤاتی (هێڤی)ی قوتابیانی کورد 1913 ئەستەموول، ئامادەکردن ولێکولینەوەی: عەبدوڵلا زەنگەنە، پێشەکی: د.ئیسماعیل شوکر، بنگەی ژین، سلێمانی، 2005.

2- کوردستان یەکەمین ڕۆژنامەی کوردی 1898 -1902، کۆکردنەوە وپێشەکی: د.کەمال فوئاد، چاپی سێیەم،تاران، 2006.

3- محمود زامدار، کوردستانی دایك، حکومەتی هەرێمی کوردستان-عێراق، وەزارەتی ڕۆشنبیری، هەولێر، 1998.

جـ- گوڤارا (مجلة) هتاوی کُرد، استانبول، 1913-1914:

1- باب ناجو، فاعتبروا يا أولي الأبصار، العدد (2)، 4 كانون الأول 1913.

د-گوڤارا (مجلة) کوردستان، استانبول، **1919-1920**[3].

1- أبن الرشيد، وضعيت عموميۀ اكرادة برنظر، العدد (8)، 3 حزيران 1919.

2- أمين فيضي ارمنى ازالمامش ضوغالمشدر، العدد (15)، 12 تشرين الثاني 1919.

3- بدرخانى محمد عثمان، خوليا پروانه تشبثات، العدد (5)، 16 نيسان 1919.

4-.................، كورد مهاجرلرى نەولەجق، مجلة كُردستان، العدد (6)، 1 أيار 1919.

5- تبليغ رسمى، العدد (5)، 16 نيسان 1919.

6- تلغراف، مخرج: ملازكُرد نومره 57، العدد (5)، 16 نيسان 1919.

7- جانو الأرضروملي، ارمنستانك ثايتخت وقوەء عسكريەسى، العدد (6)، 1 أيار 1919.

8- صبري سلمان، تاريخدن بر صحيفه: مشاهده ايتديكم وقايع، العدد (5)، 16 نيسان 1919.

9- كاكه حمه، امريقا هيئتك وظيفه سى، العدد(12)، 26 اب 1919.

10-........، اوريەنت نيوز غزتەسنة، العدد (13)، 13 ايلول 1919.

11-........، عقدەء حيات-فديەءنجات اولەماز، العدد(7)، 21 ايار 1919.

12- كورد هيئت مرخصەسى رئيسى شريف باشا حضرتلرينك صلح قونفرانسنة تقديم ايتديكى محظرةنك صورت مترجمة سيدر،العدد (9)، 24 حزيران 1919.

13-......................، ما بعد (2)، العدد (10)، 13 تموز 1919.

14-......................، ما بعد (3)، العدد (11)، 2 أب 1919.

15-......................، ما بعد (4)، العدد (12)، 26 أب 1919.

16- (كوردستان)، ثروتستو، العدد (6)، 1 ايار 1919.

17- محمد، داخلية ناظري جمال بك أفندي حضرتلرينه اضيق مكتوب، العدد (5)، 16 نيسان 1919.

18- مخرج: معمورة العزيز- نومرو 2163: كُردستان تعالى جمعيتى رياستنة، العدد (5)، 16 نيسان 1919.

رابعاً-المذكرات والرحلات:

أ- الانكليزية:

1-EDWIN MUNSELL BLISS, TURKEY AND THE ARMENIAN ATROCITIES, EDGWOOD PUBLISHING COMPANY, ASSE NEW YORK, 1896.

2-G.B.NORMAN, ARMENIA AND THE CAMPAIGN OF 1877, CASSELL-PETTER-GALPIN, LONDON, n.d.

3-Henry H. Riggs, DAYS OF TRAGEDY IN ARMENIA: Personal Experiences in Harpoot 1915-1917, Gomides Institute Ann Arbor, Michigan, 1997.

4-J. RENDEL HARRIS AND HELEN B. HARRIS, LETTERS FROM THE SCENES OF THE RECENT MASSACRES IN ARMENIA, JAMES NISBET- CO., LIMITED, LONDON, 1897.

5-JAKOB KÜNZLER, IN THE LAND OF BLOOD AND TEARS: EXPERIENCES IN MESOPOTAMIA DURING THE WORLD WAR 1914-1918, Edited with sPreface by: Ara Ghazarian, Foreword by:Vahakn Dadrian, Introduction by: Hans-Lukas Kieser, ARMENIAN CULTURAL FOUNDATION, MASSACHUSETTS, 2007.

6-JAMES CREAGH, ARMENIANS-KOORDS AND TURKS, SAMUEL TINSLIY-CO, SOUTHAMPTON,1880.

7-KRIKOR CAYJIKAN, Martyred Armenia and the Story of my life, U. S. A., 1920.

8-ROUBEN Der MINASIAN, ARMENIAN FREEDOM FIGHTERS: THE MEMOIRS OF ROUBEN DER MINASIAN, TRANSLATED AND EDITED BY: JAMES G. MANDALIAN,Hairenik Association, BOSTON, 1963.

9-Tacy Atkinson, The German-The Turk and the Devil Made a Triple Alliance: Harpoot Diaries 1908-1917, Foreword by: J. Michael Hagopian, Gomides Institute, Princeton-New Jersey, 2000.

10-Vahan Janjigian, BEDROS DER BEDROSSIAN- Oufatzi, Translated by: Tamar Der-Ohannessian, New York, 2005.

ب- التركية:

1- Garo Sasuni, KÜRT ULUSAL HAREKETLERI ve ERMENI-KÜRT ILIŞKILERI (15.yy'dan Günümüze), Orfeus, Stockholm, 1986.

2- SAMİ ÖNAL, Sadettin Paşa'nin Alnilari: Ermeni-Kürt Olaylari (Van, 1896), Remzi Kitabevi, Istanbul, 2003.

جـ- الفرنسية:

1- Giuseppe Campanile, Histoire Du Kurdistan, Traduite: Thomas Bois, Libnan, 1953.

2- HENRY BARBY, Au Pays de I,Épouvante: L,ARMÉNIE MARTYRE, PARIS, 1917.

د- العربية:

1- جمال باشا السفاح (مذكرات)، ترجمة: علي احمد سليمان شكري، تحقيق: عبد المجيد محمود خالد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2004.

2- دبليو. أي. ويگرام وادگار. تي. أي. ويگرام، مهد البشرية: الحياة في شرق كُردستان، ترجمة: جرجيس فتح الله، ط4، دارا ئاراس للطباعة والنشر، أربيل، 2010.

3- رحلة المستر جيمس برانت إلى المنطقة الكُردية عام 1838، ترجمة: حسين احمد الجاف، دار الثقافة والنشر الكردية، بغداد، 1989.

4- رحلة اوليا جلبي في كُردستان عام 1065هـ -1655م، ترجمة: رشيد فندي، دهوك، 2008.

5- زنار سلوبي، مسألة كُردستان: 60 عاماً من النضال المسلح للشعب الكُردي ضد العبودية، تنقيح وتقديم: د.عز الدين مصطفى رسول، ط2، بيروت، 1997.

6- السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية 1891-1908، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979.

7- صالح بدرخان (مذكراتي)، ترجمة: روشن بدرخان، دمشق، 1991.

8- عبد الرزاق بدرخان، بقعة ضوء (مذكرات)، ترجمة وإعداد جليلي جليل، ترجمة النص الكُردي: حيدر عمر-علي جعفر، منشورات مجلة هافيبون، برلين، 2000.

9- مذكرات الدكتور استرجيان، ترجمة: كاريكين وارتانيان، مكتبة السائح، طرابلس-لبنان، 2004.

10- مذكرات عبد العزيز القصاب، إعداد وتحقيق: خالد عبد العزيز القصاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2007.

11- نورالدين زازا، حياتي الكوردية أو صرخة الشعب الكوردي، ترجمة: روني محمد دملي، دار ئاراس للطباعة والنشر، اربيل، 2001.

هـ- الكردية:

1-بالحروف اللاتينية:

1-HESEN HIŞYAR, DÎTIN Û BIRHATINÊN MIN 1907-1985, Beyrut, 2000.

2-بالحروف العربية:

1- سەفەرنامەی هێنری بیندەر: کوردستان - میزۆبوتامیا - ئیران، وەرگێرانی: ئەبوبەکر خۆشناو، بەڕێوەبەرایەتی خانەی وەگێران سلیمانی، 2006.

2- د. نوری دەرسیمی، دەرسیم لە مێژووی کوردستاندا، وەرگێرانی: ئەحمەد فەتاح دزەیی، دەزگای چاپ وبلاوکردنەوەی موکریانی، هەولێر، 2001.

خامساً-الرسائل الجامعية:

أ-الانكليزية:

1- Brad Dennis, Kurdish-Armenian Relations in the late ottoman empire power strudtures and interactive behavior, MA thesis university of Utah, Department of Languages and Literature, 2008.

2-Dana Renee Smythe, Remembering the Forgotten Genocide: Armenia in the First World, MA Thesis University East Tennessee State, the faculty of the Department of History, 2001.

3-Uğur Ü. Üngör, A Reign of Terror: CUP Rule in Diyarbekir Province 1913-1923, MA Thesis University of Amsterdam, Department of History, 2005.

ب-العربية:

1- جاوان حسين فيض الله الجاف، الكُرد وموقفهم من جمعية الاتحاد والترقي 1889-1914: دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2009.
2- غسان وليد مصطفى الجوادي، المسألة الأرمنية في الدولة العثمانية 1878-1918: دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة الموصل، 2010.
3- محسن حمزة حسن حسين، الأزمة البلقانية 1875-1878: دراسة في السياسة العثمانية والدبلوماسية الأوروبية، أطروحة دكتوراه، مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة الموصل، 2001.
4- نجلاء عدنان حسين العكيلي، الدولة العثمانية والمشكلة الأرمنية 1894-1916، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التاريخ، كلية التربية، جامعة المستنصرية، بغداد، 2003.

سادساً-الكتب:

أ-العربية:

1- إبراهيم الداقوقي وآخرون، عشائر كُردستان، كاوا للنشر والتوزيع، أربيل، 2002.
2- إبراهيم الداقوقي، أكراد تركيا، المدى، بيروت، 2003.
3- احمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، بيروت، 1982.

4- د.احمد فؤاد رسلان، ارمينيا: الامة والدولة، دار الأمين، مصر، 1997.

5- د.احمد محمد احمد، أكراد الدولة العثمانية، دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك، 2009.

6- ارشاك بولاديان، الأكراد: من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي، ترجمة: مجموعة مترجمين، دار التكوين للنشر والتوزيع، دمشق، 2004.

7- ارشاك سافرستيان، الكُرد وكُردستان، ترجمة: احمد محمود الخليل، دار الزمان، دمشق، 2008.

8- ارنست أ. رامزور، تركية الفتاة وثورة 1908، ترجمة: صالح احمد العلي، قدم له وراجعه: نقولا زيادة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960.

9- اريك هوبسباوم، الامم والنـزعة القومية، ترجمة: عدنان حسن، مراجعة وتحرير: د.مجيد الراضي، المدى، سوريا، 1999.

10- إسماعيل بيشكجي، النظام في الأناضول الشرقية: الأسس الاجتماعية- الاقتصادية والبنى القومية، ترجمة: شكور مصطفى، ج1، دار ئاراس للطباعة والنشر، اربيل، 2000.

11-..............، النظام في الأناضول الشرقية: الأسس الاجتماعية- الاقتصادية والبنى القومية، ترجمة: شكور مصطفى، ج2، دار ئاراس للطباعة والنشر، اربيل، 2000.

12-..............، كُردستان مستعمرة دولية، ترجمة: زهير عبد الملك، APEN، السويد، 1998.

13- ألبرت حوراني وآخرون، الشرق الأوسط الحديث، الجزء الأول: طلائع الإصلاح وتبدل العلاقات مع أوروبا 1789-1918، ترجمة: اسعد صقر، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1996.

14- الأمير جلادت بدرخان، حول المسألة الكوردية: قانون إبعاد وتشتيت الأكراد، ترجمة: دلاور الزنكي، أربيل، 1999.

15- الان تد، ديموقراطيات ودكتاتوريات سادت اوربا والعالم بين 1919 و1989، ترجمة: مروان ابو جيب، الحوار الثقافي، بيروت، 2004.

16- انكه لهارد، تاريخ الإصلاحات والتنظيمات في الدولة العثمانية، ترجمة: أ.د.محمود علي عامر، دار الزمان، دمشق، 2008.

17- ايف ترنون، ماردين: دراسة تحليلية لإبادة عام 1915، ترجمة: لطيفة عرنوف، دار نعمان للثقافة، لبنان، 2008.

18- ب.ليرخ، دراسات حول الكُرد الإيرانيين وأسلافهم الكلدانيين الشماليين، ترجمة: عبدي حاجي، دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك، 2008.

19- باسيلي نيكيتين، الكُرد: دراسة سوسيولوجية وتاريخية، تقديم: لويس ماسينيون، ترجمة: نوري طالباني، دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك، 2008.

20- بديع الزمان سعيد النورسي، أثار بديعية، ITTIHAD YAYINCILIK، استانبول، 1999.

21- بله ج شيركوه، القضية الكُردية: ماضي الكُرد وحاضرهم، مطبعة السعادة، مصر، 1930.

22- البروفسور بول اميل، تاريخ أرمينيا، ترجمة: شكري علاوي، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

23- بيار مصطفى سيف الدين، السياسة البريطانية تجاه تركيا وإثرها في كوردستان، دار دجلة، عمان، 2007.

24- توماس بوا، تاريخ الأكراد، ترجمة: محمد تيسير خان، دار الفكر، دمشق، 2001.

25- بيير رونوفن، تاريخ القرن العشرين، ترجمة: د.نور الدين حاطوم، ط2، دار الفكر، بيروت-دمشق، 1980.

26- د.جان شرف، القضية الأرمنية في السلطنة العثمانية، مركز الدراسات الأرمنية، بيروت، 1997.

27- جرجيس فتح الله، يقظة الكُرد: تاريخ سياسي 1900-1925، دار ئاراس للطباعة والنشر، اربيل، 2002.

28- جستن مكارثي، الطرد والإبادة مصير المسلمين العثمانيين 1821-1922، ترجمة: فريد الغزي، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، 2005.

29- جليلي جليل وآخرون، الحركة الكردية في العصر الحديث، ترجمة: د.عبدي حاجي، دار الرزاي، بيروت، 1992.

30- جليلي جليل، انتفاضة الأكراد 1880، ترجمة: سيامند سيرتي،، رابطة كاوا للمثقفين اليساريين الاكراد، بيروت، 1979.

31-........، من تاريخ الإمارات في الإمبراطورية العثمانية، ترجمة:محمد عبدو النجاري، الاهالي، بيروت، 1987.

32-........، نهضة الأكراد الثقافية والقومية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ترجمة: بافى نازى وولاتو، رابطة كاوا للثقافة الكُردية، بيروت، 1986.

33- جمال خه زنه دار، مرشد الصحافة الكُردية، بغداد، 1973.

34- د.جمال رشيد احمد، ظهور الكُرد في التاريخ: دراسة شاملة عن خلفية الأمة الكُردية ومهدها، ج1، دار ئاراس للطباعة والنشر، اربيل، 2003.

35- جورج قرم، تاريخ الشرق الأوسط من الأزمنة القديمة إلى اليوم، شركة المطبوعات، بيروت، 2010.

36- جيرارد جالديان، المأساة الكُردية، ترجمة: عبد السلام النقشبندي، دار ئاراس للطباعة والنشر، اربيل، 2007.

37- خيري ارصوي وايصون قاماجي، تاريخ الشراكسة (الأباظية)، ترجمة: فؤاد احمد كامل، مراجعة: الصفصافي احمد مرسى، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، 2006.

38- دونالد كواترت، الدولة العثمانية، تعريب: أيمن أرمنازي، مكتبة العبيكات، الرياض، 2004.

39- ديفيد مكدول، تاريخ الأكراد الحديث، ترجمة: راج ال محمد، دار الفارابي، بيروت، 2004.

40- روبرت أولسن، المسألة الكُردية في العلاقات التركية الايرانية، ترجمة وتقديم: محمد أحسان رمضان، دار ئاراس للطباعة والنشر، اربيل، 2001.

41- رونالد سترومبرج، تاريخ الفكر الأوروبي الحديث1601-1977، ط3، دار القارىء العربي، القاهرة، 1994.

42- روهات الاكوم، شريف باشا: سنوات عاصفة لديبلوماسي كوردي، ترجمة: شكور مصطفى، دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك، 2004

43- ز.ي.هرشلاغ، مدخل إلى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط، ترجمة: مصطفى الحسيني، دار الحقيقة، بيروت، 1973.

44- ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ط3، بيروت، 1965.

45- سروه اسعد صابر، كوردستان من بداية الحرب العالمية الأولى إلى نهاية مشكلة الموصل 1914-1926: دراسة تاريخية سياسية وثائقية، مؤسسة مكرياني للطباعة والنشر، اربيل، 2001.

46- د.سعد بشير اسكندر، قيام النظام الإماراتي في كُردستان وسقوطه: ما بين منتصف القرن العاشر ومنتصف القرن التاسع عشر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2005.
47- د.سعدي عثمان هروتي، كُردستان والإمبراطورية العثمانية: دراسة في تطور سياسة الهيمنة العثمانية في كُردستان 1514- 1851، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، اربيل، 2008.
48- السعيد رزق حجاج، الأكراد والأرمن في العصر الحميدي، مطبعة الامانة، القاهرة، 1991.
49- سليمان صالح، الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن، مصر، 1990.
50- شاوارش طوريكيان، القضية الأرمنية والقانون الدولي، ترجمة: خالد الجبيلي، ط2، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، 2000.
51- شرفخان البدليسي، شرفنامة في تاريخ الدول والإمارات الكُردية، ترجمة: محمد علي عوني، مراجعة وتقديم: يحيى الخشاب، ج1، ط2، دار الزمان، دمشق، 2006.
52- صالح زهرالدين، الأرمن شعب وقضية، الدار التقدمية، بيروت، 1988.
53- صالح محمد حسن (عزت بادي)، شريف باشا: حياته ودوره السياسي 1865-1951، دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك، 2005.
54- د.صلاح محمد سليم هروري، الأسرة البدرخانية: نشاطها السياسي والثقافي 1900-1950، دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك، 2004.
55-..................، امارة بوتان في عهد الامير بدرخان 1821- 1847: دراسة تاريخية سياسية، مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر، اربيل، 2000.
56- د.كونتر دشنر، أحفاد صلاح الدين الأيوبي: الكُرد الشعب الذي يتعرض للخيانة والغدر، ترجمة: عبد السلام برواري، ط2، مطبعة خبات، دهوك، 2000.

57- ف.ف.مينورسكي، الأكراد ملاحظات وانطباعات :الأكراد أحفاد الميديين، ترجمة وتعليق: د.معروف خزنه دار ود.كمال مظهر احمد، رابطة كاوا للثقافة الكردية، بيروت، 1987.

58- د.عبد الستار طاهر شريف، الجمعيات والمنظمات والأحزاب الكوردية في نصف قرن 1908-1958، ط2، دار سردم للطباعة والنشر، السليمانية، 2007.

59- د.عبد الله العلياوي، كُردستان في عهد الدولة العثمانية من سنة 1851-1814: دراسة في التاريخ السياسي، السليمانية، 2005.

60- د.عثمان علي، دراسات في الحركة الكُردية المعاصرة 1833-1946: دراسة تاريخية وثائقية، تقديم: محمد الهماوندي، التفسير، اربيل، 2003.

61- علي تتر توفيق، الحياة السياسية في كوردستان 1908-1927، ترجمة: تحسين إبراهيم الدوسكي، مراجعة: د.عبد الفتاح علي البوتاني، دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك، 2007.

62- عيسى ابراهيم قاسم، الميران في امارة بوطان، دار الينابيع، دمشق، 2007.

63- فارس عثمان، الكُرد والارمن: العلاقات التاريخية، دار الينابيع، دمشق، 2008.

64- د.فاضل رسول، كُردستان والسياسة السوفياتية في الشرق الاوسط، ترجمة: غسان نعسان، مراجعة: ماموستا جعفر، مكتب الفكر والتوعية في الاتحاد الوطني الكردستاني، السليمانية، 2008.

65- فالح عبد الجبار وآخرون، الاثنية والدولة: الأكراد في العراق وإيران وتركيا، ترجمة: عبد الإله النعيمي، معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد-بيروت، 2006.

66- فؤاد حسن حافظ، تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم، القاهرة، 1986.

67- د.فؤاد حمه خورشيد مصطفى، القضية الكُردية في المؤتمرات الدولية، مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر، أربيل، 2001.

68- الفيكونت جيمس برايس وآخـرون، مختارات من بعض الكتابات التاريخية حول مجازر الأرمن عام 1915، ترجمة: خالد الجيلي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية-سوريا، 1995.

69- قادر سليم شمو، موقف الكورد من حرب الاستقلال التركية 1919-1922، دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك، 2008.

70- د.ك.ل.استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل، 1951.

71- كاميران عبد الصمد احمد الدوسكي، كُردستان العثمانية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك، 2002.

72- كرسام اهارونيان، القضية الأرمنية أمام الرأي العام العربي، بيروت، 1965.

73- د.الكسندر كشيشيان، صفحات وثائقية من جريدة (التقدم) الحلبية عن الأحوال الأرمنية والعربية في الدولة العثمانية، منشورات الجمعية الخيرية العمومية الأرمنية، حلب، د.ت.

74- د.كمال مظهر احمد، كُردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، ترجمة: محمد الملا عبد الكريم، ط2، دار افاق عربية للطباعة والنشر، بغداد، 1984.

75- البرفسور م.أ. هسرتيان، كُردستان تركيا بين الحربين، ترجمة: د.سعد الدين ملا وبافي نازي، رابطة كاوا للثقافة الكردية، بيروت، 1987.

76- م.س.لازاريف، المسألة الكُردية 1891-1917، ترجمة: اكبر احمد، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، السليمانية، 2001.

77-............، المسألة الكُردية 1917-1923، ترجمة: د.عبدي حاجي، دار الرزاي، بيروت، 1991.

78- ماجد محمد زاخويي، الفرسان الحميدية، دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك، 2008.

79- مارتن فان برونسن، الآغا والشيخ والدولة: البنى الاجتماعية والسياسية لكُردستان، ترجمة: امجد حسين،ج1، معهد الدراسات الاستراتيجية، بغداد- بيروت، 2007.

80-..............، الآغا والشيخ والدولة: البنى الاجتماعية والسياسية لكُردستان، ترجمة: امجد حسين،ج2، دراسات عراقية، بغداد- بيروت، 2007.

81-..............، المجتمع الكُردي: العرق القومية ومشاكل اللجوء، ترجمة: صدقي عز الدين البيرموسي، دهوك، 1998.

82- مالكولم ياب، نشوء الشرق الأدنى الحديث 1792- 1923، ترجمة: خالد الجبيلي، الاهالي، سوريا، 1998.

83- مالميسانز، القومية الكُردية ود.عبد الله جودت في مطلع القرن العشرين، ترجمة: شكور مصطفى، دار ئاراس للطباعة والنشر، اربيل، 2000.

84-........، بدرخانيو جزيرة بوتان ومحاضر اجتماعات الجمعية العائلية البدرخانية، ترجمة: شكور مصطفى، حكومة اقليم كردستان العراق، وزارة الثقافة، اربيل، 1998.

85- مالميسانيج، عائلة جميل باشا الدياربكري والنضال القومي الكُردي، ترجمة: فيض الله خان ودلشا يوسف، مراجعة: فدان ادم، ط2، مؤسسة بير للطباعة والنشر، ديار بكر، 2007.

86- مجموعة باحثين، الأقليات والقوميات في السلطنة العثمانية بعد 1516، منشورات الجمعية التاريخية اللبنانية، لبنان، 2001.

87- مجموعة مؤلفين، مختارات من بعض الكتابات التاريخية حول مجازر الأرمن عام 1915، ترجمة: خالد الجبيلي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، 1995.

88- محمد ابو عزة، عصر السلطان عبد الحميد، المنارة، بيروت، 1997.

89- محمد الملا احمد، جمعية خويبون والعلاقات الكُردية-الأرمنية، كاوا للنشر والتوزيع، اربيل، 2000.

90- محمد امين زكي بك، خلاصة تاريخ الكُرد وكُردستان من أقدم العصور التاريخية، ترجمة وتعليق: محمد علي عوني، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2009.

91-..............، مشاهير الكرد وكردستان (1-2)، ترجمة: السيدة كريمته، ط2، دار الزمان، دمشق، 2006.

92- محمد خليل أمير، علاقة الأكراد بمذابح الأرمن، د.م، د.ت.

93- د.محمد رفعت الإمام، الأرمن في مصر1896-1961، جمعية القاهرة الخيرية الارمنية العامة، القاهرة، 2003.

94- محمد علي بك إبراهيم باشا، أمير أمراء كُردستان إبراهيم باشا الملي 1845-1908، دراسة وتحقيق: د.عبد الفتاح علي البوتاني وعلي صالح الميراني، الاكاديمية الكوردية، أربيل، 2009.

95- محمود رئيف افندي، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، تقديم وتحقيق: خالد زيادة، منشورات جروس-برس، لبنان، د.ت.

96- مروان المدور، الأرمن عبر التاريخ، ط2، دار نوبل، دمشق، 1980.

97- مسألة إبادة الأرمن أمام المحكمة، ترجمة: غسان نعسان، مراجعة:

ماموستا جعفر،ط2، منشورات مكتب الفكر والوعي في الاتحاد الوطني الكردستاني، السليمانية، 2008.
98- المشانق العربية والمجازر الأرمنية من خلال جلسات محاكمات زعماء حزب الاتحاد والترقي أمام المحاكم العسكرية التركية الاستثنائية بين عامي 1919-1920، ترجمة: د.الكسندر كشيشيان، دار طلاس، حلب، 1992.
99- موسيس خوريناتسي، تاريخ الأرمن: من البداية حتى القرن الخامس الميلادي، ترجمة: نزار خليلي، اشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، 1999.
100- موضوعات من الكُردولوجيا السوفياتية، ترجمة: د.اسماعيل حصاف، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، اربيل، 2008.
101- موفق بني المرجة، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، ط9، مؤسسة الريان-دار البيارق، عمان، 1999.
102- مير بصري، أعلام الكُرد، رياض الريس للكتب والنشر، لندن-قبرص، 1991.
103- ميهفان محمد حسين رشيد البامرني، سياسة الاتحاد السوفياتي تجاه الحركة القومية الكوردية التحررية في كوردستان الجنوبية 1945-1968: دراسة تاريخية تحليلية، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، اربيل، 2008.
104- ن.أ.خالفين، الصراع على كُردستان: المسألة الكُردية في العلاقات الدولية خلال القرن التاسع عشر، ترجمة: د.احمد عثمان ابو بكر، مطبعة الشعب، بغداد، 1969.
105- نخبة من الباحثين والعلماء، جريمة الصمت: جريمة إبادة الجنس الأرمني، ترجمة: هوري عزازيان، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، 1995.

106- نعيم اليافي وخليل الموسى، نضال العرب والأرمن ضد الاستعمار الأرمني، اللاذقية، 1995.
107- د.نورا أريسيان، غوائل الأرمن في الفكر السوري: موقف المفكرين السوريين من الإبادة الأرمنية، قدم له: جورج جبور، الفرات للنشر والتوزيع، دمشق، 2002.
108- هـ.أ.ل.فيشر، تاريخ أوروبا في العصر الحديث 1789-1950، ترجمة: احمد نجيب هاشم ووديع الضبع، ط6، دار المعارف، مصر، 1972.
109- د.هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية: المرحلة الأولى 1774-1856، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، 1990.
110- هايكازن غازاريان، وثائق تاريخية عن المجازر الأرمنية عام 1915، ترجمة: نزار خليلي، سلسلة دراسات ووثائق المجازر الأرمنية (4)، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية-سوريا، 1995.
111- هراج داسبنديان، القضية الأرمنية: عرض تاريخي مقتضب للقضية الأرمنية، ترجمة: جوزف كالوستيان، بيروت، 1984.
112- د.هلكوت حكيم، كتابات مع الأحداث، دار ئاراس للطباعة والنشر، أربيل، 2009.
113- هنري باركي وآخرون، القضية الكوردية في تركيا، ترجمة: هڤال، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، اربيل، 2007.
114- هنري لايارد، البحث عن نينوى، ترجمة: مخائيل عبد الله، دار سرگون للنشر، د.م، 1998.
115- هوكَر طاهر توفيق، الالفباء الكُردية بالحروف العربية والحروف اللاتينية نشؤوها وتطورها، دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك، 2005.

116-..............، دور الصحافة الكُردية في تطوير الوعي القومي الكُردي 1898- 1918، دار سبيريز للطباعة والنشر، دهوك، 2004.

117- وديع جويدة، ثورة الشيخ عبيد الله النهري، في: جرجيس فتح الله، مبحثان على هامش ثورة الشيخ عبيد الله النهري، ط2، دار ئاراس للطباعة والنشر، اربيل، 2001.

118- يوسف ابراهيم الجهماني، تركيا والأرمن، دار حوران للطباعة والنشر، دمشق، 200.

119- يوسف ملك، كُردستان أو بلاد الأكراد، مراجعة وتقديم: د.عزالدين مصطفى رسول، ط2، منشورات مكتب الفكر والتوعية في الاتحاد الوطني الكردستاني، السليمانية، 2006.

ب-الانكليزية:

1-A. P. HACOBIAN, ARMENIA AND THE WAR, HODDER AND STOUGHTON, LONDON-NEW YORK, 1917.

2-A.O. SARKISSIAN, HISTORY OF THE ARMENIAN QUESTION TO 1885, THE UNIVERSITY OF ILLINOIS PRESS, URBANA, 1938.

3-A.R.Ghassemlou and Others, People Without a Country, Translated by: Michael Pallis, Zed Press, London, 1980.

4-AHMED RUSTEM BEY, THE WORLD WAR AND THE TURCO-ARMENIAN QUESTION, Berne, 1918.

5-ANTRANIC AZHDERIAN, THE TURK AND THE LAND OF HAIG OR TURKEY AND ARMENIAN: DESCRIPTIVE-HISTORICAL AND PICTURESQUE, NEW YORK, 1898.

6-ARMAN J.KIRAKOSSIAN, British Diplomacy and the Armenian Question: From the 1830s to 1914, Gomidas Institute Books, Princeton and London, 2003.

7-Christopher J. Walker, ARMENIA: The Survival of a Nation, second edition, n.p, 2005.

8-DAVID GAUNT, Massacres Resistance, Protectors: Muslim-Christian Relation in Eastern Anatolia During World War I, GORGIAS PRESS, New Jersey, 2006.

9-Dikran Mesrob Kaligian, Armenian Organization and Ideology under Ottoman Rule 1908-1914, Transaction Publishers, New Brunswick and London, 2009.

10-Dr. ERDAL ILTER, ARMENIAN AND RUSSIAN OPPRESSIONS 1914-1916: TESTIMONIES OF WITNESSES, KÖKSAV, ANKARA, 1999.

11-FREDERICK DAVIS GREENE, ARMENIAN MASSACRES OR THE SWORD OF MOHAMMED, INTERNATIONAL PUBLISHING CO., PHILADELPHIA & CHICAGO, 1896.

12-......................................, THE ARMENIAN CRISIS IN TURKEY: THE MASSACRE OF 1894 ITS ANTECEDENTS AND SIGNIFICANCE, NEW YORK-LONDON, 1895.

13-GUENTER LEWY, The ARMENIAN MASSACRES in OTTOMAN TURKEY: A Disputed Genocide, THE UNIVERSITY OF UTAH PRESS, Salt Lake City, 2005.

14-H. M. Knadjian, The Eternal Struggle A Word Picture of Armenia's Fight for Freedom, CALIFORNIA, n.d.

15-HASSAN ARFA, The Kurds: An historical and political study, OXFORD UNIVERSITY PRESS, LONDON, 1966.

16-J. CASTELL HOPKINS, THE SWORD OF ISLAM OR SUFFERING ARMENIA: ANNALS OF TURKISH POWER AND THE EASTERN QUESTION, THE BRADLEY-GARRETSON CO., LTD, Brantford and Toronto, 1896.

17-Jacques de Morgan, The HISTORY OF THE ARMENIAN PEOPLE From the Remotest Times to the Present Day, Translated by: ERNEST F. BARRY, n.p, 1918.

18-JAMES CIMENT, The Kurds: State and Minority in Turkey-Iraq and Iran, facts On File- Inc, New York, 1996.

19-James L. Barton, TURKISH ATROCITIES: Statements of American Missionaries on the Destruction of Christian Communities in Ottoman Turkey 1915-1917, Gomidas Institute, Michigan, 1998.

20-JEREMY SALT, Imperialism- Evangelism and Ottoman Armenians 1878-1896, Bilkent University, FRANK CASS, London, 1993.

21-Justin McCarthy and others, The Armenian Rebellion at Van, The University of Utah Press, Salt Lake City, 2006.

22-Justin McCarthy, THE OTTOMAN PEOPLES AND THE END OF EMPIRE, ARNOLD, LONDON, 2001.

23-KAMURAN GÜRÜN, THE ARMENIAN FILE, YAYLACIK MATBAACILIK, ISTANBUL, 2007.

24-Krikor Behesnilian, Armenian Bondage and Garnage: Being the Story Christian Martyrdom in Modern Times, London, 1903.

25-Louise Nalbandian,The Armenian Revolutionary Movement, California 1963.

26- Margaret MacMillan, PARIS: SIX MONTHS THAT CHANGED THE WORLD, Foreword by: Richard Holbrooke, Random House, New York, 2003.

27- Maria T. O'Shea, TRAPPED BETWEEN THE MAP AND REALITY: Geography and Perceptions of Kurdistan, Routledge, New York & London, 2004.

28-Mim Kemal ÖKE, THE ARMENIAN QUESTION, TÜRK TARIH KURUMU, ANKARA, 2001.

29-MUSA ŞAŞMAZ, BRITISH POLICY AND THE APPLICATION OF REFORMS FOR THE ARMENIANS IN EASTERN ANATOLIA 1877-1897, TÜRK TARIH KURUMU, ANKARA, 2000.

30-OHAN GAIDZAKIAN M. D., Illustrated Armenia and the Armenians, BOS ETON, 1898.

31-PETER BALAKIAN, THE BURNING TIGRIS: The Armenian Genocide and America's Response, Perennial, New York, 2004.

32-SALAHI R. SONYEL, MINORITIES AND THE DESTRUCTION OF THE OTTOMAN EMPIRE, TURKISH HISTORICAL SOCIETY PRINTING HOUSE, ANKARA, 1993.

33-........................., THE OTTOMAN ARMENIANS: VICTIMS OF GREAT POWER DIPLOMACY, Oxford, LONDON, 1987.

34-........................., THE GREAT WAR AND THE TRAGEDY OF ANATOLIA: TURKS AND ARMENIANS IN THE MAELSTROM OF MAJOR POWERS, TÜRK TARIH KURUMU, ANKARA, 2001.

35- Samuel A. Weems, ARMENIA SECRETS OF A "CHRISTIAN" TERRORIST STATE: The Armenian Great Deception Series, Vol: 1, United States of America, 2002.

36-SAMUEL M. ZWEMER, THE MOSLEM WORLD, VOL:I, KRAUS REPRINT CORPORATION, New York, 1920.

37-STANFORD J. SHAW AND EZEL KURAL SHAW, HISTOPY OF THE OTTOMAN EMPIRE AND MODERN TURKEY, VOL:II Reform- Revolution- and Republic: The Rise of

Modern Turky 1808-1975, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, 1988.

38-STANFORD J. SHAW, THE OTTOMAN EMPIRE IN WORLD WAR I, VOL: I, TÜRK TARIH KURUMU, ANKARA, 2006.

39-.........................., THE OTTOMAN EMPIRE IN WORLD WAR I, VOL:II, TÜRK TARIH KURUMU, ANKARA, 2006.

40-TURKKAYA ATAOV, THE ARMENIANS in the Late Ottoman Period, THE TURKISH HISTORICAL SOCIETY, Ankara, 2001.

41-Viscount Bryce, THE TREATMENT OF ARMENIANS IN THE OTTOMAN EMPIRE, London, 1916.

42-W. J. WINTLE, ARMENIA AND ITS SORROWS, LONDON, 1896.

43-W. S. MONROE, TURKEY AND THE TURKS, L. C. PAGE, BOSTON, 1907.

44-Yusuf HALAÇOĞLU, FACTS ON THE RELOCATION OF ARMENIANS 1914-1918, TURKISH HISTORICAL SOCIETY, ANKARA, 2002.

جـ-التركية:

1-ALIŞAN AKPINAR, EUGENE L.ROGAN, AŞIRET MEKTEP DEVLET, Aram Yayincilik, ISTANBUL, 1996.

2-Antranik Çelebyan, ANTRANIK PAŞA , Ermeniceden Türkçeye Çeviren: Mariam Arpi- Nairi Arek, Pêrî Yayinlari, Istanbul, 2003.

3- Arsen Avagyan ve Gaidz F. Minassian, ERMENİLER İTTİHAT ve TERAKKİ: İŞBİRLİĞİNDEN ÇATISMAY, Aras Yayincilik, Istanbul, 2005.

4-Avyarov, Osmanli-Rus ve Iran Savaşlar'inda Kürtler 1801-1900, Osmanlicadan Tercüme eden: Muhammed(Hoko) Varli(Xanî), Basim yili, SIPAN, Ankara, 1995.
5-Prof. Dr Azmi SÜSLÜ, ARMENIANS AND THE 1915 EVENT OF DISPLACEMENT, Second Edition, SISTEM OFSET Printing House, ANKARA, 1999.
6-BENGİ KÜMBÜL, TERCÜMAN-I HAKİKAT GAZETESİNE GÖRE: OSMANLI ERMENİLERİ 1914-1918, MÜDAFAA-I HUKUK YAYINLARI, Antalya, 2006.
7-Bilâl N. Şimşir, KÜRTÇÜLÜK 1787-1923, ISTANBUL, 2007.
8-Cevdet ERGÜL, II. ABDÜLHAMID,IN DOČU POLITIKASI ve HAMIDIYE ALAYARI, 2.basim, Bilgi, Izmir, 1997.
9-Hagop Şahbazyan, Kürt-Ermeni Tarihi, Ermenice'den Çeviren: Ferit M.Yüksel, Ikinci Basim, Kalan Yayinlari, Ankara, 2005.
10- HASAN BABACAN, MEHMED TALÂT PAŞA, TÜRK TARIH KURUMU, ANKARA, 2005.
11-Halil Metin, TÜRKİYENİN SİYASİ TARİHİNDE ERMENİLER VE ERMENİ OLAYLARI, MILLÎ EĞITIM BASIMEVI, İSTANBUL, 1997.
12-Hikmet ÖZDEMİR Ve diğerleri ,ERMENILER: SURGUN VE GOC, TÜRK TARIH KURUMU, ANKARA, 2005.
13-Hikmet ÖZDEMİR Ve diğerleri, 80. YILINDA 2003 PENCERESINDEN LOZAN SEMPOZYUMU, TÜRK TARIH KURUMU ANKARA, 2005.
14-KEMAL ÇIÇEK, ERMENILERIN ZORUNLU GÖÇÜ 1915-1917, TÜRK TARIH KURUMU, ANKARA, 2005.
15-KEMAL SÜPHANDAĞ, BÜYÜK OSMANLI ENTRIKASI HAMIDIYE ALAYLARI ARAŞTIRMA-INCELEME, Komal, ISTANBUL, 2006.

16-M. Malmîsanij, TÜRKİYE VE SURİYE,DE KÜRTÇE KİTAP YAYIMCILIČININ DÜNÜ VE BUGÜNÜ, Vate Yayinevi, Istanbul, 2006.

17-M.Kalman, Bati-Ermenistan (Kürt ILişkileri) Ve Jenosid, Zel Yayincilik, Istanbul,1994.

18-............., Belge ve taniklariyla DERSİM Direnişleri, nûjen yayinlari, ISTANBUL, 1995.

19-MAYÉVSRIY V. T., 19. Yüzyild Kürdistan'in Sosyo- Kültürel Yapisi: KÜRT-ERMENİ İLİŞKİLERİ, Osmanlicaya tercüme eden: MEHMET SADIK, SIPAN, Istanbul, 1997.

20- Malmîsaij, Abdurrahman Bedirhan Ve Ilk Kürt Gazetesi Kurdistan Sayi: 17 ve 18, Sweden, 1992.

21-Musa Şaşmaz, Kürt Musa bey Olayi (1883-1890), Istabul, 2004.

22-MUSTAFA AKYOL, KÜRT SORUNUNU YENIDEN DÜŞÜNMEK, DOĞAN KITAP, ISTANBUL, 2006.

23-Naci Kutlay, İTTİHAD TERAKKİ ve KÜRTLER, Ankara, 1992.

24-NURŞEN MAZICI, ULUSLARARASI REKABETTE ermeni sorunu'nun kökeni 1878-1920, 3 Baski, Beybûn,POZITIF YAYINLARI, Istanbul, 2007.

25-Rahmetli Babamin, BITLIS'TE ERMENILER VE ERMENI MEZALIMI, BITLIS, 1996.

26-Ramazan ÇALIK, Alman Kaynaklarina Göre II. Abdülhamid Döneminde Ermeni Olaylari, T.C. KÜLTÜR BAKANLIĞI KÜLTÜR ESERLERI, Ankara, 2000.

27-Recep Maraşli, Ermeni Ulusal Demokratik Hareketi ve 1915 Soykirimi, Pêrî Yayinlari, Istanbul, 2008.

28-Şaban Iba, Sevd'en Lozan'a Kürt Sorunu ve Kemalist Hareket,ÖZGÜR ÜNIVERSITE. Istanbul, 2008.

29-Sâmiha Ayverdi, Turkiye'nin Ermeni Meselesi, Kubbealti Neşriyâti, Istanbul, 2005.

30-TAHA NIYAZI KARACA, ERMENI SORUNUNUN GELIŞIM SÜRECINDE YOZGAT'TA TÜRK ERMENI ILIŞKILERI, TÜRK TARIH KURUMU, ANKARA, 2005.

31-V. Yeghiayan ve L. Fermanian, RAFAEL LEMKIN'in Ermeni Soykirimi Dosyasi, Türkcesi: Ali Çakiroğlu, belge yayinlari, Istanbul, 2009.

32-ZEKERIYA TURKMEN, VILAYAT-I SARKIYE (DOGU ANADOLU VILAYETLERI) ISLAHAT MUFETTISLIGI 1913-1914, TÜRK TARIH KURUMU, ANKARA, 2006.

د- الفرنسية:

1-ANDRÉ MANDELSTAM, LE SORT DE L'EMPIRE OTTOMAN, LIBRAIRIE PAYOT ET Cie, PARIS, 1917.

2-J. NAAYEM, LES ASSYRO-CHALDÉENS ET LES ARMENIENS: massacres par les Turcs, BLOUD-GAY, PARIS, 1920.

3-L'Abbè Eugène GRISELLE, UNE VICTIME PANGERMANISME L'Arménie Martyre, BLOUD-GAY, PARIS, 1916.

4-Par M. G. , LA DÉFENSE HÉROÏQUE DE VAN (ARMÉNIE), EDITION DE LA (DROSCHAK), GENÈVE, 1916.

هـ- الكُردية:

1- پ.ی. ئەڤیریانۆڤ، کورد لە جەنگی روسیا لەگەڵ ئێران وتورکیادا، وەرگێران: ئەفراسیاو هەورامی، بڵاوکراوەکانی مەکتەبی بیرو هۆشیاری، سلیمانی، 2004.

2- ئەسکەندەر غۆریانس، شۆڕشی شێخ عوبەیدوڵلای نەهری لە بەڵگەنامەی ئەرمەنی دا، وەرگیرانی: محەمەد حەمە باقی، کۆڕی زانیاری کوردستان، هەولێر، 2007.

3- ئیسماعیل گویلداش، جەمعییەتی تەعالیی کوردستان، وەرگێرانی: زریان ڕۆژهەلاتی، بنگەی ژین، سلێمانی، 2011.

4- دیوانی حاجی قادری کۆیی، لێکۆڵینەوە ولێکدانەوەی: سەردار حمید میران وکەریم مستەفا شارەزا، پێداچوونەوەی: مسعود محمد، بغداد، 1986.

5- رۆبەرت ئۆلسن، راپەڕینی شێخ سەعیدی پیران، وەرگێران: ئەبوبەکر خۆشناو، چاپی دووەم، دەزگای چاپ و پەخشی سەردم، سلێمانی، 1999.

6- رۆهات ئەلاکوم، کوردەکانی ئەستەمبوولی کۆن، وەرگێرانی: ئەحمەد تاقانە، دەزگای چاپ وبلاوکردنەوەی موکریانی، هەولێر، 2005.

7- سینان هاکان، کورد و بەرخودانەکانی 1817 - 1867: لە بەلگەنامەکانی ئەرشیفی عوسمانیدا، وەرگێران: بەکر شوانی، پێشەکی و پێداچوونەوە: د. جبار قادر، ئەکادیمیای کوردی، هەولێر، 2012.

8- د. عبدوللا غەفور، سنووری کوردستان، چاپی سێیەم، دەزگای چاپ وبلاوکردنەوەی موکریانی، هەولێر، 2006.

9- د. فەرهاد پیربال، رۆوژنامەگەریی کوردی بەزمانی فەرەنسی، هەولێر، 1998.

10-.............، کورد لەدیدی ڕۆژهەلاتناسەکانەوە، دەزگای چاپ وبلاوکردنەوەی ئاراس، هەولێر، 2006.

11- فەیسەل دەباغ، کوردستان لەچاپکراوە عوسمانلییەکاندا، دەزگای چاپ وبلاوکردنەوەی ئاراس، هەولێر، 2004.

12- کریس کوچیرا، کورد لە سەدەی نۆزدەو بیست دا، وەگێرانی: حەمە کەریم عارف، چاپی دووەم، سلێمانی، 2004.

13- د. مارف خەزنەدار، مێژووی ئەدەبی کوردی، بەرگی دووەم: سەدەکانی چواردەم-هەژدەم، دەزگای چاپ وبلاوکردنەوەی ئاراس، هەولێر، 2002.

14- ملا محمودێ بایەزیدی، عادات ورسوماتنامەئی ئەکرادیە، ڤەگوهاستن: رشید فندی، سبیریز، دهوك، 2006.

15- مالمیسانژ، جەمعییەتی تەعاون وتەرقیی کورد ڕۆژنامەکەی، وەرگێران: زریان ڕۆژهەلاتی، پێداچوونەوەی: سدیق سالح، بنگەی ژین، سلێمانی، 2007.

16- محەمەد بایراقدار، ئیدریس بتلیسی، وەرگێران: شکور مستەفا، چ2، دەزگای چاپ وبلاوکردنەوەی ئاراس، هەولێر، 2009.

سابعاً-الابحاث والمقالات:

أ-الانكليزية:

1-DOMINIK J. SCHALLER and JÜRGEN ZIMMERER, Lat Ottoman genocides: the dissolution of the Ottoman Empire and Young Turkish population and extermination policies-introduction, Journal of Genocide Research, , 10(1), 2008, March 7-14.

2-Fatih Ünal, REFLECTIONS OF THE SECOND PROCLAMATION OF THE OTTOMAN PARLIAMENTARY SYSTEM ON EASTERN ANATOLIA AND ITS EFFECT ON THE ARMENIAN-KURDISH RELATIONS, REVIEW OF ARMENIAN STUDIES, VOI. 4, No. 10, 2006.

3-James Eldin Reed, American Foreign Policy: The Politics of Missions and Josiah Strong 1890-1900, Church History, Vol. 41, No. 2, Jun., 1972.

4-Janet Klein, CONFLICT AND COLLABORATION: RETHINKING KURDISH-ARMENIAN RELATIONS THE HAMIDIAN PERIOD 1876-1909, Int J. Turkish Studies, Vol: 13, Nos. 1-2, 2007.

5-L. Molyneux-Seel, A Journey in Dersim, The Geographical Journal, Vol. 44, No. 1, Jul., 1914.

6-Leon Dominian, The Peoples of Northern and Central Asiatic Turkey, Bulletin of the American Geographical Society, Vol. 47, No. 11, 1915.

7-Richard G. Hovannisian, The Allies and Armenia 1915-1918, Journal of Contemporary History, Vol. 3, No. 1, Jan., 1968.

8-Roderic H. Davison, The Armenian Crisis 1912-1914, The American Historical Review, Vol. 53, No. 3, 3 Apr 1948.

9-Roy Douglas, Britain and the Armenian Question 1894-7, The Historical Journal, vol: 19, No. 1, Mar 1976.

10-Secil KARAL AKGUN, Ottoman Armenian Intricate Relations with Western Powers before and during the Peace Settlements of the First World War, REVIEW OF ARMENIANS STUDIES, no:18, 2008.

11-Vahakn N. Dadrian, The Armenian Question and the Wartime Fate of the Armenians as Documented by the Officials of the Ottoman Empire's World War I Allies: Germany and Austria-Hungary, International Journal of Middle East Studies, Vol. 34, No. 1, Feb., 2002.

12-......................., The Naim-Andonian Documents on the World War I Destruction of Ottoman Armenians: The Anatomy of a Genocide, International Journal of Middle East Studies, Vol. 18, No. 3, Aug., 1986.

13-YERVAND SARKISIAN, DOCUMENTS FROM THE HISTORY OF ARMENIAN-KURDISH RELATIONS, Acta Kurdica, vol: 1, 1994.

ب-الفرنسية:

1-Commentaires de la presse sur la nouvelle la reprise d,Erzeroum, La Voix de L,Arménie, Revue BI-MENSUELLE, No. 8, 15 Avril 1918, Paris.

2-DANS LHORREUR DES MASSACRES DARMENIE, Revue LECTURES POUR TOUS, 1 SEPTEMBRE 1916.

3-DÉCLARATION DU CHEF RÉVOLUTIONNAIRE ANTRANIK, Supplément à Pro Armeniea du 25 Janvier 1909.

4-Hors de France, L,ARMÉNIE TURQUE, Une Mer de Sang, La Revue Forézienne, No. 44, Aout 1901.

5-Les émigrés arméniens, La revue blanche, No. 82, novembre 1896, Paris.

6-LES MISSIONS CATHOLIQUES, BULLTEN HEBDOMADAIRE ILLUSTRE, TOME: 34, LYON-FRANCE, JANVIER-DÉCEMBER 1902.

7-Maurizio Russo, La formation des regiments de cavalerie kurde hamidié, Revue d'histoire arménienne contemporaine I ,1995.

8-RENÉ PINON, L,Indépendance de L,Arménie, La Voix de L,Arménie, Revue BI-MENSUELLE, No. 24, 15 Décembre 1918, Paris.

9-Roland BAREILLES, Le Crépuscule Ottoman 1875-1933: un Français chez le dernier grand sultan, préface d'Alain Decaux de L'Académie française, Études kurdes, No. 5, DECEMBRE 2002.

10-Une "premiére" en 1915 Le génocide arménien, Revue HISTORIA, No. 405, Aout 1980.

جـ-العربية:

1- أورخـان محمد علي، القضية الأرمنية، مجلة الإيمان (مجلة العلم والإيمان)، العدد (41)، هولير، مايس-حزيران-تموز 2010.

2- جيرارد ليبارديان، قضايا في دراسة العلاقات الأرمنية- الكُردية، مجلة دراسات كردية، العدد(3-7)، باريس،.1992.

3- الخوري اسحق ارملة السرياني، أخبار سفر المونسنيور فرنسيس بيكيت إلى بلاد أرمينيا والعجم 1681- 1684، كتبها السيد اثناسيوس سفر العطار السرياني أسقف ماردين، مجلة المشرق، بيروت، السنة الثانية والثلاثون، كانون الثاني- اذار 1934.

4- رواية لشاهد عياني نشرها الأب لويس شيخو، الكثكلة في ماردين، مجلة المشرق، العدد (8)، بيروت، اب 1909.

5- عبد الرؤوف سنو، العلاقات الروسية العثمانية (1687-1878) مسألة البحر الأسود والأزمة البلقانية، الحلقة الرابعة، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد(79-80)، بيروت، 1985.

6- عبد الله محمد علي العلياوي، سعيد النورسي ودوره في الكورداتيي، مجلة جامعة السليمانية، العدد (8)، قسم-B-، 2001.

د-الكُردية:

1- عبد الرقيب يوسف، ئايينىَ مەسيحى ل كوردستانىَ، گوڤارا دهوك، ژمارا (4)، تەباخا 1998٠

2- عەبدوللا زەنگەنە، ديدارەك دگەل مالميسانژ، گوڤارا روژنامەنووس، ژمارە (8)، هەولێر، 2006٠

3- كوردێكی يكرەنگ، ديارى ژمارەى، گوڤارى روژنامەڤانى، ژمارە (9)، هەولێر، هاوينى 2002٠

5- مالميسانژ، رۆژنامەنووس وسياستمەدارى گەورەى كورد عەبدولڕحمان بەدرخان، وەرگێرانى لە توركييەوە: ئارام خدر قەلادزەى، گوڤارى رامان، ژمارە(17)، هەولێر، 1997.

هـ-المنشورة على الانترنت:

1-الانكليزية:

1-Arnold Joseph Toynbee, Turkey: A Past and a Future, Via at: (http://www.gutenberg.org/).

2-Garabet K. Moumdjian, Armenian Kurdish Relations in the

Era of Kurdish National Movements (1830-1930). Via at: (http://www.armenianhistory.com/Nyuter/HISTORY/G_ Moumdjian/kurd).

3-Hilmar Kaiser, The Ottoman Government and the End of the Ottoman Social Formation, 1915-1917, Via at:(http://www. hist.net).

4- Hüseyin Çelik, THE 1915 ARMENIAN REVOLT IN VAN: EYEWITNESS TESTIMONY, Via at: (www. tallarmeniantale.com).

5- JOHANNES LEPSIUS, RAPPORT SECRET DU Dr JOHANNES LEPSIUS SUR LES MASSACRES D'ARMÉNIE, Via at: (http://www.imprescriptible.fr/ documents/lepsius/p1c2sp4.htm).

6-Justin McCarthy, (Seminar on Turkish-Armenian Relations Organized by the Democratic Principles Association 15 March 2001 /Istanbul), Via at: (http://www.mfa.gov.tr/grupa/ ad/adf/pres.by.prof.mccarthy..htm).

7- Dr. Mehmet Firat Kiliç, Sheikh Ubeydullah's role in 1877-1878 Ottoman-Russian War, Via at:(www.pen-kurd.org).

8-Muhammad Shamsaddin Megalommatis, Aramean – Armenian Massacres of the Ottoman Times: a Kurdish Responsibility, Via at: (http://www.americanchronicle.com).

9-Recognition of Armenian Genocide by Kurds, Via at: (http:// www.armeniapedia.org).

10-Report From the Administrator in Erzurum (Scheubner-Richter) to the Reichskanzler (Bethmann Hollweg), Presently in Munich, 4 December 1916, Via at: (http://www. armenocide.net).

11-Richard Diran Kloian, From The Armenian Genocide: News Accounts from the American Prss 1915-1922, Via at:(http:// www.teachgenocide.com).

12-Richard G. Hovannisian, Intervention and Shades of Altruism During the Armenian Genocide, Via at: (www.teachgenocide.org).
13-Robert T. Melson, Armenians in the Ottoman Empire: The Massacres of 1894-1896. Via at:(http://www.h-net.org).
14-Verjiné Svazlian, MEMORIES OF EYEWITNESS-SURVIVORS OF THE ARMENIAN GENOCIDE, Translated from Armenian by: Tigran Tsulikian and Anahit Darbinian, Via at: (http://ermeni.org/).

2-الفرنسية:

1-André Mandelstam, La Société des Nations et Les Puissances devant LE PROBLÈME ARMÉNIEN, Via at: (http://www.imprescriptible.fr/mandelstam).
2-G. Sbordonne, Document italien, Les événements qui précédèrent le décret du 20 Mai (2 Juin) 1915, Notes communiquées à Henry BARBY: par M. Sbordone, agent consulaire d'Italie, à Van, L'INCIDENT D'ETÉLEN, Via at:(http://www.imprescriptible.fr).
3-Petite encyclopédie du génocide arménien, 285-Arméniens et Kurdes, Via at:(http://www.denisdonikian.blog.lemonde.fr).
4-SERHAT KUNAR, POUR LA SECURITE - LE CALME - LA PA_X DE L'HUMANITE"LES REALITES HISTORIQUES ET LE PROBLEME ARMEN_EN"LES TURCS,KURDES ET CAUCAS_ENS MUSULMANS MASSACRESPAR LES ARMENIENS, Via at:(http://www.imprescriptible.fr).

ثامناً- الموسوعات والمعاجم:

1- آ. ادو بواهن، تاريخ إفريقيا العام، المجلد السابع (إفريقيا في ظل السيطرة الاستعمارية 1880-1935)، اليونسكو، بيروت، 1990.

2- س. موستراس، المعجم الجغرافي للامبراطورية العثمانية، ترجمة وتعليق: عصام محمد الشحادات، دار ابن حزم، بيروت، 2002.

3- عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، الاجزاء (1،3،5)، ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1990.

هوامش المراجع

1. من الجدير بالذكر هنا أن الباحث محمد أمين بوز ارسلان قد نشر هاتين المجلتين على صورتهما الأصليتين، مع تحويلهما إلى الحرف اللاتيني.
2. جميع الأعداد (19) بحوزة السيد رفيق صالح صاحب مؤسسة زين للطباعة والنشر في السليمانية، وقد زودني بها مشكوراً.

المحتويات

هذا الكتاب

الكتاب عبارة عن دراسة علمية في أحد فروع ما سمي في التاريخ الحديث بـ(المسألة الشرقية)، وهي (المسألة الأرمنية) التي نشأت في خضم الأحداث التي عصفت بالدولة العثمانية أواخر القرن التاسع عشر حتى ما بعد الحرب العالمية الأولى. والكتاب في الأصل أطروحة دكتوراه نال عليها المؤلف درجة امتياز عالٍ من قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة دهوك في كُردستان العراق سنة 2012.

تُعد قضية علاقة الكُرد بالأرمن من أبرز حلقات المسألة الأرمنية؛ فمن الصعب بمكان فهم تلك المسألة ما لم تَكُن هناك رؤيا واضحة للعلاقات الكُردية-الأرمنية، وذلك لأن أساس المسألة الأرمنية يَكمُن في الصراع بين الأرمن والكُرد على بقعة جغرافية سمّاها الأرمن (أرمينيا الغربية)، ووجدها الكُرد على أنها مهدهم الأول، وهي (كُردستان الشمالية) وتعرف الآن بكُردستان تركيا.

تتناول محاور الكتاب التطورات الداخلية والخارجية للمسألة الأرمنية وعلاقة الكُرد بالأرمن حتى قبل ظهورها مروراً بتطوراتها في تسعينيات القرن التاسع عشر وأثناء الحرب العالمية الأولى حتى انتهاء فصولها سنة 1920. إن ما يميز الكتاب هو رجوع المؤلف إلى المصادر الأولى التي تناولت المسألة الأرمنية، وكانت متلازمة لها طوال حُقبها الممتلئة بالأحداث التي لم يُبَتّ في أمرها بشكل دقيق فيما يخص علاقة الكُرد بها.

تلقي فصول هذا الكتاب الضوء على نقطة مهمة جداً وهي أن الأرمن لم يكونوا الضحايا الوحيدين آنذاك، بل أن ما لحق بالكُرد لم يكن بأقل مما عاناه الأرمن بل فاقه في مرات عديدة، ولكن المأساة الكُردية غير معروفة تماماً عكس المأساة الأرمنية التي هي الآن تُدرّس في كُبريات الجامعات العالمية.

هوكَر طاهر توفيق

- من مواليد 1977 . مدينة دهوك في كُردستان العراق.
- أنهى دراسته الإعدادية في دهوك وتخرج في جامعتها، كلية الآداب، قسم التاريخ سنة 1999.
- حصل على الماجستير في التاريخ الكُردي الحديث من قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة صلاح الدين في أربيل عاصمة كُردستان العراق سنة 2004.
- حصل على الدكتوراه في التاريخ الكُردي الحديث من قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة دهوك في سنة 2012.
- يعمل حالياً أستاذاً مساعداً في قسم التاريخ، سكول الآداب، هيئة العلوم الإنسانية، جامعة زاخو.
- له العديد من الدراسات في التاريخ الكُردي الحديث والمعاصر.

ISBN 978-9953-71-955-9

